

اسم الكتاب :	منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام
المؤلف :	مُحمَّد الريشهري
الموضوع :	تاريخ و سيرة المعصومين (ع)
المساعدون :	غلامعلي، مهدي
المجلدات :	1
الناشر :	دار الحديث
مكان النشر :	قم
تاريخ النشر :	1388
الطبعة :	الاولي

النسخة الالكترونية:

<http://lib.eshia.ir> - <http://gadir.free.fr>



تمهید

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الأطيبين الأطهرين ، لا سيما أخيه ووزيره ووصيه وخليفته . تتضمن موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام نظرة جديدة إلى حياة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ السيرة العلوية ، وتاريخ أكثر البشرية كملاً ، وأبرز المؤمنين ، وأعظم شخصية في التاريخ الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتقدم هذه الموسوعة - وذلك استناداً على الكتاب والسنة والتاريخ ، بتصميم جديد ، ومعالجة مبتكرة ، وتنظيم جديد وعملي - أكثر تعاليم الشخصية الكبرى التي سماها النبي صلى الله عليه وآله باب علمه وحكمته [1] ، عبرة أمام أنظار المحققين والباحثين في العلوم والمعارف العلوية والمتعطين إلى الحق والحقيقة . وفيما يلي نذكر بعض خصائص هذه الموسوعة . [2] أ - الشمولية والانتقائية . ب - الاستناد الواسع إلى مصادر الشيعة وأهل السنة . ج - الانتفاع من المصادر المعتمدة والقابلة للاستناد . د - تقديم ما يقرب من سبعة آلاف نصّ تاريخي وحديثي مع التحليل إذا اقتضى الأمر .

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 10 ص 507 (أبواب علم النبي صلى الله عليه وآله) و ص 509 (باب حكمة النبي صلى الله عليه وآله) .

[2] للاطلاع أكثر عن ميزات هذه الموسوعة ، راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 ص 38 و 46 .

ه - الالتفات إلى الحقائق وحاجات المجتمع المعاصرة والجانب العملي من المضامين . و - الابتكار في التأليف وتقديم المواضيع على شكل رسم بياني ، بحيث يكون عند الباحث صورة عامة عن مواضيع الكتاب من خلال نظرة عابرة فيه . ز - تقديم الإيضاحات والتفسيرات المطلوبة حول الأشخاص ؛ الأمكنة ، وكذلك الخرائط التي أعدها المتخصصون . ونظراً إلى أنّ عامة الناس لم يكن بإمكانهم الانتفاع من كتاب بهذه الخصوصيات ، فقد قررنا أن نضع خلاصة منه تحت تصرف كافة الراغبين في التعرف على تعاليم السيرة العلوية ، وأن نهيئ أرضية ترجمة هذا الكتاب إلى اللغات الأخرى ؛ من أجل تحقيق هذا الهدف أكثر فأكثر . ومن جهة أخرى ، فإنّ اختيار مواضيع كتاب كان قد ألف بدوره على أساس المنتقيات ، كان عملاً مجهداً ، وفقّ الله المثلّان إليه الفاضل المحترم مهدي غلام علي . وأنا أتقدم بشكري الخالص له مباركا ليّ على هذا التوفيق الكبير ، جدير بالذكر أنّ تدوين «موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام» قد تمّ بمساعدة المحقق الفاضل السيّد محمّد كاظم الطباطبائي والسيّد الفاضل محمود طباطبائيّزاد ، فهما سهيّما في تدوين هذه الخلاصة أيضاً ، فأقدم لهما ولجميع الذين ساهموا في تلخيص هذه الموسوعة بالشكر الجزيل والثناء الجميل ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم من فضله وكما هو أهله إنّهم حميد مجيد . اللهمّ إنّنا نقسم عليك بعظمة ليلة القدر أن تتقبّل منا هذه الخدمة المتواضعة ، وأن تجعلنا من الممّهدين للحكومة العالمية التي سيقمها ابن عليّ وفاطمة عليهما السلام ، وفي صفوف أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ، وتمتدنا على حبّ أهل بيت الرسالة ، وتحشرونا في زمرة أتباعهم المخلصين والحقيقيين ، آمين ربّ العالمين . محمّد محمّدي الريشهري " ليلة 23 من شهر رمضان المبارك 1429 هـ - الثاني من شهر مهر 1387 ش

مقدّمة منتخب الموسوعة

يعتبر كتاب «موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة» الضخم ، جهداً قيّماً في مجال التعريف بالإمام عليّ عليه السلام . وقد صدر هذا الكتاب القيم بعد تتبّع واسع ، تقييم مناسب لموضوعات وتحليلات مفيدة ، استناداً إلى التاريخ والسنة ، طيلة ثماني سنوات من التأليف ، وفي عام الإمام عليّ عليه السلام سنة 1379 ش (1999 م) . ويتمتّع هذا الأثر بمكانة خاصة بين الآثار المتعلقة بشخصية ذلك الإمام الهمام . ومما يدلّ على مكانته هذه ، إقبال الباحثين والأوساط العلمية عليه ، وحصوله على الجوائز والأوسمة العلمية - الثقافية ، ومن جملتها جائزة الدورة الثانية لاختيار كتاب عام الولاية . الجدير بالذكر أنّ النصّ الأصلي للكتاب قد طبع ضمن سبع مجلدات ضخمة . ولم تكن حاجة لبعض مقاطعات التخصّصية ، ولذلك فقد تمّ إعداد مختارات منه ؛ كي يخرج

الكتاب من الإطار التخصصي إلى العامّ ، ويكون بالإمكان إصداره في مجلّد واحد ، ولذلك فقد أخذنا بنظر الاعتبار الملاحظات التالية : 1 . تمّت المحافظة على جميع العناوين الرئيسة وأغلب العناوين الفرعية . 2 . أختيرت أكثر الأحاديث شمولية ووضوحا من المصادر المعتبرة أكثر في

هامش كلّ عنوان . 3 . حُذفت جميع الإيضاحات في الهوامش . 4 . اكتفينا بذكر أوّل مصادر الحديث في الهوامش . وقد عكس «منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام» الآن - كمرآة - مواضع الكتاب الأصلي كالتالي :

القسم الأوّل : نسب الإمام علي عليه السلام

دار الحديث في هذا القسم عن أجداد أمير المؤمنين عليه السلام والبيئة التي ترعرع فيها ، وحياته ، والديه ، أسمائه ، كناه ، ألقابه ، سيرته ووجهه ، وعن زيجات الإمام عليّ عليه السلام وأولاده .

القسم الثاني : الإمام عليّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله

يظهر هذا القسم أنّ الإمام عليّاً عليه السلام ، اقتفى آثار أقدام رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله من البعثة وحتى الوفاة ، وسعى من أجل سيادة الإسلام ، وكان سبّاقاً مع النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع المجالات وفي جميع الصعوبات .

القسم الثالث : مساعي النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله لاستخلاف علي عليه السلام من بعده

استعرضنا في هذا القسم ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته في إطار سعي رسول الله صلى الله عليه وآله لسعادة الأمّة ، وذكرنا الأدلّة العقلية والنقلية لإثبات هذا الرأي ، وهو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يترك الأمّة دون قائد ، ولم يدع مستقبلها دون برنامج محدّد ، بل إنّه رسم المستقبل بوضوح من خلال التمهيدات الواسعة ؛ الإرشادات ، الإشارات والتصرّيات الكثيرة .

القسم الرابع : الإمام عليّ عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله

سلّطنا الضوء في هذا القسم على أرضيات وأسباب تجاهل إرشادات النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله حول مستقبل الأمّة والقيادة العلوية ، والتعرّف على مواقف الإمام الحكيمه وكيفيتها وسببها .

القسم الخامس : سياسة الإمام عليّ عليه السلام

ذكرنا في هذا القسم تولّي الإمام عليه السلام للخلافة ؛ بداية الإصلاحات ، أسسها وانعكاساتها في المجتمع .

القسم السادس : حروب الإمام عليّ عليه السلام

تطرّقنا في هذا القسم إلى أسباب ظهور الفتن وكيفيتها ، وكذلك جذورها ومسيرتها ونتائجها ، وفتن «الناكثين» ، «الفاسطين» و «المارقين» في مواجهة حركة الإمام عليه السلام الإصلاحية وموقفه الأصولي والصلب من حقوق الله وحقوق الناس والقيم .

القسم السابع : عهد المشقّة

يمثّل هذا القسم استعراضاً للمظالم التي تعرّض لها أمير المؤمنين عليه السلام ، وأصداء صرخات الوحشة والوحدة التي كان عليه السلام يعاني منها . ويظهر هذا القسم أنّ ذلك الاتجاه الأوّل الواسع لم يعد له وجود في هذا العهد ، وأنّ الناس كانوا يمتنعون عن المشاركة في المعارك ، ولم يكونوا يلبّون دعوات الإمام عليه السلام ، وتدلّ شكواؤه المتكرّرة من الناس ، على المنافع الدنيوية والتخاذل الذي كان يسيطر على الناس آنذاك .

القسم الثامن : شهادة الإمام عليّ عليه السلام

ذكرنا في هذا القسم تنبؤ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بشأن شهادة عليّ عليه السلام ، وحديث مولانا

عليّ عليه السلام حول شهادته والقضايا المتعلقة بذلك ؛ مثل كيفية اغتياله ، أقواله عليه السلام الحكيمة منذ ضربته وحتى لحظة شهادته ، وما إلى ذلك .

القسم التاسع : وجهات النظر حول شخصية الإمام عليّ عليه السلام

سوف نلقى الضوء في هذا القسم على شخصية الإمام عليّ عليه السلام من منظار القرآن ، النبيّ صلى الله عليه وآله ، الإمام نفسه ، أهل البيت عليهم السلام ، زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله ، أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ، أصحاب الإمام ، طائفة من أبرز الشعراء ، بل وحتى معارضيّه وأعدائه .

القسم العاشر : خصوصيات الإمام عليّ عليه السلام

ذكرنا في هذا القسم أبعاد شخصية الإمام عليه السلام وخصوصياته العقائدية ، الأخلاقية ، العملية ، السياسية ، الاجتماعية والفكرية .

القسم الحادي عشر : علم الإمام عليّ عليه السلام

يعتبر عليّ عليه السلام أفضل تلامذة مدرسة النبيّ صلى الله عليه وآله وأرفعهم مكانة ؛ فهو أكمل شخص ، ملأ رسول الله صلى الله عليه وآله روحه بالعلم ومدّ أمامه أفق الحقائق ، وفتح أمامه باب العلم ، كما تعبّر النصوص الروائية والتاريخية عن ذلك. وسنتعرّف في هذا القسم على جانب ممّا ذكر.

القسم الثاني عشر : قضاء الإمام عليّ عليه السلام

دار الحديث في هذا القسم عن مكانة عليّ عليه السلام في القضاء ، باعتباره «أفضى الأمة» ، وذكرنا نماذج من قضائه عليه السلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهد خلافته .

القسم الثالث عشر : كرامات الإمام عليّ عليه السلام

ذكرنا في هذا القسم نماذج من القدرة الروحية والمعنوية للإمام عليه السلام ؛ ولابته التكوينية ، مظاهر خلافة الله في إمام البشرية ؛ نماذج مثل : إجابة الدعوات ، الحديث

عن الأمور الغيبية (أخبار المغيبات) ، وما إلى ذلك .

القسم الرابع عشر : حبّ الإمام عليّ عليه السلام

تظهر النصوص المروية في هذا القسم ، أنّ حبّ علي عليه السلام ، هو حبّ لله ورسوله عليه السلام ، وهو واجب وعبادة ونعمة ، وحبل الله المتين ، وأفضل الأعمال ، وعلى رأس أعمال المؤمنين .

القسم الخامس عشر : معاداة الإمام عليّ عليه السلام

تظهر نصوص الأحاديث المعتبرة المروية عن الفريقين ، أنّ أعداء عليّ عليه السلام بعيدون عن الرحمة الإلهية ، وأنّ هلاكهم محتوم ، ومعاداته تدلّ على النفاق والفسق والشقاء .

القسم السادس عشر : أصحاب الإمام عليّ عليه السلام وعمّاله

يتعرّف القارئ في هذا القسم على تراجم لشخصيات عدد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وعمّاله ، بشكلٍ إجمالي . فمّمّا لاشكّ فيه أنّ موقف الإمام عليه السلام إزاء أصحابه وعمّاله ، يدعو إلى التأمل وأخذ الدروس والعبر .

شكر وتقدير

نشكر الله - تعالى - على توفيقه إيتانا لخدمة شخصية الإمام عليّ عليه السلام ، أملين أن يشمّلنا لطفه وكرمه في الدارين . وأرى هنا لزاماً عليّ أن أتقدّم بشكري إلى المؤلف الجليل سماحة آية الله الري شهري ؛ ذلك لأنّ إرشاداته وتوجيهاته القيّمة فتحت أمامي الطريق في جميع مراحل التلخيص .

كما أتقدّم بشكري إلى جميع الاخوان الذين أسهموا في إعداد هذا الأثر ، وخاصّة سماحة حجّة الإسلام والمسلمين عبد الهادي المسعودي الذي سعى في بلورة أولى مراحل التلخيص ، وسماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمود الطباطبائي نژاد الذي زاد من غنى هذا الأثر وقيمته من خلال نقده الإصلاحي . وفي الختام ، أمّد يد الشكر إلى المدير المحترم لقسم إعداد الكتاب الأخ محمّد باقر النجفي وزملائه المحترمين ، وأمل أن تؤدّي هذه الجهود والمسعاعي إلى رضا الحقّ تعالى . والحمد لله ربّ العالمين مهدي غلام عليّ ١٥ رمضان المبارك ١٤٢٩ هـ - ٢٦ شبّور ١٣٨٧ ش

القسم الأوّل : أسرة الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأوّل : الولادة

الفصل الثاني : النشأة

الفصل الثالث : الزواج

الفصل الرابع : الأولاد

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

الفصل الأوّل : الولادة

أ - النَّسَبُ

إنَّ أرومة الناس دليل على شخصيّتهم وفكرهم وثقافتهم . فأولو النزاهة والصلاح والعقل والحكمة ينحدرون - في الغالب - من أسر كريمة طيّبة مهديّة ، وذوو السوء والفيح والشرّ غالبا هم ممّن نشأ في أحضان غير سليمة ، وانحدر من أصول لثيمة . ويتجلّى القسم الأوّل في الأنبياء - الذين هم عليّة وجوه التاريخ ، وقمم الشرف والكرامة والعزّة - وممّن تفرّع من دوحاتهم ، ورسخت جذوره في بيوتاتهم الرفيعة . وكانت لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام جذور ضاربة في سلاله طاهرة كريمة هي سلاله إبراهيم عليه السلام ، فهو كرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك . وإبراهيم عليه السلام هو بطل التوحيد ، الراغب إلى الله ، المغرم بحبّه ، وهو الواضع سنّة الحجّ ؛ رمز العبودية ومقارعة الشرك . وهكذا فالحديث عن جُود النبي صلى الله عليه وآله حديث عن جُود عليّ عليه السلام ، والكلام عن سلالته صلى الله عليه وآله هو بعينه الكلام عن سلاله أخيه ووصيّيه عليه السلام ، قال صلى الله عليه وآله في أسلافه : «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» . [1]

[1] سنن الترمذي : ج 5 ص 583 ح 3605 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 94 .

[3] الخصال : ص 21 .

[4] الأمالي للمفيد : ص 294 .

[5] راجع : أهل البيت في الكتاب والسنة : ص 163 (الفصل الثاني : جوامع خصائصهم) .

وهكذا فبنو هاشم هم صفوة اختيرت من بين صفوة الأسر ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام هما صفوة هذه الصفوة ، قال الإمام عليه السلام واصفا سلاله النبي صلى الله عليه وآله : «**أُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ؛ تَبَّتْ فِي حَرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ ، وَتَمَرٌ لَا يُنَالُ**» . [1] وهذا الثناء - بحقّ - هو ثناء على سلالته عليه السلام أيضا ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ**»

2. وقال : «لَحْمَةُ لَحْمِي ، وَدَمُهُ دَمِي» . [3] وعلى هذا يكون بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وبيت عليّ هو بيت النبوة ، وأرومتهما أرومة النور والكرامة ، وهما المصطفيان من نسل إبراهيم وبني هاشم ، مع خصائص ومزايا سامقة؛ كالطهارة، والفصاحة ، والسماحة ، والشجاعة ، والذكاء ، والحياء ، والعفة ، والحلم ، والصبر وأمثالها [4] . ناهيك عن منزلتهما المرموقة العلية بين قبائل العرب بأجمعها .

1. رسول الله صلى الله عليه وآله : خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ . . . فَلَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَصْلَابٍ طَاهِرَةٍ إِلَى أَرْحَامٍ طَاهِرَةٍ حَتَّى انْتَهَى بِنَا إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . [5]

ب - الأب

عبد مناف بن عبد المطلب ، المشهور بأبي طالب ، أحد العشرة من أولاد

[1] نهج البلاغة : الخطبة 94 .

[2] الخصال : ص 21 .

[3] الأُمالي للمفيد : ص 294 .

[4] راجع : أهل البيت في الكتاب والسنة : ص 163 (الفصل الثاني : جوامع خصائصهم) .

[5] معاني الأخبار : ص 56 ح 4 .

عبد المطلب [1] . وكان عبد المطلب الوجه المتألق في قريش ، وله منزلته السامقة في أوساطها . ثم جاء بعده ولده أبو طالب فورث تلك المكانة الاجتماعية العلية . [2] وكانت أسرة أبي طالب أول الأسر التي اجتمع فيها زوجان هاشميّان . [3] تولّى أبو طالب رعاية النبيّ صلى الله عليه وآله الذي فقد أبو به في طفولته ، ثم فقد جدّه [4] . ولما بُعث أمين قريش صلى الله عليه وآله لم يدخر أبو طالب وسعا في دعمه ومؤازرته على ما هو بسبيله في مسيرته الجهادية الشاقّة . وآمن به أرسخ الإيمان [5] ، وأصرّ بذلك في شيعره [6] . وكانت منزلته الاجتماعية السامية بين قريش وأهل مكّة ، ودعمه السخيّ لرسول الله صلى الله عليه وآله ، حائلين أصليّين دون وصول الأذى إليه صلى الله عليه وآله و آله من قريش . [7] رافقه في حصار الشّعب ، وتحملّ مصائب المقاطعة الاقتصادية على كبر سنّه ، ولم يتنازل عن معاضدته ومواساته . [8] وكان له حقّ عظيم على الإسلام والمسلمين في غربة الدين يومئذٍ . وبعد خروجه من الشعب فارق الحياة حميدا . ففقد النبيّ صلى الله عليه وآله بوفاته و وفاة خديجة عليهما السلام معضدين وقيّين مضحّين . واشتدّ أذى قريش وتعذيبها للمؤمنين عقب ذلك . [9]

[1] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 11 .

[2] راجع : تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 13 .

[3] الكافي : ج 1 ص 452 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 1 ص 119 .

[5] الكافي : ج 1 ص 448 - 28 - 33 .

[6] الكافي : ج 1 ص 448 ح 29 .

[7] السيرة النبويّة لابن هشام : ج 2 ص 57 .

[8] الطبقات الكبرى : ج 1 ص 209 .

[9] الطبقات الكبرى : ج 1 ص 211 .

2. كمال الدين عن الأصبع بن نباتة : سمعتُ أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - يقول : وَاللَّهِ مَا عَدَدَ أَبِي وَلَا حَدِّي عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَلَا هَاشِمٌ وَلَا عَبْدُ مَنْفٍ صَمًّا قَطُّ ! قِيلَ لَهُ : فَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟ قَالَ : كَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى الْبَيْتِ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام ، مُتَمَسِّكِينَ بِهِ . [1]

3. الكافي عن إسحاق بن جعفر عن الإمام الصادق عليه ال قيل له : إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ كَافِرًا ؟ فَقَالَ : كَذَبُوا ، كَيْفَ يَكُونُ كَافِرًا وَهُوَ يَقُولُ : 0 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا نَبِيًّا كَمَوْسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ 0 وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : كَيْفَ يَكُونُ أَبُو طَالِبٍ كَافِرًا وَهُوَ يَقُولُ : 0 لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذِّبَ لَدَيْنَا وَلَا يَعْبَأُ بِقِيلِ الْأَبْطَلِ 0 0 وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ يَوْجِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ [2] 0

فاطمة بنت أسد ، وكانت امرأة لبيبة ، صلبة العقيدة ، فتية القلب ، برة ، مبجلة . احتضنت النبي صلى الله عليه وآله في طفولته [3] ، فكان يحبها حباً شديداً ، حتى قال فيها : « كانت أمي بعد أمي التي ولدتني » . [4] وكان يُننى على حنانها وشفقتها عليه قائلاً : « إنّه لم يكن أحدٌ بعد أبي طالبٍ أبّر بي منها » . [5] وكانت أول امرأة بايعت النبي صلى الله عليه وآله [6] . وهاجرت إلى المدينة مع عليّ وفاطمة عليهما السلام

[1] كمال الدين : ص 174 ح 32 .

[2] الكافي : ج 1 ص 448 ح 29 .

[3] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 14 .

[4] كنز العمال : ج 13 ص 636 ح 37607 .

[5] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 118 الرقم 17 .

[6] شرح الأخبار : ج 3 ص 215 ح 1141 .

مشيا على الأقدام . ولما توقّيت هذه المرأة العظيمة كنفها رسول الله صلى الله عليه وآله بقميصه [1] ، وشارك في تشيعها ، وصلّى عليها ، ثم وضعها في قبرها بعدما اضطلع فيه . [2] وكان عليّ عليه السلام رابع وليّ لهذين الوجهين المتألفين في التاريخ الإسلامي ، إذ زين حياتهما بهاءً وسناءً بعد طالب وعقيل وجعفر . [3]

4. الإمام الصادق عليه السلام : إنّ فاطمة بنت أسدٍ أم أمير المؤمنين كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها . وكانت من أبرّ الناس رسول الله صلى الله عليه وآله ، فسمعت رسول الله وهو يقول : إنّ الناس يُحشرون يوم القيامة غراً كما ولدوا ، فقالت : وإسواتاه ! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : فإني أسألك الله أن يبعثك كاسية . وسمعت يذكّر ضغطة القبر ، فقالت : وأضعافه ! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : فإني أسألك الله أن يكفّيك ذلك . وقالت لرسول الله صلى الله عليه وآله : إني أريد أن أعتق جاريّتي هذه ، فقال لها : إن فعلت أعتق الله كلّ عضوٍ منها عضواً منك من النار . فلما مرضت أوصت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمرت أن يُعتق خادمها ، واعتقلَ لسائها ، فجعلت تومي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإيماءً ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وصيبتها . فتبينما هو ذات يوم فاعداً إذ أنه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : ما يبكيك ؟ فقال : ماتت أمي فاطمة ، فقال رسول الله : وأمّي والله ! وقام مسرعاً حتى دخل ، فنظر إليها وبكى . ثم أمر النساء أن يغسلنها ، وقال صلى الله عليه وآله : إذا قرعن فلا تُحدثن شيئا حتى نُعلمنني ، فلما قرعن أعلمته بذلك ، فأعطاهنّ أحد

[1] الكافي : ج 1 ص 453 ح 2 .

[2] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 117 ح 4574 .

[3] أسد الغابة : ج 7 ص 212 الرقم 7176 .

4. الإمام الصادق عليه السلام : قميصه الذي يلي جسده وأمره أن يُكفّنها فيه ، وقال للمسلمين : إذا رأيتموني قد فعلت شيئا لم أفعله قبل ذلك فسلوني : لم فعلته ؟ فلما قرعن من غسلها وكفنها ، دخل صلى الله عليه وآله فحمل جنازتها على عاتقه ، فلم يزل تحت جنازتها حتى أودعها قبرها ، ثم وضعها ودخل القبر فاضطجع فيه ، ثم قام فأخذها على يديه حتى وضعها في القبر ، ثم انكبّ عليها طويلاً يُناجئها ... [1]

د - المولّد

ولد الإمام عليّ عليه السلام في يوم الجمعة [2] الثالث عشر من شهر رجب [3] بعد ثلاثين سنة من عام الفيل [4] في الكعبة المكرمة . [5] قال العلامة الأميني في مولد الإمام عليه السلام وفي فضيلته التي لا بديل لها : « وهذه حقيقة ناصعة أصقّ على إنباتها القريبان ، وتضافرت بها الأحاديث ، وطفحت بها الكتب ، فلا نعبأ بجلبّة رماة القول على عواهنه بعد نصّ جمع من أعلام القريقين على تواتر حديث هذه الأثر » . [6]

5. المستدرک على الصحيحين : قد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسدٍ ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة . [7]

[1] الكافي : ج 1 ص 453 ح 2 .

[2] تهذيب الأحكام : ج 6 ص 19 .

[3] تهذيب الأحكام : ج 6 ص 19 .

[4] الكافي : ج 1 ص 452 .

[5] تهذيب الأحكام : ج 6 ص 19 .

[6] العدير : ج 6 ص 22 .

[7] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 550 ح 6044 .

ه - الأسماء

لَمَّا وَلَدَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، اخْتَارَتْ لَهُ أُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ اسْمَ «حَيْدَرَةَ» [1] تَمَنَّا بِاسْمِ أَبِيهَا «أَسَدٍ» ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ هِيَ وَأَبُو هـ - وَبِالْهَامِ رَبَّانِي - عَلَى تَسْمِيَّتِهِ «عَلِيًّا» . وَكَانَتْ لَهُ أَسْمَاءُ أُخْرَى أَيْضًا ذَكَرَتْ فِي سِيَاقِ النُّصُوصِ التَّارِيخِيَّةِ وَالرَّوَايَةِ لِمَوْسُوعَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [2]

6. الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا ، مَا عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ خَلَقَ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا . إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَقَّ لِي اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ ؛ فَهُوَ مَحْمُودٌ وَأَنَا مُحَمَّدٌ ، وَشَقَّ لَكَ يَا عَلِيُّ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ ؛ فَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَأَنْتَ عَلِيٌّ ... [3]

و - الْكُنَى

كَانَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُنَى عَدِيدَةٌ ، أَشْهَرُهَا : أَبُو الْحَسَنِ [4] ، وَثَمَّةٌ كُنَى أُخْرَى ذَكَرَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنْهَا : أَبُو الْحَسَنِ ، وَأَبُو السَّبْطِينَ [5] ، وَأَبُو الرِّيحَانَتَيْنِ ، وَأَبُو تَرَابٍ ، وَإِنْ كَانَ التَّعْرِيفُ الْإِصْطِلَاحِيُّ لِلْكُنْيَةِ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى بَعْضِهَا . وَبِتَرَاءُي مِنَ الرَّوَايَاتِ أَنَّ كُنْيَةَ «أَبُو تَرَابٍ» كَانَتْ أَحَبَّ الْكُنَى إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّ تَهْ كَانَ يُسَرُّ إِذَا نَوَدِيَ بِهَا ؛ لِأُمُورٍ مِنْهَا : أَنَّ تَهْ كَانَ يَجِدُ فِيهَا نَوْعًا مِنَ التَّوَاضُعِ وَالتَّذَلُّلِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ . وَمِنْهَا : أَنَّ تَهَا كَانَتْ تَذْكُرُهُ بِمِلَاطِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَهُ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ

[1] مقاتل الطالبين : ص 39 .

[2] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الأول / الفصل الأول / الأسماء) .

[3] معاني الأخبار : ص 55 ح 3 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 19 .

[5] الفصول المهمة : ص 129 .

كَانَ مُتَوَسِّدًا التُّرَابَ بِصُحْبَةِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَقَدْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَلِذَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْشِدَادٌ وَتَعَلَّقَ خَاصًّا بِتِلْكَ الْكُنْيَةِ .

7. الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَانَ الْحَسَنُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدْعُونِي أَبَا الْحَسَنِ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَدْعُونِي أَبَا الْحَسَنِ ، وَيَدْعُوَانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَاهُمَا . فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَاوَانِي بِأَبِيهِمَا . [1]

8. صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ : إِنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فَقَالَ : هَذَا فُلَانٌ - لِأَمِيرِ الْمَدِينَةِ - يَدْعُو عَلِيًّا عِنْدَ الْمِنْبَرِ . قَالَ : قَيِّقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ : يَقُولُ لَهُ : أَبُو تَرَابٍ . فَضَحِكَ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ مَا سَمَاءُ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ! وَمَا كَانَ - وَاللَّهِ - لَهُ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ ! فَاسْتَطَعَمْتُ الْحَدِيثَ سَهْلًا ، وَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبَّاسٍ ، كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَاصْطَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ ؟ قَالَتْ : فِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَ رِدَاءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ ، وَخَلَصَ التُّرَابُ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَجَعَلَ يَمَسُّحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ يَقُولُ : إجلِس يا أبا تَرَابٍ - مَرَّتَيْنِ - . [2]

ز - الألقاب

إِنَّ شَخْصِيَّةَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَحْرٌ لَا يُدْرِكُ غُورُهُ ، فَهُوَ ذُو شَخْصِيَّةٍ فَدَّةٍ ذَاتِ أَبْعَادٍ عَظِيمَةٍ فَرِيدَةٍ فِي التَّارِيخِ لَا نَظِيرَ لَهَا . وَكَانَ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَابٌ وَأَوْصَافٌ كَثِيرَةٌ بَشِيرٌ كُلُّ

[2] صحيح البخاري : ج 3 ص 1358 ح 3500 . وقد جاء في بعض المصادر - في أصل هذه الكنية - إنّ خلافا ظهر بين الإمام والزهاء عليهما السلام ، فترك الإمام البيت ممتعضا ، ونام في المسجد مغتاطا ! هكذا نُقل ، ولكنّ عصمة هذين العظيمين ، وقول الإمام فيها بعد استشهادها عليهما السلام : «ما أغضبتني قطّ» يدلّ دلالة قاطعة على أنّ هذا القسم من النصّ موضوع منحول ، أقحمه فيه أعداؤهما ومناوئوهما .

منها إلى بعد من تلك الأبعاد العلميّة والعمليّة والثقافيّة والاجتماعيّة والمعنويّة والسياسيّة الرفيعة لشخصيّة عليه السلام . ويعود جُلّها إلى عصر النبيّ صلى الله عليه وآله ؛ إذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يناديه بها. ومن هذه الألقاب : «أعلم الأئمة» ، «أفضى الأئمة» ، «أول من أسلم» ، «أول من صلى» ، «خير البشر» ، «أمير المؤمنين» ، «إمام المتّقين» ، «فائد الغرّ المحجلّين» ، «سيد المسلمين» ، «سيد المؤمنين» ، «يعسوب المؤمنين» ، «الأنزع البطين» ، «عمود الدين» ، «سيد الشهداء» ، «سيد العرب» ، «راية الهدى» ، «باب الهدى» ، «حيدر» ، «المرتضى» ، «الوليّ» ، «الوصيّ» . وما برج رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يذكر الإمام عليه السلام بهذه الألقاب . وكان في الحقيقة يمهّد بها لقيادته وزعامته ، والتعريف بمنزلته العظيمة وموقعه المتميّز في القيادة مع تبين أبعاد شخصيّة عليه السلام ، وذلك من منطلق اهتمامه بمستقبل الأئمة الإسلاميّة ومهمّة الإمام العظمى في المستقبل المنظور . وإذا لاحظنا ألقاب الإمام عليه السلام نجد أنّ أشهرها لقابا هما : «أمير المؤمنين» و «الوصيّ» .

ح - السّمائل

لم تحمل إلينا النصوص التاريخيّة والحديثيّة شيئا عن ملامح الإمام عليه السلام إبان ولادته وفي صغره ، ومن هنا فإنّ ما يأتي في هذا المجال يرتبط بملامحه وهندامه أيّام خلافته عليه السلام . وفي ضوء ذلك يتسنّى لنا أن نصفه عليه السلام فنقول : كان عليه السلام ربّعة من الرجال ؛ إلى القصر أقرب وإلى السمن ، من أحسن الناس وجها ، وكأنّ وجهه القمر ليلة البدر حسنا ، كثير التبسّم ، آدم اللون يميل إلى

السّمرة ، أدعج [1] العينين عظيمهما ، في عينيه لين ، أصلع ، كأنّ عنقه إبريق فضّة ، كَثّ اللحية ، لا يغيّر شيبته ، عريض ما بين المنكبين ، شَتْن الكفّين [2] ، شديد الساعد واليد ، عريض الصدر ، ذا بطن ، ضخّم الكراديس [3] ، ضخّم عضلة الذراع والساق دقيق مُستدَقّها ، إذا مشى تكفّا [4] .

[1] الدّعج والدّعجة : السواد في العين وغيرها (النهاية : ج 2 ص 119) .

[2] شَتْن الكفّين : أي أنّهما يميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر (النهاية : ج 2 ص 444) .

[3] الكراديس : رؤوس العظام وقيل : هي ملتقى كلّ عظمين ضخمين ، كالركبتين والمرفقين والمنكبين ؛ أي أنّه ضخّم الأعضاء (النهاية : ج 4 ص 162) .

[4] تكفّا جسده : تمايل إلى قدام (النهاية : ج 4 ص 183) .



الفصل الثاني : النشأة

رافق عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله منذ السنين الأولى من عمره ؛ فقد عسرت الحياة على أبي طالب برهة ، وضافت به الأمور ، فاقترح رسول الله صلى الله عليه وآله على إخوة أبي طالب أن يأخذوا منه بعض أولاده إلى بيوتهم ؛ لتخفيف عبء العيش عن كاهله . وشاءت إرادة الله تعالى أن يكون عليّ عليه السلام في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله ، فتولّى تربيته منذ نعومة أظفاره . وكان النبي صلى الله عليه وآله يحبّ هذا الطفل الصغير ؛ يضمّه إلى صدره ، ويُمسّسه عرقه ، ويُلقمه الطعام ، ويرعى حياته لحظة لحظة ، وينفحه بالأنوار الإلهية المشعة . وهكذا تربّى الإمام عليه السلام في حجر النبوة ، وارتوى من منهل فضائلها الرائق ، وأمضى أيامه ملازماً لها ملازمة الظلّ لصاحبه . وحين سطعت القبسات الأولى للوحي صدّق بالرسالة المحمّدية موقناً ؛ إذ كانت روحه قد تواشجت هي وروح صاحبها . من هنا كان أوّل من صدّقه صلى الله عليه وآله . ونجد في الخطبة البليغة الرفيعة «القاصعة» أجمل تصوير لهذه الملازمة ، ولدور رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله في تربيته وإعداده عليه السلام ، وحيّ إياه ، واستنارة الإمام عليه السلام بهذه الملازمة .

9. الإمام عليّ عليه السلام - في خطبته المُسمّاة بالقاصعة :- أُنَا وَصَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكُلِّ لَيْلٍ [1] الْعَرَبَ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ [2] قُرُونٍ رَبِيعَةً وَمُضَرَ ، وَقَدْ عَلِمْتُم مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِصَةِ ؛ وَصَعْنِي فِي جِجْرِهِ وَأُنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمْنِي عَرَقَهُ [3] ، وَكَانَ يَمْصَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلِي ، وَلَا خَطْلَةً [4] فِي فِعْلِي . وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ قَاطِمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ؛ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَةً وَنَهَارَةً . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ [5] أَثَرُ أُمِّي ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِزُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِجَرَاءٍ ، فَأَرَاهُ وَلَا بَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِجَةَ وَأُنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نَوْرَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ . [6]

[1] الكلّكل : الصدر من كلّ شيء (لسان العرب : ج 11 ص 596)، وهو هنا كناية عن الأكابر .

[2] نجم النبت : إذا طلّع ، وكلّ ما طلّع وظهّر فقد نجم (النهاية : ج 5 ص 24) .

[3] العرق : الريح الطيبة (النهاية : ج 3 ص 217) .

[4] خطل : أخطأ (المصباح المنير : ص 174) .

[5] الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمّه (لسان العرب : ج 11 ص 522) .

[6] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

الفصل الثالث : الزواج

أ - تزويجه فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة مليئة بالنعاء والمشقة والمصائب المريرة من أجل تبليغ الرسالة ، وأرسل دعائمه الحكومة الإسلامية هناك . وكان عليّ عليه السلام معه صلى الله عليه وآله في السنة الأولى للرسالة . وكان في السنة الأولى من الهجرة ابن أربع وعشرين

سنة؛ فلا بد له من الزواج وبدء الحياة المشتركة. وكانت الزهراء عليها السلام قد بلغت يومئذ التاسعة من عمرها [1]. وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولها منزلتها الرفيعة الزاهرة بالفضائل الإنسانية ، والخصائص الملكوتية السامية . وقد أثنى عليها أبوها مرارا ، وسماها بضعة . وكان موقع النبي صلى الله عليه وآله في زعامة الأمة من جهة ، وشخصية الزهراء عليها السلام من جهة أخرى ، عاملين مشجعين لكثير من الصحابة - بخاصة من كان يفكر منهم بمستقبله عبر هذه الأواصر - على التقدم لخطوبة الزهراء عليها السلام . بيد أن أباهما كان يرفض رفضا قاطعا ، ويصرح أحيانا بأنه ينتظر فيها قضاء الله . [2]

[1] الكافي : ج 8 ص 340 ح 536 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 8 ص 19 .

واقترح على الإمام علي عليه السلام عدد من الصحابة الموالين له أن يتقدم لخطوبتها عليها السلام . وكان قلب الإمام طافحا بالإيمان ، وصدره مفعما بحب الله ، لكنّه خالي الوفاض من الدراهم والدنانير . فتوجّه تلقاء البيت النبوي ، ومنعته الهيبة النبوية من الكلام ، وكان ينظر مرّة إلى النبي صلى الله عليه وآله نظرة مليئة بالحياء ، وأخرى إلى الأرض . فأنطقه النبي صلى الله عليه وآله من خلال بعض التمهيدات ، ولمّا تكلم قال له : أمّك شيء ؟ والجواب واضح ! أمّا فاطمة ، فهل لها كفء غير علي ؟ ! وتحقّق الأمر الإلهي ، كما أشار إليه النبي الأعظم [1] وبدأ هذان العظيمان حياتهما المشتركة في السنة الأولى من الهجرة [2] بمهر قليل [3] ، ومراسم بسيطة [4] ، وجهاز أكثر بساطة [5] . وهكذا ولد أعظم بيت في التاريخ ، وبدأت أبهى حياة مشتركة . وتكوّن في جوار بيت النبي صلى الله عليه وآله بيت صغير هو أكبر من التاريخ كلّهُ ، وكان مغيّط أهل السماوات والأرض حقّا ! وكان منهل الفضائل والمكارم ، والعشق ، والإيمان ، والإيثار ، والجهاد ، وبساطة العيش ، بل كان يناطح السماء علواً ورفعة . أمّا سيّده - راهب الليل المتهجّد في جوفه - فقد كان ليث الوعى ، لا تكاد تبرأ جراحه بعدّ حتى يخوض حربا أخرى . وكان عليه السلام أشجع المقاتلين ، وأعظمهم منزلة للأقران .

[1] المعجم الكبير : ج 10 ص 156 ح 10305 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 8 ص 22 .

[3] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 174 ح 603 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 8 ص 23 .

[5] سنن النسائي : ج 6 ص 135 .

وأما صاحبته فقد كانت السيّدة الرزينة الصبور ، حملت عبء الحياة ، ورضيت بأقلّ الإمكانيات . وكانت تضمّد جراح بعلها وأبيها [1] ، حتى عبّر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله بتعبيرا لطيفا ، فقال : «فاطمة أمّ أبيها» . [2] وكانت الثمرة الأولى لهذا الزواج الإلهي هو الإمام الحسن عليه السلام الذي ولد في السنة الثالثة من الهجرة [3] ، والثانية هو الإمام الحسين عليه السلام الذي ولد في السنة الرابعة منها [4] ، ثمّ ولدت بعدهما زينب وأمّ كلثوم ، وآخرهم هو المحسن الذي أجهض شهيدا . [5]

10. رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّما أنا بشرٌ مثلُكم أتزوِّجُ فيكم وأزوِّجُكم ، إلّا فاطمة فإنّ تزويجها نزل من السماء . [6]

11. الإمام الصادق عليه السلام : لولا أنّ الله تبارك وتعالى خلّق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة ، ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدمٍ ومن دونه . [7]

12. الأماشي للطوسي عن الضحّاك بن مزاحم : سمعتُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول : أتاني أبو بكر وعمر فقالا : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وآله فذكرت له فاطمة . قال : فأتيتُهُ ، فلمّا رآني رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك ، ثمّ قال : ما جاء بك يا أبا الحسن ؟ وما حاجتك ؟ قال : قدّكرت له قرأتي وقديمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي ، فقال : يا عليّ صدقت ، فأنت أفضل ممّا تدكّر .

[1] الإرشاد : ج 1 ص 89 .

[2] ورتما كتبت «أمّ أبيها» ، لهذا الاعتبار ، راجع : تهذيب الكمال : ج 35 ص 247 ح 7899 .

[3] تاريخ الطبري : ج 2 ص 537 .

[4] مروج الذهب : ج 2 ص 295 .

[5] معاني الأخبار : ص 206 .

[6] الكافي : ج 5 ص 568 ح 54 .

12. الأُمالي للطوسي عن الضحّاح بن مزاحم : قُلْتُ : يا رَسولَ اللَّهِ ، فَاطِمَةُ تُزَوِّجُنيها ؟ فَقَالَ : يا عَلِيُّ ، إِنَّهُ قَدْ ذَكَرَها قَبْلَكَ رِجالٌ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَها ، فَرَأَيْتُ الْكَراهِةَ في وَجْهِها ، وَلَكِنْ عَلَي رَسيلِكَ حَتَّى أَخرُجَ إِلَيْكَ . فَدَخَلَ عَلَيْها فَقامَتْ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ رِداءَهُ وَتَرَعَتْ نَعْلَيْهِ ، وَأَتَتْهُ بِالوَضوءِ ، فَوَضَّأَتْ يَدَيْها وَغَسَلَتْ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ قَعَدَتْ ، فَقَالَ لَها : يا فَاطِمَةُ ، قَالَتْ : لَبَّيْكَ إِحْجِثُكَ يا رَسولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ مَن قَدْ عَرَفَتْ قَرابَتَهُ وَفَضْلَهُ وإِسْلامَهُ ، وإِنِّي قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُزَوِّجَكَ خَيْرَ خَلْقِهِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ أَمْرِكَ شَيْئاً ، فَمَا تَرَيْنَ ؟ فَسَكَتَتْ وَلَمْ تُؤَلِّ وَجْهَها ، وَلَمْ يَرَفِ فِيهِ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه و آلِهِ كَراهِةً ، فَقامَ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! سَكُونُها إِقْرأُها . فَأَناءَ جَبْرَيْلُ عليه السلام فَقَالَ : يا مُحَمَّدُ ، زَوِّجْها عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَضِيَها لَهُ وَرَضِيَها لَها . [1]

13. سنن ابن ماجه عن عائشة وأُم سلمة : أَمَرنا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه و آلِهِ أَنْ نُجَهِّزَ فَاطِمَةَ حَتَّى تُدْخِلَها عَلَي عَلِيٍّ . فَعَمَدنا إِلى البَيْتِ فَفَرَشْناهُ ثُراباً لَبَّيْنا مِنْ أَعْراضِ [2] البَطْحاءِ ، ثُمَّ حَشَنّا مِرْفَقَتَيْ لَيفا فَتَقَشَّناهُ بِأَيْدِينا ، ثُمَّ أَطَعَمَنا تَمَرا وَزَبِيباً ، وَسَقَينا ماءً عَذْباً ، وَعَمَدنا إِلى عودٍ فَعَرَضْناهُ في جَانِبِ البَيْتِ لِيُلْقَى عَلَيهِ الثَّوبُ وَيُعَلَّقَ عَلَيهِ السِّقاءُ . فَمَا رَأَينا غَرساً أَحْسَنَ مِنْ غَرسِ فَاطِمَةَ . [3]

14. الإمام عليّ عليه السلام - في ذِكْرِ زَواجِهِ مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْها السلام: ... ثُمَّ صاحَ بِي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه و آلِهِ : يا عَلِيُّ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ ! قَالَ : أَدْخُلْ بَيْتَكَ وَالطِّفْ بِرَواحِكَ وَارْفُقْ بِها ؛ فَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، يُؤَلِّمُنِي ما يُؤَلِّمُها وَيَسُرُّنِي ما يَسُرُّها ، أَسْتَوِدُّعُكَما اللَّهُ

[1] الأُمالي للطوسي : ص 39 ح 44 .

[2] الأَعْراضُ : جَمْعُ غُرْضٍ ، وَهُوَ الناحِيةُ (النهاية : ج 3 ص 210 «عرض»).

[3] سنن ابن ماجه : ج 1 ص 616 ح 1911 .

14. الإمام عليّ عليه السلام - في ذِكْرِ زَواجِهِ مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْها السلام وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيَّكَما . [1]

ب - زَواجُها بَعْدَ فَاطِمَةَ عَلَيْها السلام بِنْتِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه و آلِهِ

عاش الإمام عليه السلام تسع سنين مع فاطمة عليها السلام ، ولم يتزوج في حياتها غيرها . وبعد وفاتها عليها السلام تزوج عددا من النساء ، وفيما يأتي أسماؤهنّ : 1 - أُمّامَةُ بِنْتُ أَبِي العاصِ . 2 - أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ . 3 - فَاطِمَةُ أُمُّ البَنينِ . 4 - أُمُّ سَعِيدٍ بِنْتُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ النَّخَعِيِّ . 5 - حَوَلَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ قَيْسٍ . 6 - الصَّهْبَاءُ بِنْتُ رَبِيعَةَ . 7 - لَيْلى بِنْتُ مَسْعُودٍ . 8 - مُحَبَّابَةُ بِنْتُ امْرِئِ القَيْسِ . وكان له غيرهنّ سبع عشرة سُرِّيَّةً [2] بعضهنّ أُمّهات ولد . وكانت أزواجه عند استشهاده أُمّامة ، وأُمُّ البَنينِ ، وأَسْماءُ بنتِ عُمَيْسٍ ، وَلَيْلى بنتِ مَسْعُودٍ . [3]

[1] المناقب للخوارزمي : ص 353 ح 364 .

[2] السُّرِّيَّةُ : الأَمّةُ التي بَوَّأَها بَيتا (تاج العروس : ج 6 ص 514) .

[3] تاريخ مواليد الأئمّة عليهم السلام : ص 172 .

الفصل الرابع : الأولاد

لم تتفق كلمة المؤرخين على عدد موحد فيما يخصّ عدد أولاده عليه السلام ؛ فقد ذكر الشيخ المفيد أنّ عددهم سبعة وعشرون ولدا ذكرا وأنثى [1] ، فيما ذكر ابن سعد أنّهم يبلغون أربعة وثلاثين ولدا [2] ، وذكر المزي أنّ عددهم تسعة وثلاثون ولدا . [3] ويمكن عزو الاختلاف الموجود في الكتب التاريخية حول عدد أولاد الإمام إلى تدخل الأسماء مع الكنى وتكرار البعض منها . وقد تبين لنا بعد الفحص والتمحيص أنّ عددهم كان يبلغ أربعة وثلاثين ولدا ، وهم كلّ من : 1 . الإمام الحسن عليه السلام . 2 . الإمام الحسين عليه السلام . 3 . زينب . 4 . أمّ كلثوم .

[1] الإرشاد : ج 1 ص 354 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 20 .

[3] تهذيب الكمال : ج 20 ص 479 الرقم 4089 .

5 . المحسن [1] . [2] أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ومحسن ولدها الآخر الذي سقط وقُتل في هجوم الغوغاء على بيت الوحي . [3] 6 . العباس . 7 . عبد الله . 8 . عثمان . 9 . جعفر . أمهم أم البنين بنت حزام . وكلهم قُتلوا مع الحسين عليه السلام بكرلاء . 10 . محمد ابن الحنفية : أمه خولة بنت جعفر بن قيس . 11 . أبو بكر : أمه ليلى ، ولعلها ابنة مسعود الدارمية . قُتل مع الحسين عليه السلام بكرلاء . [4] 12 . عبيد الله : أمه ليلى . قُتل مع الحسين عليه السلام بكرلاء . [5] 13 . محمد الأصغر : أمه أم ولد . قُتل مع الحسين عليه السلام بكرلاء . [6] 14 . يحيى : أمه أسماء بنت عميس . مات في حياة الإمام عليه السلام . [7]

[1] ضبط هذا الاسم في أكثر المصادر بالتشديد ، وصرح ابن حجر في الإصابة : «المحسن - بتشديد السين المهملة» ، ولكن جاء في تهذيب الكمال وأنساب الأشراف وتاريخ الطبري بدون التشديد .

[2] تهذيب الكمال : ج 20 ص 479 .

[3] تلخيص الشافعي : ج 3 ص 156 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 19 .

[5] تاريخ الطبري : ج 5 ص 154 .

[6] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 20 .

[7] إعلام الوري : ج 1 ص 396 .

15 . عون : أمه أسماء بنت عميس . [1] 16 . محمد الأوسط : أمه أمامة . [2] 17 . عمر : أمه الصهباء التغلبيّة : أم حبيب . 18 . رقية : أمها الصهباء التغلبيّة : أم حبيب . وهي زوجة مسلم بن عقيل [3] ، وله منها ثلاثة أولاد [4] ، استشهد منهم عبد الله في كربلاء . [5] 19 . أم الحسن : أمها أم سعيد [6] . كانت زوجة جعدة بن هبيرة - ابن أخت الإمام عليه السلام - ثم تزوجها جعفر بن عقيل . واستشهد جعفر في واقعة الطف [7] . وكانت أم الحسن في سبأ كربلاء . [8] 20 . أم هانئ : تزوجها عبد الله الأكبر ابن عقيل [9] الذي قُتل مع الحسين عليه السلام بكرلاء [10] مع ابنه محمد . [11] 21 . فاطمة : تزوجها محمد بن أبي سعيد بن عقيل [12] الذي قُتل مع الحسين عليه السلام بكرلاء . [13]

[1] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 20 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 20 .

[3] أنساب الأشراف : ج 2 ص 413 .

[4] نسب قريش : ص 45 .

[5] تاريخ الطبري : ج 5 ص 469 .

[6] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 20 .

[7] أنساب الأشراف : ج 2 ص 414 .

[8] شرح الأخبار : ج 3 ص 198 .

[9] نسب قريش : ص 45 .

[10] تاريخ الطبري : ج 5 ص 469 .

[11] نسب قريش : ص45 .

[12] الطبقات الكبرى : ج8 ص465 .

[13] تاريخ الطبري : ج5 ص469 .

22 . زينب الصغرى [1]: تزوّجها محمّد بن عقيل . [2] 23 . ميمونة : تزوّجها عبد الله بن عقيل . [3] 24 . نفيسة : تزوّجها عبد الله بن عقيل . [4] 25 . خديجة : تزوّجها عبد الرحمن بن عقيل . [5] 26 . أمّامة : تزوّجها الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب [6] . ماتت في حياة الإمام عليه السلام . [7] 27 . رَملة الكبرى : أمّها أمّ سعيد [8] . تزوّجها عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب . [9] 28 . جُمّانة [10]: ماتت في حياة الإمام عليه السلام . [11] 29 . أمّ سلمة . [12] 30 . رقية الصغرى . [13]

[1] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

[2] أنساب الأشراف : ج2 ص414 .

[3] أنساب الأشراف : ج2 ص414 .

[4] نسب قريش : ص45 .

[5] أنساب الأشراف : ج2 ص415 .

[6] نسب قريش : ص46 .

[7] المناقب لابن شهر آشوب : ج3 ص305 .

[8] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

[9] نسب قريش : ص45 .

[10] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

[11] المناقب لابن شهر آشوب : ج3 ص305 .

[12] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

[13] الإرشاد : ج1 ص354 .

31 . أمّ كلثوم الصغرى . [1] 32 . رَملة الصغرى . [2] 33 . أمّ الكرام . [3] 34 . أمّ جعفر . [4]

[1] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

[2] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

[3] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

[4] الطبقات الكبرى : ج3 ص20 .

القسم الثاني: الإمام عليّ عليه السلام مع النبيّ صلّي الله عليه وآله

الفصل الأوّل : المؤازرة على الدعوة

الفصل الثاني : كسر الأصنام

الفصل الثالث : الإيثار الرائع ليلة المبيت

الفصل الرابع : غاية القُتُوّة في غزوتين

الفصل الخامس : ارغام العدوّ على التسليم

الفصل السادس : الضربة المصيريّة في غزوة الخندق

الفصل السابع : الشجاعة والأدب في الحديبية

الفصل الثامن : الدور المصيري في فتح خيبر

الفصل التاسع : النشاطات في فتح مكّة

الفصل العاشر : المقاومة الرائعة في غزوة حنين

الفصل الحادي عشر : الاستخلاف عن النبيّ في غزوة تبوك

الفصل الثاني عشر : عدّة بعثات هامّة

الفصل الثالث عشر : من أدعية النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام

الفصل الرابع عشر : عروج النبيّ صلى الله عليه وآله من صدر الوصيّ

43

كتابخانه مدرسه فقاھت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

44

كتابخانه مدرسه فقاھت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

الفصل الأوّل : المؤازرة على الدعوة

بدأت الدعوة سرّية ، وامتدّت شيئاً فشيئاً فهوت إليها أفئدة ثلّة من الناس ، إقبالاً منها على تلك الرسالة الحقّة . وكان عليّ عليه السلام أوّل من آمن بها من الرجال ، وشهد بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ، ثمّ تبعه آخرون وبعد ثلاث سنين نزلت الآية الكريمة : «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [1] إيدانا ببدء الدعوة العلنيّة ابتداء بعشيرة النبيّ الأقربين . فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله ، فأمّر النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله عليّاً عليه السلام بإعداد الطعام وإقامة مأدبة خاصّة ؛ ليجتمع آل عبدالمطلّب ، فيبلّغهم النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله برسالته ، وفي اليوم الأوّل تعذّر عليه ذلك بسبب ضجيج أبي لهب ولغطه ، ثمّ أعاده عليهم في غد ذلك اليوم ، وبعد فراغهم من الطعام بدأ كلامه بحمدالله تعالى وقال : «إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَ...» . و انتهى كلامه ، ولم ينهض معلناً عن متابعتة ومرافقته صلى الله عليه وآله عليه وآله والإيمان برسالته الإلهيّة إلّا عليّ عليه السلام ؛ حيث قام وصدق بذلك ، فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وتكرّر هذا الموقف في المرّة الثانية والثالثة ، فقال صلى الله عليه وآله عليه وآله :

[1] الشعراء : 214 .

[2] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث / الفصل الأوّل / وصيّ خاتم الأنبياء) .

45

كتابخانه مدرسه فقاھت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

«إِجْلِسْ ؛ فَأَنْتَ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي» . وخطب الحاضرين بقوله : «إِنَّ هَذَا أَخِي ، وَوَصِيِّي ، وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ ؛ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوهُ» . [1] إلّا أنّ ذوي الضمان السود ، والقلوب العليقة ، والأبصار العمي ، والأسماع الصمّ لم يذعنوا لصوت الحقّ ، ولجّوا وكابروا وعتّوا عن الكلام النبويّ ، بل إنهم اتّخذوا أبا طالب سخرّياً . لكنّ الحقّ علا ، وطار كلامه صلى الله عليه وآله في الأفاق طلقاً من ذلك النطاق الضيق ، ورسخت هذه الحقيقة فضيلةً عظمت إلى جانب فضائله عليه السلام ، وتبلور سند متين لإثبات ولايته إلى جانب عشرات الأسانيد الوثائقية ، وأعلن النبيّ صلى الله عليه وآله عملياً وحدة النبوة والولاية في الاتجاه والمسير وتلازمها ، ودلّ الجميع في اليوم الأوّل من الجهر بدعوته استمرار القيادة وامتدادها بعده ، وأودع ذلك دُمة التاريخ ، والمهمّ هو تبيان موقع الكلام النبويّ . و قال صلى الله عليه وآله كلمته : «فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوهُ» في وقت كانت قريش قد تصامّت عن سماع كلامه ولم تعره أذانا صاغية ، فمن البين أنّ هذا الكلام كان للمستقبل وأجياله القادمة ممّن يقرّ بنبوته صلى الله عليه وآله ، ويعتقد بحجّيته كلامه .

15. شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر الإسكافي: قد رُوِيَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَلَّمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَبْدِ الدَّعْوَةِ قَبْلَ ظُهُورِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ وَأَنْتِشَارِهَا بِمَكَّةَ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ طَعَامًا ، وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَصَنَعَ لَهُ الطَّعَامَ ، وَدَعَاهُمْ لَهُ ، فَخَرَجُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَلَمْ يُنْذِرْهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ لِكَلِمَةٍ قَالَهَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ ، فَكَلَّمَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّعَامِ ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمْ ثَانِيَةً ، فَصَنَعَهُ ، وَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا .

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث / الفصل الأوّل / وصيّ خاتم الأنبياء) .

15. شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر الإسكافي: ثُمَّ كَلَّمَهُمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الدِّينِ ، وَدَعَاهُ مَعَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ثُمَّ صَمِينَ لِمَنْ يُؤَارِزُهُ مِنْهُمْ وَيَنْصُرُهُ عَلَى قَوْلِهِ أَنْ يَجْعَلَ أَخَاهُ فِي الدِّينِ ، وَوَصِيَّةً بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَخَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ ، فَأَمْسَكُوا كُلُّهُمْ وَأَجَابَهُ هُوَ وَحْدَهُ ، وَقَالَ : أَنَا أَنْصُرُكَ عَلَى مَا جِئْتَ بِهِ ، وَأَوَارِزُكَ وَأَبِيعُكَ ، فَقَالَ لَهُمْ - لَمَّا رَأَى مِنْهُمْ الْخِذْلَانَ ، وَمِنْهُ النَّصْرَ ، وَشَاهَدَ مِنْهُمْ الْمَعْصِيَةَ وَمِنْهُ الطَّاعَةَ ، وَعَابَنَ مِنْهُمْ الْإِبَاءَ وَمِنْهُ الْإِجَابَةَ - : هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ، فَقاموا يَسْخَرُونَ وَيَضْحَكُونَ ، وَيَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ : أَطْعِمْنَا ابْنَكَ ؛ فَقَدْ أَمَرَهُ عَلَيْكَ . [1]

[1] شرح نهج البلاغة : ج 13 ص 244 .

الفصل الثاني : كسر الأصنام

كانت الكعبة رمز التوحيد على طول التاريخ . وعند ما بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله لهداية الأمة ، كان الجاهليّون قد ملؤوا بيت التوحيد هذا بأصنام وأوثان شتّى من وحي جهلهم وزيفهم الفكريّ ، فلوّثوه بالشرك عبر هذا العمل السفهية ، ولذا اهتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله بإزالة كلّ هذا القبح والشذوذ ، وأخذ عليّاً عليه السلام معه لتطهير مركز التوحيد من مظاهر الشرك . فصعد عليه السلام على منكبى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وألقى صنم قريش الكبير - وقيل : هو صنم خزاعة - من على سطح الكعبة إلى الأرض . وهذه الفضيلة العظيمة المتمثلة بتحطيم الأصنام صعوداً على منكبى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله تفرد بها عليّ عليه السلام دون غيره على امتداد التاريخ . و هي فضيلة لا نظير لها ، وموهبة لا يشاركه فيها أحد .

16. الإمام عليّ عليه السلام : لَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ أُبَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِراً ، انْطَلَقَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْأَصْنَامِ فَقَالَ : إِجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ إِلَى جَنْبِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مَنْكِبِي ، ثُمَّ قَالَ : انْهَضْ ، فَتَهَضَّ بِهَ قَلَمًا رَأَى صَغْفِي تَحْتَهُ قَالَ : إِجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ فَأَنْزَلْتُهُ عَنِّي وَجَلَسَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عَلِيُّ ، إِصْعِدْ عَلَى مَنْكِبِي فَصَعِدْتُ عَلَى مَنْكِبِيهِ ، ثُمَّ تَهَضَّ بِهَ

16. الإمام عليّ عليه السلام : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخِثْلَ إِلَيَّ أَنِّي لَوْ شِئْتُ نِلْتُ السَّمَاءَ ، وَصَعِدْتُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَتَنَحَّيْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَلْقَيْتُ صَتْمَهُمُ الْأَكْبَرَ ، وَكَانَ مِنْ نَحَاسٍ مُؤْتِداً بِأَوْتَانٍ مِنْ حَدِيدٍ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : عَالِجَةٌ فَعَالَجْتُ قَمَا زِلْتُ أَعَالِجُهُ وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِيهِ إِيهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَالِجُهُ حَتَّى اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَالَ : دُقُّهُ ، فَدَقَّقْتُهُ فَكَسَرْتُهُ وَتَرَلْتُ . [1]

نكته

تشير بعض الروايات إلى أنّ حادثة تحطيم الأصنام وقعت قبل الهجرة في ذروة تورّ وهلع المشركين ، وتشير طائفة أخرى من الروايات إلى أنّ حادثة تحطيم الأصنام وقعت عند فتح مكة . وليس مستبعداً أن تكون هذه الحادثة قد وقعت مرّتين : المرة الأولى : عندما كان يسود جوّ من الخوف والترقب فترة ما قبل

الهجرة ، أقدم النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام على هذه الخطوة الجبارة من أجل قمع الشرك والضلال ، فأعاد المشركون الأصنام إلى الكعبة ؛ لأن المسجد الحرام والكعبة المشرفة كانتا تحت تصرفهم آنذاك . والمرة الثانية : عند فتح مكة المكرمة .

[1] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 6 ح 4265 .

الفصل الثالث : الإيثار الرائع ليلة المبيت

قال الله تعالى : «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» . [1] انتشر دين الله في شبه الجزيرة العربية شيئاً فشيئاً ، وعلا الأذان المحمدي ، وانعكس صده في أرجاء منها ، وكانت «يثرب» من المدن التي سمعت نداء الحق ، وقد التقى عدد من أهلها برسول الله صلى الله عليه وآله في موسم الحج ، وعاهدوه سرّاً . [2] ومن جهة أخرى زاد المشركون ظلمهم وجورهم ، وبلغوا ما بلغوا في تعذيبهم واضطهادهم وإرهابهم للناس ، واشتد أذاهم للمسلمين ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بالهجرة إلى يثرب . من هنا ، هاجر المسلمون إلى يثرب تخلصاً من جور المشركين واضطهادهم ، وقد بذل المشركون قصارى جهدهم للحؤول دون الهجرة ، بيد أن رجالاً كثيراً تركوا ما عندهم في مكة وغادروها على عجل ، ففرغ المشركون لذلك ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنه إذا اجتمع خلق غفير من أهل يثرب ، وحصل المسلمون على دعم من

[1] البقرة : 207 .

[2] السيرة النبوية لابن هشام : ج 2 ص 301 .

بعضهم ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله من مكة والتحق بهم ، فسيشكّلون قوة عظيمة تهدد أمنهم وخاصّة قوافلهم التجارية . ولذا عزموا على تدبير مكيدة لإنهاء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان لا يزال بمكة . فاجتمعوا وتشاوروا ، فتصافقوا على قتله صلى الله عليه وآله ؛ إذ لم يكن إخراجهم أو حبسه مجدياً . وأطلع صلى الله عليه وآله على مؤامرتهم المشؤومة عن طريق الوحي ، فكلف بالخروج من مكة [1] «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ» . [2] وقد قام المشركون بتطويق داره صلى الله عليه وآله ، بعد تداولهم في خطة قتله وكيفية التنفيذ ، فإذا قصد الخروج فستلقاه سيوفهم وينتهي أمره إلى الأبد . فاقترح صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام أن يبيت في فراشه تلك الليلة ، فسأله : أ وتسلم يا رسول الله ؟ قال : نعم . فرحب الإمام عليه السلام بهذا الاقتراح موطناً نفسه للقتل عند مواجهة المشركين صباحاً [3] ، وسجد سجدة الشكر على هذه الموهبة العظيمة [4] . والتحف بالبرد اليمانيّ الأخضر الذي كان يلتحف به النبي صلى الله عليه وآله عند نومه ، ونام مطمئناً في فراشه صلى الله عليه وآله . [5] لقد عبّر الإمام عليه السلام بهذا الموقف عن غاية شجاعته ، وجسدها وصعد بها عملياً ؛ إذ عرض بدنه الأعزل للسيوف المسلولة ، وهذا اللون من الشجاعة امتاز به دون غيره .

[1] الطبقات الكبرى : ج 1 ص 227 .

[2] الأنفال : 30 .

[3] الأمالي للطوسي : ص 447 ح 998 و 999 .

[4] الأمالي للطوسي : ص 465 ح 1031 .

[5] تاريخ دمشق : ج 42 ص 67 و 68 .

وقد دفع هذا الإيثار الرائع الملائكة الكربيين إلى الاستحسان والإعجاب به . وبأهى الله سبحانه ملائكته بهذا المشهد العجيب لنكران الذات [1] ، فأُنزل الآية الكريمة : «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» . لتخليد هذه المنقبة ، وتكريم هذا الإيثار وهذه الفضيلة الرفيعة في أروقة التاريخ . وبعد تلك الليلة كان عليه السلام يذهب إلى غار «ثور» ليؤصل ما يحتاج إليه النبي صلى الله عليه وآله ورفيقه [2] . فأوصاه رسول الله صلى الله عليه وآله ببرد الأمانات ، والالحاق به في المدينة . [3] وبعد مدة ترك عليه السلام مكة قاصداً يثرب ومعه الفواطم ؛ أمه فاطمة بنت أسد ، والسيدة فاطمة الزهراء ، وفاطمة بنت الزبير بن

عبد المطلب . فعملت قريش بذلك ، وعزمت على منعه فبعثت ببعض فرسانها خلفه ، بيد أنهم اصطدموا بموقفه الشجاع الجريء ورجعوا خائبين [4] . وكان النبي صلى الله عليه وآله ينتظره في «قبا» ، حتى إذا لحق به ، توجهوا نحو يثرب . [5]

17. تاريخ دمشق عن أبي رافع : إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يُجَهِّزُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ كَانَ بِالْغَارِ وَيَأْتِيهِ بِالطَّعَامِ ، وَاسْتَأْجَرَ لَهُ ثَلَاثَ رَوَاجِلَ ؛ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَ[ل]دَلِيلِهِمْ ابْنَ أَرْيَظٍ ، وَخَلَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لِيُخْرِجَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ، فَأَخْرَجَهُمْ [6] ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّيَ عَنْهُ أَمَانَتَهُ وَوَصَايَا مَنْ كَانَ يوصي إِلَيْهِ ، وَمَا كَانَ يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ ، فَأَدَّى أَمَانَتَهُ كُلَّهَا . وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْطَجِعَ عَلَى فِرَاشِهِ لَيْلَةَ خَرَجَ ، وَقَالَ : إِنَّ قُرَيْشًا لَنْ يَفْعِدُونِي مَا رَأَوْكَ ،

[1] مجمع البيان : ج2 ص535 .

[2] تاريخ دمشق : ج42 ص68 .

[3] السنن الكبرى : ج6 ص472 ح12697 .

[4] الأموال للطوسي : ص470 ح1031 .

[5] الطبقات الكبرى : ج3 ص22 .

[6] في المصدر: «وخلفه النبي فخرج إليه أهله فخرج» ، والصحيح ما أثبتناه كما في بحار الأنوار والمصادر الأخرى .

17. تاريخ دمشق عن أبي رافع : فَأَصْطَجَعَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَنْظُرُ إِلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيَرَوْنَ عَلَيْهِ رَجُلًا يَطْنُونَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا رَأَوْا عَلَيْهِ عَلِيًّا ، فَقَالُوا : لَوْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ خَرَجَ عَلِيٌّ مَعَهُ ، فَحَبَسَهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِذَلِكَ عَنْ طَلَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ رَأَوْا عَلِيًّا وَلَمْ يَفْعِدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا أَنْ يَلْحَقَهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فِي طَلَبِهِ بَعْدَمَا أَخْرَجَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ، يَمْشِي مِنَ اللَّيْلِ وَيَكْمُنُ مِنَ النَّهَارِ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قُدُومَهُ قَالَ : أَدْعُوا لِي عَلِيًّا . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ ، فَأَنَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اعْتَنَقَهُ وَبَكَى رَحْمَةً لِمَا يَقْدِمُهُ مِنَ الْوَرَمِ ، وَكَانَتْ تَقْطُرَانِ دَمًا ، فَتَقَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي يَدَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا رَجْلَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ بِالْعَافِيَةِ ، فَلَمْ يَشْتَكِهُمَا عَلِيٌّ حَتَّى اسْتَشْهَدَ . [1]

[1] في المصدر: «وخلفه النبي فخرج إليه أهله فخرج» ، والصحيح ما أثبتناه كما في بحار الأنوار والمصادر الأخرى .

[2] تاريخ دمشق : ج42 ص68 ح8416 .

الفصل الرابع : غاية الفتوة في غزوتين

أ - غزوة بدر

تعد غزوة بدر من أشد الغزوات التي خاضها النبي صلى الله عليه وآله وأعظمها من حيث الظروف الزمنية ، وميزان القوى ، ومستوى المعدات الحربية التي كانت عند المسلمين . ذلك أنَّ الهدف الأول من التحرك - وهو التحرش بقافلة قريش والسيطرة عليها - وما تلاه من حرب غير متكافئة يدلان على أهمية المعركة ودورها المصيري الحاسم . من هنا كانت للبدرين في التاريخ منزلة رفيعة خاصة ، وكان حضورهم في حوادث التاريخ الإسلامي - لا سيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله - حيثما وجدوا يُشعر بشأن خاص . ووقعت هذه المعركة ببدر - منطقة قريبة من المدينة - في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة . [1] وشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه المعركة التي كانت أولى معارك النبي صلى الله عليه وآله ، وأولى المشاهد البطولية للإمام عليه السلام الذي ظهر فيها بمظهر حقيقٍ بالمشاهدة ، والثناء ، والإعجاب ، إذ :

[1] تاريخ الطبري : ج2 ص418 و ص446 .

1 . كان يحمل الراية المطقرة للجيش الإسلامي . [1] 2 . أنيطت به مهمة التعرف على قوة العدو ومعه عدد من الصحابة ، وذلك قبل حدوث المواجهة وفي مرحلة حساسة من الاستطلاع والاستكشاف والتقصي الخفي ، فحقق نجاحا باهرا . [2] 3 . وحين طلب رسول الله صلى الله عليه وآله الماء في منتصف ليلة القتال الحالكة المروعة ، قام عليه السلام ، وسار نحو بدر بخطى ثابتة راسخة ، ونزح الماء من بئرها العميقة المظلمة ، فروى رسول الله صلى الله عليه وآله . [3] 4 . إنه وفي أول مواجهة فردية سقى الوليد بن عتبة كأس المنون [4] ، وأعان رفيقه على قتل أبيه عتبة [5] . وذكر - سلام الله عليه - هذه الملحمة العظيمة في أحد كتبه إلى معاوية ، فقال : « قَاتَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدَخَا [6] يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي ، وَبِذَلِكَ الْقَلْبُ أَلْقَى عَدُوِّي » . [7] 5 . وصرع عليه السلام العاص بن سعيد فارس قريش المقندر [8] ، ونوفل بن خويلد العدو الشرور الحاقد على رسول الله صلى الله عليه وآله . [9]

[1] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 120 ح 4583 .

[2] تاريخ الطبري : ج 2 ص 436 .

[3] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 613 ح 1049 .

[4] تاريخ الطبري : ج 2 ص 445 .

[5] نفس المصدر .

[6] الشدخ : كسرك الشيء الأجوف كالرأس ونحوه (لسان العرب : ج 3 ص 28) .

[7] نهج البلاغة : الكتاب 10 .

[8] الإرشاد : ج 1 ص 70 .

[9] نفس المصدر .

6 . ولما صدر الأمر بالهجوم الشامل ، وتشابكت القوى المتحاربة ، وحمي وطيس القتال ، هجم عليه السلام على العدو كالليث الغاضب ، وخلخل استعداداته العسكرية ، وصنع من قتلاه تلاً ؛ فقد نقل المؤرخون أنّ (35) من قتلى المشركين البالغ عددهم (70) قُتلوا بسيفه عليه السلام . [1] 7 . وهو الذي كان في عنفوان شبابه يومئذٍ ، ونال الوسام الخالد : « لا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْقَعَارِ وَلَا قَتَى إِلَّا عَلِيٌّ » بفضل تلك الشهامة ، والشجاعة ، والاستبسال الذي أبداه آنذاك . [2]

18. المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله دَفَعَ الرَّايَةَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً . [3]

19. السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحاق - في ذكر أحداث معركة بدر :- ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَهُ [4] عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، حَتَّى إِذَا فَصَلَ مِنَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِتْنَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ثَلَاثَةً ، وَهُمْ : عَوْفٌ وَمُعَوِّذُ ابْنِ الْحَارِثِ - وَأُمُّهُمَا عَفْرَاءٌ - وَرَجُلٌ آخَرٌ ، يُقَالُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : زَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ ، ثُمَّ نَادَى مُنَادِيَهُمْ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : هُوَ يَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ ، وَهُوَ يَا حَمْرَةَ ، وَهُوَ يَا عَلِيٍّ ، فَلَمَّا قَامُوا وَدَنُوا مِنْهُمْ ، قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالَ عُبَيْدَةُ : عُبَيْدَةُ ، وَقَالَ حَمْرَةُ : حَمْرَةُ ، وَقَالَ عَلِيٌّ : عَلِيٌّ ، قَالُوا : نَعَمْ ، أَكْفَاءُ كِرَامٍ ، فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ - وَكَانَ أَسَنَ الْقَوْمِ - عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ،

[1] الإرشاد : ج 1 ص 72 .

[2] تاريخ دمشق : ج 42 ص 71 .

[3] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 120 ح 4583 .

[4] أي بعد الأسود بن عبد الأسد المخزومي الذي قتله حمزة بن عبدالمطلب .

19. السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحاق - في ذكر أحداث معركة بدر - وَبَارَزَ حَمْرَةَ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، فَأَمَّا حَمْرَةُ فَلَمْ يُمِهِلْ شَيْبَةُ أَنْ قَتَلَهُ ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ يُمِهِلْ الْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَهُ ، وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْنِ ، كِلَاهُمَا أُثْبِتَ صَاحِبُهُ ، وَكَرَّ حَمْرَةُ وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ فَذَقَا [1] عَلَيْهِ ، وَاحْتَمَلَا صَاحِبَهُمَا ، فَجَارَاهُ إِلَى أَصْحَابِهِ . [2]

20. الإمام الباقر عليه السلام : نادى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ يُقَالُ لَهُ رِضْوَانٌ : لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْقَعَارِ ، وَلَا قَتَى إِلَّا عَلِيٌّ . [3]

ب - غَرَوْهُ أُحُدٍ

إنَّ هزيمة المشركين في بدر ، وقتل صناديدهم ورؤسائهم يومذاك أوقدا غضب قريش وحفيظتها ؛ فكانت كالأفعى المطعونة لا يقرّ لها قرار . من جهة أخرى كانت قريش قد رأت استئصال المسلمين في بدر وعشقهم للشهادة ؛ فلا بدّ لها - إذا - من التخطيط للتأر . لذا أقبلت على شتّى القبائل لتضطرب مقاتليها وشجعانها لحرب محمد صلى الله عليه وآله ، وتولّت مصاريف القتال ، وإعداد عدّته وسائر ما يتطلّبه ، وتوجّهت صوب المدينة بجيش جرّار بلغ ثلاثة آلاف مقاتل ، وفيه مئتا فارس [4] ، وثلاثة آلاف بعير . [5] وعرف النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك ، فشاوّر أصحابه ، ثمّ عزم على القتال ، وبعد صلاة الجمعة غادر المدينة ومعه قرابة ألف مقاتل صوب «أحد» التي كان العدو قد عسكر فيها . [6]

[1] تذييف الجريح : الإجهاز عليه وتحرير قتله (النهاية : ج2 ص162) .

[2] السيرة النبويّة لابن هشام : ج2 ص277 .

[3] تاريخ دمشق : ج42 ص71 .

[4] تاريخ الطبري : ج2 ص504 - 507 .

[5] المغازي : ج1 ص203 و ص204 و 206 .

[6] تاريخ الطبري : ج2 ص503 .

بدأ القتال صبيحة السابع من شوال سنة 3 هـ [1] ، وكاد النصر يكون حليف المسلمين في البداية لولا ترك الرصد مواضعهم من الجبل طمعا في الغنائم ، فباغتتهم العدو ، وإذا هم بوضعهم العسكري المتخلخل ، أمام عدوّ حاذقٍ موشورٍ متفاني في سبيل هدفه - ممّا ذكر التاريخ تفاصيله - فتلقّوا ضربا شديدة موجعة ، وانكسروا [2] ، وأثر كثير منهم الفرار على البقاء ، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وحده في الميدان ، ولم يثبت معه إلّا الإمام عليّ عليه السلام ونفر قليل ، فكان عليه السلام يُحيط برسول الله صلى الله عليه وآله ويدفع عنه الهجمات كالليث الهصور . لقد كانت أحد من أشدّ معارك النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله وقعا ، وأكثرها دروسا وعبرا ، وأبلغها تنبيها وتذكيرا ، وكان الإمام عليه السلام فيها البطل الذي لا صنو له في دوره البارز المتفرد ؛ إذ : 1 . كان رافع لوائها الأصلي [3] ؛ وهو لواء المهاجرين . [4] 2 . وبسيفه هلك صاحب لواء الشرك المغرور طلحة بن أبي طلحة . [5] 3 . وبضرباته المتوالية قتل بعد طلحة ثمانية غيره حملوا اللواء بعده ، فأفناهم الواحد تلو الآخر ، ولم يُرفع للشرك بعدهم لواء . [6] 4 . من المؤسف أنّ كثيرا من المسلمين لا ذوا بالفرار بعد تضعع الجيش ، وهجوم العدو المباغت ، وكان عليّ عليه السلام هو الذي يحمي رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله من مخاطر

[1] المغازي : ج1 ص199 و ص208 .

[2] تاريخ الطبري : ج2 ص513 .

[3] تاريخ دمشق : ج42 ص72 .

[4] الإرشاد : ج1 ص80 .

[5] المغازي : ج1 ص226 .

[6] الإرشاد : ج1 ص88 .

هجمات العدو في تلك اللحظات الصعبة الحاسمة . [1] 5 . نقل ابن إسحاق أنّ اثنين وعشرين من المشركين قُتلوا في هذه المعركة [2] ، منهم اثنا عشر قتلهم الإمام عليه السلام . [3] 6 . أثنى جبرئيل عليه السلام على شهامة الإمام عليه السلام وقتاله في هذه الحرب ، ودوّى النداء الملكوتي : «لا سيّف إلّا ذو القفار ولا فتى إلّا عليّ» في الآفاق . [4] 7 . أنافت جراح الإمام عليه السلام - رمز البطولة والشجاعة - على تسعين جرحا [5] . وانكسرت يده المنقذة للمظلوم القامة للظالم في هذه الحرب . [6] 8 . لمّا ترك جيش الكفر ميدان الحرب ، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله من محلّ استخفائه عليّ عليه السلام - مع ما به من جراحات مرّقت بدنه ، ومن ضعف بسبب كثرة النزف - ليستطلع خبر العدو ويتأكّد من تركه الميدان . [7]

21. الإمام الصادق عليه السلام : لمّا انهرَمَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انصَرَفَ إِلَيْهِمْ يَوْجُهُ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، لَمْ أَقْتُلْ وَلَمْ أُمِتْ ... وَكَانَ النَّاسُ يَحْمِلُونَ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَيِّمَةَ فَيَكْشِفُهُمْ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا كَشَفَهُمْ أَقْبَلَتِ الْمَيْسِرَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَقَطَّعَ سَيْفُهُ بِثَلَاثِ قِطْعٍ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : هَذَا سَيْفِي قَدْ تَقَطَّعَ ، فَيَوْمِئِذٍ أَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَا الْقِفَارِ ، وَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اخْتِلَاجَ [8]

[1] تاريخ الطبري : ج2 ص518 .

[2] السيرة النبوية لابن هشام : ج 3 ص 135 .

[3] الإرشاد : ج 1 ص 91 .

[4] تاريخ الطبري : ج 2 ص 514 .

[5] تفسير القمّي : ج 1 ص 116 .

[6] المناقب لابن شهر آشوب : ج 3 ص 299 .

[7] تاريخ الطبري : ج 2 ص 527 .

[8] الاختلاج : الحركة والاضطراب (النهاية : ج 2 ص 60 «خلج»).

21. الإمام الصادق عليه السلام : ساقيه من كثرة القتال رقع رأسه إلى السماء وهو يكي وقال : يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يُعيك ، فأقبل علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، أسمع دويّا شديدا ، وأسمع «أديم خيزوم» [1] وما أهرم أضرب أحدا إلا سقط ميتا قبل أن أضربه . فقال : هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة ، ثم جاء جبرئيل عليه السلام فوقف إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ! إن هذه لهي المواساة ، فقال : إن عليّا مني وأنا منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما . ثم انهزم الناس . [2]

22. الإرشاد : لما انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وآله في يوم أُحُد ، وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال [3] له : ما لك لا تذهب مع القوم ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أذهب وأدعك يا رسول الله ؟ ! والله لا ترحض حتى أقتل أو يُخز الله لك ما وعدك من النصر ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : أبشیر يا علي ! فإن الله مُنجز وعده ، ولن ينالوا ميتا مثلها أبدا . ثم نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه ، فقال له : لو حملت على هذه يا علي ، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام ، فقتل منها هشام بن أمية المخزومي وانهزم القوم . ثم أقبلت كتيبة أخرى ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إحمل على هذه ، فحمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي ، وانهزمت أيضا . ثم أقبلت كتيبة أخرى ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إحمل على هذه ، فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامري وانهزمت الكتيبة ، فلم يعد بعدها أحد منهم . وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وآله وانصرف المشركون إلى مكة وانصرف النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعهما إناء فيه ماء ، فغسل به

[1] اسم فرس جبرئيل عليه السلام (النهاية : ج 1 ص 467 «خيزم»).

[2] الكافي : ج 8 ص 318 ح 502 .

[3] في المصدر : «فقال» ، والصحيح ما أثبتناه كما في بحار الأنوار .



22. الإرشاد : وَجْهَهُ ، وَلِحَقِّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ خَصَّصَ الدَّمَّ يَدَهُ إِلَى كَتِفِهِ وَمَعَهُ ذُو الْقَفَارِ ، فَنَاقَلَهُ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَقَالَ لَهَا : خُذِي هَذَا السَّيْفَ فَقَدْ صَدَّقَنِي الْيَوْمَ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ : 0 فَاظْمُرْ هَاكَ السَّيْفَ غَيْرَ دَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرَعْدِيٍّ وَلَا بِمَلِيمٍ [1] 0 لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْذَرْتُ فِي تَصْرَاحِمَدَ وَطَاعَةِ رَبِّي بِالْعِبَادِ عَلِيمٍ 0 0 أَمِيطِي دِمَاءَ الْقَوْمِ عَنْهُ فَإِنَّهُ سَقَى آلَ عَبْدِ الدَّارِ كَاسَ حَمِيمٍ 0 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : خُذِيهِ يَا فَاطِمَةُ ، فَقَدْ أَدَّى بَعْلُكَ مَا عَلَيْهِ وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ بِسَيْفِهِ صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ . [2]

23. أسد الغابة عن سعيد بن المسيب : لَقَدْ أَصَابَتْ عَلِيًّا يَوْمَ أُحُدٍ سِتُّ عَشْرَةَ ضَرْبَةً ، كُلُّ ضَرْبَةٍ تُلْزِمُهُ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ يَرْفَعُهُ إِلَّا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [3]

[1] رجلٌ رَعْدِيٌّ : جَبَانٌ يُرْعَدُ عِنْدَ الْقِتَالِ جَبَانًا . وَالْمَلِيمُ : مَنْ اسْتَحَقَّ اللَّؤْمَ (لسان العرب : ج 3 ص 179 و ج 12 ص 557) .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 89 .

[3] أسد الغابة : ج 4 ص 93 الرقم 3789 .

الفصل الخامس : ارغام العدو على التسليم

أ - غزوة بني النضير

كان بنو النضير قد عقدوا حلفاً مع المسلمين ، ثُمَّ هَمُّوا بِقَتْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ عَرَفَ تَحَرُّكَاتِهِمْ السَّرِيَّةَ بَعْدَ أُحُدٍ ، فَقَصَدَ حَصَنَهُمْ لِنَقْصِ الْحَقِيقَةِ ، وَكَانَ مَطْلِبُهُ الظَّاهِرِيُّ دَفْعَ دِيَةِ رَجُلَيْنِ مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي عَامِرٍ . تَظَاهَرَ بَنُو النَّضِيرِ بِاسْتِقْبَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَشَارِفِ الْحَصَنِ ، وَلَمَّا نَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي ظِلِّ الْحَصَنِ ، خَطَّطُوا لِقَتْلِهِ ، لَكِنَّهُ عِلْمٌ بِمَكِيدَتِهِمْ حِينَ مَهَّدُوا لِنَفْيِهَا فِيَمَمِ الْمَدِينَةِ عَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُمْ [1] بَعْدَ أَنْ نَقَضُوا حَلْفَهُمْ وَنَكَبُوا عَنْهُمْ ، فَأَمَرَ بِإِجْلَانِهِمْ عَنْ بَيْتِهِمْ ، وَتَرْجِيلِهِمْ عَنْ دِيَارِهِمْ ، فَكَابَرُوا وَلَجَّوْا ، فَحَاصَرَهُمْ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةً (4) مِنَ الْهَجْرَةِ [2] . وَفِي زَوَاءِ بَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ التَّارِيخِيَّةِ نَزَحُوا عَنْ دِيَارِهِمْ أَذْلَةً صَاغِرِينَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ عَشْرَةً مِنْهُمْ . [3]

24. الإرشاد : لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ ، عَمِلَ عَلَى حَصَارِهِمْ ، فَضَرَبَ قُبَّتَهُ فِي أَقْصَى بَنِي خُطَمَةَ مِنَ الْبَطْحَاءِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلَ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ

[1] تاريخ الطبري : ج 2 ص 551 .

[2] تاريخ الإسلام للذهبي : ج 2 ص 245 .

[3] الإرشاد : ج 1 ص 92 و 93 .

24. الإرشاد : بِسَهْمٍ قَاصَبِ الْقَبَّةِ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ تُحَوَّلَ قُبَّتُهُ إِلَى السَّفْحِ ، وَأُحَاطَ بِهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . فَلَمَّا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ فَقَدُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَرَى عَلِيًّا ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَرَاهُ فِي بَعْضِ مَا يُصْلِحُ شَأْنَكُمْ . فَلَمَّا تَلَبَّتْ أَنْ جَاءَ بِرَأْسِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي رَمَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : عَزُورَا - فَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآله : كَيْفَ صَنَعَتْ ؟ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ هَذَا الْخَبِيثَ جَرِينًا شَجَاعًا ، فَكَمَنْتُ لَهُ وَقُلْتُ : مَا أَجْرَاهُ أَنْ يَخْرُجَ إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ يَطْلُبُ مِنَّا غِرَّةً [1] ، فَأَقْبَلَ مُصْلِينَا سَيْفَهُ فِي تِسْعَةِ ثَقَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الْيَهُودَ ، فَشَدَّدْتُ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُهُ وَأَقْلَبْتُ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يَبْرَحُوا قَرِيبًا ، فَأَبَعْتُ مَعِيَ ثَقَرًا ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَطْقَرَ بِهِمْ ! فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَهُ عَشْرَةَ ، فِيهِمْ : أَبُو دُجَانَةَ سَيْمَاجُ بْنُ خَرْشَةَ ، وَسَهْلُ بْنُ حُثَيْفٍ ، فَأَدْرَكُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْجُوا الْحَصْنَ ، فَقَتَلُوهُمْ وَجَاوُوا يَرْوُوسِيَهُمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ تُطْرَحَ فِي بَعْضِ آبَارِ بَنِي حُطَمَةَ . وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ فَتْحِ حُصُونِ بَنِي النَّضِيرِ . [2]

ب - غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

أخفقت المؤامرة الكبرى التي تآزر عليها المشركون واليهود في غزوة الخندق ، ونكت بنو قريظة حلفهم الذي كان قد عقده مع المسلمين على عدم التعرض لهم ، ومالوا المشركين ضد النبي صلى الله عليه وآله [3] ، فعزم صلى الله عليه وآله في غد ذلك اليوم الذي قر فيه المشركون على اقتحام حصن بني قريظة ، وهو آخر وكر فساد لليهود قرب المدينة [4] . وبعد أن

[1] الغيرة : الغفلة (النهاية : ج 3 ص 355) .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 92 .

[3] تاريخ الطبري : ج 2 ص 571 .

[4] تاريخ الطبري : ج 2 ص 581 و ص 583 .

صلى الله عليه وآله صلاة الظهر ، أصدر أمره بالتعبئة العسكرية ، وأخبر المسلمين بإقامة صلاة العصر في حيّ «بني قريظة» . [1] وتجلّت شخصيّة الإمام عليه السلام في هذا التحرك أيضا ، وكان دوره فيه لافتا للنظر لأمر : 1 . كانت راية الإسلام الخفاقة بيده المقتدرة . [2] 2 . كان أمرا على مقدّمة الجيش . [3] 3 . كان بنو قريظة قد تسامعوا به ، ولما رأوه ، قالوا : جاء قاتل عمرو بن عبد ودّ . يقول ابن هشام : نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ ؛ لأنّ علي بن أبي طالب قال : «وَاللَّهِ لَأَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ خَمْرَةُ أَوْ لَأَفْتَحَنَّ حِصْنَهُمْ» . [4] 4 . رضي اليهود بحكم سعد بن معاذ فيهم ؛ إذ كانوا يظنون أنّه سيحكم لهم بسبب الأواصر القديمة التي كانت تربطهم به ، لكنّه حكم بقتل رجالهم ، ومصادرة أموالهم ، وسبي ذراريهم . [5]

25. السيرة النبويّة لابن هشام - في ذكر نزول بني قريظة على حكم سعد : إنّ علي بن أبي طالب صاح وهم مُحاصرو بني قريظة : يا كَنِيَّةَ الْإِيمَانِ . وَتَقَدَّمَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ خَمْرَةُ أَوْ لَأَفْتَحَنَّ حِصْنَهُمْ ؛ فقالوا : يا مُحَمَّدُ ، نَزِلْ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ . [6]

[1] تاريخ الطبري : ج 2 ص 581 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 74 .

[3] تاريخ الطبري : ج 2 ص 582 .

[4] السيرة النبويّة لابن هشام : ج 3 ص 251 .

[5] الإرشاد : ج 1 ص 111 .

[6] السيرة النبويّة لابن هشام : ج 3 ص 251 .

الفصل السادس : الضربة المصيريّة في غزوة الخندق

عند ما نزح بنو النضير عن أطراف المدينة ، توجه قسم منهم إلى خيبر ، وقسم إلى الشام ، وطلق رؤساؤهم يحرضون المشركين ويشجعونهم على التحالف مع اليهود ، وتهيئة جيش من جميع القبائل لمهاجمة المدينة بمؤازرة اليهود . [1] وهكذا كان ؛ فقد تهيأ جيش ضخم قوامه عشرة آلاف ، ضمّ كافة المعارضين للحكومة الإسلاميّة الجديدة التي أسسها النبي صلى الله عليه وآله في المدينة وبدأ زحفه نحو المدينة [2] ، ومن هنا عُرفت هذه الغزوة بغزوة الأحزاب . وقد شاور النبي صلى الله عليه وآله أصحابه حول كيفية مواجهة العدو ، فاقترح سلمان حفر خندق في مدخل المدينة ؛ لتعويق العدو . وتحقّق ما أراد ، وأمر صلى الله عليه وآله أصحابه بحفر الخندق ، واشترك هو معهم في الحفر [3] ، فتعوّق جيش العدو ، الذي كان يهجم بمهاجمة المدينة بكلّ غرور وخيلاء ، خلف الخندق ، وطلّ على هذه الحال شهرا تقريبا [4] ،

[1] تاريخ الطبري : ج 2 ص 565 .

[2] تاريخ الطبري : ج 2 ص 570 .

[3] تاريخ الطبري : ج 2 ص 566 .

[4] تاريخ الطبري : ج 2 ص 572 .

حتى وقع في مأرق بسبب صعوبة الإمداد . وفي ذات يوم عبر عمرو بن عبد وّ الخندق ومعه عدد من فرسان العدو وشجعانه المشهورين [1] ، وصاروا أمام المسلمين ، وطلبوا أن يبرز إليهم أقرانهم ، فلم يجيبهم أحد ، وكرّروا نداءهم غير مرّة ، وكان لعمرو صيته المخيف ، ففزع منه الجميع ، وخبست الأنفاس في الصدور ، ولم تلق نداءاته المغرورة جوابا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقوم إليه أحد ويقتل شرّه ، فلم يقم إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام [2] . ولما تقابلا قال صلى الله عليه وآله عبارته الخالدة : « **بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشِّرْكِ كُلِّهِ** » . [3] وبعد قتال شديد عاجله الإمام بهجمة سريعة ، ففضى عليه ، وبلغت صيحة «الله أكبر» عنان السماء ، فلاذ أصحابه بالفرار [4] . وتبدّد جيش الأحزاب على ما كان عليه من شوكة وأبهة خيالية . ويمكننا أن نفهرس دور الإمام العظيم في هذه الحرب على النحو الآتي : 1 . لما عبر عمرو بن عبد وّ وأصحابه من موضع ضيق من الخندق ، استقر الإمام عليه السلام هناك مع جماعة ، فلم يتيسّر للمشاركين العبور بعدئذ . [5] 2 . كان قتل عمرو بن عبد وّ مهماً وحاسماً ومصيرياً إلى درجة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « **لَمُبَارَزَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِعَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » . [6]

[1] تاريخ الطبري : ج 2 ص 574 .

[2] السنن الكبرى : ج 9 ص 223 ح 18350 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 19 ص 61 .

[4] تاريخ الطبري : ج 2 ص 574 .

[5] نفس المصدر .

[6] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 34 ح 4327 .

وفي رواية : « **لَضَرْبَةُ عَلِيٍّ لِعَمْرِو يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَعْدِلُ عِبَادَةَ الثَّقَلَيْنِ** » . [1] وحينما تجدلّ صناديد العرب صريعا بصق في وجه الإمام آيسا بانسا ، فوقف صلوات الله عليه ، وتمهّل ولم يبادر إلى حرّ رأسه لئلا يكون في عمله ذرة من غضب . 3 . وبعد أن جدّله وصرعه ، وولّى أصحابه مدبرين تبعهم [2] ، وقتل منهم نوفل ابن عبد الله . [3] 4 . لما ضرب الإمام عليه السلام رجل عمرو وقضى عليه ، ألقى تراب الذلّ والخوف والرعب على وجوه المشركين ، وأقعدهم حيارى مهزومين منهارين . [4] 5 . قتل الإمام عليه السلام عمرا ، بيد أنه ترفع عن سلب درعه الثمين إذ «كان يضرب بسيفه من أجل الحق» لا غيره . . . ولم يخف كلّ هذا الترفع والجلال والشمم عن الأنظار ، حتى إن أخت عمرو نفسها أثنت عليه . [5]

26. رسول الله صلى الله عليه وآله لمُبَارَزَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِعَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . [6]

27. عنه صلى الله عليه وآله : لَضَرْبَةُ عَلِيٍّ لِعَمْرِو يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَعْدِلُ عِبَادَةَ الثَّقَلَيْنِ . [7]

[1] عوالي اللآلي : ج 4 ص 86 ح 102 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 102 .

[3] تاريخ الطبري : ج 2 ص 574 .

[4] كنز الفوائد : ج 1 ص 298 .

[5] الإرشاد : ج 1 ص 107 .

[6] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 34 ح 4327 .

[7] عوالي اللآلي : ج 4 ص 86 ح 102 .

الفصل السابع : الشجاعة والأدب في الحديث

عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على التوجه إلى مكة في السنة السادسة من الهجرة قاصدا العمرة ، فسار حتى الحديث ، فعلمت قريش بمسيره ، فخرجت من مكة . وأخبر النبي صلى الله عليه وآله أن قريش عازمة على صدّه ومنعه من دخول مكة . وبعثت قريش ممثلاً عنها للتفاوض مع النبي صلى الله عليه وآله ، كما بعث النبي صلى الله عليه وآله و آله ممثلاً عنه أيضا ، فقرروا أن يرجع النبي صلى الله عليه وآله تلك السنة ولا يدخل مكة [1] . وعقدوا على ذلك صلحا بينهم ، فكتب الإمام عليّ عليه السلام نصّ الصلح بيده . [2]

28. الإرشاد عن فايد مولى عبد الله بن سالم : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي عُمْرَةِ الْخُدَيْبِيَّةِ نَزَلَ الْجُحْفَةَ فَلَمْ يَجِدْ بِهَا مَاءً ، فَبَعَثَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ بِالرَّوَايَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ رَجَعَ سَعْدٌ بِالرَّوَايَا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَمْضِيَ ! لَقَدْ وَقَفْتُ قَدَمَايَ رُغْبًا مِنَ الْقَوْمِ ! ! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنْ لَمْ يَبْعَثْ رَجُلًا آخَرَ ، فَخَرَجَ بِالرَّوَايَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ الْأَوَّلُ رَجَعَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لِمَ رَجَعْتَ ؟ ! فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ

[1] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 95 .

[2] نفس المصدر .

28. الإرشاد عن فايد مولى عبد الله بن سالم : أَمْضِيَ رُغْبًا ! ! قَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، فَأَرْسَلَهُ بِالرَّوَايَا ، وَخَرَجَ السُّقَاةُ وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي رُجُوعِهِ لِمَا رَأَوْا مِنْ رُجُوعِ مَنْ تَقَدَّمَ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّوَايَا ، حَتَّى وَرَدَ الْجَرَارَ [1] فَاسْتَقَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَهَا رَجُلٌ [2] ، فَكَثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَدَعَا لَهُ يَحْيَى . [3]

29. صحيح البخاري عن البراء بن عازب : لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَهْلَ الْخُدَيْبِيَّةِ ، كَتَبَ عَلِيٌّ بَيْنَهُمْ كِتَابًا ، فَكَتَبَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : لَا تَكْتُبُ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» ؛ لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ تُقَاتِلْ ! ! فَقَالَ لِعَلِيٍّ : أَمَحُهُ . فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَمَحَاهُ ، فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدِهِ . [4]

[1] جرار : جمع حرّة - وهي كثيرة في بلاد العرب ؛ كحرّة أوطاس وحرّة تبوك - وهي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنّها أحرقت بالنار (تقويم البلدان : ج 2 ص 234 و 245 «رجل»).

[2] الرّجل : الصوت (المحيط في اللغة : ج 7 ص 23) .

[3] الإرشاد : ج 1 ص 121 .

[4] صحيح البخاري : ج 2 ص 960 ح 2551 .

الفصل الثامن : الدور المصري في فتح خيبر

تخطى وقعة خيبر بشأن خاصّ بين وقائع النبي صلى الله عليه وآله و آله ؛ ففيها هزم صلى الله عليه وآله و آله يهود خيبر ، وقوّض مركز التآمر على دينه وحكومته الجديدة . فكانت حصون اليهود في منطقة خصبة شمال غربيّ المدينة تبعد عنها حوالي (200) كيلومتر ، تدعى خيبر . [1] وكان اليهود القاطنون في هذه الحصون يضمرون حقدًا للنبي صلى الله عليه وآله و آله والمؤمنين والدولة الإسلاميّة منذ الأيام الأولى لاتّساع الرسالة ، ولم يدّخروا وسعًا للكيد بهم ، بل إنّ حرب الأحزاب شنت على الإسلام بدعمهم العسكري والمالي . وبهذا يتّضح أنّهم كانوا أعداءً لداً ومتآمرين يتحرّقون حنفاً على الرسالة ونبیّها الكريم صلى الله عليه وآله و آله . [2] وحين اطمأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من قريش بعد صلح الحديبية ، توجه نحو خيبر ؛ لفتح حصونها ، والقضاء على وكر التآمر [3] . ووجود عشرة آلاف مقاتل ، وحصون حصينة منيعة لا تُقهر ، وقدرات ومعدّات كثيرة داخلها ، وأضغان راسخة في قلوب اليهود المتواجدين داخل الحصن شدّت من عزائمهم لمحاربة النبي صلى الله عليه وآله و آله شكّل دلاله

[1] معجم البلدان : ج 2 ص 409 .

[2] تاريخ الطبري : ج 2 ص 565 .

على الأهميّة الخاصّة لوقعة خيبر . وكان للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيها مظهر عجيب ، وله في فتحها العظيم دور لا يباهى ولا يبارى يتمثّل فيما يلي : 1 . كانت راية الإسلام في هذه المعركة بيد الإمام علي عليه السلام المقتدرة كما في غيرها من الحروب والغزوات . [1] 2 . لما فتحت كلّ الحصون ، واستعصى حصن «الوطيح» و«السلام» - إذ كانا من أحكم الحصون ، وزحف المسلمون نحوهما مرّتين : الأولى بقيادة أبي بكر ، والأخرى بقيادة عمر ، لكنّهما أخفقا في فتحهما - انتدب النبيّ صلى الله عليه وآله عليّ عليه وآله عليّ عليه السلام ، وكان مريضاً لا يقدر على القتال فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله وفتح الله على يديه ، وتمكّن الجيش الإسلامي العظيم من فتح ذينك الحصنين اللذين كان فتحهما لا يصدّق ولا يخطر ببال أحد . [2] 3 . جندل الإمام عليه السلام الحارث - المقاتل اليهوديّ المغرور ، الذي كانت الأبدان ترتجف من صيحاته عند القتال - بضربة قاصمة ، كما قدّ مرحب - الذي لم يجرأ أحد على مواجهته - نصفين . [3] 4 . لما أخفق المسلمون في فتح الحصنين المذكورين وأوشك الرعب أن يسيطر على القلوب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله عبارته العظيمة الرائعة المشهورة : «لأعطين الراية غدا رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» [4] ، والأخرى : «كرّاراً غير فرّار» [5] ،

[1] الطبقات الكبرى : ج2 ص106 .

[2] المستدرك على الصحيحين : ج3 ص39 - 41 .

[3] مسند ابن حنبل : ج9 ص28 ح23093 .

[4] السيرة النبويّة لابن هشام : ج3 ص349 .

[5] الكافي : ج8 ص351 ح548 .

يريد بذلك عليّاً صلوات الله عليه ، فأحيا الأمل في النفوس بالنصر . 5 . قلع الإمام عليه السلام باب قلعة قموص وحده ، وكان لا يحركه إلا أربعون رجلاً ! {-9-}

[1] المصنّف لابن أبي شيبه : ج7 ص507 ح76 .

30.الإرشاد عن عبد الملك بن هشام ومحمّد بن إسحاق وعي أنّهم يجدون في كتابهم : إنّ الذي يدّمّر عليهم اسمهُ آلياً ، فإذا لقيتهم فقل : أنا عليّ ، فإنّهم يُخَذّلون إن شاء الله ... وجاء في الحديث : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما قال : أنا عليّ بن أبي طالب ، قال جبرّ من أحبار القوم : غلبتم وما أنزل على موسى . فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يُمكِنهم معه الاستيطان به . [1]

31.صحيح البخاري عن سهل بن سعد : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه ، يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون [2] ليلتهم أيّهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وكلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين عليّ بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكى عيّنه ، قال : فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله في عيّنه ودعا له ، فبرأ حتّى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يا رسول الله ، أفأنتلهم حتّى يكونوا مثلنا ؟ فقال : أنفذ على رسلك حتّى تنزل يساختمهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يحبّ عليهم من حقّ الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النعم . [3]

32.الإرشاد : لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مَرَحَباً رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَعْلَقُوا بِابِ الْجِصَنِ عَلَيْهِمْ دَوْتَهُ ، فَصَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ فَعَالَجَهُ حَتَّى فَتَحَهُ ، وَأَكْثَرَ النَّاسَ مِنْ جَانِبِ الْخَنْدَقِ لَمْ يَعْبُرُوا مَعَهُ ، فَأَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَابَ الْجِصَنِ فَجَعَلَهُ عَلَى الْخَنْدَقِ جِسْراً لَهُمْ حَتَّى عَبَرُوا وَظَفَرُوا بِالْجِصَنِ وَنَالُوا الْغَنَائِمَ . فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنَ الْحَصُونِ

[1] الإرشاد : ج1 ص125 .

[2] أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه . يقال : وقع الناس في دَوْكَة : أي في خوض واختلاط (النهاية : ج 2 ص 140).

[3] صحيح البخاري : ج 4 ص 1542 ح 3973 .

32. الإرشاد : أَخَذَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُمْنَاهُ قَدْحًا يَهْ أَدْرَعَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَانَ الْبَابُ يُغْلِقُهُ عِشْرُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ . [1]

33. الإمام عليّ عليه السلام : وَاللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ حَبِيرٍ ، وَكَذَكَتُ حِصْنَ يَهُودٍ يَفُوقُ جِسْمَانِيَّةً ، بَلْ يَفُوقُ إِلَهِيَّةً . [2]

[1] الإرشاد : ج 1 ص 127 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 20 ص 316 ح 626 .

الفصل التاسع : النشاطات في فتح مكة

تمّ الاتفاق في صلح الحديبية على أن يكفّ كلّ من الطرفين عن شنّ الحرب ، وألاّ يحترّسا حلفاءهما على ذلك ، وألاّ يدعمهما في حرب من الحروب . لكنّ قریش نكثت مقرّرات ذلك الصلح بتجهيز بني بكر - حلفائهم - على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين ، أو بالاشتراك ليلاً في قتالٍ ضدها . [1] وتناهى إلى أسماع النبيّ صلى الله عليه وآله استشهاد عدد من المسلمين مظلومين ، واستنجد عمرو بن سالم - رئيس قبيلة خزاعة - بأبيات مؤثّرة ، فأنجده . وهكذا عزم على فتح مكة ، ومحو معالم الشرك من مركز التوحيد ، إذ لا مانع يحول دون ذلك حينئذٍ . فسيطر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله على مكة عبر خطة عسكرية عجيبة ، وفتحها بلا إراقة دم ، ومعه أكثر من عشرة آلاف مقاتل . [2] وشهد الإمام عليّ عليه السلام هذا النصر ، وكان حضوره فيه لافتاً للنظر من وجوه : 1 . كان حاطب بن أبي بلتعة قد كتب إلى قریش كتاباً يخبرهم فيه بعزم النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله على فتح مكة ، وأرسله مع إحدى النساء . فاستدعى النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله عليّاً عليه السلام ، وبعثه مع

[1] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 134 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 135 و ص 139 .

اثنين للقبض على تلك المرأة . ولما لقوها وطلبوا منها دفع الكتاب إليهم أنكرت ذلك أشدّ إنكار ، ففتشوها عدّة مرّات فلم يجدوا عندها شيئاً ، ودلّ تفتيشهم على صحّة ما تدّعيه . فقال لها الإمام عليه السلام : واللّهِ ما كذّبنا رسول الله صلوات الله عليه . . . واللّهِ لتظهرنّ الكتاب أو لأردنّ رأسك إلى رسول الله ! فاستسلمت المرأة وأخرجته من صغيرتها ، ودفعته إليه . [1] 2 . كان سعد بن عبادة يحمل راية الإسلام ، وينادي : اليوم يوم الملحمة . . . فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله نداء الرحمة والرأفة ، وقال : اليوم يوم المرحمة . . . [2] ، ثمّ دعا عليّاً عليه السلام وأمره أن يرفع الراية مكان سعد . [3] 3 . أعطى النبيّ صلى الله عليه وآله الأمان للجميع بعد فتح مكة إلّا شرذمة من سود الضمائر المعاندين فقد أهدر دمهم ، منهم الحويرث - الذي كان يؤذيه كثيراً يوم كان في مكة - وامرأة مغنّية كانت تهجوه صلى الله عليه وآله عليه وآله ، فقتلها الإمام عليه السلام . [4]

34. صحيح البخاري عن عبيد الله بن أبي رافع : سَمِعْتُ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاجٍ [5] ، فَإِنَّ فِيهَا طَعِينَةً [6] مَعَهَا كِتَابٌ ، فَخُذُوهُ مِنْهَا . فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بَيْنَا حَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ ، قُلْنَا لَهَا : أَخْرِجِي الْكِتَابَ . قَالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ ! فَقُلْنَا : لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ

[1] صحيح البخاري : ج 4 ص 1557 ح 4025 .

[2] أسد الغابة : ج 2 ص 442 الرقم 2012 .

[3] تاريخ الإسلام للذهبي : ج 2 ص 532 .

[4] أنساب الأشراف : ج 1 ص 456 و 457 .

[5] روضة خاخ : موضع بين الحرمين يقرب حمراء الأسد من المدينة (معجم البلدان : ج 2 ص 335) .

[6] الطعينة : المرأة في اليهودج (لسان العرب : ج 13 ص 271) .

34. صحيح البخاري عن عبيد الله بن أبي رافع : الثَّيَّابُ . فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا [1] . فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [2] .

35. تاريخ الطبري عن عبد الله بن أبي نجيح : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ قَرَّقَ جَيْشَهُ مِنْ ذِي طُوًى ، أَمَرَ الزُّبَيْرَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كُذَى [3] ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ [4] الْيُسْرَى ، فَأَمَرَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كَدَاءِ [5] . فَرَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ سَعْدًا قَالَ حِينَ وَجَّهَ دَاخِلًا : «الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحَرَمَةُ» فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ! وَمَا تَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ ! ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَدْرَكَهُ فَخْذُ الرَّايَةِ ، فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا. [6]

[1] العَقَصُ : ضرب من الصَّفر ؛ وهو أن يُلَوَّى الشعر على الرأس ؛ ولهذا تقول النساء : لها عِقْصَةٌ ، وجمعها عَقَصٌ وعِقَاصٌ وعِقَاصٌ ، ويقال : هي التي تَتَّخِذُ مِنْ شَعْرِهَا مِثْلَ الرِّمَانَةِ (لسان العرب : ج 7 ص 56) .

[2] صحيح البخاري : ج 4 ص 1557 ح 4025 .

[3] كُذَا - بِالضَّمِّ وَالْقَصْرِ - : الثَّنية السفلى ممَّا يلي باب العمرة (لسان العرب : ج 15 ص 218 «كذا») .

[4] الْمُجَنَّبَتَانِ مِنَ الْجَيْشِ : الميمنة والميسرة (لسان العرب : ج 1 ص 276 «جنب») .

[5] كَدَاءٌ - بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ - : الثَّنية العليا بمكَّة ممَّا يلي المقابر ، وهو المَعْلَى (لسان العرب : ج 15 ص 218 «كذا») .

[6] تاريخ الطبري : ج 3 ص 56 .

الفصل العاشر : المقاومة الرائعة في غزوة حنين

ألقى فتح مكة الرعب في قلوب المشركين ، والذعر والفرع في نفوسهم ؛ فتشاورت قبيلتا الطائف المهمتان هوازن وثقيف مع بعض القبائل الأخرى ، فعزمتا على المسارعة إلى مواجهة جيش الإسلام قبل أن يقبل عليهم ، وجمعتا جيشا ضخما بقيادة شابّ باسل شجاع يدعى : مالك بن عوف النصري ، وسار الجيش نحو المسلمين . [1] وبادر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى مواجهتهم على رأس جيش عظيم يتألف من اثني عشر ألفا ؛ عشرة آلاف من يثرب ، وألفين من المسلمين الجدد ، وبلغت عظمة الجيش درجة جعلت البعض يصاب بغرور زائف حتى قال : لا تُغلب اليوم من قلة . [2] وأمر مالك جيشه بالاختباء خلف الأحجار والصخور وشعاب الجبال والنقاط المرتفعة في آخر الوادي الذي كان ممرا إلى منطقة حنين . ولما وصل الجيش الإسلامي هناك رُشِقَ بالسهام والحجارة ، فمُنِيَ بالهزيمة والانكسار ، وحدث ما حدث ، وفرّ كثير من جيش رسول الله صلى الله عليه وآله [3] ، حتى قال أبو سفيان مستهزئا : لا تنتهي

[1] السيرة النبوية لابن هشام : ج 4 ص 80 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 150 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 151 .

هزيمتهم دون البحر . [1] وفي ساعة العسرة هذه لم يبقَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قليل ؛ قرابة عشرة ، فاستماتوا في الدفاع عنه ، وفيهم أمير المؤمنين عليه السلام فكان لا يفتأ يحوم حوله مدافعا ، وهزم من كان يريد قتل النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأجبرهم على الفرار . [2] وصاح النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله بصوتٍ عالي في خضمّ تلك الشدائد والنوازل قائلا : يا أنصار الله وأنصار رسوله ، أنا عبد الله ورسوله ! ثم ساق بغلته نحو العدو ومعه عدد من الصحابة ،

وأمر عمّه العباس أن ينادي المسلمين بصوته الجهوري ويدعوهم إلى نصرته . وهكذا انتظم أمر الجيش مرّة أخرى . [3] إن ثبت عليّ عليه السلام وقتاله بلا هوادة في هذه المعركة لافتان للنظر أيضا ، فقد قتل أربعين من هوازن [4] ، وفيهم أبو جروول ؛ وهو أحد شجعانهم ، وكان هلاكه بداية لانتهاء جيشهم . [5] ولاحق النبي صلى الله عليه وآله الفارّين ، وحاصر قلعتهم بالطائف . وفي هذا الحصار اشتبك الإمام عليه السلام مع نافع بن غيلان فقتله ، فولّى جمع من المشركين مدبرين ، وأسلم آخرون . [6] يضاف إلى هذا أنّ الإمام عليه السلام كلّف عند الحصار بكسر الأصنام التي كانت حول الطائف ، وقد أنجز هذه المهمة بأحسن ما يكون . [7]

[1] تاريخ الطبري : ج 3 ص 74 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 151 .

[3] تاريخ الطبري : ج 3 ص 75 .

[4] الكافي : ج 8 ص 376 ح 566 .

[5] الإرشاد : ج 1 ص 143 و ص 150 .

[6] الإرشاد : ج 1 ص 153 .

[7] الإرشاد : ج 1 ص 152 .

قال الشيخ المفيد - رضوان الله عليه - في حضور الإمام عليه السلام هذه الغزوة : «قَانَطِرُ الْآنَ إِلَى مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ وَتَأَمَّلْهَا وَفَكِّرْ فِي مَعَانِيهَا تَجِدْهُ قَدْ تَوَلَّى كُلَّ فَضْلٍ كَانَ فِيهَا ، وَاخْتَصَّ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَمْ يَشْرِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّةِ» . [1] ويتستقّى لنا الآن - بناءً على ما ذكرنا وما جاء في الوقائع التاريخية - أن نسجّل دور الإمام عليه السلام في النقاط الآتية : 1 . حملته راية المهاجرين . 2 . حضوره المهيّب في احتدام القتال وهجوم العدو بلا هوادة ، ودفعه الخطر عن النبي صلى الله عليه وآله في أخرج اللحظات التي فرّ فيها الكثيرون . 3 . قتله أبا جروول والذي استتبع انهيار جيش هوازن . 4 . قتله أربعين من مقاتلي هوازن . 5 . قيادته لكثيبة كانت قد تعبّت من أجل إزالة الأصنام . 6 . مبارزة شهاب - من قبيلة خثعم - الذي لم يجرأ أحد من المسلمين على مبارزته ، فهبّ الإمام عليه السلام إليه وقضى عليه . 7 . قتله نافعا ، الذي أدّى إلى إسلام الكثيرين .

36. الإرشاد : أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ ، بِيَدِهِ رَايَةٌ سَوْدَاءُ فِي رَأْسِ رُمْحٍ طَوِيلٍ أَمَامَ الْقَوْمِ ، إِذَا أَدْرَكَ طَقْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَكَبَّ عَلَيْهِمْ ، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَتْبَعُوهُ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ : 0 أَنَا أَبُو جَرَوَلٍ لَا تَرَاخَ [2] حَتَّى تُبِيحَ الْقَوْمَ أَوْ تُبَاخَ 0

[1] السيرة النبوية لابن هشام : ج 4 ص 80 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 150 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 151 .

[4] تاريخ الطبري : ج 3 ص 74 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 151 .

[6] تاريخ الطبري : ج 3 ص 75 .

[7] الكافي : ج 8 ص 376 ح 566 .

[8] الإرشاد : ج 1 ص 143 و ص 150 .

[9] الإرشاد : ج 1 ص 153 .

[10] الإرشاد : ج 1 ص 152 .

[11] الإرشاد : ج 1 ص 149 .

[12] برج براجا: زال. ولا براج: أي لاريب ولا تحوّل (المعجم الوسيط: ج 1 ص 47).

[13] الإرشاد : ج 1 ص 142 .

36. الإرشاد : قَصَمَدَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَرَبَ عَجَزَ بَعِيرِهِ فَصَرَعَهُ ، ثُمَّ صَرَبَهُ فَقَطَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ : 0 قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ لَدَى الصَّبَاحِ أَنَّ فِي هَهِجَاءِ ذُو نَصَاحٍ 0 فَكَانَتْ هَزِيمَةُ الْمُشْرِكِينَ يَقْتُلُ أَبِي جَرَوَلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ . [1]

37. الإرشاد : لَمَّا قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا جَرَوَلٍ وَخَذَلَ الْقَوْمَ لِقَتْلِهِ ، وَضَعَ الْمُسْلِمُونَ سُيُوفَهُمْ فِيهِمْ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْدُمُهُمْ حَتَّى قَتَلَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ وَالْأَسْرُ حَيْثُ نَزِلَ . [2]

[1] برج براحا: زال. ولا براح: أي لاريب ولا تحوّل (المعجم الوسيط: ج 1 ص 47).

[2] الإرشاد : ج 1 ص 142 .

[3] الإرشاد : ج 1 ص 144 .

الفصل الحادي عشر : الاستخلاف عن النبيّ في غزوة تبوك

تبوك هي أقصى منطقة توجّه إليها النبيّ صلى الله عليه وآله في حروبه . وبدأت تحرّكات المنافقين في المدينة في وقت راح رسول الله صلى الله عليه وآله بعد جيشه للانطلاق إلى تبوك . والحوادث التي وقعت تدلّ بوضوح على أنّ المنافقين في المدينة كانوا يتحسّون الفرصة لتوجيه ضربتهم للحكومة النبويّة الجديدة . وكانت هذه الغيبة الطويلة للنبيّ فرصة مناسبة لهم . من هنا ، نلاحظ أنّه صلى الله عليه وآله استخلف في البداية محمّد بن مسلمة على المدينة ، ثمّ جعل عليّاً عليه السلام عليها ، وقال : «أَنَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَقِيمَ أَوْ تُقِيمَ» . [1] وقال : «إِنَّ الْمَدِينَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِي أَوْ بِكَ» . [2] وهكذا أخفقت المؤامرة ، فإنّ وجود عليّ عليه السلام ألقى الرعب في قلوب المنافقين والمتأمرين ، وأيسهم من القيام بأيّ تحرّك في المدينة ، فراحوا يعزفون على وتر آخر ؛ فإنّ غزوة تبوك كانت الغزوة الوحيدة التي لم يشهدها أمير المؤمنين عليه السلام بقرار

[1] المعجم الكبير : ج 5 ص 203 ح 5094 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 155 .

النبيّ صلى الله عليه وآله ، ولما طرأ من أحداث في المدينة [1] . فأرجفوا أنّ عليّاً تخلّى عن الحرب وخذل النبيّ ولم يرافقه مع رغبة النبيّ في حضوره معه . فما كان من الإمام عليه السلام إلّا أن هرع إليه صلى الله عليه وآله قبل مغادرته ، وأخبره بأراجيفهم ، فنطق النبيّ صلى الله عليه وآله عندئذٍ بكلمته الخالدة العظيمة في حقّه : «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» . [2] وهكذا أحبطت هذه المؤامرة في مهدها ، وسجّل التاريخ لعليّ عليه السلام أسطع المناقب أمام أنظار الناس .

[1] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 23 .

[2] خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ص 107 ح 45 .

الفصل الثاني عشر : عدّة بعثات هامّة

أ - كَسْرُ الْأَصْنَامِ

38. الإرشاد - في ذكر وقائع ما بَعْدَ غَزْوَةِ حُتَيْنِ : ثُمَّ سَارَ - [النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] يَتَفَسِّسُهُ إِلَى الطَّائِفِ فَحَاصَرَهُمْ أَيَّامًا ، وَأَنْقَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَيْلٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَطَّأَ مَا وَجَدَ ، وَيَكْسِرَ كُلَّ صَنَمٍ وَجَدَهُ . فَخَرَجَ حَتَّى لَقِيَتْهُ حَيْلٌ خَنَعِمَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يُقَالُ لَهُ : شِهَابٌ ، فِي عَيْشِ الصُّبْحِ ، فَقَالَ : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ لَهُ ؟ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَوَّتَبَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُ

بِئْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : تُكْفَاهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ إِنْ قُتِلْتُ فَأَنْتَ عَلَى النَّاسِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَقُولُ : 0 إِنْ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقٌّ أَنْ يُرَوِّعَ الصَّعْدَةَ [1] أَوْ تُدَقَّ 0 ثُمَّ صَرَبَهُ فَقَتَلَهُ . وَمَضَى فِي تِلْكَ الْخَيْلِ حَتَّى كَسَرَ الْأَصْنَامَ ، وَعَادَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ لِأَهْلِ الطَّائِفِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَبَّرَ لِلْفَتْحِ ، وَأَخَذَ يَبْدِيهِ فَخَلَا بِهِ ، وَنَاجَاهُ طَوِيلًا . [2]

[1] الصعده : القناه (لسان العرب : ج 3 ص 255) .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 152 .

ب - إعلان البراءة من المشركين

إِنَّ آيَاتِ الْبِرَاءَةِ ، وإعلان الاستيلاء من الشرك والصنمية ، ولزوم تطهير أرض الوحي من معالم الشرك ، كل ذلك يعدّ من أعظم الفصول في التاريخ الإسلامي . فقد نزلت سورة «براءة» في موسم الحج سنة (9 هـ) وكُلّف أبوبكر بقراءتها على الحجاج ، مع بيان يتألف من أربع موادّ ، وتوجّه أبوبكر إلى مكة ، لكن لم يمض على تحرّكه إلّا وقت قصير حتى هبط الوحي مبلغًا النبيّ صلى الله عليه وآله أن : «لَا يُؤَدِّي عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ» . فدعا عليّاً عليه السلام وأخبره بالأمر ، وأعطاه راحلته ، وأمره أن يعجل في ترك المدينة ، ويأخذ السورة من أبي بكر ، ويقرأها على الناس في حشدتهم الغفير يوم العاشر من ذي الحجة . وهكذا كان . فأضيفت بذلك منقبة أخرى إلى مناقبه العظيمة ، وثبت للأجيال والأعصار المختلفة سلفاً أنّه من النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأتته نفسه .

39. الإرشاد : جاء في قصّة البراءة : وَقَدْ دَفَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيَنْبِذَ بِهَا عَهْدَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ نَزَلَ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ يَقْرُئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : لَا يُؤَدِّي عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ . فَاسْتَدْعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ : إِرْكَبْ نَاقَتِي الْعِصْبَاءَ وَالْحَقُّ أَمَا بَكْرٍ ، فَخُذْ بَرَاءَةً مِنْ يَدِهِ وَامْضِ بِهَا إِلَى مَكَّةَ ، فَانْبِذْ عَهْدَ الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهِمْ ، وَخَيَّرْ أَبَا بَكْرٍ بَيْنَ أَنْ يَسِيرَ مَعَ رِكَايِكَ أَوْ يَرْجِعَ إِلَيَّ . فَارْكَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْعِصْبَاءَ ، وَسَارَ حَتَّى لَحِقَ أَبَا بَكْرٍ ، فَلَمَّا رَأَى قَرِيعَ مِنْ لُحُوقِهِ بِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ وَقَالَ : فِيمَ جِئْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، أَسَايِرُ مَعِيَ أَنْتَ أَمْ لِيُغَيِّرَ ذَلِكَ ؟ ! فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَنِي أَنْ أَلْحَقَكَ فَأَقِصَّ مِنْكَ الْآيَاتِ مِنْ بَرَاءَةِ وَأَنْبِذَ بِهَا عَهْدَ الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَخْبِرَكَ بَيْنَ أَنْ

39. الإرشاد : تَسِيرَ مَعِيَ أَوْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : بَلْ أَرْجِعُ إِلَيْهِ . وَعَادَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ أَهْلَتَنِي لِأَمْرِ طَالَتِ الْأَعْنَاقُ فِيهِ إِلَيَّ ، فَلَمَّا تَوَجَّهْتَ لَهُ زِدَدْتَنِي عَنْهُ ، مَا لِي ، أَنْزَلْتَ فِيَّ قُرْآنًا ؟ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَا ، وَلَكِنْ الْأَمِينُ هَبَطَ إِلَيَّ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِأَنَّهُ لَا يُؤَدِّي عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ ، وَعَلَيَّ مِثِّي ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا عَلَيٌّ . [1]

40. تاريخ دمشق عن ابن عباس : بَيْنَا أَنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ - يَدُهُ فِي يَدِي - إِذْ قَالَ لِي : يَا بَنَ عَبَّاسِ ، مَا أَحْسِبُ صَاحِبَكَ إِلَّا مَظْلُومًا ! فَقُلْتُ : قُرْدٌ إِلَيْهِ ظُلَامَتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! ! قَالَ : فَانْتَرَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي ، وَتَقَرَّ مِثِّي بِهَمِّهِمْ ، ثُمَّ وَقَفَ حَتَّى لَحِقْتُهُ ، فَقَالَ لِي : يَا بَنَ عَبَّاسِ ، مَا أَحْسِبُ الْقَوْمَ إِلَّا اسْتَصَفَرُوا صَاحِبَكَ . قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا اسْتَصَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ أَرْسَلَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بَرَاءَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَيَقْرَأَهَا عَلَى النَّاسِ ! ! فَسَكَتَ . [2]

ج - البعث إلى اليمّين

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ ، وانتصر على القبائل المستقرّة حولها في غزوة حنين ، أراد توسيع نطاق دعوته ؛ فأرسل إلى اليمن معاذ بن جبل ، وهناك استعصت مسائل على معاذ فرجع ، وبعث بعده خالد بن الوليد ، فلم يحقق نجاحاً ، وأخفق في مهمته بعد ستّة أشهر من المكوث في اليمن . فانتدب عليّاً عليه السلام ، فوجهه إليها مع كتاب . ولَمَّا وصل قرأه على أهلها ببيان بليغ وكلام مؤثّر ، ودعاهم إلى التوحيد ، فأسلمت قبيلة «همدان» . وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، فسرّ ودعا لهم . [3]

[1] الإرشاد : ج 1 ص 65 .

[2] تاريخ دمشق : ج 42 ص 349 .

[3] تاريخ الطبري : ج 3 ص 131 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 169 .

[5] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 190 ح 666 .

[6] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 169 .

ونقلت أخبار أخرى أنّ الإمام عليه السلام اصطدم بقبيلة «مذحج» وهزمهم ، ثمّ دعاهم إلى الإسلام بعد هزيمتهم الثانية ، وجمع غنائم الحرب ، وسار بها وبصدقات نجران فالتحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله في موسم الحجّ . [1] ثمّ فوّض إليه السلام القضاء في اليمن ، ودعا له النبيّ صلى الله عليه وآله بالتّبات في قضائه [2] . و نقلت كتب التاريخ نماذج من قضائه في اليمن . والآن يمكن أن يثار السؤال الآتي : هل حدثت كلّ هذه الوقائع لعليّ عليه السلام في سفره واحدة أو في عدّة أسفار ؟ ! ينصّ ابن سعد على سافرتين له عليه السلام [3] . يضاف إلى هذا أنّ الأخبار المرتبطة باشتباكه مع قبيلة «مذحج» تدلّ على استقلال تلك «السريّة» . وفي النصوص المتعلّقة بذهاب الإمام عليه السلام إلى اليمن ، وكيفيّة تنفيذ هذه المهمّة الكبرى مناقب وفضائل مسجّلة له عليه السلام تجدها هنا .

41. الإمام عليّ عليه السلام : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْيَمَنِ وَقَالَ لِي : يَا عَلِيُّ ، لَا تُقَاتِلَنَّ أَحَدًا حَتَّى تَدْعُوهُ ، وَيَأْمُرَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ ! وَلَكَ وَلَاؤُهُ يَا عَلِيُّ . [4]

[1] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 169 .

[2] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 190 ح 666 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 169 .

[4] الكافي : ج 5 ص 28 ح 4 .

الفصل الثالث عشر : من أدعية النبيّ صلّى الله عليه وآله للإمام عليه السلام

أ - اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي عَلِيًّا أَخِي

42. رسول الله صلى الله عليه وآله : اللَّهُمَّ أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي مُوسَى : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ، عَلِيًّا [1] أَخِي ، أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ، كَيْ نُسَيِّحَكَ كَثِيرًا ، وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا . [2]

ب - اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ

43. رسول الله صلى الله عليه وآله : رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا ، اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ . [3]

44. عنه صلى الله عليه وآله : اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُ دَارَ . [4]

ج - اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ

45. رسول الله صلى الله عليه وآله - فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ :- مَنْ يَكُنِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلِيَاهُ فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ النَّاسِ فَكُنْ لَهُ حَبِيبًا ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ

[1] في المصدر: «عليّ»، والتصويب من بعض نسخ المصدر الخطيّة كما أشير إليه في هامش المصدر.

[2] فضائل الصحابة لابن حنبل: ج 2 ص 678 ح 1158 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ص 633 ح 3714 .

[4] الجمل : ص 81 .

45. رسول الله صلى الله عليه وآله - فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ - فَكُنْ لَهُ مُبْغِضًا . [1]

46. الإمام عليّ عليه السلام : وَجَعْتُ وَجَعًا ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَقَامَنِي فِي مَكَانِهِ وَقَامَ يُصَلِّي ، وَأَلْقَى عَلَيَّ طَرْفَ نَوْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ بَرَأْتَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ؛ مَا سَأَلْتُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا سَأَلْتُ لَكَ مِثْلَهُ ، وَلَا سَأَلْتُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَانِيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قِيلَ لِي : إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَكَ . [2]

[1] المعجم الكبير : ج 2 ص 357 ح 2505 .

[2] المعجم الأوسط : ج 8 ص 47 ح 7917 .

الفصل الرابع عشر : عروج النبيّ صلّي الله عليه وآله من صدر الوصيّ

كانت الأيام الأخيرة من عمر رسول الله صلى الله عليه وآله أياما عجيبة ، فقد كانت لعليّ عليه السلام أياما حافلة بالغموم ، زاخرة بالآلام ، مليئة بالمتاعب والمحن ، وكانت للسياسة آنذاك أيام عمل ، ومثابرة وتخطيط للاستحواذ على الخلافة وسعي لرسم السياسة القادمة ، وتفكير بالغد وبما يليه . . . أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتجهيز الجيش لحرب الروم ، فتعبّ الجيش وفيه وجوه بارزة ، وعقد صلى الله عليه وآله اللواء بنفسه ودفعه إلى أسامة بن زيد . وكان صغر سنّه قد شكّل ذريعة بأيدي الساسة للاعتراض عليه إخفاءً للبواعث الحقيقية التي كانت تدفعهم إلى التلكؤ والتباطؤ في الحركة في وقت كان النبيّ صلى الله عليه وآله على فراش المرض يعاني من الحمّى . ولمّا علم بتثاقلهم قام من فراشه ، وتوجّه نحو المسجد بجسمٍ محمومٍ ورأسٍ معسوب ، وأنبا المسلمين بالتبّعات الذميمة الشاذّة لفتورهم وتفاعسهم ، ثمّ قال : «أُنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ» . بيّد أنّ سياسة الدنيا حالوا دون الإنفاذ من خلال توقّف دام أكثر من خمسة عشر يوما . [1]

[1] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 189 - 191 .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوي اللحظات الأخيرة من حياته . ووهب الإمام عليّ عليه السلام درعه ، ولواءه ، وجعله وصيّ [1] ، ونقل إليه علومها لأخصى عبر نجوى طويّلة [2] . وبينما كان يلفظ كلمته الأخيرة : « لا ، مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » فاضت روحه المقدّسة الطاهرة وهو في حجر الإمام عليه السلام . وعرجت تلك الروح الزكيّة المطهّرة نحو الرفيق الأعلى من صدر حبيبه ونجيّه ورفيق دربه وحاميّه وحافظ سرّه والذابّ عنه بلا منازع : أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . [3] إنّ الإمام عليه السلام - والغمّ متراكم جاثم على صدره ، والعيون غبرى ، والقلب حزين ، مليء غصّة لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله - من يلي غسله والملائكة أعوانه ، والفضل بن عباس معه [4] . . . ثمّ كفّنه ، وكشف عن وجهه ، وبينما كانت دموعه تنهمر على خديّه ، ناداه بصوت حزين وهو يغصّ في عبرته ، والحزن يعصر قلبه : « يَا بَنِي أَنْتَ وَأُمِّي ، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا . . . » . وصلى على جثمانه الطاهر ، ثمّ صلى عليه الصحابة جماعة ، جماعة . ودفنه حيث فاضت روحه المقدّسة الشريفة [5] ، وعاونته على الدفن جماعة منهم أوس ابن خولّج ، والفضل بن عباس . [6]

47. الإرشاد : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُغَارِقُهُ [صلى الله عليه وآله] إِلَّا لِضَرُورَةٍ ، فَقَامَ فِي بَعْضِ شُؤُونِهِ ، فَأَفَاقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِفَاقَةً فَأَفْتَقَدَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ - وَأَزَاجُهُ حَوْلَهُ - : أَدْعُوا لِي أَخِي وَصَاحِبِي . وَعَاوَدَهُ الضَّعْفُ فَأَصَمَّتْ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : أَدْعُوا لَهُ أَبَا بَكْرٍ ، فَدَعِيَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَعَدَ

[1] الإرشاد : ج 1 ص 185 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 186 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 262 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 197 .

[5] الإرشاد : ج 1 ص 187 .

[6] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 291 و ص 301 .



47. الإرشاد : عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَلَمَّا فَتَحَ عَيْنَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : لَوْ كَانَ لَهُ إِلَهِي حَاجَةٌ لِأَفْضَى بِهَا إِلَيَّ . فَلَمَّا خَرَجَ أَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْقَوْلَ ثَانِيَةً وَقَالَ : أَدْعُوا لِي أَخِي وَصَاحِبِي . فَقَالَتْ خَفْصَةُ : أَدْعُوا لَهُ عُمَرَ ، قَدَعِي ، فَلَمَّا خَصَرَ رَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَانصَرَفَ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَدْعُوا لِي أَخِي وَصَاحِبِي . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : أَدْعُوا لَهُ عَلِيًّا ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ . قَدَعِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَوْمَأَ إِلَيْهِ ، فَأَكْبَّ عَلَيْهِ ، فَنَاجَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَامَ فَجَلَسَ نَاجِيَةً حَتَّى أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : مَا الَّذِي أَوْعَزَ إِلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ فَقَالَ : عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ ؛ فَتَحَ لِي كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ ، وَوَضَّعَنِي يَمَانًا قَائِمًا بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ ثَقَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَضِرَ الْمَوْتُ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَاضِرٌ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا قَرَّبَ خُرُوجَ نَفْسِهِ قَالَ لَهُ : ضَعْ رَأْسِي يَا عَلِيُّ فِي جِجْرِكَ ؛ فَقَدْ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا فَاضَتْ نَفْسِي فَتَنَاوَلْهَا بِيَدِكَ وَامْسَحْ بِهَا وَجْهَكَ ، ثُمَّ وَجِّهْنِي إِلَى الْقَبْلَةِ ، وَتَوَلَّ أَمْرِي ، وَصَلِّ عَلَيَّ أَوَّلَ النَّاسِ ، وَلَا تُفَارِقْنِي حَتَّى تُوَارِنَنِي فِي رَمْسِي ، وَاسْتَعِجْ بِاللَّهِ تَعَالَى . فَأَخَذَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأْسَهُ فَوَضَعَهُ فِي جِجْرِهِ ، فَأَغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَأَكْبَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَتَبْكُهُ وَتَقُولُ : 0 وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ يَمَانًا [1] الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ 0 فَفَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ : يَا بُنْتِي ، هَذَا قَوْلُ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ ، لَا تَقُولِيهِ ، وَلَكِنْ قُولِي : «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» [2] . فَبَكَتْ طَوِيلًا ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهَا بِالذُّنُوبِ مِنْهُ ،

[1] الْيَتَامَى : الْمَلْجَأُ وَالْغِيَاثُ . وَقِيلَ : هُوَ الْمُطْعِمُ فِي الشَّدَّةِ (النهاية : ج 1 ص 222) .

[2] آل عمران : 144 .

47. الإرشاد : قَدَّتْ ، فَاسْتَرَّ إِلَيْهَا شَيْئًا تَهَلَّلَ لَهُ وَجْهَهَا . ثُمَّ قَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيُذْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْيُمْنَى تَحْتَ حَنَكِهِ [1] ، فَقَاضَتْ نَفْسَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهَا ، فَزَفَعَهَا إِلَى وَجْهِهِ فَمَسَحَ بِهَا ، ثُمَّ وَجَّهَهُ ، وَغَمَّضَهُ ، وَمَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ ، وَاسْتَقَلَّ بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِهِ . [2]

48. كنز العمال عن حذيفة بن اليمان : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ ، فَرَأَيْتُهُ يَتَسَاءَلُنِي إِلَى عَلِيٍّ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُنَجِّيَهُ وَأُجْلِسَ مَكَاتَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، مَا أَرَاكَ إِلَّا تَعَبْتَ فِي لَيْلَتِكَ هَذِهِ ، فَلَوْ تَنَحَّيْتَ فَأَعْنَتَكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : دَعُهُ ؛ فَهُوَ أَحَقُّ بِمَكَائِهِ مِنْكَ . [3]

49. الإمام علي عليه السلام : لَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَقِي فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِهِ . وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ ؛ مَلَأَ يَهِيظُ ، وَمَلَأَ يَعْزُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْئَةً [4] مِنْهُمْ ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارِنَاهُ فِي صَرِيحِهِ . [5]

[1] الْحَنَكُ : بَاطِنُ أَعْلَى الْفَمِ مِنْ دَاخِلٍ . وَقِيلَ : هُوَ الْأَسْفَلُ فِي طَرَفِ مُقَدِّمِ اللَّحْيَيْنِ مِنْ أَسْفَلِهِمَا (لسان العرب : ج 10 ص 416) .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 185 .

[3] كنز العمال : ج 16 ص 228 ح 44266 .

[4] هي الكلام الخفي لا يفهم (النهاية : ج 5 ص 290 «هينم») .

[5] نهج البلاغة : الخطبة 197 .

القسم الثالث : جهود النبي صلّى الله عليه وآله لقيادة الإمام علي عليه السلام

المدخل : موقف النبي من مستقبل الرسالة

الفصل الأول : أحاديث الوصاية

الفصل الثاني : أحاديث الوراثة

الفصل الثالث : أحاديث الخلافة

الفصل الرابع : أحاديث المنزلة

الفصل الخامس : أحاديث الإمامة

الفصل السادس : أحاديث الإمامة

الفصل السابع : أحاديث الولاية

الفصل الثامن : أحاديث الهداية

الفصل التاسع : أحاديث العصمة

الفصل العاشر : حديث الغدير

الفصل الحادي عشر : غاية جهد النبي صلى الله عليه وآله في تعيين الولي

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

المدخل : موقف النبي من مستقبل الرسالة

الدين الإسلامي خاتم الأديان ، ورسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبيين ، والقرآن هو الحلقة الأخيرة في كتب السماء ، وبهذا فالإسلام شامل لكل زمان ومكان . لقد نهض النبي صلى الله عليه وآله بحمل راية دين اكتسب لون الأبدية ، لا يتخطاه الزمان ، ولن يقوى على طي سجل حياته وتجاوزه . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى يُعلمنا قانون الوجود وناموس الخليقة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنسان كبقية الناس ، له حياة ظاهرة محدودة ، وهذا القرآن يُعلن صراحة أنّ الموت يُدرّكه كما يُدرّك الآخرون : «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» . [1] وهو صلى الله عليه وآله يضطلع برسالة إبلاغ تعاليم الدين وهدى السماء ، كما يتبوأ أيضاً مسؤولية قيادة المجتمع وزعامته . ومن ثمّ فهو يجمع بين المرجعية الفكرية للأمة وبين القيادة السياسية . وعلى هذا سنكون أمام سؤال جادّ وخطير لا يمكن تخطيه بسهولة ، بالأخصّ بعد أن تحوّل إلى هاجس يُثير اهتمام أعلام المسلمين ومفكرهم على مرّ التاريخ ؛

[1] الزمر : 30 .

والسؤال هو : مادامت الحياة ستنتهي بهذا القائد الربّاني الغدّ بعد سنوات الدعوة والجهاد إلى الموت ، ومادام النبيّ سيرحل صوب الرفيق الأعلى مليّاً نداء ربّه ، فما الذي دبره لمستقبل هذا الدين الباقي على مدى الزمان ؟ وماذا فعل لتأمين مستقبل دعوته وضمان ديمومة رسالته ؟ هل حدّد خياراً خاصّاً للمستقبل أم إنّه لم يفكر بذلك قط ، وترك الأمر برمته إلى الأمّة ؟ كثرت كتابات المسلمين علماء ومحدّثين ومتكلّمين عن هذا الموضوع ، وانتهوا إلى نظريّات متعدّدة . وما يُلاحظ أنّ هذا الاتجاه التنظيريّ سعى إلى تثبيت وقائع التاريخ الإسلاميّ وتحويلها إلى معيار أشادوا على أساسه أصولاً ومركّزات . لكن أين تكمن الحقيقة ؟ ! يقضي التدبّر العميق في الموضوع ، ودراصة حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بشمول ، إلى أنّ الموقف النبويّ من مستقبل الرسالة لا يخرج عن أحد احتمالات ثلاث ، هي : 1 . إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أغضى عن مستقبل الدعوة ، وأهمّل الأمر تماماً من دون أن ينطق بشيء للأمة . 2 . إنّه صلى الله عليه وآله عهد بمستقبل الرسالة إلى الأمّة ، وأمر جيل الصحابة أن ينهض بمهمّة تدبير أمر الدعوة من بعده . 3 . إنّه صلى الله عليه وآله ارتكز إلى مبدأ النصّ الصريح في تدبير المستقبل ، والتخطيط لشؤون الرسالة ، ومن ثمّ أعلن صراحة عن الشخص الذي يتبوأ مسؤوليّة هداية الأمّة من بعده ، ويصطلح بدور قيادة المجتمع الإسلاميّ . لندرس الآن هذه الفرضيّات الثلاث ونتناولها من خلال البحث والتحليل :

الفرضيّة الأولى : السكوت إزاء المستقبل

تواجه هذه الفرضيّة فيصاً من الأسئلة ، منها : ما الذي دعا النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عدم التفكير

بمشروع محدّد لمستقبل الدعوة ؟ وما الذي أملى عليه السكوت عن مستقبل الأمّة ؟ ثمّ ما هي طبيعة الفكر الذي يمكن أن ينبثق منه موقف مثل هذا ، ويُفرّز لدى القائد مثل هذه السلبية ؟ يمكن تأسيس هذه السلبية وتفسيرها كموقف نبويّ مفترض ، على ضوء فرضيّتين مسبقتين يستوطنان ذهن القائد ويستجودان عليه . والآن لنستعرض المسبقتين الذهنيّتين المفترضتين ، كي نتبيّن قدر منطقيّتهما ، ومدى انسجامهما مع المعايير العقلانيّة :

1 . الإحساس بالأمن وانتفاء الخطر

بمعنى أنّ القائد لا يشعر بوجود أيّ خطر يدهم الأمّة ، وانتفاء أيّ تيّار يكون بمقدوره أن يُزلزل إيمان الناس ويؤثّر على قناعاتها ، ومن ثمّ فإنّ هذه الأمّة التي توشك أن تترث الرسالة الإسلاميّة ، ستنتجح في إيجاد مشروع لإدارة المجتمع ، وضمان ديمومة الرسالة . والسؤال : هل يصحّ مثل هذا التصرّو ؟ إنّ الوقائع الحقيقيّة لمجتمع الصدر الأوّل تُسفر بوضوح عن عدم صواب هذا التصرّو ، وأنّ هناك أخطاراً جذريّة جادّة كانت تتهدّد المجتمع الإسلاميّ آنئذٍ ، وتوشك أن تعصف بكيانه ، وهي :

أ - الفراغ القيادي

لم يكن قد مرّ وقت طويل على تأسيس الأبعاد الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة للمجتمع الذي أسّسه النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن ثمّ كان النبيّ القائد يمسك بنفسه أزمة الثقافة والسياسة والقضاء في هذا المجتمع .

على صعيد آخر حالت الحروب المتوالية وأجواء المواجهة الدائمة ، دون أن يتمكّن رسول الله صلى الله عليه وآله من تعميم ثقافة الرسالة ، ونفوذ معاييرها في واقع ذلك المجتمع ، وعلى مستوى جميع الأبعاد ؛ فما أكثر من حمل عنوان الصحة وهو لم يتوقّر بعدّ على تصوّر عميق ودقيق لمبادئ الدين ، ولم ينطو على معرفة وافية بشخصيّة النبيّ وأبعاد الرسالة . إنّ مجتمعاً كهذا حرّ به أن يواجه الزلزال ، ويصبح على شفا أزمة عاصفة في اللحظة التي يختفي بها القائد ، وتحيطه أجواء محمومة يكتنفها الاضطراب من كلّ جانب ، مجتمع كهذا حرّ به أن يفقد قدرته على اتّخاذ القرار الصائب ، ولا يلبث أن يقع في الشباك المترصّدة ، ومن ثمّ يصير طعمة سائغة للألعاب الساسة وأحابيلهم . فيا ترى ، هل يمكن مع هذا الواقع المتردّي - الذي سجّل له التاريخ أمثلة عمليّة كثيرة - أن نتصوّر الرسول القائد صلى الله عليه وآله يختار السلبية ، ويترك مثل هذا المجتمع للمجهول ، ويدع تحديد مصيره إليه ، دون أن يحمل همّ المستقبل !

ب - عدم نضج المجتمع

ركّزنا في نهاية النقطة السابقة على أنّ ورثة هذه الرسالة التغييريّة الشاملة لا يتمتّعون بقاعدة فكريّة وسياسيّة صلبة تسمح لهم أن يفكّروا بالمستقبل ، ويتدبّروا أمره بشكل هادئ رصين ؛ بقايا الجاهليّة لا تزال تملك أقداماً راسخة ، ولا تزال العصبانيّات القبليّة تستأثّر بنفوذ كبير في وجودهم . كما أشرنا إلى أنّهم لا يمتلكون الإدراك الكافي لمعرفة موقع رسول الله صلى الله عليه وآله والمكانة العليّة السامقة التي يحظى بها النبيّ ، فهم تارة ينظرون إليه بشراً عادياً

يتكلّم في الرضى والغضب [1]، وأخرى يَحْتَوِيه على التزام العدالة ! وثالثة تنقل عليهم قراراته وما يأتي به - عن السماء - من أحكام حتى يستريبوا في أصل الرسالة ! فبعد هذا كلّهُ ، هل من المنطقي أن يكلّ النبيّ القائد أزمّة الأمور ومستقبل الرسالة بيد مجتمع كهذا ، ثمّ يمضي قرير العين إلى ربّه !

ج - المنافقون والتيّارات الهدّامة من الداخل

اصطفّى كثيرون لمواجهة رسول الله صلى الله عليه وآله ومناهضة رسالته ، وهو في ذروة قوّته ، وفي أثناء ممارسته لحاكميّته . ومع أنّ هؤلاء كانوا يتظاهرون بالإيمان إلّا أنّهم في باطنهم كانوا يعارضون دين الحقّ ، ويسعون لإطفاء أنواره بكلّ ما أوتوا من جهد وقوّة . إنّ هذه المواجهة يمكن أن تعدّ أوسع مدّى وأشدّ وطأة من دائرة عمل المنافقين ؛ فهي تتخطّأها إلى تخوم أوسع كما تشهد على ذلك وقائع التاريخ ، وكما سنُشير إليه في حينه ، ومن ثمّ هل يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد أغضى عن ذلك ؟ وهل يجوز أن تتصوّر أنّ هذا القائد العظيم أهمل هذا - وغيره - وترك الأُمّة هملًا من دون تدبير ؟ ! ينبغي أن يضاف إلى هؤلاء تلك العناصر التي كانت حديثة عهد بالإسلام ، حيث لم تدخل هذا الدين إلّا بعد فتح مكّة ، فهؤلاء لم تترسّخ حقائق الدين في نفوسهم بعد ، ولم تتمكّن من وجودهم كما ينبغي . ومن ثمّ فهم عرضة للتغيير مع أوّل طارئ ، ويمكن أن تغدّفهم الأوضاع إلى طريق آخر ، كما أثبتت ذلك التيّارات التي عصفت بالحياة الإسلاميّة بعد النبيّ .

د - اليهود والقوى الأخرى والأخطار الخارجيّة

الإسلام دعوة انقلابيّة تتضمن الهدم والبناء ، فقد قوّضت حركة هذا الدين الأحابيل

[1] المستدرك على الصحيحين : ج 1 ص 187 ح 359 .

والخطط الشيطانيّة ، شيدت على أنقاضها بناءً جديدًا . لقد جاء النبيّ صلى الله عليه وآله برسالة تطمح أن تقود العالم ، وتكون لها الكلمة الأخيرة في الحياة الإنسانيّة ، ولمّا أدرك الأعداء هذا المعنى ، دخلوا في مواجهة حامية مع الدين الجديد سخّروا لها جميع قدراتهم ، ولم يكفوا عن مقارنته حتى الرمح الأخير . ولمّا تبين لهم أنّ لغة الصراع المباشر لم تعدّ تُغني شيئاً ، لجؤوا إلى المكيدة ، وراحوا ينسجون المؤامرة تلو الأخرى مكرّاً بهذا الدين . وهذا واقع معروف لا يستريب به من له أدنى معرفة بالتاريخ الإسلامي . أ فيجوز بعد هذه المواجهات الحادّة والصراع المرير مع اليهود والقبائل المشتركة وبقيّة القوى المعادية ، أن يجنح بنا الخيال فننصوّر بأنّ هؤلاء ركنوا إلى الهدوء ، وجنحوا إلى السلم ، ولم يعدّ لهم شأن بالإسلام ودعوته ؟ ! وهل يصحّ لسياسيّ فطن ، ولقائد كبّس وبصير أن يُغضي عن كلّ هذا الواقع العدائي المتشابك من حول دعوته ، ثمّ يمضي من دون أن يدبّر لحركته الفتنية برنامجاً يصونها ويؤمّن لها المستقبل ؟ ثمّ هل يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قائداً خاض جميع هذه المواجهات ، ثمّ يتصوّر أنّ أمته امتلكت من الصلابة ما يُحصنها من جميع هذه المكائد والأخطار ، بحيث لم يعدّ يخشى عليها من أحابيل هؤلاء ، وإنّ مكر هؤلاء وقوتهم قد تلاشت ولم تعدّ تؤلّف خطراً ذا بال ؟ !

2 . السليبيّة إزاء المستقبل

العنصر الثاني الذي يمكن أن يوجّه الفرضيّة الأولى ويقدم لها تفسيراً منطقيّاً ، هي أن نفترض أنّ النبيّ القائد يدرك الأخطار التي تحفّ دعوته ، ويتطلّع إلى أهميّة المستقبل بنحو جيّد ، لكنّه مع ذلك لا يحاول تحصين الدعوة ضدّ تلك الأخطار ، لأنّه يرى أنّ رسالته تنتهي بحياته ، وهو يتحمّل مسؤوليّتها مادام حيّاً ، فإذا لم يعدّ

بين الناس ، ولم يكن ثمّ خطر يهدّد حياته ، وإنّ ما يمكن أن تتعرّض له الدعوة من بعده لا يتعارض مع مصالحه الشخصيّة - وحاشاه - فلماذا يُبادر لحمايتها وتأمين مستقبلها ؟ بل ليدعها والأُمّة التي ترتبط بها بانتظار المصير المجهول ! ! يليق هذا التصوّر بقائد واقعي ، وسياسي فطن ورسالي مثابر ؟ ! فكيف يصدق هذا على رسول الله صلى الله عليه وآله ونفسه الطهور لا تعرف الراحة في سبيل إعلاء كلمة الله ، حتى تسليّبه السماء ، وبأنيته النداء الربّاني يدعوه إلى الهدوء : «طه * مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِيَشْقَى» [1] . وكيف يصدق ذلك على نبيّ الله ، وهذه السماء تجسّم معاناته وما يبذله في سبيل هداية الناس : «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» . [2] أ ويجوز أن يخامرنا مثل هذا التصوّر الذي يفترض السليبيّة واللامبالاة ، وقد بلغ من تغاني رسول الله صلى الله عليه وآله وتضحيتيه من أجل الرسالة أنّه لم يترك تدبير أمرها إلى آخر لحظة من حياته ، حيث كان ينادي بتجهيز جيش أسامة ويحثّ عليه وهو على فراش الموت وقد ثقل عليه المرض ؟ ! أ ولا تكفيّا رزيّة «يوم الخميس» وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر لحظات حياته أن يأتيه بدواة وقلم كي يكتب للأُمّة كتاباً لن تضلّ بعده أبداً ، لنكتف عن هذا التصوّر الواهي ، ونعدّ ما بُزعم من سكوتة عن مستقبل الأُمّة جرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وآله ودعوى واهية لا تليق بمقام هذا العظيم ، وحريّ بنا أن ننزّه ساحته عنها وعن أمثالها ؟ ! على ضوء ذلك كلّهُ ، ليس من الممكن افتراض الموقف السلبي بحال من

[1] طه : 1 و 2 .

[2] التوبة : 128 .

الأحوال . وهكذا تسقط الفرضية الأولى .

الفرضية الثانية : إيكال المستقبل إلى الأمة

وهي أن نؤمن بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يعيّن للأمة قائد المستقبل ، بل عهد قيادة الرسالة والقيمومة عليها إلى الأمة ، لكي يحدّد الجيل الطليعي من المهاجرين والأنصار طبيعة هذا المستقبل على أساس نظام الشورى . والسؤال : هل يمكن الإقرار بهذا التصوّر ؟ وإلى أيّ مدى يتطابق مع الحقيقة ؟ هناك عدد من النقاط التي تحفّ هذه الفرضية الغريبة ، يمكن الإشارة لها كما يلي : أ - لو كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد اتخذ من مستقبل الأمة والرسالة مثل هذا الموقف ، لكان حريّاً به أن يقوم بعملية توعية للأمة بطبيعة نظام الشورى وحدوده ومكوناته وضوابطه ، والسبيل إلى تطبيقه وكلّ ما يمتّ إلى الموضوع بصله ، بالأخصّ وإنّ ما يزيد في أهميّة هذه العملية أنّ المجتمع لم يكن قد عرف - حتى ذلك الوقت - نظام الشورى ، ولم تكن قد تمّت تجربته في بنية الحكم وهيكلته ، فهل من المنطقيّ أن نزعّم أنّ النبيّ القائد صلى الله عليه وآله أحال الأمة في خيارها المستقبلي ، وطبيعة القيادة التي تنتظرها ، إلى أسلوب غائم غير واضح ، وغير محدّد المعالم والتفاصيل ! على أنّ الذي يدحض هذا التصوّر ويستبعده تماماً هو موقف التيّار الذي طالب بالخلافة ، ثمّ تبوّأ مقعدها ؛ فكّل الأرقام والشواهد في حياة هؤلاء تدلّ بصورة لا تقبل الشكّ أنّ أيّ واحد من هؤلاء لم يستند إلى الشورى كميّرات نبوي ، ولم يستدلّ على صحّة موقفه بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي اختار نظام الشورى للأمة من بعده ، وليس في حياتهم ما يُبنى عن إيمانهم بالشورى وممارستهم لها عمليّاً ، فأبو بكر اتّجه إلى «النصب» في تعيين البديل الذي يخلقه ، أمّا عمر بن الخطّاب فلم يلجأ إلى

خيار الشورى السداسيّة إلّا بعد أن دفعته الضرورة لذلك ، حيث لم ير البديل المناسب ؛ وفي ذلك يقول وهو على فراش الموت : «لو أدركني أحد رجّلين ثمّ جعلتُ هذا الأمر إليّ ، لو تقيتُ به ؛ سألِم مولى أبي خديجة ، وأبو عبيدة بن الجراح» [1] ، وقال «لو كان سألِم حياً ما جعلتها شوري» [2] ، وقال : «لو أدركتُ أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورتُ» . [3] بهذا يتّضح أنّ هذه النظرية لا تمتّ إلى واقع النبيّ صلى الله عليه وآله و آله بصله ، بل هي ممّا أنتج بعد ذلك بزمان ، وتمّ صياغتها بمرور الوقت لتبرير ما وقع في صدر التاريخ الإسلاميّ وتصويبه ، ومن ثمّ فهي أقرب إلى تنظير ما بعد الوقوع ! ب - لو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد فكّر بطرح الشورى كخيار للمستقبل ، ولو أنّه أراد إسناد المرجعيّة الفكرية للرسالة والقيادة السياسيّة للأمة إلى جيل الصحابة ، لتحقّق أن يعيّن هذا الجيل تعبئة فكرية ورساليّة مكثّفة لكي يعدّه للمهمّة التي تنتظره ، بالأخصّ إذا لاحظنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد بشرّ بسقوط تيجان كسرى وقيصر ، وإنهيار الإمبراطوريتين : الفارسيّة والروميّة ، وأنّ رسالته ستمتدّ في الزمان والمكان من دون أن تعرف الحواجز والحدود . فهل كان الصحابة على مستوى من الدراية والعلم يؤهلهم للنهوض بهذه المسؤوليّة الكبيرة ؟ ما هي الحقيقة ؟ وهل يمكن أن تصوّر الصحابة على مستوى النهوض بهذه المسؤوليّة ؟ هذا سؤال خطير لآح لكثيرين ، ولا يمكن تجاوزه ببساطة ؛ لأنّ الإغضاء عنه يمتّ عن ضرب من السذاجة واللامبالاة في الأصول العقديّة .

[1] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 54 ح 129 .

[2] أسد الغابة : ج 2 ص 383 الرقم 1892 .

[3] المستدرک علی الصحیحین: ج 3 ص 300 ح 5165 .

لقد كان الباحث مروان خليفات وواحداً من الذين لاح لهم هذا السؤال ، فدفعه إلى البحث والتأمّل . ثمّ أثمرت جولته التي دفعته إلى النصوص الحديثيّة والتاريخيّة ، وأسفرت عن نتيجة مهمّة جدّاً جديرة بالقراءة ، حيث خصّص لها الفصل الثالث من الباب الثاني من كتابه . وهذه خلاصة مكثّفة لما انتهى إليه : الصحابة يُقلّون السؤال ، ولا يروون إلّا قليلاً ممّا سمعوه . وقد بذلوا جهدهم في منع تدوين الحديث ، والحووّل دون انتشاره . بالإضافة إلى أنّهم لم يتلقّوا من رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا حقائق قليلة ، لانشغالاتهم الكثيرة ؛ حيث صرحوا بأنفسهم أنّهم كان يخطّون في النقل ؛ فهم تارة ينقلون شطراً من الحديث ، وتارة يأخذون الحديث عن مخبر وينسبونه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وآله ، وثالثة ينسبون ما سمعوه وقد صرّحوا بذلك ، ورابعة يخطّون في الجواب ثمّ يرجعون إلى الحقّ بتذكير الآخرين وهكذا . كما انتهى حال الصحابة إلى أنّ بينهم منافقين كما هو عليه صريح القرآن ، ومنهم من ارتدّ على عقبيه ، ومنهم من يساق إلى النار كما جاء في صريح الصحيحين ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وآله . أ وبعد هذا يقال إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أسند المرجعيّة الفكرية والقيادة السياسيّة إلى هذا الجيل ، وجعله القيم على رسالته ، والمؤتمن على الكتاب ؟ ! على ضوء هذا كلّ لا ينبغي أن نتردّد لحظة في أنّ أطروحة إيكال أمر المستقبل إلى الأمة أو نُخبها ، وقصة إسناد المرجعيّة الفكرية والسياسيّة إلى الصحابة ، لهما

[1] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 54 ح 129 .

[2] أسد الغابة : ج 2 ص 383 الرقم 1892 .

[3] المستدرک علی الصحیحین: ج 3 ص 300 ح 5165 .

[4] صحیح البخاری : ج 6 ص 2676 ح 6920 .

أطروحة نشأت بمرور الزمن ؛ لتصويب الوقائع المُرّة التي عصفت بالحياة الإسلاميّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وليس لها منشأ قط أو أساس يدلّ عليها في نصوص رسول الله صلى الله عليه وآله وحياته . وبهذا تسقط الفرضيّة الثانية .

الفرضيّة الثالثة : تحديد المستقبل والنصّ على الخلافة

هي أن نؤمن بأن رسول الله اتخذ موقفاً إيجابياً من مستقبل الرسالة ، وعاش قضية هذا المستقبل بمسؤوليّة كبيرة ، بحيث اختار من يخلفه في القيمومة على الرسالة وخلافة الأمّة . وما واقعة الغدير وما جرى فيها ، ونصوص تلك الخطبة العصماء التي ألقاها بها النبيّ على جموع المسلمين ، إلّا تصريحاً وتأكيداً لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعلنه قبل ذلك مرّات من ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإمامة هذا المجاهد العظيم . [1] لقد اختاره النبيّ منذ أيّام حياته الأولى ، فنشأ في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتربّى في حجره وتحت رعايته دون أن يدّس الشرك لحظةً من حياته الطاهرة . على أنّه ليس أدلّ على هذه النشأة النظيفّة من كلام عليّ عليه السلام نفسه ، وهو يقول : «وقد علّمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة . وضّعتني في حجره وأنا ولدٌ ، يضمّني إلى صدره ، ويكفّني في فراشه ، ويضمّني جسده ، ويضمّني عرقه . وكان يمصّغ الشيء ثمّ يلعقني به ، وما جدّ لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرّن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان قطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليّله ونهاره .

[1] اقتبسنا أنوار هذا التحليل العقلي من الكتاب القيم «نشأة التشيع والشيعة» : ص 23 - 56 للمفكر الفقيه آية الله العظمى الشهيد السيّد محمد باقر الصدر ، مع إيضاحات كثيرة ممّا وعزوا النقول إلى مصادرها .

ولقد كنت أتبعه إتياع الفصل أثر أمّيه ، برقع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقدياء به . ولقد كان يجاور في كلّ سيرةٍ بحراً ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وحديجة وأنا ثالثهما ؛ أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمّ ريح النبوة . ولقد سمعت رثة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت : يا رسول الله ! ما هذه الرثة ؟ فقال : هذا الشيطان قد أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلّا أنّك لست بيني ، ولكنك لوزير ، وإنك لعلّ خير . [1] إن الأحاديث النبويّة التي تصرّح بإمامة عليّ بن أبي طالب وولايته ، هي من الشمول والکثرة بحيث لا تدع مجالاً للاستراية والشكّ . فنبیّ الله لم يصدع بـ «حقّ الخلافة» للإمام ولـ «خلافة الحقّ» هذه مرّة واحدة أو مرّتين ، بل فعل ذلك عشرات المرّات بالإشارة وبالصرّاحة ، وحدّد مشروعاً واضحاً لمستقبل الأمّة وعد الرسالة ، على مرأى من المسلمين جميعاً . لقد امتدّت عمليّة إعلان هذا الحقّ العلويّ والإجهار به ونشره إلى أبعد مدى ، لتستوعب من حياة النبيّ جميع سنّيه عمره في تبليغ الرسالة ، حتى بلغت في واقعة الغدير ذروتها القصوى ، واستقرّت على قمّتها الشاهقة . إنّ من يتأمّل هذه المواضع بأجمعها (ممّا سيأتي توثيقه في هذا الفصل مختصراً) لا يستريب لحظة في أنّ إمامة الأمّة وقيادة المستقبل ، لهي في طليعة شواغل النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله ، وهي بنظره المهمّة الأولى التي لا تتقدّمها مهمّة . لهذا ما وجد فرصة مواتية إلّا وأعلن فيها هذه الحقيقة ، وما وجد موضعاً مناسباً إلّا وأفاد منه في إبلاغ هذا الأمر الإلهي .

[1] اقتبسنا أنوار هذا التحليل العقلي من الكتاب القيم «نشأة التشيع والشيعة» : ص 23 - 56 للمفكر الفقيه آية الله العظمى الشهيد السيّد محمد باقر الصدر ، مع إيضاحات كثيرة ممّا وعزوا النقول إلى مصادرها .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[3] ذكرت وثائق وأدلة كثيرة تخصّ هذا الموضوع في موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقد أوجزناها في هذا الكتاب ، للاطلاع على المزيد راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث / جهود النبي صلى الله عليه وآله لقيادة الإمام عليّ عليه السلام) .

لقد استندنا في هذا الفصل على وثائق ومدونات ونصوص تعود إلى كتب الفريقين في الحديث والتاريخ والتفسير . [1] ثمّ سنبدأ البحث التحليلي في هذا المدخل منذ بدايات الرسالة ، وأوائل أيام رسول الله صلى الله عليه و آله ، حتى نبليغ به يوم الغدير كما سلّفت الإشارة إلى ذلك . وعند الغدير سنعيد عرض مكوّنات المشهد مجدّداً ، ونمارس العرض والتحليل على ضوء معطيات الرواية والدراية معاً . هذه لمحة موجزة عن خطة العمل ، ودونكم التفاصيل في بيان أهمّ المساعي النبويّ لقيادة الإمام عليّ عليه السلام :

[1] اقتبسنا أنوار هذا التحليل العقلي من الكتاب القيم «نشأة التشيع والشيعة» : ص 23 - 56 للمفكر الفقيه آية الله العظمى الشهيد السيّد محمد باقر الصدر ، مع إيضاحات كثيرة متّاعزوا النقولات إلى مصادرها .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[3] ذكرت وثائق وأدلة كثيرة تخصّ هذا الموضوع في موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقد أوجزناها في هذا الكتاب ، للاطلاع على المزيد راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث / جهود النبي صلى الله عليه و آله لقيادة الإمام عليّ عليه السلام) .

1 . حديث يوم الإنذار

نزل أمر السماء إلى رسول الله صلى الله عليه و آله يأمره أن يدعو عشيرته إلى الإسلام «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [1] ، فدعا النبيّ عشيرته ، ولما اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه و آله ، راح يعدّهم لتلقّي ما دعاهم إليه ، وبعد مقدّمات أبلغهم دعوته ، ثمّ انعطف يقول : «قَاتِلُكُمْ يُؤَاوِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ» [2] ، وفي بعض النصوص التاريخيّة : «خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي» . لم يلبّ للنبيّ صلى الله عليه و آله دعوته من الحاضرين غير عليّ بن أبي طالب الذي وثب من بين الجمع مجيباً النبيّ ؛ فما كان من رسول الله صلى الله عليه و آله بعد أن سمع جواب عليّ ، إلّا أن قال على مسمع من الملا : «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ ؛ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا» . [3] وهكذا أعلن النبيّ ولاية عليّ بن أبي طالب وإمامته والدعوة لم تزل في أول يوم من أيام مرحلتها العلنيّة . لقد فهم الحاضرون في ذلك اليوم مغزى هذه الرسالة بوضوح ، وأدركوا تماماً من كلام النبيّ صلى الله عليه و آله إمامة عليّ ولزوم طاعته ، لذلك انبرى

[1] الشعراء : 214 .

[2] المناقب لابن شهر آشوب : ج 1 ص 306 .

[3] نفس المصدر .

بعضهم مخاطباً أبا طالب : «قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لِابْنِكَ وَتُطِيعَ!» [1] ، بيد أنّهم عتّوا واستكبروا وأخذتهم العزّة بالإثم ، فأنفوا أن يستجيبوا للحقّ ، وأنّ يدعّوا إليه .

2 . أحاديث الوصاية

تهدف الوصاية إلى الحفاظ على الدين وديمومة النهج والطريق ، وهي بهذا اللحاظ سيرة مضي عليها جميع رسل السماء . وفي إطار إشارته إلى هذه الحقيقة في مواضع متعدّدة ومناسبات مختلفة ، سجّل رسول الله صلى الله عليه و آله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام موقعه في الوصاية ، فكان ممّا قال : «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيّاً وَوَارِثاً ، وَإِنَّ عَلِيّاً وَصِيّاً وَوَارِثِي» . [2] لقد بلغت أحاديث رسول الله صلى الله عليه و آله حيال عليّ عليه السلام في هذا المعنى حدّاً من الكثرة بحيث أمسى لفظ «الوصي» نعتاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وصفة يُعرف بها دون لبس أو غموض . حتّى ورد في تاج العروس : «الْوَصِيُّ - كَغَيِّ - : عَلَى لَقَبِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» . [3] وعندما كان يُطلق مصطلح «الوصي» في الأحاديث والكلام والأشعار كانت الغالبية من مسلمي صدر الإسلام تفهم منه دلّالته على الإمام عليّ عليه السلام من دون تردّد ، ومن ثمّ دلّالته بالضرورة على الخلافة والإمامة . [4] ثمّ جاء الدور لبنى أميّة ، الذي يبدو أنّهم بذلوا جهوداً كبيرة علّهم يطمسوا هذا العنوان الوضيّ ويزيلونه عن الإمام ، ويأباعدون بينه وبينه ، فكم بذلوا في سبيل هذا الغرض المنحطّ ، وكم وضعوا من الأحاديث [5] ، لكن أنّى للحقّ أن يُقهر بحراب أهل

[1] ولمزيد الاطلاع على تفاصيل واقعة يوم الإنذار أو يوم الدار في المصادر التاريخيّة ، راجع : تاريخ الطبري : ج 2 ص 319 والصحيح من سيرة النبيّ الأعظم : ج 3 ص 61 حيث رصد عدداً كبيراً من مصادر هذه الواقعة .

[2] تاريخ دمشق : ج 42 ص 392 ح 9005 .

[3] تاج العروس : ج 20 ص 297.

الباطل !

3 . أحاديث الوراثة

ألفَ الذهن الإنساني على الدوام عناوين «الإرث» و «الميراث» و «الوراثة» ، بحيث استوعبت هذه الحقيقة الأمور المادية والمعنوية ، والناس تُظهر دهشتها - في العادة - لإنسان يسكت عن كيفية التصرف بتركته من بعده ، وما يتركه الناس يتمثل تارة بالأمور المادية وأخرى بالأمور والموارث المعنوية . لقد جرت سنة الإرث ، وتواضع الطبع الإنساني في هذا المجال على وجود الوارث والمؤمن ، من دون أن يُنكر ذلك أحد ، بل التقى الناس على امتداح هذه السنة مهما كانت انتماءاتهم الحضارية والثقافية والفكرية . فتعالوا الآن لننظر ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بميراثه العظيم ، وهو خاتم النبيين ، وحامل آخر رسالات السماء ، ومبلغ دين أبيدي يتراعى امتداداً فوق حدود المكان والزمان . إلامَ عهد بأمر هذا الدين من بعده ؟ هل أوصى الله سبحانه رسوله الكريم أن يعهد بالأمر إلى شخص محدد ؟ إن أخبار «الوراثة» ونصوصها هي جواب حليّ على هذا السؤال المهم ؛ فقد راج رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يُخبر تارة بأن اختيار الوارث هي سنة جرى عليها جميع النبيين قبله ، ومن ثمّ يتحمّ عليه بوصفه خاتم المرسلين والحلقة الأخيرة في نبوّات السماء ، أن يختار وارثه ، كما تحدّث أخرى وبصراحة على أنّ وراثته تكمن بالإمامة والعلم . وهذا الموقع هو ما أكّد عليه الصحابة أيضاً منذ ذلك العصر ؛ حيث صاروا يُظهرون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وتصريحه بهذه الحقيقة في مناسبات ومواضع ومناسبات مختلفة ، كما كانوا أحياناً يُشيرون في كلامهم إلى عليّ بن أبي طالب بموقع الوراثة ومقام الوارث ، من ذلك : سأل عبد الرحمن بن خالد قثم بن العباس : من أين ورث

عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : إنّه كان أولنا به لحوقاً ، وأشدّنا به لزوقاً . لقد ضمّ فصل «أحاديث الوراثة» النصوص الروائية والتاريخية التي تفصح عن هذه الحقيقة من كتب الفريقين ، وهي تُشير إلى الكلمات النبوية التي ذكر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله صراحة أنّ عليّاً وارثه ؛ وارث علمه وخرانته ومكنون معرفته ، ومن ثمّ فهو بالضرورة إمام الأمة ورمز مرجعيتها الفكرية والسياسية .

4 . أحاديث الخلافة

«الخلافة» هي أيضاً تعبير قرآني ، ومصطلح ديني يُشير بوضوح إلى الاستخلاف في الأبعاد المختلفة إلّا إذا استثنى بُعد . وهذا ما يفسّر لنا الجهود الحثيثة التي بذلها الذين أمسكوا بأزمة أمور المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله ، وما بذلوه من مساعٍ جبّارة كي يلبسوا هذا الرداء ، ويُحكموه على قاداتهم . كان رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله قد صرّح بخلافة عليّ بن أبي طالب منذ الأيام الأولى لإعلان دعوته وإجهازه برسالة السماء ؛ هذا التصريح الذي يمكن تلمّسه في أحاديث كثيرة قالها النبيّ في مواضع متعدّدة ، ومواقع مختلفة ، وهي تُشير إلى حدود هذه الخلافة . وهذا الجهد النبوي يكشف عن مدى عناية رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بمستقبل الأمة ، واهتمامه الكبير بمصير الرسالة من بعده .

5 . أحاديث المنزلة

من بين أعظم الصفات التي تحلّ بها النبيّ صلى الله عليه وآله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ومن أكثر العناوين النبوية ألقاً - ممّا أطلقه النبيّ على الإمام أمير المؤمنين - هو عنوان «المنزلة» ، حيث ساوى النبيّ عليّاً بنفسه ، ووصفه أنّه مثله في القيادة . هذه المجموعة من الأحاديث النبوية تشتهر بين العلماء والمحدّثين بأحاديث المنزلة ،

وذلك انسجاماً مع صريح ما يقضي به الكلام النبوي في هذا المضمار . لقد عبّر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله عن هذا الموقع الرفيع الذي حظى به الإمام أمير المؤمنين بصيغ متعدّدة، مثل قوله: «أنت مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» . [1] كما صدع بهذه الحقيقة وأعلنها على المسلمين مرّات ومرّات ؛ ليكون بذلك قد أوضح للجميع - وللتاريخ أيضاً - مساواة عليّ وممائلته له في القيادة . وكان من بين المواضع التي أعلن فيها النبيّ هذا الكلام المعجز حول عليّ ، غزوة تبوك . ففي ظلّ أوضاع صعبة ومُضنية جَهّز النبيّ جيشاً كبيراً ، ثمّ خرج من المدينة قاصداً أن يقاتل به الروم . لقد كانت تبوك هي أقصى نقطة قصدها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله في حروبه ، وأبعدّها عن المدينة جغرافياً . وفي المدينة حيث كان يعيش النبيّ استطاع النفاق أن يتبلور آنذاك في إطار حركة منظّمة ، راحت تترصد الوضع بصور موبوءة بالحق والضعيفة ، وتخطّط بخفاء كي تنفضّ على المجتمع الإسلامي الفتى بضربة قاصمة . لقد غادر النبيّ

المدينة في سفر طويل ، وهو يتوجّس خيفة من فتن المنافقين وكيد الحاقدين ، فماذا يفعل ؟ وكيف يؤمّن وضع المدينة وبطمئن عليها ؟ اختار صلى الله عليه وآله أن يبقى علياً في المدينة ، يخلفه في أهله ، ويصون له دار هجرته ومن بقي من قومه . هكذا مضى الأمر . وعندما رأى المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، أنّ خطّتهم تلاشت بوجود عليّ كما تتلاشى خيوط العنكبوت ، وأحلامهم ضاعت ببقاء الإمام أمير المؤمنين في المدينة ، راحوا يرجفون بأنّ النبيّ ما ترك عليّاً في المدينة إلّا لموجدة عليه ، وأنّه لو كان له به غرض لما خلّفه على النساء والصبيان !

[1] الكافي : ج 8 ص 107 ح 80 .

[2] الكافي : ج 8 ص 107 ح 80 .

[3] شرح الأخبار : ج 2 ص 195 .

راحت شائعات حركة النفاق تزحم أجواء المدينة ، وصارت أراجيفهم تحاصر عليّ بن أبي طالب . ليث الوغى وفارس ساحات الجهاد . وتنهال عليه من كلّ حذب وصوب ، فماذا هو فاعل أمير المؤمنين ؟ سرعان ما لحق برسول الله صلى الله عليه وآله وقصّ عليه أراجيف المنافقين ، فما كان من النبيّ الأقدس إلّا أن تحدّث إلى عليّ بما يكشف عن حظوة كبيرة عند النبيّ ، ومكانة لا تُدانيها مكانة أحد من العالمين ، فقال له بفيض حنان : «إرجع يا أخي إلى مكانك؛ فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك ؛ فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي ، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارونَ من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ؟» . [1] بصراحة لا يشوبها لبس سجّل النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام جميع ما له من مناصب ومواقع ومسؤوليّات ما خلا النبوة ، وأوضح دون أدنى شائبة أنّ الإمام أمير المؤمنين هو الذي يجسّد عملياً ديمومة الخطّ النبوي ، وينهض بمسؤوليّات النبيّ عند غيابه ، في زعامة الأمة وقيادتها ، وممارسة المرجعية الفكرية والعلمية للرسالة الإسلامية . تسجّل بعض النصوص التاريخية أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خاطب عليّاً بهذه الجملة صراحة : «إنّه لأبَدّ من إمامٍ وأميرٍ ؛ فأنا الإمامُ ، وأنتَ الأميرُ» . [2]

6 . أحاديث الإمارة

حثّ القرآن جميع المؤمنين ودعاهم بصراحة تامّة إلى إطاعة «أولي الأمر» [3]؛ حيث جعل إطاعة هؤلاء واتباعهم رديفاً لإطاعة الله وإطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله . والسؤال : من هم مصداق «أولي الأمر» ؟ أ فيجوز أنّ نعدّ الطغاة والجبارين المحترفين - الذين

[1] الكافي : ج 8 ص 107 ح 80 .

[2] شرح الأخبار : ج 2 ص 195 .

[3] إشارة إلى الآية 59 من سورة النساء .

يتستّمون السلطة متّخذين جماجم الأبرياء سلماً يرقون به إلى مسند العرش - مصداقاً لأولي الأمر ؟ أبداً لا يجوز هذا . فلا ريب أنّ مصداق «أولي الأمر» ينطبق على أولئك الذين يعيشون حياتهم على نهج نبوي وضّاء ، ويبدلون وجودهم لله ، وفي سبيل الله ، ويُفنون أعمارهم من أجل إعلاء كلمة الحقّ ، وبسط العدالة في ربوع الحياة . وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يتبوأ من هذا العنوان ذروته العليا ، ويقف على أقصى نقطة من قمّته الشاهقة ، كما تفصح عن ذلك الكثير من الأحاديث النبوية ؛ تلك النصوص الوضّاء الموحية التي تبعث على الدهشة والجلال . دعونا نتخطّى ذلك إلى ما هو أبعد منه مدى وأعماق أثراً ؛ فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله اختصّ عليّ بن أبي طالب وحده بلقب «أمير المؤمنين» ؛ فلا يحقّ هذا اللقب لأحدٍ غيره قط كما نصّ على ذلك صراحة النهي النبوي . ولدينا فيض من النصوص التي تتحدّث عن هذا المعنى ، وهي من الكثرة بحيث صتّف من بعضها السيّد الأجلّ ، قدوة السالكين ، وأسوة العابدين وجمال العارفين رضي الدين عليّ بن طاووس الحلّي كتاباً أطلق عليه عنوان : «اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المؤمنين» ، والملاحظ أنّ هذه الأحاديث النبوية تذكر الإمام عليّ بلقب «أمير المؤمنين» مرّة ، ولقب «أمير البررة» ثانية ، و«أمير كلّ مؤمن بعد وفاتي» ثالثة . وهذا الإمام الحسن عليه السلام بشرط على معاوية في معاهدة الصلح أن لا يتسمّى بـ «أمير المؤمنين» ولا يُطلق على نفسه هذا اللقب . {-2-}

[1] إشارة إلى الآية 59 من سورة النساء .

[2] علل الشرائع : ص 212 ح 2 .

7 . أحاديث الإمامة

«الإمام» في المعنى اللغوي هو المتقدم ، والمقتدى به ، وقائد القوم ، ورئيس القبيلة [1] ، وهو في الثقافة القرآنية والدينية - دون شك - قائد الأمة في مختلف الأبعاد ، وزعيم الأمة في إدارة أمور المجتمع . هذه الحقيقة يمكن تلمسها في الرسالتين المتبادلتين بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية . لقد تحدّث الإمام في إطار رسالة مطوّلة عن موقعه وموقع أهل البيت عليهم السلام ، وذكر بوصايته عن النبيّ ، وخلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فما كان من معاوية إلّا أن قال في الجواب نصّاً : «ألا وإنا ما كان محمد رسول الله من الرسل إلى الناس كافة ، فبلغ رسالات ربه ، لا يملك شيئاً غيره !» وهذا النصّ يحصر وظيفة النبيّ بالتبليغ فقط ؛ فهو مبلغ رسالة لا أكثر ، وليس بإمام ، ولا زعيم ، ولا قائد ، ولا رجل سياسة ، ولا أيّ شيء آخر . فردّ الإمام عليّ عليه السلام على كلام معاوية الذي أنكر فيه بقية شؤون النبيّ ، وفي الطليعة شأنه كإمام ؛ ردّ عليه بصراحة مسفرة ، وهو يكتب : «والذي أنكرت من إمامة محمد صلى الله عليه وآله ، زعمت أنّه كان رسولاً ولم يكن إماماً ؛ فإنّ إنكارك على جميع التبيين الأئمة ، وليكنّا تشهد أنّّه كان رسولاً نبياً إماماً» . [2] يُسفر هذا الحوار المتبادل في الرسالتين عن موقع الإمامة في الفكر الإسلامي ، وهو إلى ذلك يكشف عن الأسباب الكامنة من وراء عدا بني أمية لهذا العنوان . على ضوء هذا التوضيح يمكن أن ندرك الآن عمق الأخبار والأحاديث الكثيرة

[1] العين : ج 8 ص 428 .

[2] الغارات : ج 1 ص 203 .

التي أكّد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، من بينها قوله : «يا عليّ ، أنت وصيّ وخليفتي وإمام أمتي بعدي» أو قوله : «أنت إمام كلّ مؤمن ومؤمنة ، ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي» وغير ذلك من النصوص التي جاءت تأكيداً وإلغافاً لدينومة الإمامة في وجود عليّ بن أبي طالب .

8 . أحاديث الولاية

من العناوين البارزة التي جاءت بها الروايات ، وأكّدها أيضاً آيات تفسّر أحاديث حيال عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، هو عنوان «الوليّ» . لا جدال في أنّ استعمال مادة «و ل ي» بمعنى القيم ، والقائد ، والزعيم ، والأولى بالتصرّف ، والأحقّ بالقيمومة والأمر ؛ هو أمر شائع الاستعمال في الأدب العربي ، كما سنشير إلى ذلك أثناء دراسة حديث الغدير وتحليله . إنّ النصوص التي تضمّنت إطلاق رسول الله صلى الله عليه وآله على و آله عنوان «الوليّ» و «الولاية» على عليّ بن أبي طالب ، فهي كثيرة في الحديث والأخبار النبوية ، فلطالما أشار النبيّ إلى عليّ بهذا الوصف الجليل في مواضع كثيرة ، وما أكثر المواقع التي عرض بها هذا العنوان المثير للانتباه . فخطاب النبيّ بهذه الصيغة : «يا عليّ ، أنت وليّ الناس بعدي ؛ فمن أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني» [1] تردّد كثيراً بحيث امتلأت منه مصادر أهل السنة ومدوناتهم الحديثية ، وقد أوردنا شطراً مهماً منها في ظلّ عنوان «أحاديث الولاية» . [2] إنّ هذه الأحاديث - بالأخص حين تأتي بقيد «من بعدي» - لا تدع مجالاً للشكّ

[1] الأمالي للمفيد : ص 113 ح 5 .

[2] لمزيد الاطلاع عليها ؛ راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث / جهود النبيّ صلى الله عليه وآله لقيادة الإمام عليّ عليه السلام / الفصل السابع : أحاديث الولاية) .

في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد حدّد من خلال ذلك طبيعة المسار السياسي الذي يخلقه ، وأوماً بوضوح إلى القيادة السياسية التي تتسمّ الأمور من بعده .

9 . أحاديث الهداية

إمامة الأمة هي هداية الناس إلى المنزل المقصود ، وتوجيهها صوب المقصد الأعلى ، وسوقها لتقاء الكمال الإنساني الميسور . وعلى هذا ، أ فيمكن لمن لم يتوقّر على الهداية الكاملة ، ولم يعيش الدين إدراكاً عميقاً في وجوده أن يأخذ بيد المجتمع صوب تلك الهداية ؟ أو يكون لمن لا يهتدي إلّا أن يهدى أن يتبوأ هذا الموقع ؟ لقد أوضح النبيّ أنّ هادي الأمة والإمام الذي يأخذ بيد المؤمنين إلى برّ الأمان في المستقبل هو عليّ بن أبي طالب . فأمر المؤمنين عليه السلام هو الذي يسوق الأمة صوب الحقيقة ، ويأخذ بيدها إلى ينباع الصافية النقية ، وهو الذي يتبوأ في الأمة موقع الهداية بعد النبيّ . هذا ما أفصح عنه رسول الله صلى الله عليه وآله حين عدّ عليّاً «هادي» الأمة ، والمصداق الرفيع لهذا الموقع وهو يفسّر قوله سبحانه : «إمّا أنت مُنذرٌ و لكلّ قوم هادي» [1] بقوله صلى الله عليه وآله : «الْمُنْذِرُ أَنا ، وَالْهَادِي عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ» .

10 . أحاديث العصمة

إنَّ «العصمة» بمعنى الوقاية من الذنب والخطأ والجهل ، والاحتراز من الاعوجاجات التي تشوب السلوك ، هي من الخصائص الحتمية لرسول السماء ؛ ويبدو أن ليس هناك نحلة أو فرقة من المسلمين تشكّ في ضرورة عصمة الأنبياء ، فالأنبياء عليهم السلام معصومون بنص القرآن ، وهذه حقيقة أجمع عليها المتكلمون والعلماء ؛ إذ ليس

[1] الرد : 7 .

هناك من يناقش في أصل العصمة وضرورتها ، إنّما يمكن أن يكون لبعضهم كلام في حدّها وحدودها . أمّا عقيدة الشيعة التي تستند إلى «النص» على الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتركز على أنّ الإمامة قائمة على أساس النصوص الثابتة ، فهي تؤمن بأنّ جميع خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلا النبوة - تتجسّد في الإمام ، وتواصل حضورها في خليفته من بعده ، وهي تعدّ ذلك أمراً قطعياً على أساس نصوص كثيرة ودلائل عقلية وافرة نُقّحت في مظانّها . لقد ركّز علماء الشيعة ومتكلموهم على هذا الأصل إزاء بقية الفرق الإسلامية ، وعدّوا هذا الموقع ضرورياً لخليفة النبيّ ، وذلك في مقابل التيارات الأخرى في الساحة الإسلامية من تلك التي لم تتبنّ ضرورة النصّ ، على أنّ طبيعة هذه المواقف ، وتحليل خلفيّاتها التاريخية وبنائها الفكرية ، هو أمر خارج عن نطاق هذا البحث . لكن يحسن بنا الآن أن نتوقّف مع ملاحظة سريعة ، قبل أن نواصل متابعة الجهود النبوية لتشييد قواعد الإمامة العلوية ، وتثبيت إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وطبيعة النهج الذي اعتمدته رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله لعرض هذه الحقيقة ؛ فقد استند متكلمو الشيعة ومفسّروهم منذ القدم إلى «آية التطهير» من بين ما استندوا إليه في إثبات عصمة «الأئمة» وطهارة «أهل البيت» ، وهو استدلال متين كشف عن قوّته وإحكامه في الدراسات المختصة بذلك . بيد أنّ ما يعنينا أمره في هذا المجال ، وله صلة وثيقة ، بل ضروريةٌ ببحثنا ، هو معرفة طبيعة عرض هذه المسألة ، والكيفية التي استند إليها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله في بيانها ، وهنا بالذات تكمن الملاحظة التي أحيينا المكوث عندها قليلاً .



لقد مضت على رسول الله صلى الله عليه وآله - بعد أن تلا آية التطهير على المسلمين - أيام وأشهر طويلة وهو يقف إلى جوار بيت عليّ ، وينادي إذا حضر وقت الصلاة : «الصلاة يا أهل البيت» [1]. على هذا ليس هناك شك في أنّ «أصحاب الكساء» هم مصداق «أهل البيت» ، وأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو سيّد أهل البيت وذروة السنام فيه . إنّما الذي يحظى بأهميّة أكبر بنظرنا هو ما كان يفعله الرسول في ثنایا تركيزه على الإعداد لقيادة المستقبل ، وكجزء من برنامجه لإعلان الإمامة التي تخلفه ، إلى جوار تأكيده على التصريح بطهارة أهل البيت وعصمتهم ، وحتى بعد إعلان هذه الفضيلة راح يكرّر على الدوام قوله صلى الله عليه وآله : «أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ ، وَسَلِمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ» [2] ، فماذا يعني هذا التكرار ، وما هو مغزاه ؟ يبدو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كشف للأمة - من خلال تفسيره النافذ البصير لقوله سبحانه : «وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَبْتُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» [3] - عن وجود أسرة ستنقّص على المجتمع الإسلامي ، وتسومه الأذى والعذاب والظلم ، وبتشبيهه حركة هذه الأسرة بنزو القردة كشف عن هويّتها القردية ، وحذر الأمة من أن تترك أمور دينها تقع في يوم من الأيام بيد رجال هذه العشيرة ، أو أن تكون قيم هذا الدين ومثله العليا لعبة بأيديهم يعبتون بها كيفما شاؤوا . على الجانب الآخر من المشهد ، حرص رسول الله صلى الله عليه وآله - من خلال التركيز على طرح «أهل البيت» كناس مطهّرين ، وثلة معصومة نقيّة من المثالب والعيوب - أن يسجّل للأمة خط الإمامة المعصومة ، والقيادة النزبهة للمستقبل . وكان لآية التطهير الدور العظيم في بيان فضائل «آل الله» والكشف عن مناقبهم

[1] أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير : ص 40 - 45 .

[2] لمزيد الاطلاع على صيغ الحديث وطرقه راجع : أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة : ص 165 .

[3] الإسراء : 60 .

ومنزلتهم الرفيعة ، وعلى هذا الضوء يتبيّن أنّ السرّ من وراء كلّ هذه الجهود النبويّة في الكشف عن مقصود الآية وتحديد مرادها ، وكذلك ما بذله الأئمة عليهم السلام على هذا الصعيد ، وأيضاً ما قام به الأمويّون في المقابل ومفسّروا البلاط من سعبي هائل لصرف الآية عن «آل الله» أو إشراك الآخرين معهم في هذه الفضيلة على أقلّ تقدير ، إنّما يكمن في مفهومها الرفيع ، وما تنطوي عليه من دلالة قاطعة على طهارة الإمام أمير المؤمنين وعصمته ، ومن ثمّ عصمة أهل البيت بالضرورة . ولم تكن هذه الآية وحدها في الميدان ، فبالإضافة إلى آية التطهير والجهود النبويّة الحثيثة التي بذلها رسول الله صلى الله عليه وآله في إبلاغها وتطبيقها على أهل البيت عليهم السلام ، توالى إلى جوارها روايات كثيرة نعت فيها النبيّ عليّ بن أبي طالب بالصدق والطهارة والنقاء والتزام الحق واستقامة السلوك وطهر الفطرة ، ثمّ توجّ ذلك كلّّه بالإعلان أنّ عليّاً هو عدل القرآن ، ومعيار الحقّ ، والميزان الذي يفرّق بين الحقّ والباطل ، وبين الضلالة والصواب ، وهو فصل الخطاب . وفي ذلك دلالة قاطعة على أنّ من ينبغي أن يكون الأسوة والإمام ، والقائد والمنار ، والزعيم والمولى هو عليّ بن أبي طالب لا غير . ثمّ انظروا وتأملوا في قوله صلى الله عليه وآله : «عَلَيْهِ مَعَ الْقُرْآنِ ، وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ» ، «عَلَيْهِ مَعَ الْحَقِّ ، وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ» ، «عَلَيْهِ عَلَى الْحَقِّ ؛ مَنْ اتَّبَعَهُ اتَّبَعَ الْحَقَّ ، وَمَنْ تَرَكَ تَرَكَ الْحَقَّ» ، «عَلَيْهِ مَعَ الْقُرْآنِ ، وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ» . ماذا يعني هذا ؟ يعني أنّ عليّاً ثابت لا يزيغ ، صلب لا تتعثر به خطاه ، يقف في أعلى ذرى الاستقامة والصلاح ، لا يعرف غير الحقّ والصواب . إنّ عليّاً ليحمل على جبهته الوضيعة عنواناً رفيعاً اسمه «العصمة» ، ومن ثمّ ستكون الأمة في أمان من نفسها ، وسلامة من دينها وهي تهتدي بهدي عليّ ، وتقتدي به أسوة ومناراً .

11 . أحاديث العلم

يتبوأ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله المرجعيّة الفكرية للأمة بالإضافة إلى الزعامة السياسيّة كما سلفت الإشارة لذلك ، فالأمة تواجه في معترك حياتها عشرات المعضلات الفكرية على الصعيدين الفردي والاجتماعي ؛ فمن الذي يتولّى تذليل هذه العقبات ؟ ومن الذي يُميط اللثام عمّا يواجهه المجتمع من مشكلات معرفيّة ، ويفسّر للناس آيات القرآن ، ويعلم الأمة أحكام دينها وكلّ ما يمتّ بصله إلى المرجعيّة العلميّة والفكرية ؟ ومن الذي أراد له رسول الله صلى

الله عليه و آله أن يتبوأ هذا الموقع في المستقبل بحيث تلوذ به الأمة ، وتلجأ إليه بعد رحيل النبي ؟ لقد صمّت المصادر القديمة نصوصاً نبويّة مكثّفة تدلّ بأجمعها على أنّ النبي اختار عليّ بن أبي طالب للمرجعيّة العلميّة والفكريّة من بعده ، منها الحديث النبوي الكريم : «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا» فعلاوة على شوق عليّ عليه السلام إلى العلم ، وتطلّعاته الذاتيّة إلى المعرفة ، وتوفقه الشديد للتعلم ، واستعداده الخاصّ على هذا الصعيد ، كان رسول الله صلى الله عليه و آله لا يُخفي حرصه على إعداد عليّ إعداداً علمياً خاصاً ، وزقه العلم رزقاً ، وإشباع روحه بالمعرفة ، والفيض عليه من الحقائق الربانيّة العُليا . لقد جاء الكلام النبوي الكريم : «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا ؛ فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ» ليدلّ دلالة قاطعة لا يشوبها أدنى لبس ، على أنّ العلم الصحيح عند عليّ وحسب لا عند سواه [1]. لقد طلب النبي عليّ بن أبي طالب في اللحظات الأخيرة من حياته ، وراح يسرّ له بينابيع المعرفة ، فقال عليّ بعد ذلك واصفاً الحصيلة التي طلع بها من إسرار النبي له : «حَدَّثَنِي أَلْفَ بَابٍ ، يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ

[1] لمزيد الاطلاع على توثيق صيغ الحديث وضبط طرقه وأسانيده ، وما يتّصل به من نقاط مهمّة ، راجع : نفحات الأزهار : ج 10 و 11 و 12 .

بابٍ . وهذه هي الحقيقة ، يدلّ عليها قول رسول الله صلى الله عليه و آله : «أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا» . ثمّ هل انشقت الحياة الإنسانيّة عن إنسان غير عليّ يقول : «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي» ؟ وهل عرفت صفحات التاريخ من ينطق بهذا سوى أمير المؤمنين ؟ لقد أجمع الصحابة على أعلميّة عليّ بن أبي طالب ، وتركوا للتاريخ شهادة قاطعة تقول : أفضلنا عليّ . ولم لا يكون كذلك والإمام أمير المؤمنين نفسه يقول : «وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَ نَزَلَتْ ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ ، وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ ؛ إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْباً عَقُولاً ، وَلِسَاناً نَاطِقاً» . وما أسمى كلمات الإمام الحسن عليه السلام وما أجلّ كلامه وهو يقول بعد شهادة أمير المؤمنين : «لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ بِالْأَمْسِ لَمْ يَسِيقَهُ الْأَوَّلُونَ يَعْلَمُ وَلَا يَدْرُكُهُ الْآخِرُونَ» . إنّ هذا وغيره - وهو كثير قد جاء في مواضع متعددة - ليشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قصد من وراء التركيز على هذه النقطة - التي أقرّ بها الصحابة تبعاً للنبيّ - أن يعلن عملياً عن المرجع الفكري للأمة مستقبلاً ، ويحدّد للأمة بوضوح الينبوع الثرّ الذي ينبغي أن تستمدّ منه علوم الدين .

12 . أحاديث اثنا عشر خليفة

من بين الأحاديث المهمّة الجديرة بالتأمّل بشأن مستقبل الأمة ، هي تلك التي تتحدّث عن عدد خلفاء الرسول صلى الله عليه و آله . إنّ هذه الأحاديث الوفيرة التي جاءت في نقول متعدّدة ، وطرق مختلفة وصحيحة [1] ، لتشير إلى أنّ خلفاء النبيّ اثنا عشر خليفة . تُطالعنا إحدى صيغ الحديث بالنصّ التالي : «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ

[1] راجع على سبيل المثال : صحيح مسلم : ج 3 ص 1451 ، باب 33 «الناس تبع لقريش والخلافة في قريش» .

السَّاعَةِ أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» . [1] وقد جاء في نصّ آخر بالصيغة التالية : عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : «بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً» ، ثُمَّ أَخْفَى صَوْتَهُ ، فَقُلْتُ لِأَبِي : مَا الَّذِي أَخْفَى صَوْتَهُ ؟ قَالَ : قَالَ : «كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» . [2] وفي نصّ آخر : «يَكُونُ مِنْ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا» . [3] ما الذي قصده رسول الله صلى الله عليه و آله من هذه الأحاديث ؟ هل تحدّث عن واقع سوف يحصل أم رام الحديث عن حقيقة ينبغي أن تكون ؟ هل رام أن يستشرف المستقبل ليشير إلى الذين سيخلفونه في الواقع التاريخي ، ويتستّمون هذا الموقع من بعده أم أنّه استند إلى حقيقة تنصّ صراحة أنّ خلفاءه اثنا عشر خليفة ، وأنّ هؤلاء هم الذين ينبغي أن يكونوا خلفاء ، ليس من ورائهم أحد حتى آخر الدهر ؟ لا يبدو أنّ هناك شكّ في أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان بصدد إعلان الخليفة ، وتحديد من يتبوأ مكانه ويمارس الحاكميّة على الأمة كما يمارسها هو ، وبواصل نهج النبيّ في الخلافة . بيد أنّ البعض سعى إلى اصطناع مصاديق لهذا الكلام الإلهي الذي نطق به الرسول صلى الله عليه و آله تتطابق ورغباته [4] ، فذهب إلى أنّ المراد من الاثنعشر هم الخلفاء الأربعة ، ومعاوية وولده يزيد وهكذا ! [5] وعلى طبق هذا التفسير يكون النبيّ صلى الله عليه و آله قد نصب هؤلاء خلفاء له ، وأهاب بالأمة

[1] صحيح مسلم : ج 3 ص 1453 ح 1822 .

[2] ينابيع المودّة : ج 3 ص 290 ح 4 .

[3] سنن الترمذي : ج 4 ص 501 ح 2223 .

[4] راجع : الإمامة وأهل البيت : ج 2 ص 54 ، حيث توفّر على ذكر هذه المصاديق .

[5] راجع : شرح العقيدة الطحاويّة : ج 2 ص 736 .

اتّباعهم وإطاعتهم والتسليم إليهم ! أي طاعة يزيد وعبد الملك بن مروان وأضرابهم ، «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» ! [1] كيف يمكن تصوّر رسول الكرامة والإنسانيّة ، ومبعوث الحرّيّة والقيم العليا ، وهو يختار لخلافته الظلمة والفسّاق ، ويحثّ الأُمّة على طاعة المجرمين والفاستدين ؟ ! [2] لا جدال أنّ من يُدّعن لأصل الرواية - ولا مفرّ من ذلك - يتحمّ عليه التسليم لتفسير الشيعة الذي يذهب إلى أنّ هؤلاء الخلفاء هم عليّ وآل عليّ عليهم السلام ، كما ذكرت ذلك بعض الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنت على أسمائهم صراحة ، حيث يمكن أن يُلاحظ ما يلي : 1 . إنّهم اثنا عشر معروفون ينطبقون - في عددهم وأسمائهم - مع الحديث . 2 . إنّ الأئمّة من قريش ؛ وهم من قريش . 3 . رأينا بعض الروايات تحمل في ذيلها عبارة : «كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» . والأمر كذلك في عليّ وآل عليّ عليهم السلام ؛ فهم جميعاً من بني هاشم ، يؤيّد ذلك الكلام العلوي المنيف الذي يقول فيه أمير المؤمنين عليه السلام : «إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ» . [3] 4 . إنّهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا يتطابق مع ما سبق وقد ذكرناه في

[1] الكهف : 5 .

[2] راجع : الإمامة وأهل البيت : ج2 ص56 - 76 . والكتاب من تأليف الباحث المصري وأستاذ جامعة الإسكندرية الدكتور محمّد بيّومي مهران من كبار كتّاب أهل السنة ، حيث استعرض ما اقترفه معاوية ويزيد وعبد الملك من فظائع من خلال الوثائق والنصوص التاريخيّة ، ثمّ عاد بطرح على القراء السؤال التالي : مع هذا كلّ ، هل يقال إنّ هؤلاء خلفاء النبي ؟ !

[3] نهج البلاغة : الخطبة 144 .

الصفحات السابقة ، كما يتوافق مع نصوص كثيرة ستأتي الإشارة إليها لاحقاً . 5 . كما أنّّه يتطابق بدقّة مع ما جاء عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الجملة - كما سلفت الإشارة لذلك - حيث ذُكرت أسماء هؤلاء الخلفاء الكرام بشكل كامل وتامّ . 6 . على أساس روايات كثيرة تحدّث رسول الله صلى الله عليه وآله عن دوام إمامة المهدي عليه السلام واستمرارها إلى ما قبل القيامة ، والمهدي المنتظر هو الحلقة الأخيرة في سلسلة الأئمّة الاثني عشر في المعتقد الشيعي . من هذه الروايات : المهديّ ممّا أهل البيت يُصلّحهُ اللهُ في ليلة . [1] المهديّ من عترتي من وليّ فاطمة . [2] لو لم يبقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رَجُلًا مِمَّا يَمْلُؤُهَا عَدَلًا كَمَا مُلِئَتْ حَوْرًا . [3] لا تقوم الساعة حتّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِوَاطِئِ اسْمِهِ اسْمِي . [4] الأئمّة بعديّ اثنا عشر ؛ تسعة من صلب الحسين ، والتاسع مهديّهم . [5] واستكمالاً للحديث في هذا المضمار نعرض فيما يلي عدداً من النقاط الأخرى : 1 . يُعدّ حديث «اثنا عشر خليفة» أو «اثنا عشر أميراً» المروي عن جابر بن سمرة ، من الأحاديث المشهورة التي أخرجت بطرق متعدّدة كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك . والذي عليه عقيدة أغلب الذين وثّقوا الحديث ورووه أنّ الرسول صلى الله عليه وآله أدلى به

[1] سنن ابن ماجه : ج2 ص1367 ح4085 .

[2] سنن أبي داود : ج4 ص107 ح4284 .

[3] مسند ابن حنبل : ج1 ص213 ح773 .

[4] مسند ابن حنبل : ج2 ص10 ح3571 .

[5] كفاية الأثر : ص23 .

في «حجّة البلاغ» ، بيد أنّ عمليّة دراسة طرق الحديث وتحليل صيغه الروائيّة تدلّ بوضوح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أدلى بهذا الحديث في مكانين ، هما :

أ - مسجد النبي صلى الله عليه وآله

وفقاً لرواية مسلم وأحمد بن حنبل ، جاء نصّ جابر بالصيغة التالية : «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَشِيَّةَ رُجَمَ الْأَسْلَمِيُّ ، يَقُولُ : لَا يَزَالُ الدِّينُ» [1] إلى آخر النصّ . المعلوم أنّ ماغر بن مالك الأسلمي المذكور في النصّ قد تمّ ترجمه بالمدينة جزءاً [2] . علاوة على ذلك ثمة نصوص أخرى تتحدّث صراحة أنّ الراوي سمع الحديث في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ، كما في قوله : «جِئْتُ مَعَ أَبِي إِلَى الْمَسْجِدِ وَالنَّبِيِّ يَخْطُبُ» إلى آخر الحديث [3] ، حيث يدلّ لفظ «المسجد» في الرواية على المسجد النبوي طاهراً .

ب - حجّة البلاغ

هذه المجموعة من الأخبار مروية عن جابر بن سمرة بن جندب أيضاً ، وقد ذكر فيها أنه سمع مقالة النبيّ هذه في ذلك الموسم العظيم [4] (حجّة البلاغ أو حجّة الوداع) ، وفي الموقف بعرفات . [5] 2 . إنّ استثمار رسول الله صلى الله عليه وآله للموسم ، وتوظيفه لاجتماع الأمة العظيم في عرفات ؛ لكي يعلن هذه الحقيقة ويصدع بها ، لهو أمر خليق بالاعتبار ، وينطوي

[1] صحيح مسلم : ج 3 ص 1453 ح 10 .

[2] راجع : صحيح البخاري : ج 5 ص 2020 ح 4969 و 4970 .

[3] المعجم الكبير : ج 2 ص 1799 .

[4] راجع : مسند ابن حنبل : ج 7 ص 405 ح 20840 و 20843 .

[5] راجع : مسند ابن حنبل : ج 7 ص 418 ح 20922 .

على الدروس والعبر . فقد حرص النبيّ صلى الله عليه وآله على أن يستفيد من هذا الحشد الكبير في الإعلان عن «حديث الثقلين» ، وذلك في واحدة من المرات المتكررة التي كان النبيّ قد أعلن فيها هذا الحديث المصيري على الأمة . بشكل عامّ عندما نطلّ على هذه المراسم نجدها شهدت عرض «الثقلين» بوصفهما معاً السبيل إلى هداية الأمة ، وفي المشهد ذاته تمّ تحديد مصاديق العترة والإعلان عنها بوضوح ، وفي الذروة الأخيرة من هذا الموسم سجّل المشهد نزول آية «إكمال الدين» وإعلان الولاية ، هذا الإعلان الذي ترافق مع إنذار للنبيّ صلى الله عليه وآله يفيد أنّ عدم إبلاغه ما أنزل إليه من ربه يتساوق مع ضياع الرسالة وعدم إبلاغها بالمرّة . بعبارة أخرى : كأنّ المشهد يُخبرنا بوقائعه وما حصل فيه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في الموسم هذا بشأن أن يُلقى على الأمة نظرة مستأنفة في جميع محتويات الرسالة ، ويستعيد أمور هذا الدين ، وقد راح في الأيام الأخيرة من سفره يركّز على الحجّ والولاية أكثر . لننظر إلى الإمام الباقر عليه السلام وهو يقول : «حجّ رسول الله . . .» . 3 . تنطوي بعض صيغ الحديث ونقوله على نقطة تستثير السؤال وتستحق التأمل : فقد انطوت بعض نقول الحديث على جملة : «كلّهم من قريش» ، وهي تدلّ على أنّ جابراً لم يسمع هذه الجملة ، فسأل عنها أباه ، فذكر له أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال في تنمة الحديث : «كلّهم من قريش» أو «كلّهم من بني هاشم» . هذه الصيغ على ثلاثة أضرب ، هي : أ - إنّ جابراً قال فقط : «ثمّ قال كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمَهَا» . [1] أو : «ثمّ تكلم بكلمة خفيت عليّ» [2] من دون إيضاح علّة خفاء الصوت ، وسبب

[1] مسند ابن حنبل : ج 7 ص 427 ح 20976 .

[2] مسند ابن حنبل : ج 7 ص 427 ح 20977 .

عدم السماع . ب - وفي بعضها عزي جابر عدم سماعه تنمة الحديث إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فائلاً : «ثمّ خفّص صوته ، فلم أدرك ما يقول» . [1] أو : «ثمّ همّس رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بكلمة لم أسمعها ، فقلت لأبي : ما الكلمة التي همّس بها النبيّ صلى الله عليه وآله ؟» . [2] أو : «ثمّ أخفى صوته ، فقلت لأبي : قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يقول : يكون بعدي اثنا عشر أميراً ، فما الذي أخفى صوته ؟ قال : كلّهم من قريش» . [3] ج - ذكر في بعضها أنّ سبب عدم سماع كلام النبيّ كان لفظ الناس واهتياجهم ، حيث ضاع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعد يُسمع وسط ضجيج الحاضرين وصراخهم . والذي بيعث على الدهشة والأسى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله في الوقت الذي كان يتحدث فيه إلى الناس ، نجد الذين يستمعون إليه يرفعون أصواتهم خلافاً لصريح الأمر الإلهي : «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» [4] ، وقد علت أصواتهم وزاد اهتياجهم حتى لم يعد يتميّز كلام النبيّ وما يقوله في هذا الضجيج ، بحيث لم يكن بمقدور الراوي - جابر - أن يتابع بقيّة الكلام ، فلاذ بالآخرين ، فذكروا له أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «كلّهم من قريش» . لقد جاءت صيغ متعدّدة تدلّ على هذا المعنى ، منها : «ثمّ لَغَطَ الْقَوْمَ وَتَكَلَّمُوا ، فَلَمْ أَفْهَمْ قَوْلَهُ بَعْدَ كُلِّهِمْ» . [5]

[1] المعجم الكبير : ج 2 ص 1799 .

[2] المعجم الكبير : ج 2 ص 1794 .

[3] المعجم الكبير : ج 2 ص 253 ح 2062 .

[4] الحجرات : 2 .

[5] مسند ابن حنبل : ج 7 ص 430 ح 20991 .

«فَقَالَ كَلِمَةً صَمْنِيهَا النَّاسُ». [1] «ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَصَمْنِيهَا [2] النَّاسُ ، فَقُلْتُ لِأَبِي - أَوْ لِابْنِي - : مَا الْكَلِمَةُ الَّتِي أَصَمْنِيهَا النَّاسُ ؟ قَالَ : كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» . [3] كما جاء أيضاً : «قَصَرَخَ النَّاسُ ، فَلَمْ أَسْمَعْ مَا قَالَ» . [4] ويتأمل ما أوردها بهتدي الباحث إلى نقاط ، لا يخلو ذكرها من فائدة : 1 . تحظى قضية الخلافة ومستقبل الأمة ومصيرها بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بحساسية فائقة ، بحيث كان النبيّ عندما يصل إلى النقطة الجوهرية ويبلغ لب المسألة يخفض صوته حتى لكَأَ أَنَّهُ يَهْمِسُ ، وفي موقع آخر كان الناس يبادرون إلى اللغظ وإثارة الضوضاء حال سماعهم الكلام النبويّ ، يُظهرون بذلك إباءهم له . 2 . تذكر بعض الروايات في تصوير الحالة «خفض الصوت» ، وبعضها الآخر ذكرت «اللغظ والضجيج» ، حيث يرتبط كلّ وصف من هذه الأوصاف بمورد من موارد النقل . فجاير يذكر أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الْكَلَامَ النَّبَوِيّ فِي الْمَسْجِدِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَفَضَ صَوْتَهُ ، أمّا في الحديث الذي جاء في مسند أحمد بن حنبل ، فقد ذكر جابر أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الْكَلَامَ لِلْغُفْمِ وَهِيَاجِهِمْ . والظاهر أَنَّ خفض النبيّ صوته كان في المسجد النبويّ في المدينة ، ولغظ الناس وهياجهم كان في حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، كما أشارت لذلك الروايات المتقدمة . 3 . إِنَّهُ لِأَمْرٍ حَرِيٍّ بِالِاتِّبَاهِ مَا جَاءَ فِي أَحَدِ النُّقُولِ ، مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ عِنْدَمَا أَخْفَى

[1] صحيح مسلم : ج 3 ص 1453 ح 9 .

[2] أصمّنيها الناس : أي شغلوني عن سماعها ، فكأنّهم جعلوني أصمّ (لسان العرب : ج 12 ص 343) .

[3] مسند ابن حنبل : ج 7 ص 435 ح 21020 .

[4] الخصال : ص 473 ح 29 .

صوته : «كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» . والحقّ ، لا يستبعد أن تكون تنمّة الكلام - على وجه الحقيقة - هي جملة : «كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» ، التي أثارت الهياج ، وعلا كلام كثيرين عند سماعها ، فلم يدعوا لها ، وأبوا قبولها ، والنقطة التي تزيد من قوّة هذا الاستنتاج هي مشهد السقيفة وما جرى في ذلك اليوم من حوادث ، ففي صراع يوم السقيفة لم يستند أيّ من أطراف اللعبة على مثل هذا الكلام ، ولم يذكر أحد أَنَّهُ سمع النبيّ ، يقول : «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» برغم أَنَّ هذا الكلام كان يمكن أن يكون مؤثراً في حسم الموقف . لهذا كلّ ، يمكن القول أَنَّ تنمّة الحديث النبويّ كانت : «كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» لا غير ، ثُمَّ بمرور الوقت وعندما حانت لحظة تدوين الحديث قَدَّرُوا أَنَّ مِنْ «المصلحة» استبدال «كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» بتعبير «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» ! مهما يكن الأمر ، ينطوي هذا الحديث بنقوله الكثيرة وطرقه المتعدّدة التي أيّدها محدّثو أهل السنّة أيضاً ؛ ينطوي على رسالة واحدة لا غير هي الإعلان عن ولاية عليّ بن أبي طالب وأولاده ، والتصريح بخلافة عليّ عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بلا فصل . ومن ثمّ فهو دليل آخر على السياسة النبويّة الراسخة في تحديد مستقبل الحكم وقيادة الأمة من بعده .

13 . حديث السفينة

والنبيّ صلى الله عليه وآله يعيش بين الأمّة كان يُمسك بجميع الأمور ، ويُشرف على الشؤون كافّة ، ولم يكن المجتمع الإسلامي على عهد النبيّ قد اتّسع بعد ، بيد أنّ هذا المجتمع الفتّي كان يواجه مصاعب كثيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، ويعاني عدداً من الانحرافات ؛ فتّيّار النفاق - مثلاً - كانت بذوره الأولى قد نشأت في تضاعيف ذلك

المجتمع ، وهكذا لاحت أيضاً إرهابات ارتداد البعض انطلاقاً من المجتمع ذاته . لقد كان الرسول القائد ينظر ليوم تغيب فيه هذه الشعلة المتوهّجة ، ويفقد المجتمع وجود النبيّ ، فيما ينبغي للأمة أن تشقّ طريقها من بعده ، وتواصل الدرب . إنّ كلّ ما توقّرنا على ذكره يُشير إلى التخطيط لمستقبل الأمّة وتدبير غدها الآتي ؛ هذا الغد الذي سينشقّ عن أجواء تتفجّر جوانبها بالفتنة ، وتضطرم بالعواصف العاتية وأمواج الضلال . على ضوء هذه الخلفيّة انطلقت كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله تُدَلِّكُ الأمّة على الملاذ الآمن الذي تعتصم به من الفتن والضلال فيما اشتهر بـ «حديث السفينة» ، الذي جاء في أحد نصوصه : «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ؛ من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك» . ما أروع من تشبيه دالّ وموقظ ، يبعث على التيقظ والحذر ! فرسول الله صلى الله عليه وآله يتطلّع صوب المستقبل من وراء حُجب الغيب ، فيبصره مليئاً بالفتن والضلالات التي يشبّها بالأمواج المتلاطمة العاتية ، أمواج مهولة تُغرق مَنْ يعرض لها ، وتدفعه نحو قاعٍ سحيق ، وما أكثر من يتسلّق الأوهام حذر هذه الأمواج ، بيد أنّها سرعان ما تفتّسه وتأتي عليه في ملاذه الواهن ، فيُدركه الغرق ويصير هباءً صائغاً . فإذا ينبغي أن تكون الأمّة على حذر ، وأن تُدرك أنّ طريق النجاة الوحيد يكمن في ركوب «السفينة» ، واللّوذ بأهل البيت عليهم السلام ، والاعتصام بحجّرتهم ، والتمسك بتعاليمهم وسنتهم . ليس هناك شكّ في دلالة الحديث على وجوب إطاعة أهل البيت عليهم السلام وإلّا هل لعاقل تأخذه أمواج عاتية ، فيُشرف حتماً على الغرق والضياغ ، ثمّ يتردّد في النجاة ، ولا يركب سفينة الإنقاذ !

من جهة أخرى إنّ التطلّع صوب هذه السفينة يستتبع الهداية بالضرورة والنجاة من أمواج الفتن والضلالات ، فالسفينة منجية ، وإدّا فهؤلاء الكرام معصومون منزّهون عن الزلل والخطأ . {1-}

14 . حديث الثقلين

من بين الخطوات التي تدبّرها الرسول القائد لمستقبل الأمة ، للحوّل دون تفشّي الضلالة ، وشيوع الجهل في وسطها ، وانحدارها إلى هوة الحيرة والضياع ، هي جهوده التي بذلها لتعيين المرجعية الفكرية ، وتحديد مسار ثابت للحركة الفكرية ، وبيان كيفية تفسير القرآن والرسالة والمصدر الذي يستمدّ منه ذلك . هذه الحقيقة ربّما عبّرت عن نفسها بأنصع وجه في «حديث الثقلين» . لقد تصوّعت مواطن كثيرة بشذى الحديث ؛ حيث صدع به النبيّ صلى الله عليه وآله مراراً بمحتوى واحد وصيغ بيانية متعدّدة ، وفي مواضع مختلفة ؛ في عرفة ، ومسجد الخيف ، وفي غدير خمّ ، كما أتى على ذكره في آخر كلام له وهو على مشارف الرحيل وقد ثقل عليه المرض ، في الحجرة الشريفة ، وغير ذلك . وبالإضافة إلى أهل البيت عليهم السلام فقد روى الحديث عدد كبير من الصحابة ، كما ذهب إلى صحته كثير من التابعين والعلماء . [2] إنّ للحديث صيغاً متعدّدة ، جاء في إحداها : «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحذّهما أعظم من الآخر ؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيّتي ، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف

[1] لمزيد الاطلاع على متن حديث السفينة وسنده وطرقه وما يتّصل به من بحوث راجع : نفحات الأزهار : الجزء الرابع ، وأهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة : ص 95 .

[2] راجع : نفحات الأزهار : ج 2 ص 90 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ص 663 ح 3788 .

[4] شرح المقاصد : ج 5 ص 303 . ولمزيد الاطلاع على آراء عدد من علماء أهل السنة ، راجع : نفحات الأزهار : ج 2 ص 248 .

[5] يونس : 32 .

[6] فصلت : 42 .

تخلّفوني فيهما» . [1] كلام عظيم ، ومنقبة شاهقة ، وفضيلة سامية لا نظير لها ، وهداية تبعث على السعادة ، وتوجيه يعصم من الضلالة والردى . النقطة الأهمّ التي يحويها هذا الكلام النبوي العظيم ، والحقيقة العظمى التي يجهر بها دون لبس ، هي مرجعية أهل البيت عليهم السلام ، والحثّ على وجوب اتّباعهم والانتماء بهم في الأقوال والأفعال ، وقد صرّح بهذه الحقيقة الرفيعة عدد كبير من العلماء ، منهم سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ؛ أحد كبار متكلمي أهل السنة ، حين قال : «إنّهُ صلى الله عليه وآله قرّنه بكتاب الله في كون التمسّك بهما مُنْقِذاً مِنَ الضَّلَالَةِ ، ولا معنى لِلْتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ إِلَّا الْأَخْذُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَايَةِ ، فَكَذَا فِي الْعِتْرَةِ» . [2] على صعيد آخر تتمثّل أهمّ مهامّ النبيّ صلى الله عليه وآله ومسؤولياته بالهداية وإزالة الضلالة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ؛ فإنّ ما يأتي في طبيعة واجبات الأمة وأكثرها بداهة ، هو ضرورة تمسّكها بكلّ ما يبعث على الهداية ، ويعصم من الضلال . وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله تماماً ، وهو يضع المسلمين أمام هذا الواجب ، في قوله : «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا» ؛ وعندئذ هل يسع إنسان أن يتردّد في وجوب اتّباع «العتره» الهادية ، والتسليم إليها وهي العاصمة عن الضلال ؟ ! ممّا يدلّ عليه الحديث أيضاً أنّ التمسّك بهذين الثقلين الكريمين يكفي لبلاغ المقصد الأسنى وتحصيل الهداية ، وأنّ ليس وراءهما إلّا الضلال «فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا

[1] سنن الترمذي : ج 5 ص 663 ح 3788 .

[2] شرح المقاصد : ج 5 ص 303 . ولمزيد الاطلاع على آراء عدد من علماء أهل السنة ، راجع : نفحات الأزهار : ج 2 ص 248 .

الصّلل» . [1] من جهة أخرى يسجّل حديث الثقلين «عصمة» العترة من دون لبس وغموض ؛ فمن زاوية عدّ رسول الله صلى الله عليه وآله التمسّك بها واجباً ضرورياً من دون أي قيد أو شرط ، فهل من المنطقيّ أو المعقول أن نتصوّر النبيّ يدفع الأمة إلى التمسّك بمرجعية أشخاص ، ويحثّها على التمسّك بتعاليمها دون قيد أو شرط ، وأشخاص هذه المرجعية يعيشون الضلال ؟ ثم إنّ هذه العترة هي عدل قرآني «لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ» [2] ، فهكذا العترة أيضاً . وأخيراً دلّ الحديث على أنّ التمسّك بالعترة هو سدّ يحول دون الضلالة ، فإذا ما كان الضلال سائغاً بحقّ هذه المرجعية فهل يمكنها أن تكون عاصمة عن

ذكرنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أكد منذ الأيام الأولى التي صدع فيها بالرسالة ، على الإمامة ومستقبل الأمة من بعده ، وشهدت له المواطن جميعاً ، وهو يعلن «الحق» ، ويحدّد أمام الجميع الإمامة من بعده بأعلى خصائصها ، وبمزاياها المتفوّقة ، ولم يتوان عن ذلك لحظة ، ولم يُبْعِ فرصة إلا وأفاد منها في إعلان هذا «الحق» والإجهار به . وفي الحجة الأخيرة التي اشتهرت بـ «حجة الوداع» ، بلغت الجهود النبوية ذروتها ، وقد جاء أمر السماء بإبلاغ الولاية ، لتكتسب هذه الحجة عنوانها الدالّ ، وهي تسمّى «حجة البلاغ» .

[1] يونس : 32 .

[2] فضّلت : 42 .

لنشاهد المشهد عن كثب ونأمل كيف تكوّنت وقائعه الأولى . فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله قد قصد التوجّه للحجّ في السنة العاشرة من الهجرة ، وقد نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله يُعلم الناس بذلك ، فاجتمع من المسلمين جمع غفير قاصداً مكة ليلتحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، ويتعلّم منه مناسك حجه . حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين ، ثمّ قفل عائداً صوب المدينة . عندما حلّ اليوم الثامن عشر من ذي الحجة كانت قوافل الحجّيج تأخذ طريقها إلى مضاربها ومواقع سكنها ؛ فمنها ما كان يتقدّم على النبيّ ، ومنها ما كان يتأخّر عنه ، بيد أنّها لم تفترق بعد ، إذ ما يزال يجمعها طريق واحد . حلّت قافلة النبيّ صلى الله عليه وآله بموضع يقال له «غدير خم» في وادي الجحفة ، وهو مفترق تتشعب فيه طرق أهل المدينة والمصريين والعراقيين . الشمس في كبد السماء ترسل بأشعتها اللاهية ، وتدفع بجمعها صوب الأرض ، وإذا بالوحي يغشى النبيّ ويأتيه أمر السماء ، فيأمر أن يجتمع الناس في المكان المذكور . ينادي منادي رسول الله صلى الله عليه وآله برّد من تقدّم من القوم ، وبحبس من تأخّر ؛ ليجتمع المسلمون على سواء في موقف واحد ، ولا أحد يدري ما الخير . منتصف النهار في يوم صائف شديد القط ، حتى أنّ الرجل ليضع رداءه تحت قدميه من شدة الحرّ ، فيما يلوذ آخرون بظلال المراكب والمتاع . راحت الجموع المحتشدة تتخلّق أنظارتها بنبيّها الكريم وهو يرتقي موضعاً صنعوه له من الرحال وأقناب الإبل . بدأ النبيّ خطبته ، فراحت الكلمات تخرج من فؤاده وفمه صادعة رائعة ، حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ ذكر للجمع المحتشد أنّ ساعة الرحيل قد أرقت ، وقد أوشك أن يدعى فيجيب ، على هذا مضت سنّة البشر قبله من نبيين وغير نبيين . أما وقد أوشك على الرحيل ، فقد طلب من الحاضرين أن يشهدوا له بأداء

الرسالة ، فهتّت الأصوات تُجيب النبيّ على نسق واحد : «تَشْهَدُ أَنْكَ قَدْ بَلَغْتَ وَتَصَحَّتْ وَجَّهَتْ ؛ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا» . ما لهذا جمَعهم في هذه الظهيرة القائضة ، بل هو يعدّهم لبناء مُرتقب ، ويُهيئ النفوس لبلاغ خطير هذا أوانه ، تحدّث إليهم مرّات عن صدقه في «البلاغ» ، كما تكلم عن «الثقلين» وأوصى بهما ، ثمّ انعطف يحدّثهم عن موقعه الشاهق العليّ في الأمة ، وطلب منهم أن يشهدوا بألوبيته على أنفسهم ، حتى إذا ما شهدوا له بصوت واحد ، أخذ بعض عليّ بن أبي طالب ورفع ، فراد من جلال المشهد وهيبته ، ثمّ راح ينادي بصوت عالي الصبح قويّ الرنين : «فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاً فَعَلَيْ مَوْلَا» . قال هذه الجملة ، ثمّ كرّرها ثلاثاً ، وطق يدعو لمن يوالي عليّاً ، ولمن ينصر عليّاً ، ولمن يكون إلى جوار عليّ . تلبّج المشهد عن نداء نبويّ أعلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ولاية عليّ وخلافته ، على مرأى من عشرات الألوف ، وقد اجتمعوا للحجّ من جميع أقاليم القيلة ، وصدع بـ «حقّ الخلافة» و «خلافه الحق» . فهل تمّ أحد تردّد في مدلول السلوك النبوي ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصب بهذه الكلمات عليّ بن أبي طالب وليّاً وإماماً ؟ أبداً ، لم يسجل المشهد التاريخي يومئذٍ من استراب بهذه الحقيقة أو شكّ فيها ، حتى أولئك النفر الذين أخطؤوا حطّهم ، وعنت بهم أنفسهم ، فأنفوا عن الانقياد ؛ حتى هؤلاء لم يستريبوا في محتوى الرسالة النبوية ، ولم يشكّوا بدلائلها ، إنّما انكفأت بهم البصيرة ، فراحوا يتساءلون عن منشأ هذه المبادرة النبوية ، وفيما إذا كانت من عند نفس النبيّ أم وحياً نازلاً من السماء . انجلى المشهد عن عليّ بن أبي طالب وهو متوّج بالولاية والإمارة ، فانتال عليه كثيرون يهتّونه من دون أن تلوح في أفق ذلك العصر أدنى شائبة تؤثّر في نضاعة هذه الحقيقة أو تشكك فيها ، فهذا هو عمر بن الخطّاب نهض من بين الصفوف

المهتّنة ، وقد خاطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : «هنيئاً لك يا بن أبي طالب ! أصبحت اليوم وليّ كلّ مؤمن» . بيد أنّ الأمر لم يمتد إلى مدها وغايته على هذه الشاكلة ؛ إذ سرعان ما حصل الانقلاب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتغيّر الواقع ، وراح البعض يقلب الأمور وهو يسعى أن يلبس رداء الخلافة غير أهله . لكن هيهات ! حيث لم يشقّ الشكّ طريقه إلى هذه الفضائل أبداً ، ولم ينفذ الظلام إلى هذا النور المتبلّج ، فراح القوم يبحثون عن ذرائع أخرى فما الذي فعلوه ؟ لقد سَعَوْا بعد مدّة أن يشكّوا من جهة في دلالة هذا الحديث الشريف على «الإمامة والولاية» ، ويثيروا الشبهات من جهة ثانية حول سنده .

لقد توقّرنا على إيراد نصوص كثيرة في المتن ، ونودّ الآن أن نسلّط الضوء على بعض الحقائق الكامنة في الحديث من خلال دراسة وتحليل محتواه وسنده ودلالته ، وذلك في إطار النصوص التي مرّت ومعلومات أخرى . سنمضي مع هذه الجولة التحليليّة من خلال العناوين التالية :

1 . سند الحديث

حديث الغدير من أبرز الأحاديث النبويّة وأكثرها شهرة ، صرّح بصحّته بل بتواتره عدد كبير من المحدثين والعلماء [1] . على سبيل المثال : نقل ابن كثير عن الذهبي : «وصدّر الحديث (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ) مُتَوَاتِرًا ، أَتَيْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَهُ» . [2] وقال الذهبي في رسالته : حَدِيثُ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ» مِمَّا تَوَاتَرَ ، وَأَفَادَ

[1] راجع : نفحات الأزهار : ج 6 ص 377 .

[2] البداية والنهاية : ج 5 ص 214 .

القطعَ بِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَهُ ، رَوَاهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةٍ ، وَخَسَنَةٍ ، وَضَعِيقَةٍ ، وَمُطَرَّحَةٍ ، وَأَنَا أُسَوِّفُهَا : . . . [1] وقد أحصى العلامة الأميني مائة وعشرة من أعظم الصحابة رووا الحديث ، ثم ذكر في نهاية الجولة أنّ من فاتته منهم أكثر من ذلك بكثير . [2] أمّا المحقّق الراحل السيّد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله فقد ذكر في هامش على كلام صاحب الغدير ، أنّ هناك عدداً آخر من الصحابة رووا الحديث ، قد استوفاهم في كتابه «على ضفاف الغدير» . [3] ثمّ في موسوعة «الغدير» فهرس كبير تقصّى رواة حديث الغدير من التابعين . أمّا العالم الغيور السيّد حامد حسين الهندي الذي أمضى عمره دفاعاً عن الولاية وحريم التشيّع بمثابرة عجيبة ومن دون تعب أو كلل ، فقد خصّص جزءاً كبيراً من موسوعته الخالدة «عقبات الأنوار» لحديث الغدير ، حيث كشف فيه عن أسانيد الحديث تفصيلاً ، وضبط طرقه ورواته [4] ، ثمّ استوفى الكلام في نقد من ذهب إلى عدم تواتر الحديث ، كاشفاً خطل هذه الدعوى وعدم صوابها بأدلة دامغة وافية . [5] على ضوء هذه المعطيات يبدو أنّ الكلام عن سند الحديث وصحّته هو من فصول الكلام ، وممّا لا جدوى من ورائه . لذلك كلّه سنكتفي بشهادات عدد من المحدثين ، قبل أن نترك هذه النقطة إلى بُعد آخر من أبعاد البحث :

[1] رسالة طرق حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» للذهبي : ص 11 .

[2] الغدير : ج 1 ص 60 .

[3] هذا الكتاب مخطوط ولم يطبع حتى الآن ، راجع : هامش الغدير (طبعة مركز الغدير للدراسات الإسلامية) : ج 1 ص 144 .

[4] راجع : نفحات الأزهار : ج 6 - 9 .

[5] نفحات الأزهار : ج 6 ص 377 - 415 .

ذكر الحاكم النيسابوري الحديث في موضع من «المستدرک على الصحيحين» ، ثمّ كتب بعد ذلك : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» . [1] كما قال في موضع آخر بعد نقل الحديث : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» . [2] أمّا الترمذي فقد ذكر بعد أن نقل الحديث في «السنن» : «هذا حديث حسن صحيح» . [3] وعند ترجمة الذهبي لابن جرير الطبري ، كتب : «لَمَّا بَلَغَهُ - ابن جرير - أَنَّ ابْنَ أَبِي دَاوُدَ تَكَلَّمَ فِي حَدِيثِ غَدِيرِ حُمٍّ ، عَمِلَ كِتَابَ الْقَضَائِلِ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى تَصْحِيحِ الْحَدِيثِ . قُلْتُ : رَأَيْتُ مُجَلِّدًا مِنْ طُرُقِ الْحَدِيثِ لِابْنِ جَرِيرٍ ، فَإِنْ دَهَشْتُ لَهُ وَلِكَثْرَةِ تِلْكَ الطُّرُقِ» . [4] وكتب ابن حجر : «وَأَمَّا حَدِيثُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَهُوَ كَثِيرُ الطُّرُقِ جِدًّا ، وَقَدْ اسْتَوْعَبَهَا ابْنُ عُقْدَةَ فِي كِتَابِ مُغَرِّدٍ ، وَكَثِيرٌ مِنْ أُسَانِيدِهَا صَحَاحٌ حَسَنٌ» . [5] أمّا كتاب ابن عقدة الموسوم بـ «حديث الولاية» فقد كان متداولاً بين العلماء حتى القرن الهجري العاشر تقريباً ، وعنه كتب السيّد ابن طاووس يقول : «وقد روي فيه ثَمَّ النَّبِيُّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - عَلَى مَوْلَانَا عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوِلَايَةِ مِنْ مِائَةِ وَخَمْسِ

[1] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 118 ح 4576 .

[2] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 613 ح 6272 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ص 633 ح 3713 .

[4] تذكرة الحفاظ : ج 2 ص 713 ح 728 .

[5] فتح الباري : ج 7 ص 74 .

طُرُقٍ» [1]. [2] ممّن أتى على نقل الحديث أيضاً ابن عساكر ؛ حيث ذكره في مواضع عدّة من مصنّفه العظيم ، ويكفيك أنّ ذكر له عشرات الطرق في موضع واحد فقط . [3] وعلى النهج ذاته مضى عدد كبير من المحدثين والمفسّرين والعلماء . أ فبعد هذا كلّ ، يجوز الشكّ في صدور الحديث أو في طريقه ؟ ! إنّ من يفعل هذا إنّما ينزلق إليه عن استنكار وعتوّ ورغبة في مناهضة الحقّ الصراح ، لا لشئ آخر .

2 . دلالة الحديث

يظهر ممّا ذكرناه في بداية البحث وما سنعمل تفصيله أكثر عبر نصوص جمّة ، أنّ أحداً لم يكن يشكّ أو يناقش في أنّ مدلول جملة : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيّْ مَوْلَاهُ» إنّما كان يُشير إلى الرئاسة وتولّي الأمر ، وإلى الإمامة والزعامة ، على هذا مضت سُنّة السلف ومن عاصر الحديث ، دون أن يفهم أحد ما سوى ذلك . ولا جدال أنّ لفظ «المولى» في اللغة معاني أوسع من ذلك [4] ، لكن ليس ثمّ شيء من تلك المعاني يمكن أن يكون هو المراد ، إنّما المقصود بمدلول الحديث هو الذي ذكرناه ، وفهمه الجيل الأوّل .

[1] الإقبال : ج 2 ص 240 .

[2] راجع : كتاب «الغدير في التراث الإسلامي» : ص 45 ، حيث توقّر المؤلّف على بيان أهميّة كتاب ابن عقدة وتأثيره في الكتب التالية له بدقّة كافية .

[3] راجع : تاريخ دمشق : ج 42 ص 204 - 238 .

[4] راجع : الغدير : ج 1 ص 362 ، حيث استعرض عدداً من هذه المعاني .

«المولى» في الأدب العربي

إنّ تفحص النصوص الأدبيّة القديمة ، ودراسة متون اللغة والتفسير ، ليدلّ دون ريب أنّ إحدى المعاني الواضحة لـ «المولى» هي الرئاسة والأولى بالتصرّف في أمور «المولى عليه» ، وهي بمعنى الزعامة والولاية . وفيما يلي نستعرض بعض النصوص والشواهد اللغويّة والتفسيريّة الدالّة على ذلك : كتب أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري في تفسير الآية (15) من سورة الحديد ، عند قوله : «هِيَ مَوْلَاكُمْ» : «أي : أولى بكم» . [1] ثمّ شيّد تفسيره وصوّبه على أساس بيت من الشعر الجاهلي استشهد به ، وهو : 0 فَعَدَتْ كِلَا الْقَرْحَيْنِ تَحَسُّبُ أُنْتَهُ مَوْلَى الْمَخَاقَةِ خَلْقُهَا وَأَمَامُهَا 0 لقد قصد شراح «المعلقات السبع» على أخذ المولى في بيت لبيد المذكور بمعنى «الأولى» ، وعلى هذا مضوا في شرح الشعر . [2] كتب المفسّر والنسابة المعروف محمّد بن السائب الكلبي ، في تفسير الآية (51) من سورة التوبة : «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» ما نصّه : «أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة» . [3] وكتب الأديب والمفسّر الكوفي المشهور أبو زكريّا يحيى بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء ، في تفسير الآية (15) من سورة الحديد ، ما نصّه : «هِيَ مَوْلَاكُمْ» : أي أولى بكم» . [4]

[1] مجاز القرآن : ج 2 ص 254 .

[2] شرح المعلقات السبع للزوزني : ص 210 .

[3] البحر المحيط : ج 5 ص 53 .

[4] معاني القرآن : ج 3 ص 124 .

وإلى هذا ذهب أيضاً أبو الحسن الأخفش ، وأبو إسحاق الزجاج ، ومحمّد بن القاسم الأنباري وآخرون . [1] ذكرنا أيضاً أنّ مجيء مولى بمعنى المتولّي والقيّم على الأمور هو كذلك من بين أجلي استعمالات هذا اللفظ ، وقد صرّح به كثير منهم : أبو العباس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرد ، في تفسير الآية (11) من سورة محمّد : «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا» ، حيث كتب : «وَالْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى مَعْنَاهُمَا سَوَاءٌ ، وَهُوَ الْحَقِيقُ يَخْلُقُ الْمُتَوَلَّى لِأُمُورِهِمْ» . [2] كما جاء عن الفراء ، قوله : «الْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَاحِدٌ» . [3] كتب المفسّر والأديب والباحث القراني المعروف في القرن الهجري الرابع الراغب الإصفهاني ، ما نصّه : «وَالْوِلَايَةُ تَوَلَّى الْأَمْرَ ، وَالْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى يُسْتَعْمَلَانِ فِي ذَلِكَ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُقَالُ فِي مَعْنَى الْفَاعِلِ أَيْ الْمُوَالِي ، وَفِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ أَيْ الْمُوَالِي» . [4] كتب المفسّر والأديب المعروف في القرن الهجري الخامس أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري ، في تفسير الآية (62) من سورة الأنعام : «ثُمَّ رُدُّوا

إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ» ما نصّه : «الَّذِي يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ» . [5] في الواقع صرّح بهذه الحقيقة علماء كثيرون نذكر من بينهم أيضاً المفسّر المعتزلي الكبير جار الله الزمخشري ، الذي كتب في تفسير الآية(286) من سورة

[1] راجع : نفحات الأزهار : ج 8 ص 86 - 140 .

[2] الشافعي : ج 2 ص 271 .

[3] معاني القرآن : ج 2 ص 161 .

[4] مفردات ألفاظ القرآن : ص 885 .

[5] الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ج 2 ص 281 .

البقرة : «أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا» ما نصّه : «سَيِّدُنَا وَنَحْنُ عَبِيدُكَ ، أَوْ نَاصِرُنَا أَوْ مُتَوَلِّي أُمُورِنَا» . [1] أمّا ابن الأثير فقد كتب في مصتّفه القيم «النهاية» الذي تناول فيه غريب الحديث النبوي وألفاظه الصعبة ، ما نصّه في معنى «المولى» : «قَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْمَوْلَى فِي الْحَدِيثِ ، وَهُوَ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ . . . وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا أَوْ قَامَ بِهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ وَوَلِيُّهُ . . . وَبَيْنَهُ الْحَدِيثُ «إِذَا مَرَأَةٌ نِكَحَتْ يَغْيِرُ إِذِنْ مَوْلَاهَا فَيَكَاخُهَا بِاطْلٍ» ، وفي رواية «وَلِيَّهَا» أي مُتَوَلِّي أَمْرِهَا . [2] على هذا الضوء يتّضح أنّ «الأولوية في الأمور» ، و «تولّي الأمور» و «السيادة والرئاسة والزعامة» هي حقائق ثابتة ومعروفة في معنى المولى ، كما أنّ تساوي معنى «المولى» مع «الوليّ» هي أيضاً حقيقة أكّد عليها العلماء والمفسّرون كما مرّت الإشارة لذلك . [3] وبذلك نحن نعتقد - كما يتّفق معنا في ذلك أيضاً المنصفون وأتباع الحقّ من جميع الفرق والمذاهب [4] - أنّ ما قصده رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك المشهد العظيم الخالد ، من خلال هذه الجملة المصيريّة الخطيرة ، هو الإعلان عن «ولاية» عليّ بن

[1] الكشف : ج 1 ص 173 .

[2] راجع : النهاية : ج 5 ص 228 . والطريف أنّ ابن الأثير عدّد حديث الغدير منطقاً على هذا المعنى ، وقد استشهد في ذلك بكلام عمر : «أصبحت مولى كلّ مؤمن» ، حيث قال : «أي وليّ كلّ مؤمن» .

[3] راجع : نفحات الأزهار : ج 6 ص 16 والغدير : ج 1 ص 345 . لقد وثّق هذان العالمان الجليلان المنافحان عن حياض الحقّ ، هذه الحقيقة التي ذكرناها من خلال عشرات المصادر اللغويّة والأدبيّة والتفسيريّة .

[4] من الحرّيّ أن نشيد بالباحث المصري الجاد محمّد بيومي مهران ، أستاذ جامعة الإسكندرية ، الذي سلّم بهذه الحقيقة دون أدنى تردّد ، وسجّل صراحة أنّ المعني بـ «المولى» جزماً هو الأولى بالتصرّف . راجع : الإمامة وأهل البيت : ج 2 ص 120 .

أبي طالب و «إمامته» و «زعامته» وليس أيّ شيء آخر . لقد أعدّ المشهد وتمّت تهيئة ذلك الحشد العظيم لغرض واحد فقط ، هو إعلان الولاية العلويّة للمرّة الأخيرة على مرآى الجميع ، هو إعلان أخير لكن احتشدت فيه كلّ عناصر التأثير والجدابة لكي يستعصي على النسيان ويستوطن وعي الجميع وذاكرتهم ، حتى إذا ما أوشكت ساعة الرحيل ومضى النبيّ إلى ربّه ؛ لا يقول قائل : لم أدّر ما الخبر ؟ أو لم أكن أعلم بالأمر ولم أسمع به ! لهذا كلّ حرص النبيّ صلى الله عليه وآله على أن يأخذ من القوم العهد والميثاق ، وأقرّهم مرّات على ما أبلغهم به ، حتى إذا أقرّوا له ، عاد يخاطب الجمع : «أَلَا قَلِيلٌ بَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» . أمّا الآن فقد آن لنا أن ندرس ملازمات قلب هذا المعنى ؛ فلو قلنا إنّ مدلول هذا الحديث النبوي لم يكن يعني الولاية وقيادة الأمة في المستقبل ، فما هي اللوازم التي تترتّب على هذا النمط من التفسير ؟ هل ترى العقل يذعن للمشهد بمثل هذا التفسير ؟ ثمّ نعطف إلى تحليل الواقعة ودراسة مكوّناتها وتأمّل الكيفيّة التي انبثق على أساسها المشهد ؛ لنخرج من حصيلة ذلك كلّ إلى أنّ الحقيقة تكمن فيما ذكرناه أثناء التحليل الاصطلاحي واللغوي لذلك الجزء من الحديث النبوي وحسب ، وليس ثمّ شيء أو أشياء وراء ذلك . والله من وراء القصد .

قرائن دلالة حديث الغدير على الخلافة

أ - القرائن العقلية

1 . الحصيلة التي تجمّعت بين أيدينا حتى الآن لا تدع - باعتقادنا - مجالاً للشكّ في

أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد عيّن في ذلك المشهد المهيب قائد المستقبل ، وحدّد للأمة الإسلامية الإمام المرتقب . وما يمكن أن نضيفه الآن ، أنّ من يعتقد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن قد صدع بالولاية في ذلك الجمع العظيم ، ولم يكن قد أعلن الخلافة عبر ذلك الخطاب الذي تفجّر حماساً وتركيزاً على هذه النقطة ، ومن ثمّ فإنّ من يذهب إلى أنّ النبيّ قد اختار موقف الصمت إزاء مستقبل الأمة وعد الرسالة ، لا يسعه أن يدرك من الذي ذكرناه دلالة على المستقبل ، وسيكون عاجزاً عن أن يفهم منه تعييناً للإمامة التي تتبوأ القيادة بعد النبيّ . تماشياً مع فناعة هذا النظر ينبغي أن نفترض أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن قد فكّر في مستقبل الرسالة ، ولم يرسم لغد الأمة بعده مشروعاً محدّداً واضح المعالم والأركان ، ولم يحدّد موقع الإمامة بعد غيابه ، بل ترك الأمة كقطيع دون راعٍ ، وكهباء ضائع في خلاء ، ومن ثمّ فهو لم يجهر بالحقيقة الناصعة على هذا الصعيد ولم يعلنها بلاغاً صادعاً تتناقله العصور والأجيال ! هذا مع أنّنا رأينا في مطلع البحث أنّ الفرضيات الأخرى حيال مستقبل الأمة ، غير نظريّة النصّ على القيادة ، تتسم بأجمعها بالسقم والاضطراب وعدم الصواب . والسؤال مجدّداً : أ يقبل العقل - أيّ عقل كان - هذه السلبية واللامبالاة على هذا «الطبيب الدوّار» [1] ؟ وهل يصدق هذا على نبيّ لبث شامخاً ناهضاً متفانياً لم يتلعثم عزمه قط ، ولم يكفّ عن التفكير في مستقبل الأمة والرسالة لحظة واحدة ؟ حاشا رسول الله أن يفعل ذلك ، وجلّت عن ذلك حكمته وصوابه ، وحزمه وثباته . 2 . كيفة انبثاق المشهد وانطلاق البلاغ : حجّ المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهمّوا

[1] إشارة إلى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه النبيّ صلى الله عليه وآله ، بقوله : «طبيب دوّار بطّبه» . راجع : نهج البلاغة : الخطبة 108 .

[2] وفيات الأعيان : ج 5 ص 231 .

[3] ق : 37 .

بمغادرة مكّة عائدين إلى ديارهم ومواقع سكنهم بعد أن انتهت المراسم . أفواج تتلوها أفواج ، وقوافل يتبع بعضها أثر بعض ، تترك البيت العتيق قاصدة العودة بأهلها من حيث أتوا . كذلك مضت قافلة رسول الله صلى الله عليه وآله ترسل خطاها الثابتة صوب المدينة . اقتربت القافلة النبوية من «وادي خم» وهو وادٍ موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر [1] ، فجاء وحي السماء من فوره ، يأمر النبيّ أن يقف حيث هو . وراح منادي رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر من تقدّم أن يعود ، ويحبس من تأخر ؛ ليجتمع الناس سواءً في مكان واحد ، حيث لم تتشعب بهم الطريق بعد . أرض جرداء غير مسكونة مفتوحة على صحراء ممتدة الشمس فوق الرؤوس حارة لاهبة ، وقد أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يصنعوا له موضعاً يرتقيه من أقطاب الإبل ، حتى إذا خطب بالحاضرين يراه الجميع ويسمعونه . احتشد المكان بعشرات الألوف ، أدّى النبيّ صلى الله عليه وآله صلاة الظهر ، ثمّ راح يستعدّ لالقاء خطابه بعد أن أمرهم بالتجمّع ، ازداد تجمهر الحشود واقترباها إلى حيث يقف النبيّ مستعدّاً لأمر مهم . الشمس تستقرّ في كبد السماء وترسل بأشعتها الحارقة ، وتتحول الصحراء في تلك الظهيرة إلى كتلة ملتهبة . الحاضرون الأردية والملابس فوق الرؤوس وتحت الأقدام علّها تقيهم شيئاً من الرضاء الحارقة وأشعة الشمس المتوهجة ، وبعضهم يفيء إلى المتاع والرجال يلوذ بظلاله . مشهد يقتحم الذاكرة ويستعصي على النسيان . رسول الله صلى الله عليه وآله يصعد الموضع الذي صغوه من الرحال وأقطاب الإبل ، وبصوته النديّ الشجيّ مضى يملأ بكلماته الأفئدة والأسماع ، ويُلقّي خطبته على عشرات الألوف من المسلمين الذين أنهوا الحجّ لتوهم .

[1] إشارة إلى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه النبيّ صلى الله عليه وآله ، بقوله : «طبيب دوّار بطّبه» . راجع : نهج البلاغة : الخطبة 108 .

[2] وفيات الأعيان : ج 5 ص 231 .

[3] ق : 37 .

بدأ الخطبة ، حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ راح يُشهدهم مرّات ومرّات على جهده الحثيث في إبلاغ الرسالة ، وما بذله لهم من النصيحة في دين الله ، وبجهاده العظيم في سبيل الدعوة . فشهدوا له وشهدوا ، وردّدوا ذلك بصوت واحد . كان هذا كلّ كالتمهيد ، حتى إذا ما تطلّعت النفوس والعقول مستفهمة ما وراء هذا الكلام النبويّ من مغزى ، أُرِفَت اللحظة الموعودة ، فما كان من النبيّ إلّا أن أخذ بعصده عليّ ورفعته حتى بان بياض أباطهما ، وصدع يقول : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْيْ مَوْلَاهُ» . والآن هلمّوا نبصر المشهد ، وتأمّل فيه عن كتب . ما الذي كان يبتغيه النبيّ بكلّ هذا التمهيد ، وفي فضاء مثل هذا تحتشد فيه الألوف المؤلفة ؟ وما الذي كان يُريده من إعلان هذا الكلام وسط جوّ حارّ ملتهب يتجمهر فيه هذا الجمع العظيم ؟ هل كان ما يقصده من قوله : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْيْ مَوْلَاهُ» هو الإعلان عن حبّ عليّ عليه السلام وحسب ؟ أم لم يتحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الناس في أكثر من موضع من حجّته الأخيرة ؛ حجّة الوداع العظيمة ، عن أهل بيته ، وبركز على مودّتهم من بين ما تحدّث به إلى المسلمين . أفتراه الآن جمع الألوف في هذه الرضاء التي تشتعل النار في ترابها ، طالباً منها الإصغاء إلى كلامه ، وإلى أن يُبلّغ الشاهد الغائب ؛ لمحض أن يوصيها بحبّ عليّ ! أ يحتاج حبّ عليّ إلى وصيّة وهو سيّد المؤمنين وأميرهم والشخصيّة الخارقة في مدرسة محمّد صلى الله عليه وآله حيث لا تُضاهي مكانتها شخصيّة في هذا الدين ؟ ثمّ أ ليس المؤمنون مأمورون في كتاب الله بحبّ بعضهم بعضاً ، ومن ثمّ هم مأمورون بحبّ عليّ بالضرورة ؟ فهل يحتاج كلام كهذا إلى كلّ هذا التمهيد والإعداد ؟ سبق أن عرضنا أحاديث «حبّ عليّ» وقد ركّزنا هناك أيضاً إلى أنّها تنطوي

على مدلول أعظم ، وغاية أسمى تتخطى حدود الحبّ الصوري العادي . ولطالما تساءلنا عن هذا العناء الذي تجشّمه الناس في تلك الظهيرة الحارقة ؛ فهل كانت هذه المشقة والأذى البليغ من أجل أن يسمع الناس كلاماً يوصيهم بحبّ عليّ ؟ ! تكشف هذه المؤشّرات بأجمعها أنّ ما كان يبتغيه رسول الله صلى الله عليه وآله بجملته تلك يتخطى هذه التصورات العاديّة ، ويتجاوزها إلى مدلول أهمّ وأخطر ، هذا المدلول هو الذي أُملى على النبيّ صلى الله عليه وآله أن يعدّ - بأمر الله - هذا المشهد العظيم بوقائعه الأخاذة ، ومعانيه التي لا تُنسى ، كي يصدع مرّة أخرى بذلك البلاغ الخطير ، بأسلوب أوضح ، حتى يعود المسلمون إلى ديارهم ومواطن سكناهم وفي أفئدتهم صدى الكلمات التي سمعوها في خطاب الرسول ، وفي ضمائرهم والعقول يستقرّ ذلك البلاغ الخطير . هل لعقل أن يفهم من المشهد غير هذا ؟ وهل ثمّ عقل يسيغ تلك التوجيهات والدعاوى الواهية التي ساقوها من حول الواقعة ! «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» . {3-}

ب - القرائن في الواقعة نفسها

1 . نزول الآيتين

لا جدال في أنّ الآيتين (3) و (67) من سورة المائدة نزلتا بشأن واقعة الغدير ، فقد نزل الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالبلاغ (الآية : 67) فأعدّ له ذلك المشهد المهيّب الذي تجمّعت فيه آلاف الألوف ، حتى إذا ما انتهى النبيّ من البلاغ ، ومن قوله : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ» نزلت الآية الأخرى وهي تتحدّث عن إكمال الدين وتمام النعمة .

[1] إشارة إلى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه النبيّ صلى الله عليه وآله ، بقوله : «طبيب دوّار بطّبه» . راجع : نهج البلاغة : الخطبة 108 .

[2] وفيات الأعيان : ج 5 ص 231 .

[3] ق : 37 .



هذه حقيقة وثقت لها كثرة كبيرة من الروايات والأخبار بحيث لم يعد فيها أدنى شك . والسؤال : لقد نزلت الآية (67) وهي تحتم على النبي صلى الله عليه وآله إبلاغ أمر إذا ما تخلف عنه فكأنه لم يبلغ الرسالة بالمرّة ، كما تشير إلى أنّ ما ينبغي إبلاغه لهو من الخطورة بحيث يبعث الخيفة والتوجس ، ويثير خصومة المعاندين وعداوتهم ؛ فهل يتسق هذا كله والزعم أنّ الآية نزلت بشأن شيء من الشرائع وبعض الحلال والحرام ! لقد كان واضحاً أنّ إبلاغ الشرائع وأحكام الحلال والحرام لا يستحقّ من النبي الخشية والتوجس ، كما لا يستتبع من الآخرين المعارضة والعناد . إنّه لأمر غريب ما ذهب إليه عدد من المفسرين ! فعندما عجز هؤلاء عن رؤية الحقيقة - أو لم تكن لهم رغبة برؤيتها - تراهم جنحوا لمزاعم واهية وأقوال لا نصيب لها من الصواب . إنّ أهميّة الآيتين وتحديد زمن نزولهما ، يدفعنا إلى تخصيص بحث مستقلّ لكلّ واحدة منهما .

2 . محتوى الخطبة

إنّ الطريقة التي بدأ بها النبي صلى الله عليه وآله خطبته ، وكيفية إدامتها ، والطريقة التي اختار بها عرض الموضوع ، والنسق الحماسي المؤثر الذي شاب كلمات الرسول وذلك الإيقاع المتحرّق الأخاذ في كلماته ، كلّ ذلك لا يدع مجالاً للشكّ في أنّ الموضوع أهمّ وأخطر بكثير ممّا تصوّره البعض . لنبقّ مع إحدى الصيغ التاريخية التي توفّرت على بيان النصّ ، ثمّ نتأمّل ما فيه من إيهامات . عن حذيفة بن أسيد ، قال : «لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ حَجَّةِ الْوُدَاعِ نَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ شَجَرَاتٍ بِالنَّطْحَاءِ مُتَفَارِجَاتٍ أَنْ يَنْزِلُوا حَوْلَهُنَّ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَصَلَّى تَحْتَهُنَّ ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ !

قَدْ تَبَايَى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَتَهُ لَمْ يَعْمَرْ نَبِيٌّ إِلَّا مَثَلَ يَصِفُ عُمَرُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَاتِي لَأُظُنُّ أَنْ يَوْشِكَ أَنْ أَدْعَى فَأَجِيبَ ، وَاتِي مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ ، فَمَاذَا أَنْتُمْ فَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَتَصَحَّتْ وَجْهَدْتَ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ جَنَّتُهُ حَقٌّ ، وَأَنَّ نَارَهُ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ؟ قَالُوا : بَلَى نَشْهَدُ بِذَلِكَ . قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ اللَّهَ - مَوْلَايَ ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؛ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنِّي فَرَطُكُمْ وَإِنَّكُمْ وَارِدُونَ عَلَى الْحَوْضِ ، حَوْضٌ أَعْرَضَ مِمَّا بَيْنَ بَصْرَى وَضَنْعَاءَ ، فِيهِ آيَةٌ عَدَدُ النُّجُومِ قِدْحَانٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَاتِي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيَّ عَنْ الثَّقَلَيْنِ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا ؛ الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ سَبَبُ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُ يَأْيَدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ لَا تَضَلُّوا وَلَا تَبْذِلُوا ، وَعِزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَبَايَى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَتَهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ » . [1] إنّ نسق بيان الخطبة ليدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله راح بادئ الأمر يهيب القلوب ويعدها ، ويدفع بالأفكار إلى التأمل ، ويحثّ الأذان على الانتباه والإصغاء ، حتى تفتتح بواطن القلوب ، فيملأ الأفئدة إيماناً ، وتستوطن كلماته النديّة الشجيّة الأعماق ، ذلك كله لكي لا ينقلب أحد من الناس في الغد وما بعد الغد إلى إنكار ما سمع من خطاب الرسول إلّا أن يكون ذلك عن ضلالة وعمى ، وعن عناد أمام الحقّ الصراح . تحدّث النبي صراحة بأنّ ساعة الرحيل قد أوشكت ، وما أقرب أن يؤدّع الأمة

[1] البداية والنهاية : ج 7 ص 349 .

إلى الرفيق الأعلى ؛ كي يحجز بذلك الأذهان ويستحثّها للتفكير بأمر الخلافة ، ويدفعها للتأمل في الصيغة التي تستمرّ فيها القيادة من بعده . لقد جاءت كلمات النبي صلى الله عليه وآله : « إِنِّي مَسْؤُولٌ ، وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ » لتلقي شحنة مركّزة وقويّة على المسؤوليّة العامّة الملقاة على عاتق الجميع ، وكأنّه صلى الله عليه وآله يقول : أنا مسؤول أن أصدق بالحقّ وأهتف بالحقيقة كما هي ، وأنتم مسؤولون أن تصغوا وتتأملوا ثمّ تعملوا . ثمّ انعطف يتساءل : لقد مكثت فيكم سنوات مديدة أبلغ رسالات ربّي فماذا أنتم فائلون ؟ أجاب الحشد بصوت واحد عالي الرنين ، رفيع الصدى : نشهد أنّك قد بلغت وجهدت ، فجزاك الله خيراً . واستمرّ النبي يسترسل بتساؤلاته إلى الجمع المحتشد أمامه ، عن أصول ما جاء به إليهم ، فشهدوا بالتوحيد والرسالة ، وأنّه الأولى عليهم من أنفسهم في جميع شؤون الحياة ، فأشهد الله عليهم قائلاً : اللَّهُمَّ اشْهَدْ . هي ذي اللحظة الموعودة أرفت ، إنّ هذا كلّ كان كالتمهيد ، ترقّب عارم يحفّ بالمشهد ، الأبصار

تطمح تلقاء المُحَيِّ النبوي ، الأذان مشدودة إليه ، وتساؤلات تسكن الأعماق : ما الذي يريد أن يقوله النبيّ من وراء ذلك ؟ تدقّت الكلمات من فم النبيّ صلى الله عليه وآله : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ» . وطفق النبيّ بعدها يدعو لمن وإلاه ، وأنّ من يعتو عن هذا الأمر ، ويعلو عليه ، ولا يسلم لصاحب الولاية بولايته ، فهو في الحقيقة يعلن المعركة ضدّ الرسول ، وبشهرها حرباً على النبيّ نفسه . أ بعد هذا يسفّ بعقل رأيه ، وينداعى به حزمه ، فيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فعل ذلك كلّ كي يوصي بحبّ عليّ ؟ !

رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم أنّ في قومه من لا يطبق هذه الحقيقة ، وأنّ فيهم من سيحرّض على «المولى» ويحتشد الصفوف لمواجهته ، جامحاً عن الحقّ ، فشددّ وحذر ، ثمّ ما لبث أن تحوّل إلى جانب آخر ، ليعيد تأكيد الأمر من بُعدٍ جديد . ذكر القيامة ، وعاد بنّيه إلى لحظة الفراق ، مشيراً : إني أوشك أن أدعى فأجيب ، لكنني أتوجّس المستقبل ، فمادّا أنتم فاعلون ! موعداً هناك ، على الحوض ، ستجدوني أقف بانتظاركم ، أترقبكم كيف تردّون . صلى الله عليه وآله يا ضياء العالم ، ويا سراج الوجود المنير ، لقد صدعت بكلمات الله ، وبلغت رسالة السماء بما هي أهله ، وأدّيت حقّ «الحق» أداءً شرفّت به الحياة ، وأضاءت به مقادير الإنسان . صلى الله عليه وآله ، وقد صدعت بولاية عليّ بصدر مشحون بالغصص والآلام ، لعلمك بالمدى الذي ستبلغه مكائد القوم واخنهم ، وهي توشك أن تنطلق قوّة ضارية ، تحيك المؤامرات والمتاعب من كلّ حذب وصب . بيد أنّك حفظت للحقّ حرمة ، وأدّيت الأمانة . فسلام عليك - نُزجيه خاشعين - عمّا أعطيت وهديت ، وعلى الذين نهجو نهجك الوضّاء ، وسلكوا سبيلك ، وبذلوا مهجتهم فيك .

3 . تتويج عليّ يوم الغدير

هو ذا نبيّ الله يضع عمامته على رأس عليّ ليزداد المشهد أبهىّ وجلالاً ، فهو بحقّ : نور على نور . رسول الله صلى الله عليه وآله يهبط من المكان الذي وُضع له لحظة أن صعد بأخطر بلاغات السماء ، تتهاذى إلى نفسه المقدّسة عذوبة شفيفة ، تسكن روحه طمأنينة باذخة ، ورضى أحسنّ به بعد أن انتهى من إبلاغ الأمة أمر ربّه . الناس يتجمهرون حول النبيّ

حلقاً حلقاً . لا ريب أنّ القلوب تموج بمشاعر مختلفة لما حصل . ما الخبر ؟ عليّ أصبح خليفة النبيّ ؟ لم يكن قلّة أولئك الذين تجاهلوا كلّ جهود النبيّ صلى الله عليه وآله وما بذله في سبيل هذا الأمر منذ أوّل أيّام البعثة حتى هذه اللحظة ، وما كان اصرارهم على العناد قليلاً ، لذلك شعر النبيّ أنّ مهمّته لم تكتمل بعد ، فلا بدّ من المزيد إمكاناً في ترسيخ الأمر ، وإبلاغاً في الحجّة . نادى على عليّ عليه السلام ، وتوجّ رأسه بعمامته «السحابة» . لقد ألفت أعراف ذلك العصر تتويج من يتبسّم زمام الحكم ، وعلى هذا جرى الملوك والأمراء ، والآن هو ذا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نصب عليّاً للحكم ، يضع على رأسه العمامة ؛ لأنّ «العمائمُ تيجانُ العرب» . [1] كما حدّثوا عن ثقافة ذلك العصر أنّ العرب عندما كانوا يبتغيون شخصاً للإمارة ويسودونه عليهم ، كانوا يضعون على رأسه «عمامة» في سلوك كان يدلّ على تثبيت الحاكميّة والولاية . [2] لقد تحدّث عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن هذه المكرمة النبويّة العظيمة ، بقوله : «عمّمني رسول الله صلى الله عليه وآله يومَ غدِير خُمٍ بعمامةٍ» . كما وثّق المحدثون والمؤرّخون مراسم هذا التتويج المهيب الذي ينبئ عن العظمة والجلال ، فكان ممّا كتبه : «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا عليّ بن أبي طالب يومَ غدِير خُمٍ ، فعمّمه وأرّخى عذبة العمامة من خلفه» . وكتبوا أيضاً : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عمّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمامته السحابة» . [3]

[1] مسند الشهاب : ج 1 ص 75 ح 47 .

[2] تاج العروس : ج 17 ص 506 .

[3] فرائد السمطين : ج 1 ص 76 ح 42 .

لقد دلّل النبيّ صلى الله عليه وآله بالتتويج عليّ عليه السلام بعمامته «السحابة» على هذه الهيئة الخاصّة ، وفي ذلك المشهد وبعد البلاغ ، على أنّه لم يكن يقصد من وراء خطبته وكلماته السامية ، غير نصب عليّ للولاية ، ولم يكن له غرض يصو إليه من جميع ذلك ، إلّا أن يعلن إمارة أمير المؤمنين وزعامته للأمة . {-4-}

4 . التسليم بالإمارة

نزل النبيّ صلى الله عليه وآله من المنبر الذي صنعوه له من أحداج الإبل ، ثمّ أمر المؤمنين أن يسلموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين . يقول بُريدة

الأسلمي : «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ» .

5 . التهنة بالولاية والإمارة

لقد أسفرت تصريحات ذلك اليوم عن وجه الحقيقة ، حتى لم يفهم الحاضرون من الواقعة ومن البلاغ غير نصب عليّ عليه السلام للولاية ، لذلك اندفعوا صوب الإمام أمير المؤمنين يهتفون بالولاية . والطريف أنّ الذين تقمّصوا الأمر بعد ذلك كانوا في طليعة المبادرين لتهنئة الإمام ، ومن بينهم الخليفة الثاني الذي بادر الإمام بقوله : «هَنِيئاً لَكَ يَا أَبَا طَالِبٍ ! أَصَحَّتْ الْيَوْمَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ» . لقد توفرت مصادر حديثة وتاريخية كثيرة على توثيق تهنة عمر وضبطها بألفاظ عديدة ، كما توفرت أيضاً على ضبط تهاني الآخرين .

6 . شعر الشعراء

يحظى فهم الأدباء والشعراء لمفردات اللغة وألفاظها بعناية خاصة في جميع

[1] ذكرت بعض المصادر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وضع العمامة على رأس عليّ في البداية ، ثمّ قال : «من كنت مولاه فعليّ مولاه» ويمكن أن يكون ذلك قد حصل تكراراً ، وليس للمرة الأولى .

الثقافات ، فإذا ما تعددت احتمالات المعنى ترى العلماء يُهرعون إلى فهم الأدباء والشعراء ليستندوا إليه في الترجيح . وفي يوم الغدير ، حيث كان النبيّ قد نزل المنبر للتوّ ، نهض حسّان بن ثابت من فوره ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول في الواقعة أبياتاً من الشعر ، فأذن له النبيّ ، فراح ينشد قصيدته العصماء ، ومطلعها : 0 يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ يَحْمِيْ وَأَسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنَادِيًا 0 إلى أن قال : 0 فَقَالَ لَهُ فَمَ يَا عَلِيُّ فَأَنْتَ رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيًا 0 فلما فرغ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «لا تَزَالُ يَا حَسَّانُ مُؤَيَّدًا بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا تَصْرَتْنَا بِلِسَانِكَ» . يتضح من غديرية حسّان أنّه فهم من الواقعة ومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله ، النصّ على إمامة عليّ بن أبي طالب ، وقد أيّده النبيّ ولم يُنكر عليه [1] . وعلى هذا مضى شعراء كثيرون بعد حسّان بن ثابت ؛ حيث استلهموا في شعرهم وقصائدهم إمامة عليّ وولايته من هذه الواقعة وما صدر فيها . من جهة استند العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني في موسوعته الصخمة «الغدير» على مثل هذا الشعر من بين ما استند إليه ، قاصداً تحليل محتواه ودراسة مراميه الدالة على الولاية والإمامة .

[1] تأتي غديرية حسّان في طليعة شعره ، وهي من أطول قصائده وأشهرها . راجع : الغدير : ج 2 ص 34 . بيد أنّ الذي يثير الأسف أنّ الدكتور محمد طاهر درويش وضع كتاباً ضخماً في حسّان تحدّث عن شعره ومختلف أبعاد حياته ، لكنّه لم يذكر هذا الشعر قط . راجع : كتاب «حسّان بن ثابت» .

7 . إنكار الولاية ونزول العذاب

صدور موبوءة بالحسد ، موعرة بالحق والضعينة ، لا لشئٍ إلّا لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعلن اسم عليّ ونصبه للولاية وإمامة الأمّة من بعده . راح هؤلاء يُرجفون ، ويبثّون السفاهاة ، لكن ندّ من بينهم رجل كان أكثرهم وقاحة ، وأجرأهم على الحقّ ، نظر بعين الشكّ إلى ما قام به النبيّ من نصب عليّ للإمامة ، فأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تسبقه أحفاده ، فسأله بجلّي وفجاجة ، عن الذي جاء به ، وفيما إذا كان منه أم من الله ، فردّ عليه نبيّ الله ثلاث مرّات مشفوعة بقسم أنّ ما جاء به هو من عند الله ، وهو أمر السماء لا بدّ له فيه . لكنّ الرجل مضى بنفس متبلّدة داجية ، وروح منهوكة مهزومة تُحيط بها ظلمة حالكة من كلّ صوب ، وهو يسأل الله بتبرّم وسخط أن يسقط عليه حجارة من السماء أو يأتيه عذاب أليم إن كان ما يقوله حقّاً . لم يكد يبتعد عن النبيّ خطوات ، حتى نزل به العذاب ، إذ رماه الله بحجر قتله من فوره ، بعد أن وقع على هامته ، وأنزل الله سبحانه : «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» [1] المهمّ في هذه الواقعة ما فهمه سائل العذاب ، فهذا الرجل فهم من قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ» دلالته على الإمامة والرئاسة والقيادة ، بدليل قوله في سياق ردّه على النبيّ صلى الله عليه وآله : «ثُمَّ لَمْ تَرْضَ حَتَّى تَصِبْتَ هَذَا الْغُلَامَ ، فَقُلْتَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ» ! إذ من الجليّ أنّ حبّ عليّ وإظهار مودّته لو كانا هما المقصودين في كلام النبيّ ، لما استدعى الأمر كلّ هذا الحنق والغضب من الرجل ، ولما استتبع عصيانه وطغيانه .

[1] المعارج : 1 .

8 . اعتراف الصحابة

لم يكن ثمة من الصحابة في ذلك العصر من فهم من الكلام النبوي غير دلالاته على مفهوم الإمامة والقيادة . حتى مرضى القلوب أظهروا الذي أظهروه لضعف اعتقادهم ، وإلا لم يشكّ منهم أحد قط في مدلول الكلام النبوي ومعناه . منذ ذلك المشهد وبعده - حيث استمر الأمر بعد ذلك سنوات أيضاً - كان هناك على الدوام من يُطلق على الإمام عليّ عنوان المولى ، ويخطبه ويسلم عليه به . وعندما كان الإمام عليّ عليه السلام يستوضح هؤلاء ويسألهم عن هذا الاستعمال ، كانوا يُجيبوه : «سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ هَذَا مَوْلَاهُ» . [1] وقد أكد عمر بن الخطاب نفسه على هذه النقطة مرّات ، كما فعل ذلك عدد آخر من الصحابة أيضاً . والسؤال : هل أراد هؤلاء بمناداتهم عليّاً بالمولى ، استناداً إلى الواقعة وإلى مدلول حديث الغدير ؛ هل أرادوا بذلك «الحبيب» و «النصير» ؟ إنّ الجنوح إلى مثل هذا الفهم لا تبرّره إلاّ اللأباليّة كما يتمّ عن عدم الانصياع إلى أبسط الحقائق اللغويّة والبيانيّة وأوضحها .

9 . مناشدة الإمام

عندما رأى الإمام عليّ عليه السلام أنّ الجهاز السياسي الحاكم راح ينتهز الفرصة في تجاهل الواقعة وكتمانها ، بادر إلى أسلوب فاعل لمواجهة ذلك . لم يلجأ الإمام إلى مواجهة الوضع الجديد على أساس صدامي مباشر ، ولم ير من المناسب أن يلتحم في معركة حامية تثير الفتنة والاضطراب ، لأسباب كان يقدرها ، وميّرت إليها الإشارة

[1] مسند ابن حنبل : ج9 ص143 ح23622 .

في موضعها . بيد أنّه لم يكفّ يده قط عن إظهار الحقّ ، والإجهار بالحقيقة وبما كان قد حصل يوم الغدير مستفيداً من آية فرصة تؤاينيه لإعلان ذلك . فإذا ما واجه أحدهم الإمام بسؤال كان يجيبه بصراحة ، وإذا ما كان بين الناس ورأى الأجواء مؤاتية بادر هو للحديث عن واقعة الغدير طالباً ممّن كان حضر الواقعة من الحاضرين أن يشهدوا بما أبصروا ورأوا . كما كان يحصل أحياناً أن يقسم الإمام على أشخاص لا ذوا بالصمت خوفاً أو طمعاً ، ويحثّهم على إظهار الحقّ والصدق به ، حتى لا تضع الحقيقة وتندثر في مطاوي النسيان . إنّ الوقائع من هذا القبيل كثيرة ، وقد اشتهرت في تصانيف المحدثين والمؤرخين بـ «المناشدة» ، وقد حصلت بوفرة سواء في عهد عزلة الإمام أو في عصر خلافته ، لكي لا يضع الحقّ على الجيل الجديد ، ولا تلتبس عليه الحقيقة ، وبصير ضحية التجهيل والتضليل . من ذلك ما ذكره ، من أنّ الإمام حضر في مجتمع الناس بالرحبة في الكوفة واستنشدتهم بحديث الغدير ، حيث قالوا : نشد عليّ عليه السلام الناس في الرحبة من سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خُم ما قال ، إلا قام . فقام بضعة عشر رجلاً من الصحابة . لقد دأب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على تأكيد هذه الحقيقة دائماً وفي كلّ مكان ، حيث راح يحثّ من حضر الواقعة على الإدلاء بشهادته ، كي لا يضع حقّ «الحقّ» ولا يلقه النسيان . على هذا كانت شهادة هؤلاء القوم مهمّة بالنسبة إلى الإمام ، وعندما اختار بعضهم - ممّن لم يرتقب منه ذلك أبداً - الكتمان والامتناع عن إبداء الشهادة ، دعا عليهم الإمام بألمٍ وتوجّع . أ فيكون كلّ هذا الحثّ والإصرار ، والحرص والتحرّق على إضاءة المشهد وإبقاء

الواقعة حيّة لا تُنسى ، لمحض أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في جملة : أحبّوا عليّاً وانصروه ! ثمّ هل لنا أن نتصوّر أنّ الجهاز الحاكم فرض السكوت على تلك الجموع الكثيرة التي حضرت الواقعة ، بحيث كان الإمام عندما ينشدهم لم تنهض منهم إلاّ قلة ضئيلة فيما تلوذ الأكثرية بالصمت خوفاً أو طمعاً ، إنّما كان من أجل أن يحولوا بين القلوب والنفوس وبين جملة أوصى بها النبيّ بحبّ عليّ ؟

كلام أهل البيت عليهم السلام في تفسير الحديث

ذكرنا مراراً أنّ الذين حضروا مشهد الغدير فهموا من قول النبيّ : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ» دلالاته على الولاية والإمامة والرئاسة ، على هذا الأساس انطلقوا لتحية الإمام بالإمامة وتهنئته بالولاية ، على المسار ذاته تحرّك الأدباء والشعراء ، فضمّنوا شعرهم وقصائدهم هذه الحقيقة التي فهموها وتركوها وثيقة للتاريخ ، كما يشدّ عن ذلك الفهم حتى أولئك الضلّال الذي تعتّرت بهم بصيرتهم فاخثاروا الضلالة على الهدى . ما نوّد التأكيد عليه في خاتمة هذه القرائن ، أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام أعلنوا هذه الحقيقة في تفسير الحديث مرّات ومرّات . أجل ، لم يصدر عن أولئك الكرام ، وهم همّ في البلاغة والعلم ، وهم «أهل البيت» ، و «أدرى بما في البيت» ؛ لم يصدر عنهم في مواضع متعدّدة قط سوى هذا التفسير . ونختم بنصّ من هذه النصوص الوضيئة التي تتصوّع مسكاً - وختامه مسك - حيث سأل أبو إسحاق الإمام عليّ بن الحسين ، بقوله : ما معنى قول النبيّ : «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ ؟» .

قال : «أخبرهم أنّه الإمام بعدّه» . [1] إنّ أمثال هذه النصوص التفسيرية كثير في ميراث أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ولا جدال أنّ تفسيرهم مقدّم على كلّ

فقل رسول الله صلى الله عليه وآله عائداً إلى المدينة بعد أن انتهى من الحج وأبلغ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام . لم يعترض على البلاغ النبوي علناً وبشكل صريح إلا شخص واحد ، أمّا البقية فقد انطوت على الصمت ولم تجهر بخبيئة نفسها . تفرّق الناس في البوادي والصحاري فاصدين ديارهم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة مع أصحابه .

محاولة لتثبيت محتوى «الغدير»

راح رسول الله صلى الله عليه وآله يمضي أيامه الأخيرة في المدينة ، وموجات السرور تطفح بالبشر على وجهه الأقدس ، وهو يشعر بالرضى وقد انتهى من أداء آخر المسؤوليات وبلغ آخر كلمات السماء وأخطرها . بيد أنه كان يعرف بعلمه الذي يستمدّه من وراء الملكوت ، ما يجري في داخل المجتمع ، وله دراية بجميع المؤامرات والمكائد والعداوات التي توشك أن تنطلق في المستقبل القريب قوّة ضارية . لذلك كلّه راح يستفيد من الفرصة المتبقية لكي يحكم ما كان قد بلغه ويرسخه أكثر فأكثر . لقد سجّل الجهد النبوي على هذا الصعيد مبادرتين عظيمتين على الأقل ، نشير إليهما في الفصل الآتي .

[1] معاني الأخبار : ص 65 ح 1 .

[2] راجع : مجلّة تراثا / العدد 21 ، البحث المهمّ المعنوّن : «الغدير وحديث العترة الطاهرة» .

16 . الجهود الأخيرة

1 . كتابة الوصية

رسول الله صلى الله عليه وآله ممدّد على فراش المرض وقد ثقل عليه المرض ، الحمى تلهب جسده المطهر ، وكلّ شيء يومئ إلى أن ساعة الرحيل قد أزفت ، وأنّ النبي يوشك أن يفارق هذه الدنيا بعد سنوات من الجهد الحثيث المثابر . ما يشغل النبي في هذه اللحظات الحرجة ويقضّ عليه مضجعه هو مستقبل الأمة ، والغد الذي ستؤول إليه رسالته الغتية ، وهذه الشجرة الطيبة التي لا تزال بحاجة إلى الرعاية والحماية ، وإلى عناية من نوع خاص . في هذه اللحظات الثقيلة بوطأة الغراق الذي أوشك ، وإذا بصوت يصدع من الحجرة النبوية ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» . [1] انفجر المشهد عن لغط تحوّل بالتدريج إلى صياح وخصار في محضر النبي الأقدس ، ثمّ نددت عن أحد الحاضرين كلمة قارصة موجعة بعيدة كلّ البعد عن مقام النبي وشأوه العظيم . لقد بلغ من احتدام الموقف أنّ النساء صحن من وراء الستر إشفافاً على النبي ، وهنّ يحثنّ الرجال أن يُقرّبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما طلبه ، فما كان من صاحب ذلك الصوت إلّا أن عاد يطعن بهنّ . [2] عندها أحجم النبي عن الحاضرين ، ونادى بهم : «قوموا عني» ! [3] لم تكتب هذه الوصية النبوية ، لكن محتواها كان واضحاً لكثيرين - ولا يزال - .

[1] صحيح البخاري : ج3 ص1111 ح2888 .

[2] راجع : الطبقات الكبرى : ج2 ص243 .

[3] صحيح البخاري : ج3 ص1111 ح2888 .

وهم يعرفون تماماً لماذا أحجم النبي عن إملائها . لا ريب أنّ محتوى الوصية هو تأكيد آخر على ما تمّ إبلاغه في الغدير من الولاية وتحديد مستقبل الأمة ومصيرها ، تشهد على ذلك النقاط التالية : 1 . إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تحدّث عن «التمسك» بالثقلين مرّات ومرّات ، وعدّ ذلك عصمة للأمة من مهاوي الردى والضلال . وفي حديثه عن هذه الوصية صرّح بالخصلة ذاتها ، وهو يقول : «كتاباً لن تضلوا» . 2 . ينبغي أن ندرس ونتأمّل طبيعة الشيء الذي إذا كتبه الرسول يُثير كلّ هذا الصخب والتوجّس وردود الأفعال ، حتى ليستمرّ بعض الحاضرين توجيه تلك المقالة المهمة إلى رسول الله ، هل كان ثمّ شيء خليق بإثارة هذا الجوّ العنيف المنفعل غير قضية «القيادة» ، حتى بلغ من ضوضاء القوم أن أمر النبي بإخراجهم وإبعادهم عنه ، بكلمات ملؤها الألم ! 3 . كان ابن عباس يتحدّث عن تلك الرزية [رزية الخميس] على الدوام ، ويُعيد ذكرها بتوجّع وألم ، حتى كانت دموعه تسيل على خديه في بعض المرّات ، وقد قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بثلاث بعد الذي قالوا ، قال : «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . . .» . ثمّ ذكر ابن أبي نجیح الذي روى الخبر عن سعيد بن جبیر ، ما نصّه : وسكت سعيد عن الثالثة ، فلا أدري أسكت عنها عمداً ؟ ! وقال مرّة : أو نسيها ؟ وقال سفيان مرّة : وإمّا أن يكون تركها أو نسيها ! [1] أنسي سعيد ! أم اعتصم بالصمت وهو يبصر سيف الحجاج بن يوسف يبرق فوق الرؤوس ؟ وهل اختارت ذاكرة التاريخ إلّا أن تدفع الأمر إلى مطاوي العدم والنسيان

[1] صحيح البخاري : ج3 ص1111 ح2888 .

[2] راجع : الطبقات الكبرى : ج 2 ص 243 .

[3] صحيح البخاري : ج 3 ص 1111 ح 2888 .

[4] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 477 ح 1935 .

[5] المراجعات : ص 455 .

[6] شرح نهج البلاغة : ج 12 ص 21 .

لتفتك بـ «الحقيقة» وتأدّها لمصلحة الجهاز الحاكم ، وتذبحها على دكة «المصلحة» ! يكتب العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين : «ليست الثالثة إلا الأمر الذي أراد النبي أن يكتبه حفظاً لهم من الضلال ، لكن السياسة اضطرت المحدثين إلى نسيانه ، كما نبه إليه مفتي الحنفية في «صور» الحاج داود الددا . [1] هكذا يتضح أن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما منع من الكتابة ، عاد ليؤكد الأمر شفوياً في إطار وصايا أخرى ، ولكن ! 4 . اعتراف عمر بن الخطاب : لقد صرح عمر بهذه الحقيقة ، وعدّ ما قام به - من منع النبي والحوول بينه وبين أن يكتب - تداركاً لمصلحة الأمة ! يقول : «ولقد أراذ [صلى الله عليه وآله] في مرضه أن يصرح باسمه ، فمتمعت من ذلك إشفافاً وحيطاً على الإسلام . لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه فريش أبداً ، ولو وليها لانتقصت عليه العرب من أقطارها ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أني علمت ما في نفسي فأمسك» ! [2]

2 . إنفاذ جيش أسامة

اختار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في أيامه الأخيرة وقد استولى عليه المرض - اختار أسامة بن زيد ؛ ذلك الفتى البالغ عمره 17 سنة ، لقيادة جيش كبير يضم في صفوفه أعيان الصحابة . يقول ابن سعد في هذا السياق : «فلما كان يوم الأربعاء بُدئَ رسول الله صلى الله عليه وآله فخمّ وضرع ، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء يديه . . . فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انثب في تلك الغزوة ؛ فيهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقنادة بن الثعمان ،

[1] المراجعات : ص 455 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 12 ص 21 .

وسلمة بن أسلم بن حريش» [1] . النبي صلى الله عليه وآله يأمر بإنفاذ هذا الجيش ويقول مؤكداً «جهّزوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عنه» [2] ويأمر جيش المسلمين بترك المدينة فوراً مع عدم وجود خطر عسكري فعلي يهدد المدينة ! لا رب أن النبي كان يقصد من وراء ذلك أن ينقي أجواء المدينة من المتربصين الذين يتحينون الفرصة بعد رحيل النبي للانقضاض على الخلافة ، ومن جهة أخرى يريد صلى الله عليه وآله تمهيد الطريق لوصول الحق إلى صاحبه الشرعي ، وهو ما ورد صريحاً في كلام الإمام علي عليه السلام .

[1] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 190 .

[2] الملل والنحل : ج 1 ص 23 .

الفصل الأول : أحاديث الوصاية

أ - لكلّ نبي وصي

50. رسول الله صلى الله عليه وآله : إن لكلّ نبي وصياً ووارثاً ، وإنّ علياً وصي ووارثي . [1]

51. عنه صلى الله عليه وآله : إنّ لله مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي ، أنا سيّدُهم وأفضلُهم وأكرمُهم على الله عزّ وجلّ ، ولكلّ نبي وصي

أوصى إِلَيْهِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، وَإِنَّ وَصِيَّ عَلِيٍّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ لَسَيِّدُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . [2]

52.الإمام الصادق عليه السلام : كَانَ وَصِيَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْثَ بَنَ آدَمَ هَبَّةَ اللَّهِ ، وَكَانَ وَصِيَّ نُوحٍ سَامَ [1] ، وَكَانَ وَصِيَّ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَكَانَ وَصِيَّ مُوسَى يُوَشَعَ بَنَ نُوحٍ ، وَكَانَ وَصِيَّ دَاوُدَ سُلَيْمَانَ ، وَكَانَ وَصِيَّ عِيسَى شَمْعُونَ ، وَكَانَ وَصِيَّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ . [3]

ب - وَصِيَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

53.رسول الله صلى الله عليه وآله : إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَصِيًّا صَالِحًا ، فَأَوْحَى اللَّهُ

[1] تاريخ دمشق : ج 42 ص 392 ح 9005 و 9006 .

[2] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 4 ص 180 ح 5407 .

[3] الفضائل لابن شاذان : ص 84 .

53.رسول الله صلى الله عليه وآله : عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ : إِنِّي أَكْرَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ بِالنُّبُوَّةِ ، ثُمَّ اخْتَرْتُ مِنْ خَلْقِي خَلْفًا وَجَعَلْتُ خِيَارَهُمُ الْأَوْصِيَاءَ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ أَوْصِ إِلَى شَيْثٍ . فَأَوْصَى آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى شَيْثٍ وَهُوَ هَبَّةُ اللَّهِ بَنُ آدَمَ . [1]

ج - وَصِيَّ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

54.رسول الله صلى الله عليه وآله : لَقَدْ خَرَجَ نُوحٌ مِنَ الدُّنْيَا وَعَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لِيُوصِيَهُ سَامٌ . [2]

د - وَصِيَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

55.الإمام الباقر عليه السلام : كَانَ وَصِيَّ مُوسَى يُوَشَعَ بَنَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ قَتَاهُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ [3] . [4]

ه - وَصِيَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

56.رسول الله صلى الله عليه وآله : لَقَدْ رُفِعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لِيُوصِيَهُ شَمْعُونَ بْنُ حَمَّوْنَ الصَّفَا . [5]

و - وَصِيَّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

1 . الْوَصِيَّ

57.فضائل الصحابة لابن حنبل عن أنس بن مالك : قُلْنَا لِسَلْمَانَ : سَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ وَصِيٍّ ؟

[1] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 4 ص 175 ح 5402 .

[2] معاني الأخبار : ص 372 ح 1 .

[3] كما في سورة الكهف، الآية 60 : «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ . . . » ، والآية 62 : «فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَاهُ إِنِّي أَخَذْتُكَ بِالْغَدَاةِ . . . » .

[4] الكافي : ج 8 ص 117 ح 92 .

[5] معاني الأخبار : ص 372 ح 1 .

57.فضائل الصحابة لابن حنبل عن أنس بن مالك : فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ وَصِيُّكَ ؟ قَالَ : يَا سَلْمَانُ ، مَنْ كَانَ وَصِيَّ مُوسَى ؟ قَالَ : يُوَشَعَ بْنُ نُوحٍ . قَالَ : فَإِنَّ وَصِيَّيَّ وَوَارِثِي ، يَقْضِي دِينِي ، وَيُنْجِزُ مَوْعُودِي عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ . [1]

58.الإمام علي عليه السلام - فِي خُطْبَةٍ خَطَبَهَا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ -: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي صَاحِبُكُمْ وَالَّذِي يَهْ أَمْرُكُمْ ، وَأَتَى عَالَمُكُمْ وَالَّذِي يَعْلَمُ تَجَانُّكُمْ ، وَوَصِيُّ تَبِيَّكُمْ ، وَخَيْرُهُ رَيْكُمْ ، وَلِسَانُ نُورِكُمْ ، وَالْعَالِمُ بِمَا يُصِلُكُمْ . [2]

2 . وَصَايَتُهُ مِنَ اللَّهِ

59.الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا نَزَلَ قُدَيْدَ [3] قَالَ لَعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا عَلِيُّ ، إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُوَالِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَفَعَلَ ، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُؤَاجِلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَفَعَلَ ، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَكَ وَصِيِّي فَفَعَلَ . فَقَالَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ : وَاللَّهِ لَصَاعٌ مِنْ تَمَرٍ فِي شَنِّ [4] بِأَلٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا سَأَلَكَ رَبُّهُ ، فَهَلَا سَأَلَ رَبُّهُ مَلَكًا يَعْضُدُهُ عَلَى عُدُوِّهِ ، أَوْ كَنَزًا يَسْتَعْنِي بِهِ عَنْ فَاقِيهِ ، وَاللَّهِ مَا دَعَاهُ إِلَى خَوٍّ وَلَا بَاطِلٍ إِلَّا أَجَابَهُ إِلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : «فَلَعَلَّكَ تَارِكُكُمْ بَعْضٌ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ» - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ - [5] . [6]

[1] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 615 ح 1052 .

[2] الكافي : ج 8 ص 32 ح 5 .

[3] قُدَيْد : اسم موضع قرب مكة (معجم البلدان : ج 4 ص 313) .

[4] الشَّنِّ : الخَلْقُ من كلِّ أُنْثَى صُنعت من جلد ، وجمعها شِنَان (لسان العرب : ج 13 ص 241) .

[5] هود : 12 وبقيتها : «أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» .

[6] الكافي : ج 8 ص 378 ح 572 .

60.رسول الله صلى الله عليه وآله - لإفاطمة عليها السلام :- أ ما عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَطْلَعَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ أَبَاكَ قَبِيعَةَ نَبِيًّا ، ثُمَّ أَطْلَعَ النَّبِيَّةَ فَاخْتَارَ بَعْلَكَ ، فَأَوْحَى إِلَيَّ ، فَأَنْكَحْتُهُ وَاتَّخَذْتُهُ وَصِيًّا [1] ؟

3 . خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ

61.الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ خَيْرَ الْخَلْقِ - يَوْمَ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ - الرُّسُلُ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ كُلِّ أُمَّةٍ بَعْدَ نَبِيِّهَا وَصِيٌّ نَبِيًّا حَتَّى يُدْرِكَهُ نَبِيٌّ ، أَلَا وَإِنَّ أَفْضَلَ الْأَوْصِيَاءِ وَصِيٌّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ . [2]

4 . سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ

62.رسول الله صلى الله عليه وآله : أَمَّا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ . [3]

63.عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- لَوْلَا أَنِّي خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ لَكُنْتُ شَرِيكًا فِي الشُّبُوهِ ؛ فَإِنْ لَا تَكُنْ نَبِيًّا فَإِنَّكَ وَصِيٌّ نَبِيٍّ وَوَارِثُهُ ، بَلْ أَنْتَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ . [4]

5 . أَوَّلُ أَوْصِيَاءِ خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

64.رسول الله صلى الله عليه وآله : الْأَيُّمَةُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ ؛ أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَآخِرُهُمُ الْغَائِمُ ؛ فَهُمْ خُلَفَاؤُنِي وَأَوْصِيَاؤُنِي وَأُولِيَاؤُنِي وَخُجَجُ اللَّهِ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي . [5]

[1] المعجم الكبير : ج 4 ص 171 ح 4046 .

[2] الكافي : ج 1 ص 450 ح 34 .

[3] الأمالي للصدوق : ص 678 ح 924 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 13 ص 210 .

[5] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 4 ص 179 ح 5406 .

الفصل الثاني : أحاديث الوراثة

أ - الوارث

65.رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَصِيِّي ، وَخَلِيفَتِي ، وَوَزِيرِي ، وَوَارِثِي ، وَأَبُو وَلَدِي ... ، أَمْرُكَ أَمْرِي ... ، وَنَهْيُكَ نَهْيِي . [1]

ب - وارثُ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

66. رسول الله صلى الله عليه وآله : الْقُرْآنُ إِمَامٌ هَادٍ ، وَلَهُ قَائِدٌ يَهْدِي بِهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَعْدِي ، وَوَارِثُ عِلْمِي وَحِكْمَتِي ، وَسِرِّي وَعَلَانِيَتِي ، وَمَا وَرَثَةُ النَّبِيِّونَ قَبْلِي ، وَأَنَا وَارِثٌ وَمَوْرِثٌ ، فَلَا تُكْذِبُتْكُمْ أَنْفُسُكُمْ . [2]

67. الإمام الباقر عليه السلام : وَرِثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَوَرِثَتْ فَاطِمَةُ تَرَكَّتُهُ . [3]

[1] الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ : ص 411 ح 533 .

[2] خصائص الأئمة عليهم السلام : ص 75 .

[3] بصائر الدرجات : ص 294 ح 6 .

الفصل الثالث : أحاديث الخلافة

أ - أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟

68. السَّيِّدَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَيْلَةَ الْجَنَّةِ : نُعِيْتُ إِلَيَّ - وَاللَّهِ - نَفْسِي . فَقُلْتُ : يَقُومُ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ! فَسَكَتَ . فَقُلْتُ : يَقُومُ بِالنَّاسِ عُمَرُ ! فَسَكَتَ . فَقُلْتُ : يَقُومُ بِالنَّاسِ عَلِيُّ ! ! فَقَالَ : لَا يَفْعَلُونَ ، وَلَوْ فَعَلُوا دَخَلُوا الْجَنَّةَ أَجْمَعِينَ . [1]

ب - إِسْتِخْلَافُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ

69. رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَصِيِّي ، أَوْصَيْتُ إِلَيْكَ بِأَمْرِ رَبِّي . وَأَنْتَ خَلِيفَتِي ، إِسْتَخْلَفْتُكَ بِأَمْرِ رَبِّي . [2]

70. عنه صلى الله عليه وآله : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ وَخَلِيفَتِي ، وَحُجَّةُ اللَّهِ وَحُجَّتِي . [3]

ج - خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَهُ

71. فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ : أَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى لَقَدْ سَمِعْتُهُ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] يَقُولُ : عَلِيُّ خَيْرٌ مَنْ أَخْلَفَهُ فِيكُمْ ، وَهُوَ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي . [4]

[1] السَّيِّدَةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ : ص 549 ح 1183 .

[2] كِتَابُ مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه : ج 4 ص 179 ح 5405 .

[3] الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ : ص 271 ح 299 .

[4] كَفَايَةُ الْأَثَرِ : ص 199 .

72. السَّيِّدَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : خَرَجَ النَّاسُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَقَالَ عَلِيُّ : أَخْرُجْ مَعَكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَبَكَى . قَالَ : أَفَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ ! ! وَأَنْتَ خَلِيفَتِي فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي . [1]

د - خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ

73. رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَصِيِّي ، وَأَبُو وَلَدِي ، وَزَوْجُ ابْنَتِي ، وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي : أَمْرُكَ أَمْرِي ، وَتَهْلُكَ نَهْيِي . أَقْسِمُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوءَةِ وَجَعَلَنِي خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَنَّكَ لَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَأَمِينُهُ عَلَى سِرِّهِ ، وَخَلِيفَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ . [2]

[1] السَّيِّدَةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ : ص 589 ح 1351 .

[2] عِيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : ج 1 ص 297 ح 53 .

الفصل الرابع : أحاديث المنزلة

أ - حَدِيثُ الْمَنْزِلَةِ

74. رسول الله صلى الله عليه وآله - لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . [1]

75. الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام : لَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَشْرَةِ مَوَاضِعَ : أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى . [2]

ب - مَوَارِدُ تَأْكِيدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى حَدِيثِ الْمَنْزِلَةِ

1 . يَوْمُ الْإِنْذَارِ

76. كنز الفوائد عن أبي رافع : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الشَّعْبِ . . . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُذِيرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطِي الْمُخْلِصِينَ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ مِنْ أَهْلِهِ أَخًا ، وَوَارِثًا ، وَوَزِيرًا ، وَوَصِيًّا ، وَخَلِيقَةً فِي أَهْلِهِ ، فَأَبْكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنَّهُ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي دُونَ أَهْلِي ، وَيَكُونُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ .

[1]. سنن الترمذي : ج 5 ص 641 ح 3730 .

[2]. منابع المودة : ج 2 ص 302 ح 866 .

76. كنز الفوائد عن أبي رافع : فَأَعَادَ الْكَلَامَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَيَقُومَنَّ فَائِزُكُمْ أَوْ يَكُونُ فِي غَيْرِكُمْ ، ثُمَّ لَتَدْمُنُ ! قَالَ : فَقَامَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ ، فَبَايَعَهُ ، وَأَجَابَهُ إِلَى مَا دَعَاهُ . [1]

2 . يَوْمُ الْمُؤَاخَاةِ

77. فضائل الصحابة لابن حنبل عن معجود بن زيد : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ أَخِي ، وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . [2]

3 . عِنْدَ سَدِّ الْأَبْوَابِ

78. رسول الله صلى الله عليه وآله : إِنَّ رَجُلًا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ فِي أَتَى أَسْكَنْتُ عَلِيًّا فِي الْمَسْجِدِ ، وَاللَّهِ مَا أَخْرَجْتُهُمْ ، وَلَا أَسْكَنْتُهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ : «أَنْ تَبُوءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» [3] ، وَأَمَرَ مُوسَى أَلَّا يَسْكُنَ مَسْجِدَهُ ، وَلَا يَنْكِحَ فِيهِ ، وَلَا يَدْخُلَهُ إِلَّا هَارُونَ وَذُرِّيَّتُهُ ، وَإِنَّ عَلِيًّا مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وَهُوَ أَخِي دُونَ أَهْلِي ، وَلَا يَجِلُّ مَسْجِدِي لِأَحَدٍ يَنْكِحُ فِيهِ النِّسَاءَ إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ ، فَمَنْ سَاءَهُ فُهَاظُنَا - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ . [4]

4 . فَتْحُ خَيْبَرَ

79. المناقب لابن المغازلي عن جابر بن عبد الله : لَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَفْتَحُ خَيْبَرَ قَالَ لَهُ

[1]. كنز الفوائد : ج 2 ص 177 .

[2]. فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 663 ح 1131 .

[3]. يونس : 87 .

[4]. المناقب لابن المغازلي : ص 255 ح 303 .

79. المناقب لابن المغازلي عن جابر بن عبد الله : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا عَلِيُّ ، لَوْلَا أَنْ تَقُولَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي فِيكَ مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عَيْسَى بْنِ

مَرِيَمَ لَقَلْتُ فِيكَ مَقَالًا لَا تَمُرُّ يَمَلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَخَذُوا الثَّرَابَ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْكَ ، وَفَضَلِ طَهْرُكَ ؛ يَسْتَشْفُونَ بِهِمَا ، وَلَكِنْ حَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ مِثِّي . . . يَمْنَزِلُهُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . [1]

5 . غَزْوَةُ تَبُوكَ

80. صحيح البخاري عن سعد بن أبي وقاص : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ [2] وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا ، فَقَالَ : أُنْخَلِّقُنِي فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ ؟ ! قَالَ : أ لَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثِّي يَمْنَزِلُهُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيَّ بَعْدِي !! [3]

[1] المناقب لابن المغازلي : ص 237 ح 285 .

[2] تَبُوكَ : منطقة في وسط الطريق الرابط بين المدينة ودمشق ، شمال غربي المدينة ، وجنوب دمشق . حشد النبي صلى الله عليه وآله فيها جيشا في السنة التاسعة للهجرة لإخضاع عرب الشمال ، ولكن لم تَقُمْ حرب .

[3] صحيح البخاري : ج 4 ص 1602 ح 4154 .

بحث حول حديث المنزلة

إنَّ حديث المنزلة الذي نقلناه بصور متنوّعة يمثّل فضيلة من الفضائل العلويّة الرفيعة ، ومنقبة من مناقبها الكريمة . واستبان ممّا ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نطق بهذه الفضيلة في مواطن كثيرة ؛ فما جرى على لسانه المطهر في غزوة تبوك وإن كان أشهرها ، ولكنّه لا يقتصر عليها . والأسانيد العديدة والمنقولات الجمة لهذا الحديث لا تدع مجالاً للشك في صدوره القطعي ، وقد أدّى سعة نقله وكثرة أسانيدِهِ إلى أن يصرح علماء ومحدثون سنّة كبار بتواتره وكثرة نقله من طرق ومصادر مختلفة ، ويؤكدون على كونه الحديث الأكثر ثبنا بين الآثار المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، مبينين بذلك اتفاق رواة الحديث وحفظه الآثار على صحته . وكتب الحسكاني يقول عن أسانيدِهِ : وهذا حديث المنزلة الذي كان شيخنا أبو حازم الحافظ يقول : خرّجته بخمسة آلاف إسناداً!! [1] وفيه قال محمد بن عبد البر :

[1] شواهد التنزيل : ج 1 ص 195 والمراد من «خمسة آلاف إسناد» هو كثرة نقل الخبر في العصور المختلفة ، لا كثرة الرواة في كلّ طبقة من طبقات السند .

روى قوله صلى الله عليه وآله : «أنت مِثِّي يَمْنَزِلُهُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى» جماعة من الصحابة ، وهو من أثبت الآثار وأصحّها . رواه عن النبي صلى الله عليه وآله سعد بن أبي وقاص ، وطرق حديث سعد فيه كثيرون جداً ، قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره ، ورواه ابن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو سلمة ، وأسماء بنت عميس ، وجابر بن عبد الله ، وجماعة يطول ذكرهم . [1] وكتب محمد بن يوسف الكنجي : هذا حديث متفق على صحته ، رواه الأئمة الحفاظ كأبي عبد الله البخاري في صحيحه ، ومسلم بن الحجاج في صحيحه ، وأبي داود في سننه ، وأبي عيسى الترمذي في جامعِهِ ، وأبي عبد الرحمن النيسابوري في سننه ، وابن ماجه في سننه ، وأتفق الجميع على صحته حتّى صار ذلك إجماعاً منهم . قال الحاكم النيسابوري : هذا حديث دخل في حدّ الثواتر . [2] وأورد السيوطي في كتابه الذي أفردته لنقل الأحاديث المتواترة وسمّاه بـ «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» حديث المنزلة [3] ، مصرّحاً عملياً بتواتره . إن ما ورد أعلاه يعكس بعضاً من الآراء الواردة بشأن أسانيدِهِ . ولارِب أن تتبع فيالمصادر الحديثية ينفي أية أوهام تشكك في قطعته صدوره . ومن حيث المضمون نرى أنّه جعل لعلي عليه السلام جميع المناصب التي كانت لهارون عليه السلام في عصر موسى عليه السلام إلا النبوة ، وذكر القرآن الكريم مناصب هارون بهذا النحو : «وَجَعَلْنَا لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي

[1] الاستيعاب : ج 3 ص 202 الرقم 1875 .

[2] كفاية الطالب : ص 283 .

[3] الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة : ص 76 ح 103 .

أَمْرِي» . [1] وثبتت هذه المناصب لعلّي عليه السلام في الأحاديث النبوية بصراحة . وأورد القرآن الكريم قسماً آخر من مناصب هارون بالنحو الآتي : «اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» . [2] إن واقع حياة عليّ عليه السلام ، ودفاعه الفذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشهوده الذي لا مثيل له فيحروبه جميعها ، كلّ أولئك معلّم على أنّ الله تعالى جعل لعلّي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله منزلة هارون من موسى عليهما السلام . لقد مضى رسول الله صلى الله عليه وآله في إبلاغ رسالته حسب المجربات الطبيعية للأمور ، وكان عليّ عليه السلام أفضل وأثبت نصير له في هذا السبيل . فمبيته في فراشه ، واستبساله العجيب في معركة بدر التي كانت أوّل اختبار للمسلمين ، وكانت مصيرته رهيبة ، وحمايته العظيمة له صلى الله عليه وآله في أحد وقد قرّ كثير من المدّعين ، ومبارزته لعمر بن عبد ودّ في معركة الخندق بعد حصار المشركين المخيف ، وتجليّ قوته في خيبر وقد ظلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه خلف أسوارها ، وغير ذلك كلّ آية على أنّ دعمه لرسول الله صلى الله عليه وآله كان مصيرياً . ونضيف إلى ما ذكرناه أنّ هذه الأحاديث تدلّ على أنّ عليّ عليه السلام كان متميّزاً بين الصحابة ، ولم يُقرّن به أحد منهم كما كان هارون في بني إسرائيل . انظر إلى الروايات الآتية : - الإمام عليّ عليه السلام : إنّ الله تبارك اسمه . . . شدّ بي أزر رسولِهِ ، وأكرمني بتصرِهِ ، وشرفني بعلمِهِ ، وحباني بأحكامِهِ ، واختصني بوصيَّتِهِ ، وأصطفاني

[1] طه : 29 - 32 .

[2] الأعراف : 142 .

يُخْلَافَنِي فِي أَمْنِيهِ ، فقال صلى الله عليه وآله - وَقَدْ حَشَدَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، وَانْعَصَت بِهِمُ الْمَحَافِلُ - : «أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ عَلِيّاً مِنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» . فَعَقَلَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ اللَّهِ - تُطَقَّ الرُّسُولُ ؛ إِذْ عَرَفُونِي أَنِّي لَسْتُ بِأَخِيهِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ كَمَا كَانَ هَارُونُ أَخَا مُوسَى لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَلَا كُنْتُ نَبِيّاً فَافْتَضَى نُبُوَّةً ، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِخْلَافاً لِي كَمَا اسْتَخْلَفَ مُوسَى هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حَيْثُ يَقُولُ : «اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» . [1] - أبو خالد الكابلي : قِيلَ لِسَيِّدِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ : فَمَا يَصْنَعُونَ بِخَيْرِ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» ؟ فَمَنْ كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى مِثْلَ هَارُونَ ؟ [2] - أبو هارون العبدي : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» ، قَالَ : اسْتَخْلَفَهُ بِذَلِكَ - وَاللَّهِ - عَلَى أَمْنِيهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ طَاعَتَهُ ؛ فَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ بِالْخِلَافَةِ فَهُوَ مِنَ الظَّالِمِينَ . [3] - سلم بن وضّاح : كُنَّا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَأَلَهُ مُعَلَّى بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى» أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَ بِهِ ؟ قَالَ : أَرَادَ بِهِ أَنْ يُطَاعَ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا يُطَاعُ النَّبِيُّ فِي حَيَاتِهِ . [4]

[1] الأعراف : 142 .

[2] معاني الأخبار : ص 74 ح 2 .

[3] معاني الأخبار : ص 74 ح 1 .

[4] المناقب للكوفي : ج 1 ص 510 ح 429 .



الفصل الخامس : أحاديث الإمامة

أ - معنى أولي الأمر

الكتاب

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» . [1]

الحديث

81. كمال الدين عن جابر بن عبد الله الأنصاري : لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَرَفْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَمَنْ أُولُو الْأَمْرِ الَّذِينَ قَرَنَ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِكَ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هُمْ خُلَفَائِي بَا جَابِرٍ ، وَأَيْمَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِي ، أُولَئِهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [2]

82. الإمام زين العابدين عليه السلام : إِنَّ أُولَى الْأَمْرِ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَيْمَةً لِلنَّاسِ وَأَوْحَى عَلَيْهِمْ طَاعَتَهُمْ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ ابْنَا عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْنَا . [3]

[1] النساء : 59 .

[2] كمال الدين : ص 253 ح 3 .

[3] كمال الدين : ص 319 ح 2 .

ب - الأمير بعد النبي صلى الله عليه وآله

83. رسول الله صلى الله عليه وآله : إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ عَلَيْكُمْ عَلِيًّا أَمِيرًا . [1]

84. عنه صلى الله عليه وآله : مَنْ كُنْتُ نَبِيَّةً فَعَلِيٌّ أَمِيرُهُ . [2]

ج - أمير البررة

85. رسول الله صلى الله عليه وآله - يَوْمَ الْخُدَيْيَةِ وَهُوَ أَخِذٌ بِيَدِ عَلِيٍّ : هَذَا أَمِيرُ الْبَرَّةِ ، وَقَاتِلُ الْفَجَرَةِ ، مَنْصُورٌ مَنْ تَصَرَّهْ ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ - يَمُذُّ بِهَا صَوْتُهُ . . [3]

د - مبدأ تسمية علي عليه السلام بأمير المؤمنين

86. الكافي عن جابر : قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِمَ سَمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : اللَّهُ سَمَّاهُ . [4]

ه - إختصاص هذا الاسم بعلي عليه السلام

87. الإمام الصادق عليه السلام - وَسُئِلَ عَنِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسَلِّمُ عَلَ : لَا ، ذَاكَ اسْمُ سَمَى اللَّهُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا يَتَسَمَّى بِهِ بَعْدَهُ . [5]

[1] الأمالي للصدوق : ص 492 ح 669 .

[2] تهذيب الأحكام : ج 3 ص 144 ح 317 .

[3] تاريخ بغداد : ج 2 ص 377 الرقم 877 .

[4] الكافي : ج 1 ص 412 ح 4 .

[5] الكافي : ج 1 ص 411 ح 2 .

الفصل السادس : أحاديث الإمامة

أ - إمامته من الله

88. رسول الله صلى الله عليه وآله : معاشر الناس ! من أحسن من الله قليلاً ، وأصدق من الله حديثاً ؟ معاشر الناس ! إن ربكم جلّ جلاله أمرني أن أقيم لكم علياً علماً وإماماً ، وخليفةً ووصياً ، وأن اتخذ أخاً ووزيراً . [1]

ب - إمام المؤمنين

89. رسول الله صلى الله عليه وآله : أوجي إليّ في عليّ ثلاث : أنه سيّد المسلمين ، وإمام المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين . [2]

ج - إمام كلّ مؤمن بعد النبيّ صلى الله عليه وآله

90. رسول الله صلى الله عليه وآله - لعليّ عليه السلام :- أنت إمام كلّ مؤمن ومؤمنة ، ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدى . [3]

[1] الأمالي للصدوق : ص 83 ح 49 .

[2] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 148 ح 4668 .

[3] المناقب للخوارزمي : ص 61 ح 31 .

91. رسول الله صلى الله عليه وآله : أيّها الناس ! إن عليّاً إمامكم من بعدى . . . من أقرّ بإمامته فقد أقرّ بثبوتي ، ومن أقرّ بثبوتي فقد أقرّ يوحدانيّة الله عزّ وجلّ . [1]

د - إمام الأمّة

92. رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، أنت وصيّ وإمام أمّتي ؛ من أطاعك أطاعني ، ومن عصاك عصاني . [2]

93. المحاسن عن بشير العطار : قال أبو عبد الله عليه السلام : «يَوْمَ تَدْعُوا كُلُّ أُنَاسٍ لِّإِمَامِهِمْ» [3] ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : وَعَلِيٌّ إِمَامُكُمْ . [4]

[1] معاني الأخبار : ص 372 ح 1 .

[2] الأمالي للصدوق : ص 62 ح 24 .

[3] الإسراء : 71 .

[4] المحاسن : ج 1 ص 253 ح 479 .

الفصل السابع : أحاديث الولاية

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَ كِعُونَ» . [1]

الحديث

94. الدر المنثور عن أبي رافع : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ نَائِمٌ يُوْحَى إِلَيْهِ . . . فَمَكَّنْتُ سَاعَةً ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يَقُولُ : «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَ كِعُونَ» ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّ لِعَلِيِّ نِعْمَةً ، وَهَنِينًا [2] لِعَلِيِّ يَقْضِلُ اللَّهُ إِيَّاهُ . [3]

95. الإمام عليّ عليه السلام : إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَ سَائِلٌ فَسَأَلَ وَأَنَا رَاكِعٌ ، فَنَاقَلْتُهُ خَاتَمِي مِنْ إصْبَعِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيَّ : «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ

[1] المائدة : 55 .

[2] في المصدر : «هَيَّا» وهو تصحيف ، والصحيح ما أثبتناه كما في بقية المصادر .

[3] الدر المنثور : ج 3 ص 106 .

95. الإمام عليّ عليه السلام : آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَ كِعُونَ» . [1]

96. الإمام الصادق عليه السلام - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ آ : إِنَّمَا يَعْنِي : أُولَى بِكُمْ ؛ أَي أَحَقُّ بِكُمْ ، وَبِأُمُورِكُمْ ، وَأَنْفُسِكُمْ ، وَأَمْوَالِكُمْ ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ؛ يَعْنِي عَلِيًّا وَأَوْلَادَهُ الْأَيْمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . [2]

ب - عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْلَى مَنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوْلَاهُ

97. رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ [3] . [4]

98. عنه صلى الله عليه وآله : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلَاهُ . [5]

99. مسند ابن حنبل عن بريدة : غَزَوْتُ مَعَ عَلِيِّ الْيَمَنَ ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفَوَةً ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ . فَرَأَيْتُ وَجَهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَغَيَّرُ ؛ فَقَالَ : يَا بُرَيْدَةُ ، أَلَسْتُ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ ! قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . [6]

100. أسد الغابة عن زرّ بن حبیش : خَرَجَ عَلِيٌّ مِنَ الْقَصْرِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ رُكْبَانٌ مُتَقَلِّدُو السُّيُوفِ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَقَالَ عَلِيٌّ : مَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ ، مِنْهُمْ : قَيْسُ بْنُ نَابِثِ بْنِ شِمَاسٍ ، وَهَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ ، وَحَبِيبُ بْنُ بُذَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ ، فَشَهِدُوا أَنََّّهُمْ سَمِعُوا

[1] الخصال : ص 580 ح 1 .

[2] الكافي : ج 1 ص 288 ح 3 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ص 633 ح 3713 .

[4] عدّه السيوطي من الأخبار المتواترة ، وأورده في كتابه الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة : ص 76 ح 102 .

[5] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 593 ح 1007 .

[6] مسند ابن حنبل : ج 9 ص 7 ح 23006 .

100. أسد الغابة عن زرّ بن حبیش : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . [1]

101.الكافي عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام كُنْتُ عِنْدَهُ جَالِسًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : حَدِّثْنِي عَنْ وَلاَيَةِ عَلِيٍّ ، أَمِنَ اللَّهُ ، أَوْ مِنْ رَسُولِهِ ؟ ! فَقَضِبَ ، ثُمَّ قَالَ : وَبِحَکِّ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَوْفَ لِلَّهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللَّهُ ! ! بَلِ افْتَرَضَهُ كَمَا افْتَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ . [2]

د - بَرَكَاتُ وَلاَيَتِهِ

102.رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن ميكا يقولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَلاَيَةُ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ حِصْنِي ، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ نَارِي . [3]

103.عنه صلى الله عليه وآله : مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي ، وَيَمُوتَ مَوْتِي ، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيًّا بِنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ هُدًى ، وَلَنْ يُدْخِلَكُم فِي ضَلَالَةٍ . [4]

[1]أسد الغابة : ج1 ص672 الرقم 1038 .

[2]الكافي : ج1 ص290 ح5 .

[3]الأمالي للصدوق : ص306 ح350 .

[4]المستدرک علی الصحیحین : ج3 ص139 ح4642 .

الفصل الثامن : أحاديث الهداية

أ - عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْهَادِي

الكتاب

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» . [1]

الحديث

104.تفسير الطبري عن ابن عباس : لَمَّا نَزَلَتْ : «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» وَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَقَالَ : أَنَا الْمُنْذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ، وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى مَنْكِبِ عَلِيٍّ فَقَالَ : أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ ، يَكُ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بَعْدِي . [2]

105.الإمام علي عليه السلام : فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَنَا الْمُنْذِرُ ، وَأَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ . [3]

ب - عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَزَالُ عَلَى هُدًى

106.رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا عَمَّارُ ، إِنَّ عَلِيًّا لَا يَزَالُ عَلَى هُدًى . [4]

[1]الرعد : 7 .

[2]تفسير الطبري : ج8 الجزء 13 ص108 .

[3]تفسير العياشي : ج2 ص203 ح5 .

[4]نهج الحقّ : ص225 ح24 .

107.عنه صلى الله عليه وآله : يَا عَمَّارُ ، تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنَةُ ، وَأَنْتَ إِذْ ذَاكَ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَكَ . يَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، إِنْ رَأَيْتَ عَلِيًّا قَدْ سَلَكَ وَادِيًا وَسَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا غَيْرَهُ فَاسْلُكْ مَعَ عَلِيٍّ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُدْلِكَ فِي رَدًى ، وَلَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ هُدًى . [1]

[1]تاريخ بغداد : ج13 ص187 الرقم 7165 .

الفصل التاسع : أحاديث العصمة

أ - عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْقُرْآنِ

108. رسول الله صلى الله عليه وآله : عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَهُ ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ . [1]

109. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا ، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَحُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ ، وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ وَجَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنَا ، لَا نُفَارِقُهُ وَلَا يُفَارِقُنَا . [2]

ب - عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْحَقِّ

110. رسول الله صلى الله عليه وآله : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ . [3]

111. عنه صلى الله عليه وآله : يَا بَنَ عَبَّاسٍ ، سَوْفَ يَأْخُذُ النَّاسُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَاتَّبِعْ عَلِيًّا وَحِزْبَهُ ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُ ، وَلَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ . [4]

[1] المعجم الأوسط : ج 5 ص 135 ح 4880 .

[2] الكافي : ج 1 ص 191 ح 5 .

[3] الفصول المختارة : ص 135 و ص 97 .

[4] كفاية الأثر : ص 18 .

ج - عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُبَيِّنٌ مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ

112. رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ الَّذِي تُبَيِّنُ لِأُمَّتِي مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ بَعْدِي ، وَتَقُومُ فِيهِمْ مَقَامِي ، قَوْلُكَ قَوْلِي ، وَأَمْرُكَ أَمْرِي ، وَطَاعَتُكَ طَاعَتِي ؛ وَطَاعَتِي طَاعَةُ اللَّهِ ، وَمَعْصِيَتُكَ مَعْصِيَتِي ؛ وَمَعْصِيَتِي مَعْصِيَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ . [1]

113. عنه صلى الله عليه وآله : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ فَكُونُوا مَعَ عَلِيٍّ بَنِ أَبِي طَالِبٍ . [2]

[1] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 4 ص 179 ح 5405 .

[2] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 30 .

الفصل العاشر : حديث الغدير

أ - وَاقِعَةُ الْغَدِيرِ

الكتاب

«يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» . [1]

الحديث

114. الإمام الباقر عليه السلام - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ: هِيَ الْوَلَايَةُ» . [2]

115. إنبات الوصية : لَمَّا صَارَ [صلى الله عليه وآله] يُوَادِي خُمَيْرَ بْنَ عَلِيٍّ الْوَحْيِيَّ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةَ الْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ قَبْلَ ذَلِكَ يَأْتِيهِ فَيَتَوَقَّفُ ؛ إِنْ تَطَارَا لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» . فَلَمَّا تَرَلَّتْ قَامَ خَطِيْبَا ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَثِيرًا ، ثُمَّ نَصَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[1] المائدة : 67 .

[2] مختصر بصائر الدرجات : ص 64 .

192

كتابخانه مدرسه فقاھت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

115. إنبات الوصية : عَلَمًا وَقِيَمًا مَقَامُهُ بَعْدَهُ . وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ خُمَيْرٍ مَا رَوَاهُ النَّاسُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ . [1]

[1] إنبات الوصية : ص 132 .

193

كتابخانه مدرسه فقاھت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

بحث حول آية التبليغ

«يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» . [1] قصد رسول الله صلى الله عليه وآله الحج في العام العاشر من الهجرة . وقبل أن ينطلق تلقاء «الحرم الإلهي» أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يُخبروا الجميع بعزمه على الحج ، فتطَّلَعَ المسلمون إلى البيت العتيق واجتمعوا للحج من كل فج عميق ، فاحتشد منهم جمع عظيم . خطب النبي الأقدس صلى الله عليه وآله الناس مرّات في ذلك الموسم المهيّب ، ثُمَّ رَاحَ فِي خُطْبَتِهِ الطَوِيلَةِ يَوْمَ «عَرَفَةَ» يَهَاجِمُ آخِرَ بَقَايَا الثَّقَافَةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَيُلْقِي بِمَا تَبَقَّى مِنْ مَعَايِيرِهَا فِي قَاعٍ سَحِيقٍ ، وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ ، وَبِنَاءِ حَيَاتِهِمْ وَفِي الْمَعَايِيرِ الْإِلَهِيَّةِ وَفِي السَّمَاءِ . كَمَا أَهَابَ بِهِمُ التَّمَسُّكَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ الْعِتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ . فِي ذَلِكَ السَّفَرِ عَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُؤَكِّدُ مَا سَبَقَ أَنْ أَعْلَنَهُ لِلأُمَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ بِالْكُنَايَةِ وَالتَّلْمِيحِ تَارَةً ، وَبِصِرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ تَارَةً أُخْرَى ، مِنْ أَنَّ هَذِهِ السَّنَةُ الَّتِي يُمِضِيهَا بَيْنَهُمْ هِيَ آخِرُ سَنِيَّ عَمْرِهِ الشَّرِيفِ . لَهَبَ مَنَاجِحَ رَاحٍ يَسْكُنُ النُّفُوسَ ، وَلَوْعَةً مُتَفَجِّعَةً رَاحَتْ تَتَدَافَعُ فِي الصُّدُورِ لِهَذَا

[1] المائدة : 67 .

194

كتابخانه مدرسه فقاھت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

النبا المرتقب ، حملت المسلمين على موج من التطلّع والشوق لنبئهم ، وإلى أن يستفيدوا ويتعلّموا ويزدادوا من معلّمهم العظيم ما وانتهم الفرصة المتبقية لذلك . والنبى أيضاً هاجت به أشواقه ، وفاض به حماسه الطهور لهذا الحضور المتألق بين أفواج المسلمين في هذا الموكب المهيّب ، وبانتظار تبليغ كلمة هي آخر كلمات السماء وأهمّها على الإطلاق ، وإيصال رسالة هي الأكمل والأخطر . حماس عارم من الأمة ، وترقب نبوي يشوبه التوجّس لنبا عظيم حانت لحظته أو كادت . هذا هو المشهد الذي انتهت إليه حجة الوداع . المسلمون يعودون بعد انتهاء الموسم ، يسلك كلّ فريق السبيل الذي يؤدّي به إلى أهله وسكناه ، لكن في وادي غدير خمّ ، وقبل أن تفرق بهم الطريق إذا صوت السماء يقرع فؤاد النبيّ ، وإذا الوحي يأتيه من فوره ، ملقياً عليه الأمر بحزم : «يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ» . التأمّل في سياق الآية وما فيها من شدّة وتصميم على الإبلاغ ، وما تنطوي عليه من تحذير جادّ ، كلّ ذلك لا يدع مجالاً للشكّ بأنّ الرسالة هي من الخطورة بمكان ، وإنّ عمليّة الإبلاغ تقتدر بالتوجّس نظراً لمحتوى الرسالة وملابسات الموقف . فيا ثرى ، ما هو الأمر الذي يتحمّ على النبيّ صلى الله عليه وآله أن يبادر إلى إبلاغه ؟ وما هي الرسالة التي يبعث إبلاغها في نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وآله كلّ هذه الخشية والتوجّس ، وهو الصلب الذي تحمّل ما تحمّل في سبيل تبليغ كلمات الله ورسالاته ولم يبال ، وذو العزم الراسخ في سبيل إعلان الحقّ وتوسيع مده ، وهو الطود الشامخ الذي واجه الشرك وحده ؟ أطبق كلمة أعلام الشيعة محدّثين ومفسّرين ومؤرّخين ومتكلّمين - ودون أدنى شائبة تردّد - أنّ الآية مرتبطة بواقعة يوم «الغدير» ، وأنّ محتوى الرسالة وفجواها

195

هو «الولاية» و«الإمامة العلوية». ومن ثمّ ذهبوا إلى أنّ الآية المباركة نزلت في الثامن عشر من ذي الحجة عام 10 هـ لتؤكد - والمسلمون محتشدون من كلّ حذب وصوب - على «الولاية العلوية» للمرّة الأخيرة ، في ظلّ أجواء أخّاذة مؤثّره تستعصي على النسيان . أمّا علماء أهل السنّة فقد تفرّقت بهم السبل ، فلم تتفق كلمتهم بشأن زمن نزول الآية ، كما لم يتوحدّهم رأي بشأن محتوى الأمر الذي يتحمّ على النبيّ إبلاغه . لقد رصد فخر الدين الرازي أغلب هذه الآراء ، وأنّهاها إلى عشرة أقوال ، يتفق القول الأخير منها مع رؤية الشيعة . لكن من اليسير أن نلاحظ عدم استقامة ما ذكره ، وإن يبدو وجود مؤيّدات أحياناً في كلمات الصحابة أو التابعين ذكرها غير الفخر الرازي في كتبهم . وقبل أن نطلّ على بعض الرؤى التي اكتنفت الآية ، من الجدير أن نتناول مفهومها بشيء من البحث والتحليل ، عبر النقاط الآتية : 1 . قوله سبحانه : «بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» . تنصّ الجملة إلى أنّ المعنيّ بالخطاب هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيها دلالة على أنّ محتوى الرسالة يرتبط به أكثر ، وقد أمر بالإبلاغ ، لكن ثمّ حالة من التوجّس والخيفة تمنعه من الإجهار . ولقد ذكر هذه الحقيقة جميع رواة الشيعة ، وأيدتها بعض روايات العامة . [1] 2 . قوله : «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ قَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» . تحتشد في هذا الجزء من الآية دلالات تفيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عند نزول الآية قد انتهى من تبليغ الرسالة ، ووفى بحقّ هذا الدين ، وأنّ هذا النبيّ حمل إلى

[1] المائدة : 67 .

[2] شواهد التنزيل : ج 1 ص 254 ح 248 .

[3] الأحزاب : 39 .

[4] الأمّ : ج 4 ص 168 ، والنصّ طويل وقد أخذنا منه مورد الحاجة .

[5] أسباب النزول للواحدي : ص 204 ح 402 .

[6] تفسير ابن كثير : ج 3 ص 3 .

[7] الدرّ المنثور : ج 3 ص 118 .

[8] تفسير الفخر الرازي : ج 12 ص 53 .

[9] نفس المصدر .

الناس كلمات الله وهدي السماء وتعاليمها ، ثم هو الآن في مواجهة «أمر» بلغ من عظيم شأنه وجلال خطره ، أنّه إذا لم يُعلنه تصير «الرسالة» بأنّها عرضة للضياع ، حتى لكأنّه ما بلغ من «الرسالة» شيئاً . هذا بدوره يثبت صحّة الروايات التي ذهبت إلى أنّ نزول الآية جاء في سياق سورة «المائدة» ، ومن جملة آخر الآيات المدنيّة ، لا أنّها مستثناة منها ، وأنّها نزلت في مكّة ! 3 . قوله : «وَاللّهُ يَعْصِمُكَ» . ما الذي يخشاه النبيّ ؟ القتل ؟ الأذى والتعذيب ؟ ! أم احتياج المشركين واليهود وتفجّر سخطهم ؟ ! هذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في خوف إلى قلبه طريقاً قط عندما يتعلّق الأمر به . ثمّ اسمعوا وحي السماء ؛ لتروا كيف تصف صلابة رُسل الله ، وشموخ حمله الرسالات وثباتهم : «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا» [1] ! أو بعد هذا ، يجوز أن يُنعت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بالخوف من البطش والأذى ، أو الرهبة من القتل والتعذيب ، وهو أفضل الرسل الكرام ، وخاتم النبيّين ، والحلقة الأخيرة في موكب حملة الحقّ ورسالات السماء ! هي إذّا خشية ، بيد أنّها من «لون» آخر ، فما كان يخشاه النبيّ هو أن لا يؤتي «البلاغ» ثماره المرجوة ، وما كان يبعث على توجّسه هو طبيعة الجوّ الذي يمنع من نفاذ كلمة الحقّ ، ويردع عن أن يؤتي «البلاغ» آثاره المطلوبة . هذا ما كان يخشاه النبيّ ويبعث في نفسه التوجّس لاغير .

[1] المائدة : 67 .

[2] شواهد التنزيل : ج 1 ص 254 ح 248 .

[3] الأحزاب : 39 .

[4] الأمّ : ج 4 ص 168 ، والنصّ طويل وقد أخذنا منه مورد الحاجة .

[5] أسباب النزول للواحدي : ص 204 ح 402 .

[6] تفسير ابن كثير : ج 3 ص 3 .

[7] الدرّ المنثور : ج 3 ص 118 .

[8] تفسير الفخر الرازي : ج 12 ص 53 .

[9] نفس المصدر .

4 . قوله : «مِنَ النَّاسِ» . «الناس» هو لفظ مطلق بلا شك ، والنص يتضمن حفظ الله سبحانه وحراسته للنبي صلى الله عليه وآله ؛ حفظه من أحاييل أولئك الذين ستنطلق جهودهم وهي تهدف الحؤول دون وصول «البلاغ» الى الناس ، ومن ثم إفشال مهمته . فعلى هذا يتضح أنّ المراد من «الكفر» في قوله : «الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ» هو الكفر ببعض الآيات الربّانية ، والمقصود من «عدم الهداية» في قوله سبحانه : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» هو عدم نجاح خديعة هؤلاء ، وفشل ما أبرموه للتبليغ من رسول الله صلى الله عليه وآله في إبلاغ «ما أنزل» . وإلا لو كان المراد من «عدم الهداية» عدم الهداية إلى الإيمان ، لتعارض ذلك مع أصل التبليغ ومهمة الإبلاغ ، ولم يتسق مع فلسفة الدعوة والهداية بالأساس ، حتى لكأنّ الله سبحانه يقول : ادعوا هؤلاء إلى حكم الله ، بيد أنّي لن أهديهم ! وهكذا يتضح - بلا أدنى شائبة - أنّ المراد في مدلول هذا الجزء من الآية أنّ جهود هؤلاء في إطفاء هذا النور ستصاب بالخيبة ، وستبوء جهودهم للطعن بالنبي بالضلالة والخسران ، وتذهب مساعيهم لإفشال هذا «البلاغ» أدراج الرياح ، ولن يحصدوا من رمي النبي صلى الله عليه وآله بتهمة الانحياز إلى بيته وقرابته القريبة إلا الذلّة والصغار . فالمقصود إذًا : ستسقط كلّ آمانيات هؤلاء للحؤول دون الإظهار بهذا البلاغ ، وتصير كهشيم تذروه ريح عاتية . تحوي هذه الآية من النقاط والعطاط المضنية أكثر بكثير ممّا سطرته هذه الكلمات . لكن مع ذلك فإنّ ما أوردناه في نقل الرؤى يهدف إلى تشييد معالم المشهد التاريخي للواقعة ، وتجسيد أجواء النزول ، أكثر ممّا يهدف إلى تبين معنى الآية .

أمّا الآن فنمرّ على بعض الأقوال في الآية من خلال المحورين التاليين : 1 . نزول الآية أوّل البعثة ، والخشية من إبلاغ الدين ! يبدو أنّ أوّل من ذهب إلى ذلك - وإن لم يقطع به - هو محمّد بن إدريس الشافعي ، فعلى أساس ما ذكره ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله بعد أن أتاه الوحي ونزلت عليه : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ، كبر ذلك عليه ، وخاف التكذيب وأن يُتناول من قبل المشركين ، فنزل عليه «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ» ، وقد كان ذلك عصمة له من قبل الله سبحانه كي يمضي على تبليغ ما أمر به بنيات ودون خوف . [1] على أساس هذه الرؤية روي عن الحسن البصري قوله : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «لَمَّا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ صِفْتُ بِهَا دَرَعًا ، وَعَرَفْتُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُكْذِبُنِي» [2] فأمسك عن الدعوة حتى نزلت عليه الآية . ذكرنا فيما سلف أنّ سورة المائدة هي من بين آخر السور التي نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وإن لم تكن آخرها [3] . فما الذي كان يريده الله سبحانه من قوله : «بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» ، ولم ينزل على النبي صلى الله عليه وآله شيء بعد ؟ وما الذي كان يخشاه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ويمنعه عن الإبلاغ ولمّا يواجه المشركون بعد آية أو آيات من تلك التي تقصّ مضاجعهم ، وتبعث فيهم النعمة والاهتياج ! إنّ هذا الذي يزعمونه لا يليق بمبلغ عادي ، وهو ليس خليف بإنسان متوسط الحال لا يزال في أوّل الطريق ، أفيجوز على رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك القلب المجدول إلى السماء ، الموصول بالله أبداً ؟ وهل يتسق مع خطاه الراسخة وتلك الإرادة الصلبة التي لا تعرف الوهن !

[1] الأمّ : ج 4 ص 168 ، والنصّ طويل وقد أخذنا منه مورد الحاجة .

[2] أسباب النزول للواحدي : ص 204 ح 402 .

[3] تفسير ابن كثير : ج 3 ص 3 .

أمّا ما ذكره من أنّ الباعث على نزول الآية هو ما كان من حراسة أبي طالب عمّ النبي لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ إذ بنزول الآية طلب النبي إليه أن يكفّ عن الحراسة بعد أن وعد الله سبحانه بعصمته وحمايته [1] ؛ فإنّ فيه بالإضافة إلى ما تمّت الإشارة إليه في نقد الرؤية الأولى ، أنّه يتعارض مع الواقع التاريخي الصادق . فهذا الواقع خير دليل على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ظلّ يحظى بالحراسة سنوات خاصّة في المدينة ، وليس ثمة شاهد أقوى على ذلك من وجود «أسطوانة الحرس» . 2 . إخفاء بعض القرآن خوفاً من المشركين ! ذكروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقامته بمكة يجاهر ببعض القرآن ، ويخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من أذى المشركين أو اليهود ، وخوفاً ممّا يمكن أن يوقعوه به ! وممّا يبعث على الأسف أن يلتزم بعض الناس أحياناً بأقوال واهية وبآراء لا تليق كهذه . أفيجوز مثل هذا الظنّ على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ؟ ثمّ هذه حياته التي تتفجّر بالحيوية والحركة ، وهذه سيرته كلّها مضاء وحزم وصدام مع مظاهر الشرك والجاهلية ، فهل تجتمع هي وهذا الظنّ الواهي ؟ وهل تستحقّ حياة نبيّ الله هذه الكلمات ؟ ! إنّ ما تضمّنه تفاسير أهل السنّة ومجاميعها الروائيّة من أقوال ورؤى حياّل الآية ، لا يتعدّى ذلك الرصد الذي قدّمه الفخر الرازي للأقوال في المسألة ، وحين نتفحص بقيّة الأقوال التي أحصاها الرازي فهي أضعف وأكثر وهناً من الرأي الذي عرضناه قبل قليل . أمّا آخر الأقوال فقد ذكره الفخر الرازي على النحو الآتي : «نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي فَضْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ

[1] المائدة : 67 .

[2] شواهد التنزيل : ج 1 ص 254 ح 248 .

[3] الأحزاب : 39 .

[4] الأَمّ : ج 4 ص 168 ، والنصّ طويل وقد أخذنا منه مورد الحاجة .

[5] أسباب النزول للواحدي : ص 204 ج 402 .

[6] تفسير ابن كثير : ج 3 ص 3 .

[7] الدرّ المنثور : ج 3 ص 118 .

[8] تفسير الفخر الرازي : ج 12 ص 53 .

[9] نفس المصدر .

مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ فَلَقِيَهُ عُمَرُ فَقَالَ : هَنِينًا يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالتَّبراءِ بْنِ عَارِبٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ . [1] ثم انعطف الفخر الرازي ليقول : «وَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَإِنْ كَثُرَتْ إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَى خَمَلُهُ عَلَى أَنَّه تَعَالَى أَمْنُهُ مِنْ مَكْرِ الْيَهُودِ وَالتَّنَاصُريِّ ، وَأَمْرُهُ بِإِظْهَارِ التَّبْلِيغِ مِنْ غَيْرِ مُبَالَغَةٍ مِنْهُمْ» . [2] إِنَّ مَا صَرَّحَ بِهِ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ مِنْ أَنَّ الرِّوَايَاتِ فِي هَذَا الْقَوْلِ - الْأَخِيرِ - كَثِيرَةٌ ، لَهُوَ أَمْرٌ ثَابِتٌ وَصَحِيحٌ . بَيَدَ أَنَّ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الدَّهْشَةِ هُوَ حَالُ أَوْلَئِكَ الْمَفْسِّرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ لَا يَنْصَاعُونَ إِلَى كُلِّ هَذَا الْحَشْدِ مِنَ الرِّوَايَاتِ ، وَلَا يُدْعِنُونَ إِلَيْهِ ، بَلْ يَجْنَحُونَ إِلَى مُعَاذِيرٍ وَتَفْسِيرَاتٍ لَا تَلْتَمِثُ وَالْوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ ، وَلَا تَنْسَجُمُ مَعَ شَخْصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ تَتَوَاءَمُ مَعَ سِيرَتِهِ الْوَضِئَةِ ، وَتَتَوَافَقُ مَعَ خَطَاهُ الرَّاسِخَةِ فِي إِبْلَاقِ الْحَقِّ .

نزول الآية في واقعة الغدير لإبلاغ الولاية

يَتَضَحُّ مِمَّا سَلَفَ ؛ وَاسْتِنَادًا إِلَى الرِّوَايَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ ، أَنَّ آيَةَ الْإِبْلَاقِ نَزَلَتْ فِي غَدِيرِ خَمٍّ لِلثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عَامَ 10 هـ ، عَطَفًا عَلَى مَا كَانَ قَدْ صَرَّحَ بِهِ النَّبِيُّ وَذَكَرَهُ مَرَّاتٍ ، وَتَأَكِيدًا لِمَا كَانَ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْوَحْيِ الْقُرْآنِيِّ وَالْبَيَانِيِّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ . عَلَى أَنَّ مِنَ الْحَرِيِّ أَنْ نُوَكِّدَ أَنَّ قَوْلَهُ سَبْحَانَهُ : «مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ» يَشْمَلُ كُلَّ مَا هَبَطَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ ، عَلَى امْتِدَادِ سَنِيِّ الرِّسَالَةِ ، سِوَاءَ أَكَانَ وَحْيًا قُرْآنِيًّا أَمْ

[1] تفسير الفخر الرازي : ج 12 ص 53 .

[2] نفس المصدر .

وَحْيًا بَيَانِيًّا ، وَذَلِكَ فِي مُخْتَلَفِ الْمَوَاضِعِ وَالْمُنَاسِبَاتِ ، وَعَلَى صَعِيدِ كَافَّةِ التَّجَمُّعَاتِ مِمَّا قَلَّ مِنْهَا أَوْ كَثُرَ . وَالْآنَ هَذَا هُوَ النَّبِيُّ أَمَامَ صُفُوفٍ مُتَرَاصَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَبْلُغُ عَشْرَاتِ الْأَلُوفِ قَدْ قَصَدُوا مَكَّةَ حُجَّاجًا مِنْ حَوَاضِرِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَبَوَادِيهِ ، وَأَمَّا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ . وَإِذَا صَوْتُ الْوَحْيِ يَأْتِي النَّبِيَّ مِنْ فُورِهِ ، يَأْمُرُهُ وَهُوَ فِي السَّنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ عَمْرِهِ الشَّرِيفِ وَفِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، أَنْ يَصْدَعَ بِالْوِلَايَةِ الْعُلَوِيَّةِ ، وَيُعْلِنَ عَلَى الْجَمِيعِ إِمَامَةَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، بِصَرَاحَةٍ تَامَّةٍ ، وَدَقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ لَا تَحْتَمِلُ أَدْنَى شَائِبَةٍ مِنْ تَأْوِيلٍ ، وَلَا تُطِيقُ أَيَّ عَذْرٍ أَوْ تَسْوِيعٍ مَهْمَا كَانَ . يَتَوَجَّسُ النَّبِيُّ مِنَ الْأَمْرِ وَيَخْشَاهُ ، بَيَدَ أَنَّ خَشْيَتَهُ لَا عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ الَّذِي حَمَلَ رُوحَهُ عَلَى كَفِّهِ وَبَذَلَهَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ مِنْذُ أَيَّامِ الدَّعْوَةِ الْأَوَّلَى ، فَقَهَرَ الصَّعَابَ وَجَعَلَ الْمُسْتَحِيلَ ذُلُولًا . يَتَوَجَّسُ ، لَكِنْ لَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ كَسَرَ شَوْكَتَهُمْ ، وَصَارُوا عَلَى يَدَيْهِ قُلُوبًا يَائِسَةً مِنْهُوَكَةٍ . يَخَافُ ، لَكِنْ أَيْضًا لَامِنَ الْيَهُودِ وَالتَّنَاصُريِّ وَقَدْ لَادُوا أَمَامَ عِظَمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَلَالِ إِهَابِهِمْ ، بِصَمْتٍ ذَلِيلٍ . إِنَّمَا الَّذِي يَخْشَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَتَوَجَّسُ مِنْهُ لَهُوَ «دَاخِلُ أَمْتِهِ» وَمَا يَرِيْبُهُ هُوَ هَذَا «النِّفَاقُ» الْكَامِنُ الَّذِي أَخَذَ مَوْقِعَهُ بَيْنَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا يَخْشَاهُ هُوَ هَذِهِ الشُّكُوكُ الَّتِي يَبْتِئُهَا النِّفَرُ الَّذِينَ تَظَاهَرُوا بِالْإِسْلَامِ ، وَهُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ أَصْلِ الرِّسَالَةِ ، وَمَا يَخَافُ مِنْهُ هُوَ هَذِهِ التُّهْمُ الَّتِي تَهْجُمُ عَلَى الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ ، لِتَرْمِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْفُتُوَّةِ الْأَسْرِيَّةِ الضَّيِّقَةِ ، وَمُحَابَاةِ قَرَابَتِهِ الْقَرِيبَةِ ، وَتَتَّهَمُهُ بِتَحْمِيلِ أَهْلِهِ عَلَى النَّاسِ ! مِمَّا تَكْشِفُ عَنْهُ لُغَةُ الْآيَةِ وَالرِّوَايَاتِ - الَّتِي مَرَّتْ نِصُوصُهَا فِيمَا مَضَى - أَيْضًا أَنَّ

أَمِينُ الْوَحْيِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَدْ حَمَلَ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ عَنِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ ، إِلَى أَمِينِ الرِّسَالَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَهْمِيَّةَ هَذَا الْإِبْلَاقِ ، وَأَكَّدَ عَلَى ضَرُورَتِهِ مَرَّاتٍ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحَدَّثَ عَنْ تَوَجُّسِهِ وَخِيفَتِهِ ؛ وَهِيَ هِيَ الْآنَ الْبَلَاغُ الْأَخِيرُ يَقْرَعُ فُؤَادَهُ : «يَا أَيُّهَا الرُّسُوكُ بَلِّغْ» . [1] «يَا أَيُّهَا الرُّسُوكُ

بَلِّغْ». مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله بعنوان الرسالة هو الخطاب الخلق بصفة التبليغ . إيه يا نبي الله ! هل تتوجس ؟ تُساورك الخشية ، وتنتابك الخيفة ؟ لكن أي شيء هو شأنك غير البلاغ والدعوة ؟ وهل لك مسؤولية أخرى غير أن تصدع بكلمات الله وتجهر بها ؟ فادعُ - إذا - واصدع وبلِّغ ، إنما بدقّة متناهية ، وبصيغة مؤثّرة وثابتة «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِّغُ» . «مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَيْكَ» . تُرى ما الذي «أَنْزَلَ إِلَيْكَ» ؟ ولماذا لم يُصرّح به ؟ إنما كان ذلك كي يكشف عن الموقع الرفيع الذي يحظى به الأمر . وجاء بهذه الصيغة إجلالاً وتعظيماً لذلك الأمر ، ولكي يُشير إلى أنّه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله من الأمر شيء ، ولا له فيه إرادة واختيار ، بل مهمّته الإبلاغ وحسب . من جهة أخرى تتمّ هذه الصيغة عن صحّة فراسة النبي لما كان يرتقبه من ردود فعل متوجّسة تصدر عن القوم ، ممّا جعل الله سبحانه يدع الأمر في حالة من

[1] نظراً لما كان يحظى به هذا البلاغ من أهميّة خطيرة ، وما كان له من دور مصيري عظيم ، فقد أطلق على هذه الحجّة «حجّة البلاغ» . ما أروعه من اسم يستوطن النفس ويحقّق الذاكرة ، لكن وأسفاه للمؤرّخين الذين مالوا إلى محو هذا الاسم المعبّر الأخاذ عن الذاكرة ! يكتب ابن إسحاق في هذا السياق : «فكانت حجّة البلاغ ، وحجّة الوداع ، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يحجّ بعدها» (السيرة النبويّة لابن هشام : ج 4 ص 253) .

203

كتابخانه مدرسه فقاها

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

الغموض والإيهام ، ما برحت تُلقني ظلالها على الموقف حتى تحين لحظة البلاغ ، وينطق النبيّ بكلمة السماء . «وَأِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» . يُحار الإنسان لأولئك الذين جنحوا في تفسير الآية إلى كلام آخر ، وحين راموا الصدود عن «الحقيقة» سلكوا طريقاً واهياً لا يأوي إلى قرار ! تُرى كيف يفسّرون هذه الجزء من الآية ؟ وما هو المعنى الذي يسوقونه إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما تُصرّح به بعض التعاليم الإلهيّة من النهي عن الكتمان ؟ تُرى ما الذي يؤدّي كتمانهم وعدم إظهاره والتأكيد عليه ، ممّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلى بلوغ حالة يصير فيها بنيان الرسالة في مهبط الريح وكأُتّها لم تُبلِّغ ! وأيّ أمر هذا الذي إذا غاب عن الأذهان ، واستطاع أعداء الرسالة وأدّه والقضاء عليه في واقع المجتمع ؛ يتفوّض أساس هذا الدين ، وكأنّه لم يكن ! إنّ هذه الكلمة العجيبة المدهشة لتومئ من جهة إلى ما يحظى به هذا البلاغ من شأن عظيم ، كما تؤشّر من جهة أخرى إلى حقيقة تُفيد أنّه ليس ثمة خيار أمام رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة إلىّا تبليغ هذه الرسالة ، حيث أُنذره ربّه - إن هو لم يبلِّغ - بتلاشي جميع الجهود ، وضياح كلّ تلك الألام والمشاقّ التي طوتها الأعوام الثلاث والعشرون من عمر الرسالة ، واضمحلال ما أنفق فيها من جهد وجهاد . «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» . في عين الله حراستك ، وأنت في حفظه وحماه . كأنك - يا رسول الله - تتوجّس خيفة من الأمر ، وتخشى ردود فعل تلك النفوس المظلمة ، وتتهبّب هياجها وما تُثيره من شحناء . لكن اعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير . سيزول مكرهم جميعاً ، ويغدو كهشيم تذروه الرياح ، ويتلاشى كيد الناس ، جميع

204

كتابخانه مدرسه فقاها

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

«النّاس» ! إنّ الله سبحانه ليؤكّد في هذا الجزء مجدداً على عظمة البلاغ ، كما يُشير أخرى إلى ذوي الريبة والنفوس المدلهمّة . لكن من هم هؤلاء ؟ لم يُفصح النصّ عن شيء ، بل مضى يوعد بزوال جميع ضروب المكر ، وسقوط كلّ أحابيل الشيطان ، وتلاشي المكائد جميعاً ، من أيّ إنسان كان ! إنّ كلّ كلمة في الآية لتُسفر عن عظمة هذا البلاغ وسموّه ، وهي تومئ أيضاً إلى مخاوف وهواجس ، وإلى نفوس أناسي موبوءة بالإحن والشحناء ، مملوءة بالضغينة والغضب ! فيا ليت أولئك المغسّرين والباحثين القرآنيين الذين جنحوا إلى أقوال آخر يبصرون بتأمّل : أيّ شيء من «مَا أَنْزَلَ» يثير إبلاغه كلّ هذه الخشية والهواجس ؟ حتى إذا ما ظهر إلى الناس أثار الحنق والغضب ، وجزّ أناسا إلى مواجهات ومواقف ؟ ثمّ لهم أن يتأمّلوا في حقيقة التاريخ الإسلامي وواقعه الصادق ، ليُبصروا ما الذي أثار الإحن والفتن ؟ وأيّ شيء أحدث كلّ هذا الهياج ؟ !

205

كتابخانه مدرسه فقاها

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

ب - إكمال الدّين

الكتاب

«الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» . [1]

الحديث

116. تاريخ دمشق عن أبي سعيد الخدري : لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا يَغْدِيرُ حُمًى فَنَادَى لَهُ بِالْوَلَايَةِ ، هَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» . [2]

117. تاريخ البعقوبي : قَدْ قِيلَ إِنَّ أَحَرَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ [النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» ، وَهِيَ الزَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ الصَّرِيحَةُ . وَكَانَ نَزْلُهَا يَوْمَ النَّصِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَغْدِيرُ حُمًى . [3]

بحث حول يوم إكمال الدين

«الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» . [1] تتحدّث الآية عن يوم يتّسم بأربع خصائص مهمّة : 1 . هو يوم ينس فيه الكفار من إلحاق الأذى بأصل الإسلام ، أو النيل من قواعد هذا الدين ووجوده . 2 . هو يوم كُمل فيه الدين الإسلامي . 3 . هو يوم أتمّ الله سبحانه فيه نعمته على الأمة الإسلامية . 4 . هو يوم رضي الله سبحانه فيه لهذا الدين أن يكون الدين النهائي الخاتم للإنسانية أجمع . عندما تحتشد هذه الخصائص البارزة في هذا اليوم ، ففي ذلك إشارة على أنّه أعظم يوم وأكثرها تحديداً للمصير في تاريخ الرسالة النبويّة ، بل في تاريخ الإسلام قاطبة . هنا بالذات يكمن مغزى كلمة ألقاها يهوديّ إلى عمر بن الخطّاب وهو يشيد

بجلال هذا اليوم لو كان عند اليهود . ففي الخبر عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطّاب ، قوله : إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُؤُونَهَا ، لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا ! قَالَ : أَيُّ آيَةٍ ؟ قَالَ : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» . . . [1] ينبغي الآن أن نُطلّ على تاريخ الإسلام لننظر أيّ يوم هذا اليوم المصيري الذي يحمل تلك الخصائص الأربعة ؟ وهو الى ذلك جدير أن يحتفي به المجتمع الإسلامي وتتخذ الأمة عيداً ! كثيرة هي الاحتمالات التي سيقّت لتحديد ذلك اليوم ، بيد أنّها في الغالب لا تستند الى وثائق تاريخيّة أو الى نصوص حديثيّة ، وبذلك نأى عن عرضها في هذا المجال [2] . تبقى هناك فرضيتان تستند كلّ واحدة منهما إلى مجموعة من النصوص التاريخيّة والحديثيّة التي تعود إلى الشيعة والسنة . والمطلوب دراسة هاتين المجموعتين من النصوص لننظر فيما إذا كانت متعارضة فيما بينها ، أم هناك وجه للجمع بينهما . والفرضيتان هما :

1 . يوم غدیر خمّ

في أحاديث الشيعة أخبار كثيرة تحدّد موضوع الآية بنصب النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام قائداً للأمة من بعده ، من دون أن تُشير إلى ذكر يوم الغدير أو أيّ يوم آخر غيره . بيد

أنّ هناك ما يناهز العشرين حديثاً تتحدّث صراحة على أنّ الآية نزلت يوم الغدير [1] . كما توجد أحاديث في كتب أهل السنة تنتهي أساساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، تُشير أيضاً إلى أنّ الآية نزلت في يوم الغدير ، الموافق للثامن عشر من ذي الحجّة سنة عشر للهجرة ، وهذه الأحاديث تتوافق مع القرآن ، ولا مناص من التسليم بها ، وإلاّ ليس ثمة يوم يمكن العثور عليه في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ينطوي على ما ذكره القرآن من خصائص غير يوم الغدير . فبتعيين القائد المستقبلي للأمة الإسلاميّة من قبل الله سبحانه في هذا اليوم ، اندحر الكافرون ، وانقطع دابرهم ، وتبدّلت آمالهم يأساً ، وقد كانوا من قبل يظنّون أنّ هذا الدين متقوم بشخص النبيّ ووجوده الأقدس ، فإذا ما غاب عن الساحة انتهى أمر الإسلام ، وصار إلى زوال . في هذا اليوم تكامل منهاج الإسلام ، وتمّت أطروحته لإدارة غد البشرية ، وتدير أمر العالم كلّ العالم . وبتبؤ شخصيّة شاهقة متألّقة كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو عدل النبيّ صلى الله عليه وآله - باستثناء النبوة - وتعيينه للخلافة ، كملت نعمة الله سبحانه على الأمة الإسلاميّة . وباستكمال منهاج الإسلام ، وبلوغ برنامج الذروة لتكامل المجتمع الإنساني مادياً ومعنوياً ؛ رضي الله سبحانه الإسلام ديناً لتكامل الإنسان . ثمة قرائن وافرة تدلّ على أنّ يوم إكمال الدين هو يوم الغدير ؛ فها نحن نُبصر على المسرح التاريخي لوقائع يوم الغدير عام (10 هـ) يدي رسول الله صلى الله عليه وآله توضع العمامة على رأس عليّ عليه السلام في مراسم مهيبّة ،

ومهنّتين ، وهذا حسّان بن ثابت يطلع من بين الصفوف بقصيدة توتّق الواقعة ، وبعد ذلك كلّه يُصار لإعلان يوم الغدير عيداً من أعظم الأعياد الإسلاميّة . فهل تدع هذه القرائن شكّاً في أنّ يوم إكمال الدين هو يوم الغدير ، بالأخصّ حين تنضمّ إليها وثائق وقرائن كثيرة أخرى تاريخيّة وحديثيّة ؟

2 . يوم عرفة

بإزاء النصوص التي سلفت إليها الإشارة هناك نصوص أخرى تُصرّح أنّ آية «إكمال الدين» نزلت في يوم عرفة بعرفات . هذا القول هو الشائع بين أهل السنّة ، وهو المعوّل عندهم ، وقد روي عن عدد من الصحابة ، بيد أنّ الأساس فيه هو كلام عمر أنف الذكر حين سأله الرجل اليهودي ، وقد توافرت الكتب على نقله من بينها صحيح البخاري ، كما مرّت الإشارة إليه. كما ذكر القول نفسه في بعض كتب الشيعة وأحاديثها ، ونذكر فيما يلي حديثين منها مروّيين عن الإمامين محمّد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام : - الحديث الأوّل ذكره ثقة الإسلام الكليني في الكافي ، وقد جاء فيه : «عن أبي الجارود، قال : سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول : قرّض الله عزّوجلّ على العباد خمساً ؛ أخذوا أربعاً ، وتركوا واحداً . قلتُ : أئسميهم لي جعلتُ فداك ؟ فقال : الصلّاء ، وكان الناس لا يدرون كيف يصلّون ، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمّد ، أخبرهم بمواقيت الصلّاة . ثمّ نزلت الرّكاه ، فقال : يا محمّد ، أخبرهم ما أخبرتهم من صلاتهم . ثمّ نزل الصّوم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى ما حوله من القرى فقاموا ذلك اليوم ، فنزل شهر رمضان بين



کتابخانه مدرسه فقهات، کتابخانه ای رایگان برای مستند سازی مفاهیم دینی.
برای آشنایی و استفاده بیشتر به نشانی lib.eShia.ir مراجعه فرمایید.

شُعَبَانِ وَشَوَالٍ . ثُمَّ نَزَلَ الْحَجُّ ، فَتَزَلَّ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : أَخْبِرْهُمْ مِنْ حَجِّهِمْ مَا أَخْبَرْتَهُمْ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ . ثُمَّ نَزَلَتِ الْوَلَايَةُ ؛ وَإِنَّمَا أَنَا هَذَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ يَوْمَ عَزَّوَجَلَّ : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» وَكَانَ كَمَا أَنَّ الدِّينَ يُولَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَمَّتِي حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَتَى أَخْبَرْتَهُمْ بِهَذَا فِي ابْنِ عَمِّي يَقُولُ قَائِلٌ ، وَيَقُولُ قَائِلٌ - فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْطِقَ بِهِ لِسَانِي - فَأَتَنَنِي غَرِيمَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بَتْلَةً [1] أَوْعَدَنِي إِنْ لَمْ أَبْلِغْ أَنْ يُعَذِّبَنِي ، فَتَزَلَّتْ : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» . [2] فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلِي إِلَّا وَقَدْ عَمَّرَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ دَعَا فَأَجَابَهُ ، فَأَوْشِكُ أَنْ أَدْعِيَ فَأَجِيبَ ، وَأَنَا مَسْئُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ فَقَالُوا : إِنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَتَصَحَّتْ ، وَأَدْبَتْ مَا عَلَيْكَ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ جَزَاءَ الْمُرْسَلِينَ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! هَذَا وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ» . [3] - أَمَّا الْحَدِيثُ الثَّانِي فَقَدْ رَوَاهُ الْعَبَّاسِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَزَاعِيِّ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : «لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَرَفَاتِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، أَنَا جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَقْرِنُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : قُلْ لِأَمَّتِكَ : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» يُولَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[1] من البتل : القطع (النهاية : ج 1 ص 94) .

[2] المائدة : 67 .

[3] الكافي : ج 1 ص 290 ح 6 .

ابن أبي طالب «وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» وَلَسْتُ أَنْزِلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذَا ، قَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ ، وَهِيَ الْخَامِسَةُ ، وَلَسْتُ أَقْبَلَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ إِلَّا بِهَا» . [1] وَالسُّؤَالُ الْآنَ : هَلْ تَعَارَضَ هَاتَانِ الْمَجْمُوعَتَانِ مِنَ النُّصُوصِ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ عِلَاجُهَا مِمَّا يَتَحْتَمُّ طَرَحُ إِحْدَاهُمَا ، أَمْ أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا مُمْكِنٌ ؟ مَقْتَضَى التَّأَمُّلِ فِي هَاتَيْنِ الْمَجْمُوعَتَيْنِ مِنَ النُّصُوصِ وَدِرَاسَتُهُمَا بِدَقَّةٍ لَاتُقْضَى إِلَى عَدَمِ وَجُودِ تَعَارُضٍ أَسَاسِيٍّ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَحَسَبِ ، بَلِ الْعَكْسُ تُفِيدُ أَنَّهُمَا يُؤَيِّدُ بَعْضُهُمَا بَعْضًا مِنْ حَيْثُ الْأَصْلُ ، وَأَنَّ إِحْدَاهُمَا مَكْمَلَةٌ لِلْأُخْرَى . وَبَيَانُ ذَلِكَ - كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعَلَمَاءُ الطَّبَاطِبَائِيُّ - هُوَ : «أَنَّ التَّدْبِيرَ فِي الْاِثْنَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» . . . عَلَى مَا سَيَجِيءُ مِنْ بَيَانِ مَعْنَاهُ ، وَقَوْلِهِ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» . . . وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ مِنْ طَرَفِي الْقَرِيقَيْنِ فِيهِمَا ، وَرَوَايَاتُ الْغَدِيرِ الْمُتَوَاتِرَةُ ، وَكَذَا دِرَاسَةُ أَوْضَاعِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الدَّخِلِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَالتَّبَحُّثُ الْعَمِيقُ فِيهَا ، يُفِيدُ الْقَطْعَ بِأَنَّ أَمْرَ الْوَلَايَةِ كَانَ نَازِلًا قَبْلَ يَوْمِ الْغَدِيرِ بِأَيَّامٍ . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَّقِي النَّاسَ فِي إِظْهَارِهِ ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يَتَلَقَّوهُ بِالْقَبُولِ أَوْ يُسَيِّئُوا الْقَصْدَ إِلَيْهِ ؛ فَيَحْتَثُّ أَمْرَ الدَّعْوَةِ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ يُؤَخِّرُ تَبْلِيغَةَ النَّاسِ مِنْ يَوْمٍ إِلَى غَدٍ حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ . . .» فَلَمْ يُمَهِّلْ فِي ذَلِكَ» . [2] فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ هُنَاكَ تِسْعَةَ أَيَّامٍ فَصَلَتْ بَيْنَ صُدُورِ الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ بِنَصَبِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِدًا لِلْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ إِبْلَاجِ الْحُكْمِ ، فَحُكْمِ وَلايَةِ الْإِمَامِ

[1] تفسير العياشي : ج 1 ص 293 ح 21 .

[2] الميزان في تفسير القرآن : ج 5 ص 196 .

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَدَرَ فِي يَوْمِ عَرَفَةِ بِعَرَفَاتٍ ، بَيَدِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَّرَ إِبْلَاجَهُ إِلَى يَوْمِ غَدِيرِ خَمٍّ لِلْبُؤَاعِثِ النَّبِيِّ أَشْرَنَّا إِلَيْهَا آنِفًا . بِهَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ النُّصُوصَ الَّتِي لَهَا دَلَالَةٌ عَلَى نَزُولِ آيَةِ الْإِكْمَالِ فِي يَوْمِ عَرَفَةِ نَاطِرَةً إِلَى تَارِيخِ صُدُورِ الْوَلَايَةِ ، أَمَّا النُّصُوصُ الَّتِي لَهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ قَدْ نَزَلَتْ فِي غَدِيرِ خَمٍّ ،

ج - التّوحيُّ يومَ الغدير

118.الإمام عليّ عليه السلام : عَمَّني رسولُ الله صلى الله عليه وآله يومَ غديرِ خُمٍّ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ ، طَرَفُهَا عَلَى مَنْكِبِي . [1]

119.الإمام زين العابدين عليه السلام : إنّ رسولَ الله عَمَّ عليّ بنَ أبي طالبٍ عِمَامَتَهُ السَّحَابَةَ [2] وأرخاها من بين يديه ومن خلفه ، ثمّ قال : أقبل فأقبل ، ثمّ قال : أدير فأدير . فقال : هكذا جائني الملائكة ، ثمّ قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهمّ والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وأنصر من نصره ، وأخذل من خذله . [3]

د - التّهنئة القياديّة

120.مسند ابن حنبل عن البراء بن عازب : كُنّا معَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله في سَفَرٍ ، فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ ، فَنَوْدِيَ فِينَا : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ، وَكُسيح [4] لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ ، فَصَلَّى الظُّهْرَ ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . قَالَ : فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : هَنِينَا يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ . [5]

[1] الإصابة : ج 4 ص 23 ح 4584 .

[2] اسم عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال في النهاية : سمّيت به تشبیهها بسحاب المطر لانسحابه في الهواء (النهاية : ج 2 ص 345) .

[3] نظم درر السمطين : ص 112 .

[4] الكسح : الكس (لسان العرب : ج 2 ص 571 «كسح») .

[5] مسند ابن حنبل : ج 6 ص 401 ح 18506 .

هـ - ذكرايات أصحاب النّبِيِّ صلى الله عليه وآله من واقعة الغدير

1 . أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ

121.تاريخ دمشق عن عبد الله بن شريك عن سهم بن حصين ا قَدِمْتُ إِلَى مَكَّةَ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ سَبَّابَةً لِعَلِيٍّ دَهْرًا - قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي هَذَا - يَعْنِي أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - نَحِثٌ [1] بِهِ عَهْدًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَالَ : هَلْ سَمِعْتَ لِعَلِيٍّ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مَنَقِبَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا حَدَّثْتُكَ فَسَلْ عَنْهَا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَفَرِيشَا [2] : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَامَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ قَابِلًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! أَلَسْتُ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا : بَلَى - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ : أَدُنُّ يَا عَلِيٌّ . فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَدَيْهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَيَاضِ أَبَاطِئِهِمَا ؛ قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - . قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَآلِهِ ؟ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : نَعَمْ ، وَأَشَارَ إِلَى أُذُنَيْهِ وَصَدْرِهِ ؛ قَالَ : سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَرِيكٍ : فَقَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ وَسَمِعُ مِنْ خَصِينٍ ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الْهَجِيرَ [3] ، قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ فَقَالَ : إِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ سَبِّ عَلِيٍّ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - . [4]

[1] في المصدر : «يحدث» ، والصحيح مأثباته كما في طبعة دارالتعارف بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي .

[2] في المصدر : «وقريش» ، والصحيح ما أثبتناه كما في الأمالي للطوسي .

[3] أرادَ صلاةَ الهَجِيرِ ؛ يعني الظُّهْرَ ، فحذف المضاف . والهجير : اشتداد الحرّ نصفَ النهار (النهاية : ج 5 ص 246) .

[4] تاريخ دمشق : ج 42 ص 228 .

2. جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

122. سير أعلام النبلاء عن عبد الله بن محمد بن عقيل كُنْتُ عِنْدَ جَابِرٍ فِي بَيْتِهِ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَتَفِيَّةِ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ : أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ إِلَّا حَدَّثْتَنِي مَا رَأَيْتَ وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ! فَقَالَ : كُنَّا بِالْجَحْفَةِ بِغَدِيرِ خُمٍّ ، وَثَمَّ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ جُهَيْنَةَ وَمُزَيْنَةَ وَغِفَارٍ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ خِباءٍ أَوْ قُسطاطٍ ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ ثَلَاثًا ، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . [1]

3. زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ

123. المستدرک علی الصحیحین عن زيد بن أرقم : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى غَدِيرِ خُمٍّ ، فَأَمَرَ بِدَوْحٍ [2] فَكُسِحَ ، فِي يَوْمٍ مَا أَتَى عَلَيْنَا يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ ! فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا مَا عَاشَ نَصَفَ مَا عَاشَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ أَدْعِيَ فَأَجِيبَ ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا لَنْ تَصْلَوْا بَعْدَهُ ؛ كِتَابَ اللَّهِ . ثُمَّ قَامَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ! قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . [3]

[1] سير أعلام النبلاء : ج 8 ص 334 ح 86 .

[2] الدَّوْحُ : جمع دَوْحَةٍ ؛ وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت . والدَّوْحَةُ : المِظْلَةُ العظيمة (لسان العرب : ج 2 ص 436 «دوح»).

[3] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 613 ح 6272 .

و - ذِكْرِيَّاتُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

124. الإمام عليّ عليه السلام : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى حِجَّةِ الْوُدَاعِ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى غَدِيرِ خُمٍّ ، فَأَمَرَ قَاصِلِيحَ لَهُ شِبْهَ الْمِنْبَرِ ، ثُمَّ عَلَاهُ وَأَخَذَ يَعْضُدِي حَتَّى رُبِّيَ بَيَاضُ إِبْطِيهِ ، رَافِعًا صَوْتَهُ قَائِلًا فِي مَحْفِلِهِ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . فَكَانَتْ عَلَى وَلَاتِي وَوَلَايَةِ اللَّهِ ، وَعَلَى عِدَاوَتِي عِدَاوَةُ اللَّهِ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» . [1] فَكَانَتْ وَلَاتِي كَمَالَ الدِّينِ ، وَرَضَى الرَّبُّ جَلَّ ذِكْرُهُ . [2]

ز - إِحْتِجَاجُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

125. الاحتجاج : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَانْتِخَابِ أَبِي بَكْرٍ] : يَا مَعْاشِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، اللَّهُ الْهَلَّ لَا تَنْسَوْا عَهْدَ نَبِيِّكُمْ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِي ، وَلَا تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ دَارِهِ وَقَعْرِ بَيْتِهِ إِلَى دُورِكُمْ وَقَعْرِ بُيُوتِكُمْ ، وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ حَقِّهِ وَمَقَامِهِ فِي النَّاسِ ! قَوْلَ اللَّهِ يَا مَعْاشِرَ الْجَمْعِ ! إِنَّ اللَّهَ قَضَى وَحَكَمَ وَنَبَّيْهُ أَعْلَمُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، أَمَا كَانَ الْقَارِئُ مِنْكُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، الْقَفِيْهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، الْمُضْطَلِّعُ بِأَمْرِ الرَّعِيَّةِ ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَفِينَا لَا فِيكُمْ ! فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فَنَزِدَادُوا مِنَ الْحَقِّ بُعْدًا ، وَتُفْسِدُوا قَدِيمَكُمْ بِشَرِّ مِنْ حَدِيثِكُمْ . فَقَالَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي وَطَأَ الْأَرْضَ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ سَمِعْتَهُ مِنْكَ الْأَنْصَارُ قَبْلَ بَيْعَتِهَا لِأَبِي بَكْرٍ مَا اخْتَلَفَ فِيكَ اثْنَانِ.

[1] المائدة : 3 .

[2] الكافي : ج 8 ص 27 ح 4 .

125. الاحتجاج : فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا هَؤُلَاءِ ! أَمْ كُنْتُ أَدْعُ رَسُولَ اللَّهِ مُسَجِّيًا لَا أَوَارِيهِ وَأُخْرِجُ أَنْارُغُ فِي سُلْطَانِهِ ؟ وَاللَّهِ مَا خِفْتُ أَحَدًا يَسْمُو لَهُ وَيُنَازِعُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِيهِ ، وَيَسْتَجِلُّ مَا اسْتَحْلَلْتُمُوهُ ، وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَرَكَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ لِأَخِي حُجَّةً ، وَلَا لِغَائِلٍ مَقَالًا . [1]

ح - احتجاج فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

126. فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و - لَمَّا مُنِعَتْ قَدْرَكَ وَخَاطَبَتْ الْأَنْصَارَ ، فَقَالَتْ : وَهَلْ تَرَكَ أَبِي يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ لِأَخِي عُذْرًا ؟ [2]

127. عنها عليها السلام : أَنْسَيْتُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ؟ [3] [4]

ط - مُنَاشِدَاتُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

128.مسند ابن حنبل عن أبي الطفيل : جَمَعَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ فِي الرَّحْبَةِ [5]، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَنْشُدُوا اللَّهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا سَمِعَ لَمَّا قَامَ . فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ . وَقَالَ أَبُو تَعِيمٍ : فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ . فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ يَدِيهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ : أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

[1] الاحتجاج : ج 1 ص 183 ح 36 .

[2] الخصال : ص 173 .

[3] يعرف هذا الحديث بالحديث المسلسل بالفواطم ، لوقوع ست من الفواطم في سلسلة سنده .

[4] جامع الأحاديث للقمي : ص 273 .

[5] رَحْبَةُ المكان - كالمسجد والدار - : ساحته ومتّسعه ، وكان عليّ عليه السلام يقضي بين الناس في رَحْبَةِ مسجد الكوفة وهي صحنه . والرَّحْبَةُ : محلّة بالكوفة (تاج العروس : ج 2 ص 18) .

128.مسند ابن حنبل عن أبي الطفيل : قَالَ : فَخَرَجْتُ وَكَأَنَّ فِي نَفْسِي شَيْئًا ، فَلَقِيتُ زَيْدَ بْنِ أَرْقَمَ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : فَمَا تُنْكِرُ ؟ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ . [1]

129.السنة عن المهاجر بن عميرة أو عميرة بن المهاجر : سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَاشِدَ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ : مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ؟ فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَقَالُوا : سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُهُ . [2]

ي - عيد الغدير في الإسلام

130.رسول الله صلى الله عليه وآله : يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ أَفْضَلُ أَعْيَادِ أُمَّتِي وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ بِتَصْبِ أَخِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَمَا لِأُمَّتِي ، يَهْتَدُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ ، وَأَتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيهِ النِّعَمَةَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . [3]

131.مصباح المتجهد عن الفيّاض بن محمد الطرسوسي : أَنَّهُ شَهِدَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيًّا بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ وَبَحْضَرَتِهِ جَمَاعَةً مِنْ خَاصَّتِهِ قَدْ احْتَبَسَهُمْ لِلْإِفْطَارِ ، وَقَدْ قَدَّمَ إِلَى مَنَازِلِهِمُ الطَّعَامَ وَالْبُرَّ وَالصَّلَاتَ وَالْكِسُوَةَ حَتَّى الْخَوَاتِيمَ وَالْيَعَالَ ، وَقَدْ غَيَّرَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِ حَاشِيَتِهِ ، وَخُذِدَتْ لَهُ آلَةٌ غَيْرُ الْآلَةِ الَّتِي جَرَى الرَّسْمُ بِابْتِدَائِهَا قَبْلَ يَوْمِهِ ، وَهُوَ يَذْكُرُ فَضْلَ الْيَوْمِ وَقِدَمَهُ . [4]

[1] رَحْبَةُ المكان - كالمسجد والدار - : ساحته ومتّسعه ، وكان عليّ عليه السلام يقضي بين الناس في رَحْبَةِ مسجد الكوفة وهي صحنه . والرَّحْبَةُ : محلّة بالكوفة (تاج العروس : ج 2 ص 18) .

[2] مسند ابن حنبل : ج 7 ص 82 ح 19321 .

[3] السنة لابن أبي عاصم : ص 593 ح 1373 .

[4] الأمالي للصدوق : ص 188 ح 197 .

[5] مصباح المتجهد : ص 752 .

الفصل الحادي عشر : غاية جهد النبيّ صلّى الله عليه وآله في تعيين الولي

أ - طَلَبُ الصَّحِيفَةِ وَالذَّوَاةِ

132.صحيح البخاري عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله لَمَّا خُصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَفِي الْبَيْتِ رَجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ !!! وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ !! فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاحْتَصَمُوا ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ . فَلَمَّا أَكْتَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : قَوْمُوا . قَالَ عُبيدُ اللَّهِ : فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنَّ الرِّزْيَةَ [1] كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ ؛ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغْطِهِمْ . [2]

133.صحيح البخاري عن ابن عباس : يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! ! إِشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَعُهُ ، فَقَالَ : إِيْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا

بَعْدَهُ أَبَدًا . فَنَازَعُوا - وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ - فَقَالُوا : مَا شَأْنُهُ ؟ ! أَهْجَرَ [3] ؟ ! ! إِسْتَفْهِمُوهُ !! فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ . فَقَالَ :

[1] الرَّزِيَّةُ : الْمُصِيبَةُ (مجمع البحرين : ج 2 ص 695) .

[2] صحيح البخاري : ج 5 ص 2146 ح 5345 .

[3] قال ابن الأثير : أَهْجَرَ فِي مَنْطِقِهِ يُهْجَرُ إِهْجَارًا : إِذَا أَفْحَسَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَنْبَغِي ، وَالْأَسْمُ : الْهُجْرُ ، بِالضَّم . وَهَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا - بِالْفَتْح - : إِذَا خَلَطَ فِي كَلَامِهِ ، وَإِذَا هَذَى . وَمِنْهُ حَدِيثُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالُوا : « مَا شَأْنُهُ ؟ أَهْجَرَ ؟ » أَيِ اخْتَلَفَ كَلَامُهُ بِسَبَبِ الْمَرَضِ ، عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِفْهَامِ . أَيِ هَلْ تَغَيَّرَ كَلَامُهُ وَاخْتَلَطَ لِأَجْلِ مَا بِهِ مِنَ الْمَرَضِ ؟ وَهَذَا أَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِيهِ . وَلَا يُجْعَلُ إِخْبَارًا ، فَيَكُونُ إِقْمًا مِنَ الْفُحْشِ أَوْ الْهَذْيَانِ . وَالْقَائِلُ كَانَ عَمْرٌ ، وَلَا يُطَنَّ بِهِ ذَلِكَ (النهاية : ج 5 ص 246) .

133. صحيح البخاري عن ابن عباس : دَعُونِي ؛ فَأَلْذِي أَتَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ . [1]

134. صحيح مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : يَوْمُ الْخَمِيسِ ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! ! ثُمَّ جَعَلَ تَسِيلُ دُمُوعَهُ ، حَتَّى رَأَيْتُ عَلَى خَدَّيْهِ كَأَنَّهَا نِظَامُ اللَّوْلُؤِ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِيْتُونِي بِالْكَيْفِ [2] وَالِدَّوَاةِ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا . فَقَالُوا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَهْجُرُ !!! [3] [4]

[1] صحيح البخاري : ج 4 ص 1612 ح 4168 .

[2] الْكَيْفُ : عَظُمَ عَرِضٌ يَكُونُ فِي أَصْلِ كَيْفِ الْحَيَوَانَ مِنَ النَّاسِ وَالِدَّوَابِّ ، كَانُوا يَكْتُبُونَ فِيهِ لِقَلَّةِ الْقَرِاطِيسِ عِنْدَهُمْ (النهاية : ج 4 ص 150) .

[3] صحيح مسلم : ج 3 ص 1259 ح 21 .

[4] تعتبر واقعة عزم الرسول صلى الله عليه وآله على كتابة الوصية ، ومنع الخليفة الثاني إياه من كتابتها، واقعة غريبة ومثيرة . فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي «مَا يَتَطَّقُ عَنِ الْهَوَى * إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَخَى يُوحَى» (النجم : 3 و 4) قد قرَّر في آخر لحظات حياته بيان بعض الأمور للأمة الإسلامية . وحتى لو كان الرسول شخصاً عادياً كان ينبغي تلبية طلبه ذاك ، ناهيك عن أنه أعلن بأن هدفه من كتابة تلك الوصية هو أن لا تضلَّ بعده الأمة أبداً ، وهذا هدف يطمح إليه كل إنسان . المثير للدهشة في هذا المجال هو أن الخليفة الثاني عارض ذلك الطلب البسيط الذي ينطوي على نتيجة كبرى . وأسباب تلك المعارضة واضحة طبعاً ، وصرحت بها بعض المصادر التاريخية . وحتى لو لم يشير أي مصدر تاريخي إلى مراده ، فإن أي باحث منصف يدرك حقيقة الأمر من خلال وضع هذه الواقعة وواقعة السقيفة ، ووصول عمر إلى منصب الخلافة ، إلى جانب بعضها الآخر . ويستفاد من المصادر التاريخية بأن هناك فئة كانت تعاضد عمر وتؤازره في موقفه ذاك . وهذا ما يدل على وجود جماعة ضغط كان لها حضور حتى في المجالس الخاصة للرسول صلى الله عليه وآله وعليه و آله بحيث إنَّ الجدل واللفظ اشتدَّ ، وأصبحت كتابة الوصية غير ذات جدوى . والأدهى من كل ذلك هو أن البعض حاول إثبات صحة عمل الخليفة ولكن على حساب الانتقاص من الرسول صلى الله عليه وآله وعليه و آله ، فقالوا : «إِنَّهُ مِنْ دَلَائِلِ فَهْمِهِ وَعَمْرِ وَقَضَائِلِهِ وَدَقِيقِ تَطَرُّهِ ؛ لِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكْتُبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُمُورًا رُبَّمَا عَجَزُوا عَنْهَا وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّهَا مَنْصُوصَةٌ لَا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهَا» (شرح صحيح مسلم للنووي : ج 11 ص 99 هامش الحديث 1637) . فالرسول صلى الله عليه وآله يقول لهم : أريد أن أكتب لكم شيئاً لا تضلُّوا بعده أبداً ، وهؤلاء يقولون : إنَّ كتابة الرسول توجب العقاب ، ومعارضة عمر له دليل على فقهه وفضله ودقيق نظره ! ! ونظراً لهذا التعارض الصريح بين رأي الرسول صلى الله عليه وآله ورأي الخليفة الثاني ، كيف يمكن حينئذ تفسير هذه الإشادة بعمر ؟ ! والأعجب من ذلك هو التبرير الذي جاء به القاضي عياض لكل الواقعة ؛ إذ أنه حرَّفها عن صورتها الأصلية ، وأوردها على نحو مقلوب ، بقوله : «أَهْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ هَكَذَا هُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ : أَهْجَرَ ؟ عَلَى نَحْوِ الْإِسْتِفْهَامِ ، وَهُوَ أَصَحُّ مِنْ رِوَايَةِ مَنْ رَوَى : هَجَرَ أَوْ يَهْجُرُ ؛ لِأَنَّ هَذَا كَلِمَةٌ لَا يَصِحُّ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ لِأَنَّ مَعْنَى هَجَرَ : هَذَى . وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا مِنْ قَائِلِهِ اسْتِفْهَامًا لِلإِنْكَارِ عَلَى مَنْ قَالَ : لَا تَكْتُبُوا ؛ أَيْ لَا تَتْرَكُوا أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَجْعَلُوهُ كَأَمْرٍ مِّنْ هَجَرَ فِي كَلَامِهِ ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَهْجُرُ ، وَقَوْلُ عُمَرَ : حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ، رَدٌّ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ ، لَا عَلَى أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ » (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى : ج 2 ص 194) . فهل ثمة تحريف أوضح من هذا ؟ ومن البديهي أن هذا النص لو لم يكن موجوداً في صحيح البخاري ومسلم ، لوصل إلينا بهذا الشكل المحرّف . والبخاري وإن كان قد نقل هذا النص على نحوين ، إلا أنه أورده في الموضع الذي صرح فيه باسم القائل بلفظة «وجع» ، وهي تتضمن معنى أقلّ إساءة . وفي الموضع الذي حجب فيه اسم القائل أورد الكلمة القبيحة «أهجر» (نعم يمكن قراءتها بنحوين : بصيغة الاستفهام «أهجر» وبصيغة الإخبار «أهجر» فيكون فعلاً ماضياً من باب الإفعال ، وكلاهما قبيح لا يمكن نسبته للنبي صلى الله عليه وآله وعليه و آله وخصوصاً الثاني منهما .) ، والظاهر أنها الكلمة الأصلية . ولعلَّ مصدر هذا الاختلاف هو ابن عباس الذي بين - بذلك خاص - حقيقة الأمر كاملة ، ولكن على نحوين من النقل .

ب - إِنْفَادُ جَيْشِ أَسَامَةَ

135. الطبقات الكبرى عن ابن عمر : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ سَرِيَّةً فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَكَانَ النَّاسُ طَعَنُوا فِيهِ - أَيِ فِي صِغَرِهِ - قَبْلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَصَدَّ الْمِنْبَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهُ - وَأَنْشَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ طَعَنُوا فِي إِمَارَةِ أَسَامَةَ ، وَقَدْ كَانُوا طَعَنُوا فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنَّهُمَا لَخَلِيفَانِ لَهَا ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَلَّا ، فَأَوْصِيكُمْ بِأَسَامَةَ خَيْرًا ! [1]

136. أنساب الأشراف : كان في جيش أسامة : أبو بكر ، وعمر ، ووجه من المهاجرين والأنصار . [1]

137. رسول الله صلى الله عليه وآله : جهزوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عنه ! [2]

[1] أنساب الأشراف : ج 2 ص 115 .

[2] الملل والنحل : ج 1 ص 23 .

بحث حول آخر قرارات النبي صلى الله عليه وآله

اكتملت الفصول لهذا المبحث العظيم الذي حمل بين طياته آخر جهود رسول الله صلى الله عليه وآله ، تلك الجهود الحافلة بالآلام والمشاق . ونعود هنا لإلقاء نظرة أخرى - عطفاً على ما سبق ذكره - لنفصح بإيجاز عن سرّ عدم تحقق آخر جهوده صلى الله عليه وآله . لقد بينت هذه الفصول بكلّ جلاء بأنّ الولاية العلوية قد واكبت الرسالة المحمدية في الإبلاغ والتصريح ، وأنّ الرسول حينما كان يصدر بالرسالة ، كان يهاجر أيضاً بالحديث عن ديمومة الرسالة في قالب الولاية ، ويسمّي علياً «وصياً» و«خليفة» و«وزيراً» و«صاحباً» و«رفيقاً» . وإضافة إلى كلّ ذلك فإنّه كان يتحدث عن القيادة المستقبلية في المناسبات المختلفة بما يتناسب والظروف السياسية والثقافية التي كانت سائدة آنذاك . وكان يصف أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه الشخص الأكثر مقدرة على قيادة الأمة وانتشالها من تلاطم أمواج الفتن والانحرافات . وقد أوردنا هذه الحقائق في موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام [1] ، بين طياته هذه الموسوعة استناداً إلى الكمّ الهائل من الروايات المنقولة من طريق الفريقين ، وجرى التأكيد

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث : جهود النبي صلى الله عليه وآله و آله لقيادة الإمام عليّ عليه السلام) .

على أنّ ذروة ذلك الإبلاغ وقعت في «حجة الوداع» أو بتعبير آخر في «حجة البلاغ» وفي غدير خم . وهكذا فإنّ تأكيد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله على كتابة الولاية من بعده في آخر ساعات عمره المبارك ، كان بلا شكّ يمثل آخر جهوده ومساعيّه لوضع حلّ يضمن سلامة المجتمع ، وبقي الأمة من الانحراف من بعده . ومن هذا المنطلق أمر الرسول صلى الله عليه وآله و آله - وهو في فراش المرض ، وبدنه الشريف يلتهب من شدة الحمى - بتجهيز جيش بقيادة الشاب أسامة بن زيد ، وأكد على الخروج فيه ، ولعن المتخلفين عنه . وكان كلّما فتح عينيه سأل عن مجريات أمور ذلك الجيش . لكنّ العجب كلّ العجب أنّ البعض امتنع عن الالتحاق بذلك الجيش اجتهداً منهم أمام النصّ الصريح من رسول الله صلى الله عليه وآله و آله . فضلاً عن ذلك اتّهموا الرسول الذي لم يكن يقول إلّا الحقّ ، ولا يتكلّم إلّا بالوحي [1] ، بأنّه يهجر ؛ أي يهذي ! ! وهكذا بقيت كتابة الوصية بلا أثر ، ولم تُفعل آخر جهود الرسول صلى الله عليه وآله و آله لإعداد الأرضية الكفيلة بتوطيد «حاکمیّة الحقّ» . ليس هناك أدنى شكّ في أنّ المراد من هذه الوصية هو التصريح بالقيادة ، والتأكيد عليها ، وجلب الأنظار إلى ما جاء من إبلاغ الحقّ على مدى عشرين سنة ، ونودي به في كلّ حذب و صوب [2] . ولكن يبقى ثمة سؤال ؛ وهو لماذا لم يصّر الرسول صلى الله عليه وآله و آله على كتابة الوصية رغم اللغظ الذي أثاروه في حينها ؟ ولماذا لم يبادر إلى هذا الإجراء الأساسي مسبقاً وفي أيام صحته ؟ ولماذا لم يُقدّم على كتابة الوصية رغم الاقتراح الذي قدّمه البعض

[1] «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» النجم : 3 و 4 .

[2] راجع : المراجعات : ص 354 .

بالإتيان بأدوات الكتاب، مع أنّه بقي على قيد الحياة أربعة أيّام بعد طرح هذه القضية ؟ ولماذا لم يُقدم على هذا الإجراء ليحول دون وقوع الأمة في الضلال؛ وهو الذي يصفه القرآن بالحرص على هداية الأمة ؟ ! [1] لعلّ التأمل في وضع المجتمع الإسلامي حينذاك ، وطبيعة تركيب مجتمع المدينة، ومكانة الإمام عليّ عليه السلام يساعد في العثور على جواب لهذا السؤال ، لقد قام الرسول صلى الله عليه وآله بالكثير من الغزوات والمعارك في سبيل القضاء على الشرك وإزالة العراقيل الحائلة دون إبلاغ الرسالة . وقد قُتل في تلك المعارك الكثير من قادة الشرك والاستكبار ، وكان لسيف عليّ عليه السلام الدور الأكبر فيها، وهذه حقيقة لا يشكّ فيها من لديه أدنى اطلاع على تاريخ الإسلام . وفي السنوات الأخيرة من عمر الرسول صلى الله عليه وآله التحق الكثير من ذوي أولئك القادة بمعسكر الإسلام ، إلّا أنّ الإسلام لم يدخل في قلوبهم ، ولم يكونوا على استعداد للقبول بقيادة الإمام عليّ عليه السلام ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإنّ الكثير من الصحابة البارزين ما كانوا يرون - لسبب أو آخر - المصلحة في وجود الإمام عليّ عليه السلام على رأس قيادة الأمة ، فلم يَرُقّ لهم أمر كتابة الوصيّة ؛ وذلك لأنّ كتابة الوصيّة كانت تغلق عليهم باب كلّ الأعداء والتبريرات . أمّا في الظروف العادية فإنّ إقدام النبيّ صلى الله عليه وآله على مثل هذا الإجراء يهبطُ كان الأجواء لبثّ الفرقة والتناحر في داخل المعسكر الإسلامي . بينما في آخر لحظات عمر الرسول صلى الله عليه وآله فإنّ الوصيّة كانت تلقى أجواءً أفضل للقبول ، ومن الطبيعي أنّ القائد الذي شارف على الرحيل من هذه الدنيا بعد سنوات من الجهد في سبيل توطيد ركائز الدين ، لا بدّ أنّ يضع خطّة للمستقبل يضمن فيها بقاء الدين ومصلحة الأمة ، ولو أنّ الوجه البارز ما كانت لتثير الاختلاف واللغط

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث : جهود النبيّ صلى الله عليه وآله لقيادة الإمام عليّ عليه السلام) .

[2] «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» النجم : 3 و 4 .

[3] راجع : المراجعات : ص 354 .

[4] كما جاء في الآية 128 من سورة التوبة .

[5] انظر في هذا المجال قول عمر « فكرهنا ذلك أشدّ الكراهة » مجمع الزوائد : ج 8 ص 609 ح 14257 .

[6] سعيد أيوّب في معالم الفتن : ج 1 ص 263 .

[7] النجم : 3 و 4 .

[8] راجع : النصّ والاجتهاد : ص 125 - 138 .

وتعكّر صفو الماء لكان الاحتمال قويّاً بأن لا يجد الذين أسلموا حديثاً فرصة للمناورة . وعلى هذا المنوال عزم الرسول صلى الله عليه وآله على أصل الوصيّة وكتابتها من جهة، وسعى من جهة أخرى من خلال أمره بتجهيز سرّيّة أسامة لإبعاد أصحاب الادّعاءات ومثيري الضجيج عن الساحة في سبيل توفير الأجواء لطرح المسألة نهائياً . ولا شكّ أنّ سرّيّة أسامة لو كانت سارت على وجهتها ، وأبعد مثيرو الشغب عن الساحة لكانت الوصيّة قد كُتبت ، والخلافة الحقّة قد استُثبتت ، ولقضي على كل ما يُعكّر صفو الأجواء ، قبل عودتهم . [1] ولكن لماذا لم يُصرّ النبيّ صلى الله عليه وآله على ما طلب ، ولم يستثمر الفرصة المتبقّية لكتابة الوصيّة ؟ يكفي النظر إلى ما قيل حول المسألة للعثور على الجواب، وسبب ذلك يعود - كما صرّح به مفكّر بارع [2] - إلى أنّهم جرّده من العصمة من الضلال بقولهم : «هجر» !! ولهذا قال لهم فيما رواه ابن عباس بعد أن هدأت الضجة وقالوا له : أ لا نأتيك بما طلبت ؟ قال : أ بعد الذي قلتم ؟ !... أو بعد ماذا ؟ ! يا للعجب ويا للأسف !! فهل هناك موضع للكتابة بعد أن اتّهموا الرسول صلى الله عليه وآله بأنّه يهجر ؟ فإذا كان قول الرسول يُنجاهل، ويوصف بالهذيان في حياته، وهو الذي نرّاه القرآن عن الخطأ بقوله : «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» [3] فلا بدّ وأن

[1] انظر في هذا المجال قول عمر « فكرهنا ذلك أشدّ الكراهة » مجمع الزوائد : ج 8 ص 609 ح 14257 .

[2] سعيد أيوّب في معالم الفتن : ج 1 ص 263 .

[3] النجم : 3 و 4 .

يكون سائر كلامه موضع تشكيك من بعد وفاته . ويظهر من هذا الكلام والأجواء التي تمخّضت عنه ، ما يلي : 1 . إنّ المعارضين لخلافة الإمام عليّ عليه السلام كانوا جادّين في موقفهم ، ولم يتورّعوا حتى عن النيل من الرسول صلى الله عليه وآله في سبيل هذه الغاية . 2 . لم يكن للكتابة تأثير حينذاك ، وذلك لأنّهم كانوا سيّشيعون هذا الكلام وهذا الرأي بين الناس ، ويُطبلون بذلك أيّ أثر لكتابة الصحيفة . 3 . لعلّ أهمّ ما كان يتمخّض عن ذلك هو أنّ لا يصل الإمام إلى الخلافة ، بل وكانت تضع كلّ تعاليم الرسول ، ويقع التشكيك في حجّيتها ، وتضمحلّ أوامره ونواهيها في خضمّ الأخذ والردّ . والحقيقة هي أنّ اتّهام الرسول

صلى الله عليه وآله بالهذيان يعتبر من أكثر الحوادث مثارا للحزن والألم والمرارة في تاريخ الإسلام . ولعلّ أبلغ ما يعبر عن ذلك هو كلام ابن عباس الذي كان يبكي ويقول : «إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ !» . والأمر المثير أنّه بعد سنتين من ذلك التاريخ حينما كان أبو بكر في اللحظات الأخيرة من حياته يعيش في حالة إغماء ولا قدرة له على الكلام نصب عمر بن الخطاب خليفة من بعده بكتابة تلقينية من عثمان، غير أنّ أحدا لم يتهمه بالهذيان ! وهكذا فقد وقعت تلك الإهانة، ولم تُكتب تلك الوصية، ووُضعت أسس انحراف القيادة ، وحلّ بالأمة ما لم يكن ينبغي أن يحلّ بها . وتبلور تاريخ المسلمين على نحو آخر حافل بكثير من الاضطرابات . {-8-}

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 (القسم الثالث : جهود النبيّ صلى الله عليه وآله لقيادة الإمام عليّ عليه السلام) .

[2] «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» النجم : 3 و 4 .

[3] راجع : المراجعات : ص354 .

[4] كما جاء في الآية 128 من سورة التوبة .

[5] انظر في هذا المجال قول عمر « فكرهنا ذلك أشدّ الكراهة » مجمع الزوائد : ج 8 ص 609 ح 14257 .

[6] سعيد أيوب في معالم الفتن : ج 1 ص 263 .

[7] النجم : 3 و 4 .

[8] راجع : النصّ والاجتهاد : ص 125 - 138 .

القسم الرابع : الإمام عليّ عليه السلام بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله إلي بيعة النَّاس

الفصل الأول : قصّة السقيفة

الفصل الثاني : عهد عمر بن الخطاب

الفصل الثالث : نظرة تحليليّة لوقائع الشورى

الفصل الرابع : مبادئ الثورة على عثمان

الفصل الخامس : الثورة على عثمان

ابن صفحه در كتاب اصلى بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

الفصل الأول : قصّة السقيفة

أ - إنكار موت النبيّ صلى الله عليه وآله [1]

138. الطبقات الكبرى عن عائشة: لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، [2] اسْتَأْذَنَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ،

[1] ودّع النبيّ صلى الله عليه وآله الحياة إلى الرفيق الأعلى .

[2] اهتزّت المدينة ، وعلاها هياج وضجيج ، وانتشر خبر وفاته بسرعة ، فأقضّ المضاجع ، وملأ القلوب غمّا وهمًا وحزنا . والجميع كانوا يبكون وينحبون ، ويُعولون على فقد نبيهم وسيدهم وكان الشخص الوحيد الذي كذّب خبر الوفاة بشدّة كما أسلفنا ، وهذّد على نشره ، وحاول أن يحول دون ذلك هو عمر بن الخطاب .

وتكلم معه العباس عم النبي فلم يقتنع . وحين نظر المغيرة بن شعبه إلى وجه النبي صلى الله عليه وآله أقسم أنه ميت ، لكن عمر كذبه بالكذب واتهمه بإثارة الفتنة . وكان أبو بكر في «السُّنْح» خارج المدينة ، فأخبروه ب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، فجاء إلى المدينة ورأى عمر يتحدث إلى الناس ويهددهم بالآل يصدقوا ذلك ولا ينشروه . وعندما رأى عمر أبا بكر جلس (كنز العمال : ج 7 ص 246 ح 18775) . وذهب أبو بكر إلى الجنازة ، وكشف عن الوجه الشريف ، وخطب خطبة قصيرة ضمنها قوله تعالى : «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» (آل عمران : 144) فهذا عمر وسكن ، وصدق بالوفاة وقال بعد سماعه الآية : «أَبَقْتُ بِوَفَاتِهِ ؛ وَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذِهِ الْآيَةَ» ! أ ترى أن عمر كان لا يعلم حقاً أن النبي صلى الله عليه وآله قد مات ؟ ! ذهب البعض إلى ذلك وقال : كان لا يعلم حقاً . بعبارة أخرى : كان يعتقد أنه لا يموت ، بل هو خالد (شرح نهج البلاغة : ج 12 ص 195) . ويتبين من هذا أن القائلين به غير واعين للعب السياسية وتهينة الأجواء ! وذهب البعض الآخر إلى أنه كان يعلم جيداً أن النبي صلى الله عليه وآله فارق الحياة ، ولن يكون بعدها بين طهراتي المسلمين ، لكن التفكير بالمصلحة ، والتخطيط للمستقبل جعلاه يتخذ هذا الموقف ليمهد الأرضية من أجل التحرك لإزالة منافسيه السياسيين من الساحة . ويتبين ابن أبي الحديد هذا الرأي ، وذهب إلى أنه فعل ذلك منعا لفتنة قد يثيرها الأنصار أو غيرهم حول الإمامة . كتب ابن أبي الحديد قائلاً : «وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنَّ عُمَرَ أَجَلٌ قَدَرًا مِنْ أَنْ يَعْتَقِدَ مَا ظَهَرَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ مَاتَ ، خَافَ مِنْ وَفُوعِ فِتْنَةٍ فِي الْإِمَامَةِ وَتَقَلُّبِ أَقْوَامٍ عَلَيْهَا ، إِمَّا مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ غَيْرِهِمْ . . . فَأَقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةُ عِنْدَهُ تَسْكِينَ النَّاسِ بِأَنْ أَظْهَرَ مَا أَظْهَرَهُ مِنْ كَوْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَمُتْ ... إِلَى أَنْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ غَائِبًا بِالسُّنْحِ ، وَهُوَ مَنْزِلٌ بَعِيدٌ عَنِ الْمَدِينَةِ - فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِأَبِي بَكْرٍ قَوِيٌّ بِجَاشُئِهِ ، وَاشْتَدَّ بِهِ أَرْزُهُ ، وَعَظُمَ طَاعَةُ النَّاسِ لَهُ وَمِثْلُهُمْ إِلَيْهِ ، فَسَكَتَ حَتَّى يُنَاقِشَ عَنْ تِلْكَ الدَّعْوَى الَّتِي كَانَ ادَّعَاهَا» (شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 42) . نظرا إلى القرائن التاريخية ، ومواقف هذين الرجلين ، وسكوت عمر المطلق بعد وصول أبي بكر وكان قد أثار ما أثار من الضجيج واللغط ، كل أولئك لا يدع مجالاً للشك في أن موقف عمر كان تحركاً سياسياً للتمهيد من أجل الشيء الذي امتنع بسببه من الذهاب مع جيش أسامة ، مخالفاً لنص نبوي صريح وأمر رسالي أكيد . وكان النبي صلى الله عليه وآله نفسه يتحدث عن نهاية حياته ، وأبلغ الجميع بذلك . وكان عمر قبل هذا الوقت وحين منع من كتابة الوصية يردد شعار «حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ» ، أي : إن كلمة «حسبنا ...» تتحقق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ويمكن القول مبدئياً إن نص القرآن الكريم على وفاته وعدم خلوده صلى الله عليه وآله يدل على أن نفي وفاته لم يكن عقيدة راسخة يتبنّاها المؤمنون قط ، وأوضح من ذلك كله كلام عمر نفسه عندما نصب أبا بكر في الخلافة وأجلسه على عرشها ، فقد صرح بخطأ مقاله ووهنه قائلاً : «أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَمْسَ مَقَالَةٌ لَمْ تَكُنْ كَمَا قُلْتُ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا وَحَدَّثْتُهَا فِي كِتَابِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَلَا فِي عَهْدِي عَهْدُهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعْيِشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقَالَ كَلِمَةً يُرِيدُ - حَتَّى يَكُونَ آخِرُنَا ، فَأَخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ ، فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا لِمَا هَدَى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ» (الطبقات الكبرى : ج 2 ص 271) . إن هذا كله يدل على أنه كان يمهّد الأرضية للقبض على السلطة ، ويهيئ الأمور لخلافة أبي بكر حتى يتسنى له أن يحكم بعده . وما أبلغ كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين قال له : «أَحْلُبُ خَلْبًا لَكَ شَطْرَهُ» .

[3] الزمر : 30 .

[4] آل عمران : 144 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 267 .

138. الطبقات الكبرى عن عائشة: فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَكَشَفَا النَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ عُمَرُ : وَاعْشِيَا ! مَا أَشَدَّ غَشْيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . ثُمَّ قَامَا ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْبَابِ قَالَ الْمُغِيرَةُ : يَا عُمَرُ مَاتَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ! فَقَالَ عُمَرُ : كَذَبْتَ ! مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ تَحُوشِكُ فِتْنَةً ، وَلَنْ يَمُوتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يُفِيَّيَ الْمُنَافِقِينَ . ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَسْكُتْ ! فَسَكَتَ ، فَصَعِدَ

138. الطبقات الكبرى عن عائشة: أَبُو بَكْرٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» [1] . ثُمَّ قَرَأَ : «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» [2] ، حَتَّى قَرَعَ مِنَ الْآيَةِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ! قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! هَذَا أَبُو بَكْرٍ وَذُو شَيْبَةَ الْمُسْلِمِينَ قَبَايعُهُ ! قَبَايعَةُ النَّاسِ . [3]

ب - مَا جَرَى فِي السَّقِيَّةِ

139. صحيح البخاري عن ابن عباس عن عمر - مِنْ خُطْبَتِهِ فِي أَوَّلِ عُمُرِهِ :- بَلَّغَنِي أَنَّ فَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَانًا فَلَا يَعْتَرَنِي امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ : إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ . أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَفَى شَرْهَهَا ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تُقَطِّعُ الْأَعْنَاقَ إِلَيْهِ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ . مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَتَابَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي تَابَعَهُ نَبَرَةٌ [4] أَنْ يُقْتَلَ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَيْرِنَا حِينَ تَوَقَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّ الْأَنْصَارَ خَالِفُونَا ، وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيَّةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَنْطَلِقْنَا نُرِيدُهُمْ ، فَلَمَّا دَتُونَا مِنْهُمْ لَقِينَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَيْنِ ، فَذَكَرَا مَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، فَقَالَا : أَيْنَ تُرِيدُونَ يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ؟ قُلْنَا : نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ

[1] الزمر : 30 .

[2] آل عمران : 144 .

139. صحيح البخاري عن ابن عباس عن عمر - من خطبته في أواخر عمره - من الأنصار . فقالوا : لا عليكم أن لا تقرّبوهم ، اقضوا أمركم . فقلت : والله لتأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سفيقة بني ساعدة ، فإذا رجلٌ مُزملٌ بين ظهرانيهم ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة . فقلت : ما له ؟ قالوا : يوعك ، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطبتهم ، فأتى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد ، فتحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دقت دافّة [1] من قويمكم ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، وأن يحضنونا من الأمر . فلما سكّت أردت أن أتكلّم ، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أدري منه بعض الحدّ ، فلما أردت أن أتكلّم قال أبو بكر : على رسلك ، فكرهت أن أغضبته ، فتكلّم أبو بكر ، فكان هو أحلم مني وأوفر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهة مثلها أو أفضل ، حتى سكّت فقال : ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتم لكم أحد هذين الرجلين ، قبايعوا أيهما شئتم ، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله . أن أقدم فتضرب عنقي ، لا يقربني ذلك من إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تسوّل لي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن ، فقال قائلٌ من الأنصار : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرحب ، مينا أمير ومينكم أمير . يامعشر قريش ! فكثر اللغط وارتفعت الأصوات ، حتى فرقت من الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده قبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ، وتزونا على سعد بن عبادة فقال قائلٌ منهم : قتلتم

[1] التَّغَرَّة : مصدر غَرَّرته: إذا ألقيته في الغَرَر (النهاية : ج 3 ص356) .

[2] الدافّة : القوم يسرون جماعة (النهاية : ج 2 ص124) .

[3] صحيح البخاري : ج 6 ص2505 ح 6442 .

139. صحيح البخاري عن ابن عباس عن عمر - من خطبته في أواخر عمره - سعد بن عبادة ! فقلت : قتل الله سعد بن عبادة . قال عمر : وإنا والله ما وجدنا فيما حصرنا من أمر أقوى من مبايعه أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا ، وإما بايعناهم على ما لا نرضى ، وإما نخالفهم فيكون فساداً . فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تَغَرَّة أن يُغتلا . [1]

ج - من تخلف عن بيعة أبي بكر

140. تاريخ يعقوبي : تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ، ومالوا مع عليّ بن أبي طالب ، منهم : العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام بن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب . فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب ، وأبي عبيدة بن الجراح ، والمغيرة بن شعبة ، فقال : ما الرأي ؟ قالوا : الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب ، فتجعل له في هذا الأمر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده ، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب حجة لكم على عليّ إذا مال معكم . [2]

د - كلام الإمام عليه السلام لما وصل إليه خبر السقيفة

141. الإرشاد : لما تمّ ، لأبي بكر ما تمّ ، وبايعه من بايع ، جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاة في يده فقال له: إن القوم قد بايعوا أبا بكر، ووقعت الخدلة في الأنصار لاختلافهم ، وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفا من إدراككم الأمر .

[1] صحيح البخاري : ج 6 ص2505 ح 6442 .

[2] تاريخ يعقوبي: ج 2 ص124 .

141.الإرشاد : قَوْصَعَ طَرَفَ الْمِسْحَةِ فِي الْأَرْضِ وَيَذُهُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ : «يَسْمُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ* الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» [1]. [2]

هـ - الهُجُومُ عَلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ يَنْتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ

142.أنساب الأشراف عن سليمان التيمي وعن ابن عَوْن : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ يُرِيدُ الْبَيْعَةَ ، فَلَمْ يُبَايِعْ . فَجَاءَ عُمَرُ ، وَمَعَهُ قَبَسٌ ، فَتَلَقَّيْتُهُ فَاطِمَةَ عَلَى الْبَابِ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : يَا بَنَ الْخَطَّابِ !! أَ تُرَاكَ مُحَرِّقًا عَلَيَّ أَبِي ؟ ! قَالَ : نَعَمْ !! ، وَذَلِكَ أَقْوَى فِيمَا جَاءَ بِهِ أَبُوكَ . [3]

143.تاريخ الطبري عن زياد بن كُليب : أَنَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنَزَلَ عَلِيٍّ وَفِيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرَجُلَانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُحْرِقَنَّ عَلَيْكُمُ أَوْ لَتَخْرُجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ . فَخَرَجَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ مُصْلِتًا بِالسَّيْفِ ، فَعَنَرَ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَوْتَبُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ . [4]

و - إِمْتِنَاعُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْبَيْعَةِ

144.الردّة : أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَلِيٍّ فَدَعَاهُ ، فَأَقْبَلَ وَالنَّاسُ خُصُورٌ ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : لِمَ دَعَوْتَنِي ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : دَعَوْنَاكَ لِلْبَيْعَةِ الَّتِي قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنَّمَا أَخَذْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصَارِ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَالْقَرَابَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ؛ لِأَنَّكُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْكُمْ ، فَأَعْطَوَكُمْ الْمَقَادَةَ ، وَسَلَّمُوا إِلَيْكُمْ الْأَمْرَ ، وَأَنَا أحتجُّ عَلَيْكُمْ بِالَّذِي احتَجَّجْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ ، نَحْنُ أَوْلَى

[1]العنكبوت : 1 - 4 .

[2]الإرشاد : ج 1 ص 189 .

[3]أنساب الأشراف : ج2 ص268 .

[4] تاريخ الطبري : ج3 ص202 .

144.الردّة : يُمَحِّمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛ لِأَنَّا أَهْلُ بَيْتِهِ ، وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَخَافُونَ اللَّهَ - فَانْصِفُونَا ، وَاعْرِفُوا لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا عَرَفْتَهُ لَكُمْ الْأَنْصَارُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنَّكَ إِثْمُ الرَّجُلِ لَسْتَ بِمَتْرُوكٍ أَوْ تُبَايِعُ كَمَا بَاتَعَ غَيْرُكَ . فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا لَا أَقْبَلَ مِنْكَ وَلَا أَبَايِعُ مَنْ أَنَا أَحَقُّ بِالْبَيْعَةِ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ : وَاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنَّكَ لَحَقِيقٌ لِهَذَا الْأَمْرِ لِقُضَاكَ وَسَابِقَتِكَ وَقَرَابَتِكَ ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ بَاتَعُوا وَرَضُوا بِهَذَا الشَّيْخِ ، قَارِضٌ بِمَا رَضِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، أَنْتَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ !! فَأَتَى اللَّهَ - فِي نَفْسِكَ ؛ فَإِنْ هَذَا الْيَوْمَ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ دَارِهِ وَقَعْرَ بَيْتِهِ إِلَى دُورِكُمْ وَقُغُورِ بُيُوتِكُمْ ؛ فَفِي بُيُوتِنَا نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَنَحْنُ مَعِدُونَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ وَالْدِّينِ وَالسُّنَّةِ وَالْقَرَائِصَ ، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِأُمُورِ الْخَلْقِ مِنْكُمْ ؛ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فَيَكُونَ نَصِيبُكُمْ الْأَخْسَ . فَتَكَلَّمَ بِبَشِيرٍ بَنٍ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيَّ فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ سَمِعَهُ النَّاسُ مِنْكَ قَبْلَ الْبَيْعَةِ لَمَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ رَجُلَانِ ، وَلَبَّيْكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، غَيْرَ أَنَّكَ جَلَسْتَ فِي مَنَزِلِكَ وَلَمْ تَشْهَدْ هَذَا الْأَمْرَ ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنْ لَا حَاجَةَ لَكَ فِيهِ ، وَالْآنَ قَدْ سَبَقَتْ الْبَيْعَةُ لِهَذَا الشَّيْخِ ، وَأَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَبَيْكَ يَا بَشِيرُ ! أ فَكَانَ يَحِبُّ أَنْ تُرَكَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي بَيْتِهِ فَلَمْ أُجِبْهُ إِلَى خُفْرَتِهِ ، وَأَخْرَجَ أَنْارُغَ النَّاسِ بِالْخِلَافَةِ ؟ ! [1]

ز - إِعْتِرَاضُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَرَارِ السَّقِيقَةِ

145.الإمام عليّ عليه السلام - فِي خُطْبَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى الشُّكُوى مِنْ أَمْرِ آلِ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا ، يَنْخَدِرُ عَيْنِي السَّبِيلُ

[1]الردّة : ص 46 .

145.الإمام عليّ عليه السلام - فِي خُطْبَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى الشُّكُوى مِنْ أَمْرِ آلِ وَلَا يَرْقَى إِلَى الطَّيْرِ ، فَسَدَلْتُ دَوْتَهَا نَوْبًا ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا [1] ، وَطَفَقْتُ أَرْتَنِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بَيْدَ جَدَّاءَ [2] ، أَوْ أَصِيرَ عَلَى طَخِيَةِ [3] عَمِيَاءَ ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَشَيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدُخُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ ! قَرَأْتُ أَنَّ الصَّبَرَ عَلَى هَاطَا أَجْبَى ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَيْ ، وَفِي الْخَلْقِ شَجَا [4] ، أَرَى ثُرَانِي تَهْبَا . [5]

ح - إِسْتِنصَارُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ

146.كتاب سليم بن قيس : قَالَ سَلَمَانُ : فَلَمَّا أَنْ كَانَ اللَّيْلُ حَمَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ عَلَى جِمَارٍ ، وَأَخَذَ بِيَدَيِ ابْنَيْهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ ، فَلَمْ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَدْرِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلَا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَّا أَنَا فِي مَنَزِلِي ، فَدَكَّرَهُمْ حَقَّةً ، وَدَعَاهُمْ إِلَى نُصْرَتِهِ ، فَمَا اسْتَجَابَ لَهُ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا . فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُصِيحُوا بُكَرَةً مُخْلِقِينَ رُؤُوسَهُمْ مَعَهُمْ سِلَاحَهُمْ لِيُبَايِعُوا عَلَى الْمَوْتِ ، فَأَصْحُوا ، فَلَمْ يُؤَافِ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَرْبَعَةٌ . فَقُلْتُ لِسَلَمَانَ : مَنْ

الرَّابِعَةُ ؟ فَقَالَ : أَنَا وَأَبُو دَرٍّ وَالْمِقْدَادُ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ . ثُمَّ أَنَاهُمْ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ ، فَنَاشَدَهُمْ ، فَقَالُوا : نُصِيحُكَ بُكَرَةً ، قَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أَنَاهُ غَيْرُنَا .

[1] الكَشْحُ : ما بين الخاصرة إلى الصلع الخَلْفُ ، كناية عن امتناعه وإعراضه عنها (مجمع البحرين : ج 3 ص 1572 «كشح»).

[2] جَذَاءٌ : مقطوعة ، كَتَى به عن قصور أصحابه وتقاعدهم عن الغزو ؛ فَإِنَّ الجند للأمير كَالِيد (النهاية : ج 1 ص 250 «جذذ»).

[3] طخية عمياء : أي ظلمة لا يهتدى فيها للحقّ ، وكَتَى بها عن التباس الأمور في أمر الخلافة (مجمع البحرين : ج 1 ص 279 «جذذ»).

[4] الغذى : ما يقع في العين فيؤذيها كالغبار ونحوه . والشجأ : ما ينشب في الحلق من عظمٍ ونحوه فيُعْمُ به ، وهما كنايةتان عن النعمة ومرارة الصبر والتألم من العبن (مجمع البحرين : ج 2 ص 932 «شجأ»).

[5] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

146. كتاب سليم بن قيس : ثُمَّ أَنَاهُمْ اللَّيْلَةَ الثَّالِثَةَ قَمَا أَنَاهُ غَيْرُنَا . فَلَمَّا رَأَى غَدَرَهُمْ وَفَلَّةَ وَفَائِهِمْ لَهُ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقُرْآنِ يُؤَلِّفُهُ وَيَجْمَعُهُ ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى جَمَعَهُ . [1]

147. تاريخ البعقوبي : إِجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَعْدُوا عَلَى هَذَا مُحَلِّقِينَ الرُّؤُوسَ . فَلَمْ يَغْدُ عَلَيْهِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ نَقَرٍ . [2]

ط - وَعَيَّ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُوَاجَهَةِ الْفِتْنَةِ

148. أنساب الأشراف عن الحسين عن أبيه : إِنَّ أَبَا سُغَيَانَ جَاءَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، بَايَعْتُمْ رَجُلًا مِنْ أَذَلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتُ لَأَصْرِمَنَّاهُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْطَارِهَا ، وَلَأَمْلَأَنَّاهُ عَلَيْهِ خَيْلًا وَرِجَالًا ! ! فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ : إِنَّكَ طَالَمَا مَا عَشَشْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْإِسْلَامَ ، فَلَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ شَيْئًا . [3]

ي - بَيْعَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ وَفَاةِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

149. الكامل في التاريخ عن الزُّهري: بَقِيَ عَلِيٌّ وَبَنُو هَاشِمٍ وَالزُّبَيْرُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ لَمْ يُبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ ، حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَبَايَعُوهُ . [4]

150. صحيح البخاري عن عائشة : إِنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بَيَّتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَفَدَكَ ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسٍ خَيْرٌ ... فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا ، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ

[1] كتاب سليم بن قيس : ج 2 ص 580 ح 4 .

[2] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 126 .

[3] أنساب الأشراف : ج 2 ص 271 .

[4] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 14 .

150. صحيح البخاري عن عائشة : فِي ذَلِكَ ، فَهَجَرَتْهُ ؛ فَلَمْ تُكَلِّمَهُ حَتَّى تُؤَقِّبَتْ ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . فَلَمَّا تُؤَقِّبَتْ دَفَنَهَا رَوْحَهَا عَلَيَّ لَيْلًا ، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا . وَكَانَ لِعَلِيِّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ ، فَلَمَّا تُؤَقِّبَتْ اسْتَنَكَرَ عَلِيُّ وَجْهَ النَّاسِ ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الْأَشْهُرَ . [1]

ك - دَوَافِعُ بَيْعَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ امْتِنَاعِهِ

1 . مَخَافَةُ الْفُرْقَةِ

151. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ خُطْبَتِهِ قَبْلَ حَرْبِ الْجَمَلِ :- إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ قُضِيَ كُنَّا نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِهِ ، وَغُصْبَتُهُ ، وَوَرَثَتُهُ ، وَأَوْلِيَاؤُهُ ، وَأَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِهِ ، لَا تُنَازَعُ فِي ذَلِكَ . . . فَانْتَزَعُوا سُلْطَانَ بَيْتِنَا مِنَّا ، وَوَلَّوْهُ غَيْرَنَا ، وَإِيْمَ اللَّهُ - فَلَوْلا مَخَافَةُ الْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الْكُفْرِ لَكُنَّا غَيْرَنَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَعْنَا ! [2]

2 . مَخَافَةُ الْإِرْتِدَادِ

152. الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ النَّاسَ لَمَّا صَنَعُوا مَا صَنَعُوا إِذْ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ ، لَمْ يَمْنَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا تَطَرَّأَ لِلنَّاسِ ، وَتَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ فَيَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ ، وَلَا يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . . . وَبَايَعَ مُكْرَهًا ؛ حَيْثُ لَمْ يَجِدْ أَعْوَانًا . [3]

3 . عَدَمُ النَّاصِرِ

153. الكافي عن سدير : كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَذَكَرْنَا مَا أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،

[1] صحيح البخاري : ج 4 ص 1549 ح 3998 .

[2] الجمل : ص 437 .

[3] الكافي : ج 8 ص 295 ح 454 .



153. الكافي عن سدير : وَاسْتِذْلَاهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، فَأَيَّنَ كَانَ عِزُّ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَدَدِ ؟ ! فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَمَنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ؟ ! إِنَّمَا كَانَ جَعْفَرٌ وَحَمْرَةُ ، فَمَضَى ، وَبَقِيَ مَعَهُ رَجُلَانِ ضَعِيفَانِ ذَلِيلَانِ ، حَدِيثًا عَهْدَ بِالإِسْلَامِ ؛ عَبَّاسٌ وَغَقِيلٌ ، وَكَانَا مِنَ الطُّلُقَاءِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَمْرَةَ وَجَعَفَرَا كَانَا يَحْضَرَتُهُمَا مَا وَصَلَا إِلَى مَا وَصَلَا إِلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَا شَاهِدِيَهُمَا لَأَتَلَفَا نَفْسِيَهُمَا . [1]

4 . الإِكْرَاهُ

154. الإمام الصادق عليه السلام : وَاللَّهِ مَا بَاتَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى رَأَى الدُّخَانَ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ . [2]

ل - مَجَالَاتُ نَجَاحِ قَرَارِ السَّقِيقَةِ

1 . بُغْضُ قُرَيْشٍ

155. نثر الدر عن ابن عباس : وَقَعَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ كَلَامٌ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : مَا أَصْنَعُ بِكُمْ إِنْ كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تُحِبُّكُمْ ! وَقَدْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعِينَ ، كَأَنَّ وَجْهَهُمْ شُنُوفٌ [3] الدَّهَبِ ، تَشْرَبُ أَنْفُهُمْ [4] قَبْلَ شِفَاهِهِمْ ! [5]

2 . الْحَسَدُ

156. الأُمَالِي للمفيد عن أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيَّهَانِ - قَبْلَ حَرْبِ الْجَمَلِ - : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ حَسَدَ

[1] الكافي : ج 8 ص 189 ح 216 .

[2] الشافي : ج 3 ص 241 .

[3] الشَّنْفُ : الَّذِي يُلْبَسُ فِي أَعْلَى الْأَذْنِ ، وَالَّذِي فِي أَسْفَلِهَا الْقُرْطُ ، وَقِيلَ : الشَّنْفُ وَالْقُرْطُ سَوَاءٌ (لسان العرب : ج 9 ص 183) .

[4] الْأُنْفُ - كَالْأَنَافِ وَالْأُنُوفِ - : جَمِيعُ الْأَنْفِ (راجع : لسان العرب : ج 9 ص 12) .

[5] نثر الدر : ج 2 ص 68 .

156. الأُمَالِي للمفيد عن أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيَّهَانِ - قَبْلَ حَرْبِ الْجَمَلِ - قُرَيْشِي إِيَّاكَ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَمَّا خِيَارُهُمْ فَحَسَدُوكَ مُنَاقَسَةً فِي الْقَضَلِ ، وَارْتِفَاعًا فِي الدَّرَجَةِ . وَأَمَّا أَشْرَارُهُمْ فَحَسَدُوكَ حَسَدًا ، أَحْبَطَ اللَّهُ بِهِ أَعْمَالَهُمْ ، وَأَنْقَلَ بِهِ أَوْرَارَهُمْ . وَمَا رَضُوا أَنْ يُسَاوَوْكَ حَتَّى أَرَادُوا أَنْ يَتَقَدَّمُوكَ ، فَبَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الْغَايَةُ ، وَأَسْقَطَهُمُ الْبُيْضَاءُ ، وَكُنْتُ أَحَقَّ قُرَيْشِي بِقُرَيْشٍ ، تَصَرَّتْ نَبِيَّتُهُمْ حَيًّا ، وَقَصَبَتْ عَنْهُ الْحُقُوقَ مَيِّتًا ، وَاللَّهِ مَا بَغَيْهِمْ إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَنَحْنُ أَنْصَارُكَ وَأَعْوَانُكَ ، قَمَرْنَا بِأَمْرِكَ . [1]

م - بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ وَجْهَةٍ تَطَرُّ عُمَرُ

157. تاريخ اليعقوبي عن عمر بن الخطاب : كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً ، وَقَى اللَّهَ شَرَّهَا ، فَمَنْ عَادَ لِمِنْهَا فَاقْتُلُوهُ . [2]

[1] الأُمَالِي للمفيد : ص 155 ح 6 .

[2] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 158 .

الفصل الثاني : عهد عمر بن الخطاب

أ - مَكَاتَةُ عُمَرَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ

158. تاريخ الإسلام عن أبي بكر : وَاللَّهِ ، مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ . [1]

159. الإمامة والسياسة - في ذكرِ كِتَابَةِ اسْتِخْلَافِ عُمَرَ :- خَرَجَ عُمَرُ بِالْكِتَابِ وَأَعْلَمَهُمْ ، فَقَالُوا : سَمِعَا وَطَاعَةً ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مَا فِي الْكِتَابِ يَا أَبَا حَفْصٍ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، وَلَكِنِّي أَوَّلُ مَنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ . قَالَ : لَكِنِّي وَاللَّهِ أَدْرِي مَا فِيهِ ؛ أَمَرْتُهُ عَامَ أَوَّلِي ، وَأَمَرَكَ الْعَامَ ! [2]

ب - مَوْفِقُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خِلَافَتِهِ

160. الإمام عليّ عليه السلام - في ذكرِ السَّقْيِ - في ذكرِ السَّقِيَّةِ وَمَا بَعْدَهَا - الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَرَأْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَانَا أَحْيَى [3] ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى ، وَفِي الْخَلْقِ شَجَا ، أَرَى ثُرَانِي [4] تَهْبَا ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ .

[1] تاريخ الإسلام للذهبي : ج 3 ص 265 .

[2] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 38 .

[3] أي أجدر وأولى وأحقّ (النهاية : ج 1 ص 348) .

[4] التراث : ما يَخْلِفُهُ الرَّجُلُ لَوَرَّثَهُ (النهاية : ج 1 ص 186) .

160. الإمام عليّ عليه السلام - في ذكرِ السَّقْيِ - في ذكرِ السَّقِيَّةِ وَمَا بَعْدَهَا - 0 شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ [1] 0 فَيَا عَجَبًا ! ! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخَرٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ - لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا صَرْعِيهَا ! - فَصَبَّرَهَا فِي حَوْرَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلِمُهَا [2] ، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ، وَيَكْثُرُ الْعِنَاؤُ فِيهَا ، وَالْإِعْتِدَاؤُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كِرَاكِبُ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْتَقَ لَهَا خَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ [3] فَمُنِيَ النَّاسُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - يَخْبِطُ وَشِمَاسِي [4] ، وَتَلَوُّنِي وَاعْتِرَاضِي . [5]

ج - اسْتِشَارَةُ عُمَرَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمُعْضِلَاتِ

161. فضائل الصحابة لابن حنبل عن سعيد بن المسيّب : كَانَ عُمَرُ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنِ . [6]

162. الاستيعاب : وَقَالَ [عُمَرُ] فِي الْمَجْنُونَةِ الَّتِي أَمَرَ بِرَحِمِهَا ، وَفِي الَّتِي وَضَعْتَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَأَرَادَ عُمَرُ رَحِمَهَا ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » [7] الْحَدِيثُ ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ الْقَلَمَ عَنِ الْمَجْنُونِ ، الْحَدِيثُ ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لَوْلَا عَلِيُّ لَهْلَكَ عُمَرُ . [8]

[1] هذا البيت هو للأعشى ، وقد تمثّل به عليه السلام .

[2] الكَلْمُ : الْجَرْجُ (النهاية : ج 4 ص 199) .

[3] قال الشريف الرضي - في ذيل الخطبه - : قوله عليه السلام : «كراكب الصعبة إن أشتق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحّم» يريد : أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزمام وهي تُنازع رأسها خرم أنفها ، وإن أرحى لها شيئاً مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها ، يقال : أشتقّ الناقة : إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشتقّها أيضاً . ذكر ذلك ابن السكّيت في «إصلاح المنطق» ، وإثما قال : «أشتق لها» ولم يقل : «أشتقها» لأنّه جعله في مقابلة قوله : «أسلس لها» ، فكأنّه عليه السلام قال : إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزمام .

[4] شَمَسَتْ الدَّابَّةُ وَالْقَرَسُ : شَرَّدَتْ وَجَمَحَتْ وَمَتَعَتْ ظَهْرَهَا (لسان العرب : ج 6 ص 113) .

[5] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

[6] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 647 ح 1100 .

[7] الأحقاف : 15 .

[8] الاستيعاب : ج 3 ص 206 الرقم 1875 .

بيان : كان الإمام عليّ عليه السلام يقدّم آراءه الاستشاريّة في الميادين العلميّة أو في المشاكل السياسيّة بعدما يحرز أنّها تعود بالفائدة على المجتمع الإسلامي ، ولا يبدي رأيه إذا عاد بالنفع الشخصي على الخليفة ولم يقدّم على المجتمع بشيء . يقول ابن عباس : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ فِي إِحْدَى خُرُوجَاتِهِ ، فَأَنْقَرَدَ يَوْمًا يَسِيرُ عَلَى بَغِيضٍ فَاتَّبَعْتُهُ ، فَقَالَ لِي : يَا بَنَ عَبَّاسٍ ، أَشْكُو إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّكَ ! سَأَلْتُهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعِيَ فَلَمْ يَفْعَلْ . [1]

د - إستينجاءُ عُمَرَ بِرَأْيِ الإمام عليه السلام

163. تاريخ اليعقوبي : أَرَخَّ عُمَرُ الْكُتُبَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ التَّارِيخَ مِنْذُ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : مِنْ الْمَبْعَثِ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكْتُبَهُ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَكَتَبَهُ مِنَ الْهَجْرَةِ . [2]

164. الإمام عليّ عليه السلام - لِعُمَرَ لَمَّا اسْتَشَارَ النَّاسَ فِي أَنْ يَسِيرَ فِي إِنْ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ تَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ لِكَثْرَةِ وَلَا قِلَّةِ ؛ هُوَ دِينُهُ الَّذِي أَطَهَرَ ، وَخُنْدُهُ الَّذِي أَعَزَّ وَأَبْدَهُ بِالْمَلَايِكَةِ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ ، فَتَحَنَّنَ عَلَى مَوْعِدٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ ، وَنَاصِرُ خُنْدِهِ . وَمَكَائِلُ مِنْهُمْ مَكَانُ الْيَطَامِ مِنَ الْخَرَزِ ؛ يَجْمَعُهُ وَيُمْسِكُهُ ، فَإِنْ انْحَلَّ تَفَرَّقَ مَا فِيهِ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ يَخْدَافِيرِهِ أَبَدًا . وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهِيَ كَثِيرٌ عَزِيزٌ بِالْإِسْلَامِ ؛ فَأَقِمَ ، وَاكْتُبْ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ - فَهُمْ أَعْلَامُ الْعَرَبِ وَرُؤَسَاؤُهُمْ - وَمَنْ لَمْ يَحْفَلْ [3] يَمَنْ هُوَ أَجْمَعٌ وَأَحَدٌ وَأَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ ؛ فَلْيَأْتِيَهُمُ الثُّلُثَانِ وَلْيَقِمِ الثُّلُثُ ، وَاكْتُبْ

[1] شرح نهج البلاغة : ج 12 ص 78 .

[2] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 145 .

[3] الحَفْلُ : المُبَالَاة . يقال : ما أَحْفَلُ بفلان ؛ أي ما أَبالي به (لسان العرب : ج 11 ص 159) .

164. الإمام عليّ عليه السلام - لِعُمَرَ لَمَّا اسْتَشَارَ النَّاسَ فِي أَنْ يَسِيرَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنْ يُمِدُّوهُمْ بِبَعْضِ مَن عِنْدَهُمْ . [1]

165. تاريخ اليعقوبي : شَاوَرَ عُمَرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : تُقَسِّمُهَا بَيْنَنَا ، فَشَاوَرَ عَلِيًّا ، فَقَالَ : إِنْ قَسَمْتَهَا الْيَوْمَ لَمْ يَكُنْ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَنَا شَيْءٌ ، وَلَكِنْ تُفْرِغُهَا فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُوتَهَا ، فَتَكُونُ لَنَا وَلِمَنْ بَعْدَنَا . فَقَالَ : وَقَفَكَ اللَّهُ ، هَذَا الرَّأْيُ ! [2]

[1] الحَفْلُ : المُبَالَاة . يقال : ما أَحْفَلُ بفلان ؛ أي ما أَبالي به (لسان العرب : ج 11 ص 159) .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 123 .

[3] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 151 .

الفصل الثالث : نظرة تحليليّة لوقائع الشورى

أ - وَصِيَّةُ عُمَرَ بِخُصُوصِ الْخِلَافَةِ

166. صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون : قالوا [لِعُمَرَ بَعْدَ إِصَابَتِهِ] : أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ . قَالَ : مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ - أَوْ الرَّهْطِ - الَّذِينَ تَوَقَّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، فَسَمَّيَ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَقَالَ : يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةَ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِينَ بِهِ أَتَيْكُمْ مَا أَمَرَ ، فَإِنِّي لَمْ أَعِزْلُهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ . [1]

ب - رَأْيُ عُمَرَ فِيمَنْ رَشَحَهُمْ لِلْخِلَافَةِ

167. الطبقات الكبرى عن عمرو بن ميمون : شَهِدْتُ عُمَرَ يَوْمَ طُعِنَ . . . ثُمَّ قَالَ : أَدْعُوا لِي عَلِيًّا ، وَعُثْمَانَ ، وَطَلْحَةَ ، وَالزُّبَيْرَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَسَعْدًا ؛ فَلَمْ يَكِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ غَيْرَ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ . فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، لَعَلَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَعْرِفُونَ لَكَ قَرَابَتَكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَصِهْرَكَ ، وَمَا أَنْكَ اللَّهُ مِنَ الْفَقْهِ وَالْعِلْمِ ، فَإِنْ وَلِيْتَ هَذَا الْأَمْرَ فَأَتَى اللَّهَ فِيهِ !

[1] صحيح البخاري : ج 3 ص 1355 ح 3497 .

167. الطبقات الكبرى عن عمرو بن ميمون : ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ فَقَالَ : يَا عُثْمَانُ ، لَعَلَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَعْرِفُونَ لَكَ صِهْرَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَيِّدَكَ وَشَرَفَكَ ، فَإِنْ وَلَيْتَ هَذَا الْأَمْرَ فَاتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَحْمِلَنَّ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ! ثُمَّ قَالَ : أَدْعُوا لِي صُهْبًا ، فَدُعِيَ ، فَقَالَ : صَلِّ يَا نَاسُ ثَلَاثًا ، وَلِيَخْلُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِي بَيْتِي ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ ، فَمَنْ خَالَقَهُمْ فَاضْرِبُوا رَأْسَهُ . فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ عُمَرَ ، قَالَ عُمَرُ : لَوْ وَلَّوْهَا الْأَجْلَحَ [1] سَلَكَ بِهِمُ الطَّرِيقَ ! فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ : قَمَا يَمْنَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَتَحَمَّلَهَا حَيًّا وَمَيِّتًا . [2]

ج - معلوميّة نتيجة الشورى قبل المشورة

168. تاريخ الطبري : قَالَ عَلِيُّ لِقَوْمٍ كَانُوا مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ : إِنْ أَطِيعَ فِيكُمْ قَوْمُكُمْ لَمْ تُؤْمَرُوا أَبَدًا . وَلَقَاهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : عُذِلْتَ عَنَّا ! فَقَالَ : وَمَا عَلِمُكَ ؟ قَالَ : فُِرِنَ بِي عُثْمَانُ ، وَقَالَ : كُونُوا مَعَ الْأَكْثَرِ ، فَإِنْ رَضِيَ رَجُلَانِ رَجُلًا ، وَرَجُلَانِ رَجُلًا ، فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَسَعَدَ لَا يُخَالِفُ ابْنَ عَمِّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ صِهْرُ عُثْمَانَ ؛ لَا يَخْتَلِفُونَ ، فَيُؤَلِّيهِمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُثْمَانُ أَوْ يُؤَلِّيهِمَا عُثْمَانُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَلَوْ كَانَ الْآخَرَانِ مَعِيَ لَمْ يَنْقَعَانِي . [3]

د - موقف الإمام عليه السلام من قرار الشورى

169. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كَلَامٍ لَهُ لَمَّا عَزَمُوا عَلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ : لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَاللَّهِ لَأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ؛ إِيْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِينَتِهِ . [4]

[1] هو الذي انحسر الشعر عن جانبي رأسه (النهاية : ج 1 ص 284) .

[2] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 340 .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 229 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 74 .

ه - شيقية هذرت !

170. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ [1] ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا ، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا يَرْفَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ؛ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشِيحًا ، وَطَفِئْتُ أَرْتَنِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بَيْدَ جَذَاءٍ [2] ، أَوْ أَصِيرَ عَلَى طَخِيَةٍ [3] عَمِيَاءَ ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدُخُ فِيهَا مُؤَمِّنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ ! فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاطَا أَحَجُّ ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى [4] ، وَفِي الْخَلْقِ شَجَا [5] ، أَرَى ثُرَاثِي تَهْبَا ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ . ثُمَّ تَمَثَّلَ يَقُولُ الْأَعْمَشُ : 0 شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا [6] وَيَوْمُ حَيَّانِ أَخِي جَابِرِ 0 فَيَا عَجَبًا ! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقْبِلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ - لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا صَرْعِيهَا ! - فَصَبَّرَهَا فِي حَوْرَةٍ حَسَنَاءَ يَغْلُظُ كَلِمُهَا ، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ، وَيَكْثُرُ الْعَثَارُ فِيهَا ، وَالْإِعْتِذَاؤُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْتَقَّ لَهَا خَرَمٌ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمٌ ، فَمَيِّمِي النَّاسُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - يَخْبِطُ وَشِمَاسِي ، وَتَلَوْنِي وَاعْتِرَاضِي ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طَوِيلِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمُحَنَةِ ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي

[1] قمصته قميصا : إذا ألبسته ، وأراد بالقميص الخلافة ، وهو من أحسن الاستعارات (النهاية : ج 4 ص 108) .

[2] جَذَاءٌ : مقطوعة ، كتى به عن قصور أصحابه وتقاؤهم عن العزوة ؛ فَإِنَّ الْجَنْدَ لِلْأَمِيرِ كَالْبِيدِ (النهاية : ج 1 ص 250) .

[3] طخية عمية : أي ظلمة لا يُهتدى فيها للحق ، وكتى بها عن التباس الأمور في أمر الخلافة (مجمع البحرين : ج 1 ص 279) .

[4] القذى : ما يقع في العين والماء والشراب من ثراب أو تين أو وسخ أو غير ذلك (النهاية : ج 4 ص 30) .

[5] ما يَنْشَبُ فِي الْخَلْقِ مِنْ عَظَمٍ وَنَحْوِهِ قَيْعَمٌ بِهِ (مجمع البحرين : ج 2 ص 932) .

[6] الْكُورُ - بِالضَّمِّ - : الرَّحْلُ ، وَقِيلَ : الرَّحْلُ بِأَدَاتِهِ (لسان العرب : ج 5 ص 154) .

170. الإمام علي عليه السلام - من خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام - أَحَدُهُمْ ، قَبَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى ! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ ، حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ ! لِكَيْتِي أَسْقَعْتُ إِذْ أَسْقُوا ، وَطُرْتُ إِذْ طَارُوا ؛ فَصَعَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ، وَمَالَ الْآخَرَ لِصِهْرِهِ ، مَعَ هُنَّ وَهْنٍ ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِصْنِيهِ ، بَيْنَ تَشْيِلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَا لَ الْهُ خِضْمَةً الْإِبِلِ بَيْتَةَ الرَّبِيعِ ، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ عَلَيْهِ قَتْلُهُ ، وَأَجْهَرَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ ! قَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرفِ الضُّعِّ إِلَيَّ ، يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشَقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيبَةِ الْعَتَمِ ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ تَكَنَّتْ طَائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَقَسَطَ آخَرُونَ : كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [1] بَلَى ! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ خَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زَبْرُجُهَا ! أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأ النَّسَمَةَ ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ يَوْجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُفَارِّزُوا عَلَى كِطَّةِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَعْبٍ مَظْلُومٍ ، لِأَلْقِيَتْ حَبْلُهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَلَسَقِيَتْ آخِرُهَا يَكَاسٍ أَوَّلِهَا ، وَلَأَلْقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةٍ عَنَزَ ! قَالُوا : وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِي ، فَنَاقَلَهُ كِتَابًا - قِيلَ : إِنَّ فِيهِ مَسَائِلَ كَانَ يُرِيدُ الْإِجَابَةَ عَنْهَا - فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَائَتِهِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ اطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ ! فَقَالَ : هِيَاتِ يَا بَنَ عَبَّاسِ ! تِلْكَ شَيْفِيقَةُ هَذَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ !

[1] قمصته قميصا : إذا ألبسته ، وأراد بالقميص الخلافة ، وهو من أحسن الاستعارات (النهاية : ج 4 ص 108) .

[2] جداء : مقطوعة ، كتى به عن قصور أصحابه وتفاغدهم عن العزو ؛ فإنَّ الجندَ للأمير كاليد (النهاية : ج 1 ص 250) .

[3] طخية عميةا : أي ظلمة لا يُهتدى فيها للحق ، وكتى بها عن التباس الأمور في أمر الخلافة (مجمع البحرين : ج 1 ص 279) .

[4] القذى : ما يقع في العين والماء والشراب من ثراب أو تين أو وسخ أو غير ذلك (النهاية : ج 4 ص 30) .

[5] ما يَنشَبُ في الخلق من عظم ونحوه قَبِغَصٌ به (مجمع البحرين : ج 2 ص 932) .

[6] الكور - بالضم - : الرَّحْل ، وقيل : الرَّحْل بأداته (لسان العرب : ج 5 ص 154) .

[7] القصص : 83 .

[8] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

170. الإمام علي عليه السلام - من خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَوْلَ اللَّهِ ، مَا أَسَفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَلَّا يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام بَلَّغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ . [1]

[1] قمصته قميصا : إذا ألبسته ، وأراد بالقميص الخلافة ، وهو من أحسن الاستعارات (النهاية : ج 4 ص 108) .

[2] جداء : مقطوعة ، كتى به عن قصور أصحابه وتفاغدهم عن العزو ؛ فإنَّ الجندَ للأمير كاليد (النهاية : ج 1 ص 250) .

[3] طخية عميةا : أي ظلمة لا يُهتدى فيها للحق ، وكتى بها عن التباس الأمور في أمر الخلافة (مجمع البحرين : ج 1 ص 279) .

[4] القذى : ما يقع في العين والماء والشراب من ثراب أو تين أو وسخ أو غير ذلك (النهاية : ج 4 ص 30) .

[5] ما يَنشَبُ في الخلق من عظم ونحوه قَبِغَصٌ به (مجمع البحرين : ج 2 ص 932) .

[6] الكور - بالضم - : الرَّحْل ، وقيل : الرَّحْل بأداته (لسان العرب : ج 5 ص 154) .

[7] القصص : 83 .

[8] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

نظرة تحليلية لوقائع الشورى

تبلورت وقائع الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على وآله على نحو مدهش وملفت للنظر ، وانتهت بحادثة السقيفة واستخلاف أبي بكر ، ودُعي أنَّ خلافته كانت موضع إجماع . ثمَّ إنَّه نصب عمر خليفة من بعده ، وهكذا فقد سنَّ سُنَّةَ «الاستخلاف» . وفي الأيام الأخيرة من حياة عمر ، أخذ يفكر - وهو على فراش الموت - بمستقبل الأمة الإسلامية ، وتدلَّ النصوص التاريخية بكلِّ جلاء على أنَّه كان يفكر أيضا بنوع من الاستخلاف أيضا ، وأنه ذكر أسماء جماعة وقال لو أنَّهم كانوا أحياءَ لعهدَ إليهم أمر الخلافة ؛ منهم : معاذ بن جبل [1] ، وأبو عبيدة الجراح [2] ، وسالم مولى أبي حذيفة ... [3] وعلى كلِّ حال ؛ فإنَّ عمر كان يفكر

بالشورى؛ ولكن الشورى التي تضمن له تحقيق أهدافه بشكل أو آخر ، على أن لا يُتجاهل فيها أمر عليّ عليه السلام ، على اعتبار أنّ عليّاً لا يمكن تجاهله في مثل هذا الأمر ، وهذه الحقيقة لم تكن خافية عن نظر عمر ، ولهذا السبب ؛ فإنه حينما استدعى أحد الأنصار للتشاور معه في أمر الخلافة ، فعَدَّ الأنصاري جماعة من المهاجرين ولم يُسمِّ عليّاً ، فقال عمر : فَمَا لَهُمْ مِنْ

[1] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 590 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 227 .

[3] نفس المصدر .

أَبِي الْحَسَنِ! قَوْلَ اللَّهِ إِنَّهُ لَأَحْرَاهُمْ إِنْ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُقِيمَهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ مِنَ الْحَقِّ . [1] وهكذا عيّن عمر جماعة للشورى قوامهم ستّة أشخاص ، وقد انتقد كلّ واحد منهم بصفة سيّئة فيه ، إلّا عليّاً ؛ فقد نسبته إلى المزاح ! ولكنّه أكّد أيضاً أنّه أحراهم أن يُقيمهم على ستّة نبيّهم . [2] وسمّى عمر أعضاء الشورى الذين يجب أن يختاروا الخليفة من بينهم ، وهم : عليّ عليه السلام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف . لم يكن عمر يحمل مشاعر طيّبة تجاه بني هاشم ، ولا تجاه عليّ عليه السلام . وكان أكثر حنكة وذكاءً من أن يسمّي للشورى أشخاصاً يختارون عليّاً ولو على سبيل الاحتمال . [3] وقد رسم عمر طريقة عمل الشورى وموازناته؛ فهم يجب أن يجتمعوا في دار تحت مراقبة خمسين رجلاً من الأنصار حتّى يختاروا رجلاً من بينهم ؛ فإن اتّفق خمسة على رجل وأبى واحد يُضرب عنقه ، وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان يُضرب عنقاهما ، فإن رضي ثلاثة منهم رجلاً ، وثلاثة رجلاً ، يجب عندئذ تحكيم عبد الله بن عمر ؛ فإن لم يرضوا بحكمه ، يجب قبول خيار الجهة التي فيها عبد الرحمن بن عوف . [4] كانت المعادلة التي أرادها الخليفة واضحة تماماً . وكانت نتيجتها معروفة منذ البداية لكلّ لبيب . ولهذا السبب فقد حثّ ابن عباس عليّاً على عدم الدخول في

[1] المصنّف لعبد الرزّاق : ج 5 ص 446 ح 9761 .

[2] المصنّف لعبد الرزّاق : ج 5 ص 447 ح 9762 .

[3] كلام عمر مع ابن عباس في هذا الصدد له مغزاه . (راجع : تاريخ الطبري : ج 4 ص 223) .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 229 .

الشورى ، لكنّ عليّاً قال : لا ، بل أدخل معّهم في الشورى ؛ لِأَنَّ عُمَرَ قَدْ أَهْلَنِي الْآنَ لِلْخِلَافَةِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إِنَّ الثُّبُوءَ وَالْإِمَامَةَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي بَيْتٍ ! ! فَأَنَا أَدْخُلُ فِي ذَلِكَ لِأُظْهِرَ لِلنَّاسِ مُنَاقَصَةَ فِعْلِهِ لِرِوَايَتِهِ . [1] ولكنّه أكّد بصريح القول أنّ عمر قد عدل - بهذا التركيب - الخلافة عن بني هاشم ، قائلاً : قد قرّن بي عثمان ، ويجب اتّباع الأكثرية ؛ فَسَعَدُ لَا يُخَالِفُ ابْنَ عَمِّهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ صِهْرُ عُثْمَانَ ، وَهُمَا لَا يَخْتَلِفَانِ ؛ فَلَوْ كَانَ الْآخَرَانِ مَعِي لَمْ يَنْقَعَانِي . [2] تنحّى طلحة جانباً لصالح عثمان (على أساس الرواية التي تقول إنّ طلحة قد حضر الشورى) ، وتنحّى الزبير جانباً لصالح عليّ عليه السلام ، وتنازل سعد عن حقّه لصالح عبد الرحمن . وأعلن عبد الرحمن أنّه أخرج نفسه من الخلافة ، واقترح على الآخرين (عليّ عليه السلام وعثمان) أن يفوّض أحدهما حقّه للآخر ، فسكتا. وذكر الطبري أنّ عبد الرحمن بقي ليالي متوالية يشاور رؤساء الجيش والأشراف ، وكان لا يخلو بواحد منهم حتّى يأمره بعثمان [3] . حتّى إذا انتهت الأيام الثلاثة اجتمع الناس صباحاً في المسجد ، فخرج إليهم عبد الرحمن وقال : إني نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان أحداً [4] . بينما صاح عمّار والمقداد مؤكّدين على انتخاب عليّ عليه السلام . وارتفعت الأصوات في المسجد ، وصاح عمّار : لماذا تُبعدون هذا الأمر عن أهل بيت الرسول؟! [5] ثمّ إنّ عبد الرحمن بن عوف قال لعليّ عليه السلام : هل تعاهد الله على العمل بكتاب الله

[1] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 189.

[2] الإرشاد : ج 1 ص 285 .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 231 .

[4] المصنّف لعبد الرزّاق : ج 5 ص 477 ح 9775 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 233 .

وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر؟ فقال : لا ، ولكن أسير على كتاب الله وسنّة رسول الله قدر وسعي . ولمّا عرض هذا السؤال على عثمان ، قال : أعمل بالقرآن وسنّة رسول الله وسيرة الشيوخين. ثمّ كرّر عبد الرحمن سؤاله لعليّ عليه السلام ، فأجابه عليه السلام كما أجابه من قبل ، وأضاف لا حاجة مع كتاب الله وسيرة نبيّه إلى سيرة أحد ، ولكنك تريد أن تزوي هذا الأمر عني [1]. وهكذا اختار عبد الرحمن بن عوف عثمان للخلافة ، وأجلسه على مسند السلطة . ودُبح الحقّ مرّة أخرى على مذبذب الزيف والفتنة ، ووجد الذين سلّوا سيف العداوة ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله سنوات طويلة ، أنّ الفرصة قد سنحت الآن في ظلّ الدعم الذي يوفّره لهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله ، لكي يستأنفوا مواقفهم العدائيّة ضدّه . ولمّا رأى عليّ عليه السلام الأمر على هذه الشاكلة قال لعبد الرحمن : «حَبَوْتَهُ حَبَوَ الدَّهْرِ ، لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا ، «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» . [2] ثُمَّ قَالَ لَهُ : «وَاللَّهِ مَا وَلَّيْتَ عُثْمَانَ إِلَّا لِيَرُدَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ» . [3] وصاح المقداد : «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ إِلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ! إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ فَرِيضِ أَتْمِهِمْ

[1] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 162 .

[2] يوسف : 18 .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 233 .

تَرَكُوا رَجُلًا مَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَعْلَمَ وَلَا أَقْضَى مِنْهُ بِالْعَدْلِ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَجِدُ عَلَيْهِ أَعْوَانًا» . [1] ثُمَّ إِنَّ عَمَارًا قَالَ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ : 0 يَا نَاعِيَّ الْإِسْلَامِ قُمْ قَانِعَهُ قَدْ مَاتَ عَرَفٌ وَأَتَى مُنْكَرٌ [2] 0 أَوْلَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ؟ أَوْلَمْ يُنْعِ الْإِسْلَامَ مِنْ خِلَالِ تَسَلُّطِ بَنِي أُمَيَّةٍ؟! أَوْلَمْ تَنْبَعِ الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ جَدِيدٍ؟ فَقَدْ خَرَجَ عُثْمَانُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي بَوَّعَ لَهُ فِي يَوْمِهَا إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَمْعَةٌ ، فَلَقِيَهُ الْمَقْدَادُ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ؟! [3] وَلِغَرَضِ تَعْمِيمِ وَإِكْمَالِ الْبَحْثِ نورد الملاحظات التالية : 1 . ذكرنا أنّ عليّاً عليه السلام قال لعبد الرحمن بن عوف : «وَاللَّهِ مَا وَلَّيْتَ عُثْمَانَ إِلَّا لِيَرُدَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ» . ولم يُصرّح عليه السلام بمثل هذا الكلام إلّا انطلاقاً من معرفته بأحوال المتلاعبين بالسياسة ودعاة الفتن ، لو كانت يومذاك ثمة أذان وإعية . وجاء الشاهد على صدق كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيما نقله المؤرّخون ؛ من أنّ عثمان بعدما اشتدّ عليه المرض دعا كاتباً ، وأمره أن يكتب عهده بالخلافة من بعده لعبد الرحمن : فكتب بما أمره . [4] 2 . لماذا لم يوافق الإمام عليه السلام على شرط عبد الرحمن؟ لأنّه كانت قد مرّت حينذاك سنوات على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عليه و آله ، ووقعت فيها تغيّرات كثيرة ، وصدرت أحكام كثيرة مناقضة لحكم الرسول صلى الله عليه وآله عليه و آله ، وبُذلت سننّه صلى الله عليه وآله عليه و آله في موارد

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 233 .

[2] البدء والتاريخ : ج 5 ص 192 .

[3] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 163 .

[4] تاريخ المدينة : ج 3 ص 1029 .

كثيرة [1]. فكيف كان يتسنّى للإمام عليه السلام قبول هذا الشرط ؟ ولو أنّه قبله وتسلّم زمام الأمور - على فرض المحال - كيف كان يتسنّى له التوفيق بين تلك المتناقضات؟ وما كان عساه يفعل مع تلك التغيرات؟ هل كان التّاس على استعداد لقبول إعادة الحقائق إلى مسارها الأوّل؟ فقد أثبت عهد خلافة الإمام عليّ عليه السلام عدم استعداد التّاس لقبول عودة الحقائق إلى مسارها الأوّل ، مع أنّ الكثير من المسائل قد تجلّت بكلّ وضوح يومذاك ، ومع أنّ التّاس قد أقبلوا بأنفسهم عليه ، غير أنّه كان يواجه صعوبة في كثير من القرارات ، والمثال الواضح على ذلك «صلاة التراويح» . ولو عرضنا هذا السؤال من زاوية أخرى وقلنا : لماذا لم يقبل الإمام شرط عبد الرحمن؟ نلاحظ هنا أنّه عليه السلام كان أمام معادلتين : الأولى : قبول الشرط وإقامة حكومة العدل الإسلامي . الثانية : عدم قبول الشرط ؛ لأنّه لم يكن حقّاً ، مع النصيحة بهذا المنصب الخطير . والوجه الآخر للسؤال هو : هل كان عبد الرحمن يعقد له البيعة لو أنّه قبل ذلك الشرط؟ يمكن القول بجزم . من خلال الأخبار التي نقلناها عن الشورى ، وما كان فيها من تدبير ، وكذلك من خلال كلام الإمام عليه السلام مع عبد الرحمن - بأنّ الجواب هو السلب طبعاً . وقد أدرك عليّ عليه السلام بعمق نظره الخاصّ بأنّ كلّ هذه التمهيدات التي اتّخذت جاءت لتبرير قرار متّخذ مسبقاً. ولو أنّ الإمام وافق على الشرط ؛ فإنّ عثمان كان يوافق عليه أيضاً ، وفي مثل هذه الحالة كان عبد الرحمن سيلجأ إلى

[1] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 590 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 227 .

[3] نفس المصدر .

[4] المصنّف لعبد الرزّاق : ج 5 ص 446 ح 9761 .

[5] المصنّف لعبد الرزّاق : ج 5 ص 447 ح 9762 .

[6] كلام عمر مع ابن عبّاس في هذا الصدد له مغراه . (راجع : تاريخ الطبري : ج 4 ص 223) .

[7] تاريخ الطبري : ج 4 ص 229 .

[8] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 189 .

[9] الإرشاد : ج 1 ص 285 .

[10] تاريخ الطبري : ج 4 ص 231 .

[11] المصنّف لعبد الرزّاق : ج 5 ص 477 ح 9775 .

[12] تاريخ الطبري : ج 4 ص 233 .

[13] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 162 .

[14] يوسف : 18 .

[15] تاريخ الطبري : ج 4 ص 233 .

[16] تاريخ الطبري : ج 4 ص 233 .

[17] البدء والتاريخ : ج 5 ص 192 .

[18] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 163 .

[19] تاريخ المدينة : ج 3 ص 1029 .

[20] راجع : كتاب «النص والاجتهاد» للعلامة السيّد شرف الدين .

[21] أنساب الأشراف : ج 6 ص 128 .

[22] شرح نهج البلاغة : ج 12 ص 265 .

[23] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 95 .

[24] العقد الفريد : ج 3 ص 289 .

ذريعة أخرى ، كأن يقول مثلاً - كما مرّ علينا - بأنّ رؤساء الجيش ، وزعماء القبائل يميلون إلى عثمان ، وتكون النتيجة هي انتخاب عثمان أيضا ، وستكون نتيجة القبول بهذا الشرط هي إضفاء الشرعيّة من قِبَل عليّ عليه السلام على قرارات الشيخين ، وحاشا أن ينخدع عليّ - الَّذِي يَخْتَرِقُ بصره الحجب السطحيّة ويرى الحقائق - بمثل هذه المشاهد . 3 . كانت معادلة الشورى واضحة مسبقا ولهذا السبب أمر عمر بضرب عنق كلّ مَنْ يعارض ، وبعد البيعة لعثمان من قِبَل ابن عوف وسائر أعضاء الشورى ، ظلّ عليّ واقفا ولم يبايع ، فقال له ابن عوف : يايع والّا ضربت عنقك ! فخرج من الدار وتبعه أصحاب الشورى وقالوا : يايع والّا جاهدناك ! [1] وهذا ما جعل الشريف المرتضى يقول بالمر : «قَائِي رَضِيَّ هَاهُنَا ؟ ! . . . وَكَيْفَ يَكُونُ مُخْتَارًا مَنْ تُهَدِّدُ بِالْقَتْلِ وَالْجِهَادِ» . [2] 4 . التطميع بالخلافة الملاحظة الأخيرة في هذا المضمار هي أنّ عمر أجّج بعمله هذا نار الطمع بالخلافة في قلوب أعضاء الشورى . وقد أشار الشيخ المفيد إلى هذا المعنى بقوله : إنّ سعد بن أبي وقاص ما كان يرى نفسه شيئا أمام عليّ عليه السلام ، إلّا أنّ وجوده في الشورى بعث في نفسه شعورا بالأهليّة للخلافة . ونقل ابن أبي الحديد أيضا هذا التحليل عن أستاذه . وكان طلحة أيضا يستدلّ بوجوده في الشورى على مجابته لعليّ [3] . وأشار معاوية أيضا إلى هذا المعنى في إحدى محاوراته . [4]

[1] أنساب الأشراف : ج 6 ص 128 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 12 ص 265 .

[3] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 95 .

[4] العقد الفريد : ج 3 ص 289 .

وعلى كلّ حال ؛ فإنّ عمر قد دأب مرّة أخرى من خلال الشورى التي أوجدها على طمس «حقّ الخلافة» وسحق حرمتها. وسلّط بني أميّة على رقاب الأمّة فافتروا كلّ تلك المفاسد . وعمل من خلال غرسه لروح التطلّع إلى الخلافة في نفوس أشخاص مثل طلحة والزبير ، على تمهيد الأجواء لنشوب الصراعات اللاحقة . ونحن نوّكد من خلال استقرار تلك الحادثة وكيفيّة تبلور وقائعها بأنّ الحقّ هو ما جاء في تحليل مجرياتها إجمالاً ، ليس إلّا... واللّٰه من وراء القصد .

الفصل الرابع : مبادئ الثورة على عثمان

أ - التّرف

171. مروج الذهب : بنى [عُثْمَانُ] داره في المدينة ، وشيّد بها بالحجر والكلس ، وجعل أبوابها من السّاج والعَرعر ، وأقتنى أموالاً وجنّاتاً وغيوناً بالمدينة . وذكر عبد الله بن عتبة أنّ عُثْمَانَ يومَ قُتِلَ كان له - عند خازنيه - من المالِ خمسون ومئة ألف دينار ، وألف ألف درهم ، وقيمته ضياعه يوازي القرى وحُتّين وغيرهما مئة ألف دينار ، وخلف خيلاً كثيراً وإيلاً . [1]

172. أنساب الأشراف عن سليم أبي عامر : رأيْتُ على عُثْمَانَ بُرداً ثمنه مئة دينار . [2]

ب - جعل المال دولةً بين الأغنياء

1 . إستئثار الأقارب

173. أنساب الأشراف عن ابن عباس : كان مما أنكروا على عُثْمَانَ أنّه ولّى الحكم ابن أبي العاصي صدقات قضاة [3] ، قتلعت ثلاثمئة ألف درهم ، فوهبها له حين أتاه بها . [4]

[1] مروج الذهب : ج2 ص341 .

[2] أنساب الأشراف : ج6 ص102 .

[3] قضاة : حيّ باليمن (تاج العروس : ج11 ص377) .

[4] أنساب الأشراف : ج6 ص137 .

174. تاريخ أبي الفداء : أقطع [عُثْمَانُ] مروان بن الحكم قَدَك [1] ، وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله التي طلبتها فاطمة مبرانا ! فرّوى أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة . ولم تزل قَدَك في يد مروان وبنيه إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز ، فانتزعها من أهله وردها صدقة . [2]

175. المعارف لابن قتيبة : تصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بمهزور - موضع سوق المدينة - على المسلمين ، فأقطعها عُثْمَانُ الحارث بن الحكم ؛ أبا مروان بن الحكم ، وأقطع مروان قَدَك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله . [3]

176. تاريخ اليعقوبي : رَوَّج عُثْمَانُ بنته من عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأمر له بستمئة ألف درهم ، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة . [4]

177. المعارف لابن قتيبة : وطلب إليه [إلى عُثْمَانَ] عبد الله بن خالد بن أسيد صلةً ، فأعطاه أربعمئة ألف درهم . [5]

2 . إستئثار الآخرين

178. شرح نهج البلاغة : أعطى [عثمان] أبا سفيان بن حرب مئتي ألف من بيت المال ، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمئة ألف من بيت المال . [6]

179. أنساب الأشراف عن موسى بن طلحة : أعطى عُثْمَانُ طلحة في خلافته مئتي ألف دينار . [7]

[1] فذك : قرية من قرى اليهود بينها وبين المدينة يومان ، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله فتحها هو وأمير المؤمنين عليه السلام ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة وكانت في يدها إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخذت من فاطمة بالقهر والغلبة (مجمع البحرين : ج 3 ص 1370 «فذك»).

[2] تاريخ أبي الفداء : ج 1 ص 169 .

[3] المعارف لابن قتيبة : ص 195 ، العقد الفريد : ج 3 ص 291 ، شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 198 كلاهما نحوه .

[4] تاريخ يعقوبي : ج 2 ص 168 .

[5] المعارف لابن قتيبة : ص 195 .

[6] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 199 .

[7] أنساب الأشراف : ج 6 ص 108 .

180. تاريخ المدينة عن موسى بن طلحة : أوّل من أقطع بالعراق عثمان بن عفان قطائع مما كان من صوافي آل كسرى ، ومما خلا عنه أهله ، فقطع [1] لطلحة ابن عبيد الله التّشاسّج [2] . [3]

181. الطبقات الكبرى عن أبي حصين : إنّ عثمان أجاز الزبير بن العوام بسببته ألفي ، فنزل على أخواله ؛ بني كاهلي ، فقال : أي المال أجود ؟ قالوا : ما أصبها . قال : أعطوني من مالي أصبها . [4]

ج - ردّ طرداء رسول الله صلى الله عليه وآله

182. تاريخ يعقوبي : كتب عثمان إلى الحكم بن أبي العاص أن يقدم عليه . وكان طريد رسول الله . وقد كان عثمان لما ولي أبو بكر اجتمع هو وقوم من بني أمية إلى أبي بكر ، فسألوه في الحكم ، فلم ياذن له ، فلما ولي عمر فعلوا ذلك ، فلم ياذن له فأنكر الناس إذنه له . وقال بعضهم : رأيت الحكم بن أبي العاص يوم قدم المدينة عليه فرز خلق [5] ، وهو يسوق تيسا ، حتى دخل دار عثمان ، والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه ، ثم خرج وعليه جبة خزر وطيّلسان [6] .

[1] كذا ، والظاهر أنّ الصحيح : «فأقطع» .

[2] تشاسّج : ضيعة أو نهر بالكوفة ، وكانت عظمة كثيرة الدخل (معجم البلدان : ج 5 ص 285) .

[3] تاريخ المدينة : ج 3 ص 1020 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 107 .

[5] القُر : الفسخ في الثوب ، والفِر : الشقوق . وخلق الشيء وخلق : يلي (لسان العرب : ج 5 ص 53 و ج 10 ص 88) .

[6] تاريخ يعقوبي : ج 2 ص 164 .

د - معاقبته من أنكر عليه أحداثه

نفي أبي ذر

183. مروج الذهب - في ذكر ما طعن به على عثمان : ومن ذلك ما فعل بأبي ذر ؛ وهو أنّه حصر مجلسه ذات يوم ، فقال عثمان : أرايتم من ركني ماله ، هل فيه حقّ لغيره ؟ فقال كعب : لا ، يا أمير المؤمنين . فدفع أبو ذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت يابن اليهودي ، ثم تلا : «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» [1] الآية . فقال عثمان : أترون بأسا أن تأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفعه فيما ينوبنا من أمورنا ، ونعطيكُموه ؟ فقال كعب : لا بأس بذلك . فرفع أبو ذر العصا ، فدفع بها في صدر كعب ، وقال : يابن اليهودي ما أجزأك على القول في ديننا ! فقال له عثمان : ما أكثر أذاك لي ! غيب وجهك عني ؛ فقد أذيتنا . فخرج أبو ذر إلى الشام . فكتب معاوية إلى عثمان : إنّ أبا ذر تجتمع إليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدكم عليكم ، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك . فكتب إليه عثمان يحمله . فحمله على بعير ، عليه قتب يابس ، معه خمسة من الصّالبة [2] يطيطون [3] به ، حتى أتوا به المدينة ، وقد تسلّخت بواطن أفخاذِهِ ، وكاد أن

[2] الصَّغْلَاب:الشديد من الرؤوس . والصفاليّة : جبلٌ حُمْر الألوان، صُهِبَ الشعور، تُتَاخِمُ بلادهم بلادَ الخزر وبعض بلاد الروم بين بُلْعَر وُقُسطنطينيّة ، وقيل للرجل الأحمر : صغلاب ، تشبيها بهم (تاج العروس : ج 2 ص 147) .

[3] في الطبعة المعتمدة : «بطيرون» ، والتصحيح من طبعة قم / منشورات دار الهجرة .

183.مُروج الذهب - في ذكر ما طُعِنَ به على عُثْمَانَ - يَتَلَفَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ : هَبْهَاتِ ، لَنْ أَمُوتَ حَتَّى أَنْفَى . وَذَكَرَ جَوَامِيعَ مَا يَنْزِلُ بِهِ بَعْدُ ، وَمَنْ يَتَوَلَّى دَفْتَهُ . فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ فِي دَارِهِ أَبَامًا ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ فَجَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَتَكَلَّمَ بِأَشْيَاءَ ، وَذَكَرَ الْخَبَرَ فِي وَلَدِ أَبِي الْعَاصِي : «إِذَا بَلَغُوا ثَلَاثِينَ رَجُلًا انْتَحَدُوا عِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا» . . . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَدْ أَبِيَ عُثْمَانُ بِتَرْكَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيَّ مِنَ الْمَالِ ، فَتَثَرَتِ الْيَدْرُ حَتَّى حَالَتْ بَيْنَ عُثْمَانَ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الْقَائِمِ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : إِنِّي لَأَرْجُو لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ خَيْرًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَصَدَّقُ ، وَيُقْرِئُ الصَّيْفَ ، وَتَرَكَ مَا تَرَوْنَ . فَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ : صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَشَاكَ أَبُو ذَرٍّ الْعَصَا ، فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ كَعْبٍ ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ ، وَقَالَ : يَا بَنَ الْيَهُودِيِّ تَقُولُ لِرَجُلٍ مَاتَ وَتَرَكَ هَذَا الْمَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَخَيْرَ الْآخِرَةِ ، وَتَقَطَّعُ عَلَى اللَّهِ . بِذَلِكَ ! وَأَنَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : «مَا يَسْرُئُنِي أَنْ أَمُوتَ وَأَدَّعَ مَا يَرِثُ قِيرَاطًا» ! ! فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَإِ عَنِّي وَجْهَكَ . فَقَالَ : أَسِيرُ إِلَى مَكَّةَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : فَتَمْنَعُنِي مِنْ بَيْتِ رَبِّي أَعْبُدُهُ فِيهِ حَتَّى أَمُوتَ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ . قَالَ : فَإِلَى الشَّامِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : الْبَصْرَةَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَاخْتَرَ غَيْرَ هَذِهِ الْبُلْدَانِ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَخَافُ غَيْرَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ ، وَلَوْ تَرَكَتَنِي فِي دَارِ هِجْرَتِي مَا أَرَدْتُ شَيْئًا مِنَ الْبُلْدَانِ ، فَسَيَّرَنِي حَيْثُ شِئْتُ مِنَ الْبُلَادِ . قَالَ : فَإِنِّي مُسَيِّرُكَ إِلَى الرَّبْدَةِ . قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : قَدْ اخْتَرْتَنِي كُلًّا مَا أَتَا لَاقٍ . قَالَ عُثْمَانُ : وَمَا قَالَ لَكَ ؟ ! قَالَ : اخْتَرْتَنِي بِأَنِّي أَمْنَعُ عَنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَأَمُوتُ بِالرَّبْدَةِ ، وَتَتَوَلَّى مُوَارَاتِي نَقَرٌ يَمْنَنُ يَرُدُّونَ مِنَ الْعِرَاقِ نَحْوَ الْجِجَارِ .

183.مُروج الذهب - في ذكر ما طُعِنَ به على عُثْمَانَ - وَبَعَثَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى حَمَلٍ لَهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ ، وَقِيلَ : ابْنَتُهُ . وَأَمَرَ عُثْمَانُ أَنْ يَتَجَافَاهُ النَّاسُ حَتَّى يَسِيرَ إِلَى الرَّبْدَةِ . فَلَمَّا طَلَعَ عَنِ الْمَدِينَةِ - وَمَرَّوَانُ يُسَيِّرُهُ[ه] عَنْهَا - طَلَعَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، وَعَقِيلُ أَخُوهُ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ . فَاعْتَرَضَ مَرَّوَانَ ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَهَى النَّاسَ أَنْ يَصْحَبُوا أَبَا ذَرٍّ فِي مَسِيرِهِ وَبُشَيْعِهِ ، فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَدْرِ بِذَلِكَ فَقَدْ أَعْلَمْتُكَ ! فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالسَّوِطِ ، وَضَرَبَ بَيْنَ أُذُنَيْ رَاجِلَيْهِ ، وَقَالَ : تَنَحَّ ، نَحَاكَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ . وَمَضَى مَعَ أَبِي ذَرٍّ فَشَيْعَهُ ، ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانصَرَفَ . فَلَمَّا أَرَادَ عَلِيُّ الْانصِرَافَ بَكَى أَبُو ذَرٍّ ، وَقَالَ : رَجِمَكُمُ اللَّهُ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِذَا رَأَيْتُكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَوَلَدَكَ ذَكَرْتُ بِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَشَاكَ مَرَّوَانَ إِلَى عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! مَنْ يَعِزُّنِي مِنْ عَلِيٍّ ؟ رَدَّ رَسُولِي عَمَّا وَجَّهْتُهُ لَهُ ، وَفَعَلَ كَذَا ، وَاللَّهِ لَنُعْطِيَهُ حَقَّهُ ! فَلَمَّا رَجَعَ عَلِيُّ اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ غَضَبٌ ؛ لِتَشْيِيعِكَ أَبَا ذَرٍّ . فَقَالَ عَلِيُّ : «غَضَبُ الْخَيْلِ عَلَى اللَّحْمِ» . فَلَمَّا كَانَ بِالْعُشْبِيِّ جَاءَ إِلَى عُثْمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ بِمَرَّوَانَ ! وَلِمَ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ ، وَرَدَدْتَ رَسُولِي وَأَمْرِي ؟ ! قَالَ : أَمَّا مَرَّوَانُ ؛ فَإِنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي بِزُذْنِي ، فَزَدَدْنِي عَنْ رَدِّي . وَأَمَّا أَمْرُكَ فَلَمْ أَرُدَّهُ . قَالَ عُثْمَانُ : أَلَمْ تُبْلِعْ أَتَى قَدْ تَهَيَّأَ النَّاسَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَعَنْ تَشْيِيعِهِ ؟ فَقَالَ عَلِيُّ : أَوْكُلُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ شَيْءٍ تَرَى طَاعَةَ اللَّهِ وَالْحَقَّ فِي خِلَافِهِ اتَّبَعْنَا فِيهِ أَمْرَكَ ! ! بِاللَّهِ لَا تَفْعَلْ .

183.مُروج الذهب - في ذكر ما طُعِنَ به على عُثْمَانَ - قَالَ عُثْمَانُ : أَقِدَ مَرَّوَانَ . قَالَ : وَمِمَّ أَفِيدُهُ ؟ قَالَ : ضَرَبْتَ بَيْنَ أُذُنَيْ رَاجِلَيْهِ ، وَشَتَمْتَهُ ، فَهُوَ شَانِمُكَ وَضَارِبُ بَيْنَ أُذُنَيْ رَاجِلَيْكَ . قَالَ عَلِيُّ : أَمَّا رَاجِلَتِي فَهِيَ تِلْكَ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهَا كَمَا ضَرَبْتَ رَاجِلَتَهُ فَلْيَفْعَلْ ، وَأَمَّا أَنَا فَقَالَ اللَّهُ لَنْ شَتَمَنِي لِأَشْتَمُكَ أَنْتَ مِنْهَا يَمَا لَا أَكْذِبُ فِيهِ ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا . قَالَ عُثْمَانُ : وَلِمَ لَا يَشْتِمُكَ إِذَا شَتَمْتَهُ ؟ ! ، فَقَالَ اللَّهُ مَا أَنْتَ عِنْدِي بِأَفْضَلَ مِنْهُ ! فَغَضِبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَالَ : أَلَيْ تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ ؟ ! وَبِمَرَّوَانَ تَعِدُّنِي ! ! فَأَنَا وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْكَ ! وَأَبِي أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكَ ! وَأُمِّي أَفْضَلُ مِنْ أُمِّكَ ! وَهَذِهِ تَبْلِي قَدْ تَنَلَّيْتُهَا [1] ، وَهَلُمَّ فَأَنْتُلُ بِتَبْلِكَ . [2] فَغَضِبَ عُثْمَانُ ، وَاحْمَرَّتْ وَجْهَهُ ، فَقَامَ وَدَخَلَ دَارَهُ . وَانصَرَفَ عَلِيُّ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ بَيْتِهِ ، وَرَجَاكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى عُثْمَانَ شَاكَ إِلَيْهِمْ عَلِيًّا ، وَقَالَ : إِنَّهُ يَعِيبُنِي وَيُظَاهِرُ مَنْ يَعِيبُنِي - يُرِيدُ بِذَلِكَ أَبَا ذَرٍّ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَغَيْرَهُمَا - . فَدَخَلَ النَّاسُ بَيْتَهُمَا ، حَتَّى اصْطَلَحَا ، وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ : وَاللَّهِ ، مَا أَرَدْتُ بِتَشْيِيعِ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى . [3]

[1] تَنَلَّ كِنَانَتَهُ تَنَلًّا : اسْتَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنَ النَّبْلِ (لسان العرب : ج 11 ص 645) .

[2] كَذَا ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الصَّحِيحَ : «تَبْلِكَ» .

تحريف التاريخ في قضية نفي أبي ذرّ

إنّ تحريف الحقائق في النصوص التاريخية القديمة أمر يدعو إلى تشويه الواقع وإضلال الناس من جهة ، وإلى الأسف العميق من جهة أخرى . حيث إنّ الناظر في طيّات التاريخ ينظر بعين الأسى إلى ما نال النصوص القديمة من التحريف ؛ وهو في الحقيقة له أسباب كثيرة ، يطول الكلام ببيانها . ومن أوضح مصاديقه هو تحريف المعلومات المتعلقة بقضية نفي أبي ذرّ . فنرى الطبري وابن الأثير قد تناولوا ممهّدات النفي وطبيعته وكيفيته وملابسات إخراج أبي ذرّ من الشام على نحو الإشارة . بيد أنّهما أحجما عن كشف الحقائق وتصوير الواقع الصادق . أمّا الطبري فقد ذكر في تاريخه : وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية ، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة ، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمور كثيرة ، كرهت ذكر أكثرها . وأمّا العاذرون معاوية في ذلك ، فإنّهم ذكروا في ذلك قصة . . . [1] وأمّا ابن الأثير فقال : وفي هذه السنة [30 هـ] كان ما ذكر في أمر أبي ذرّ ، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة ، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة .

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 283 .

من سبب معاوية إياه ، وتهديده بالقتل ، وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ، ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع ، لا يصحّ النقل به ، ولو صحّ لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان ؛ فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيّته ، وغير ذلك من الأعذار ، لا أن يجعل ذلك سببا للطعن عليه !! - كرهت ذكرها . وأمّا العاذرون فإنّهم قالوا : . . . [1] وهكذا يسدلان الستار على الحقائق . ومن جانب آخر ، ينقلان معلومات كاذبة عن أبي ذرّ ، فيحاولان المسّ بقُدسيّة «أصدق من أقلتة العبراء» . ومن العجب أنّهما يوردان ذلك كلّهُ عن سيف بن عمر بطل الوضع والاختلاق ، ومثال الافتراء ، والنموذج المائل لإشاعة الكذب . إنّ أحدا لم يُثني على سيف ؛ فقد ضعّفه ابن معين وقال : «فليس خير منه» . وذهب أبو حاتم إلى أنّه «متروك الحديث» . ونصّ النسائي والدارقطني على ضعفه . وقال أبو داود : «ليس بشيء» . وقال ابن حبان : «يروى الموضوعات عن الأثبات» . أنّهم بالزندقة ، وقالوا : إنّّه كان يضع الحديث ، وذهب الحاكم أيضا إلى أنّه متهم بالزندقة . [2] وأمّا أخبار سيف بن عمر فجميعها تنبّض صحيفة عثمان وتدافع عنه ، فيقول مثلاً في نفي أبي ذرّ من قبل عثمان : قال أبو ذرّ لِعُثْمَانَ : قَتَاذُنْ لِي فِي الْخُرُوجِ ؟ فَإِنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ لِي بِدَارٍ . فَقَالَ : أَوْتَسْتَبِدُّ بِهَا إِلَّا شَرًّا مِنْهَا ؟ ! قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءُ سَلْعًا [3] . قَالَ : فَأَنْقُذْ لِي مَا أَمَرَكَ بِهِ .

[1] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 251 .

[2] تهذيب التهذيب : ج 2 ص 467 الرقم 3184 .

[3] سَلْعُ : موضع بقرب المدينة (معجم البلدان : ج 3 ص 236) .

قَالَ : فَخَرَجَ حَتَّى تَرَكَ الرَّبْدَةَ فَخَطَّ بِهَا مَسْجِدًا ، وَأَقْطَعَهُ عُثْمَانُ صِرْمَةً [1] مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَاهُ مَمْلُوكَيْنِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : أَنْ تَعَاهِدَ الْمَدِينَةَ حَتَّى لَا تَرْتَدَّ أَعْرَابِيًّا ، فَفَعَلَ . وَقَالَ أَيْضًا : خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبْدَةِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ، لَمَّا رَأَى عُثْمَانُ لَا يَنْزِعُ [2] لَهُ . [3] وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ الْأَبَاطِيلِ حَوْلَ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ» مِنْ مَخْتَلَفَاتِهِ أَيْضًا ؛ إِذْ مَنَحَ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ قَابِلِيَّةً عَجِيبَةً حَتَّى جَعَلَهَا عِلْمًا لَجَمِيعِ ضُرُوبِ الْاِحْتِجَاجِ وَالْاِعْتِرَاضِ عَلَى عُثْمَانَ وَمَعَاوِيَةَ .

[1] الصِّرْمَةُ : القطعة من الإبل ، قيل : هي ما بين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل : ما بين الثلاثين إلى الخمسين والأربعين (لسان العرب : ج 12 ص 337) .

[2] أي ينجذب ويميل (النهاية : ج 5 ص 41) .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 284 .

ه - مبادئ الثورة على عثمان

1 . ضَرَبَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ

184. أنساب الأشراف عن أبي مخنف - في إسناده :- كَانَتْ فِي بَيْتِ الْمَالِ بِالْمَدِينَةِ سَقَطٌ فِيهِ خُلِيٌّ وَجَوْهَرٌ ، فَأَخَذَ مِنْهُ عُثْمَانُ مَا خَلَّى يَدَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ ، فَأَظْهَرَ النَّاسُ الطَّعْنَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَكَلَّمُوهُ فِيهِ بِكَلَامٍ شَدِيدٍ حَتَّى أَغْضَبُوهُ ، فَخَطَبَ فَقَالَ : لِنَأْخُذَنَّ حَاجَتَنَا مِنْ هَذَا الْقِيءِ وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْفُ أَقْوَامٍ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : إِذَا تُمَتِّعَ مِنْ ذَلِكَ وَبِحَالِ بَيْتِكَ وَبَيْتِهِ . وَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ : أَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّ أَنْفِي أَوْ لَوْ رَاغِمٌ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ عُثْمَانُ : أَعَلَيْكَ يَا بَنَ الْمُتَكَاةِ [1] ! تَجْتَرِئُ ؟ خُذُوهُ ، فَأَخَذَ وَدَخَلَ عُثْمَانُ قَدْعًا بِهِ فَضْرَبَهُ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَحَمَلَ حَتَّى أُتِيَ بِهِ مَنْزِلَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يُصَلِّ الطُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ ، فَلَمَّا أَفَاقَ تَوَضَّأَ وَصَلَّى وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمٍ أُوذِينَا فِيهِ فِي اللَّهِ وَبَلَغَ عَائِشَةَ مَا ضَمَّ بِعَمَّارٍ ، فَغَضِبَتْ وَأَخْرَجَتْ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَتَوْبَا مِنْ ثِيَابِهِ ، وَنَعَلَا مِنْ نَعَالِهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَا أَسْرَعَ مَا تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَهَذَا شَعْرُهُ وَتَوْبُهُ وَنَعْلُهُ وَلَمْ يَبَلْ بَعْدُ ، فَغَضِبَ عُثْمَانُ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى مَا دَرَى مَا يَقُولُ . [2]

2 . ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَتَسْيِيرُهُ

185. أنساب الأشراف عن أبي مخنف وعوانة : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حِينَ أَلْقَى مَفَاتِيحَ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ قَالَ : مَنْ غَيَّرَ غَيْرَ اللَّهِ مَا بِهِ ، وَمَنْ بَدَّلَ أَسْخَطَ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَا

[1] امرأة متكأة : بطراء . وقيل : المتكأة من النساء : التي لم تُخَقِّصْ ؛ ولذلك قيل في السبِّ : يا بن المتكأة (لسان العرب : ج 10 ص 485) .

[2] أنساب الأشراف : ج 6 ص 161 .



185. أنساب الأشراف عن أبي مخنف وعوانة : أرى صاحبكم إلا وقد غيّر وبدّل ، أيعزك مثل سعد بن أبي وقاص ويؤلى الوليد ؟ وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو : إن أصدق القول كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله ، وشراً الأمور محدثاتها ، وكلّ محدث يدعة ، وكلّ يدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار . فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال : إنه يعيبك ويطنع عليك ، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه ، وشيعة أهل الكوفة ، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن ، فقالوا له : جزيته خيراً ؛ فلقد علمت جاهلنا ، وثبت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، فنعلم أحو الإسلام أنت ونعم الخليل ، ثم ودعوه وأنصرفوا . وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رآه قال : ألا إنه قدمت عليكم ذوي بيتة سوء ، من تمش على طعامه يقى ويسلج . [1] فقال ابن مسعود : لست كذلك ، وليكني صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يوم بدر ، ويوم بيعة الرضوان . ونادت عائشة : أي عثمان ! أ تقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله ؟ ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وضرب به عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأرض ، وبُغاك : بل احتمله يحموه غلام عثمان ورجلاه تحتلفان على عنقه ، حتى ضرب به الأرض ، فدق صلعه . فقال علي : يا عثمان ! أ تفعل هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يقول الوليد بن عتبة ؟ فقال : ما يقول الوليد فقلت هذا ، ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة ، فقال له ابن مسعود : إن دمر عثمان خلا .

[1] السُّلَح : التَّجُو [أي الغائط] ، وقد سلح الرجل يسلح سلحا (تاج العروس : ج 4 ص 92) .

[2] أنساب الأشراف : ج 6 ص 146 .

185. أنساب الأشراف عن أبي مخنف وعوانة : فقال علي : أخلت من زبيد على غير ثقة . . . وقام عليّ يأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأتدّ له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من التواحي ، وأراد حين برئ الغزو ، فمَنَعَهُ من ذلك . وقال له مروان : إن ابن مسعود أفسد عليك العراق ، أ فتريد أن يفسد عليك الشام ؟ فلم يرح المدينة حتى ثوفي قبل مقتل عثمان يستتبن ، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين . وقال قوم : إنه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص . ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أنه عثمان عايداً فقال : ما تشتهي ؟ قال : دنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : أ لا أدعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : أ فلا أمر لك يعطائك ؟ قال : متعتنيه وأنا محتاج إليه ، وتعطيني وأنا مستعني عنه ؟ قال : يكون لوليدك ، قال : رزقهم على الله . قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن . قال : أسألك الله أن يأخذ لي منك بحقي . وأوصى أن لا يصلي عليه عثمان ، فدُفن بالبقيع وعثمان لا يعلم ، فلما علم غضب وقال : سبتموني به ؟ ! فقال له عمار بن ياسر : إنه أوصى أن لا يصلي عليه ؛ وقال الزبير : 0 لأعرفنك بعد الموت تدبني وفي حياتي ما زودتني زادي [1] 0

[1] السُّلَح : التَّجُو [أي الغائط] ، وقد سلح الرجل يسلح سلحا (تاج العروس : ج 4 ص 92) .

[2] أنساب الأشراف : ج 6 ص 146 .

الفصل الخامس : الثورة على عثمان

قام عثمان بن عفان من بين أعضاء الشورى التي كان عمر بن الخطاب قد شكّلها ، فترجع على أريكة الحكم . وأرسى دعائم حكومته منذ البداية على قواعد مخالفة للسيرة النبوية . وكانت ممارساته ، سواء في تعامله مع الناس والصحابة ، أم كانت في موقفه من أحكام الدين مدعاةً لاحتجاج الأمة عليه ، فوصم بمعارضة السنة النبوية وانتهاك حرمة الدين . وكان منقاداً لبطانة سقيمة الفكر زائغة النهج قد حاقت به ، فلم تدعه بأخذ الخطر المخيف به مأخذ الجد ، ولا يكثر بالاحتجاجات والانتقادات الموجهة إليه . تدلّ النصوص المذكورة في الصفحات المتقدمة على اتساع نطاق الشذوذ في حكومة عثمان ، كما تدلّ على

زيغته عن الحقّ والغائه للمعايير السليمة . ويرى بعض المؤرخين أنّ السنين الست الأولى من حكمته كانت هادئة لم تطرأ فيها حادثة تُذكر ولم يعترض عليها أحدٌ يومئذٍ ، ثمّ حدثت تبدّلات متنوّعة [1] . ولكن هذا الرأي لم يكن صحيحاً ، إذ بدأ عثمان انحرافه منذ الأيّام الأولى لتبلور حكومته ، بإرجاعه الحكم بن العاص ومروان ، وتسليطهما على الأمّة ، وزاد في ذلك

[1] تاريخ الإسلام للذهبي : ج3 ص431 .

أيضاً بتأمير أقاربه على الأمصار ، وإسرافه الفاضح من بيت المال . فأثار عمله هذا صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله منذ البداية ، تبيّد أنّ المعارضة العامّة والنهوض والتحرك الجماعيّ ضدّه حدثت في السنين الست الأخيرة من حكمته . [1] في سنة (33 هـ) أقدم عثمان على نفي ثلّة من كبار أهل الكوفة وصالحهم ، وكان فيهم بعض الصحابة أيضاً . وبعد مدّة ثار الكوفيّون في سنة (34 هـ) مطالبين بعزل سعيد بن العاص والي الكوفة ، فلم يُصغِ عثمان إلى طلبهم ، فحالوا دون دخوله مدينتهم مقاومين . فاضطرّ عثمان بعدئذٍ إلى عزله راضخاً لمطالبهم . وكان سعيد من أقربائه - وعيّن مكانه أبا موسى الأشعريّ الذي كان يرتضيه أهل الكوفة . وفي تلك السنة ترأس الصحابة وخطّطوا للثورة على عثمان طاعنين بتصرّفات الشاذّة . وممّا جاء في مراسلاتهم قولهم : «**إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْجِهَادَ فَعِنْدَنَا الْجِهَادُ**» . وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام عثمان احتجاجات الصحابة ، ووعظه بأسلوب لبّ لعلّه ينوب إلى رشده ، ويغيّر منهجه في الحكم ، ويستقيم على الطريقة ، لكنّه لم يستجب وخطب خطبة شديدة اللهجة عنّف فيها المعترضين ولجأ فيها إلى التهديد . وكتب طلحة وبعض الصحابة الآخرين كتاباً إلى أهل مصر وغيرها من الأمصار الإسلاميّة يدعونهم فيها إلى الثورة على عثمان . وفي أعقاب هذه الدعوة وسواها ، ونتيجةً لجميع ضروب الشذوذ ، وعدم اعتناء عثمان باحتجاجات الثّاس وانتقاداتهم تقاطر على المدينة جماعات مختلفة من مصر ، والكوفة ، والبصرة ، وحاصروا عثمان يؤازرهم عدد من الصحابة ، وطلابه بكلّ حزم أن يعتزل الحكم . وكان لعائشة ، وطلحة بن عبيد الله ، وعمرو بن العاص دور مهمّ في إلهاب الثورة عليه .

[1] تاريخ الإسلام للذهبي : ج3 ص431 .

[2] تاريخ اليعقوبي : ج2 ص163 .

وقالت عائشة قولها المشهور فيه إنّ تلك الأحداث : «**أُقْتُلُوا تَعْتَلًا ، قَتَلَ اللَّهُ تَعْتَلًا**» . وتناقلت الألسن قولها هذا ، واشتهر في الأفاق بعد ذلك التاريخ . ويبدو أنّ عثمان قد أفاق بعدئذٍ من نومه الثقيل الذي كانت بطانته قد فرضته عليه من قبل ، وشعر بالخطر . من هنا ، طلب من الإمام عليه السلام أن يصرف الثّوار عن أهدافهم ، وعاهده على تغيير سياسته ، والعمل كما يريدون ، فتكلّم الامام عليه السلام معهم وأقنعهم بفكّ الحصار عنه ، ووعدهم عثمان بتلبية طلباتهم وألاّ يكرّر النهج الذي كان قد سلّكه من قبل وأن يعمل بكتاب الله تعالى ، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله . . . وخطب عثمان خطبة أعلن فيها صراحةً توبته من فعلاته السابقة ، وقال أمام الحشد الغفير من المسلمين : «**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**» . وقال نادماً ، وهو غارق في حيرته : «**قَوْلَ اللَّهِ ، لَيْنَ رَدْنِي الْحَقَّ عَبْدًا لَأَسْتَنْ بِسُنَّةِ الْعَبْدِ ، وَلَأَذِلَّ ذَلَّ الْعَبْدِ ، وَلَأَكُونَنَّ كَالْمَرْقُوقِ . . .**» . وانتهى الحصار ، وعاد المصريّون إلى بلادهم مع واليهم الجديد محمّد بن أبي بكر ، وعزم سائر المسلمين على الرجوع إلى مدينتهم ، وأبّ أهل المدينة إلى دورهم وحياتهم اليوميّة . . . لكن المؤسف أنّ هذه التوبة لم تدم طويلاً ، فقد تدخلت البطانة الأمويّة المريضة الفكر والعمل - لا سيّما مروان - وجعلته يعدل عن قراره ، وافتعلت ضجّة ضيّقت عليه الأرض بما رحبت ، فتراجع ونقض جميع وعوده ، والثّوار لمّا يصلوا إلى أمصارهم بعد . وكان هذا التغيّر في الموقف على درجة من القبح حتّى صاحبت نائلة زوجته قائلةً :

«**إِنَّهُمْ وَاللَّهِ فَايَلَوْهُ وَمُؤَيَّمُوهُ ، إِنَّهُ قَالَ مَقَالَةً لَا يَتَّبِعِي أَنْ يَتَرَغَ عَنْهَا**» . وحين كان المصريّون في طريق عودتهم إلى مصر - بعد وعود عثمان - تقطّنوا في أحد المواضع إلى أنّ غلاماً لعثمان متوجّه إلى مصر أيضاً ، فشكّوا فيه واستوقفوه ، فاستبان أنّه رسوله إلى مصر ، وفتشوه فوجدوا عنده حكم عثمان إلى واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره فيه بقتل عدد من الثّوار . وكان الكتاب بخطّ كاتب عثمان وعليه ختمه ، وعندئذٍ عاد الثّوار إلى المدينة وحاصروا عثمان مرّة أخرى . . . فلم يُجِدْ نفعا حينئذٍ كلام وسيط ، ولم تُقبل توبة . . . واستغاث عثمان هذه المرّة بمعاوية يستنجده لإنقاذه بشكل من الأشكال . تبيّد أنّ معاوية الذي كان متعطيّاً للسلطة والتسلّط وجد الفرصة مؤاتية لركوب الموجة والقفز على أريكة الحكم . من هنا لم يُسارع إلى إغاثة عثمان والذبّ عنه وإنقاذه حتّى يقتل ، ومن ثمّ يتبرّع على العرش بذريعة المطالبة بدمه . ودام الحصار أربعين يوماً . وفيها طلب عثمان من الإمام عليه السلام مرّتين أن يخرج من المدينة ، فاستجاب عليه السلام لذلك . كما طلب منه في كلّ منهما أن يرجع ، وفعل عليه السلام أيضاً . وأعان كبار الصحابة الثّوار في هذا الحصار . والقلة الباقية منهم كانوا إمّا مؤيدين لعثمان ، أو لم يبدوا معارضة علنيّة له . وهكذا قُتل عثمان في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة (35 هـ) بفعل اقتحام الثّوار داره بعد أن قُتل أحدهم بسيف مروان .

تحليل لأسباب الثورة على عثمان

تمخّضت الشورى التي عيّنها الخليفة الثاني عن اختيار عثمان خليفة للمسلمين الذي امتاز عهد خلافته وخاصة السنوات الأخيرة منه بأهميّة استثنائية . فقبل ذلك عاش المجتمع الإسلامي حالة من الاستقرار في عهد خلافة الخليفة الثاني . وأكثر ما يُعزى هذا الاستقرار إلى غلظته الممزوجة بالاستبداد . فتحوّل ذلك المجتمع الهادئ بين ليلة وضحاها إلى مجتمع يموج بالاضطراب ويعجّ بالاعتراضات ضدّ الخليفة . فكيف تبلورت هذه القضية ؟ ومن أين نشأت تلك الاضطرابات والاحتجاجات الموجهة ضدّ الخليفة ؟ ومما لا ريب فيه إنّ التّاس الذين اجتمعوا في المدينة من مختلف الأمصار للتظلم لدى الخليفة لم يكونوا يمثلون فئة خاصّة ولا ولاية أو مدينة بعينها ، بل كانوا من مختلف بقاع العالم الإسلامي. فيا ترى ما هي أسباب هذه الثورة ؟ وكيف يُحاصر خليفة المسلمين - الذي كانت له صلة قربي مع الرسول صلى الله عليه وآله - ولا يهبط أحد لنجدته ؟ ! لقد طال الحصار ولم يأت أحد لمناصرته من خارج المدينة . وحتى استنجاهه بمعاوية - الذي اتخذ من قضية المطالبة بدمه ذريعة لتحقيق مآربه - بقي بلا طائل . فمعاوية الذي جتّد في حرب صقّين جيشاً قوامه مئة ألف ، لم يرسل ولا حتى

الف رجل لنصرته . ولكن يأتري لماذا لم يفعل ذلك ؟ ومن السذاجة أن ينسب المرء حادثة بمثل هذه السعة إلى مجهول أو إلى تيّار عابر . فالتأمّل في التساؤلات المذكورة والغور في أعماق النصوص والمصادر من أجل العثور على إجابات عنها ينتهي بالباحث في تاريخ الإسلام إلى الاهتمام إلى مسائل ونكات أعمق ممّا طرحه أصحاب الرؤى الساذجة وسعوا إلى إظهاره وكأنّه حقائق ثابتة . ويمكن القول باختصار بأنّ ثورة المسلمين على عثمان تعود في جذورها إلى أعمال عثمان والمحيطين به . ويمكن التنقيب في هذه المسألة بشكل أعمق . فقد كان عثمان من أشرف مكّة ، وكان أقرباؤه بنو أميّة من ألدّ أعداء الإسلام . فقد كانوا من قادة رؤوس الكفر الذين حاربوا الإسلام ، ولم يدخلوا فيه حتى رأوا سيفه مصلّياً على رؤوسهم ، فأرغموا على الاستسلام أثناء فتح مكّة ، وأطلقوا على أساس الرأفة الإلهية ؛ إذ عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصاروا يعرفون من بعد ذلك باسم «الطّلقاء» . وهكذا فإنّهم لم تكن لهم حاجة دينيّة ، ولا مركز اجتماعي . وإذا ألقينا نظرة أكثر عمقاً على سلوك عثمان نلاحظ ما يأتي :

1 . إدناؤه الطّلقاء

لما تسلّم عثمان الخلافة أدنى أقرابه - الطّلقاء - واتخذ منهم بطانة وأعواناً مع أنّ بعضهم كان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو الحال بالنسبة للحكم وابنيه مروان والحارث ؛ وأصبح مروان - طريد رسول الله صلى الله عليه وآله - في عهد خليفة المسلمين عثمان ، كاتباً خاصّاً للخليفة ! وأصبحت رئاسة السوق بيد الحارث ! وبذلك هيمنوا على شؤون السياسة والاقتصاد دفعة واحدة . فمعاوية كان في الشام ، وعبد الله بن عامر - شاب عمره 25 سنة من بني أميّة -

في البصرة ، وعبد الله بن أبي سرح - مع ما كان من ارتداده - في مصر ، وسعيد بن العاص في الكوفة ، والأشعث بن قيس في أذربيجان وكان أكثرهم من أقارب عثمان ، وهؤلاء هم الذين كانوا يحكمون الأمّة الإسلامية بدلاً من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله والوجوه البارزة في المجتمع الإسلامي . وكانوا يضيقون الخناق على التّاس بدعم من الخليفة . ولم يكن تظلم التّاس وصيحاتهم تعود عليهم بطائل . وعندما كان كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله يحتجّون على تلك الأوضاع ، كان عثمان يغلظ عليهم ويعاملهم بأسلوب بعيد عن الإنصاف ؛ فقد نفى أبا ذرّ إلى الرّبذة ، وبقي فيها إلى أن مات غريباً مظلوماً . وداسّ بقدمه عمّار بن ياسر - مع ماله من ماضي وضّاء - حتى أصيب بفتق . ونفى عبد الله بن مسعود ومنعه عطاءه من بيت المال ، وما إلى ذلك من الأحداث والمواقف التي يمكن للقارئ الاطلاع عليها بين دفتي هذا الكتاب .

2 . البذخ في العطاء

اتّبع عثمان سياسة اقتصادية تدعو إلى العجب ! فقد كان يتصرّف ببيت المال وكأنّه ملكٌ مطلق له ، وقد وردت أخبار كثيرة عن كثرة بذله وجزيل عطائه لأقرابه حتى إنّ قبح هذا السخاء لم يبق خافياً عن أنظار الباحثين السّنة ؛ فقد وهب للحكم وأبي سفيان ومروان وغيرهم الكثير من الأموال ، ولم يستجب لاحتجاجات المسلمين . والعريب أنّه كان يُسمّي كلّ هذا الهبات من بيت المال صلة للرحم . وقد أدّى عثمان بأعماله هذه إلى إيجاد فوارق طبقية فاحشة في المجتمع الإسلامي . كما أدّت هذه الأعمال والهبات المنافية للأحكام الإسلامية إلى توسيع رقعة السخط والاحتجاج بين التّاس ، حتى تحوّلت إلى حركة عامّة وثورة عارمة ضدّ عثمان .

3 . موقفه من مبادئ الدين

النقطة المهمة والتي بقيت خافية عن أنظار الباحثين وهي جدية بالاهتمام ، هي التلاعب بالدين ، وتحريف الأحكام الإلهية ، وكانت هذه المسألة ظاهرة بكلّ جلاء في كلمات وشعارات معارضي الخليفة . فسقاء الخليفة وكثرة هباته من بيت المال وتعيينه لأقاربه في المناصب والولايات بعيداً عن الموازين الشرعية وبدون أن تتوفّر فيهم الكفاءة المناسبة لشغل هذه المناصب من جهة ، وسعي المؤرّخين من جهة أخرى إلى حماية الشخصيات التاريخية بدلاً من حماية التراث التاريخي كلّ ذلك أدّى إلى عدم ظهور ممارسات الخليفة التي ربّما كان لها أكبر الأثر في انتفاض المسلمين ضده . نورد فيما يلي بعض الأمثلة عن هذا الموضوع : روي عن زيد بن أرفم أنّه قيل له : **يَا أَيُّ شَيْءٍ أَكْفَرْتُمْ عُمَانَ ؟** قَالَ : **بِثَلَاثَةٍ : جَعَلَ الْمَالَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ ، وَجَعَلَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَمْتَرِلَةً مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَعَمَلَ بِغَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ .** [1] ومن المعارضين لسياسة عثمان : عمار بن ياسر الذي عرف بوقوفه مع الحق ، وكان له دور مشهود في التحريض على عثمان ، وخطب في صقّين خطبة حثّ فيها النّاس على مقاتلة معاوية ، وقال فيما قال : **إِنْهُضُوا مَعِيَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى قَوْمٍ يَطْلُبُونَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - يَذِمُّ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ ، الْحَاكِمَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ يَغْيِرُ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنْمَا قَتَلَهُ الصَّالِحُونَ الْمُنْكَرُونَ لِلْعُدْوَانِ ، الْأَمْرُونَ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُبَالُونَ إِذَا سَلِمَتْ دُنْيَاهُمْ وَلَوْ دَرَسَ هَذَا الدِّينُ : لِمَ قَتَلْتُمُوهُ ؟ قُلْنَا : لِأَحْدَاثِهِ . . .** [2] .

[1] الشافعي : ج 4 ص 291 .

[2] وقعة صقّين : ص 319 .

وجاءت بين كلمات الصحابة فيما يخصّ مقتل عثمان تعابير حول أعماله من قبيل : **«بَدَلْ دِينَكُمْ»** ، و**«أَحْدَثَ أَحْدَاثًا»** ؛ فقد خوطب بالقول : **«إِنَّكَ أَحْدَثْتَ أَحْدَاثًا لَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَعْهَدُونَهَا»** ، **«أَرَادَ أَنْ يُغَيِّرَ دِينَنَا»** ، **«أَحْدَثَ الْأَحْدَاثَ وَخَالَفَ حُكْمَ الْكِتَابِ»** ، **«التَّائِيْدُ لِحُكْمِ الْقُرْآنِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ»** ، **«غَيَّرَ كِتَابَ اللَّهِ»** ، وما شابه ذلك من التعابير الكثيرة . [1] ومن الواضح أنّ هذه التعابير تنمّ عن تحريف الدين وتغيير الأحكام ، وتبدل السنّة المحمّدية ، وهذا ما حصل في عهد حكومة عثمان ؛ فقد ورد في بعض كتب الصحابة إلى الولايات : **«دِينٌ مُحَمَّدٍ قَدْ أَفْسِدَ»** . وعلى كلّ حال لم يمرّ زمن طويل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يستطيع المسلمون أن يروا دين الله يتعرّض للتحريف والتلاعب ، وتُسَخَّرُ أحكام الله لمآرب شخصية ، ويسكتوا عن ذلك .

4 . المستشارون الفاسدون

يؤدّي المستشارون دوراً حاسماً في إدارة الأمور وبلورة الوقائع . والحقيقة هي أنّ المستشار يأخذ على عاتقه دوراً تكميليّاً بل وأساسيّاً في إدارة دفة الأمور بالنسبة لمدير ذلك المجتمع . وهكذا يتّضح أنّ اختيار المستشار يتّصف بحسّاسيّة فائقة . هذا من جانب ، ومن جانب آخر هناك مسألة مهمّة ؛ وهي كيفيّة الاستفادة القانده منهم ، وكيفيّة إشارتهم عليه ، ودرجة فهمهم ، ومدى إخلاصهم للقائد . ومن المؤسف أنّ عثمان كانت كلّ مواقفه في هذا المجال غير سوّية ، وقد سبق

[1] راجع : أنساب الأشراف : ج 6 ص 133 - 138 و تاريخ الطبري : ج 4 ص 376 و ج 5 ص 43 و شرح نهج البلاغة : ج 9 ص 36 و ج 8 ص 22 و وقعة صقّين : ص 339 .

الإشارة إلى كيفيّة اختياره للأفراد ، فالمقرّبون منه ؛ أي بطانته ، ما كانوا يحظون بمكانة اجتماعيّة ولا بوجاهة دينيّة . أضف إلى كلّ ذلك أنّ الخليفة كان شخصاً عديم الإرادة وضعيفاً أمام آراء بطانته ، كما أنّ مستشاريه لم يكونوا على فكر صائب ؛ ولا هم من أهل الدين والتقوى . ومن البديهي - والحال هذه - أنّ جميع آرائهم التي كانوا يفرضونها على عثمان كانت تصبّ في صالح أهوائهم وفي اتجاه الصدام مع الثائرين ، وليس في صالح الأمّة والخلافة والخليفة . فالبطانة التي كانت مقرّبة من عثمان لم تكن على علاقات طيّبة مع الأنصار ، وليس لها مواقف حسنة مع المهاجرين . وهكذا فقد ساقط عثمان في اتجاه انتهى بمقتله . يقول شيخ سياستهم أبو سفيان الذي اشتهر صيت عدائه للإسلام في الأفاق : **«إِنَّ الْأَمْرَ أَمْرُ عَالَمِيَّةٍ ، وَالْمُلْكُ مُلْكُ جَاهِلِيَّةٍ ، فَاجْعَلْ أَوْتَادَ الْأَرْضِ بَنِي أُمِّيَّة»** . حسناً ، لقد فعل عثمان ذلك . ولكن إلى أين وصلوا به ؟ لقد كانت جميع الأعمال التي تُفعل باسم عثمان ، بيد مروان ، وهو ذلك الشاب الذي لم يكن يعرف شيئاً من تعاليم الإسلام ، وكان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله . وبعدما عاد من منفاه ووطأت قدمه أرض المدينة أفرغ ما في قلبه من حقد متراكم خلال تلك السنين ، في ظلّ السلطة التي منحها إياه خليفة المسلمين ، فأخذ يوجّه الإهانات لجميع المهاجرين والأنصار ، وكان لعمله ذاك تأثير واضح في إثارتهم ضدّ عثمان . أصبح الخليفة أداة طيّبة بيد مروان بن الحكم ، سواء عندما أعلن توبته أمام الملأ ، وأرغمه مروان على نقض توبته ، أم عندما وافق على عزل والي مصر ، لكنّه

رضخ في أعقاب ذلك لإرادة مروان ، وأصدر أمره بقتل ونفي وتعذيب الثوّار الوافدين من هناك . لقد كان مروان هو الذي يُملّي على عثمان ما يريد ، وكان يسعى في جرّه إلى اتّخاذ مواقف مترمّنة ، حتّى إنّ زوجته نائلة بنت الغرافصة قالت له : «فإِنَّهُمْ وَاللّهِ قَاتِلُوهُ وَمُؤْتِمُوهُ . . . وَقَدْ أَطَعَتَ مَرَوَانَ يَقُوذُكَ حَيْثُ شَاءَ» . وكان سائر مستشاري عثمان من هذا القبيل ؛ فعندما جمعهم للتشاور معهم في أمر سحق التّاس عليه ، أشار عليه معاوية باستخدام القوّة ضدّهم لإسكاتهم ، فيما أشار عليه عبد الله بن عامر قائلًا : «أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِجِهَادٍ يَشْغَلُهُمْ عَنْكَ ، وَأَنْ تُجَمِّرَهُمْ فِي الْمَغَارِي حَتَّى يَذَلُّوا لَكَ ، فَلَا يَكُونَ هِمَّةٌ أَحَدِهِمْ إِلَّا نَفْسُهُ» . أمّا سعيد بن العاص فقد أشار عليه قائلًا : «إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ قَادَةً مَتَى تَهْلُكَ يَتَفَرَّقُوا ، وَلَا يَجْتَمِعُ لَهُمْ أَمْرٌ» . وعرض عليه معاوية في هذا المجال أن يقتل عليًا وطلحة والزبير . فإذا وُجدت كلّ هذه القلوب الفاسدة والنفوس المريضة والتوجّهات الجائرة المثيرة للسخط ، فما الداعي بعدنّ للتساؤل عن أسباب تبلور تلك الثورة ؟ إنّ الشخص الوحيد الذي كان يُشير حينذاك على عثمان باخلاص رغبة في صيانة هويّة الأمة الإسلاميّة ، ويحدّره من عواقب الأمور ، ويسعى - رغم كلّ ما نزل به من ظلم - إلى أن لا تصل الأمور إلى هذا الحدّ ، هو الإمام عليّ عليه السلام . وباليّ عثمان كان يُصغي لنصائحه ويقي بالعهود التي قطعها على نفسه للتّاس . وللإمام عليّ عليه السلام كلام جميل عن موقفه أراء تلك الأحداث ، وعن موقف بطانة عثمان ، جاء في بعض منه : «وَاللّهِ مَا زِلْتُ أَدُبُ عَنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَسْتَحِي ، وَلِكِنْ مَرَوَانَ وَمُعَاوِيَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بَنَ

عامرٍ وسعيد بن العاص هم صَنَعُوا بِهِ مَا تَرَى . فَإِذَا نَصَحْتُهُ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يُنَجِّبَهُمْ اسْتَعْصَنِي حَتَّى جَاءَ مَا تَرَى» . كانت هذه العوامل وعوامل أخرى غيرها هي التي دفعت إلى الثورة على عثمان ، ومهدّت للانتفاض ضدّ الحكومة المركزيّة . ذكر المسعودي في مروج الذهب أسباب السخط على عثمان قائلًا : «فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ كَثُرَ الطَّعْنُ عَلَى عُثْمَانَ وَظَهَرَ عَلَيْهِ التَّكْبِيرُ لِأَشْيَاءَ ذَكَرَهَا مِنْ فِعْلِهِ ، مِنْهَا : مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَانْجِرَافُ هُدَيْلٍ عَنْ عُثْمَانَ مِنْ أَجْلِهِ . وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ ، وَانْجِرَافُ بَنِي مَخْزُومٍ عَنْ عُثْمَانَ مِنْ أَجْلِهِ . وَمِنْ ذَلِكَ فِعْلُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ . . . وَمِنْ ذَلِكَ مَا فَعَلَ يَأْبَى ذَرٍّ . [1]» بينما ذكر اليعقوبي أسباب الثورة على النحو الآتي : «تَقِمَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ بَعْدَ وَلايَتِهِ بِسِتِّ سِنِينَ ، وَتَكَلَّمَ فِيهِ مَنْ تَكَلَّمَ ، وَقَالُوا : أَثَرُ الْقُرْبَاءِ ، وَخَمَى الْجِمَى ، وَبَنَى الدَّارَ ، وَاتَّخَذَ الضِّيَاغَ وَالْأَمْوَالَ بِمَالِ اللَّهِ . وَنَفَى أَبَا ذَرٍّ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَنْبَلٍ ، وَأَوَى الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ طَرِيدِي رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَهْدَرَ دَمَ الْهُرْمُزَانِ ؛ وَلَمْ يَقْتُلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بِهِ ، وَوَلَّى الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ ، فَأَحْدَثَ فِي الصَّلَاةِ مَا أَحْدَثَ ، فَلَمْ يَمْتَعَهُ ذَلِكَ مِنْ إِعَادَتِهِ إِيَّاهُ . وَأَجَارَ الرَّجَمَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ رَجَمَ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ دَخَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا فَوَلَدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِرَجْمِهَا . فَلَمَّا أُخْرِجَتْ دَخَلَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ بَنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : «وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» [2] وَقَالَ فِي رِضَايِهِ : «حَوَلَيْنِ كَامِلَيْنِ» [3] ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ فِي

[1] مروج الذهب : ج2 ص350 .

[2] الأحقاف : 15 .

[3] البقرة : 233 .

أَثَرِ الْمَرَأَةِ ، فَوُجِدَتْ قَدْ رُجِمَتْ وَمَاتَتْ . وَاعْتَرَفَ الرَّجُلُ بِالْوَلَدِ» . [1] وأشار الطبري في تاريخه إلى بعض من تلك العوامل ، متجاهلاً العوامل الأخرى ، قائلًا : «قَدْ ذَكَرْنَا كَثِيرًا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرَ قَاتِلُوهُ أَنَّهُمْ جَعَلُوهَا ذَرِيعةً إِلَى قَتْلِهِ ، فَأَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِ كَثِيرٍ مِنْهَا لِعِلَالِ دَعَتْ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهَا» . [2] كان الكلام إلى الآن يدور حول أسباب الثورة على عثمان . بيد أنّ النكته الأكثر أهميّة هي دراسة ماهيّة الأفراد والفصائل المشاركة في الثورة . من الواضح أنّ الذين شاركوا في تلك الواقعة لم يكونوا كلّهم على هدف واحد ، وكان لبعضهم غايات أخرى تختلف عن غايات الآخرين . ولكن يمكن على العموم تلخيص العوامل المشتركة بينهم بما يلي :

أ - الناقمون والثائرون العارفون بالسنة

شاركت في هذه الحركة شخصيّات بارزة من الصحابة والمؤمنين المخلصين . والحقيقة هي أنّ حشود هائلة من الجماهير الثوريّة كانت تتحرّك بزعامتهم ، وهذه الشخصيّات ليست من النوع الذي يمكن التشكيك بإخلاصها وصدقها ورسوخ عقيدتها . ونشير فيما يلي إلى بعض هذه الشخصيّات كالآتي :

1 . عمّار بن ياسر

كان عمّار من المسلمين الأوائل ومن المجاهدين الأشدّاء . وقد اعتبره رسول الله صلى الله عليه وآله

[1] تاريخ اليعقوبي : ج2 ص173 .

معيارا للحقّ بقوله : «إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ كَانَ ابْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الْحَقِّ» [1] و«مَا خَيْرَ عَمَّارٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَرَشَدَهُمَا» [2] و«مَلَيْتُ عَمَّارًا إِيْمَانًا إِلَى مُشَاشِيهِ» [3] .
[4] ، «يَزُولُ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ يَزُولُ» . [5] كان عَمَّارُ الحائز لهذه المكانة عند رسول الله صلى الله عليه وآله من جملة الناقمين الأساسيين والأوائل على عثمان ، وكان يسعى بجِدِّ على هذا السبيل . ذكر ابن كثير في هذا المجال : «كَانَ عَمَّارٌ يُخَرِّصُ النَّاسَ عَلَى عُثْمَانَ وَلَمْ يَقْلَعْ وَلَمْ يَرْجَعْ وَلَمْ يَنْزَعْ» . [6] وبسبب هذه الاعتراضات والانتقادات تعرّض عَمَّارُ للضرب من قبل الخليفة وبطانته حتّى أُغمي عليه وأصيب بعاهة . [7]

2 . زيد بن صوحان

وكان من كبار الزهّاد ، ومن الوجوه البارزة في تاريخ الإسلام ، وقد اعتُبر من «الأبدال» [8] . وكان من خُلص أصحاب عليّ عليه السلام ، بل إنّ البعض يعتبره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك لوجود رواية عن الرسول صلى الله عليه وآله بشأنه ؛ قال فيها :

[1] المعجم الكبير : ج 10 ص 96 الرقم 10071 ، سير أعلام النبلاء : ج 1 ص 416 الرقم 84 ، البداية والنهاية : ج 6 ص 214 ، كنز العمال : ج 11 ص 721 ح 33525.

[2] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 438 ح 5665 و ح 5664 نحوه .

[3] المُشَاش : رؤوس العظام ، كالمرفقين والكتفين والركبتين (النهاية : ج 4 ص 333) .

[4] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 443 ح 5680 ، تاريخ دمشق : ج 43 ص 391 ح 9262 و ح 9263 .

[5] تاريخ دمشق : ج 43 ص 406 ح 9291 .

[6] البداية والنهاية : ج 7 ص 171 .

[7] راجع : ص 270 (ضرب عَمَّار بن ياسر) .

[8] الأبدال : هم الأولياء والعُباد ، الواحد يَدُلُّ ، سُمّوا بذلك لأنّهم كلّما مات واحد منهم أُبدلَ بآخر (النهاية : ج 1 ص 107) .

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَسْبِقُهُ بَعْضُ أَعْصَانِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ» [1] . وقد عُذَّ هذا الرجل في عداد أكابر الزهّاد والأبدال [2] . وكان عمر بن الخطّاب يكرمه ويثني عليه كثيرا . أمّا عثمان فقد نفاه إلى الشام ، ثمّ استشهد لاحقا في معركة الجمل ، وقد خاطبه أمير المؤمنين عليه السلام بالقول : «قَدْ كُنْتَ خَفِيفَ الْمُؤَوَّةِ ، عَظِيمَ الْمُعَوَّةِ» .

3 . جيلة بن عمرو الأنصاري

وهو من الفقهاء ومن أجلّاء الصحابة [3] . شهد معركة أحد [4] . كان يؤاخذ عثمان بشدّة على اتّخاذه مستشارين سيّئي الطّباع وخبيثي النوايا بطانة سوء . وكان يخاطبه خطابا مرّا لاذعا ويقول له : «يَا تَعْتَلُ ! وَاللَّهِ لَا قُتْلَ لَكَ ، وَلَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى قُلُوصِ جُرْبَاءَ ، وَلَأُخْرِجَنَّكَ إِلَى حَرِّ النَّارِ» . [5]

4 . جهجاه الغفاري

من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وممّن شهدوا بيعة الرضوان ، روى عنه البخاري ومسلم . [6]

5 . عمرو بن الحمق

من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، أسلم بعد الحديبية . [7]

[1] مسند أبي يعلى : ج 1 ص 267 ح 507 .

[2] تاريخ بغداد : ج 8 ص 439 الرقم 4549 .

[3] أسد الغابة : ج 1 ص 511 الرقم 686 ؛ رجال الطوسي : ص 59 ح 501 ذكره ضمن من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام .

[4] الإصابة : ج 1 ص 566 الرقم 1083 .

[5] البداية والنهاية : ج 7 ص 176 .

6 . عبد الرحمن بن عُدَيْس

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن المبايعين تحت الشجرة . [1] وشارك في هذه الوقائع أيضا رجال صالحون من ذوي الشخصيات البارزة كمالك الأشتر ، ومحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وحكيم بن جبلة و . . . وكان لهم فيها دور فاعل . يتبين من خلال التأمل في هذه الشخصيات وفي كلماتهم وشعاراتهم أنّ هذه الحركة كانت ذات أبعاد واسعة . وانطلاقا من الحضور الجاد للصحابة في هذه الحادثة ؛ حيث يمكن النظر إلى مشاركتهم هذه على أنّها بمثابة توجيه للجماهير المؤمنة ؛ يمكن تسمية الثورة على عثمان باسم «ثورة الصحابة» . جاء في تاريخ الطبري : «لَمَّا رَأَى النَّاسُ مَا صَنَعَ عُثْمَانُ ، كَتَبَ مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى مَنْ بِالْأَقَافِ مِنْهُمْ . . . أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ قَدْ أَفْسِدَ» . [2]

ب - الاستغلاليون

ولم يرغب عن تلك الحشود الغفيرة بعض محترفي السياسة ، فركبوا أمواج الاعتراض أو ساعدوا على توسيع مداها طمعا في نيل مكانة أفضل . ومن الطبيعي أنّ أمثال هؤلاء الأشخاص لم يكونوا يدركون أوضاع الناس وما كانوا يأبهون لها ، ولكّتهم : 1 . كانوا يشعرون وكأّتهم نُحُوا إلى الوراء في ظلّ الامتيازات والمناصب التي منحها عثمان لأقاربه .

[1] الإصابة : ج 4 ص 281 الرقم 5179 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 367.

2 . أخذوا يشعرون بعد اتساع رقعة الثورة أنّ الفرصة قد أصبحت مؤاتية لنيل مآربهم الدنيوية ، والحقيقة هي أنّهم لم يدركوا ما ستؤول إليه الأوضاع بعد مقتل عثمان . إذا فمعارضتهم لعثمان لم تكن نابعة من حرصهم على المصلحة العامة ، ولا من باب الغيرة الدينية واستشعار الوظيفة الشرعية . ومعنى هذا أنّهم كانوا يتطلعون إلى الجاه والرياسة . نشير على سبيل المثال إلى أنّ طلحة كان واحدا منهم ، وقد كتب إلى أهل الكوفة بالقدوم إلى المدينة من أجل وضع حدّ لتصرّفات عثمان ، ويبدو أنّه لم يكن يتوقّع بعد مقتل عثمان سوى تسلّم منصب الخلافة . وكان بعض أنصاره على مثل طّته . فبعدما انتهى سودان بن حمران من قتل عثمان ، خرج من الدار ونادى : «أَيْنَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ ؟ لَقَدْ قَتَلْنَا ابْنَ عَقَّانَ» . [1] وفي معركة الجمل رماه مروان بسهم من خلفه وقتله ؛ لأنّه كان يعتبره هو قاتل عثمان . وهكذا الحال بالنسبة لعائشة أيضا ؛ فقد كانت تأمل أن تكون الغلبة لأقاربها ؛ فكانت تقول : «أَقْتُلُوا نَعْتَلًا ؛ فَقَدْ كَفَرُ!» [2] ، ولكن بعدما انقلبت الأمور ، وألت إلى مآل آخر ، غيّرت موقفها . وهذا ينمّ عن أنّها كانت ترمي إلى شيء آخر غير الحقّ ؛ فعندما أخذوا يسائلونها في وقعة الجمل عن السبب الذي جعلها تحرّضهم قبل ذلك على قتل عثمان ، ثمّ أصبحت تطلب بثأره ، قالت : «قَدْ قُلْتُ وَقَالُوا ، وَقَوْلِي الْأَخِيرُ

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 379 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 459 ، الكامل في التاريخ : ج 2 ص 313 ، العقد الفريد : ج 3 ص 300 ، الفتوح : ج 2 ص 437 ، الإمامة والسياسة : ج 1 ص 72 وفيه «فقد فجر» بدل «فقد كفر» .

خَيْرٌ مِنْ قَوْلِي الْأَوَّلِ» . [1] ومن هؤلاء الانتهازيين أيضا عمرو بن العاص الذي فقد منصبه في عهد عثمان ، وكان يعزّ عليه أن يرى بلاد مصر التي فتحها هو قد أصبحت الآن بيد عبد الله بن أبي سرح . ومن هنا فهو كان يسعى لتعجيل الثورة ضدّ عثمان ، وقد أشرنا إلى بعض مساعيه في هذا الاتجاه ، وكان يقول : «أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، إِذَا حَكَكَتْ قَرْحَةً تَكَأْتَهَا ! إِنْ كُنْتُ لِأَخْرِضَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنِّي لِأَخْرِضَ عَلَيْهِ الرَّاعِيَّ فِي غَنَمِهِ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ» . [2] وهكذا الحال بالنسبة إلى الزبير أيضا ؛ فهو كان مسaira لطلحة ، ويطمع في انتهاز فرصة الثورة لتحقيق ما تصبو إليه نفسه ، وكان يعتبر نفسه قائدا لهذه الجماعة .

ج - الأعوان الانتهازيون

هناك أشخاص كانوا مساييرين لعثمان ويرون رأيه ، ولكتّهم في هذه الحادثة لم ينصروه بل خذلوه ، وصاروا عليه عوناً - ولو بشكل غير مباشر - وهذا من عجائب عيّر الدنيا . وأبرز نموذج لهذه الطائفة معاوية ؛ فقد كان هو وزمرته تجسيدا حقيقيا لهذا التوجّه . والواقع أنّه كان له يد طويلة في قتل عثمان . فقد كان بإمكانه أن يرسل من الشام سرية لحماية الخليفة أو مواجهة المعارضين . بيد أنّه لم يفعل ! وحتى بعدما استنصره عثمان ، جاء إلى المدينة بمفرده . وقد أدرك عثمان الغاية من قدومه ، فقال له :

[1] تاريخ الطبري : ج4 ص459 .

[2] تاريخ الطبري : ج4 ص357 .

«أَرَدْتُ أَنْ أَقْتَلَ فَتَقُولَ : أَنَا وَلِيُّ النَّارِ» . [1] عندما كتب عثمان كتابا يستحثّه فيه على نصرته ، أخذ يسوّف ويتعلّل إلى أن ذهبت الفرصة أدراج الرياح . لننظر إلى هذا النصّ التاريخي : «فَلَمَّا جَاءَ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابُ تَرَبَّصَ بِهِ وَكَرِهَ إِظْهَارَ مُخَالَفَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ . وَقَدْ عَلِمَ اجْتِمَاعَهُمْ» . وهكذا يمكن القول بأنّ معاوية كانت له يد في قتل عثمان بشكل غير مباشر . وكان لتلك اليد تأثيرها كما أشار الإمام عليّ عليه السلام إلى هذا المعنى في إحدى كلماته . وعلى كلّ حال فقد تضافرت التيارات المنبثقة من أربعة نقاط مهمّة في الخلافة الإسلاميّة آنذاك ، وصنعت ثورة شاملة ضدّ عثمان . ومن الطبيعي أنّ حضور جموع غفيرة من المسلمين في المدينة ، واعتراضهم الصريح على أعمال عثمان ، لم يدفعه هو وبطانته لإعادة النظر في الماضي ، بل عمدوا بدلاً من ذلك إلى تجاهل الأمور ، ومعاملة النائرين بأساليب غير مرضية ، ممّا أدّى إلى تآزيم الأوضاع ومهّد الظروف لقتل عثمان . يتّضح ممّا مرّ ذكره أنّ ما نقله سيف بن عمر وحاول فيه تجاهل الأسباب والعوامل المذكورة أعلاه تجاهلاً تامّاً ، ونسبة الأحداث التي وقعت ضدّ عثمان إلى شخص كعبد الله بن سبأ ، بعيد عن الحقيقة وعن الواقع التاريخي . وقد وصفت المصادر الرجاليّة سيف بن عمر بالكذب ، وطعنّت فيه . وهذا ما يوجب عدم التعويل على أخباره . وفضلاً عن كلّ ذلك فحتّى لو كان صادقا ، فإنّ ما نقله من الأخبار جاء على نحو لا يمكن التصديق به على الإطلاق ، ومن الواضح أنّ دور عبد الله بن سبأ فيها موضوع ولا صحّة له .

[1] تاريخ اليعقوبي : ج2 ص175 .

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

القسم الخامس : سياسة الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأوّل: بيعة النور

الفصل الثاني : الإصلاحات العلويّة

الفصل الثالث : السياسة الإداريّة

الفصل الرابع : السياسة الثقافيّة

الفصل الخامس : السياسة الاقتصاديّة

الفصل السادس : السياسة الاجتماعيّة

الفصل السابع : السياسة القضائيّة

الفصل الثامن : السياسة الأمنيّة

الفصل التاسع : السياسة الحربيّة

الفصل العاشر : السياسة الدوليّة

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

المدخل

(1)

السياسة في المدرستين

تسّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحكم في 18 ذي الحجة عام 35 هـ ، وخرّ شهيداً في محراب العبادة في 21 رمضان عام 40 للهجرة . وبذلك تكون مدّة حكمه قد بلغت أربع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيّام . أمّا البحوث التي تتّصل بهذا العهد فهي : 1 . كيفيّة وصول الإمام إلى الحكم ، وانطلاق الإصلاحات ، والمركزات التي نهضت عليها سياسة الإصلاح العلوي . 2 . ضروب المواجهة التي برزت إزاء سياسة الإصلاح العلوي ، والفتن التي اشتعلت نتيجة لمناهضة الإصلاحات ، والحروب التي اندلعت في عهد حكومة الإمام على قصره . 3 . الضعف والتراخي الذي برز في جيش الإمام ، وتفشّي العصيان وعدم الطاعة ، وانطلاق الحملات العسكرية والغارات لمعاوية ، حتّى صارت هذه المرحلة من أمضى أيّام حكم الإمام ، وأكثرها إيلاًماً . 4 . تيّار مؤامرة اغتيال الإمام الذي انتهى فعلاً بواقعة استشهادِهِ .

5 . حال أصحاب الإمام والقادة والأمراء في نطاق عهده السياسي . إنّ كلّ واحد من هذه العناوين الخمسة قد استحوذ على شطرٍ من هذا المنتخب ، بيد أن إدارة السلطة ، وطبيعة السياسات التي انتهجها الإمام في الحكم تحظى بأهميّة خاصّة في العصر الحاضر ، ولا سيما بالنسبة لقادة الجمهوريّة الإسلاميّة ، نظراً لما تتمتع به من فاعليّة وبُعد تعليمي . لكن قبل أن نعرض للنصوص التاريخيّة والحديثيّة ذات الصلة بنهج الإمام السياسي نمرّ في البدء على تعريف السياسة والمراد منها في كلّ من المدرستين : العلويّة والأمويّة ، ثمّ نعرض من خلال إشارات سريعة إلى العناوين الرئيسيّة للمركزات السياسيّة للإمام ، والأصول التي يعتمدها في الإدارة . وعلى ضوء هاتين النقطتين نتنقل بعدئذٍ إلى معالجة الأسئلة التي تُثار حيال الرؤية السياسيّة للإمام والإجابة عنها ، والدفاع عن سياسته عليه السلام ومعنى كونه سياسياً . تعدّ الرؤية السياسيّة من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام واحدة من أهمّ الشروط الأساسيّة للقيادة ؛ فالإمام لا ينظر إلى السياسة بوصفها رمز دوام الرئاسة والقيادة ، واستمرار إطاعة الأمة للقائد وحسب ، بل ما برح يؤكّد أنّ «المُلك سياسة» . [1] إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتحدّث صراحة بأنّ العجز السياسي هو آفة تهدّد القادة ، وأنّ أولئك القادة الذين لا يتمتّعون ببصيرة سياسيّة نافذة تتأكل سلطتهم ، ويهبط عهد رئاستهم إلى أقلّ مدّيّ زمني ، وفي نهج الإمام فإنّ السياسات الخاطئة هي علامة سقوط الدول وزوال الحكومات . وعلى هذا الأساس تذهب المدرسة العلويّة إلى أنّ إدارة المجتمع على ضوء الأصول الإسلاميّة ، هي عمليّة لا يمكن أن تتحقّق إلّا من خلال التأهّل السياسي

[1] غرر الحكم : ج 17 .

لقادة ذلك المجتمع فقط . بتعبير آخر : يعدّ التأهّل السياسي أحد الأصول العامّة للإدارة ، من دون وجود اختلاف يُذكر على هذا الصعيد بين الإسلام وسائر المدارس والمنهجيات الأخر . ومن هذا المنظار سيتمّ عرض تعاليم الإمام علي عليه السلام في هذا المجال . أمّا ما يميّز الإسلام على هذا الصعيد عن بقية المدارس والمنهجيات فيكمّن في «مفهوم» السياسة العلويّة في مقابل «مفهوم» السياسة الأمويّة ، وما ينطوي عليه هذا المصطلح من مضامين معنويّة .

السياسة في المدرسة الأمويّة

تنظر المدرسة الأمويّة إلى السياسة على أنّها : «تشخيص الهدف وبلوغه بأيّ طريق ممكن» . والحقيقة أنّ سياسيّي العالم في الماضي والحاضر الذين

يتعاطون هذه الممارسة رسمياً ، لا يفهمون من «السياسة» أكثر من هذا . وحقيقة الحال أنّ السياسة في المدرسة الأموية بمعناها الشائع في التقليد السياسي للحكومات والأنظمة ، لا تنهض على أصولٍ ومركزات قيمية . فهذا (شينغلر) أحد منظري السياسة وفق هذا المبنى يقول : لا شأن للسياسي المحترف في أن تكون الأمور حقاً أم باطلاً . على المستوى ذاته حلل (برتراند راسل) أيضاً الدوافع والألاعيب السياسية ، وتعاطى وإثّارها من خلال المنظار نفسه ، وهو يقول : «يتمثل الحافز السياسي عند أكثر الناس بالنفعيّة والأنانيّة والتنافس وحبّ السلطة . على سبيل المثال : يكمن مصدر جميع الأعمال الإنسانيّة في الممارسة السياسيّة بالعوامل المذكورة آنفاً . فالقائد السياسي الذي يستطيع إقناع الناس بقدرته على تلبية هذه الاحتياجات وإشباعها ، تصل قدرته في احتواء جماهير الناس وضمها إلى سلطته حدّاً تؤمن فيه

أنّ اثنين زائد اثنين يساوي خمسة ، أو أنّ جميع هذه الصلاحيّات قد فوّضت إليه من قبل الله ! أمّا القائد السياسي الذي يُغضي عن مثل هذه الدوافع ويهملها ، فهو لا يحظى عادة بتأييد الجماهير المستضعفة وحمائيتها . وبذلك يدخل علم نفس القوى المحركة للجمهور كجزء من أهمّ أجزاء إعداد القادة السياسيين الناجحين ، وكشرط في طليعة شروط تأهيلهم وتربيتهم» . [1] يُضيف : «إنّ أكثر القادة السياسيين إنّما يغمون مناصبهم من خلال إقناع قطاع واسع من الجمهور بأنهم يتحلّون بتطلّعات إنسانيّة ، حيث صار واضحاً أنّ مثل هذا الاعتقاد يلقي قبولاً سريعاً ، إثر وجود حالة الغليان والحماس . إنّ غلّ الأفراد ورسفهم بالقيود ، ثمّ ممارسة إلقاء الكلام والخطابة العامّة ، والتوسّل بالعقوبات غير القانونيّة ، واللجوء إلى الحرب هي مراحل لتكوين حالة الجراك الجماعي ومدّ الهياج العام وتوسعته . أعتقد أنّ أنصار الفكر غير المنطقي يجدون فرصة أفضل في الحفاظ على حالة الهياج العام عند الأفراد ، بُغية استغلالهم وخداعهم» . [2] إنّ ما جاء في هذا التحليل السياسي حيال القيادة السياسيّة للمجتمع يتطابق بالكامل مع تفسير السياسة ومعناها في المدرسة الأموية ؛ فمعاوية ؛ مؤسس هذه المدرسة في تاريخ الإسلام ، تحرّك على هذا الأساس ، ومن خلال شعار «المُلك عقيم» [3] بحيث كان على أهبة الاستعداد لممارسة أيّ شيء من أجل بلوغ السلطة والدفاع عنها .

[1] منتخبات أفكار راسل (بالفارسيّة) : ص 2 - 3 .

[2] منتخبات أفكار راسل (بالفارسيّة) : ص 222 .

[3] الأمالي للصديق : ص 132 ح 125 .

السياسة في المدرسة العلوية

لكن مع الانتقال إلى الإمام عليّ عليه السلام ، وهو يسجّل : «المُلك سياسة» لم يكن يقصد أنّ التوسّل بأيّ وسيلة هو أمر مباح لبلوغ السلطة أو الحفاظ عليها ، بل على العكس تماماً ؛ إذ لا يجوز استعمال الأداة السياسيّة غير الشرعيّة في المدرسة العلوية ، حتّى لو كلف ذلك فقدان السلطة نفسها . السياسة في المدرسة العلوية : هي معرفة الأدوات السياسيّة المشروعة ، وتوظيفها لإدارة المجتمع ، وتأمين الرفاه المادّي والمعنوي للناس . بل أساساً لا تستحق السياسات غير الشرعيّة لقب «السياسة» في النهج العلوي ولا يطلق عليها هذا الوصف ؛ إنّما هي المكر والخدعة والنكراء والشيطنة . [1] في النهج العلوي لا تحتاج عمليّة إدارة النظام والحفاظ على السلطة إلى أدوات سياسيّة غير مشروعة ، بل يمكن حُكم القلوب من خلال توظيف السياسات الصحيحة والشرعيّة فقط ، وسوق المجتمع صوب التكامّل المادّي والمعنوي . ربّما تكون السياسات غير الشرعيّة مفيدة مؤقتاً لتحكيم هيمنة السياسيين الرسميين ، بيد أنّها لا يمكن أن تدوم ، وهي تحمل إلى الناس أضراراً ماحقة .

حركة الإصلاح العلوي

على هذا الأساس انطلق الإمام مباشرة بعد أن بايعه الناس وتسلم زمام السلطة السياسيّة بحركة إصلاح حكوميّة بدّها من خلال شعار العدالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة . لقد أعلن صراحة أنّ الفلسفة الكائنة وراء قبوله الحكم تكمن في إيجاد الإصلاحات ، وكان عليه السلام يعتقد أنّ المجتمع الإسلامي قد تغيّر في المدة التي كان

[1] يقول الإمام الصادق عليه السلام في وصف دهاء معاوية السياسي : «تلك النكراء ! تلك الشيطنة ! وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل» (الكافي : ج 1 ص 11 ح 3) .

فيها الإمام بعيداً عن المشهد السياسي ، وأنَّ ما يُمارس باسم الحكومة الإسلاميَّة ينأى بفاصلة كبيرة عن الإسلام وسيرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسنَّته . من جهة أخرى كان الإمام يعلم جيِّداً بأنَّ الطريق الجديد والإعلان عن نهج الإصلاح العلوي الَّذي هو نفسه الإصلاح المحمَّدي ، لا يتَّسق مع مزاج المجتمع في ظلِّ الأوضاع السياسيَّة الَّتِي كانت سائدة ، وبحسب قوله عليه السلام : «لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ» ، حيث تستتبع عمليَّة مواجهة الانحرافات ، ومكافحة الاعوجاج كثيراً من الاضطرابات السياسيَّة . من هذه الزاوية كانت عمليَّة الإصلاح السياسي والاجتماعي الشامل بحاجة إلى إعداد وتخطيط عميق جدّاً ومحسوب .

سياسة الإمام في مواجهة الانحراف

لم يتعامل الإمام عليه السلام مع الانحرافات الموجودة بعجلة ؛ لأنَّ التعاطي مرّة واحدة وبشكل مباشر مع جميع الانحرافات الَّتِي كان المجتمع قد اعتاد عليها خلال سنوات ، يجرّ إلى عدم الرضا العامّ ، ويُفضي إلى الفرقة وضعف بنيان الحكم ، بل ولجّ الإمام هذه الدائرة على أساس برنامج تمّ الإعداد له جيِّداً ، فقسَّم الإصلاحات الَّتِي ينبغي أن تضطلع بها حكومته إلى قسمين ، هما : 1 . مواجهة الفساد الإداري والاقتصادي . 2 . مواجهة الانحرافات الثقافيَّة .

سياسة الإصلاح الإداري والاقتصادي

لقد انطلقت سياسة الإصلاح العلوي في مواجهة الفساد الإداري والاقتصادي منذ الأيّام الأولى لعهد الإمام السياسي ، فعزّل الولاة غير الأكفاء ، وأعاد الأموال العامّة إلى بيت المال .



لقد أشار الإمام منذ يوم البيعة الأول إلى نهجه الأصولي في الإصلاح ، ونَبّه إلى سياساته على هذا الصعيد بشكل مقتضب وعام ، وهو يقول : «إَعْلَمُوا أَنِّي إِن أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ ، وَغَتَبَ الْعَائِبُ» . [1] وفي ثاني أيام خلافته اعتلى المنبر ، ثمّ راح يُصرّح بما كان قد أشار إليه في اليوم السابق ، وهو يقول : «أَلَا إِنَّ كُلَّ قِطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ ، وَكُلُّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَدِيمَ لَا يُبْطَلُهُ شَيْءٌ ، وَلَوْ وَجَدْتُهُ وَقَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَفُرِّقَ فِي الْبُلْدَانِ ، لَرَدَدْتُهُ إِلَى حَالِهِ ؛ فَإِنَّ فِي الْقَدْلِ سِيعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ قَالَجُورٌ عَلَيْهِ أَصِيقٌ» . لقد تحدّث الإمام بإسهاب في خطاب تفصيلي ألغاه في ذلك اليوم عن مسؤوليّة قادة المجتمع في بسط العدالة الاجتماعيّة ، وأعلن بوضوح أنّه لن يسمح لأحدٍ - دون استثناء - من استغلال المال العام ، وأنّ أولئك الذين راكموا ثرواتهم عبر غصب المال العام وحصلوا - عن هذا الطريق - على الأراضي الخصبة (القطائع) والخيول المسمومة والجواري الحسان ، سيعمد علي إلى مصادرة هذه الثروات المغصوبة بأجمعها وردّها إلى بيت المال . كان هذا الحديث لأمر المؤمنين عليه السلام بمنزلة الصاعقة التي نزلت على رؤوس من يعينهم الأمر ، حيث راحت أصداء مواجهة نداء العدالة العلويّة تتجسّد في معارضة شخصيّات معروفة لحكم الإمام . وفي اليوم الثالث من أيام عهد الإمام دعا النّاس إلى استلام أعطياتهم من بيت المال ، حيث أمر عليه السلام كاتبه عبيد الله بن أبي رافع أن يسير على النهج التالي : «إِذَا بِالْمُهَاجِرِينَ فَنَادِهِمْ وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِمَّنْ حَصَرَ ثَلَاثَةَ دَنَائِرٍ ، ثُمَّ نَبَّ بِالْأَنْصَارِ فَأَقْعَلَ مَعَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمَنْ حَصَرَ مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدَ قَاصَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ» .

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 2 (القسم الخامس / الفصل الثاني / صوت العدالة وصداهها) .

أدرك سُرّاً القوم وكبراًؤهم أنّ العدالة الاقتصاديّة في ظلال حكم عليّ عليه السلام ليست شعاراً وحسب ، بل هي نهج جاد لا محيد عنه ، فراحوا يتحدّجون ويتبرّمون أمام كاتب الإمام ، وأبدوا تذمّرهم من ذلك ، فما كان من ابن أبي رافع إلّا أن رفع الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يُفاجأ الإمام بانطلاق شرارة المعارضة والرفض من قبل الشخصيّات المرموقة ، ليس هذا وحسب ، بل أعلن بحزم عن إدانة النهج الإصلاحي ، وهو يقول : «وَاللَّهِ إِن بَقِيتُ وَسَلِمْتُ لَهُمْ لِأَقِيمَتُهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ» . من هذه البؤرة بالذات بدأت مسألة الطلب بنار عثمان من الإمام ! والذي يبعث على التأمل أنّ بعض أصحاب الثروات كانوا قد قيّدوا بيعتهم للإمام بشرطين ؛ الأول : أن لا يقترب الإمام من ثرواتهم التي كانوا جنوها على عهد عثمان ، والثاني : أن يقتصّ من قتلة عثمان . لقد كان الإمام يعلم أنّ مسألة إنزال القصاص بقتلة عثمان لم تكن أكثر من ذريعة لعدم استرداد الثروات غير المشروعة لهؤلاء ، بيدّ أنه لم يُدعن إلى أيّ من هذين الشرطين ، وواجه - بحزم وصلابة - الاقتراحات التساويّة .

سياسة الإصلاح الثقافي

لقد كانت الأوضاع موانمة لبدء الإصلاح الإداري والاقتصادي نتيجة لقيام عامّة النّاس ضدّ الفساد الإداري والاقتصادي المستشري على عهد عثمان . على هذا الأساس انطلق الإمام بهذه الإصلاحات منذ الأيام الأولى لتسليمه أرمّة السلطة برغم تقديره لجميع التبعات التي تترتّب عليها ، والمشكلات التي تؤدّي إليها . على عكس حركة الإصلاح الثقافي التي لم يكن الشروع الفوري بها ممكناً ، بل كانت تحتاج إلى زمان حتّى يستقرّ حكم الإمام . ولذلك كان عليه السلام يقول في هذا المضمار : «لَوْ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاجِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ» .

لم يكن سهلاً على الإمام أمير المؤمنين أن يواجه بشكل مباشر وفوري الإرث الثقافي الذي تطبّع عليه النّاس واعتادوه خلال ربع قرن من الزمان ؛ لأنّ هذه العملية - لو تمّت - كانت تجرّ إليها نفور الجمهور وسخطه ، وتستتبع اختلاف الأمّة . لذلك كلّ ترك الإمام موضوع مواجهة الانحرافات الثقافيّة إلى فرصة مؤاتية . أجل ، لقد انطلق الإمام عليّ عليه السلام ببرنامج الإصلاح الدقيق والمدرّوس ، لإعادة المجتمع الإسلامي إلى سيرة النبيّ وسنتّه ، من نقطة العدالة الاجتماعيّة ومفصل الإصلاح الإداري والاقتصادي . ثمّ ظلّ وفيّاً لهذا النهج حتّى آخر لحظات حياته ، حيث لم يتراجع في أحلك الأوضاع السياسيّة التي مرّت ، ولم

يتوانَ في بذل أقصى جهوده من أجل استكمال هذا المشروع ، وإيجاد المجتمع القائم على أساس القيم والأهداف الإسلامية الأصيلة . إنّ ما سنبيّن عليه في هذا الجزء من المنتخب هو بيان أهمّ أصول حركة الإصلاح العلوي ، وأبرز مرتكزاتها في مضمار الإصلاح الإداري ، والثقافي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والقضائي ، والأمني ، والعسكري ، وذلك من خلال الاستناد إلى النصوص الحديثية والتاريخية . ثمّ نصير بعدئذٍ إلى استخلاص رؤى الإمام في مجال السياسات التي تُفُضي على المستوى الدولي إلى ثبات الدول أو سقوطها ، وبيان ما يكون منها مؤثراً على صعيد العلاقة الإيجابية بين الدول بعضها ببعض . وأخيراً ننتقل إلى عرض نصوص سياسات الإمام ومصادرها . أما التوفّر على شرح وافٍ لمرتكزات سياسة الإمام فهي عملية تحتاج إلى فرصة أخرى .

منهج حكومة القلوب (2) تنتهي عملية تفحص النصوص الإسلامية في مضمار القواعد التي تنهض عليها مرتكزات النظام الإسلامي ، إلى أنّ الإسلام هو دين الحكومة على القلوب ؛ وإلى أنّ المنطلقات السياسية للحكم الإسلامي هي أصول هذا النوع من الحكم والإدارة ، ومن ثمّ فإنّ المباني السياسية للنظام العلوي هي ليست شيئاً غير مرتكزات الإدارة الإسلامية نفسها . فالإسلام منهج لتكامل الإنسان مادياً ومعنوياً ، وإنّ الحبّ هو أهمّ العناصر التي تدخل في قوام هذا المنهج . لقد بلغ موقع الحبّ في قيام الحكومة الإسلامية ، ودوره في برامج هذا الدين من أجل تقدّم المجتمع الإنساني ، حدّاً جعل الإمام الباقر عليه السلام لا يرى الإسلام إلّا أنّه دين الحبّ وحسب ، وهو يقول : «هل الدّين إلّا الحبُّ !» . [1] ومن وجهة نظر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تقوم الدعائم الأساسية للإسلام وأصول منهاجه التكاملية ، على أساس محبة الله ، حيث يقول : «إنّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه ، واصطغته على عبده ، وأصفاه خيرة خلقه ، وأقام دعائمه على محبته» . [2] كما أنّ أئمة الدين والقادة السياسيين الصادقين للأمة الإسلامية ، ما هم إلّا مظاهر

[1] دعائم الإسلام : ج 1 ص 71 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 198 .

محبة الناس للخالق جلّ جلاله ؛ وما محبة الناس لهم إلّا محبة لله سبحانه . [1] وعلى هذا الأساس تتخطى القاعدة الصلبة التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية دائرة البيعة ورأي الناس ؛ إذ للحكم الإسلامي جذر راسخ في حبّ الناس وقلوبهم . وهنا يكمن سرّ كلّ هذا التركيز القرآني والأحاديث الإسلامية ، على محبة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم . [2] من جهةٍ أخرى نعرف أنّ المحبة لا ترتكن إلى الأمر ؛ إذ يمكن إجبار الإنسان على أن يقوم بعمل خلاف رغبته وضدّ ميله الباطني ، ولكن لا يمكن إجباره على حبّ شخصي من دون أن ينجذب إليه وبميل له ذاتياً . إنّ الإنسان عاشق للجمال بطبيعته ، فهو يحبّ جميع مظاهر الجمال المادّي والمعنوي . فإذا أحبّ منهج إنسان وسيرته وارتاح إلى فعله وعمله مال إليه وتوثقت علاقته به ، وإذا نفر منه واستوحش فعله وسيرته لم يحبّه . من هنا نفهم أنّ فلسفة وجوب محبة أهل البيت ، تكمن في السعي من أجل معرفتهم معرفة حقيقية ؛ لأنّ سيرتهم وسلوكهم هما من الجمال والجاذبية بحيث لا يطلّع عليها إنسان وهو سليم الوجدان لم يفقد ضميره الإنساني ، إلّا أحبّهم وشعر بالموّدة إزاءهم . وهنا بالضبط يكمن سرّ حبّ كلّ الذين عرفوا عليّ بن أبي طالب سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين . لقد استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يعكس في حياته وبالأخصّ خلال عهده

[1] «من أحبّكم فقد أحبّ الله» (تهذيب الأحكام : ج 6 ص 97 وص 101 ح 1 ، كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 2 ص 613 ح 3213) .

[2] راجع : المحبة في الكتاب والسنة : القسم الأول / الفصل السابع / من تجب محبته .

السياسي القصير أبهى صورة للإنسانية ، وأعظم صيغة للحكم المبتني على أساس القيم الإنسانية ؛ فليس بمقدور إنسان ينظر إلى جمال فعال عليّ وحكمه ثمّ لا يهيم به حبّاً . وفيما يلي نمّر سريعاً على الأصول السياسية للإمام ومرتكزاته في إدارة البلاد ؛ هذه المرتكزات التي تعدّ في حقيقتها سرّ إيجاد ضروب الجمال ، ودائرة النفوذ العلوية ، كما تولّف الأصول السياسية للحكومة على القلوب ، وذلك على أمل أن يقترب مسؤولوا نظام الجمهورية الإسلامية وقادته من الإمام أكثر فأكثر ، ويعكسوا للعالم ملامح من الصورة الوضّاء للحكم العلوي .

أصول السياسة الإدارية

يمكن استخلاص السياسة الإدارية للإمام علي عليه السلام وإرجاعها إلى عدّة أصول ، هي :

1 . الصدق في السياسة

الصدق في السياسة هو أهم أصل في السياسة الإدارية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو رمز النفوذ الخلّاق والجاذبيّة الخالدة للحكم العلوي ، والحدّ الفاصل بين تخوم السّياستين العلويّة والأُمويّة ، فإنّه لا معنى للصدق ولا مكان له في قاموس السياسة الأُمويّة ، والكذب هو الأداة الأساسيّة في ضروب الفعاليّة السّياسيّة عند السّياسيين المحترفين . يذكر الإمام الخميني أنّ أحد مسؤولي النظام الملكي السابق زاره عندما كان في السجن ، وقال له : «إنّ السياسة خبث وكذب وخداع . . . وهي بلاء سيّئ ، اتركوا ذلك لنا» ! يضيف الإمام الخميني في تتمة الواقعة : «صحيح ما يقوله ؛ فلنن كانت السياسة لا تعني إلّا هذه الأمور ، فهي من شؤونهم» [1] . أجل ، إذا ما حذف الكذب عن

[1] ولاية الفقيه : ص192 و 193 .

306

السياسة في عالم السّياسيين المحترفين فلن يبقى منها شيء . أمّا في قاموس السياسة العلويّة فإنّ الصدق أوّل شروط الحكم والتأهّل السّياسي ، فإذا لم يكن ثمّ وجود للصدق السّياسي فلن يكون هناك معنى لسيادة الحقّ ، وحاكميّة القانون ، وحقوق الإنسان ، والعدالة الاجتماعيّة ، وجميع البرامج والسياسات البتّة التي سنشير لها بعدئذٍ ، حيث تتحوّل بأجمعها إلى كلمات فارغة لا معنى لها ، وتنقلب إلى أداة للابتزاز والتّعدي على حقوق النّاس أكثر . في نهج السياسة العلويّة لا يجوز توظيف الحيل السّياسيّة إلّا في مورد واحد هو الحرب ، والحرب هي الاستثناء الوحيد للجوء إلى الخديعة ، كما سيأتي توضيح ذلك أثناء الحديث عن السياسة الحربيّة للإمام عليه السلام .

2 . محوريّة الحقّ

تعدّ محوريّة الحقّ مظهرًا للصدق السّياسي في الحكم العلوي ، فإذا ما جلت النظر في سلوك الإمام عليه السلام وسيرته السّياسيّة في جميع مجالات الحكم ، لرأيت أنّ الالتزام بهذا الأصل واضح في ثنايا هذه السيرة ، وفي كلّ مرفق من مرافقها . لقد كان الإمام يرى أنّ إقامة الحقّ وإحقاقه هو عماد فلسفة حكمه ، ولم يكن يفكر في إدارة الاجتماع السّياسي بشيء آخر غير إحياء الحقّ ومحو الباطل . على هذا الضوء واجه الإمام عليه السلام بشدّة أسلوب المداھنة والتلون في إدارة شؤون المجتمع ، فيما كانت تمثّله السياسة الأُمويّة .

3 . سيادة القانون

لقد بلغ من احترام الإمام عليه السلام للقانون أنّه لم يكن يرى لنفسه خاصيّة أمام القانون . كان يؤمن أنّه ليس هناك شخص فوق القانون ، ولن يستطيع أحد - ولا ينبغي له - أن يكون مانعاً عن تنفيذ القانون الإلهي .

307

4 . الانضباط الإداري

كان الإمام عليه السلام ميّالاً بحزم إلى خاصيّة النظم والانضباط في الشؤون الفرديّة والاجتماعيّة ، بالأخصّ الأمور ذات الصلة بالحكم ؛ ففي فلسفة الإمام كانت واحدة من جُكم القرآن إيجاد النّظم في المجتمع ، حيث يقول في وصفه : «ألا إنّ فيه عِلْمَ ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دَائِكُمْ ، ونَظَمَ ما بَيْنَكُمْ» . كان الإمام يحثّ العاملين معه على الدوام أن لا يغفلوا عن خاصيّة الانضباط الإداري في ممارسة العمل ، وأن يبذلوا جهدهم لإنجاز كلّ واجب في وقته المحدّد . لقد بلغ من اهتمام الإمام وفائق عنايته بالنظم ، أنه راح يوصي بذلك أولاده حتّى وهو على فراش الشهادة .

5 . انتخاب الأكفاء

في رؤية الإمام ينبغي انتخاب العاملين في النظام الإسلامي على أساس الجدارة لا على أساس المحسوبيّة والمنسوبيّة . وفي هذا السياق ينبغي أن تُراعى في عمليّة الاختيار ما يحظى به هؤلاء من تأهيل أخلاقي ، وأصاله عائليّة ، وما يتحلّون به من كفاءة وتخصّص . كما لا يجوز للمدراء في النظام الإسلامي أن يورّعوا المناصب على أساس الصلات العائليّة والعلاقات السّياسيّة . ولا يحقّ أن يلي أمور النّاس المحروم من الأصالة العائليّة ، ولا أن تناط المسؤوليّة بسيّئ الأخلاق ، أو أن يُعهد بشؤون المجتمع لمن يفتقر إلى الكفاءة والتخصّص ويفتقد للحويّة اللازمة .

6 . تأمين الاحتياجات الاقتصاديّة للعاملين

يعتقد الإمام أنّ من لوازم الحؤول دون الفساد الإداري ، أن يتمتّع العاملون في النطاق الحكومي والوظائف العامة بحدّ كافٍ من الحقوق الماليّة تؤمّن لهم الحياة

308

الكريمة ، لكي تتوافر الأرصّة المناسبة لإصلاح هؤلاء ، ولا يطمعوا بالمال العامّ ، ومن ثمّ تنتفي في حياتهم دوافع الاتّجاه صوب الفساد والخيانة .

7 . الاهتمام الخاصّ بالقوآت المسلّحة

من بين العاملين في نطاق أجهزة النظام الإسلامي يركّز الإمام على القوآت المسلّحة ؛ إذ ينبغي أن يحظى هؤلاء باهتمام خاصّ ، كما أنّ على الوالي أن يتعامل معهم معاملة الوالدين مع أبنائهما .

8 . تأسيس جهاز الرقابة على العاملين

نهى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بشدّة عن ممارسة التجسّس والتدخّل بالأمر الشخصية للمجتمع أثناء عهده السياسي [1]، بيدّ أنّه مع ذلك كان يرى من الضروري فرض رقابة على العاملين في النظام الإسلامي ، وممارسة ذلك عبر جهاز رقابي خاصّ ، ومن خلال موظّفين سرّيين (عيون) ، لئلاّ يتوانى هؤلاء في أداء وظائفهم ، أو يتعدّوا على حقوق النّاس بالانكفاء إلى ما لديهم من سلطة . إنّ جهود الإمام واللوائح التي أصدرها بهذا الشأن ، وما بعث به من رسائل للولاة المتخلّفين مثل الأشعث بن قيس ، وزباد بن أبيه ، وقدامة بن عجلان ، ومصقلة بن هبيرة ، والمنذر بن الجارود ، كلّها تحكي تأسيس الإمام لجهاز رقابي مقتدر كان ينهض بمهمّة مراقبة العاملين معه خلال عهده السياسي . لقد بلغ المخبرون السريّون والعاملون في جهاز الرقابة الخاصّ في حكومة الإمام ، حدّاً من العدالة والوثاقة ، بحيث تحوّلت تقاريرهم وما يُدلون به من معلومات إلى قاعدة تستند إليها سياسة التحفيز الإداري للعاملين ، حيث يشجّع

[1] راجع : نهج البلاغة : الكتاب 53 .

المحسنون ، ويعزّل الخونة والفسادون بعد إثبات جرمهم مباشرة ، وينزل بهم من العقوبة ما يكون عبرة للآخرين ، وعِظة لمن اتّعظ .

9 . منع الهدية

شرّع النظام العلوي مبدأ منع أخذ العاملين في الدولة الهدايا من النّاس ، بالإضافة إلى حرمة تعاطي الرشوة ، إمعاناً في مبارزة الفساد الإداري . وكان الإمام أمير المؤمنين يعدّ أخذ الهدية «غلولاً» ، وأخذ الرشوة «شركاً» .

10 . الحزم المصحوب باللين

يسير النظام العلوي في التعاطي مع العاملين في النطاق الحكومي ، على منهج يجمع بين الحزم واللين . فمن وجهة نظر الإمام تعدّ القسوة المطلقة آفة تهدّد النسق الإداري ، وفي الوقت ذاته يلحق اللين اللامحدود أضراراً بإدارة المجتمع . ومن ثمّ فإنّ الإدارة الناجحة هي التي تجمع - بحسب تعبير الإمام - بين القسوة والرأفة ، وتقرن الشدّة إلى اللين . ففي المواضع التي تحتاج إلى الشدّة ينبغي التعامل بحزم ، وفي المواقع التي يكون فيها اللين هو الأحق ، ينبغي التزام سياسة الرفق والمداواة .

أصول السياسة الثقافية

تكمن أبرز مركات السياسة الثقافية للإمام ، في المنطلقات التالية :

1 . تنمية التربية والتعليم

تتقدّم التنمية الثقافية في النظام العلوي على التنمية الاقتصادية ؛ فعلاوة على أنّ التنمية الاقتصادية غير ممكنة من دون التنمية الثقافية ؛ فإنّ حاجة الروح إلى التربية والتعليم أكثر من حاجة الجسد إلى الطعام والشراب .

وأساساً لا تزيد فلسفة الوحي والنبوة وفلسفة الحكم في منهج الأنبياء الإلهيين ، على تربية الإنسان وتعليمه ، وإنّ جميع الجهود ما هي إلّا مقدّمة لبناء الإنسان الكامل . على هذا الأساس كان الأنبياء والأوصياء يتولّون شخصياً تعليم النّاس وتربيتهم ، وعلى هذا مضت أيضاً سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسياسته .

2 . تصحيح الثقافة العامّة

تكمن واحدة من أبرز العناصر الأساسيّة لمنهج الحكم العلوي في الإقدام على تصحيح الثقافة العامّة للمجتمع . فعلى قدر ما كان الإمام يدافع عن السنن والتقاليد الاجتماعية البتّة ، كان يهاجم بعنف الأعراف والتقاليد الخاطئة ، ولم يكن يسمح أن تواصل التقاليد الخاطئة والأعراف الصارّة ، حضورها في المجتمع الإسلامي .

3 . النقد البتّة بدلاً من الإطراء والتملّق

تكمّن واحدة من أهمّ مبادرات الإمام عليّ عليه السلام وأكثرها ألفاً لجهة تصحيح الثقافة الاجتماعيّة العامّة ، بمواجهته لحالة تملّق الأمراء ومديح القادة السياسيين . لقد حتّ الإمام أمير المؤمنين الولاة والعاملين معه على أن يقرّبوا الأجر في قول الحقّ ، والأكثر صراحة في الجهر به ، وأن يربّوا من حولهم على عدم تملّقهم والإطراء عليهم أكثر من الاستحقاق . أمّا فيما يرتبط بالإمام شخصياً فقد كان يرفض أيّ ضرب من الثناء حوله ، وكان يواجه المثنين والمتملّقين بمواقف علنيّة صريحة وحازمة . كما كان يحثّ الناس أن لا يُطروه بسبب نهوضه بأداء التكليف الإلهيّة ، وأن يتّجهوا بدل الثناء إلى النصيحة بخير ، والنقد البتاء الصريح لبرامجه وأعماله ، إذا كان ثمة نقد في هذا المجال .

4 . معياريّة الحقّ في اتّباع الرجال

تتمثّل واحدة من أهمّ توجيهات الإمام لتصحيح الثقافة العامّة في نصب الحقّ ميزاناً في اتّباع الشخصيات السياسيّة والاجتماعيّة وموالاتها . وتنشأ أغلب الانحرافات السياسيّة والاجتماعيّة من التمحور حول مفهوم الشخصيّة . وفي هذا الاتجاه حدّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المجتمع من أنّ الشخصيات مهما عظمت ، ولحظتها العيون بالحبّ والتقدير والإجلال ، فلا يمكن أن تتحوّل إلى معيار للحقّ والباطل ، وإلى ميزانٍ لهما ، ثمّ سعى أن يرفع المجتمع من زاوية الوعي الثقافي ، ويرتقي به إلى المستوى الذي يزن به الشخصيات الكبيرة ويعرفها بمعيار الحقّ ، لا أن يزن الحقّ بمعيار الرجال .

أصول السياسة الاقتصاديّة

تتمثّل أصول السياسة الاقتصاديّة في حكومة الإمام عليّ عليه السلام بالدعائم التالية :

1 . إشاعة ثقافة العمل

يعدّ الفقر الاقتصادي في رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام معلولاً للتلازم بين ثقافة الكسل والعجز . وإلاّ فإنّ المجتمع الذي تهيم عليه ثقافة العمل لا يمكن أن يُصاب أبداً بأفة الفقر ، الذي يعدّ بدوره بؤرة لتفشّي كثير من الأمراض الماديّة والمعنويّة في المضمارين الفردي والاجتماعي . على هذا الأساس راح الإمام يُشيع ثقافة العمل في ربوع المجتمع بوصف العمل عبادة ، وكان هو نفسه عليه السلام عاملاً نموذجياً .

2 . التنمية الزراعيّة

لقد أولى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عناية فائقة بالتنمية الزراعيّة من أجل القضاء على

الفقر في المجتمع ، وراح يُقرّع الأمة التي تملك الماء والتراب ثمّ تُصاب مع ذلك بالفقر ، وهو يقول : «مَنْ وَجَدَ ماءً وَثِراباً ثُمَّ افْتَقَرَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ» . وفي نهج الإمام تتمثّل واحدة من ملاكات تقييم كفاءة الأنظمة بمدى التزامها بمبدأ التنمية الزراعيّة . لهذا كان يعدّ التنمية الزراعيّة في طليعة الوظائف الأساسيّة للعاملين في حكومته ، وقد ألزم أمراء الجيوش بالدفاع عن حقوق الفلاحين .

3 . التنمية الصناعيّة

مع أنّ الصناعة لم تكن تلعب دوراً مهماً في الاقتصاد السائد على عهد حكم الإمام ، إلّا أنّه أولاهها أهميّة كبيرة كما يتبيّن من الأحاديث التي تُنقل عنه عليه السلام في هذا المجال ؛ فالإمام يذكر الحرّف والصناعات على أنّها كنز ، ويوصي العاملين في حكومته بحماية الحرّفيين ، كما يحثّ أهل الصناعات على مراعاة الدقّة في العمل ، وأن لا يضحّوا بالجودة والكفاءة في سبيل السرعة .

4 . التنمية التجاريّة

كانت التجارة في صدر الإسلام وخلال العهد العلوي تلعب الدور الأكبر في تأمين الاحتياجات الاقتصاديّة للمجتمع . لذلك عمدت حكومة الإمام إلى حماية التّجار بجوار حمايتها لأصحاب الصناعات والحرّف .

5 . الإشراف المباشر على السوق

لجهة ما للسوق من أهميّة في الاقتصاد ، حرص الإمام على ممارسة إشراف مباشر عليه ، حيث كان يراقب السوق شخصياً ، في إطار برنامج يسوقه صبيحة كلّ يوم إلى أسواق الكوفة ، وكانّه في مهمّة «معلّم الصبيان» كما يقول الراوي ، وهو يحثّ الباعة على التزام التقوى ، والاحتراز عن التطفيف والكذب والظلم والاحتكار ، وبنهاهم

عن ضروب المعاصي التي قد ينزلون إليها في هذا المجال . كما يطلب منهم رعاية الإنصاف ، وتحريّ الأخلاق الإسلاميّة في التعاطي مع المشتريين .

6 . سياسة أخذ الخراج

لم تكن سياسة الإمام في أخذ الخراج وحماية الأموال الإسلاميّة على منوالٍ واحد ، بل كان يرعى حقوق مؤدّي هذه الأموال أيضاً ؛ ففي إطار الحكم العلوي كان جهاز الضريبة والعاملون في حماية الخراج ملزمين بالإضافة إلى التزام الحذر ورعاية الدقّة المطلوبة ، بتحريّ جانب الإنصاف ، والعناية بالأخلاق الإسلاميّة في التعاطي مع الناس .

7 . عدم التأخّر في توزيع المال العامّ

لم يُجز الإمام حبس المال العام في خزنة الدولة ، ولم يكن يرضى بتأخير توزيع أموال بيت المال وتقسيمها حتّى لليلة واحدة ، بل كان يعتقد أنّ ما يعود إلى الناس ينبغي دفعه إليهم في أوّل فرصة مواتية .

8 . تقسيم المال العام بالتساوي

كان الإمام يسلك سياسة توزيع المال العام بين جميع المسلمين بالتساوي ؛ ففي نهج الإمام كان يتساوى في العطاء : العربي والأعجمي ، والمهاجري والأنصاري ، والأسود والأبيض ، بل لم يكن يختلف العبد المعتقد عن سيّده ومولاه في نصيبه من الدخل العامّ .

9 . تأمين الاحتياجات الأساسيّة للجميع

تركز سياسة الإمام الاقتصاديّة على استئصال الفقر من المجتمع ، حيث كان عليه السلام يقول : «ما جاعَ فقيرٌ إلّا بما مَنَعَ به غنيٌّ» . على هذا الضوء كان يرى أنّ الدولة

الإسلاميّة مسؤولة عن تأمين متطلّبات الحدّ الأدنى ، وتوفير المستلزمات الضروريّة لجميع الذين يعيشون في نطاق جغرافيّة الأمصار الإسلاميّة . فكما أنّ الذي يعيش في الكوفة ينبغي أن يحظى بالرفاه النسبي ، وأن لا يواجه مشكلة على صعيد المستلزمات الأوليّة مثل الطعام والشراب والمسكن ، فكذلك الحال في سائر الأمصار ؛ إذ كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يركّز على حماية الطبقة الضعيفة من المجتمع ، ويولي عناية خاصة بالأيتام وأسر الشهداء ، بحيث كان يهتمّ بذلك شخصياً كلّما واثته الفرصة .

10 . حرمة بذل المال العامّ

كان الإمام يعدّ المال العام أمانة لدى العاملين في أطر الدولة ، وكان لا يسمح لهؤلاء في بذل هذا المال وتوزيعه هدايا وهبات ، ويقول : «جوّد الولاء يقيء المسلمين جَوْرَ وَخْتَرٍ [1]» .

11 . تحريم الامتيازات للأولاد والمقرّبين

لم يكن الإمام يعترف بأي امتياز خاص لأحدٍ في توزيع المال العامّ ، ولم يُستثنَ من هذا القانون أحدٌ لا من الشخصيات السياسيّة والاجتماعيّة البارزة ، ولا من أولاده المقرّبين إليه ، بل كان الإمام يُبدي حذراً أكبر في هذا الجانب إزاء المقرّبين إليه ؛ لكي يكون ذلك عظة للآخرين .

12 . التقيّش في المال العامّ والاحتياط في صرفه

كان نهج الإمام في صرف المال العام يشدّ إليه الأنظار ويوحى بالدروس والعبر . فلنكي يدفع ولاته والعاملين معه إلى أقصى نهايات التقشّف وصيانة الأموال العامة ،

[1] الختّر : الغدر (النهاية : ج2 ص9) .

عمّم الإمام أمراً إدارياً حتّى فيه هؤلاء أن لا ينسوا هذا المبدأ في الكتابة إليه ، وراح يقول : «أدقّوا أقلامكم ، وقاربوا بين سطوركم ، وأحذقوا عنيّ فضولكم ، وأفضّدوا قصد المعاني ، وإياكم والإكتار ؛ فإنّ أموال المسلمين لا تحتملُ أضراراً» . أمّا حرص الإمام نفسه وسلوكه الشخصي في التصرف ببيت المال ، فهو أمر بيعت على الدهشة ! فالإمام لم يكن على استعداد لأن يستفيد من نور سراج تابع لبيت المال في جواب من راجعه ليلاً في أمر شخصي ! فعندما كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مشغولاً بكتابة ما يتعلّق بكيفيّة تقسيم بيت المال ، ودخل عليه طلحة والزبير في أمر شخصي ، عمد إلى السراج الذي كان

يستهلك وقوده من الثروات العامة فأطفأه ، وأمر من يأتي إليه بسراج آخر من بيته !

أصول السياسة الاجتماعية

ترجع أصول السياسة الاجتماعية في الحكم العلوي إلى المنطلقات التالية :

1 . العدالة الاجتماعية

تعدّ العدالة المحور الأكثر بروزاً في منهج الحكم العلوي ، وقد بلغ من اقتران اسم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالعدالة وامتزاجه بها ، قدراً بحيث صار اسم عليّ عنواناً للعدالة ، وعنوان العدالة باعثاً للإيحاء باسم عليّ . ومعنى هذا التصاحب بين الاثنين ، أنّ الحكم الذي يمكنه الادّعاء باقتفاء الحكم العلوي مثلاً له ، هو ذلك الذي يحرص قادته على العدالة أكثر من أيّ شيء آخر . وبديهيّ لا يكمن هذا الاقتداء بالتعاطي مع العدالة من خلال الشعار والأقوال وحسب كما دأب على ذلك الجميع في العالم المعاصر عبر رفع هذا الشعار وتكراره ، وإنّما يحصل بتروسيخ العدالة من خلال السلوك والعمل . وهذه حالة نادرة كما كانت بالأمس تماماً .

إنّ الحكم الذي يسعه أن يزعم أنه يقتدي بالحكم العلوي ، هو ذلك الذي لا يضخّي بالعدالة ويندها على مذبح المصلحة ، فليس في النظام العلوي مصلحة أعلى من مصلحة إقامة العدل . وأخيراً ، فإنّ بمقدور الحكم أن يعلن أنّ مثاله الأعلى الذي يحتذي به هو عليّ ، إذا ما استطاع أن يحكم القلوب عبر منهج تقديم العدالة على المصلحة ، لا أن يحكم الأجساد ويقبض سيطرته عليها ، عبر منهج ترجيح المصالح العابرة !

2 . احترام الحقوق المتبادلة بين الدولة والأمة

في منطق الإمام لا يمكن أن يدوم بقاء الدول في المجتمعات إلّا إذا احترمت النظام الحاكم حقوق الشعب ، وفي الطرف الآخر أبدى الشعب احترامه لحقوق النظام الحاكم عليه . وإلا فمن دون رعاية الحقوق المتبادلة بين الدولة والشعب لا يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية . وطبيعي أنّ رعاية هذا الأمر هي عملية شاقّة ، ففي دائرة الكلام يحترم الجميع الحقّ ، لكن في دائرة العمل يتضاءل أهل الحقّ وينحسر عددهم «أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارَهُونَ» وتعبير جميل للإمام أمير المؤمنين نفسه : «الْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاضُّعِ ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاضُّفِ» . لهذا كلّ لم تتخطّ العدالة الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان على مرّ التاريخ كلّ تخوم الشعار ، بل تحوّل هذا الشعار - أيضاً - إلى أداة لابتزاز حقوق الناس والاعتداء عليها أكثر . وعلى مدى عصور التاريخ الإسلامي بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله سنحت فرصة استثنائية واحدة لجهة استقرار العدالة الاجتماعية تمثّلت في العهد القصير الذي أمضاه الإمام عليّ في الحكم ، بيد أن الأمة لم تغتنم هذه الفرصة ، بل وقع الظلم على حكم الإمام من قبل الرعيّة ذاتها ، حتّى قال عليه السلام : «إِنْ كَانَتْ الرُّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو

حَيْفَ رُعَايَتِهَا ، فَإِنَّ يَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي» . وهكذا مضى عليّ وقد اصطحب العدالة معه ، وهذه هي مسؤوليتنا حاضراً في أن نتعلّم من أولئك ونأخذ العبرة منهم ، ونوطئ الأرضيّة المطلوبة لاستقرار العدالة الاجتماعية .

3 . تنمية الحرّيات المشروعة والبناء

تأتي الحرّية خطوة أولى في سبيل تحقيق العدالة واحترام حقوق الأمة ، بيد أنّ المراد منها هو الحرّية البناءة لا الهدّامة ، حرّية الانعتاق من أسار القيود الداخليّة (الذاتيّة) والأغلال الخارجيّة . هذه الحرّية هي نفسها التي دعا القرآن إليها النَّاسُ ، في قوله سبحانه : «وَيَصْغُ عَنْهُمْ إصرَهُمْ وَالْأَعْلَلُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» . وهي ذاتها التي عنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعدّها بمنزلة فلسفة بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وهو يقول : «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ عِبَادِهِ إِلَى عِبَادَتِهِ ... وَمِنْ وَلايَةِ عِبَادِهِ إِلَى وَلايَتِهِ» . في المنهج العلوي النَّاسُ أحرار بأجمعهم ولا يسوغ أن يكونوا عبيد غيرهم ، وأنّ ما يجرّ الإنسان إلى نير العبوديّة ، ويدفع الأنظمة إلى التجرّ والتسلط والطغيان ، هي الأغلال الداخليّة والعبوديّة الباطنيّة . فإذا ما أراد المجتمع الإنساني أن يرتقي ذرى الحرّية ، ويبلغ الاستقلال الحقيقي ، فيفتحّم عليه في البدء أن يحكم الارتباط بالله ، ويقوم بشروط العبوديّة لله بحسب تعبير الإمام أمير المؤمنين . إنّ شروط العبوديّة لله هي في الحقيقة قوانين الحرّية الواقعيّة للناس ، وإذا لم تدعن الإنسانيّة إلى هذه الشروط ، فستغدو حرّيتها واستقلالها الخارجي حالة مؤقتة ؛ وهي عائدة إلى العبوديّة حتماً .

4 . سياسة الرفق

تكمّن واحدة من النقاط الأساسيّة في المنهج الاجتماعي للحكم العلوي بمبدأ مداراة النَّاس ، وكيفية تعاظم المسؤولين الحكوميين مع الشعب . فعلى عكس الساسة المحترفين الَّذِينَ يسعون إلى أن يكون رضا الخاصّة ثمناً لهمضم حقوق الجماهير العريضة وسخطها ، تقوم سياسة الإمام أمير المؤمنين على مبدأ إرضاء القاعدة الشعبيّة العريضة ، ولو كان في ذلك سخط الخاصّة وعدم رضاها ، حيث يقول عليه السلام : «إِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْجِفُ يَرْضَى الْخَاصَّةُ ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُتَغَفَّرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ» . في الاتجاه إلى تحقيق سياسة الرفق وكسب رضا الجمهور ، أوصى الإمام ولاته أن يتعاملوا مع النَّاس بمودّة وعطف ، وأن تكون لهم صلة مباشرة بالشعب ، بحيث يلتقون مع أفرادهم وجهاً لوجه ، ويصغون إلى مشكلاتهم مباشرة من دون واسطة ، وأن يتحمّلوا منهم سوء الخلق ، ويصبروا على ما يبدّر منهم من سوء وتصرفات غير لائقة . كما حثّ عليه السلام ولاته أن لا يُقْطَبُوا بوجه النَّاس ولا يلقوهم بوجه مكفهرّة ، ولا يسيئوا الظنّ بهم . كما نهاهم عن التجسس فيما يتصل بدائرة الأحوال الشخصيّة ، وأن لا يدقّقوا في الذنوب التي اقترفها الأفراد بعيداً عن عيون الآخرين . من النقاط المهمّة الأخرى التي حرص الإمام على إيضاء الولاية بها لجهة سياسة الرفق بالناس ، ضرورة إدلاء الولاية بالتوضيحات اللازمة في كلّ ما يمكن أن يكون باعثاً لسوء ظنّ الشعب ، وسبباً في اتّهام الولاية بغمط حقوق الجمهور والتجاوز عليها ؛ ففي منهج الإمام لا يجوز الاستخفاف بحالة سوء الظنّ التي تبرز لدى الجمهور ، بل ينبغي للولاية والمسؤولين أن يدلّوا إلى الشعب بصدق وتواضع بدلائل أعمالهم ، ويوضّحو لهم أسباب ما أقدموا عليه .

5 . حماية المظلومين

من أجل استئصال العوامل التي تُساعد التعدّي على حقوق النَّاس ، وبغية تعميم حالة مواجهة الظالمين والمعتدين ، بادر النظام العلوي إلى تقوية ثقافة حماية المظلومين . لقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ينتهز كلّ الفرص من أجل توسعة ثقافة مكافحة الظلم ويستفيد منها لحماية المظلومين ، كما كان يحثّ النَّاس على مساعدته لإصلاح مجتمعهم ، وهو يهتف : «أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَآيْمُ اللَّهِ لَأَنْصِقَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَلَأَقُوْدَنَّ الظَّالِمَ بِخِرَامَتِهِ» . ثُمَّ قَصَصَ فِي دِفَاعِ «أَسْوَةِ الْعَدَالَةِ» عن المظلومين وحمايتهم العمليّة لهم خليقة بالقراءة ، وهي إلى ذلك مليئة بالدروس والعبر لمن يرفع شعار الاقتفاء بالإمام العظيم .

6 . تأسيس بيت القصص

لم يعرف الإسلام قبل عليّ عليه السلام هذه البادرة ، فلأوّل مرّة في التاريخ الإسلامي بادر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أثناء تولّيه السلطة ، إلى تأسيس «بيت القصص» لكي يكون موضعاً لمعالجة مشكلات النَّاس وتطلّعاتهم ؛ فمن لا يستطيع من أبناء الشعب أن يوصل مشكلته شفويّاً أو لا يرغب أن يُعبّر عنها بهذه الصيغة ، بمقدوره أن يكتب قصّته ، ويوصل قصّيته عن هذا الطريق .

7 . حفظ وحدة المجتمع وألفته

يعتقد الإمام عليّ عليه السلام أنّ الاتّحاد يضمن بقاء الدول وديمومتها ، وأنّ الفرقة عامل في سقوط الدول وزوالها . لذلك كان يقول : «لَيْسَ رَجُلٌ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةٍ أَمَّا مُحَمَّدٌ

وَأَلْفَيْهَا مِنِّي» . وحيثما كان الأمر ذا صلةٍ بشخصه كان يُغضي ويُبْخِي من أجل أن لا تتبلي الأمّة الإسلاميّة بالفرقة ؛ لأنّه عليه السلام كان يؤمن أنّ اختلاف الأمّة يستتبع انتصار أهل الباطل . لقد بلغ من حرص الإمام على وحدة كلمة الأمّة الإسلاميّة وعنايته بهذا الموضوع حدّاً أمر فيه الجهاز القضائي التابع لحكومته أن يمتنع عن العمل بالقوانين الإسلاميّة الأصلية إذا كان في ذلك ما يُثير الاختلاف ، كما سيأتي توضيح ذلك أثناء الحديث عن متركزات السياسة القضائيّة .

أصول السياسة القضائيّة

تتمثّل أصول السياسة القضائيّة للإمام بالمرتكزات التالية :

1 . اختيار الأكفأ للقضاء

يعدّ القاضي العنصر الأساسي في التنظيم القضائي من أجل إحقاق حقوق النَّاس . ومن ثمّ كلّما كان القاضي أقوى علمياً وعملياً وأخلاقياً كانت له فاعليّة أكبر في الجهاز القضائي . من هذه الوجهة ينبغي في منطق النظام العلوي اختيار الأكفأ لمنصب القضاء .

2 . تأمين الاحتياجات الاقتصاديّة للقضاة

يحظى القضاة المؤهلون في النظام العلوي بالأمن المعاشي والاقتصادي عامّة ، لكي لا تدفعهم حاجتهم إلى النَّاس للانحراف عن الحقّ ، ولئلا يزيغ الجهاز القضائي عن مساره في إصلاح المجتمع ، وينجرّ إلى الفساد .

3 . الأمن الوظيفي للقضاة

يتمتع القضاة المؤهلون في النظام العلوي بالأمن الوظيفي ، وهم على اطمئنان بأن أقرب الناس إلى الجهاز القيادي للنظام ، ليس بمقدوره أن يُعيق عملهم ويُعرق أداء مسؤوليتهم ، ويمنع من الوفاء بحقوق الناس وإحقاقها .

4 . رعاية آداب القضاء

للقضاء آداب عامّة ، وينبغي للقاضي في النظام العلوي أن يلتزم بجميع آداب القضاء سواء الواجب منها والمندوب . وقد بلغ من حرص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على رعاية هذا الجانب أنّه أوضح لقاضي في أسباب عزله عن الجهاز القضائي : «أَتَيْتُ رَأَيْتُ كَلَامَكَ يَعْلُو عَلَى كَلَامِ خَصْمِكَ» .

5 . الرقابة الدقيقة على القضاة

كان الإمام أمير المؤمنين يعدّ نفسه مسؤولاً عن صحّة عمل الجهاز القضائي وسلامته ، وحينئذ لم يكن يكتفي بلغة الموعظة وتحذير القضاة من تضییع حقوق المجتمع ، بل كان يمارس الإشراف المباشر على عمل القضاة ، بل يراقب أحكامهم أيضاً . ونظراً لما يحظى به الجهاز القضائي من موقع ممتاز في إصلاح شؤون المجتمع ، كان الإمام يحرص على ممارسة القضاء والفصل في القضايا من خلال موقع «دكّة القضاء» برغم ما عليه من مهام ومسؤوليات .

6 . وحدة الرؤية القضائية

في رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز لقضاة النظام الإسلامي اختلافهم في إصدار الأحكام ، بل لابدّ من وحدة الرؤية . أمّا المسؤولية في إيجاد هذه الوحدة

التي تنتظم أحكام الجهاز القضائي فهي تقع على عاتق القيادة .

7 . تساوي الجميع أمام القانون

في النظام العلوي يتساوى الناس جميعاً أمام القانون . ثم إنّ الجهاز القضائي بدرجة من الاستقلال ، ويحظى بمنزلة خاصّة تمكّنه من إجراء القانون على أفراد المجتمع بصيغة متساوية . فالمجتمع بجميع طبقاته سواسية أمام القاضي والجهاز القضائي ، يستوي في ذلك حتّى الإمام والقائد الذي نصب القاضي في موقعه وخوّله ممارسة القضاء . لقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خاضعاً للجهاز القضائي في حكومته برغم كلّ ما يحظى به من مكانة مرموقة على الصعيد العلمي والعملية والسياسي ، وقد حضر إلى المحكمة للإجابة عن أسئلة القاضي الذي نصبه بنفسه . وبهذا السلوك كان الإمام يدلّل عملياً على الموقع الذي يحظى به القضاء ، ويدافع عن حقوق الناس ، بالإضافة إلى أنّه يُعلّم قادة المستقبل درساً بليغاً في الخضوع أمام الجهاز القضائي .

8 . موقع مصالح النظام في إصدار الأحكام

ليس هناك شيء يمكن أن يحول دون إجراء القوانين الإسلامية الأصلية في النظام القضائي التابع للحكم العلوي ، إلّا في مواضع يؤدّي فيها القضاء بالأحكام الإسلامية الأصلية إلى فرقة الأمة الإسلامية ، ويُفضي إلى تزلزل قواعد الحكم الإسلامي نفسه . وهذه حالة خاصّة - برزت في عهد الإمام - نتيجة أوضاع سياسية واجتماعية معيّنة ، وانبنقت على أثر رؤية خاصّة حملها الناس إزاء القانون الإلهي . في مواجهة أوضاع كهذه خاطب الإمام علي عليه السلام شريحاً القاضي ، بقوله : «إقض

كما كنتَ تقضي حتّى يجتمع أمر الناس» .

أصول السياسة الأمنيّة

أولى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الجانب الأمني أهميّة فائقة ، وكان يعدّ البقعة التي تفتقد إلى الأمن أسوأ الأماكن . كما ذكرنا من الأدلة التي دفعته إلى قبول الحكم هي إيجاد الإصلاحات الأمنيّة . أمّا أصول السياسة الأمنيّة للإمام ، فهي تتمثّل بما يلي :

1 . تأسيس نظام أمني فاعل

برغم أنّ التاريخ لا يسجّل وجود مؤسسة مستقلّة في حكومة الإمام بعنوان أنّها مؤسسة أمنيّة ، إلّا أنّ ملاحظة النصوص المتفرقة ذات الصلة بالمهام الأمنيّة ،

وتأمل الأعمال التي كان يقدم عليها الإمام بالاستناد إلى ما يجتمع لديه من أخبار سرّية ، كلّ ذلك يحكي وجود تنظيمات في حكومته وظيفتها جمع الأخبار التي تتصل بالأمن الداخلي ، والاستخبارات العسكرية ، وما له صلة بعمل الولاة والأمراء . لكن ليس في أيدينا معلومات تفصيلية عن تلك التنظيمات ، التي من الممكن أنها كانت تؤلف مؤسسة واحدة أو عدّة مؤسسات أمنية .

2 . إزالة التوتر

إنّ تأمل توجيهات الإمام في مجال استصلاح الأعداء وتبديلهم إلى أصدقاء ، واعتماده مبدأ السلام الحذر مع الأعداء ، كلّ ذلك يدلّل التزام الإمام سياسة إزالة التوتر من أجل ترسيخ الأمن الداخلي للمجتمع الإسلامي .

3 . الحذر وانتهاز الفرص

إلى جوار سياسة إزالة التوتر كان الإمام يُوصي المسلمين أن لا يرتقبوا من العدو

الخير ، ولا يتوقّعوا منه النصيحة ، وكان يدعوهم إلى عدم الاستهانة بالأعداء واستصغار شأنهم ، ويحثّهم على التزام جانب الحذر خاصّة في مقابل الأعداء الذين لا يجهرون بعدائهم ، وأن يتحيّنوا الفرصة المواتية لمواجهتهم .

4 . الامتناع عن سياسة الرعب

امتنع الإمام تماماً عن التوسّل بسياسة إثارة الرعب والخوف ، والركون إلى وسائل القسوة غير القانونيّة ، في مواجهة العناصر المناوئة للأمن . كما لم يلجأ أبداً إلى مبدأ إنزال العقوبة بالمتّهمين والذين تحوم حولهم الشبهات في تكدير الجوّ العامّ ، قبل وقوع الجرم .

5 . مبدأ تطبيق القانون في مواجهة المجرمين

لم يمنع النظام العلوي اللجوء إلى ممارسة التعذيب في مواجهة المتّهمين والمظنونين وحسب ، بل منع من تعذيب المجرمين أيضاً ؛ إذ لم يكن من حقّ إنسان أن يُهين مجرماً . فإذا ما ثبت الجرم في المحكمة ينقذ بالمجرم القانون الإلهي ، وإذا حصل أحياناً وأن تخطى منقذ الحكم دائرة العقوبة المنصوصة عمداً أو سهواً يُنزل به القصاص ، كما وقع لقنبر عندما زاد في جلد مجرم ثلاثة سياط ، فما كان من المجرم إلّا أن اقتصّه بها .

6 . مداراة المعارضين ما لم يصلوا إلى تخوم التآمر

كان الإمام يلجأ إلى مبدأ العمل بالمداراة مع المعارضين السياسيين ما لم يصلوا إلى تخوم الفساد والتآمر الأمني ، وهو يؤمن أنّ سياسة الرفق بالمعارضين ومداراتهم تُخفّف من غلوائهم وتقلّل مخالفتهم . فالإمام لم يعتمد إلى مواجهة الخوارج ما داموا لم يرتكبوا قتلاً ، ولم يُخلّوا بأمن المجتمع الإسلامي ولم يجرّوه إلى الخطر ، بل

تحمل سبابهم وتجريحهم ، ولم يقطع عنهم حتّى عطاءهم من بيت المال ! أمّا في التعامل مع المتآمرين ضدّ الأمن العام فقد كان الإمام يختار الحكم بما يناسب سعة المؤامرة وعمقها . فقد كان ينفي المتآمرين حيناً ، ويحبسهم حيناً آخر ، وقد يلجأ إلى المواجهة العسكريّة والقوّة كحلّ .

أصول السياسة الحربيّة

تنطوي السياسة الحربيّة للإمام على دروس كبيرة وعيّر ، وهي جديرة بالاهتمام . وترجع هذه السياسة إلى الأصول التالية :

1 . العناية بالتدريب الحربي وتنظيم الجيش

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واحداً من أبرز القادة العسكريين تجربة . فقد أمضى عمراً في سوح القتال ، وعلاوة على ما كان يتمتّع به من قوّة وشجاعة لا نظير لهما ، فقد كان على دراية تامّة بضروب الفنون العسكريّة . لقد راح الإمام يتولّى بنفسه تدريب جيشه ، وكان قبل انطلاق المعركة يرتّب القوّات وينظّمها على نسق خاص ، وهو يكرّر على مسامعها أبرز النقاط التدريبية على هذا الصعيد . لقد حصل في أثناء الغارات التي شنّها معاوية أن ندّت بعض الأصوات بتهم الإمام أن لا علم له بالحرب ! فكان ممّا أجاب به وهو يشكو أصحابه ، قوله عليه السلام : «وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان ؛ حتّى لقد قالت قُرَيْشُ : إنّ ابنَ أبي طالبٍ رجلٌ شجاعٌ ، ولكن لا علمَ له بالحرب . لله أبوهُم ! وهل أخذَ منهمُ أشدُّ لها مِرَاساً ، وأقدّمَ فيها مقاماً مِنّي ! لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العِشرينَ ، وها أنذا قد دَرَفْتُ عَلَى السَّيِّئِينَ ، ولكن لا رأيَ لِمَن لا يُطاع !» . [1]

لم يكن الإمام يغفل في تدريب المقاتلين على ضروب الفنون العسكرية أدقّ النقاط وأصغرّها ، من قبيل عدم الانفصال عن السلاح في المعركة ، استثمار الفرص المناسبة لإنزال الضربة بالعدو ، طبيعة النظرة إلى قوّة العدو وكيفية ممارسة الانسحاب التكتيكي .

2 . تأسيس القوّات الخاصّة

واحدة من المعالم البارزة في سياسة الإمام الحربية تأسيسه قوّات خاصّة عرفت باسم «شُرطة الخميس [1]» أو ما يعبر عنه اليوم بـ «الفدائيين» . لقد انضمت إلى «شُرطة الخميس» أوفى القوات للإمام وأكثرها إخلاصاً واستعداداً للتضحية والفداء ؛ فقد كانت هذه القوّات تتحلّى بكفاءة ممتازة ، ويستفيد منها الإمام في المهمّات الخاصّة . لقد خاطب الإمام هذه القوّات في واحدة من خطبه ، بقوله عليه السلام : «أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْجَنُّ [2] يَوْمَ النَّاسِ ، وَالْإِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ ، يَكُمُ أَضْرِبُ الْمُدِيرِ ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقِيلِ ، فَأَعِينُونِي بِمُناصَحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْعَشْرِ ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّبِّ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ» . [3] ويمكن مقارنة «شُرطة الخميس» في إطار الثقافة المعاصرة بمصطلح

[1] الشُرطة (يسكون الرءاء وفتحها) : الجُنْد ، والجمع شُرَط ؛ وهم أعوان السلطان والولاة ، وأول كتيبة تشهد الحرب ، وتتهيأ للموت ، سُمّوا بذلك لأنّهم جعلوا لأنفسهم علامات يُعرفون بها للأعداء (مجمع البحرين : ج 2 ص 942) والمراد هنا نُحْبَهُ وأصحابه عليه السلام المتقدّمين على غيرهم من الجند . والخميس : الجيش ، سُمّي به لأنّه مقسوم بخمسة أقسام : المقدّمة والسابقة والميمنة والميسرة والقلب . وقيل : لأنّه تُخْمَس فيه الغنائم (النهاية : ج 2 ص 79) .

[2] الجُنن : جمع جُنّة ؛ ما استنرت به من سلاح (الصحاح : ج 5 ص 2094) .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 118 .

«الأصوليين» وحالة «حزب الله» التي تتمتع بالعقلانيّة والخبرة والكفاءة ، وهي تقف إلى جوار الإمام . فلقد كان لهذه «القوّات» القدرة على النقد البناء في اللحظة المطلوبة ، كما كانت وفيّة للإمام ، ثابتة على ولائه في أحلك الأوضاع التي مرّ بها الحكم العلوي . أمّا سبب تسمية هذه القوّة بـ «شُرطة الخميس» فلعلامات خاصّة كانوا يُعرفون بها ، أو لعهدٍ خاص أبرموه مع الإمام ، حيث سنل الأصعب بن نباتة : كيف تسمّيت شُرطة الخميس يا أصعب ؟ قال : «لأنّنا ضمنا له الذبح ، وضمن لنا الفتح» يعني أمير المؤمنين عليه السلام . {-4-}

3 . تقوية البنية المعنويّة

حرص الإمام على أن يولي القدرة النفسية وما تحظى به القوات المسلّحة من قوّة في البنية المعنويّة وروح تضحيّة عالية ؛ أهميّة استثنائية فائقة . وعلى هذا الأساس سعى الإمام للإفادة من أيّ طريق ممكن في تعزيز الروح المعنويّة للقوّات المسلّحة في مواجهة العدو . لقد راح الإمام يبتّ روح الإثارة والتضحية في القوّات المقاتلة ويلهب فيها روح الحماس والاستعداد لاستقبال الشهادة ، من خلال الخطب النارية ، والشعارات المؤثّرة ، وعبر الترغيب بالحياة ما بعد الموت ، والاستمداد من الله والاستعانة بالذكر والدعاء . بيد أنّ ما يثير الانتباه على هذا الصعيد ، ويدخل في عداد العناصر المهمّة ، توظيف الإمام عنصر «الإيحاء والتلقين» في تقوية الجانب النفسي للمجاهدين ؛ فمن خلال تربية ابنه محمّد عبر هذا البعد ، يصف الإمام تجربته الشخصية لولده ،

[1] مجمع البحرين : ج 2 ص 942 .

بقوله : «إِنِّي لَمْ أَلَقْ أَحَدًا إِلَّا حَدَّثَنِي نَفْسِي بِقَتْلِهِ ، فَحَدَّثَتْ نَفْسَكَ - يَعُونَ اللَّهُ - بِظُهُورِكَ عَلَيْهِمْ» . وبالعكس ، تُعدّ عمليّة تلقين النفس بالضعف والإيحاء لها بالخوف واحدة من موجبات الهزيمة أمام العدو ، وفي هذا المضمار يقول الإمام في جواب من سأله : يَا أَيُّ شَيْءٍ غَلَبَتْ الْأَقْرَانَ ؟ : «ما لَقِيتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِي» . [1] لقد تمثّلت واحدة أخرى من وسائل تعزيز الحالة النفسية للمجاهدين في نطاق النهج الحربي للنظام العلوي ، بتحذير هؤلاء من العواقب الدنيويّة والأخرويّة الخطيرة التي قد تترتب على إدبارهم عن العدو ، وفرارهم من الجبهات . من النقاط الأخر التي تبرز في هذا المضمار تأكيد الإمام على كتمان الأمور التي يُفضي فشوها إلى تضعيف روح المقاومة .

4 . الحيلة في الحرب

ذكرنا فيما سلف أنّه لا مكان للحيلة والخداع في سياسة الإمام الإداريّة . وفي هذا المعنى يكمن الفارق الأساسي والأكثر أهميّة بين المنهجين العلوي والأموي . لكن ينبغي أنّ ننسب إلى أنّ هذا النهج العامّ يسجّل استثناءً واحداً يتمثّل بموقع الحيلة في الحرب . ففي الوقت الذي يعارض الإمام بقوة استخدام

الحيلة والتوسّل بالخداع في غير الحرب ، يجيز ذلك في الحرب ، بل ويوصي به ، ويُعدّ نفسه في طليعة المختصّين بهذا المبدأ في مضمار الحرب ، ويقول : «كُنْ فِي الْحَرْبِ يَحِيلَتِكَ أَوْتَى مِنْكَ

[1] نهج البلاغة : الحكمة 318 .

يَشْدَتْكَ» .

5 . أخلاق الحرب

تتمثّل واحدة من النقاط الغنيّة بالدروس في السياسة الحربيّة للنظام العلوي ، بموضوع أخلاق الحرب ، حيث يمكن إجمال أصول الأخلاق الحربيّة من المنظار العلوي ، بالنقاط التالية :

أ - تجنّب الحرب وعدم البدء بالقتال

تأتي هذه السياسة تأكيداً على جنوح الإسلام العلوي إلى السلم ومناهضة النزعة الحربيّة . ففي جميع الحروب التي اندلعت على عهد الإمام أمير المؤمنين ، كان عليه السلام ينهي جيشه عن مبادأة القوم بالقتال ، ويوصيه بعدم مباشرة القتال حتّى يبدأ العدوّ بذلك . عن جنّاب الأُردي أنّه قال : إنّ عليّاً كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا فيه معه عدوّاً ، فيقول : «لَا تُقَاتِلُوا الْقَوْمَ حَتَّى يَبْدُوَكُمْ ؛ فَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُوَكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ» .

ب - عدم الدعوة إلى المبارزة

في اتّجاه ترسيخ سياسة مناهضة النزعة الحربيّة ، كان الإمام ينهي المقاتلين معه عن الدعوة إلى المبارزة ، أمّا إذا دعا إليها العدوّ فتلزم إجابته .

ج - الحصانة السياسيّة للرّسل العدوّ

تتمثّل واحدة من مبادئ السياسة الدوليّة للإسلام بمبدأ الحصانة السياسيّة لممثّلي البلدان الأجنبيّة ، ولرّسل العدوّ أيضاً . لقد كان الإمام عليّ عليه السلام يحثّ جيشه على التزام هذا النهج بشكل جدّي ، ويدعوهم إلى التلبّث في الموارد المشكوكة ، فإذا ما



کتابخانه مدرسه فقهات ، کتابخانه ای رایگان برای مستند سازی مفاهیم دینی .
برای آشنایی و استفاده بیشتر به نشانی lib.eShia.ir مراجعه فرمایید .

ادّعى إنسان أنّه من رسل العدوّ ، لا تسوغ مواجهته قبل إنجاز التحريات الكافية .

د - إقامة الحجّة قبل بدء القتال

لقد بلغ من عناية الإمام بالتنوعية وإنارة البصائر ، والحرص على عدم سفك الدماء ، أنّه لم يكن يُضيع أيّة فرصة تسنح لهداية العدوّ ، بل كان يمارس الهداية حتّى في ساحة القتال وبين الجيشين وهما على وشك الالتحام ، ويُقيم الحجّة مكرّراً على العدوّ .

ه - الدعاء أثناء القتال

عندما يكون الجيش العلوي مستعدّاً للالتحام مع العدوّ ، وبعد إقامة الحجّة وقبل الشروع بالقتال ، يلجأ الإمام إلى الدعاء وذكر الله لكي يستمدّ العون منه ، وحتّى يكون الجهاد مقدّمة لحبّ الله والاقتراب إليه أكثر ، ووسيلة لتحقيق الأهداف والقيم الإنسانيّة .

و - الشروع في القتال عند الزوال

كان الإمام أمير المؤمنين يسعى أن لا يقاتل حتّى تزول الشمس ؛ فإنّه أقرب إلى الليل ، ومن ثمّ فهو ادّعى إلى انتهاء القتال سريعاً ، وأجدر أن يقلّ القتال ، ويرجع الطالب ، ويفلت المنهزم .

ز - الإحسان إلى فلول العدوّ

كان الإمام يأمر جيشه بحسن السيرة مع الجيش المهزوم ويحثّهم على الرفق بالأسرى ومن بقي منه بالأخصّ النساء . فقد كان من وصاياه لمقاتليه أن لا يتبعوا مدبراً ، ولا يجهزوا على جريح ، ولا يدخلوا داراً ، ولا يأخذوا من أموال النّاس شيئاً إلّا ما وجدوه في عسكر القوم ، ولا يعرضوا إلى النساء ولا يهيجوهن بأذى وإن شتمن الأعراض وسببن الأمراء والصلحاء .

أصول السياسة العالميّة

مرّت - في الفقرات السابقة - إشارات إلى أصول سياسة الإمام عليّ عليه السلام في مختلف المضامير الإداريّة ومرافق البلاد . وما نقصده من السياسة العالميّة للإمام - في هذه الفقرة - هو توظيف تعاليمه والإفادة ممّا رسمه من توجيهات ، ممّا يعدّ ضرورياً لإدارة البلاد واستقرار الاجتماع السياسي بغضّ النظر عن أيّ عقيدة واتجاه . ومعنى ذلك تحديداً ، أنّ التوجيهات السياسيّة والاجتماعيّة هذه هي ممّا تقتضيه الفطرة وبمليه العقل السليم ؛ فيمقدور كلّ إنسان أن يشهد بصحّة هذه المنطلقات السياسيّة والاجتماعيّة العلويّة في مضمار إدارة البلد وتوجيه الاجتماع السياسي ، ويتأكّد من سلامتها بمحض احتكامه إلى وجدانه ، ورجوعه إلى التاريخ ، وبغضّ النظر عن معتقده الديني مهما كان . لقد توفّر الفصل العاشر على تصنيف سياسة الإمام وما وضعه من قواعد عامّة ومنطلقات عالميّة على صعيد إدارة البلد والاجتماع السياسي ، إلى ثلاثة أقسام ، هي :

المجموعة الأولى : القواعد التي تضمن بقاء الدول

تتضمّن هذه المجموعة جملة القواعد التي يعدّ الالتزام بها ضرورياً لبقاء الدول ودوامها ، مثل السعي الحثيث لترسيخ العدالة الاجتماعيّة ، والاستناد إلى حسن التدبير في إدارة شؤون الاجتماع السياسي ، وإلى الرفق في التعامل مع النّاس ، بالإضافة إلى توخّي الحذر في الدفاع عن الحرّية ، وتأمين الاستقلال والعزّة ، وكلّ ما له صلة بالحقوق الفرديّة والاجتماعيّة للشعب .

المجموعة الثانية : القواعد التي تجرّ إلى زوال الدول

وهي تتضمّن جملة من القواعد والسياسات التي وإن كان اللجوء إليها يمكن أن

يكون فاعلاً على المدى القصير ، إلّا أنّها تجرّ في نهاية المطاف إلى زوال الحكم ، مثل التعدي على حقوق الناس ، وسفك الدماء ، والركون إلى سوء التدبير في إدارة الأمور ، والاستئثار وتقديم المسؤولين عن النظام لمصالحهم الذاتية ومصالح من يحيط بهم على الآخرين ، والتفريط بقواعد الحاكمية وأصولها ، وانجرار مسؤولي النظام إلى الأمور النافهة ، وإناطة المسؤولية لغير المؤهلين في مقابل إقصاء الأكفاء .

المجموعة الثالثة : المنطلقات الفاعلة في العلاقات الدولية

وهذه تشمل التوجيهات التي صدرت عن الإمام عليه السلام في مجال العلاقات الدولية ، مثل الإقرار للآخرين بحقوق إنسانية نظير ما يتمتع به الإنسان المسلم من حقوق على هذا الصعيد ؛ ضرورة التمسك بمبدأ العزة في إقامة العلاقات مع الآخرين ، والاهتمام بسياسة إزالة التوتر مع سائر البلدان ، والوفاء بالمعاهدات والمواثيق ، والتزام جانب الأمانة في حفظ حقوق الآخرين ، واستثمار ما تحظى به البلدان الأجنبية من علوم وفنون مع الحفاظ في الوقت ذاته على الاستقلال الثقافي وعدم الذوبان في ثقافة الآخر . وبالإضافة إلى هذه المجموعات الثلاث ، فقد عُرف عن الإمام في مضمار العلاقات الدولية ، عناصر أخرى بالغة الأهمية ، وتنطوي على قيمة تعليمية فائقة ، مثبتة في الثنايا . [1]

استخلاص

ما تمّ استعراضه حتّى اللحظة من خلاصات مكثفة حيال الأصول السياسية للإمام عليّ عليه السلام في مجال الإدارة العامة والاجتماع السياسي - ممّا سيأتي تفصيله - يكشف

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ج 4 ص 336 (النوادر) .

بجلاء أنّ السياسة في منظار الإمام أمير المؤمنين هي أداة للحكم على أساس الحقوق والاحتياجات الواقعية للناس ، وليست أداة لترسيخ سلطة الأفياء والمعتدين على حقوق الشعب . على ضوء تلك الأصول وهذا الاستخلاص يمكن الإجابة بسهولة على ما يُثار من انتقادات حول كفاءة الإمام وأهليّته السياسية .

دفاع عام عن كفاءة الإمام السياسية (3) إنّ من ينظر إلى السياسة بوصفها أداة للتسلّط على الأمّة ، وليست مجرد وسيلة للحكم على أساس الحقوق العامة للأمّة واحتياجاتها الواقعية ، يظنّ أن بعض المواقف السياسية للإمام هي دليل عدم تأهّله السياسي وعدم كفاءته في هذا المجال ، ويزعم أنّ عليّاً رجل حرب وشجاعة ، وليس رجل سياسة ! من المواضع التي تُغري هؤلاء بهذا الوهم بعض مواقف الإمام قبل بلوغه السلطة ، مثل موقفه في عمل الشورى السداسية التي انتخبها عمر لتعيين الخليفة من بعده ، وعدد آخر من مواقفه السياسية بعد تسنّمه الحكم ، كعزله معاوية بداية خلافته . فلو كان الإمام رجل سياسة - في منطق هؤلاء - لاستجاب إلى شرط عبد الرحمن بن عوف عندما اشترط لبيعته أن يعمل الإمام بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر ، ولا يضيق الفرصة التي واثته لتسنّم الخلافة ، حتّى إذا ما استقرّت قواعد حكمه عمل بما يريد . ولأهل تزيّ أن عثمان الذي قبل شرط عبد الرحمن هذا قد وقّى به ! يُضيف هؤلاء : ولو أنّ عليّاً كان رجل سياسة لداهن خصومه بداية عهده بالحكم ، بالأخصّ طلحة والزبير ومعاوية ، واستجاب لرغائبهم مؤقتاً ، حتّى إذا ما استقرّ حكمه بادر لمواجهتهم والقضاء عليهم .

ليست قليلة مثل هذه المواقف في حياة الإمام السياسية ، حيث حال إصراره على التمسك بالقيم الأخلاقية والإسلامية دون وصوله إلى السلطة ، أو أدّى إلى تضعيف قواعد حكمه . يكتب ابن أبي الحديد في هذا المضمار : «واعلم أنّ قوماً ممّن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام ، زعموا أنّ عمر كان أسوس منه ، وإن كان هو أعلم من عمر ، ثم زعم أعداؤه ومباغضوه أنّ معاوية كان أسوس منه وأصحّ تدبيراً» . [1] لكي لا يطول البحث أكثر ، نكل الجواب التفصيلي عمّا أثير من نقديّ حيال مواضع خاصّة من سياسة الإمام إلى موضعه المناسب ، لنكتفي في هذا المجال بجواب عامّ يعالج جميع الانتقادات التي أثيرت حول منهجه أو التي يمكن أن تُثار . وجوهر هذا الجواب : أنّنا إذا أخذنا السياسة بمعنى أداة لحكم القلوب ، أو أنّها وسيلة لممارسة الحكم على أساس حقوق الناس والاحتياجات الواقعية للمجتمع ؛ فإنّ عليّاً هو أعظم رجل سياسة في التاريخ بعد النبي صلى الله عليه و آله . أمّا إذا كانت السياسة بمعنى

الوصول إلى الحكم وفرض السلطة على المجتمع بأيّ طريق ممكن ، فإنّ عليّاً عليه السلام ليس رجل سياسة أصلاً . بديهي ، لا يعني ذلك أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يعرف السياسة بهذا المعنى ، إنّما معناه أنّ التزامه بالأحكام الإلهيّة ؛ وتمسّكه بالقيم الأخلاقيّة أثنيّه أن يكون سياسياً بهذا المعنى ، وإلاّ فإنّ الإمام كان أعرف النّاس بالأعيب السياسيّة وحيلها اللامشروعة من أجل فرض السلطة ، كيف لا ، وهو الذي يقول : «لولا أنّ المكر والخديعة في التّاريخ لَكُنْتُ أَمَكَّرَ النَّاسِ» .

[1] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 212 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 69 .

[3] راجع : شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 214 و ص 222 .

كما يقول : «هَيَّاهُ ، لَوْلا التَّقَى لَكُنْتُ أَدَهَى الْعَرَبِ» . وقوله عليه السلام : «وَاللّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدَهَى مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ ، وَلَوْلا كَرَاهِيَةُ الْعَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدَهَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . إنّّه عليه السلام لعلّى دراية بأيّ مكر سياسي يستطيع أن يحبس الأنفاس في الصدور ، كما بمقدوره أن يلجأ إلى سياسة الترغيب والتهديد والتجاوز على حقوق عامّة النّاس ليقضي على ضروب المعارضة والعصيان الداخلي ، بيد أنّ التزامه يُثنيّه عن ذلك ، وتربّأ به قيمه الإسلاميّة والإنسانيّة من الجنوح إلى هذا المنحدر ، ونعصمه عن التوسّل بالوسائل غير المشروعة . ولطالما كرّر - صلوات الله وسلامه عليه - قوله : «إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ ، وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي» . [1] يُشير الإمام في هذا الكلام إلى تلك السياسات والوسائل الفاعلة على صعيد فرض الحكم التسلّطي على المجتمع ، بيد أنّه لا يستطيع أن يلجأ إليها ، لأنّها تنتهي إلى ثمن باهض هو فساد السياسي نفسه ! أجل ، إنّّه الإصلاح الذي يكون ثمنه فساد المصلح ! وهذا الكلام لأمر المؤمنين يعلن أنّ حركة الإصلاح قد تنتهي أحياناً إلى فساد المصلح . ومن ثمّ فإنّ أصول المنهج السياسي العلوي لا تسمح لحكم الإمام أن يلجأ إلى ممارسة ذلك النمط من الإصلاحات القائم على مرتكزات غير مشروعة ، مثل الإصلاح الاقتصادي الذي يكون ثمنه التضحية بالعدالة الاجتماعيّة ، ممّا هو سائد في العالم المعاصر . إنّ الإمام عليّاً عليه السلام يعرف جيّداً كيف يخدع المعارضين الأقوياء ذوي النفوذ السياسي الهائل ، ويُغريهم بأنّ مصالحهم سوف تتأمّن في إطار حكمه ، ثمّ يعتمد إلى

[1] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 212 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 69 .

[3] راجع : شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 214 و ص 222 .

استيصالهم والقضاء عليهم تدريجياً ، كما يعرف أيضاً كيف يخدع الشعب ، ويُغريه بأنّ حقوقه الواقعيّة سوف تتأمّن ، وأنّه سوف يحترم القيم الإسلاميّة ، على حين ينهج في العمل سبيلاً آخر ، ليرسّخ بذلك قواعد حكمه ويحافظ على استقراره . ولو أنّ ذلك قد حصل ، لما كان عليّ بن أبي طالب عندئذٍ ، هو عليّ بن أبي طالب ، بل لكان رجل سياسة محترف مثله كمثّل بقيّة السياسيّين المحترفين في التاريخ ، له أسوة بهم وهم يتخذون السياسة أداة لفرض السلطة على النّاس ، لا أن تكون وسيلة لإقامة الحقّ وتأمين حقوق المجتمع . لم يكن لحركة الإصلاح العلوي من هدف سوى إحياء منهج الحكم النبوي ، ومن ثمّ لم يكن بمقدورها أن تتحرّك على أسس غير مبدئيّة ، مناهضة للقيم والدين وكلّ ما هو غير إنساني . من هذا المنطلق راحت هذه الحركة الإصلاحيّة تواجه ذات العقبات والمشكلات التي اصطدم بها الحكم النبوي . [1] لكن الإمام استطاع من خلال تحمله كافّة المشكلات ، أن يُعيد في التاريخ الإسلامي - ولمرة أخرى - المعالم الوضّاء لمنهج الحكم النبوي ، وأن يُعلّم الآخرين ممّن يأتي في المستقبل منهج حكومة القلوب . لكن ينبثق هنا سؤال أساسي ، فحواه : إذا كان النهج الذي اختاره الإمام لإدارة الاجتماع السياسي ممكناً وعملياً من خلال الأصول التي مرّت الإشارة إليها ، فلماذا راحت أكثرية النّاس تبتعد عن رجل سياسة كعليّ نهض بتنفيذ هذا المنهج ، مع أنّه عليه السلام كان قد وصل إلى السلطة بحماية عامّة من الجمهور نفسه عبر عمليّة انتخابيّة حرّة ؟ ولماذا انقضّت عنه بعد مرور مدّة قصيرة على حكمه ، بحيث أمضى الأشهر الأخيرة من حياته وحيداً فريداً ؟

[1] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 212 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 69 .

[3] راجع : شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 214 و ص 222 .

يمكن القول إجمالاً في جواب هذا السؤال بأنّ ابتعاد النَّاس عن الإمام وبقاءه وحيداً ، ليس دليلاً على خطأ هذا النهج وعدم صحّته . بل ثَمّ لذلك دلائل أخرى سنأتي تفصيلاً نهاية القسم السابع من هذه الموسوعة ، المخصّص لمصير الإمام وما آل إليه من غربة موجعة .

الفصل الأوّل: بيعة النور

أ - تاريخُ بيعة الإمام عليه السلام

اختلف المؤرّخون وكتّاب السيرة في تعيين التاريخ الدقيق لبيعة النَّاس للإمام عليه السلام ، فقال البعض : إنّها حصلت في اليوم الَّذي قُتل فيه عثمان [1]. وقال آخرون : إنّها وقعت بعد قتل عثمان بفترة ؛ واختلفوا في تحديدها بين اليوم الواحد والخمسة أيّام . [2] فورد في بعض المصادر التاريخية : «بُيعَ عَلِيٌّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِخَمْسِيْنَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَالنَّاسُ يَحْسِبُونَ مِنْ يَوْمِ قَتْلِ عُثْمَانَ» . [3] لكن نقل الطبري عن أبي المليلح [4] ونقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الإسكافي [5] ، كما جاء في تاريخ دمشق وتذكرة الخواص [6] ، أنّ بيعة النَّاس كانت يوم

[1] الاستيعاب : ج3 ص217 الرقم 1875 .

[2] ذكر في بعض المصادر أنّ بيعة الإمام عليه السلام بعد يوم واحد من قتل عثمان ، مثل : أنساب الأشراف : ج 3 ص 7 . وبعضها ذكرت إنّها حدثت بعد ثلاثة أيّام ، مثل : المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 123 ح 4594 والأخبار الطوال : ص 140 . وبعضها ذكرت أنّها بعد أربعة أيّام ، أو خمسة أيّام مثل: المستدرک على الصحيحين: ج 3 ص 123 ح 4594 .

[3] تاريخ الطبري: ج4 ص436 .

[4] تاريخ الطبري : ج4 ص428 .

[5] شرح نهج البلاغة : ج7 ص36 .

[6] تاريخ دمشق : ج42 ص437 ، تذكرة الخواص : ص 56 .

الثامن عشر من ذي الحجة سنة (35 هـ) . والَّذي نراه هو أنّ القول الثاني أقرب إلى الواقع ؛ حيث أنّه يلائم القول باتّحاد تاريخ قتل عثمان - الَّذي هو 18 ذي الحجة على أصحّ الأقوال [1] . مع تاريخ بيعة الإمام ، مضافاً إلى تصريح المصادر السابقة بذلك . ومن جهةٍ أخرى إذا لاحظنا الشرائط السياسيّة الحاكمية على المجتمع الإسلامي آنذاك ، ولاحظنا شخصيّة الإمام العديمة النظير ، فإنّه يبعد - غاية البُعد - وقوع فاصل زمني بين قتل عثمان وتعيين القائد الجديد للأمة .

ب - حُرِيَّةُ النَّاسِ فِي انْتِخَابِ الإمام عليه السلام

186.الإمام عليّ عليه السلام - في كتابه إلى أهل الكوفةِ عِنْدَ مَسِيرِهِ م: بِإِعْيَانِ النَّاسِ غَيْرِ مُسْتَكْرَهِينَ ، وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ . [2]

ج - كَرَاهَةُ الإمام عليه السلام لِلْخُكُومَةِ

187.الإمام عليّ عليه السلام - فِي خُطْبَتِهِ بَعْدَ التَّبِعَةِ :- أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَارِهَا لِهَذِهِ الْوِلَايَةِ - يَعْلَمُ اللَّهُ فِي سَمَاوَاتِهِ وَفَوْقَ عَرْشِهِ - عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعْتُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَدَخَلْتُ فِيهِ . [3]

[1] الاستيعاب : ج3 ص217 الرقم 1875 .

[2] ذكر في بعض المصادر أنّ بيعة الإمام عليه السلام بعد يوم واحد من قتل عثمان ، مثل : أنساب الأشراف : ج 3 ص 7 . وبعضها ذكرت إنّها حدثت بعد ثلاثة أيّام ، مثل : المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 123 ح 4594 والأخبار الطوال : ص 140 . وبعضها ذكرت أنّها بعد أربعة أيّام ، أو خمسة أيّام مثل: المستدرک على الصحيحين: ج 3 ص 123 ح 4594 .

[3] تاريخ الطبري: ج4 ص436 .

[4] تاريخ الطبري : ج4 ص428 .

[5] شرح نهج البلاغة : ج7 ص36 .

[6] تاريخ دمشق : ج 42 ص 437 ، تذكرة الخواص : ص 56 .

[7] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 1 ص 480 ح 778 .

[8] نهج البلاغة : الكتاب 1 .

[9] الأمالي للطوسي : ص 728 ح 1530 .

نظر تحليلي حول أسباب كراهة الإمام لقبول الحكومة

كانت الثورة على عثمان - بسبب ممارساته في الحكم - عامّة شاملة ، وقد أفضى شمول الثورة وتطلّع الناس إلى شخصيّة بارزة للخلافة إلى أن تكون مقدّرات الخلافة خارجة من قبضة التيارات المتباينة ؛ أي أنّ الناس أنفسهم كانوا أصحاب القرار في اختيار القائد السياسي. وكانت القلوب بأسرها يومئذٍ تتشوّف إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحده بلا أدنى تردد، فقد كان أكفأ إنسان لخلافة النبي صلى الله عليه وآله ، وها هو اسمه تردّد الألسن وإن زوي مدّة دامت خمسا وعشرين سنة. وكان الإقبال الشعبي العامّ إليه بنحو لم يتسنّ لأحد أن يخالفه فيه قط . من هنا شعر مدّعو الخلافة - الذين كانوا يزعمون أنّهم ناطقون باسمه عليه السلام ، وكانوا معه في الشورى السداسيّة - أنّ الحنكة السياسيّة تتطلب المبادرة إلى بيعته والسبق إليها. وكانت الأمواج البشريّة العارمة تنثال عليه من كلّ جانب لبيعته، بيد أنّه عليه السلام وقف بحزم وصرامة ورفض البيعة، وطلب من الناس أن يدعوه ويلتمسوا غيره، وقال لهم: «أنا لكم وزيراً خيراً لكم منّي أميراً». ومن العجيب أنّ الرجل الذي كان يرى نفسه الخليفة المباشر للنبي صلى الله عليه وآله ، وما برح يعرض ظلامته ويتحدّث عن أهليّته وجدارته للخلافة خلال المدّة الطويلة لإزوانه

كلّما اقتضى المقام منه ذلك، وكان يصرخ من وحي الحرقة والألم ومن أعماق قلبه متأوها لاستلاب حقّه، وزحزحة الحقّ عن مكانه... ها هو الآن يرفض البيعة ، وقد انثال عليه الناس انثيالاً عجيباً مدهشاً ، مقبلين عليه بقلوبهم وأرواحهم وبكلّ وجودهم، راضين به خليفة لهم، مؤكّدين تصديّه لحكومتهم في انتخاب حرّ مباشر! فما له يكره ذلك ، ويرغب عن قبول هذه المهمّة؛ معلناً ذلك بصراحة؟! ولماذا وقف الإمام عليه السلام هذا الموقف؟ هل رغب عنها حقاً لنفسه ورّجّح لها شخصاً آخر أم أنّه أراد بموقفه هذا أن يعبر مثلاً عن شيء من المعاملة السياسيّة - ومثله لا يجمال - من أجل أن يسترعي انتباه الناس أكثر فأكثر ، أو كان لموقفه الثنائي هذا مسوّغ أو مسوّغات أخرى لا نعرفها؟! والواقع أنّ معرفة - ولو يسيرة - بسيرته وأسلوبه وبصيرته ونهجه عليه السلام لا تدع مجالاً للشكّ في أنّه كان بعيداً عن المجاملات السياسيّة، نافراً من نفس الحكومة بما هي حكومة. فهو لم يكن طالب حكم وتسلّط على الناس ؛ إذ الخلافة عنده أداة لإحقاق الحقّ، وبسط العدل، وإقامة القسط، فهل كانت الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة آنذاك مهيةً لتحقيق الأهداف المذكورة؟ كلا، إنّ مثل هذه الظروف لم تكن مهية؛ فالتقلّبات السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة، والتغيّرات الروحيّة والفكريّة التي حدثت بعد خمس وعشرين سنة قد استتبعَت تغيّر الصحابة ورفاق الدرب أيضاً بأفكار مغايرة، ومعايير مابينة، ومقاييس أخرى للحياة... إنّ الجيل الجديد - والذين يقفون على رأس المواقع السياسيّة في هذه الفترة المتأخّرة - إنّما يعيشون في ظروف يجهلون فيها معايير الدين وموازينه الراسخة،

ولا يَعمون طبيعة عصر الرسالة والسيرة النبويّة، ولا يعرفون عليّاً عليه السلام ومنزلته الرفيعة في الدين ودوره وشأنه العظيمين معرفةً صحيحةً. فما مرّ على الدين خلال ربع قرن، وما ابتدئ من تفسيرات وتأويلات للنصوص الدينيّة، وما ظهر من تغييرات في الأحكام، خاصّة في عهد الخليفة الثالث، كلّ ذلك جعل مبادئ الدين ومقاييسه الصحيحة وأحكامه السديدة غريبة على الناس ، وهو الذي سوّغ للأمة ثورتها على عثمان ؛ فقد كان الثوّار يقولون في عثمان: «أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب» [1]. وحيث كان يُشتكى من مقتل وسرّ الثورة عليه، يقولون: لأحداثه [2]. هذه كلّها رسمت صورة في الأذهان وأجرت على الألسن صعوبة العمل على أساس الكتاب والسنة بعيداً عن المجاملات والمداهنات. وكان الإمام عليه السلام يعلم علم اليقين أنّ إرجاع المياه إلى مجاريها يُثير عليه الفتن، وأنّ تطبيق الحقّ يُنهض أصحاب الباطل المعاندين للحقّ. من هنا كان عليه السلام يرفض البيعة ، ويؤكّد رفضه ؛ كي تتمّ الحجّة على المخالفين في المستقبل. وفي إحدى المناسبات قال عليه السلام : «دعوني والتمسوا غيري ؛ فإنّا مُستقبلون أمراً لهُ وجوه وألوان ، لا تقوم لهُ القلوب ، ولا تثبتُ عليّ العقول . وإنّ الآفاق قد أعامت ، والمَحجّة قد تنكرت . وإعلموا أنّي إن أحببْتُكم رَكِبْتُ بِكُمْ ما أعلم ، ولم أصغِ إلى قولِ القائل ، وعتبِ العائِب ، وإن تَرَكتُموني قاتاً كأحدِكُم ، ولعلّي أسمعُكم وأطوِّعُكم لِمَن وليَّتموه أمرُكم ، وأنا لَكُمْ وزيراً خيراً لكم منّي أميراً» [3].

إِنَّهُ لَكَلَامٌ بَلِغٌ ، كَلَامٌ مَعْبَرٌ ، وَذُو مَغْزَى . إِنَّ مَا نَسْتَقْبِلُهُ أَمْرٌ ذُو أَلْوَانٍ شَتَّى ، وَلَهُ وَجُوهُ وَأَشْكَالٌ مُتَبَايِنَةٌ . . . نَسْتَقْبِلُ أُمُوجًا تَبْدَأُ بَعْدَهَا الْعَوَاصِفُ وَالْأَعَاصِيرُ ، وَالْعَدْلُ الَّذِي أُصِرَّ عَلَيْهِ يَسْتَتِيعُ صِيحَاتٍ تَعْلُو ، وَصَرَخَاتٍ تَتَصَاعَدُ هُنَا وَهَنَّاكَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ أَنْ تَتَمَهَّدَ الْأَرْضِيَّةُ ، وَيُضَعَ لِلنَّاسِ مَعَايِيرُ التَّعَامُلِ وَمُقَايِيسُهُ ، وَيُعِيدَ الْكَلَامَ حَوْلَ الْخُطُوطِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْحُكُومَةِ ، وَيَسْتَبِينَ الْمُسْتَقْبِلَ لِيُخْتَارَ النَّاسُ سَبِيلَهُمْ بِوَعْيٍ ، وَيَتَّخِذُوا مَوْقِفَهُمْ عَنْ بَصِيرَةٍ . فِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَعْدَ امْتِنَاعِهِ وَرَفْضِهِ فِي الْخُطْبَةِ الْمَذْكُورَةِ وَفِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى : 1 . تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ عَاشِقٍ لِلرَّئَاسَةِ وَلَيْسَ مِنْ طَلَّابِهَا ؛ فَإِذَا تَحَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَتَأَوَّهَ مِمَّا حَدَثَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأكَّدَ زَعَامَتَهُ وَإِمَامَتَهُ ، فَذَلِكَ كُلُّهُ لَتَوْضِيحِ الْحَقَائِقِ ، وَتَأْكِيدِ الْمَصَالِحِ . وَإِذَا تَسَلَّمَ زَمَامَ الْأُمُورِ ، وَرَضِيَ بِالْخِلَافَةِ ، فَلِلْإِقَامَةِ الْحَقِّ ، وَبِنَاءِ حُكُومَةٍ عَلَى النُّهْجِ الَّذِي يَعْرِفُهُ هُوَ وَيَرْضَاهُ ؛ كَيْ لَا يَرَى أَحَدٌ أَوْ جَمَاعَةٌ أَوْ قَبِيلَةٌ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَدِينٌ لَهُمْ بِسَبَبِ تَعَالِي صِيحَاتِهِمْ لِبَيْعَتِهِ ، فَيَفْرَضُوا عَلَيْهِ أَهْوَاءَهُمْ وَطَلِبَاتِهِمْ . 2 . تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّ تَغْيِيرَاتٍ قَدْ لَحِقَتْ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ ، وَأَنَّ الرِّسَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَصِيبَتْ بِدَاءِ التَّبَدُّلاتِ وَالتَّقْلِبَاتِ . فَإِذَا أَخَذَ بِزَمَامِ الْأُمُورِ فَإِنَّهُ يَكْفِجُ التَّحْرِيفَاتِ وَيَقَارِعُهَا ، وَيُزِيحُ السُّتَارَ عَنِ الْوَجْهِ الْحَقِيقِيِّ لِلدِّينِ ، وَيَنْفُضُ عَنْهُ غِبَارَ التَّحْرِيفِ . وَهَذَا كُلُّهُ يَسْتَتِيعُ تَوَثُّرَاتٍ سِيَاسِيَّةً وَاجْتِمَاعِيَّةً . 3 . آيَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّقِيقَةِ بِالْمَجْتَمِعِ وَبِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَخَبْرَتِهِ بِزَمَانِهِ . وَبِذَلِكَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَنْخَدِعْ بِانْتِثَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ لِبَيْعَتِهِ فِي ذَلِكَ الْجَوِّ السِّيَاسِيِّ السَّائِدِ يَوْمَئِذٍ . وَكَانَ يَرَى مُسْتَقْبِلَ حُكُومَتِهِ بِوُضُوحٍ ، وَكَانَ يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ الْأَرْضِيَّةَ غَيْرَ مُمَهَّدَةٍ لِلْإِصْلَاحَاتِ الْعُلُويَّةِ ، وَلِلْإِعَادَةِ الْأُمَّةَ إِلَى نُهُجِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسِيرَتِهِ

وَسُنَّتُهُ ، وَكَانَ أَدْرَى مِنْ غَيْرِهِ بِأَنَّ سَبَبَ الثَّوْرَةِ الْعَامَّةِ عَلَى عُثْمَانَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ الْعُودَةِ إِلَى الْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصِيلَةِ ، وَأَنَّ بَعْضَ الثَّائِرِينَ لَا سِيَمَا مَنْ رَكِبَ الْمَوْجَةَ مِنْهُمْ - كَعَائِشَةَ ، وَطَلْحَةَ ، وَالزُّبَيْرِ - قَامُوا بِمَا قَامُوا بِهِ لِأَسْبَابٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ مَعْيَنَةٍ ، فَالْبَاعِثُ لَهُمْ عَلَى بَيْعَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَنْسَجِمُ مَعَ هَدَفِهِ مِنْ قَبُولِ الْحُكُومَةِ . وَإِذَا مَا بَلَّغُوا النَتِيجَةَ الْحَتْمِيَّةَ وَأَدْرَكُوا أَنَّ عَلِيًّا لَا يَسَابِرُهُمْ وَلَا يَمَاشِيهِمْ وَلَا يَمْنَحُ أَحَدًا امْتِنَازًا خِلَافَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، فَسَيُنَاقِضُونَ إِصْلَاحَاتِهِ ، وَيَجْرَوْنَ الْمَجْتَمِعَ الْإِسْلَامِيَّ إِلَى التَّفْرِقَةِ وَالتَّنَشُّتِ . 4 . مَبَايِعَتُهُ مَبَايِعَةً لِلْأَهْدَافِ الْعُلُويَّةِ ؛ فَمَنْ صَافَحَهُ وَعَاهَدَهُ فَعَلِيهِ أَنْ يَكُونَ مُتَاهِبًا لِمِرَافِقَتِهِ ، وَمِلَازِمَتِهِ مِنْ أَجْلِ إِزَالَةِ التَّحْرِيفَاتِ ، وَإِعَادَةِ بِنَاءِ الْمَجْتَمِعِ مَعْنُوبًا ، وَتَحْكِيمِ الدِّينِ تَحْكِيمًا حَقِيقِيًّا ، وَإِحْيَاءِ مَا تَسَيَّنَتْ الْأَذْهَانُ ، وَكُشِفَ الْحَقَائِقُ الَّتِي مُنِيتَ بِالتَّغْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ ... وَأَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُلْقِيَ الْحُجَّةَ عَلَى الْأُمُوجِ الْبَشَرِيَّةِ الْعَارِمَةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَادَى بِاسْمِهِ لِلْخِلَافَةِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهَا أَنَّهُ لَا يَسْتَهْدَفُ مِنْ قَبُولِ الْخِلَافَةِ إِلَّا بِسُطِّ الْعَدْلِ ، وَإِقَامَةِ الْحَقِّ ، وَإِحْيَاءِ دِينِ اللَّهِ ، وَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ لَا غَيْرَهُ .

د - دَوَافِعُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَبُولِ الْحُكُومَةِ

188. الإمام عليّ عليه السلام : أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَفِيَاْمُ الْحُجَّةِ يُجُودُ النَّاصِرُ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُّوا [1] عَلَى كَيْطَةٍ [2] ظَالِمٍ ، وَلَا سَعْبٍ [3] مَظْلُومٍ ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَاسٍ أَوَّلِهَا ، وَلَأَلْقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرَهْدَ عِنْدِي مِنْ غَفْطَةٍ عَنِّي . [4]

ه - أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ

189. الكامل في التاريخ : لَمَّا قُبِلَ عُثْمَانُ ، اجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَفِيهِمْ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ ! قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي [في] [5] أَمْرِكُمْ ؛ فَمَنْ اخْتَرْتُمْ رَضِيْتُ بِهِ . فَقَالُوا : مَا تَخْتَارُ غَيْرَكَ . وَتَرَدَّدُوا إِلَيْهِ مِرَارًا ، وَقَالُوا لَهُ فِي آخِرِ ذَلِكَ : إِنَّا لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ ؛ لَا أَقْدَمَ سَابِقَةً ، وَلَا أَقْرَبَ قَرَابَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلُوا ، فَإِنِّي أَكُونُ وَزِيرًا خَيْرًا مِنْ أَنْ أَكُونَ أَمِيرًا . فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى تُبَايَعَكَ . قَالَ : فِيهِ الْمَسْجِدُ ؛ فَإِنْ بَيْعْتَنِي لَا تَكُونُ حَفِيَّةً ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ - وَكَانَ فِي بَيْتِهِ ، وَقِيلَ : فِي حَائِطٍ لِبَيْتِ عَمْرِو بْنِ مَبْدُولٍ - . فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَطَاقٌ وَعِمَامَةٌ خَرَّ ، وَتَعَلَّاهُ فِي يَدَيْهِ ، مُتَوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ ، قَبَايِعَةُ النَّاسِ . وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ مِنَ النَّاسِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ . فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ

[1] فَارَّهَ مُقَارَّةٌ : أَيِ قَرَّ مَعَهُ وَسَكَنَ ، وَهُوَ تَفَاعَلَ مِنَ الْقَرَارِ (لسان العرب : ج 5 ص 85) .

[2] الْكِطَّةُ : الْبَيْطَةُ ، كَطَّهَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ يُكْطُّهُ كَطًّا ؛ إِذَا مَلَأَهُ حَتَّى لَا يَطِيقَ النِّقْسَ (لسان العرب : ج 7 ص 457) . وَالْمُرَادُ اسْتِثْنَاءُ الظَّالِمِ بِالْحَقُوقِ .

[3] سَغِبَ الرجلَ يَسْغَبُ وَسَغَبَ يَسْغُبُ : جاع (لسان العرب : ج 1 ص 468) .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

[5] ما بين المعقوفين إضافة يقتضيها السياق .

189. الكامل في التاريخ : حبيب بن ذؤيب قال : إنا لله ! أول من بدأ بالبيعة يدّ سلاء ، لا يتم هذا الأمر ! وبيعة الزبير . وقال لهما عليّ : إن أحببنا أن ثابعا ، وإن أحببنا بايعكما ! فقالا : بل ثابعا . [1]

و - بيعة عامة الناس

190. الإمام عليّ عليه السلام - في وصف بيعته :- بسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككتم عليّ تداك الإبل الهيم على جياضها يوم وردها ، حتى انقطعت النعل ، وسقط الرداء ، ووطئ الضعيف ، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير ، وهذج إليها الكبير ، وتحامل نحوها الغليل ، وحسرت إليها الكعاب . [2]

191. الطبقات الكبرى : لما قتل عثمان يوم الجمعة لثمانية عشر ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وبويع لعليّ بن أبي طالب ؛ بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان ، بالخلافة ، بايعه طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن ثعلبة ، وعمار بن ياسر ، وأسامة بن زيد ، وسهل بن حنيف ، وأبو أيوب الأنصاري ، ومحمد بن مسلمة ، وزيد بن ثابت ، وحزيمه بن ثابت ، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وغيرهم . [3]

ز - من تخلف عن بيعته

كانت بيعة الإمام عليه السلام عامة شاملة ، وقد اشترك فيها جميع المهاجرين والأنصار [4] ، وتام من كان في المدينة . وقد بايع الجميع عن اختيار كامل ، وحرية تامة . ثم بايعه

[1] ما بين المعقوفين إضافة يقتضيها السياق .

[2] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 302 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 229 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 31 .

[5] تاريخ دمشق : ج 42 ص 437 .

[6] الفتوح : ج 2 ص 439 .

[7] الكامل للمبرّد : ج 1 ص 428 .

[8] العقد الفريد : ج 3 ص 311 .

[9] الإرشاد : ج 1 ص 243 .

[10] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 124 ح 127 .

[11] شرح نهج البلاغة : ج 4 ص 9 و 10 .

[12] أراد مروان أن يبايع الإمام بعد الانكسار في حرب الجمل ، لكن الإمام ردّ ذلك ، وقال في ردّه : «أولم يبايعني بعد قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته ، إنّها كفّ يهودية» (نهج البلاغة : الخطبة 73) .

أهالي مكة والحجاز والكوفة . [1] وقد صرح الإمام عليه السلام بأن بيعته عامة شاملة [2] ، كما صرحت المصادر التاريخية الكثيرة باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة الإمام عليه السلام . [3] لكن ذكرت بعض المصادر أخبارا تدلّ على تخلف أمثال : عبد الله بن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن سلام ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عتبة ، عن البيعة . [4] وفي تخلف هؤلاء عن البيعة نظريتان : الأولى : إنّ هؤلاء تخلفوا عن بيعة الإمام ، بل كانوا مخالفين لبيعته واقعا . الثانية : إنّهم لم يخالفوا أصل البيعة ، وأنّ ما ورد في

النصوص مشعرا بذلك فهو بمعنى عدم مُسايرتهم للإمام في حروبه الداخلية . قال الحاكم النيسابوري - بعد ذكر الأخبار الواردة في بيعة النَّاس للإمام - : «أما قول من زعم أنَّ عبد الله بن عمر وأبا مسعود الأنصاري وسعد بن أبي وقاص وأبا موسى الأشعري ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد قعدوا عن بيعته ، فإنَّ هذا قول من يحدد حقيقة تلك الأحوال» ، ثم ذكر أنَّ هؤلاء بايعوا الإمام لكن لم يسايروه في حروبه الداخلية ؛ لأسباب دَعَتْهم إلى ذلك ، ممَّا أوقع البعض في اعتقاد أنَّهم مخالفين لبيعة الإمام عليه السلام . [5]

[1] الفتوح : ج 2 ص 439 .

[2] الكامل للمبرِّد : ج 1 ص 428 .

[3] العقد الفريد : ج 3 ص 311 .

[4] الإرشاد : ج 1 ص 243 .

[5] المستدرک علی الصحيحين : ج 3 ص 124 ح 127 .

وقد ارتضى هذا الرأي ابن أبي الحديد ، ونسبه إلى المعتزلة في كتابه شرح نهج البلاغة . [1] وإذا تأملنا نصوص الباب نجد أنَّ أكثر من عُرف بالتخلّف عن البيعة قد بايع الإمام عليه السلام ، لكنّ بيعة بعضهم - نظير : عبد الله بن عمر ، وسعد بن أبي وقاص - لم تكن بمعنى الوفاء لقيادة الإمام ؛ حيث أعلنوا صراحة عدم مرافقتهم للإمام في حروبه . كما أنَّ بيعة بعض آخر منهم - نظير : مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة - كانت بدوافع سياسيّة . [2] ومن هنا يمكن عدّ هؤلاء في المتخلّفين عن البيعة ؛ لأنّ بيعتهم لم تكن حقيقيّة وكاملة ، كما يكن عدّهم في المبايعين ؛ لاشتراكهم من المراسم الرسميّة للبيعة . وبهذا يمكن الجمع بين النظريّتين . وهنا احتمال ثالث ، وهو : أنَّهم تخلّفوا عن البيعة العامّة الشاملة والتي كانت في المسجد ، وقد اختلفوا أعدارا لتبرير ذلك ، لكن لمّا تمّت البيعة واستحكمت خلافة الإمام عليه السلام رغبوا في البيعة . ويؤيّد ذلك أنَّ مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص جاؤوا إلى الإمام - بعد انتهاء البيعة العامّة - فبايعوه بعد نقاش . كما يشهد له اعتراف عبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص ببيعة الإمام عليّ عليه السلام ، كما ورد في بعض النصوص .

[1] شرح نهج البلاغة : ج 4 ص 9 و 10 .

[2] أراد مروان أن يبايع الإمام بعد الانكسار في حرب الجمل ، لكنّ الإمام ردّ ذلك ، وقال في ردّه : «أولم يبايعني بعد قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته ، إنّها كفّ يهوديّة» (نهج البلاغة : الخطبة 73) .

الفصل الثاني : الإصلاحات العلويّة

أ - صَوْتُ الْعَدَالَةِ وَصَدَاهَا

192. شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر الإسكافيّ : صَعَدَ [عَلِيّ] عَلَيْهِ السَّلَامُ [الْمَنْبَرُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ يَوْمِ الْبَيْعَةِ وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَنشَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ مُحَمَّدًا فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ ذَكَرَ الدُّنْيَا فَزَهَّدَهُمْ فِيهَا ، وَذَكَرَ الْآخِرَةَ فَزَعَّيَهُمْ إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا فُيْضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَخْلَفَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَعَمِلَ بِطَرِيقِهِ ، ثُمَّ جَعَلَهَا شُورَى بَيْنَ سَيِّئَةٍ ، فَأَفْضَى الْأَمْرَ مِنْهُمْ إِلَى عُثْمَانَ ، فَعَمِلَ مَا أَنْكَرْتُمْ وَعَرَفْتُمْ ، ثُمَّ حَصِرَ وَقِيلَ ، ثُمَّ جِئْتُمُونِي طَائِعِينَ فَطَلَبْتُمْ إِلَيَّ ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، لِي مَا لَكُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ الْبَابَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ ، وَأَقْبَلْتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْأَمْرِ ، وَإِنِّي حَامِلُكُمْ عَلَى مَنَهِجِ تَبْيِيحِكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمُنَقِّدٌ فِيكُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، إِنْ اسْتَقَمْتُمْ لِي وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ . أَلَا إِنَّ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ وَفَائِهِ كَمَوْضِعِي مِنْهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، فَأَمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَفَعُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تُبَيِّنَهُ لَكُمْ ، فَإِنَّ لَنَا عَنْ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ عَذْرًا . أَلَا إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ مِنْ فَوْقِ سَمَائِهِ وَعَرْشُهُ أُنًى كُنْتُ كَارَهَا لِلْوَلَايَةِ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ

192. شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر الإسكافي: حَتَّى اجْتَمَعَ رَأْيُكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : «إِنَّمَا وَالِي وَلِيَّ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي أَقِيمَ عَلَى حَدِّ الصِّرَاطِ ، وَتَشَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ صَحِيقَتَهُ ؛ فَإِنْ كَانَ عَادِلًا أَنْجَاهُ اللَّهُ بِعَدْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ جَائِرًا انْتَقَصَ بِهِ الصِّرَاطُ حَتَّى تَتَرَايَلُ مَقَاصِلُهُ ، ثُمَّ يَهْوِي إِلَى النَّارِ ؛ فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يَنْتَقِيهَا بِهِ أَنْفَهُ وَحَرَّ وَجْهِهِ» وَلِكِنِّي لَمَّا اجْتَمَعَ رَأْيُكُمْ لَمْ يَسْعَنِي تَرْكُكُمْ . ثُمَّ التَّقَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ : أَلَا لَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ غَدًا قَدْ غَمَرَتْهُمْ الدُّنْيَا فَاتَّخَذُوا الْعِفَارَ ، وَفَجَّرُوا الْأَنْهَارَ ، وَرَكَّبُوا الْخِيُولَ الْفَارِهَةَ ، وَاتَّخَذُوا الْوَصَائِفَ الرَّوْقَةَ [1] فَصَارَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ عَارًا وَشَنَارًا ، إِذَا مَا مَنَعَتْهُمْ مَا كَانُوا يَخُوضُونَ فِيهِ وَأَصْرَتْهُمْ إِلَى حُقُوقِهِمْ الَّتِي يَعْلَمُونَ ، فَيَنْقِمُونَ ذَلِكَ وَيَسْتَنْكِرُونَ وَيَقُولُونَ : حَرَمَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ حُقُوقَنَا . أَلَا وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَرَى أَنَّ الْقَضْلَ لَهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ لِصَحْبَتِهِ ، فَإِنَّ الْقَضْلَ التَّيَّارَ غَدَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَتَوَاتَبَهُ وَأَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا رَجُلٌ إِسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنَا وَدَخَلَ فِي دِينِنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا ، فَقَدْ اسْتَوْجَبَ حُقُوقَ الْإِسْلَامِ وَخُدُودَهُ ، فَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ ، وَالْمَالُ مَا لِلَّهِ يُقَسَّمُ بَيْنَكُمْ بِالسَّوِيَّةِ ، لَا فَضْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ ، وَلِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ اللَّهِ غَدَا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ وَأَفْضَلَ الثَّوَابِ ، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ الدُّنْيَا لِلْمُتَّقِينَ أَجْرًا وَلَا ثَوَابًا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ . وَإِذَا كَانَ غَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَعْدُوا عَلَيْنَا فَإِنَّ عِنْدَنَا مَا لَا تَفْسِيْمُهُ فِيكُمْ ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَرِيًّا وَلَا عَجَمِيًّا ، كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْعَطَاءِ أَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَضَرَ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا خَرًّا . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأُسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . ثُمَّ نَزَلَ . قَالَ شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ : وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا أَنْكَرُوهُ مِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَوْرَثَهُمُ الصِّغْنَ

[1] الرَّوْقَةُ : الجميل جدًا من النَّاسِ (لسان العرب : ج 10 ص 134) .

[2] الزخرف : 78 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 7 ص 36 .

192. شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر الإسكافي: عَلَيْهِ ، وَكَرِهُوا إعطاءَهُ وَقَسَمَهُ بِالسَّوِيَّةِ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَا وَغَدَا النَّاسُ لِقَبْضِ الْمَالِ ، فَقَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبِهِ : إِبْدَأْ بِالْمُهَاجِرِينَ فَبَادِهِمْ وَأَعْطِ كُلَّ رَجُلٍ مِمَّنْ حَضَرَ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، ثُمَّ نَنْ بِالْأَنْصَارِ فَأَفْعَلْ مَعَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمَنْ يَحْضُرُ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمُ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدَ فَاصْطَعْ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ سَهْلُ بْنُ خُنَيْفٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا غُلَامِي بِالْأَمْسِ وَقَدْ أَعْتَقْتُهُ الْيَوْمَ ، فَقَالَ : نُعْطِيهِ كَمَا نُعْطِيكَ ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، وَلَمْ يُفْصِلْ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ ، وَتَخَلَّفَ عَنْ هَذَا الْقِسْمِ يَوْمَئِذٍ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَرَجُلَانِ مِنَ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا . قَالَ : وَسَمِعَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ لِأَبِيهِ وَطَلْحَةَ وَمُرْوَانَ وَسَعِيدٍ : مَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْسٍ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ مَا يُرِيدُ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَالتَّقَتْ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ : إِنَّا كَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ لِسَعِيدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : «وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ يَلْحَقُ كِرْهُونَ» . [1] ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَخْبَرَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ فَقَالَ : وَاللَّهِ ، إِنْ تَقِيْتُ وَسَلِمْتُ لَهُمْ لَأُقِيمَتَهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالطَّرِيقِ الْوَاضِحِ . فَاتَّلَّ اللَّهُ ابْنَ الْعَاصِ ، لَقَدْ عَرَفَ مِنْ كَلَامِي وَتَطَرَّى إِلَيْهِ أَمْسِ أَنِّي أُرِيدُهُ وَأَصْحَابَتَهُ مِمَّنْ هَلَكَ فِيمَنْ هَلَكَ . [2]

ب - عَزَلَ عُمَالِ عُثْمَانَ

193. تاريخ اليعقوبي : عَزَلَ عَلِيٌّ عُمَالَ عُثْمَانَ عَنِ الْبُلْدَانِ خَلَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، كَلَّمَهُ فِيهِ الْأَشْتَرُ فَأَقَرَّهُ . [3]

[1] الزخرف : 78 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 7 ص 36 .

[3] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 179 .

194. الاختصاص : اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، فَقَالُوا لَهُ : أَكْتُبْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ خَالَفَكَ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ اعْرِضْهُ ، فَقَالَ : الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ وَالْغَدْرُ فِي النَّارِ . [1]

ج - إِسْتِردَادُ أَمْوَالِ بَيْتِ الْمَالِ

195. الإمام علي عليه السلام - مِنْ كَلَامِهِ لَهُ فِيمَا رَدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ: وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِنَّ النِّسَاءَ ، وَمَلَكَ بِهِنَّ الْإِمَاءَ ؛ لَرَدَدْتُهُ ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ . [2]

د - تَعَدُّرُ بَعْضِ الْإِصْلَاحَاتِ

196. الإمام علي عليه السلام : لَوْ قَدْ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَعَيَّرْتُ أَشْيَاءَ . [3]

[1] الاختصاص : ص 150 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 15 .

الفصل الثالث : السياسة الإدارية

أ - الصِدْقُ فِي السِّيَاسَةِ

197. الإمام عليّ عليه السلام : هَيَّاهُ ! لَوْلَا التَّقَى لَكُنْتُ أَدهَى الْعَرَبِ . [1]

198. عنه عليه السلام : وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأدهَى مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدهَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجْرَةٌ ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاللَّهِ مَا أَسْتَعْقَلُ بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أَسْتَعْمَرُ بِالشَّدِيدَةِ . [2]

ب - الْإِلْتِزَامُ بِالْحَقِّ

199. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْجَرِ : أَلْزِمَ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَإِعَا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ يَمَا يَنْقَلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَإِنَّ مَعَبَةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ . [3]

ج - الْإِلْتِزَامُ بِالْقَانُونِ

200. الغارات - فِي ذِكْرِ النَّجَاشِيِّ الشَّاعِرِ : كَانَ شَاعِرَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصْقِيَنَ ، فَشَرِبَ الْخَمَرَ

[1] الكافي : ج 8 ص 24 ح 4 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 200 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

200. الغارات - فِي ذِكْرِ النَّجَاشِيِّ الشَّاعِرِ - بِالْكُوفَةِ ، فَحَدَّثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَغَضِبَ وَلَجِقَ بِمُعَاوِيَةَ وَهَجَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ . . . لَمَّا حَدَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّجَاشِيَّ غَضِبَ لِذَلِكَ مَنْ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ مِنَ الْيَمَانِيَّةِ ، وَكَانَ أَحْصَاهُمْ يَهُ طَارِقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ أَسَامَةَ التَّهْدِيَّ ، فَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا كُنَّا نَرَى أَنَّ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَةِ وَأَهْلَ الْفِرْقَةِ وَالْجَمَاعَةِ عِنْدَ وَلَاَةِ الْعَدْلِ وَمَعَادِنِ الْقُضْلِ سَيَّانَ فِي الْجَزَاءِ ، حَتَّى رَأَيْتُ مَا كَانَ مِنْ صَنِيعِكَ بِأَخِي الْحَارِثِ ، فَأَوْعَرْتَ صُدُورَنَا ، وَشَتَّتْ أُمُورَنَا ، وَحَمَلْتَنَا عَلَى الْجَادَةِ الَّتِي كُنَّا نَرَى أَنَّ سَبِيلَ مَنْ رَكِبَهَا النَّارُ . فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ» [1] ، يَا أَخَا بَنِي تَهْدٍ ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ انْتَهَكَ حُرْمَةَ مَنْ حَرَّمَ اللَّهُ فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ حَدًّا كَانَ كَقَارَتِهِ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» [2] . [3]

د - عَدَمُ الْمُدَاهَنَةِ

201. رسول الله صلى الله عليه وآله : إِرْقِعُوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ خَشِينٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، غَيْرُ مُدَاهِنٍ فِي دِينِهِ . [4]

202. حلية الأولياء عن عبد الواحد الدمشقي : نَادَى حَوْشَبُ الْخَيْرِيُّ عَلِيًّا يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقَالَ : إِنْصَرَفَ عَنَّا يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّا نَنْشُدُكَ اللَّهَ فِي دِمَائِنَا وَدِمِكَ ، نُخَلِّي بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِرَاقِكَ ، وَنُخَلِّي بَيْنَنَا وَبَيْنَ شَامِنَا ، وَنَحْقِنُ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ عَلِيٌّ : هَيَّاهُ يَا بْنَ أُمِّ طَلِيمٍ ! وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْمُدَاهَنَةَ تَسْغِيَنِي فِي دِينِ اللَّهِ

[1] البقرة : 45 .

[2] المائدة : 8 .

[3] الغارات : ج 2 ص 533 و ص 539 .

[4] الإرشاد : ج 1 ص 173 .

202. حلية الأولياء عن عبد الواحد الدمشقي : لَفَعَلْتُ ، وَلَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ فِي الْمَوْثُوتَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالْإِدْهَانِ وَالسُّكُوتِ ، وَاللَّهُ يُعْصَى . [1]

ه - تَنْظِيمُ الْأُمُورِ

203. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ -: وَأَمَضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ . . . إِنَّكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوْ التَّسْقُطَ فِيهَا عِنْدَ امْكَانِهَا ، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتَ ، أَوْ الْوَهْنَ عَنهَا إِذَا اسْتَوْضَحْتَ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ . [2]

و - إِنْخِبَابُ الْعُمَالِ الصَّالِحِينَ

204. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ -: فَاصْطَفِ لَوْلَايَةِ أَعْمَالِكَ أَهْلَ الْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالسِّيَاسَةِ . [3]

ز - عَدَمُ اسْتِعْمَالِ الْخَائِنِ وَالْعَاجِزِ

205. الإمام عليّ عليه السلام : أَقَهُ الْأَعْمَالِ عَجَزُ الْعُمَالِ . [4]

206. عنه عليه السلام : إِنَّ الْمُعْبِرَةَ بَنَ شُعْبَةَ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلَيَّ أَنْ اسْتَعْمِلَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ وَأَنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَأَبَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَرَانِي أَتَّخِذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا [5] . [6]

207. عنه عليه السلام - مِنْ كِتَابِهِ إِلَى رِفَاعَةَ قَاضِيهِ عَلَى الْأَهْوَا: إَعْلَمْ يَا رِفَاعَةُ أَنَّ هَذِهِ الْإِمَارَةَ أَمَانَةٌ ؛ فَمَنْ جَعَلَهَا حِيَانَةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ اسْتَعْمَلَ خَائِنًا فَإِنَّ

[1] حلية الأولياء : ج 1 ص 85 .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[3] تحف العقول : ص 137 .

[4] غرر الحكم : ج 3958 .

[5] إشارة إلى الآية 51 من سورة الكهف .

[6] وقعة صفين : ص 52 .

207. عنه عليه السلام - مِنْ كِتَابِهِ إِلَى رِفَاعَةَ قَاضِيهِ عَلَى الْأَهْوَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَرِيءٌ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . [1]

ح - إِسْبَاغُ الْأَرْزَاقِ عَلَى الْعُمَالِ

208. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ -: ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنَىٌ لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحِجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّحُوا أَمَاتَكَ . [2]

ط - إِيخْبَارُ الْعِيُونِ لِمُرَاقَبَةِ الْعُمَالِ

209. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ -: ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِياراً . . . ثُمَّ تَقَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ ، وَابْعَثِ الْعِيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ تَعَاهُذَكَ فِي السَّيْرِ لِأُمُورِهِمْ حُدُوءٌ [3] لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ ، وَالرِّفْقُ بِالرَّجِيئَةِ ، وَتَحَقُّقُ مِنَ الْأَعْوَانِ ؛ فَإِنْ أَخَذَ مِنْهُمْ تَسَطُّ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ إِجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارٌ عُيُونِكَ ، اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً ، قَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ . [4]

ي - إِكْرَامُ الْمُحْسِنِينَ وَعُقُوبَةُ الْمُسِيئِ

210. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ -: وَلَا يَكُونُ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيئُ عِنْدَكَ يَمْنَزِلَةً سَوَاءً ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيذاً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَذَرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ . وَالزِّمَ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ نَفْسَهُ . [5]

[1] دعائم الإسلام : ج 2 ص 531 ح 1890 .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[3] حدوة لهم: أي باعث ومحرض لهم ، والحدو في الأصل: سوق الإبل والغناء لها (بحار الأنوار: ج 33 ص 625).

ك - المَوْقِفُ الْحَازِمُ مَعَ الْعُمَالِ

1 . الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ [1]

211. نثر الدرّ : قَالَ [عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ : أَدِّ [يَعْنِي : مَا أَخَذَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ظُلْمًا] وَالْأَصْرَبُكَ بِالسَّيْفِ . فَأَدَّى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ كَانَ عَلَيْكَ لَوْ كُنَّا صَرَبْنَاكَ بِعَرَضِ السَّيْفِ ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ وَمَنْ إِذَا قَالَ فَعَلَ . [2]

2 . زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ

212. الإمام عليّ عليه السلام - من كتابه إلى زياد بن أبيه - : إِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا ، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ لِقِيلِ الْوَفْرِ ، تَغِيلُ الطَّهْرَ ، صَنِيلُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ . [3]

ل - عَزَلَ مَنْ ثَبَّتَ خِيَانَتَهُ مِنَ الْعُمَالِ

213. الاستيعاب : كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . . لَا يَخْصُ بِالْوِلَايَاتِ إِلَّا أَهْلَ الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَإِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدِهِمْ خِيَانَةً كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ [4] . إِذَا أَنَا كِتَابِي هَذَا فَاحْفَظْ بِمَا فِي يَدَيْكَ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَتَسَلَّمُهُ مِنْكَ ، ثُمَّ يَرْفَعْ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَمُرْهُمْ بِظُلْمِ خَلْقِكَ ، وَلَا بِتَرْكِ حَقِّكَ . وَخُطْبَتُهُ وَمَوَاعِظُهُ وَوَصَايَاهُ لِأَعْمَالِهِ إِذْ كَانَ يُخْرِجُهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِ كَثِيرَةً مَشْهُورَةً لَمْ

[1] الأشعث هو عامل عثمان ، عزله الإمام عليه السلام عقيب خلافته .

[2] نثر الدرّ : ج 1 ص 292 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 20 .

[4] اقتباس من سورة الأعراف : 85 وهود : 85 و 86 .

213. الاستيعاب : أَرِ النَّعْرُضَ لِذِكْرِهَا ، لِيَتَلَّ طَوْلَ الْكِتَابِ ، وَهِيَ حِسَانٌ كُلُّهَا . [1]

م - عُقُوبَةُ الْخَوَتَةِ مِنَ الْعُمَالِ

214. الإمام عليّ عليه السلام - من عهده إلى مالكٍ الأستر في مُراقبته : فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ تَسَطَّ يَدُهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا أَخْبَارُ عُيُونِكَ ، اكَتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا ، فَتَسَطَّ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذَتْهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبَتْهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ ، وَوَسَمَتْهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدَتْهُ عَارَ التُّهْمَةِ . [2]

[1] اقتباس من سورة الأعراف : 85 وهود : 85 و 86 .

[2] الاستيعاب : ج 3 ص 210 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 53 .



الفصل الرابع : السياسة الثقافية

أ - تَنْمِيَةُ التَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيَةِ

215. الإمام علي عليه السلام : عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُعَلِّمَ أَهْلَ وَلَاتِيهِ خُدُودَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ . [1]

216. عنه عليه السلام - مِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قُتَيْبِ بْنِ الْعِ: أَمَّا بَعْدُ ، فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ ، فَأَقِ الْمُسْتَفْتِيَّ ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ . [2]

217. الإمام الباقر عليه السلام : كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ لَمْ يَزَلْ مُعَقِّبًا إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَإِذَا طَلَعَتْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ النَّاسِ ، فَيُعَلِّمُهُمُ الْفِقَةَ وَالْقُرْآنَ ، وَكَانَ لَهُ وَقْتُ يَقُومُ فِيهِ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ . [3]

ب - النَّهْيُ عَنِ نَقْضِ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ

218. الإمام علي عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ -: لَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ ، وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تُضَرُّ

[1] غرر الحكم : ج 6199 .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 67 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 4 ص 109 .

218. الإمام علي عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ - بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ ؛ فَيَكُونُ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا ، وَالْوَزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا . . . وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقْدَمُكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ قَرِيبَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ . [1]

ج - الْأَمْرُ بِمُكَافَحَةِ السُّنَنِ الطَّالِحَةِ

219. الإمام علي عليه السلام : إَعْلَمَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامًا عَادِلًا ، هُدًى وَهَدًى ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَتَنْبِرُهُ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لَتَظَاهِرُهُ لَهَا أَعْلَامٌ . [2]

د - التَّقْدِيرُ بِذَلِكَ الْإِطْرَاءِ

220. الإمام علي عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ بَعْدَ ذِكْرِ خَصٍّ : فَاتَّخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً لِحُلُوبِكَ وَحَقْلَانِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ يَمُرُّ الْحَقُّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَأَفْعَا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ . وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى الْآلِ يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ [3] بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الرَّهْوَ ، وَتُذْنِي مِنَ الْعِزَّةِ . [4]

[1] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 164 .

[3] يَبْجَحُوكَ أَوْ كَمَا فِي شَرْحِ النَّهْجِ : «يَبْجَحُوكَ» أَيْ لَا يَجْعَلُوكَ مِمَّنْ يَبْجَحُ ، أَيْ يَفْخَرُ بِبَاطِلٍ لَمْ يَفْعَلْهُ كَمَا يَبْجَحُ أَصْحَابُ الْأُمَرَاءِ الْأُمَرَاءَ (شرح نهج البلاغة : ج 17 ص 45) .

[4] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

الفصل الخامس : السياسة الاقتصادية

أ - الحثُّ عَلَى الْعَمَلِ

221. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَمَّا ارْذَوَجَتْ ارْذَوَجَ الْكَسَلُ وَالْعَجْزُ ، فَتُنْجَا [1] بَيْنَهُمَا الْفَقْرَ . [2]

222. عنه عليه السلام : مَا عُذُوهُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمَ مِنْ عُذُوْتِهِ يَطْلُبُ لِوَلَدِهِ وَعِيَالِهِ مَا يُصْلِحُهُمْ . [3]

223. شرح نهج البلاغة - فِي ذِكْرِ صَدَقَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ يَعْمَلُ بِيَدِهِ ، وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ ، وَيَسْتَقِيلُ الْمَاءَ ، وَيَعْرِسُ النَّخْلَ ، كُلُّ ذَلِكَ يُبَاشِرُهُ بِنَفْسِهِ الشَّرِيقَةِ [4] .

ب - عمارة البلاد

224. الإمام عليّ عليه السلام - مِمَّا كَتَبَتْهُ إِلَى قَرْطَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيِّ: أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ذَكَرُوا نَهْرًا فِي أَرْضِهِمْ قَدْ عَفَا وَادُّفِنَ ، وَفِيهِ لَهُمْ عِمَارَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَانْظُرْ أَنْتَ وَهُمْ ، ثُمَّ اعْمُرْ وَأَصْلِحِ النَّهْرَ ؛ فَلَعَمْرِي لَأَنْ يَعْمُرُوا

[1] كذا في المصدر ، وفي تحف العقول : «فُتِّجَ مِنْهُمَا» ، وَلَعَلَّهُ أَصُوبُ .

[2] الكافي : ج 5 ص 86 ح 8 .

[3] السرائر : ج 2 ص 228 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 15 ص 147 .

224. الإمام عليّ عليه السلام - مِمَّا كَتَبَتْهُ إِلَى قَرْطَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيِّ أَحَبِّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَخْرُجُوا وَأَنْ يَعْجِزُوا أَوْ يُقْصِرُوا فِي وَاجِبٍ مِنْ صَلَاحِ الْبِلَادِ . وَالسَّلَامُ . [1]

ج - التَّنْمِيَةُ الزَّرَاعِيَّةُ

225. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ مَعَاشَ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ : الْإِمَارَةُ ، وَالْعِمَارَةُ ، وَالْبِجَارَةُ ، وَالْإِجَارَةُ ، وَالصَّدَقَاتُ . . . وَأَمَّا وَجْهُ الْعِمَارَةِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» [2] ، فَأَعْلَمْنَا سُجَاتَهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَهُمْ بِالْعِمَارَةِ ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَعَاشِهِمْ بِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ ؛ مِنَ الْحَبِّ ، وَالتَّمَرَاتِ ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ ، مِمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مَعَاشٍ لِلْخَلْقِ . [3]

د - التَّنْمِيَةُ الصَّنَاعِيَّةُ

226. الإمام عليّ عليه السلام : جِرْفَةُ الْمَرْءِ كَنْزٌ . [4]

227. عنه عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُحْتَزِفَ الْأَمِينَ . [5]

هـ - التَّنْمِيَةُ التِّجَارِيَّةُ

228. الإمام عليّ عليه السلام : تَعَرَّضُوا لِلتِّجَارَةِ ؛ فَإِنَّ فِيهَا غِنًى لَكُمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ . [6]

229. عنه عليه السلام - لِلْمَوَالِيِّ :- ائْتَجِرُوا ، بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ ؛ فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : الرِّزْقُ

[1] تاريخ يعقوبي : ج 2 ص 203 .

[2] هود : 61 .

[3] وسائل الشيعة : ج 13 ص 195 ح 10 .

[4] المواعظ العددية : ص 55 .

[5] الكافي : ج 5 ص 113 ح 1 .

229. عنه عليه السلام - لِلْمَوَالِي - عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ ؛ تِسْعَةٌ أَجْزَاءٍ فِي التِّجَارَةِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي غَيْرِهَا . [1]

و - مُرَاقِبَةُ السُّوقِ مُبَاشَرَةً

230. دعائم الإسلام : إِنَّهُ [عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام] كَانَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، وَيَبْدِيهِ دِرَّةً يَضْرِبُ بِهَا مَنْ وَجَدَ مِنْ مُطَقِّفِي أَوْ غَاشِّ فِي تِجَارَةِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ الْأَصْبَغُ : قُلْتُ لَهُ يَوْمًا أَتَاكَ فِيكَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْلِسَ فِي بَيْتِكَ ! قَالَ : مَا تَصَحَّحْتَنِي يَا أَصْبَغُ . [2]

231. ربيع الأبرار : كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام يَمُرُّ فِي السُّوقِ عَلَى الْبَاعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : أَحْسِنُوا ، أَرْخِصُوا بَيْعَكُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ . [3]

ز - مَنَعُ الْاِحْتِكَارِ

232. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كِتَابِهِ إِلَى رِفَاعَةَ :- إِنَّهُ عَنِ الْخُكْرَةِ ، فَمَنْ رَكِبَ النَّهْيَ فَأَوْجَعَهُ ، ثُمَّ عَاقِبَهُ بِإِطْهَارٍ مَا احْتَكَرَ . [4]

ح - سِيَّاسَةُ اخِذِ الْخَرَاجِ

233. الكافي عن مهاجر عن رجلٍ من ثَقِيفٍ : اسْتَعْمَلَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَانِقِيَا [5] وَسَوَادٍ مِنَ سَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ لِي - وَالنَّاسُ خُضُورٌ - : أَنْظِرْ خَرَاجَكَ فَجَدِّ فِيهِ ، وَلَا تَتْرُكْ مِنْهُ دِرْهَمًا ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَى عَمَلِكَ فَمُرْ بِي . قَالَ : فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ لِي : إِنَّ الَّذِي سَمِعْتَ مِنِّي خُدْعَةٌ ، إِيَّاكَ أَنْ تَضْرِبَ مُسْلِمًا أَوْ

[1] الكافي : ج 5 ص 319 ح 59 .

[2] دعائم الإسلام : ج 2 ص 538 ح 1913 .

[3] ربيع الأبرار : ج 4 ص 154 .

[4] دعائم الإسلام : ج 2 ص 36 ح 80 .

[5] بَانِقِيَا : نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي الْكُوفَةِ (معجم البلدان : ج 1 ص 331) .

[6] الكافي : ج 3 ص 540 ح 8 .

233. الكافي عن مهاجر عن رجلٍ من ثَقِيفٍ : يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فِي دِرْهَمٍ خَرَاجٍ ، أَوْ تَبِعَ دَابَّةً عَمَلٍ فِي دِرْهَمٍ ، فَإِنَّمَا أَمْرُنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْهُمْ الْعَقُوفَ . [1]

ط - تَوَزِيعُ أَمْوَالِ الْعَامَّةِ بِالْإِسْوِيَّةِ

234. الكافي عن أبي مخنف : أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - رَهْطٌ مِنَ الشَّيْعَةِ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَخْرَجْتَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ فَفَرَّقْتَهَا فِي هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ وَالْأَشْرَافِ ، وَفَضَّلْتَهُمْ عَلَيْنَا ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْسَقَتِ الْأُمُورُ عُذْتُ إِلَى أَفْضَلٍ مَا عَوَّذَكَ اللَّهُ مِنَ الْقَسَمِ يَالْإِسْوِيَّةِ ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّعِيَّةِ !! فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام : أ تَأْمُرُونَنِي - وَبِحُكْمٍ - أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فَيَمُنَ وَلَيْتَ عَلَيَّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ! لا وَاللَّهِ ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ ، وَمَا رَأَيْتُ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ أَمْوَالُهُمْ مَالِي لَسَاوَيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُهُمْ !! [2]

[1] بَانِقِيَا : نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي الْكُوفَةِ (معجم البلدان : ج 1 ص 331) .

[2] الكافي : ج 3 ص 540 ح 8 .

[3] الكافي : ج 4 ص 31 ح 3 .

وقفة مع أسلوب توزيع الأموال العامة في صدر الإسلام

إنّ عنوان «بيت المال» في النصوص الروائيّة هو مصطلح عامّ للعائدات العامّة للمسلمين، ويكون تحت اختيار الحكومة الإسلاميّة ويتبيّن من خلال نظرة جامعة للروايات أنّ بيت المال ينفق في وجهين : 1 . النفقات العامّة ذات العنوان الخاصّ، مثل ضمان الفقراء ، والمساكين ، والعاجزين ، وأسر الشهداء ، ورواتب العاملين في بيت المال ، والقضاة ، والجنود ، ومصارف التعليم ، والصحة ، وقروض الغرماء ، وديّات المقتولين الذين ليس لهم ضامن ، والعمران ، وغيرها... 2 . تقسيم الفائض : بعد أن يتمّ إعطاء المذكورين حصصهم من بيت المال ، ففي صدر الإسلام كان يتمّ تقسيم الفائض عن ذلك بين عامّة المسلمين وقد عرّفت الروايات هذا القسم بالحقّ العام للأفراد من بيت المال . إنّ التوزيع المطلوب لبيت المال من وجهة نظر الإسلام يستند على ركيزتين أساسيتين هما : 1 . رعاية العدالة في التقسيم : للعدالة الاقتصادية في توزيع الثروات العامة معياران أصليّان في الإسلام :

367

أحدهما: أولويّة الضمان الاجتماعي ، والاهتمام بالطبقات الاجتماعيّة الضعيفة والمحرومة ، والسعي في التوسعة عليهم . والآخر: رعاية المساواة في الحقوق المتكافئة. وإذا لاحظنا سياسة الإمام عليّ عليه السلام في توزيع الأموال نلمس فيها أوضح مصاديق هذين المعيارين ، إذ نقرأ في كتبه إلى عمّاله تأكيد الدائم على تخصيص قسم من مصادر بيت المال للطبقات المحرومة وذات الدخل المحدود ، وتأكيداته الجمّة ، ووصاياه الكثيرة بإلغاء الامتيازات الوهميّة المجحفة، ومنح الحقوق المتساوية للقریب والبعيد، والعربي والأعجمي، والمرأة والرجل، وذو السابقة في الإسلام وحديثي العهد به . فترتسم لطلاب العدالة صورة مشرقة للعدالة الإنسانيّة. 2 . عدم حبس الحقوق العامّة : الإسراع في الإنفاق، واجتناب حبس الحقوق العامّة ، فمع تأكيد الإسلام على لزوم الاعتدال في الإنفاق والتخطيط له، والإنفاق بمقدار، نجده ذمّ بشدّة حبس الحقوق العامّة بلا مسوّغ، وأوصى بالإسراع في إنفاقها. وإذا لاحظنا هاتين الخصوصيّتين يمكن بيان المنهج القويم في صرف أموال بيت المال بهذا النحو : إذا تمّ حبس جزء من الدخل لمصارف خاصّة بحيث كان كلّ من الدخل والمصرف حاليّين فهذا الحبس هو الإمساك والادّخار المنهيّ عنه في الروايات . بل بلغ اهتمام النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله برعاية هذا المبدأ مرتبة قصوى تظهر معها آثار الغمّ على صفحات وجهه الكريم بسبب بقاء مقدار قليل من الأموال التي ينبغي أن تصل إلى مستحقّيها. وحين زادت عائدات بيت المال في عهد عمر بشكل لم يسبق له مثيل قامت الحكومة بتأسيس بيت المال وتشكيل الديوان ، وكانت العائدات

368

تُجمع فيه وتُدخّر على طول السنة، ثمّ تُوزّع على عامّة المسلمين في نهاية السنة بشكل فردي. وعندما تقلّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة رفض هذه السياسة، وسار بسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله . وامتناعه عن التأخير في تقسيم بيت المال حتّى بمقدار ليلة واحدة، وتأكيداته على توزيع جميع ما في بيت المال ، يدلّ بوضوح على شدّة اهتمامه باجتناح الادّخار.

369

ي - توفير الحاجات الضرورية للجَميع

235.الإمام عليّ عليه السلام : ما أصبح بالكوفة أخذًا إلّا ناعما ؛ إنّ أدناهم منزلة ليأكل من البرّ ويجلس في الظلّ ويشرب من ماء الفرات . [1]

ك - جَمِائَةُ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى

236.الإمام عليّ عليه السلام - من كتابه إلى قُثم بن العباس :- وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة ، مُصِبا به مواضع الفاقة والخَلَات [2] ، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لتقسيمه فيمن قبّلنا . [3]

ل - العِناية الخاصّة بالأيتام

237.ربيع الأبرار عن أبي الطفيل : رأيت عليّا - كرم الله وجهه - يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتّى قال بعض أصحابه : لوددت أنّي كنت يتيما . [4]

م - عَدَمُ اسْتِثْناءِ الأولاد والأقرباء

1 . الحسن والحسين عليهما السلام

238. أنساب الأشراف عن داوود بن أبي عوفٍ عن رجلٍ رأى الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلامَ أُكْلانِ خُبْرا وَحَلًا وَبَقْلًا ، فَقُلْتُ : أ تَأْكُلانِ هذا وفي الرَّحْبَةِ [5] ما فيها ! فقالا : ما

[1] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 1 ص 531 ح 883 .

[2] جَمْعُ خَلَّةٍ : الحاجة والفقْر (راجع : النهاية : ج 2 ص 72) .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 67 .

[4] ربيع الأبرار : ج 2 ص 148 .

[5] رَحْبَةُ المكان - كالمسجد والدار - : ساحته ومتّسعه (تاج العروس : ج 2 ص 18 «رحب») . والمراد به هنا رحبة بيت المال .

238. أنساب الأشراف عن داوود بن أبي عوفٍ عن رجلٍ أعْقَلَكَ عن أميرِ المؤمنينَ ! [1]

239. شرح نهج البلاغة عن خالد بن مُعَمَّر السِّدُوسِيّ - لِعِليّ بنِ الهَيِّمِ -: ماذا تُؤَمِّلُ عِنْدَ رَجُلٍ أَرَدْتُهُ عَلَى أَنْ يَزِيدَ فِي عَطَاءِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ دُرَيْهَمَاتٍ يَسِيرَةً رَيْثَمَا يَرَأَيَانِ [2] يَهَا طَلَفَ [3] عَيْشِيهِمَا ، فَأَبَى وَغَضِبَ فَلَمْ يَفْعَلْ ! [4]

2 . أُمُّ كُلْثُومٍ

240. الاختصاص : بُعِثَ إِلَيْهِ [عَلِيّ عليه السلام] مِنَ البَصْرَةِ مِنْ عَوَصِ البَحْرِ يَتَحَقَّقُ لَا يُدْرِي مَا يَمِثُّهَا ، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَجَمَّلُ بِهِ وَيَكُونُ فِي عُنُقِي ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا رَافِعٍ ، أَدْخِلْهُ إِلَى بَيْتِ المَالِ ؛ لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ حَتَّى لَا تَبْقَى امْرَأَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا وَلَهَا مِثْلُ ذَلِكَ ! [5]

ن - التَّقَشُّفُ وَالاِحْتِطَاطُ فِي التَّقَفَةِ مِنْ بَيْتِ المَالِ

241. الإمام عليّ عليه السلام - فِي كِتَابِهِ إِلَى عُمَايَةَ -: أَدِقُّوا أَقْلَامَكُمْ ، وَقَارِبُوا بَيْنَ سَطُورِكُمْ ، وَاحْذِرُوا عَنِّي فُضُولَكُمْ ، وَاقْصِدُوا قَصَدَ المَعَانِي ، وَإِتَاكُمُ وَالْإِكْتَارَ ؛ فَإِنَّ أَمْوَالَ المُسْلِمِينَ لَا تَحْتَمِلُ الإِضْرَارَ . [6]

242. مكارم الأخلاق عن عقيل بن عبد الرحمن الخولانيّ : كَانَتْ عَمَّتِي تَحْتَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،

[1] أنساب الأشراف : ج 2 ص 375 .

[2] رَأَبٌ : أَصْلَحَ وَجَبَرَ (النهاية : ج 2 ص 176) .

[3] طَلَفُ العَيْشِ : بُؤْسُهُ وَشِدَّتُهُ وَخُسُوفُهُ (النهاية : ج 3 ص 159) .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 250 .

[5] الاختصاص : ص 151 .

[6] الخصال : ص 310 ح 85 .

242. مكارم الأخلاق عن عقيل بن عبد الرحمن الخولانيّ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالكُوفَةِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَرْدَعَةٍ [1] حِمَارٍ مُبْتَلَّةٍ [2] ، قَالَتْ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ امْرَأَةً لَهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقُلْتُ لَهَا : وَيْحَكَ ! إِنَّ بَيْتَكَ مُمْتَلِئٌ مَتَاعًا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسٌ عَلَى بَرْدَعَةٍ حِمَارٍ مُبْتَلَّةٍ ! فَقَالَتْ : لَا تُلُومِيَنِي ، قَوْلَاللهِ مَا يَرَى شَيْئًا يَنْكَرُهُ إِلَّا أَخَذَهُ فَطَرَحَهُ فِي بَيْتِ المَالِ . [3]

[1] البَرْدَعَةُ والبردعة: ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه، كالسرج للفرس (المعجم الوسيط: ج 1 ص 48) .

[2] أي مُقَطَّعة . يقال : بَتَلَهُ : قَطَعَهُ ، كَبَتَلَهُ (راجع : تاج العروس : ج 14 ص 40) .

[3] مكارم الأخلاق : ج 1 ص 286 ح 894 .

الفصل السادس : السياسة الاجتماعية

أ - إقامة العدل

243. الإمام عليّ عليه السلام - في عهده إلى مالِكِ الْأَشْتَرِ -: وَلَيْكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ . . . إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِيفَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ . [1]

ب - الالتزام بالحقوق

244. الإمام عليّ عليه السلام : جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُقُوقَ عِبَادِهِ مُقَدِّمَةً لِحُقُوقِهِ ؛ فَمَنْ قَامَ بِحُقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ كَانَتْ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا إِلَى الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ . [2]

ج - تنمية الحرية البناءة

245. الإمام عليّ عليه السلام : أَتَيْهَا النَّاسُ ! إِنَّ أَدَمَ لَمْ يَلِدْ عَبْدًا وَلَا أَمَةً ، وَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَحْرَارٌ . [3]

246. عنه عليه السلام : لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا . [4]

[1]. نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[2]. غرر الحكم : ح 4780 .

[3]. الكافي : ج 8 ص 69 ح 26 .

[4]. نهج البلاغة : الكتاب 31 .

د - الاهتمام بـ رضى العامة

247. الإمام عليّ عليه السلام - في عهده إلى مالِكِ الْأَشْتَرِ -: قَاعَمَلْ فيما وُلِّيتَ عَمَلْ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَدَّخِرَ حُسْنَ الثَّنَاءِ مِنَ الرَّعِيَّةِ ، وَالْمَنْوَبَةِ مِنَ اللَّهِ ، وَالرِّضَا مِنَ الْإِمَامِ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . [1]

هـ - الرحمة للرعية والمحبة لهم

248. الإمام عليّ عليه السلام - في عهده إلى مالِكِ الْأَشْتَرِ -: وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِبًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإِمَّا تَطِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَغْرُطُ مِنْهُمْ الرُّلُلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَا ، فَأَعْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ؛ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ . وَقَدْ اسْتَنْقَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتِلَاكَ بِهِمْ . وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ... وَاعْلَمْ أَنَّه لَيْسَ شَيْءٌ يَدْعِي إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَوَاقِفَ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبْلَتُهُمْ ، فَلَيْكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ . [2]

وزاد في تحف العقول : فَأَعْرِفْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ لَكَ وَعَلَيْكَ لِيَتَزِدَّكَ بَصِيرَةٌ فِي حُسْنِ الصَّنْعِ ، وَاسْتِكْنَارِ حُسْنِ التَّلَاءِ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، مَعَ مَا يُوْجِبُ اللَّهُ بِهَا لَكَ فِي الْمَعَادِ . [3]

[1]. تحف العقول : ص 138 .

[2]. نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[3]. تحف العقول : ص 126 - 130 .

249. الإمام عليّ عليه السلام - في عَهْدِهِ إِلَى مالِكِ الْأَشْتَرِ -: إَجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ فِسْمًا تُقَرِّعُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا ، فَتَتَوَاصَّعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ : «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ» . . . ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا ، مِنْهَا : إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَبْعَا عَنْهُ كُتَاتُكَ . وَمِنْهَا : إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحَرَّجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ . . . فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيْقِ ، وَقِلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ ، وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكِبَرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبَحُ الْحَسَنُ ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ . [1]

ز - الاجْتِنَابُ عَنِ الْغَضَبِ

250. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ وَصِيَّتِهِ لِابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ اسْتِخْلَافِهِ: سَعَى النَّاسُ يَوْجَهَكَ وَمَجْلِسِيكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِتَاكَ وَالْغَضَبَ ؛ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ . [2]

ح - إعَانَةُ الْمَظْلُومِ

251. الإمام عليّ عليه السلام : أَهْيَا النَّاسُ ! أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِيكُمْ ، وَابْنِ اللَّهِ لِأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِرَامَتِهِ ، حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهَا . [3]

[1] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 76 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 136 .

252. عنه عليه السلام : الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ . [1]

ط - تَأْسِيسُ بَيْتِ الْقِصَصِ

253. صبح الأعشى : أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ بَيْتًا تَرْمَى فِيهِ قِصَصُ أَهْلِ الطُّلَامَاتِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . [2]

254. شرح نهج البلاغة : كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتٌ سَمَّاهُ : بَيْتَ الْقِصَصِ ، يُلْقِي النَّاسُ فِيهِ رِقَاعَهُمْ . [3]

ي - الْجِرْصُ عَلَى جَمَاعَةِ الْأُمَّةِ

255. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كَلَامِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ :- الزَّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ؛ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَإِتَاكُمْ وَالْفِرْقَةَ ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْعَتَمِ لِلدُّبِّ . [4]

256. عنه عليه السلام : وَابْنِي ، وَاللَّهِ ، لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُذَلُّونَ [5] مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ . [6]

[1] نهج البلاغة : الخطبة 37 .

[2] صبح الأعشى : ج 1 ص 414 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 17 ص 87 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 127 .

[5] الإدالة : الغلبة (النهاية : ج 2 ص 141 «دول») .

[6] نهج البلاغة : الخطبة 25 .

257. الإمام علي عليه السلام - في عهده إلى مالك الأشر: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيك في نفسك ، ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمجكه [1] الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من القبي إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات ، وأخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطلاء ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل . [2]

ب - التأمين الاقتصادي للقضاة

258. الإمام علي عليه السلام - في عهده إلى مالك الأشر: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيك في نفسك . . . وأفسح له في البدل ما يزيل عنته وتغل معة حاجته إلى الناس . [3]

[1] المعك: اللجاج (النهاية: ج 4 ص 303).

[2] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[3] نفس المصدر .

ج - التأكيد على آداب القضاء

259. الكافي عن أحمد بن أبي عبد الله رفعه : قال أمير المؤمنين عليه السلام لشریح : لا تسار أحدا في مجلسك ، وإن غضبت فقم ؛ فلا تقصين وأنت غضبان . [2]

260. الإمام علي عليه السلام - في كتابه إلى محمد بن أبي بكر: وإذا أنت قضيت بين الناس فأخض لهم جناحك ، ولين لهم جانبك ، وأبسط لهم وجهك ، وأس بينهم في اللخط والتطر ، حتى لا يطمع العظماء في خيفك لهم ، ولا يأس الضعفاء من عدلك عليهم . [3]

د - عزل من تخلف عن الآداب

261. عوالي اللآلي : إن أمير المؤمنين ولّى أبا [4] الأسود الدؤلي القضاء ثم عزله ، فقال له: لم عزلتني وما جئت وما خنت ؟ فقال عليه السلام : إنّي رأيت كلامك يعلو على كلام الخصم . [5]

ه - مراقبة قضاء القضاة

262. الإمام علي عليه السلام - في عهده إلى مالك الأشر ، بعد أن ذك: ثم أكثر تعاهد قضائه . [6]

263. الإمام الصادق عليه السلام : لما ولّى أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - شريحا القضاء اشترط عليه أن لا يتفد القضاء حتى يعرضه عليه . [7]

[1] في المصدر : «فأنت» ، والصحيح ما أثبتناه كما في كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 3 ص 14 ح 3239 .

[2] الكافي : ج 7 ص 413 ح 5 .

[3] تحف العقول : ص 177 .

[4] في المصدر : «أبو» ، وهو تصحيف .

[5] عوالي اللآلي : ج 2 ص 343 ح 5 .

[6] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[7] الكافي : ج 7 ص 407 ح 3 .

و - التحذير من الجور والجهل في القضاء

264. الإمام علي عليه السلام : أقطع شئ ظلم القضاء . [1]

265.عنه عليه السلام : مَنْ جَارَتْ أَقْضِيَّتُهُ رَأَتْ قُدْرَتُهُ . [2]

ز - مُبَاشَرَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَضَاءَ بِنَفْسِهِ

266.عوالي اللآلي : رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ [أَيْ الْقَضَاءَ] فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، وَلَهُ بِهِ دَكَّةٌ مَعْرُوقَةٌ يَدْكُهَا الْقَضَاءُ . [3]

267.إرشاد القلوب : رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا يَفْرُغُ مِنَ الْجِهَادِ يَتَقَرَّغُ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ ، وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ . [4]

ح - إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى الْقَرِيبِ وَالتَّعْيِيدِ

268.الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ قَنْبَرًا أَنْ يَضْرِبَ رَجُلًا حَدًّا ، فَعَلَطَ قَنْبَرٌ فَرَادَةً ثَلَاثَةَ أَسْوَاطٍ ، فَأَقَادَهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَنْبَرٍ ثَلَاثَةَ أَسْوَاطٍ . [5]

ط - الْخُضُوعُ لِلْقَضَاءِ

269.الكامل في التاريخ عن الشعبي : وَجَدَ عَلِيٌّ دِرْعًا لَهُ عِنْدَ نَصْرَانِيٍّ ، فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى شَرِيحٍ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ ، وَقَالَ: لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا لَسَاوَيْتُهُ ، وَقَالَ: هَذِهِ دِرْعِي . فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا هِيَ إِلَّا دِرْعِي ، وَلَمْ يَكْذِبْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ شَرِيحٌ لِعَلِيٍّ: أَلَيْكَ بَيِّنَةٌ ؟

[1] غرر الحكم : ح 3011 .

[2] غرر الحكم : ح 7943 .

[3] عوالي اللآلي : ح 2 ص 344 ح 8 .

[4] إرشاد القلوب : ص 218 .

[5] الكافي : ح 7 ص 260 ح 1 .

269.الكامل في التاريخ عن الشعبي : قَالَ: لَا ، وَهُوَ يَضَحُكُ . فَأَخَذَ النَّصْرَانِيُّ الدِّرْعَ وَمَشَى بِسِيرَا ثُمَّ عَادَ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدَّمَني إِلَى قَاضِيهِ ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ ! ثُمَّ أَسْلَمَ وَاعْتَرَفَ أَنَّ الدِّرْعَ سَقَطَتْ مِنْ عَلِيٍّ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى صِفِّينَ ، فَفَرِحَ عَلِيٌّ بِإِسْلَامِهِ وَوَهَبَ لَهُ الدِّرْعَ وَفَرَسًا ، وَشَهِدَ مَعَهُ قِتَالَ الْخَوَارِجِ . [1]

[1] الكامل في التاريخ : ح 2 ص 443 .

الفصل الثامن : السياسة الأمنية

أ - أَهْمِيَّةُ الْأَمْنِ

270.الإمام علي عليه السلام : شَرُّ الْيَلَادِ بَلَدٌ لَا أَمْنَ فِيهِ ، وَلَا خِصْبَ . [1]

271.عنه عليه السلام : لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ؛ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْقِيءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ ، وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ . [2]

ب - الْإِسْتِخْبَارُ

272.الإمام علي عليه السلام - فِي كِتَابِهِ إِلَى عُمَالِهِ -: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْعُمَالِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ رَجَالًا لَنَا عِنْدَهُمْ بَيْعَةٌ خَرَجُوا هَرَابًا فَتَطَّطُّهُمْ وَجَّهُوا نَحْوَ يَلَادِ الْبَصَرَةِ ، فَاسْأَلْ عَنْهُمْ أَهْلَ يَلَادِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمُ الْعُيُونَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَرْضِكَ ، ثُمَّ اكْتُبْ إِلَيَّ بِمَا يَنْتَهِي إِلَيْكَ عَنْهُمْ ، وَالسَّلَامُ . [3]

[1] غرر الحكم : ح 5684 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 40 .

273. الفتوح - في ذكر حربِ صِفِّينَ :- قَدْ كَانَ مَعَ مُعَاوِيَةَ رَجُلٌ مِنْ جَمِيعِ يُقَالُ لَهُ الْخَصِيُّ بْنُ مَالِكٍ وَكَانَ يُكَاتِبُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذُلَّةٍ عَلَى عَوْرَاتِ مُعَاوِيَةَ . [1]

ج - إِيْتِصَالُ الْأَعْدَاءِ

274. الإمام عليّ عليه السلام : مَنْ اسْتَصْلَحَ عَدُوَّهُ زَادَ فِي عَدَدِهِ . [2]

275. عنه عليه السلام : كَمَا أَنَّ الْخَزِيمَ اسْتِصْلَاحُ الْأَصْدَادِ ، وَمُدَاجَاةُ الْأَعْدَاءِ . [3]

د - الْمُسَالَمَةُ مَعَ الْوَعِيِّ

276. الإمام عليّ عليه السلام : وَجَدْتُ الْمُسَالَمَةَ مَا لَمْ يَكُنْ وَهَنٌ فِي الْإِسْلَامِ أَنْجَعَ مِنَ الْقِتَالِ . [4]

هـ - التَّحْذِيرُ مِنَ اسْتِصْغَارِ الْخَصْمِ

277. الإمام عليّ عليه السلام : لَا تَسْتَصْغِرَنَّ عَدُوًّا وَإِنْ ضَعُفَ . [5]

و - إِنْتِهَازُ الْفُرْصَةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ

278. الإمام عليّ عليه السلام : لَا تُؤَفِّجِ بِالْعَدُوِّ قَبْلَ الْقُدْرَةِ . [6]

279. عنه عليه السلام - فِي الْحِكْمِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ :- أَقْتُلِ الْأَشْيَاءَ لِعَدُوِّكَ أَلَّا تُعْرِقَهُ أَنَّكَ اتَّخَذْتَهُ عَدُوًّا . [7]

[1] الفتوح : ج 3 ص 78 .

[2] غرر الحكم : ج 8230 .

[3] غرر الحكم : ج 7232 .

[4] غرر الحكم : ج 10138 .

[5] غرر الحكم : ج 10216 .

[6] غرر الحكم : ج 10258 .

[7] شرح نهج البلاغة : ج 20 ص 283 ح 244 .

ز - التَّحْذِيرُ مِنَ التَّعْذِيبِ

280. مسند زيد عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عن الإمام - أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ فِي امْرَأَةٍ حَامِلٍ إِعْتَرَى: فَلَعَلَّكَ انْتَهَرْتَهَا أَوْ أَخَفْتَهَا ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَوْ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : لَا حَدَّ عَلَى مُعْتَرِفٍ بَعْدَ بِلَاءٍ ، إِنَّهُ مَنْ قَيَّدَتْ أَوْ خَبَسَتْ أَوْ تَهَدَّدَتْ فَلَا إِقْرَارَ لَهُ . قَالَ : فَخَلَّى عُمَرُ سَبِيلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ تَلِدَ مِثْلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ . [1]

ح - الرِّفْقُ مَا لَمْ يَكُنْ تَأْمُرًا

281. الأموال عن كبير بن نمر : جَاءَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ [2] مِنَ الْخَوَارِجِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي وَجَدْتُ هَذَا يَسُبُّكَ ، قَالَ : فَسَبَّهُ كَمَا سَبَّيْنِي . قَالَ : وَيَتَوَعَّدُكَ ؟ فَقَالَ : لَا أَقْتُلُ مَنْ لَمْ يَقْتُلْنِي ، قَالَ عَلِيٌّ : لَهُمْ عَلَيْنَا ثَلَاثٌ : أَنْ لَا تَمْتَعَهُمُ الْمَسَاجِدَ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا ، وَأَنْ لَا تَمْتَعَهُمُ الْقِيَاءَ مَا دَامَتْ أَيْدِيهِمْ مَعَ أَيْدِينَا ، وَأَنْ لَا تُفَايِلَهُمْ حَتَّى يُفَايِلُونَا . [3]

ط - إِجْلَاءُ الْمُتَأَمِّرِينَ

282. الغارات عن سعيد الأشعريّ : اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَارَ إِلَى النَّهْرَوَانِ رَجُلًا مِنَ النَّحَجِ يُقَالُ لَهُ : هَانِي بْنُ هُوْدَةَ ، فَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ غَنَّا وَبَاهِلَةَ قَتْنَاهَا ، فَدَعَا اللَّهَ عَلَيْكَ أَنْ تَطْفِرَ بِكَ عَدُوُّكَ ، قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَجْلَهُمْ مَرَّةَ الْكُوفَةِ وَلَا تَدْعَ مِنْهُمْ أَحَدًا . [4]

[1] مسند زيد : ص335 .

[2] في المصدر : «لرجل» وهو تصحيف.

[3] الأموال : ص245 ح567 .

[4] الغارات : ج1 ص18 .

الفصل التاسع : السياسة الحربية

أ - الإهتمام بالتدريب العسكريّ

1 . تعليم الجيش

283.الإمام عليّ عليه السلام - من وصيّته ليزياد بن النضر حين أنقذ: أعلم أنّ مُقدِّمة القوم غيوتهم ، وغيوت المُقدِّمة طلائعهم ، فإذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوك فلا تسأم [1] من توجيه الطلائع في كلّ ناحية ، وفي بعض الشّيعاب والشّجر والخمر [2] ، وفي كلّ جانب ، حتّى لا يُغيركم عدوكم ، ويكون لكم كمينٌ . ولا تُسيّر الكتائب والقبايل من لدن الصّباح إلى المساء إلاّ تعيّية ، فإنّ دهمكم أمرٌ أو غشيكم مكروهٌ كنتم قد تقدّمتم في التّعيّية . وإذا نزلتم يعدّو أو نزل يكمّ قليكن مُعسكركم في أقبال الأشراف ، أو في سيفاح الجبال ، أو أثناء الأنهار ؛ كيما تكون لكم رداء ودوتكم مردّا . ولتكنّ مُقاتلتكم من وجهٍ واجِدٍ واثنين . واجعلوا رُقاءكم في صياصي [3] الجبال ، ويأعلى الأشراف ، ويمناكب الأنهار ؛

[1] سَنِمَ منه : ملّ (لسان العرب : ج12 ص280) .

[2] الخمر : ما وارك من الشجر والجبال ونحوها (لسان العرب : ج4 ص256) .

[3] صياصي الجبال : أطرافها العالية (مجمع البحرين : ج2 ص1063) .

283.الإمام عليّ عليه السلام - من وصيّته ليزياد بن النضر حين أنقذ يربنون لكم ؛ لئلا يأتينكم عدوٌ من مكانٍ مخافٍ أو أمني . وإذا نزلتم فأنزلوا جميعا ، وإذا رحلتم فارحلوا جميعا ، وإذا غشيكم الليل فتزلتم فحقوا عسكركم بالرماح والتّرس ، واجعلوا رُماتكم يلوون ترستكم ؛ كيلا تُصاب لكم غرّة ، ولا تُلقى لكم غفلة . واحرس عسكرك بنفسك، وإياك أن ترفد أو تُصيح إلاّ غرارا [1] أو مضمضة [2] . ثمّ ليكنّ ذلك شأنك ودأبك حتّى تنتهي إلى عدوك . وعليك بالتأّتي في حربك ، وإياك والعجلة إلاّ أن تُمكنك فرصة . وإياك أن تُقاتل إلاّ أن يبدؤوك ، أو يأتينك أمري . والسّلام عليكم ورحمة الله . [3]

2 . تنظيم الجيش

284.دعائم الإسلام : إنّهُ [عليّا عليه السلام] كان إذا زحف للقتال جعل ميمته وميسرة وقلبا يكون هو فيه ، ويجعل لها روابط ، ويُقدّم عليها مُقدّمين ، ويأمرهم يخفض الأصوات ، والدعاء ، واجتماع القلوب ، وشهر السيوف ، وإظهار العدة ، ولزوم كلّ قوم مكانهم ، ورجوع كلّ من حمل إلى مصافّه بعد الحملة . [4]

3 . إتيهاؤ الفرصة

285.الإمام عليّ عليه السلام - في وصف القتال :- من رأى فرصة من العدو فلينبش ، ولينبهز الفرصة بعد إحكام مركزه ، فإذا قضى حاجته عاد إليه . [5]

[1] الغرار : النوم القليل ، وفيل : هو القليل من النوم وغيره (لسان العرب : ج5 ص17) .

[2] أي ينام ثمّ يستيقظ ثمّ ينام ؛ تشبيها بمضمضة الماء في الغم يأخذه ثمّ يمجه ، وهو أدقّ التشبيه وأجمله (صحي الصالح) .

[3] تحف العقول : ص191 .

[4] دعائم الإسلام : ج1 ص372 .

[5] نفس المصدر .

4 . الإنسحابُ التّكتيكيّ

286. الإمام عليّ عليه السلام : كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ عِنْدَ الْحَرْبِ - : لَا تَشْتَدَّتْ عَلَيْكُمْ قَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ . [1]

ب - تَأْسِيسُ الْقُوَّاتِ الْخَاصَّةِ

287. الإمام الصادق عليه السلام : كَانُوا - شُرْطَةً [2] الْخَمِيسِ - سِتَّةَ آلَافٍ رَجُلٍ أَنْصَارُهُ أَيُّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [3]

288. رجال الكشي عن أبي الجارود : قُلْتُ لِلْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ : مَا كَانَ مَنَزِلَةُ هَذَا الرَّجُلِ [عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] فِيكُمْ ؟ قَالَ : مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ ! إِلَّا أَنَّ سُيُوفَنَا كَانَتْ عَلَى عَوَانِقِنَا ، فَمَنْ أَوْمَى إِلَيْهِ صَرَبَانُهُ بِهَا . وَكَانَ يَقُولُ لَنَا : تَشَرَّطُوا ، فَوَاللَّهِ مَا اشْتَرَاكُمْ لِدَهَبٍ وَلَا لِفِضَّةٍ ، وَمَا اشْتَرَاكُمْ إِلَّا لِلْمَوْتِ ، إِنَّ قَوْمًا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ [4] تَشَارَطُوا بَيْنَهُمْ ، فَمَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَانَ نَبِيٌّ قَوْمِهِ ، أَوْ نَبِيٌّ قَرِينِهِ ، أَوْ نَبِيٌّ نَفْسِهِ ، وَأَنْتُمْ لِمَنْزِلَتِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ بِأَنْبِيَاءَ . [5]

ج - الْعِنَايَةُ الْخَاصَّةُ بِالْقُوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ

289. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ - : ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدَيْهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتُهُمْ بِهِ . وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتُهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدَلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَخُسْنِ الظَّنِّ بِكَ . وَلَا تَدَعِ تَفَقُّدَ لَطِيفٍ

[1] نهج البلاغة : الكتاب 16 .

[2] شُرْطُ السُّلْطَانِ : نَخْبَةُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَقْدِمُهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ جُنْدِهِ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : هُمُ الشُّرَطُ ، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِمْ : شُرْطِيٌّ ؛ وَالشُّرْطَةُ ، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِمْ : شُرْطِيٌّ (النهاية : ج 2 ص 460) .

[3] الاختصاص : ص 2 .

[4] سقط ما بين المعقوفين من المصدر وأثبتناه من بحار الأنوار .

[5] رجال الكشي : ج 1 ص 19 الرقم 8 .

289. الإمام عليّ عليه السلام - فِي عَهْدِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ - أُمُورُهُمْ إِيكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا ؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ . [1]

د - الْإِهْتِمَامُ بِمَعْنَوِيَّاتِ الْجَيْشِ

1 . التَّحْرِيزُ

290. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ : تَرَوْكُمُ الْجِبَالَ وَلَا تَزُلُّ ، عَصَى عَلَى نَاجِيكَ . أَعِزَّ اللَّهُ جُمُوعَتَكَ . يَدٌ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ . أَرِمَ يَبْصَرَكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغَضَّ بَصَرَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ . [2]

2 . الشِّعَارُ

291. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَ بِإِعْلَانِ الشِّعَارِ قَبْلَ الْحَرْبِ ، وَقَالَ: لِيَكُنْ فِي شِعَارِكُمْ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ . [3]

3 . التَّحْذِيرُ مِنَ الْفِرَارِ

292. الإمام عليّ عليه السلام : لِيَعْلَمَ الْمُتَهَرِّمُ بِأَنَّهُ مُسَخِّطُ رَبِّهِ ، وَمَوْبِقُ نَفْسِهِ ، إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ ، وَالذُّكَّ اللَّازِمَ ، وَالْعَارَ الْبَاقِيَّ ، وَقَسَادَ الْعَيْشِ عَلَيْهِ . وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُثْمَرِهِ ، وَلَا مَحْجُوزٌ بَيْتُهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ ، وَلَا يُرْضَى رَبُّهُ . وَلَمَوْتُ الرَّجُلِ مَحَقًا قَبْلَ إِتْيَانِ هَذِهِ الْخِصَالِ خَيْرٌ مِنَ الرِّضَى بِالتَّلْبِيسِ بِهَا ، وَالْإِقْرَارِ عَلَيْهَا ! [4]

[1] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 11 .

[3] دعائم الإسلام : ج 1 ص 370 .

[4] الكافي : ج 5 ص 41 ح 4 .

هـ - الخُدعة

293. الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: لَأَنْ تَخْطِفَنِي الطَّيْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا لَمْ يَقُلْ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ: الْحَرْبُ خُدْعَةٌ . يَقُولُ: تَكَلَّمُوا بِمَا أَرَدْتُمْ . [1]

294. الكافي عن عديّ بن حاتم : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَوْمَ النَّقَى هُوَ وَمُعَاوِيَةُ بِصِقِينَ - وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ لِيُسْمِعَ أَصْحَابَهُ - : وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ فِي آخِرِ قَوْلِهِ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ - يَخْفِضُ بِهَا صَوْتَهُ - . وَكُنْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ حَلَفْتَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ، ثُمَّ اسْتَشْنَيْتَ ، فَمَا أَرَدْتَ بِذَلِكَ ؟ ! فَقَالَ لِي: إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ ، وَأَنَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ كَذُوبٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْرِضَ أَصْحَابِي عَلَيْهِمْ ؛ كَيْلَا يَفْشَلُوا ، وَكَيْ يَطْمَعُوا فِيهِمْ ، فَأَفْقَهُمْ يَنْتَفِعُ بِهَا بَعْدَ الْيَوْمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . [2]

و - أخلاق الحرب

1 . التَّهْيِ عَنْ الْإِبْتِدَاءِ بِالْقِتَالِ

295. الإمام عليّ عليه السلام - فِي كِتَابِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ قَبْلَ وَقَعَةٍ: إِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ يَبْدُووكَ ، حَتَّى تَلْقَاهُمْ ، وَتَسْمَعَ مِنْهُمْ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكَ شَنَاثُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ! [3]

2 . الْخَصَاةُ السِّيَاسِيَّةُ لِلرُّسُلِ

296. الإمام عليّ عليه السلام : إِنْ طَفِرْتُمْ بِرَحْلٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ فَرَعَمَ أَنَّهُ رَسُولُ إِلَيْكُمْ ؛ فَإِنْ عَرِفَ ذَلِكَ

[1] تهذيب الأحكام : ج 6 ص 162 ح 298 .

[2] الكافي : ج 7 ص 460 ح 1 .

[3] وقعة صفين : ص 153 .

296. الإمام عليّ عليه السلام : مِنْهُ وَجَاءَ بِمَا يَدُّهُ عَلَيْهِ فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُبْلَغَ رَسَالَتِهِ وَبَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا عَلَى قَوْلِهِ دَلِيلًا فَلَا تَقْتُلُوا مِنْهُ [1] .

3 . إِقَامَةُ الْحُجَّةِ قَبْلَ الْحَرْبِ

297. السنن الكبرى عن البراء بن عازب : بَعَثَنِي عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّهْرِ إِلَى الْخَوَارِجِ ، فَدَعَوْتُهُمْ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ . [2]

4 . الدُّعَاءُ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالُ

298. الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ قَالَ هَذِهِ الدَّعَوَاتُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمْتَ سَبِيلًا مِنْ سُبُلِكَ ، جَعَلْتَ فِيهِ رِضَاكَ ، وَتَدَبَّتْ إِلَيْهِ أَوْلِيَاءُكَ ، وَجَعَلْتَهُ أَشْرَفَ سُبُلِكَ عِنْدَكَ نَوَابًا ، وَأَكْرَمَهَا لَدَيْكَ مَأْبًا ، وَأَحَبَّهَا إِلَيْكَ مَسْلَكًا ، ثُمَّ اسْتَرَبْتَ فِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَأْنٍ لَهُمُ الْخَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِدَاكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ اشْتَرَى فِيهِ مِنْكَ نَفْسَهُ ثُمَّ وَفَى لَكَ بِبَيْعِهِ الَّذِي بَايَعَكَ عَلَيْهِ ، غَيْرَ نَاكِثٍ وَلَا نَافِضٍ عَهْدًا ، وَلَا مُبَدِّلًا تَبْدِيلًا ، بَلْ اسْتِجَابًا لِمَحَبَّتِكَ ، وَتَقَرُّبًا بِهَ إِلَيْكَ ، فَاجْعَلْهُ خَاتِمَةَ عَمَلِي ، وَصِيرَ فِيهِ فَنَاءَ عُمْرِي ، وَارْزُقْنِي فِيهِ لَكَ وَبِهِ [3] مَشْهَدًا تَوْجِبُ لِي بِهِ مِنْكَ الرِّضَا ، وَتَحُطُّ بِهِ عَنِّي الْخَطَايَا ، وَتَجْعَلْنِي فِي الْأَحْيَاءِ الْمَرْزُوقِينَ بِأَيْدِي الْعُدَاةِ وَالْعَصَاةِ ، تَحْتَ لِيَاوَةِ الْحَقِّ وَرَايَةِ الْهُدَى ، مَاضِيًا عَلَى نُصْرَتِهِمْ قُدُّمًا ، غَيْرَ مُؤَلٍّ ذُبْرًا ، وَلَا مُحْدِثٍ شَكًّا ، اللَّهُمَّ وَأَعُوذُ بِكَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجُبْنِ عِنْدَ مَوَارِدِ الْأَهْوَالِ ، وَمِنَ الضَّعْفِ عِنْدَ مُسَاوَرَةِ [4] الْأَبْطَالِ ، وَمِنَ الذَّنْبِ الْمُحِيطِ لِلْأَعْمَالِ ، فَاجْعَلْ

[1] دعائم الإسلام : ج 1 ص 376 .

[2] السنن الكبرى : ج 8 ص 309 ح 16739 .

[3] قوله عليه السلام : «وبه مشهدا» عطف على «فيه» ، ولعله زيد من النسّاخ أو صُحِّفَ (مرآة العقول : ج 18 ص 384) . وفي تهذيب الأحكام : «وارزقني فيه لك وبك مشهدا» ولعله أصوب .

[4] ساوَرَه مُسَاوَرَةٌ وَسِيَاوَارًا : وَاتَّبَه ، وَالْإِنْسَانُ يُسَاوِرُ إِنْسَانًا : إِذَا تَنَاوَلَ رَأْسَهُ (لسان العرب : ج 4 ص 385) .

298. الإمام الصادق عليه السلام : مَنْ شَكَّ ، أَوْ أَمْضَى [1] يَغْيِرَ يَقِينٍ ، فَيَكُونُ سَعِييَ فِي تَبَابٍ ، وَعَمَلِي غَيْرَ مَقْبُولٍ . [2]

5 . الْبَدْءُ بِالْقِتَالِ بَعْدَ الرِّوَالِ

299. الإمام الصادق عليه السلام : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - لَا يُقَاتِلُ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ وَيَقُولُ : تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُقِيلُ الرَّحْمَةُ ، وَتَنْزِلُ النَّصْرُ . وَيَقُولُ : هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ اللَّيْلِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَقِلَّ الْقَتْلُ ، وَيَرْجَعَ الطَّالِبُ ، وَيُفْلِتَ الْمُنْهَرِمُ . [3]

6 . حُسْنُ الْمُعَامَلَةِ مَعَ بَقَايَا الْعَدُوِّ

300. تاريخ اليعقوبي عن إسماعيل بن عليّ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عَلَّمَ قِتَالَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْتُلُ أُسِيرًا ، وَلَا يَتَّبِعُ مُنْهَرِمًا ، وَلَا يُجْهَرُ عَلَى جَرِيحٍ . [4]

[1] في الطبعة المعتمدة : «مضى» ، والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر .

[2] الكافي : ج 5 ص 46 ح 1 ، تهذيب الأحكام : ج 3 ص 81 ح 237 ، بحار الأنوار : ج 33 ص 452 ح 664 .

[3] الكافي : ج 5 ص 28 ح 5 .

[4] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 383 .



الفصل العاشر : السياسة الدوليّة

أ - ما يُوجِبُ بقاءَ الدَّولِ

1 . إقامةُ العَدْلِ

301. الإمام عليّ عليه السلام : مَنْ عَمِلَ بِالْعَدْلِ حَصَّنَ اللَّهُ مُلْكَهُ . [1]

302. عنه عليه السلام : ثَبَاتُ الْمُلْكِ فِي الْعَدْلِ . [2]

303. عنه عليه السلام : جَعَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - الْعَدْلَ قِوَامًا لِلْأَنْامِ ، وَتَنْزِيهَا مِنَ الْمَظَالِمِ وَالْآثَامِ ، وَتَسْنِيَةً لِلْإِسْلَامِ . [3]

304. عنه عليه السلام : إِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا [4] السُّنَنُ ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الرِّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَتَيَسَّرَتْ مَطَامِيعُ الْأَعْدَاءِ . [5]

[1] غرر الحكم : ج 8722 .

[2] المواعظ العددية : ص 54 .

[3] غرر الحكم : ج 4789 .

[4] أي وجوها وطرقها ، وهو جمع ذلّ (النهاية : ج 2 ص 166) .

[5] نهج البلاغة : الخطبة 216 .

2 . حُسْنُ التَّدْبِيرِ

305. الإمام عليّ عليه السلام : مَنْ حَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ دَامَتْ رِيَاسَتُهُ . [1]

306. عنه عليه السلام : يَحْسُنُ السِّيَاسَةَ يَكُونُ الْأَدَبُ الصَّالِحُ . [2]

3 . حُسْنُ السِّيَرَةِ

307. الإمام عليّ عليه السلام : حُسْنُ السِّيَرَةِ جَمَالُ الْقُدْرَةِ ، وَحِصْنُ الْإِمْرَةِ . [3]

4 . الْيَقَظَةُ لِجِرَاسَةِ الْأُمُورِ

308. الإمام عليّ عليه السلام : مِنْ أَمَارَاتِ الدَّوْلَةِ الْيَقَظَةُ لِجِرَاسَةِ الْأُمُورِ . [4]

ب - ما يوجِبُ زوالَ الدَّولِ

1 . الظُّلْمُ

309. الإمام عليّ عليه السلام : شَرُّ الْأَمْرَاءِ مَنْ ظَلَمَ رَعِيَّتَهُ . [5]

310. عنه عليه السلام : مَنْ ظَلَمَ رَعِيَّتَهُ نَصَرَ أَضْدَاؤَهُ . [6]

[1] غرر الحكم : ح 8438 .

[2] الكافي : ج 1 ص 28 ح 34 .

[3] غرر الحكم : ح 4847 .

[4] غرر الحكم : ح 9360 .

[5] غرر الحكم : ح 5717 .

[6] غرر الحكم : ح 7815 .

[7] نهج البلاغة : الحكمة 476 .

2 . سوء التدبير

312. الإمام علي عليه السلام : سوء التدبير سبب التدمير . [1]

313. عنه عليه السلام : يستدل على الإدبار بأربع : سوء التدبير ، وقبح التبذير ، وقلة الاعتبار ، وكثرة الاعتذار . [2]

3 . الاستئثار

314. الإمام علي عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه -: الاستئثار يوجب الحسد ، والحسد يوجب البغضة ، والبغضة توجب الاختلاف ، والاختلاف يوجب الفرقة ، والفرقة توجب الضعف ، والضعف يوجب الذل ، والذل يوجب زوال الدولة وذهاب النعمة . [3]

4 . تضييع الأصول

315. الإمام علي عليه السلام : يستدل على إدبار الدول بأربع : تضييع الأصول ، والتمسك بالفروع [4] ، وتقديم الأراذل ، وتأخير الأفاضل . [5]

ج - إرشادات في العلاقات الاجتماعية والسياسية

1 . قياس الناس بالنفس

316. الإمام علي عليه السلام - في وصيته لابنه محمد بن الحنفية : يا بني ! ... أحسن إلى جميع الناس كما تحب أن يحسن إليك ، وأرض لهم ما ترضاه لنفسك ، واستقيح من نفسك ما

[1] غرر الحكم : ح 5571 .

[2] غرر الحكم : ح 10958 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 20 ص 345 ح 961 .

[4] في الطبعة المعتمدة «بالغور» ، وما أثبتناه من طبعة النجف وببيروت .

[5] غرر الحكم : ح 10965 .

316. الإمام علي عليه السلام - في وصيته لابنه محمد بن الحنفية تستقيح من غيرك ، وحسن مع جميع الناس خلقت ، حتى إذا غبت عنهم حنوا إليك ، وإذا ميت بكوا عليك . وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا تكن من الذين يقال عند موتهم : الحمد لله رب العالمين . [1]

2 . التجنب من المعادة

317. الإمام علي عليه السلام : اجتنبوا . . . من تصاغى القلوب ، وتشاخن الصدور ، وتدابثر النفوس ، وتخاذل الأيدي . [2]

3 . الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ

319.الإمام عليّ عليه السلام : أَثْبَتْنَا النَّاسُ ! وَإِنَّ الْوَفَاءَ تَوَاضَعُ الصِّدْقُ ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ [4] ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْقَدَرِ كَيْسًا [5] ، وَتَسَبَّهَ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ . [6]

4 . الْإِسْتِقْلَالُ التَّقَافِي

320.الإمام الصادق عليه السلام : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : لَا تَرَاثُ هَذِهِ الْأُمَّةُ يَخِيرُ مَا لَمْ يَلْبَسُوا لِبَاسَ الْعَجَمِ ، وَيَطْعَمُوا أَطْعَمَةَ الْعَجَمِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ . [7]

[1] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 4 ص 387 ح 5834 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[3] غرر الحكم : ح 5247 .

[4] أي من علم الآخرة وطوى عليها عقيدته منعه ذلك أن يغدر (شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 313) .

[5] الكبس : العقل (النهاية : ج 4 ص 217) .

[6] نهج البلاغة : الخطبة 41 .

[7] المحاسن : ج 2 ص 178 ح 1504 .

القسم السادس : حروب الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأول : الحرب الأولى : وقعة الجمل

الفصل الثاني : الحرب الثانية : وقعة صفين

الفصل الثالث : الحرب الثالثة : وقعة نهروان

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

المدخل

نظرة عامة في حروب الإمام عليه السلام

تسلّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقاليد الخلافة بعد انثيال الناس عليه ، وإقبالهم المنقطع النظير ، وإصرارهم المتواصل . وبين سياسته في الحكم بصراحة في أول خطبة حماسيّة جليّة له ، وذكر فيها أنّه لن يطبق الامتيازات التي لا أساس لها في الإسلام ، وأنّه سوف يُحدث تغييراً جذريّاً في المجتمع ، ويقضي على التفاضل والتميّز الموهوم في كافّة زوايا المجتمع ؛ لأنّ ذلك كلّ من سمات الجاهليّة التي عادت إلى الناس كهيتها قبل البعثة النبويّة الشريفة . ومن الواضح أنّ الكثيرين لم يتحمّلوا تلك المساواة ، وامتعضوا من فقدانهم منزلتهم وامتيازاتهم ، ولم يهدأ أولئك الذين عكّروا الماء عند هجومهم على عثمان ليصطادوا لهم منصبا . ولم يُطبق هذه السياسة الثوريّة العاصفة الوصوليّون النفعيّون الذين تسلّطوا على الأمّة بلا سابقة ولا شرف باذخ ، وفعلوا ما شاؤوا ، غير مباليين بالحكومة المركزيّة . ولهذا لم تكّد تمضي أيّام قلائل على حكومة الإمام صلوات الله عليه حتى بدأت المواجهات ، وتكشّفت الذرائع والحجج الواهية التي

وكانت تلك المواجهات عسيرة ثقيلة إذا ما نظرنا إلى جذورها ، وكيفية تبلور الكيان الذي كان عليه موقدوها ، لاسيما أصحاب الجمل والنهروان ، وأصغر الإمام عليه السلام بذلك مرارا ، فقال : «لَوْ لَمْ أَكُ فَيَكُمُ مَا قُوتِلَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ وَأَهْلُ النَّهْرَوَانِ !» . [1] وقال : «إِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرَأَ عَلَيَّ أَحَدٌ غَيْرِي ، بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيْهْبُهَا [2] ، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا [3] .» . [4] تُرى ! من كان قادرا على إِبصار ذلك السحاب المُرْكوم من الأفكار الفاسدة ، والجهل المطبق ، والشرك المعقّد ، في ظلّ العناوين البرّاقة الخادعة ! كعنوان : الصحابة ، وعنوان السابقين ، ووجه المتنسّكين الجهلة المتحدّرين أصحاب الجباه التي أنفنها السجود ؟ ! ومن كان متمكّنا من الأمر بقمع هؤلاء وإبادتهم ؟ ! أجل ، كان عمل عليّ عليه السلام عملاً عسيرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ذلك كلّ في مرآة الزمن ، فأشار إليه مرارا ، وقال مخاطبا الإمام : «تُقَاتِلُ عَلَى التَّأْوِيلِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى التَّنْزِيلِ» ، وقال : «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي ، يُقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ» . وأكثر من ذلك أنّه صلى الله عليه وآله كشف هويّة مُسْعِرِي الحروب ضدّ الإمام ، فقال : «هَذَا وَاللَّهِ قَاتِلُ الْقَاسِيَتَيْنِ وَالتَّاكِنَيْنِ وَالْمَارِقَيْنِ بَعْدِي» . من هنا كان بعض الصحابة يتحدّثون عن هذه الحقيقة قبل أن تُقبل الخلافة على الإمام عليه السلام .

[1] الغارات : ج 1 ص 7 و ص 16 .

[2] الْقِيْهَبُ : الطُّلْمَةُ (لسان العرب : ج 1 ص 653) .

[3] الْكَلْبُ : داء يعرض للإنسان من عضّ الْكَلْبِ الْكَلْبِ ، فيصيّبه شبه الجنون فلا يَعْصُ أحدا إلّا كَلْبَ ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا (لسان العرب : ج 1 ص 723) .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 93 .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله مكلّفا برسالة إبلاغ الدين ، كما كان على عاتقه مهمّة الكشف عمّا سيحدث لهذه الأمّة في المستقبل ؛ لأنّ دينه يتّصف بالخلود ، وهو لكلّ زمان ومكان . فكان يخبر بتلك المواجهات ، ويعرّف الناس بموقدي نار الفتنة - كما مرّ - فذكرهم في عداد أهل الباطل ، وعرفهم ، على أنّهم شرذمة فتنة ، وفتنة باغية ، وقال صلى الله عليه وآله : «يَا عَلِيُّ، سَتُقَاتِلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ وَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ ، فَمَنْ لَمْ يَنْصُرْكَ يَوْمَئِذٍ فَلَيْسَ مِنِّي» . [1] ومن جانب آخر ، فقد صرّح صلى الله عليه وآله للجميع بأحقّية الإمام عليه السلام في حروبه ، واستقامته فيها ، بعد أن كان يُطْرَق على شخصيّة الإمام ، ويؤكّد أنّه مع الحقّ والحقّ معه دائما [2] ، فقال صلى الله عليه وآله : «أَنْتَ . . . تُقَاتِلُ عَن سُنَّتِي» [3] ، وقال : «حَرْبٌ عَلَيَّ حَرْبُ اللَّهِ» [4] ، وقال : «حَرْبُكَ حَرْبِي» [5] ، أو : «حَرْبُكَ حَرْبِي ، وَسِلْمُكَ سِلْمِي» [6] ، إلى غيرها من الأحاديث . وبهذا كلّ أفصح رسول الله صلى الله عليه وآله عن مقام الإمام الإلهي ؛ لتستبين في المستقبل حقائق الأشخاص والأعمال ، وتتجلّى صفة الحقّ والباطل . وبعد هذه النظرة المقتضبة سنكون مع إضمامة من الأخبار والأسانيد التي تتكفّل بإضاءة ما أوردها :

[1] تاريخ دمشق : ج 42 ص 473 ح 9044 .

[2] تاريخ بغداد : ج 14 ص 321 الرقم 7643 .

[3] مسند أبي يعلى : ج 1 ص 271 ح 524 .

[4] الخصال : ص 496 ح 5 .

[5] المناقب لابن المغازلي : ص 50 ح 73 .

[6] الأمالي للطوسي : ص 364 ح 763 .

أ - تحذير النبيّ صلى الله عليه وآله من محاربة الإمام عليه السلام

321. رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عَلِيُّ، حَرْبُكَ حَرْبِي ، وَسِلْمُكَ سِلْمِي ، وَحَرْبِي حَرْبُ اللَّهِ ، وَمَنْ سَالَمَكَ فَقَدْ سَالَمَنِي ، وَمَنْ سَالَمَنِي فَقَدْ سَالَمَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . [1]

322. عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ: أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ . [2]

ب - إخبار النبي صلى الله عليه وآله بالفتن بعده

323. المستدرك على الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : تُقَاتِلُ التَّاكِنِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ بِالطُّرُقَاتِ وَالتَّهْرَوَاتِ وَبِالشَّعَقَاتِ . [3] قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَعَ مَنْ تُقَاتِلُ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامَ ؟ ! قَالَ : مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . [4]

ج - أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتال المفتونين

324. الإمام علي عليه السلام : أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ التَّاكِنِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ، فَفَعَلْتُ مَا أُمِرْتُ بِهِ ؛ فَأَمَّا التَّاكِنُونَ : فَهُمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجَمَلِ ، وَأَمَّا الْمَارِقُونَ : فَهُمْ الْخَوَارِجُ ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ : فَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَحْزَابِ مُعَاوِيَةَ . [5]

[1] الأُمالي للصدوق : ص 656 ح 891 .

[2] سنن الترمذي : ج 5 ص 699 ح 3870 .

[3] الشَّعَقَاتُ : جمع شعفة ؛ وهي رؤوس الجبال (ناج العروس : ج 12 ص 305 «شعف»).

[4] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 150 ح 4675 .

[5] دعائم الإسلام : ج 1 ص 388 .

د - دوافع البغاة في قتال الإمام عليه السلام

1 . الاستِغلاء

325. الإرشاد : لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ [يَعْلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَام] مَسِيرُ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنْ مَكَّةَ ، حَمِدَ اللَّهُ وَأَشْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَارَتْ عَائِشَةُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْعِي الْخِلَافَةَ دُونَ صَاحِبِهِ ، فَلَا يَدْعِي طَلْحَةُ الْخِلَافَةَ إِلَّا أَنَّهُ ابْنُ عَمٍّ عَائِشَةَ ، وَلَا يَدْعِيهَا الزُّبَيْرُ إِلَّا أَنَّهُ صِهْرُ أَبِيهَا ، وَاللَّهُ لَيَنْ ظَفِرًا يَمَّا يُرِيدَانِ لِيَضْرِبَنَّ الزُّبَيْرُ عُقْبَ طَلْحَةَ ، وَلِيَضْرِبَنَّ طَلْحَةُ عُقْبَ الزُّبَيْرِ ؛ يُنَارِعُ هَذَا عَلَى الْمُلْكِ هَذَا . [1]

2 . الحِقْدُ

326. المناقب للخوارزمي : وَيُرَوَّى فِي يَوْمِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ حُرُوبِ صِفِّينَ : اجْتَمَعَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ، فَذَكَرُوا شَجَاعَةَ عَلِيٍّ وَشَجَاعَةَ الْأَشْتَرِ ، فَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : إِنْ كَانَ الْأَشْتَرُ شُجَاعًا ، لَكِنَّ عَلِيًّا لَا تَطِيرُ لَهُ فِي شَجَاعَتِهِ وَصَوْلَتِهِ وَقُوَّتِهِ ! ! قَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ قَتَلَ عَلِيًّا أَبَاهُ ، أَوْ أَخَاهُ ، أَوْ وَلَدَهُ ؛ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَبَاكَ يَا وَلِيدُ ، وَقَتَلَ عَمَّكَ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقَتَلَ يَابْنَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ أَبَاكَ يَوْمَ الْجَمَلِ ، فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ أَدْرَكْتُمْ تَارِكُمْ مِنْهُ ، وَشَقِيتُمْ صُدُورَكُمْ . [2]

3 . الحَسَدُ

327. الأُمالي للمفيد عن الحسن بن سلمة : لَمَّا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مَسِيرُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ . . . فَقَامَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ وَقَالَ : يَا

[1] الإرشاد : ج 1 ص 246 .

[2] المناقب للخوارزمي : ص 234 .

327. الأُمالي للمفيد عن الحسن بن سلمة : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ حَسَدَ قُرَيْشٍ إِتَاكَ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَمَّا خِيَارُهُمْ ؛ فَحَسَدُوكَ مُنَافَسَةً فِي الْقَضَلِ ، وَارْتِفَاعًا فِي الدَّرَجَةِ ، وَأَمَّا أَشْرَارُهُمْ ؛ فَحَسَدُوكَ حَسَدًا أَحْبَطَ اللَّهُ بِهِ أَعْمَالَهُمْ ، وَأَثْقَلَ بِهِ أَوْزَارَهُمْ ، وَمَا رَضُوا أَنْ يُسَاوَوْكَ حَتَّى أَرَادُوا أَنْ يَتَقَدَّمُوكَ ، فَبَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الْغَايَةُ ، وَأَسْقَطَهُمُ الْمِضْمَارُ . وَكُنْتُ أَحَقَّ قُرَيْشٍ بِقُرَيْشٍ ؛ تَصَرَّتْ نَبِيَّتُهُمْ حَيًّا ، وَقَصَبَتْ عَنْهُ الْحُقُوقَ مَيِّتًا . وَاللَّهُ مَا بَغِيَهُمْ إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَنَحْنُ أَنْصَارُكَ وَأَعْوَانُكَ ، قَمَرْنَا بِأَمْرِكَ ! [1]

328. الأُمالي للطوسي عن مالك بن أوس : بَعَثَ [عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ] إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَدَعَاهُمَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : أَلَمْ تَأْتِيَانِي وَتُبَايَعَانِي طَائِعِينَ غَيْرَ مُكَرَّهَيْنِ ، فَمَا أَنْكَرْتُمَا ! أَمْ جَوْرٌ فِي حُكْمِي ، أَوْ اسْتِثْنَاءٌ فِي قِيٍّ؟ ! قَالََا : لَا . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَوْ فِي أَمْرِ دَعَوْتُمَانِي إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَصَرْتُ عَنْهُ؟ ! قَالََا : مَعَاذَ اللَّهِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَمَا الَّذِي كَرِهْتُمَا مِنْ أَمْرِي حَتَّى رَأَيْتُمَا خِلَافِي؟ ! قَالََا : خِلَافَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْقَسَمِ ، وَابْتِقَاصَنَا حَقَّنًا مِنَ الْقِيِّ ؛ جَعَلْتَ حَقَّنًا فِي الْإِسْلَامِ كَحَظِّ غَيْرِنَا مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِسُيُوفِنَا مِمَّنْ هُوَ لَنَا فِيهِ فَسَوَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ . [2]

5 . الْجَهَالَةُ

329. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى عَقِيلٍ :- أَلَا وَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَى حَرْبِ أَخِيكَ الْيَوْمَ اجْتِمَاعَهَا عَلَى حَرْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَأَصْحَوْا قَدْ جَهِلُوا حَقَّهُ ، وَجَحَدُوا قَضَاهُ . [3]

[1] الأُمالي للمفيد : ص 154 ح 6 .

[2] الأُمالي للطوسي : ص 731 ح 1530 .

[3] الغارات : ج 2 ص 431 .

هـ - أهداف الإمام عليه السلام في قتال البغاة

1 . إحياء الدِّين

330. مسند ابن حنبل عن أبي سعيد الخدريّ : كُنَّا جُلُوسًا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَعْضِ بُيُوتِ نِسَائِهِ - قَالَ : - فَقُمْنَا مَعَهُ ، فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ فَخَلَفَ عَلَيْهَا عَلِيٌّ يَخْصِفُهَا ، فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَضَيْنَا مَعَهُ ، ثُمَّ قَامَ يَنْتَظِرُهُ ، وَقُمْنَا مَعَهُ . فَقَالَ : إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ ، فَاسْتَشْرَفْنَا وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقَالَ : لَا ، وَلِكِنَّهُ خَاصِفُ الْعُلَى . قَالَ : فَجِئْنَا بُشَيْرُهُ ، - قَالَ : - وَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ . [1]

2 . الدِّفَاعُ عَنِ السُّنَّةِ

331. رسول الله صلى الله عليه وآله - لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَنْتَ أَخِي ، وَأَبُو وَلَدِي ، تُعَانِلُ عَن سُنَّتِي ، وَتُبْرِيئُ دِمَّتِي . [2]

3 . مُكَافَحَةُ الْبِدْعَةِ

332. الأُمالي للطوسي عن أبي سعيد الخدريّ : أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا يَمَّا يَلْقَى بَعْدَهُ ، فَبَكَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَسَأَلْتُكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ ، وَقَرَاتِي مِنْكَ ، وَحَقَّ صُحْبَتِي إِيَّاكَ ، لَمَّا دَعَوْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْبِضَنِي إِلَيْهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَتَسْأَلُنِي أَنْ أَدْعُو رَبِّي لِأَجَلٍ مُؤَجَّلٍ؟ قَالَ : فَعَلَامَ أَقَابِلُهُمْ؟ قَالَ : عَلَى الْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ . [3]

[1] مسند ابن حنبل : ج 4 ص 163 ح 11773 .

[2] مسند أبي يعلى : ج 1 ص 271 ح 524 .

[3] الأُمالي للطوسي : ص 501 ح 1098 .

كلاماً في إصابة الإمام عليه السلام في جميع حروفه

قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد : ومن الدليل على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مصيباً في حروبه كلّها ، وأنّ مخالفه في ذلك على ضلال ، ما تظاهرت به الروايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله : «حَرْبُكَ يَا عَلِيُّ حَرْبِي ، وَسِلْمُكَ يَا عَلِيُّ سِلْمِي» [1] ، وقوله صلى الله عليه وآله : «يَا عَلِيُّ ، أَتَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكَ ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكَ» . [2] وهذان القولان مرويان من طريقي العامة والخاصة والمنتسبة من أصحاب الحديث إلى السنة ، والمنتسبين منهم إلى الشيعة ، لم يعترض أحد من العلماء الطعن على سندهما ، ولا ادّعى إنسان من أهل المعرفة بالآثار كذب رواتهما . وما كان هذا سبيله وجب تسليمه والعمل به ، إذ لو كان باطلاً لما خلت الأمة من عالم منها ينكره ويكذب رواته ، ولا سلم من طعن فيه ، ولعرف سبب تخوّصه وافتعاله ، ولأقيم دليل الله سبحانه على بطلانه ، وفي سلامة هذين الخبرين من جميع ما ذكرناه حجة واضحة على ثبوتهما حسبما بيّناه . ومن ذلك : الرواية المستفيضة عن

[1] الفصول المختارة : ج2 ص245 .

[2] الأمالي للمفيد : ص213 ح4 .

[3] المسترشد : ص429 ح142 .

وقوله - لسهيل بن عمرو ومن حضر معه لخطابه على ردّ من أسلم من مواليهم - : «لَتَنْتَهَنَّ بِمَا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ لَتَبَعَتِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رَجُلًا يَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا ضَرَبْتُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ» . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ فُلَانٌ ؟ قَالَ : «لا» . قَالَ : فُفُلَانٌ ؟ قَالَ : «لا» ، وَلَكِنَّهُ خَاصِفٌ [1] النَّعْلِ فِي الْحُجْرَةِ» . فَتَنَظَرُوا فَإِذَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحُجْرَةِ يَخْصِفُ نَعْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [2] ومن ذلك : قوله صلى الله عليه وآله وأمر المؤمنين عليه السلام : «تُقَاتِلُ بَعْدِي التَّائِبِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ» . والقول في هذه الرواية كالأخبار التي تقدّمت ، قد سلمت من طاعن في سندها بحجّة ، ومن قيام دليل على بطلان ثبوتها ، وسلم لروايتها الفريقات فدّل على صحّتها . ومن ذلك : قوله صلى الله عليه وآله : «عَلَيَّْ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، اللَّهُمَّ أَدِرْ الْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُمَا دَارَ» [3] . وهذا أيضا خبر قد رواه محدّثو العامّة ، وأثبتوه في الصحيح عندهم ، ولم يعترض أحدهم لتعليل سنده ، ولا أقدم منهم مقدم على تكذيب ناقله ، وليس توجد حجّة في العقل ولا السمع على فساده ، فوجب الاعتقاد بصحّته وصوابه . ومن ذلك : قوله صلى الله عليه وآله : «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَنْصُرْ مَنْ تَصَرَّاهُ ،

[1] خصف النعل ، يخصف خصفا : ظاهر بعضها على بعض وخرزها (لسان العرب : ج9 ص71) .

[2] الإفصاح : ص135 .

[3] الطرائف : ص103 ح150 .

وَإِخْذَلْ مَنْ خَذَلَهُ» [1] . وهذا في الرواية أشهر من أن يحتاج معه إلى جمع السند له ، وهو أيضا مسلم عند نقلة الأخبار . وقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : «قَاتِلِ اللَّهَ مَنْ قَاتَلَكَ ، وَعَادِ اللَّهَ مَنْ عَادَكَ» [2] . والخبر بذلك مشهور وعند أهل الرواية معروفٌ مذكور . ومن ذلك : قوله صلى الله عليه وآله : «مَنْ أَدَى عَلِيًّا فَقَدْ أَدَانِي ، وَمَنْ أَدَانِي فَقَدْ أَدَى اللَّهَ تَعَالَى» [3] . فَحَكَمَ أَنَّ الْأَذَى لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَذَى اللَّهِ ، وَالْأَذَى لِلَّهِ جَلَّ اسْمُهُ هَلَاكٌ مُخْرَجٌ عَنِ الْإِيمَانِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» . [4] وأمثال ما أثبتناه - من هذه الأخبار في معانيها الدالّة على صواب أمير المؤمنين عليه السلام وخطأ مخالفيه - كثيرة ، إن عملنا على إيراد جميعها ، طال به الكتاب وانتشر به الخطاب ، وفيما أثبتناه منه للحقّ كفاية للغرض الذي نأمله ، إن شاء الله تعالى . [5] أقول : راجع كلام ابن أبي الحديد في أنّ الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله حقّ الإمام علي عليه السلام وأتّه لو سلّ سيفه لحكمنا بهلاك كلّ من خالفه ؛ لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنّه قال : «عَلَيَّْ مَعَ الْحَقِّ ، وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ حَيْثُمَا دَارَ» ، وقال له غير مرّة : «حَرْبُكَ حَرْبِي ، وَسِلْمُكَ سِلْمِي» . [6]

[1] مسند ابن حنبل : ج1 ص254 ح964 .

[2] الكافّة : ص36 ح37 .

[3] ذخائر العقبى : ص122 .

[4] الأحزاب : 57 .

[5] الجمل : ص79 و82 .

[6] شرح نهج البلاغة : ج2 ص297 .

ذكر بعض المؤرخين أنّ معركة الجمل وقعت في جمادى الأولى [1] عام (36 هـ) ، بينما أكّد بعض آخر أنّها وقعت في جمادى الثانية [2] من العام نفسه ، ولم تدم أكثر من يوم واحد . [3] وتاريخ الرسالتين اللتين بعثهما الإمام إلى أهالي المدينة والكوفة بعد انتهاء الحرب يؤيد الرأي الأول . [4]

[1] التاريخ الصغير : ج 1 ص 120 .

[2] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 411 ح 5570 .

[3] ذكرت بعض المصادر أنّ الحرب استغرقت أربع ساعات (راجع : تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 183) ، وحدّد زمانها بما بين الظهر والمغرب في مصادر أخرى نظير (أنساب الأشراف : ج 3 ص 38) ، كما ذكر أنّها استمرّت يوما في بعضها كما في (تاريخ الطبري : ج 4 ص 523) . ولا تعارض بين هذه الأقوال .

[4] الجمل : ص 396 و ص 399 .

وقعت معركة الجمل في الزابوقة [1]؛ التي هي في ضواحي البصرة ، أو في الزاوية [2]؛ التي كانت واحدة من أحياء البصرة، أو في الخربة . [3]

ج - عدّد المشاركون فيها

بلغ قوام الجيشين في معركة الجمل خمسين ألفا ، شكّل جيش الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عشرين ألفا منهم [4] ، وشكّل جيش الناكثين ثلاثين ألفا . [5]

د - أكابر أصحاب الإمام عليه السلام

شارك الكثير من أكابر أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في معركة الجمل إلى جانب الإمام عليّ عليه السلام ، إلّا أنّ الروايات تختلف في ذكر عددهم ؛ فبعض المصادر يصرّح بأنّ عددهم كان ثمانين من أهل بدر ، وألفا وخمسمئة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله . ويذكر آخر أنّ عدد المشاركين في هذه المعركة من أصحاب الرسول كان ثمانمئة من الأنصار ، وأربعمئة ممّن شهدوا بيعة الرضوان . ومن بين الشخصيات البارزة التي شاركت في جيش الإمام عليّ عليه السلام يمكن الإشارة إلى كلّ من : أبي أيوب الأنصاري وأبي الهيثم بن التّيهان وخزيمة بن ثابت وعبد الله بن بديل وعبد الله بن عبّاس وعثمان بن حنيف وعديّ بن حاتم وعمّار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعمر بن أبي سلمة وهاشم بن عتبة .

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 466 و 470 و 505 .

[2] مروج الذهب : ج 2 ص 370 .

[3] الأخبار الطوال : ص 146 .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 505 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 505 .

كان وجوه أصحاب الجمل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والمقرّبين إليه ، وكان في جيشهم أيضا أشراف وأكابر آخرون . فقد كان فيهم عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وكعب بن سور ، وغيرهم ممّن كانوا يؤيّدون عثمان أو لا يطيقون تحمّل عدالة الإمام عليه السلام . وقد كان حضور أشخاص كطلحة والزبير وعائشة في المعركة باعثا على وقوع غير ذوي البصيرة - ممّن ينظرون إلى الحقّ من خلال الشخصيات البارزة - في الشك والحيرة ، أو

الانضمام إلى جيش أصحاب الجمل . ولأجل تنوير عقول أمثال هؤلاء الناس قال أمير المؤمنين عليه السلام قولته المشهورة : «إِنَّ الْحَقَّ لَا يُعْرَفُ بِالرَّجَالِ ؛ إِعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ» .

و - عَدَدُ الْقَتْلَى فِيهَا

قُتِلَ فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ مِنْ جَيْشِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةُ آلَافٍ [1] . وَتُجْمَعُ النُّصُوصُ التَّارِيخِيَّةُ كُلُّهَا عَلَى هَذَا الْعَدَدِ بِدُونِ أَدْنَى اخْتِلَافٍ . وَلَكِنْ هُنَاكَ اخْتِلَافٌ كَبِيرٌ بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ حَوْلَ عَدَدِ قَتْلَى جَيْشِ الْجَمَلِ ، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ التَّعْوِيلُ كَثِيرًا عَلَى أَيِّ مِنْهَا . فَقَدْ ذَكَرَتْ بَعْضُ الْأَخْبَارِ التَّارِيخِيَّةِ أَنَّ عَدَدَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ أَلْفًا [2] ، بَيْنَمَا جَاءَ فِي أَخْبَارٍ أُخْرَى أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفًا [3] ، وَعَلَى خَيْرٍ آخَرٍ عَشْرَةُ آلَافٍ [4] ، أَوْ خَمْسَةُ آلَافٍ [5] .

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 539 .

[2] العقد الفريد : ج 3 ص 324 .

[3] مروج الذهب : ج 2 ص 360 .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 539 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 539 .

هَوِيَّةُ رُؤَسَاءِ النَّاكِثِينَ

تُعَدُّ مَعْرَكَةُ الْجَمَلِ مِنْ الْحَوَادِثِ الْجَدِيدَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ؛ وَإِنَّ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى دَوَافِعِ مَسْعَرِيهَا وَأَهْدَافِهِمْ تَذَكِيرًا لِلْمَرَّةِ وَتَنْبِيهًا لَهُ لِمَعْرِفَةِ رَجَالِهِ الَّذِينَ يَقْتَدِي بِهِمْ وَيَسِيرُ عَلَى نَهْجِهِمْ . إِنَّمَا نَلْحِظُ فِي النُّصُوصِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْ تَنْظِيمِ الْقَوَّاتِ وَأَهْدَافِهَا وَبَوَاعِثِهَا نَقَاطًا تُثِيرُ التَّأَمُّلَ . مِنْهَا : الْأَهْوَاءُ ، وَالنَّزَعَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ ، وَاسْتِغْلَالُ بَعْضِ الْوُجْهَاءِ لِحَفَيزِ عَامَّةِ النَّاسِ . وَمِنْهَا : مُمَارَسَاتُ مَكْتَنَزِي الثَّرَوَاتِ ، وَطَلَابُ السُّلْطَةِ ، وَمَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ الْمَتْرَفَةَ مَهْدَدَةً بِالْخَطَرِ . النُّقْطَةُ الْأُخْرَى الَّتِي يَنْبَغِي أَلَّا نَنْسَاهَا هِيَ كَيْفِيَّةُ مُوَاجَهَةِ أَشْخَاصٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي حِينَ أَتَاهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ وَالسَّبْقَ إِلَيْهِ ! وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَجَاهَةُ عَامَّةِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا مَوْفَقِهِمْ فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ يَتَعَارَضُ تَمَامًا مَعَ مَوْفَقِهِمْ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ . وَنَنْقُلُ فِيهَا مَا يَأْتِي بِإِجَازٍ نُصُوصًا تَتَحَدَّثُ عَنْ حَيَاةِ الَّذِينَ أَوْقَدُوا تِلْكَ الْحَرْبَ ، وَنَدْعُو الْقُرَّاءَ إِلَى التَّأَمُّلِ فِيهَا .

أ - عَائِشَةُ

هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَزَوْجُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [1] تَوَقَّي عَنْهَا النَّبِيُّ وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً . [2] حُطِّيتُ بِاحْتِرَامٍ بِالْبَالِغِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، بَيَّذَ أَنَّ عُثْمَانَ قَلَّلَ مِنْ شَأْنِهَا وَمِنْ

[1] الطبقات الكبرى : ج 8 ص 58 .

[2] تهذيب الكمال : ج 35 ص 236 الرقم 7885 .

احترامها ؛ فَبَرَزَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمَا [1] إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحَرَّضُ النَّاسَ عَلَى قَتْلِهِ بِقَوْلِهَا : اقْتُلُوا نَعْتَلًا فَقَدْ كَفَرَ [2] ! وَحِينَ حَاصَرَ الثَّوَارُ عُثْمَانَ ذَهَبَتْ إِلَى مَكَّةَ ، وَطَلَّتْ فِيهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ . وَعِنْدَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ ، كَانَتْ تَتَطَلَّعُ إِلَى خِلَافَةِ طَلْحَةَ [3] وَالزُّبَيْرِ [4] . وَلَمَّا تَنَاهَى إِلَى سَمْعِهَا اسْتِخْلَافُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجَعَتْ مِنْ مَنَاصِفِ الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ ، وَنَادَتْ بِطُلَامَةِ عُثْمَانَ مَطَالِبَةً بِثَأْرِهِ . [5] وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَوْفِقَهَا مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ كَانَ وَاضِحًا لِلنَّاسِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَذْكُرُهَا بِهِ ، بَيَّذَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْتَرِمُونَهَا وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهَا ؛ إِجْلَالًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَأُمُومَتِهَا الْمُؤْمِنِينَ . كَانَتْ خَطِيبَةً وَأَدِيبَةً [6] ؛ وَمَلَمَّةً لِلْإِمَامِ تَامًا بِسَجَايَا الْعَرَبِ ، وَتَعْرِفَ مَوَاطِنَ ضَعْفِهِمْ ، لِذَا كَانَتْ قَادِرَةً عَلَى تَحْرِيزِهِمْ . [7] وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ يَعْلَمَانِ أَنَّ الطَّرِيقَ الْوَحِيدَ لِلنَّصْرِ وَتَسْلَمِ الْخِلَافَةِ هُوَ تَعْبِئَةُ النَّاسِ بِوَسَاطَةِ عَائِشَةَ ؛ فَلَمْ يَضَيِّعَا هَذِهِ الْفُرْصَةَ . كَانَتْ عَائِشَةُ تَجَاهَرُ بِعِدَائِهَا لِلْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَذَكَّرُ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ أَحْمَانِهَا . [8] وَلَوْلَا وَجَاهَتُهَا لَمَا اسْتَطَاعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ تَعْبِئَةَ النَّاسِ لِلْحَرْبِ . وَكَانَتْ فَارِسَةً

[1] أنساب الأشراف : ج 6 ص 144 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 459 .

[3] أنساب الأشراف : ج 6 ص 212 .

[4] الجمل : ص 231 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 458 و 459 .

[6] سنن الترمذي : ج 5 ص 705 ح 3884 .

[7] تاريخ الطبري : ج 4 ص 516 .

[8] تاريخ الطبري : ج 4 ص 544 .

الحلبة بعد مقتل طلحة والزبير . مع هذا كلّهُ ، أرجعها الإمام عليه السلام إلى المدينة باحترام تامّ . واصلت عداؤها للإمام عليه السلام على الرغم من إصغارها بالندم مرارا على ما فرّطت في جنبه يوم الجمل . أظهرت سرورها بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام [1] ، وسجدت لذلك شكرا [2] ! وحالت دون دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله . [3] ماتت سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين من الهجرة . [4]

ب - طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ .

أحد السابقين إلى الإسلام [5] ، ومن كبار الصحابة . أخى الزبير قبل الهجرة [6] . كان تاجرا ، وعندما وقعت معركة بدر كان قد ذهب في تجارة إلى الشام . [7] أثنى عليه أهل السُّنَّة ، وعدّوه من العشرة المبشّرة . [8] كان الخلفاء يحترمونه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله . اختاره عمر في الشورى السداسيّة ، لكنّه اعتزل لمصلحة عثمان . كان في غاية الدهاء والسياسة . حصل على ثروة طائلة في عصر عثمان ؛ بسبب الأموال التي كان قد أعطاه إياه بلا حساب . وهبه عثمان مرّة دينا كان عليه بلغ خمسين ألف درهم ، وقال له : معونة على

[1] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 40 .

[2] الجمل : ص 159 .

[3] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 225 .

[4] تهذيب الكمال: ج 35 ص 235 الرقم 7885 .

[5] الإصابة : ج 3 ص 430 الرقم 4285 .

[6] تهذيب الكمال : ج 13 ص 415 الرقم 2975 .

[7] الاستيعاب : ج 2 ص 317 الرقم 1289 .

[8] تهذيب الكمال : ج 13 ص 412 الرقم 2975 .

مروءتك [1] ! ! كان من ملاكي الأرض الكبار ، حتى كان يُغلّ بالعراق ما بين أربعمئة ألف إلى خمسمئة ألف ، ويُغلّ بالسّراة [2] عشرة آلاف دينار . [3] خَلَفَ بعد موته ثروة قدّرت بثلاثين مليون درهم . [4] لم يؤلّه عثمان على مصر من الأمصار مع أنّه كان يعظّمه ، ويعود ذلك إلى أنّه كان يهتمّ كثيرا بأقاربه ويطانته ، ومن هنا توترت العلاقة بينهما [5] ، كما أعرض عثمان أيضا عن أهمّ سنيّه له في الماضي وهو عبد الرحمن بن عوف . [6] كان طلحة يطمح إلى الخلافة [7] ؛ فكتب إلى البصرة ، والكوفة ، وغيرهما من الأمصار محرّضا أهلها على قتل عثمان [8] . وكان بيت المال بيده في جريان قتل عثمان [9] ، بيّد أنّه لم يستطع أن يطالب بالخلافة ؛ لأنّهم بالمشاركة في قتله ؛ فبايع أمير المؤمنين عليه السلام ، والعجيب أنّه أوّل شخص يبايع . لم يظفر طلحة بالخلافة ، ويضاف إلى ذلك أنّه خرم من الامتيازات التي كانت له في عهد عثمان . ممّا حدا به إلى إعلان معارضته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فأوقد نار الحرب مع الزبير ، وعائشة ، وغيرهما . وكان يقول : إنّا داهتّا في أمر عثمان ، فلا نجد اليوم شيئا أمثل من أن نبذل دمائنا

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 405 .

[2] السّراة : الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ، ولها سعة ، وقال قوم : الحجاز هو جبال تحجز بين تهامة ونجد يقال لأعلىها السراة (معجم البلدان : ج 3 ص 204) .

[3] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 221 .

[4] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 417 ح 5587 .

[5] تاريخ المدينة : ج 4 ص 1169 .

[6] أنساب الأشراف : ج 6 ص 171 .

[7] الإرشاد : ج 1 ص 246 .

[8] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 53 .

[9] تاريخ الطبري : ج 4 ص 407 .

فيه [1] !! قُتل طلحة في معركة الجمل سنة 36 هـ ، بسهم رماه به مروان بن الحكم من خلفه . [2]

ج - الزبير بن العوام

هو ابن عمّة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وهو رابع من أسلم ، أو خامسهم [3] ، وكان من الصحابة الشجعان المشهورين ، وشهد مشاهد النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله كلّها [4] ، وجرح عدّة مرّات ، عدّه أهل السّنة أحد العشرة المبشّرة بالجنة [5] . امتنع من بيعة أبي بكر ، وكان من خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام ، وأصحابه الأوّل ، قيل : إنّه حضر دفن السيّدّة فاطمة الزهراء عليها السلام [6] ، ممّا يدلّ على قربيه من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . كان أحد السّنة الذين رشّحهم عمر للشورى ، واعتزل نصره للإمام عليّ عليه السلام . وكان صهر أبيبكر [7] ، بيد أنّه أمضى سنوات من عمره إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام . وقال عليه السلام فيه : ما زال الزبير رجلاً ممّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشووم عبد الله [8] . وهذا يدلّ على أنّ عبد الله بن الزبير كان مثيراً للفتنة ، وهو ما سنشير إليه لاحقاً . كثر الزبير ثروة طائلة في عهد عثمان [9] ، بلغت عند موته خمسين ألف دينار ،

[1] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 222 .

[2] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 417 ح 5586 .

[3] أسد الغابة : ج 2 ص 307 الرقم 1732 .

[4] أسد الغابة : ج 2 ص 309 الرقم 1732 .

[5] أسد الغابة : ج 2 ص 309 الرقم 1732 .

[6] المناقب لابن شهر آشوب : ج 3 ص 363 .

[7] المحبّر : ص 54 .

[8] نهج البلاغة : الحكمة 453 .

[9] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 107 .

وألف فرس ، وألف عبد وأمة [1] . لكنّه لم يتولّ منصباً . وكان يساعد الثوّار الذين نهضوا ضدّ عثمان [2] ، بل طالب بقتله ؛ علّه يتقلّد أمر الخلافة . وبايع عليّ عليه السلام بعد قتل عثمان [3] ، ولكنّه لمّا خرّم من الإمارة ، ومن الامتيازات التي كانت له في عصر عثمان ، رفع لواء المعارضة بوجه أمير المؤمنين عليه السلام يحرضه على ذلك ولذه عبد الله . توجه إلى مكّة مع طلحة متظاهرين أنّهما يريدان العمرة ، وهناك نسّقا مع عائشة وغيرها ، ثمّ اتّفقوا على إشعال فتيل «الجمل» ، واعتزل الزبير الحرب بعد كلام أمير المؤمنين عليه السلام معه ، لكنّه اغتيل على يد ابن جرموز .

د - عبد الله بن الزبير

ولد في السنة الأولى من الهجرة بالمدينة ، وهو أوّل مولود من أولاد المهاجرين . [4] وكان حفيد أبي بكر [5] . وله دور مهمّ في انحراف أبيه ، وإيقاد حرب الجمل . وقال فيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «ما زال الزبير رجلاً ممّا أهل البيت حتّى تشأّ أبنته المشووم عبد الله» . [6] وبذل قصارى جهده في تولية أبيه الخلافة بعد مقتل عثمان ، إلّا أنّه لم يفلح في ذلك ، وكان حلقة الوصل بين عائشة من جهة ، والزبير وطلحة من جهة أخرى . [7]

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 342 .

[2] أنساب الأشراف : ج 6 ص 211 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 54 .

[4] صحيح مسلم : ج 3 ص 1690 ح 25 .

[5] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 631 ح 6326 .

[6] نهج البلاغة : الحكمة 453 .

[7] الجمل : ص 229 .

وعندما عزم الزبير على اعتزال القتال حاول أن يُنبيه عمّا هو بسبيله مستخدماً ضروب الحيل الأخلاقية والعاطفية . [1] ولمّا لم يبق أحد حول جمل عائشة ، أخذ بزمامه ، وجرّح جرحاً بليغاً في اضطراعه مع مالك الأشتر . وكان يرغب في قتل مالك حتى لو كلفه ذلك نفسه ، لذا كان يقول وهما مضطربان : 0 أقتلوني ومالكا وأقتلوا مالكا معي ! [2] عفا عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد الحرب ، بطلبٍ من عائشة [3] . وكان مغروراً منبؤداً حتى إنّ معاوية لم يحترمه ولم يُبالِ به . [4] ولم يبايع يزيد بعد هلاك معاوية . وتوطّن مَكّة حفظاً لنفسه [5] ثمّ تسلّط عليها فهاجمها جيش يزيد لدره ، واحتترقت الكعبة ، ودُمّرت في ذلك الهجوم . [6] لكنّ عبد الله نجا عندما بلغ مَكّة خبر هلاك يزيد . [7] ثمّ ادّعى الخلافة سنة 64 هـ [8] ، واستولى على الحجاز واليمن والعراق وخراسان . [9] وطلب البيعة من عبد الله بن عباس ، ومحمّد ابن الحنفية ، فلم يستجيبا له ، فعزم على إحراقهما ، بيّد أنّهما نجّوا بعد حملة المختار . [10]

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 509 .

[2] مروج الذهب : ج 2 ص 376 .

[3] مروج الذهب : ج 2 ص 378 .

[4] تاريخ الطبري : ج 5 ص 323 .

[5] تاريخ الطبري : ج 5 ص 340 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 498 .

[7] تاريخ الطبري : ج 5 ص 498 و ص 501 .

[8] تاريخ الطبري : ج 5 ص 497 و ص 501 .

[9] أسد الغابة : ج 3 ص 244 الرقم 2949 .

[10] تاريخ دمشق : ج 28 ص 204 .

قُتل ابن الزبير ، ثمّ صُلِب في عهد عبد الملك بن مروان سنة 73 هـ ، بعدما أغار الحجاج على مَكّة والمسجد الحرام . {-15-}

هـ - مروان بن الحَكَم

كان مروان بن الحكم شخصاً مشبوهاً ، ورجلاً انتهازيّاً يميل إلى إثارة الفتن والاضطرابات ، ويمثّل تجسيدا للشخص المرسوس في أوساط حركة لا ينسجم مع مسارها ولا يعتقد بقيمتها ولا يتماشى مع مُثلها . وأمثال هؤلاء الأشخاص يُلحقون أضراراً فادحة بالتّيّار الفكري أو السياسي الذي ينتمون إليه . إنّ التأثير العميق الذي كان لمروان على عثمان من جهة ، والرغبة الجامحة في إيجاد حكومة مجردة من القيم من جهة أخرى ، فضلاً عن عدم اعتقاده بالثقافة الإسلامية ، جعل له دوراً مهماً في التطوّرات التي عصفت بالمجتمع الإسلامي آنذاك . لقد كان له دور جدير بالتأمّل في تأجيج نار الغضب من جديد في نفوس الثائرين على عثمان ، وتجييل اضطرام المناحرات حول دار الخلافة . والمترجّم له هو ابن عمّ عثمان . وُلِدَ في مَكّة أو في الطائف ، ولكن لما كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد نفى أباه الحكم بن أبي العاص إلى الطائف ، فقد ذهب معه إليها ؛ لذلك لم ير رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله . [2] وسبب نفي الحَكَم إلى الطائف هو نظره في داخل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ، أو استهزاؤه بعمله وسيرته صلى الله عليه وآله عليه وآله . [3]

[1] مروج الذهب : ج 3 ص 122 .

لَعَنَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : «وَيْلٌ لِّأُمَّتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هَذَا» [1]. وعندما تقلّد عثمان أمر الخلافة ، أعاد عمّه وابن عمّه إلى المدينة ، وبالع في إكرامهما [2] وأغدى عليهما الأموال [3] وفسح المجال لمروان أن يتدخل في شؤون الخلافة ؛ فأصبح كاتبه ، بل منظر حكومته حقاً . لا ريب في أنّ ركون عثمان إلى مروان ، وطاعته طاعة مطلقة كان لها دور مهمّ في قتله [4]. وكان مروان غيّراً لا حظّ له من آداب الإسلام في المعاشرة ؛ لأنّه كان يعيش خارج المدينة منذ طفولته بوصفه طريق رسول الله صلى الله عليه وآله . وجرّح أثناء دفاعه عن عثمان [5] ، وضرب على قفاه فقطع أحد علباويه ، فعاش بعد ذلك أوقص [6] ، وكان يلقب «خيط باطل» لدقّة عنقه [7] ثمّ فرّ بعد مقتل عثمان إلى مكّة ، ولحق بالتمرددين ؛ أي أصحاب الجمل . [8] وكان على الميمنة في حرب الجمل ، وله فيها دور مكر . وقتل في معمرتها طلحة ؛ لأنّه كان يحسبه قاتل عثمان [9] ، وجرّح في الحرب [10] ، بيد أنّ الإمام عليه السلام عفا عنه [11] ، ثمّ التحق بمعاوية [12] ، واشترك معه في حرب صفين . [13]

[1] أسد الغابة : ج 2 ص 49 الرقم 1217 .

[2] تاريخ البقوي : ج 2 ص 164 و ص 166 .

[3] أنساب الأشراف : ج 6 ص 133 و ص 136 .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 362 و 363 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 5 ص 37 .

[6] الوقص : قصر في العنق كأنّه ردّ في جوف الصدر (المحيط في اللغة : ج 5 ص 467) .

[7] أسد الغابة : ج 5 ص 140 الرقم 4848 .

[8] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 73 .

[9] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 223 .

[10] الطبقات الكبرى : ج 5 ص 38 .

[11] نهج البلاغة : صدر الخطبة 73 .

[12] أنساب الأشراف : ج 3 ص 58 .

[13] الإصابة : ج 6 ص 204 الرقم 8337 .

تولّى حكم المدينة سنة 42 هـ [1] ، وهو الذي حال دون دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله . تأمّر مروان على المسلمين بعد يزيد بن معاوية ، لكنّه لم يحكم أكثر من تسعة أو عشرة أشهر [3] ، فتحقق فيه كلام الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه ؛ إذ كان قد شبّه قصر إمارته ب «لُعَقَةِ الكلب أنفة» [4] ، ثمّ تسلّط أبناؤه من بعده ، فتأسّس الكيان المروانيّ الذي كان له دور خبيث سيئ في تشويه المعارف الإسلاميّة ودمار المجتمع الإسلاميّ . هلك مروان سنة 65 هـ . [5]

333. الإمام عليّ عليه السلام - من خطبة له قبل حرب الجمل في شأن: ويا عَجَباً لاسْتِقَامَتِهِمَا لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَبَعِيَهُمَا عَلَيَّ ! وَهُمَا يَعْلَمَانِ أَنِّي لَسْتُ دُونَ أَحَدِهِمَا ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . وَلَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ كَتَبَ إِلَيْهِمَا مِنَ الشَّامِ كِتَاباً يَدْعُهُمَا فِيهِ ، فَكَتَمَاهُ عَنِّي ، وَخَرَجَا يُوهِمَانِ الطَّعَامَ [6] أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ يَدِمَ عُثْمَانَ . [7]

[1] الطبقات الكبرى : ج 5 ص 38 .

[2] تاريخ المدينة : ج 1 ص 110 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 611 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 73 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 5 ص 43 .

[6] الطَّغَام : من لا عقل له ولا معرفة . وقيل : هم أوغاد الناس وأراذلهم (النهاية : ج 3 ص 128) .

[7] الجمل : ص 268 .

ب - بَدْءُ الْخِلَافِ

334.الإمامة والسياسة : ذَكَرُوا أَنَّ الزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ أَتَيَا عَلِيًّا - بَعْدَ قَرَارِ الْبَيْعَةِ - فَقَالَا : هَلْ تَدْرِي عَلَى مَا بَايَعْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ عَلِيٌّ : نَعَمْ ، عَلَى السَّمِيعِ وَالطَّاعَةِ ، وَعَلَى مَا بَايَعْتُم عَلِيًّا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ . فَقَالَا : لَا ، وَلَكِنَّا بَايَعْنَاكَ عَلَى أَنَّا شَرِيكَكَ فِي الْأَمْرِ . قَالَ عَلِيٌّ : لَا ، وَلَكِنِّي شَرِيكَانِ فِي الْقَوْلِ وَالْإِسْقَامَةِ وَالْعَوْنِ عَلَى الْعَجْرِ وَالْأَوْدِ [1] . [2]

ج - خُرُوجُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ إِلَى مَكَّةَ

في أعقاب عدّة أيام من المداولات التي أجراها طلحة والزبير مع الإمام في سبيل الحصول على بعض المناصب الحكوميّة [3] ، وكسب الامتيازات الاقتصادية ، ولم تتمخض هذه المباحثات إلا عن رفضه الانصياع لمطالبهم ، تناهى إليهم خبر إعلان عائشة في مكة عن معارضتها للإمام ، والبراءة من قتلة عثمان . ومن جهة أخرى فقد فرّ بعض عمّال عثمان برفقة الأموال التي نهبوها من بيت المال إلى مكة خوفا من حساب الإمام لهم . وهكذا فقد عزم كلّ من طلحة والزبير على الذهاب إلى مكة ، والإعلان عن معارضتهما لحكومة الإمام من هناك . فجاءاه وهما يضرمان هذه النية .

335.الجمل عن بكر بن عيسى : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ عَلَيْهِمَا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَعْظَمَ مَا أَخَذَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ أَلَّا يُخَالِفَا وَلَا يَنْكُثَا ، وَلَا يَتَوَجَّهَا وَجْهًا غَيْرَ الْعُمَرَةِ حَتَّى يَرْجِعَا إِلَيْهِ ،

[1] في المصدر : «والأولاد» وهو تصحيف ، والصحيح ما أثبتناه . والأود : العوج (النهاية : ج 1 ص 79) .

[2] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 70 .

[3] الجمل : ص 164 .



335. الجمل عن بكر بن عيسى : فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمَا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا فَخَرَجَا . [1]

د - دَعَوْهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ عَائِشَةَ إِلَى الْخُرُوجِ [2]

336. أنساب الأشراف عن صالح بن كيسان وأبي مخنف : قالوا : قَدِمَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ عَلَى عَائِشَةَ ، فَدَعَاوَاهَا إِلَى الْخُرُوجِ ، فَقَالَتْ : أَتَأْمُرَانِي أَنْ أَقَاتِلَ ؟ فَقَالَا : لَا ، وَلَكِنْ تُعَلِّمِينَ النَّاسَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا ، وَتَدْعِيهِمْ إِلَى أَنْ يَجْعَلُوا الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَيَكُونُوا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَرَكَهُمْ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَتُصْلِحِينَ بَيْنَهُمْ . [3]

ه - تَخْطِيطُ التَّائِكِينَ لِلْحَرْبِ

إِنَّ شُورَى النَّائِكِينَ جَدِيرَةٌ بِالتَّأَمُّلِ ، فَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي مَكَّةَ مِنْ أَجْلِ التَّخْطِيطِ لِمُوَاجَهَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَجَلَسَ طَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَائِشَةُ ، وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَيَعْلَى بْنُ مَنِيةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَنَظَائِرُهُمْ لِيُعَيِّنُوا مَوْضِعَ الْقِتَالِ ، وَيُرْسِمُوا خُطَّةَ الْحَرْبِ ، وَأَسَالِيبَ الْمُوَاجَهَةِ . وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مُوَاصِفَاتُهُ الْخَاصَّةُ ؛ فَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ كَانَا لَاهُتَيْنِ وَرَاءَ السُّلْطَةِ ، وَفِي أَنْفُسِهِمَا هَوَى الرِّئَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَمُرْوَانُ رَجُلٌ مَآكِرٌ ، مَرِيبٌ ، بَعِيدٌ عَنِ الدِّينِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ شَخْصٌ مُوتَوِّرٌ فَقَدْ سَلْطَتُهُ بَعْدَ أَنْ مَلَأَ جُيُوبَهُ بِدَنَانِيرِ بَيْتِ الْمَالِ وَدِرَاهِمِهِ ، وَهَكَذَا كَانَ يَعْلَى بْنُ مَنِيةَ ؛ فَاِمْتَزَجَ حُبُّ السُّلْطَةِ ، وَنَزْعَةُ التَّرَفِ ،

[1] الجمل : ص 437 ، الكافئة : ص 15 ح 14 .

[2] هذا الكلام لا يعني أَنَّ عائشة كانت بريئة تماما وَأَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ هُمَا اللَّذَانِ حَرَّضَاهَا عَلَى اتِّخَاذِ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ . إِنَّ مَوْقِفَ عَائِشَةَ أَثْنَاءَ الْعُودَةِ مِنْ مَكَّةَ وَسَمَاعِ خَبَرِ مَقْتَلِ عُثْمَانَ وَخِلَافَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْمُّ عَنْ أَنَّهَا كَانَتْ تَبْحَثُ عَنْ ذَرِيعَةٍ لِلْإِعْلَانِ عَنْ مَعَارِضَتِهَا لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَهِّبَةً لِلْإِعْلَانِ عَنْ تَأْيِيدِهَا لِأَيَّةِ حَرَكَةٍ مَعَارِضَةٍ .

[3] أنساب الأشراف : ج 3 ص 23 .

وَبَلِيلَةُ الْهُوَسِ بَفْتَنَةِ عَمِيَاءٍ تَمَخَّضَتْ عَنْهَا مَعْرَكَةُ الْجَمَلِ . وَاخْتَارَتْ هَذِهِ الشَّرْذِمَةُ الْبَصْرَةَ بَعْدَ مَدَاوِلَاتٍ كَثِيرَةٍ ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ مِنْ جِهَةٍ لَمْ يَنْقُوا بِمَعَاوِيَةَ ؛ فَيَذْهَبُوا إِلَى الشَّامِ ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى إِنَّهُمْ كَانُوا يَنْتَفِعُونَ بِمَدِينَةِ هِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ قَاعِدَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةً غَيْرَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ لَهَا هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ ، فَاخْتَارُوا الْبَصْرَةَ لِمِلِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمِلِّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى عُثْمَانَ ، مُضَافًا إِلَى نَفُوذِ ابْنِ عَامِرٍ فِي الْبَصْرَةِ لِأَنَّهُ كَانَ حَاكِمًا عَلَيْهَا ، وَهَذَا مَا يُسَاعِدُهُمْ فِي اسْتِقْطَابِ النَّاسِ وَالْحَصُولِ عَلَى مَعْلُومَاتٍ ضَرُورِيَّةٍ تَخْدُمُ مَوْقِفَ الْحَرْبِ .

و - رَسَائِلُ عَائِشَةَ إِلَى وَجُوهِ الْبِلَادِ

337. تاريخ الطبري : كَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى رَجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَكَتَبَتْ إِلَى الْأَحْتَفِ بْنِ قَيْسٍ ، وَصَبْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ ، وَأَمْنَالِهِمْ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَمَضَتْ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِالْحَقِيقِ [1] انْتَهَرَتْ الْجَوَابَ بِالْخَبَرِ . [2]

ز - تَأَهَّبُ عَائِشَةُ لِلْخُرُوجِ

338. الجمل : لَمَّا رَأَتْ عَائِشَةُ اجْتِمَاعَ مَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهَا يَمَكَّةَ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْمُبَايَعَةِ لَهُ وَالطَّاعَةِ لَهَا فِي حَرْبِهِ تَأَهَّبَتْ لِلْخُرُوجِ . وَكَانَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُقِيمُ مُنَادِيَهَا يُنَادِي بِالتَّأَهُبِ لِلْمَسِيرِ ، وَكَانَ الْمُنَادِي يُنَادِي وَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَسِيرَ فَلْيَسِرْ ؛ فَإِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ سَائِرَةٌ إِلَى الْبَصْرَةِ تَطْلُبُ يَدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ الْمَظْلُومِ . [3]

[1] الْحَقِيقُ : ماءٌ لِبَاهِلَةٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ (راجع : معجم البلدان : ج 2 ص 277) .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 461 .

[3] الجمل : ص 233 .

ح - إسترجاع عائشة

339. شرح نهج البلاغة : لَمَّا عَزَمَتْ عَائِشَةُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْبَصْرَةِ طَلَبُوا لَهَا بَعِيرًا أُيِّدًا [1] يَحْمِلُ هَوْدَجَهَا ، فَجَاءَهُمْ بَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ بِبَعِيرِهِ الْمُسَمَّى عَسْكَرًا ؛ وَكَانَ عَظِيمَ الْخَلْقِ شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا ، وَأَنْسَأَ الْجَمَالَ يُحَدِّثُهَا بِقُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ ، وَيَقُولُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ : عَسْكَرٌ . فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ اسْتَرْجَعَتْ وَقَالَتْ : رُدُّوهُ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَذَكَرَتْ حَيْثُ سُئِلَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِسْمَ ، وَنَهَاها عَنْ رُكُوبِهِ ، وَأَمَرَتْ أَنْ يُطْلَبَ لَهَا غَيْرُهُ ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهَا مَا يُشْبِهُهُ ، فَغَيَّرَ لَهَا بِحِلَالٍ [2] غَيْرَ جِلَالِهِ وَقِيلَ لَهَا : قَدْ أَصَبْنَا لَكَ أَعْظَمَ مِنْهُ خَلْقًا ، وَأَشَدَّ قُوَّةً ، وَأُتِيَتْ بِهِ قَرَضِيَّتَ [3] .

340. تاريخ اليعقوبي : مَرَّ الْقَوْمُ فِي اللَّيْلِ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ : مَاءُ الْحَوَّابِ [4] ، فَتَنَحَّطَهُمْ كِلَابُهُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : مَا هَذَا الْمَاءُ ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ : مَاءُ الْحَوَّابِ . قَالَتْ : إِنَّا لِلَّهِ - وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! رُدُّونِي رُدُّونِي ! هَذَا الْمَاءُ الَّذِي قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ : « لَا تَكُونِي الَّتِي تَنَحَّكُ كِلَابُ الْحَوَّابِ » . فَأَنَاهَا الْقَوْمُ بِأَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَاءِ الْحَوَّابِ !! [5]

4 / 1

تأهّب الإمام عليه السلام لمواجهة الناكثين

أ - استشارة الإمام عليه السلام أصحابه فيهم

كان معاوية قد أخضع الشام لسلطته عدّة سنين ، بيد ميسوطة وهيمنة قيصريّة ، ولم

[1] أُيِّد : أي قويّ (النهاية : ج 1 ص 84) .

[2] جلال كلّ شيء : غطاؤه (لسان العرب : ج 11 ص 118) .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 6 ص 224 .

[4] الْحَوَّابُ : موضع في طريق البصرة من جهة مكّة ، وقيل : موضع يتر نبحت كلابه على عائشة عند مقبلها إلى البصرة (معجم البلدان : ج 2 ص 314) .

[5] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 181 .

يردعه أحد من الخلفاء الماضين عن أعماله قطّ . وكان يعرف أمير المؤمنين عليه السلام حقّ معرفته ، ويعلم علم اليقين أنّه لا يتساهل معه أبداً . فامتنع عن بيعته ، ورفع قميص عثمان ، ونادى بالتأر له مستغلاً جهل الشاميين ، وتأهّب للحرب . فتجهّز الإمام عليه السلام لقمع هذا الباغي ، وعيّن الأمراء على الجيش ، وكتب إلى عمّاله في مصر ، والكوفة ، والبصرة يستظهرهم بإرسال القوّات اللازمة . وبينما كان يعدّ العدة لذلك بلغه تواطؤ طلحة والزبير وعائشة في مكّة ، وإثارتهم للفتنة ، وتحركهم صوب البصرة [1] ، فرأى عليه السلام أنّ إخماد هذه الفتنة أولى ، لذلك دعا وجهاء أصحابه واستطلع آراءهم . ويستوقفنا حقاً أسلوب هذا الحوار ، وآراء أصحابه ، وموقفه الحاسم عليه السلام من قمع البغاة ، وقد اشترك في الحوار المذكور : عبد الله بن عباس ، ومحمّد بن أبي بكر ، وعمّار بن ياسر ، وسهل بن حنيف ، واقترح عبد الله بن عباس عليه أن يأخذ معه أمّ سلمة أيضاً ، فرفض صلوات الله عليه ذلك ، وقال : « قَاتِلِي لَا أَرَى إِخْرَاجَهَا مِنْ بَيْتِهَا كَمَا رَأَى الرَّجُلَانِ إِخْرَاجَ عَائِشَةَ » [2] . وَلِمَ ذَاكَ ؟ ذَاكَ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَفْكَرْ إِلَّا بِالْحَقِّ ، لَا بِالنَّصْرِ كَيْفَمَا كَانَ .

ب - خطبة الإمام عليه السلام لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ النَّاكِثِينَ

341. الإرشاد : وَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ مَسِيرُ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنْ مَكَّةَ ، حَمِدَ اللَّهُ - وَأَتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَارَتْ عَائِشَةُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْعِي الْخِلَافَةَ دُونَ صَاحِبِهِ ، لَا يَدْعِي طَلْحَةُ الْخِلَافَةَ إِلَّا أَنَّهُ ابْنُ عَمِّ عَائِشَةَ ، وَلَا يَدْعِيهَا الزُّبَيْرُ إِلَّا أَنَّهُ صِهْرُ أَبِيهَا ، وَاللَّهُ لَنَنْ طَفِرَا بِمَا يُرِيدَانِ لِيُضْرِبَنَّ الزُّبَيْرُ عُنُقَ طَلْحَةَ ، وَلِيُضْرِبَنَّ طَلْحَةُ

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 455 .

[2] الجمل : ص 239 .

341. الإرشاد : عَنْ الرَّبْرِ ، يُنَارُ هَذَا عَلَى الْمُلْكِ هَذَا ! وَقَدْ - وَاللَّهِ - عَلِمَتْ أَنَّهَا الرَّائِيَةُ الْجَمَلِ ، لَا تَحُلُّ عُقْدَةً ، وَلَا تَسِيرُ عَقِبَةً ، وَلَا تَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا إِلَى مَعْصِيَةٍ ؛ حَتَّى تَوْرِدَ نَفْسَهَا وَمَنْ مَعَهَا مَوْرِدًا يُقْتَلُ ثَلَاثُهُمْ ، وَيَهْرَبُ ثَلَاثُهُمْ ، وَيَرْجِعُ ثَلَاثُهُمْ . وَاللَّهِ إِنَّ طَلْحَةَ وَالرَّبْرَ لَيَعْلَمَانِ أَنَّهُمَا مُخْطِئَانِ وَمَا يَجْهَلَانِ ، وَلَرُبَّ [1] عَالِمٍ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ . وَاللَّهِ لَيَنْبَحَثُهَا كِلَابُ الْخَوَابِ ، فَهَلْ يَعْتَبِرُ مُعْتَبِرٌ أَوْ يَتَفَكَّرُ مُتَفَكِّرٌ ؟! ثُمَّ قَالَ : قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ؛ فَأَيُّ الْمُحْسِنِينَ ؟ [2]

ج - كِتَابُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عِنْدَ الْمَسِيرِ مِنَ الْمَدِينَةِ

342. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عِنْدَ مَسِيرِهِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ جَبْهَةُ الْأَنْصَارِ ، وَسَنَامُ الْعَرَبِ . أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ غَنَمَاتٍ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ ؛ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيَّ ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْنَابَهُ ، وَأَفْلَ عُنَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالرَّبْرُ أَهْوَى سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ ، [3] وَأَرْقَى حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةٍ فِيهِ قَلْتَةٌ غَضَبٍ ، فَأَتَيْتُ لَهَا قَوْمَ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخْتَرِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ، وَجَاسَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ ، [4] وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ، فَأَسْرَعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ

[1] في الطبعة المعتمدة للمصدر: «ولربما»، والتصويب من بعض النسخ الخطيّة للمصدر.

[2] الإرشاد : ج 1 ص 246 .

[3] الوجيف : هو صَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ (النهاية : ج 5 ص 157 «وجف»).

[4] المِرْجَل : قِدْرٌ مِنْ نَحَاسٍ ، وَقِيلَ : يَطْلُقُ عَلَى كُلِّ قَدْرٍ يُطْبَخُ فِيهَا (المصباح المنير : ص 221 «رجل»).

342. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عِنْدَ مَسِيرِهِ عَزَّ وَجَلَّ . [1]

د - الْتِبَاسُ الْأَمْرِ عَلَى مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ

343. تاريخ اليعقوبي : وَقَالَ لَهُ [لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] الْحَارِثُ بْنُ حَوْطٍ الرَّائِيُّ : أَطَنَّ طَلْحَةَ وَالرَّبْرَ وَعَائِشَةَ اجْتَمَعُوا عَلَى بَاطِلٍ ؟ فَقَالَ : يَا حَارِثُ ! إِنَّهُ مَلْبُوسٌ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ لَا يُعْرِفَانِ بِالنَّاسِ ، وَلَكِنْ اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ ، وَاعْرِفِ الْبَاطِلَ تَعْرِفْ مَنْ أَتَاهُ . [2]

5 / 1

استنصار الإمام عليه السلام من أهل الكوفة

أ - كِتَابُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الرَّبْدَةِ

344. تاريخ الطبري : عَنْ يَزِيدَ الصَّخَمِ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَلِيًّا الْخَبَرَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ يَأْمُرُ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالرَّبْرَ أَنَّهُمْ قَدْ تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْعِرَاقِ ، خَرَجَ يُبَادِرُ وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يُدْرِكَهُمْ وَيُرْدِيَهُمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الرَّبْدَةِ أَتَاهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَمْعَنُوا [3] ، فَأَقَامَ بِالرَّبْدَةِ أَيَّامًا ، وَأَنَاهُ عَنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْبَصْرَةَ ، فَسَرَّيَ [4] بِذَلِكَ عَنْهُ ، وَقَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَشَدُّ إِلَيَّ حُبًّا ، وَفِيهِمْ رُؤُوسُ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُهُمْ ... [و] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَتَبَ عَلِيُّ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ : يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ، أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي اخْتَرْتُكُمْ وَالثَّرْوَةَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لِمَا أَعْرِفُ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَحُبِّكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَنْ جَاءَنِي وَتَصَرَّتِي فَقَدْ

[1] نهج البلاغة : الكتاب 1 .

[2] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 210 .

[3] أَمْعَنُوا فِي الطَّلَبِ : أَيِ جَدُّوا وَأَبْعَدُوا (النهاية : ج 4 ص 344) .

[4] سَرَّيَ عَنْهُ : أَيِ كُشِفَ عَنْهُ الْخَوْفُ (النهاية : ج 2 ص 365) .

344. تاريخ الطبري : أَجَابَ الْحَقُّ وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ . [1]

345. تاريخ الطبري عن أبي ليلى : بَعَثَ عَلِيُّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَسْتَنْفِرَانِ النَّاسَ ، وَبَعَثَ قَرْظَةَ بْنَ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيَّ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى أَبِي مُوسَى : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ بَعْدَكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَكَ مِنْهُ نَصِيْبًا سَيَمْنَعُكَ مِنْ رَدِّ أَمْرِي ، وَقَدْ بَعَثْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَسْتَنْفِرَانِ النَّاسَ ، وَبَعَثْتُ قَرْظَةَ بْنَ كَعْبٍ وَإِلِيَّاءَ عَلَى الْمِصْرِ ، فَاعْتَزَلَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ؛ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ يُنَادِيَنَّكَ ؛ فَإِنْ نَادَيْتَهُ فَطَفِّرْ بِكَ أَنْ يُقَطِّعَكَ أَرَابًا . فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى أَبِي مُوسَى اعْتَزَلَ ، وَدَخَلَ الْحَسَنُ وَعَمَّارُ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَا : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ : إِنِّي خَرَجْتُ مَخْرَجِي هَذَا ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، وَإِنِّي أَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَجُلًا رَعَى لِلَّهِ حَقًّا إِلَّا نَفَرَ ؛ فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا أَعَاتَنِي ، وَإِنْ كُنْتُ ظَالِمًا أَخَذَ مِنِّي . وَاللَّهِ إِنْ طَلَحْتَ وَالزُّبَيْرَ لِأَوَّلِ مَنْ بَايَعَنِي ، وَأَوَّلِ مَنْ غَدَرَ ، فَهَلْ اسْتَأْثَرْتُ بِمَالٍ أَوْ بَدَّلْتُ حُكْمًا ؟ فَانْفِرُوا ؛ فَمُرُوا بِمَعْرُوفٍ ، وَانْهَوْا عَنِ مُنْكَرٍ . [2]

ج - مَوْقِفُ أَبِي مُوسَى مِنَ مَنَدُوبِي الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَام

346. شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف : لَمَّا سَمِعَ أَبُو مُوسَى خُطْبَةَ الْحَسَنِ وَعَمَّارٍ قَامَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ ؛ فَجَمَعْنَا بَعْدَ الْفُرْقَةِ ، وَجَعَلْنَا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ ، وَحَرَّمْ عَلَيْنَا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : «وَلَا تَأْكُلُوا

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 477 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 499 .

346. شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف : أَمَّا لَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ [1] ، وَقَالَ تَعَالَى : «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا» [2] ، فَأَتَوْا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَكُفُّوا عَنِ قِتَالِ إِخْوَانِكُمْ . [3]

د - إِشْخَاصُ الْأَشْتَرِ لِمُوَاجَهَةِ فِتْنَةِ أَبِي مُوسَى

كان الإمام بحاجة إلى وجود جيش الكوفة إلى جانب سائر الجيش للتصدي بحزم لحركة الناكثين ، إِلَّا أَنَّ تَشْيِيطَ أَبِي مُوسَى لِأَهَالِي الْكُوفَةِ حَالِ دُونَ نَهْوضِهِمْ لِنَصْرَتِهِ . وَكَانَ مَالِكُ الْأَشْتَرِ قَادِرًا عَلَى حَلِّ هَذِهِ الْعَقْدَةِ ؛ إِذْ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي اقْتَرَحَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِبْقَاءَهُ فِي مَنْصِبِهِ عَلَى وَلايَةِ الْكُوفَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْإِمَامُ قَدْ بَعَزَلَهُ فِيمَنْ عَزَلَهُ مِنْ وَلاةِ عُمَانَ . وَتَصَرَّحَ بَعْضُ الْوُثَاقِ النَّارِيخِيَّةِ أَنَّ الْإِمَامَ قَالَ لَهُ : «أَنْتَ شَقِيقَتِي فِي أَبِي مُوسَى أَنْ أَقِرَّهُ عَلَى الْكُوفَةِ ؛ فَأَذْهَبَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَتْ» [4] ، بَيِّنُ أَنَّ الرِّوَايَةَ الَّتِي أَوْرَدَهَا نَصْرُ بْنُ مِزَاحِمٍ تَفِيدُ أَنَّ الْأَشْتَرَ هُوَ الَّذِي عَرَضَ عَلَى الْإِمَامِ فِكْرَهُ لِلسَّيْرِ إِلَى الْكُوفَةِ لِمُعَالَجَةِ مَا أَفْسَدَهُ الْأَشْعَرِيُّ .

ه - وُصُولُ قُوَّاتِ الْكُوفَةِ إِلَى الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَام

انتهى الموقف الحاسم الذي اتَّخَذَهُ مَالِكُ الْأَشْتَرِ مِنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ بِحُلِّ مُشْكِلَةِ إِرْسَالِ جَيْشٍ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَانْطَلَقَتِ الْقُوَّاتُ مِنْ هُنَاكَ وَالتَّحَقَّتْ بِالْإِمَامِ فِي ذِي قَارٍ . وَمِمَّا يَسْتَرْعِي الْاهْتِمَامَ فِي هَذَا الصَّدَدِ هُوَ أَنَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بَعْدَ الْجَيْشِ الْقَادِمِ مِنَ الْكُوفَةِ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَيْهِ .

[1] البقرة : 188 .

[2] النساء : 93 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 14 ص 14 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 14 ص 20 .

347. تاريخ الطبري عن أبي الطفيل : قَالَ عَلِيُّ : «يَأْتِيَكُمْ مِنَ الْكُوفَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَرَجُلٌ» ، فَعَقَدْتُ عَلَى نَجْفَةٍ [1] ذِي قَارٍ ، فَأَحْصَيْتُهُمْ ، فَمَا زَادُوا رَجُلًا ، وَلَا نَقَصُوا رَجُلًا . [2]

[1] النَّجْفَةُ: شِبْهُ التَّلِّ (لسان العرب: ج 9 ص 323).

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 500 .

بحث حول مبعوثي الإمام عليه السلام إلى الكوفة

كان الإمام عليّ عليه السلام بحاجة إلى قوّات إضافية لمحاربة جيش أصحاب الجمل ، وكانت الكوفة أفضل ولاية قادرة على إمداده بمثل تلك القوّات ؛ وذلك لأنّها كانت حاضرة عسكريّة ، وكان فيها عدد كبير جدّاً من المقاتلين ؛ خلافاً لما كانت عليه مكّة أو المدينة أو اليمن أو فضلاً عن ذلك فقد كانت الكوفة أقرب ولاية إلى البصرة ، وهذا يعني أنّها كانت أفضل مكان لإرسال القوّات ، إلّا أنّ وجود أبي موسى الأشعري واليا على الكوفة ، كان يحول دون استقدام القوّات من هناك . وعلى ضوء تلك الظروف كتب أمير المؤمنين عليه السلام رسالة إلى أهل الكوفة ، وأرسلها مع مبعوثين عنه لاستنفاً أهاليها وتحريضهم على الالتحاق به . ولا بدّ وأن يكون لهؤلاء المبعوثين وجهة عند أهل الكوفة ، ومقدرة على محاكاة أبي موسى الأشعري . بيد أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين المصادر التاريخية حول عدد مبعوثي الإمام إلى الكوفة وترتيبهم : 1 . ذكر الطبري مبعوثي الإمام وترتيبهم على الأنحاء التالية : أ - محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن عون ، الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر ، مالك

الأشتر . [1] ب - رواية سيف بن عمر : محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن جعفر ، مالك الأشتر وعبد الله بن عباس ، الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر . ج - محمّد بن أبي بكر ، هاشم بن عتبة ، الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر . [2] 2 . وردت أسماؤهم في «الكامل في التاريخ» على نحو مشابه تقريباً لما أورده الطبري . [3] 3 . أمّا كتاب البداية والنهاية فقد اقتصر على ذكر روايات سيف بن عمر عن الطبري . [4] 4 . وسرد كتاب أنساب الأشراف أسماء أولئك المبعوثين على النحو التالي : هاشم بن عتبة ، عبد الله بن عباس ومحمّد بن أبي بكر ، الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر ؛ وأنّ الإمام الحسن عليه السلام قدم على الإمام عليّ عليه السلام في عشرة آلاف مقاتل (ولم يرد اسم مالك الأشتر بينهم) . [5] 5 . وورد ذكرهم في كتاب «الجمل» على النحو الآتي : هاشم بن عتبة (من الريدة) ، الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد ، مالك الأشتر . وجاء في نقل آخر عن الواقدي : محمّد بن الحنفية ومحمّد بن أبي بكر ، الإمام الحسن وعمّار (أو برفقة ابن عباس) . [6]

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 477 - 486 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 499 .

[3] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 324 - 329 .

[4] البداية والنهاية : ج 7 ص 235 - 237 .

[5] أنساب الاشراف : ج 3 ص 31 و 32 .

[6] الجمل : ص 242 - 257 .

6 . وجاء في شرح نهج البلاغة ذكرهم على النحو الآتي : هاشم بن عتبة ، عبد الله بن عباس ومحمّد بن أبي بكر (أو : محمّد بن جعفر بن أبي طالب ومحمّد بن أبي بكر كما في رواية محمّد بن إسحاق) ، الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد . [1] ثمّ استورد مؤرداً نصّ كلام الطبري . [2] 7 . وجاء في كتاب الإمامة والسياسة : عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر ، الإمام الحسن عليه السلام وعبد الله بن عباس وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد . [3] وهكذا يلاحظ وجود اختلافات شاسعة في عدد المبعوثين وترتيبهم . ويبدو أنّ ترتيبهم الصحيح كان على النحو التالي :

1 . هاشم بن عتبة

بعث الإمام علي عليه السلام وهو في الريدة - قرب المدينة - هاشم بن عتبة بكتاب إلى أبي موسى الأشعري - والي الكوفة - لاستنفاً الناس ودعوتهم لمحاربة جيش أصحاب الجمل . وسبب اختياره لهاشم بن عتبة واضح ؛ فهو كان من قادة جيش المسلمين ، وكانت له وجهة عند أهل الكوفة . سار هاشم بن عتبة إلى الكوفة وأبلغ كتاب الإمام عليه السلام ، لكنّه واجه معارضة من قبل أبي موسى الأشعري ، فبعث هاشم رسالة من الكوفة إلى الإمام عليه السلام بيّن له فيها طبيعة الأوضاع هناك . وفي أعقاب ذلك سار بنفسه إلى الإمام وشرح له مجريات الأمور بالتفصيل .

[1] شرح نهج البلاغة : ج 14 ص 8 - 10 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 14 ص 16 .

2 . مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ

المبعوث الثاني للإمام هو محمد بن أبي بكر الذي كانت له وجهة عند جميع المسلمين ، وخاصة عند الثوّار المناهضين لعثمان . وتتفق المصادر التاريخية على وجود محمد بن أبي بكر بين المبعوثين ، إلا أنها تختلف في ترتيب إيفاده ؛ فبعضها يُفيد أنه أوفد قبل هاشم بن عتبة [1] ، بينما يرى البعض الآخر منها أنه أوفد إلى الكوفة بعد رجوع هاشم بن عتبة منها [2] . وهناك مصادر أخرى لم تذكر زمنا معيّنًا لأيّ منهما [3] . كما يوجد تَمّة اختلاف آخر حول أعضاء الوفد المرافق لمحمد بن أبي بكر ، فبعض المصادر ذكرت اسم محمد بن عون [4] ، وذكرت مصادر أخرى محمد بن جعفر [5] ، وبعضها ذكرت محمد ابن الحنفية [6] ، وذكر غيرها عبد الله بن عباس [7] .

3 . الإمامُ الحسنُ عليه السلام و عمّارُ بنُ ياسرٍ

يمكن الجزم بأنّ الإمام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر كانا من جملة المندوبين الذين أرسلهم أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة . فبعدما عجز الموقدون الآخرون عن إقناع أبي موسى الأشعري وأهالي الكوفة بالنهوض والالتحاق بالإمام عليه السلام بعث هذين الرجلين إلى هناك . وقد أوردت كتب التاريخ والحديث نصوص خطبهما في الكوفة

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 499 .

[2] أنساب الأشراف : ج 3 ص 31 .

[3] الجمل : ص 257 .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 477 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 478 .

[6] الجمل : ص 257 .

[7] أنساب الأشراف : ج 3 ص 31 .

واحتجاجاتهما مع أبي موسى الأشعري . وفي نهاية المطاف سارا برفقة جيش الكوفة والتحقوا بجيش الإمام عليّ عليه السلام . وقد عزت بعض المصادر التاريخية إرسال جيش الكوفة إلى دور هذين الرجلين [1] . بينما تحدّثت مصادر أخرى عن مسير مالك الأشتر إلى هناك وطرده لأبي موسى الأشعري من قصر الإمارة [2] .

4 . مالكُ الأشترُ

ورد اسم مالك الأشتر بصفته مبعوثا للإمام عليه السلام إلى الكوفة ، واعتبرته معظم المصادر هو آخر المبعوثين ، وقالت : إنّ جهوده قد أثمرت في استنقاذ أهالي الكوفة وإرسال جيش منهم لمؤازرة الإمام (راجع النصّ السابق) . وذكرت مصادر أخرى بأنّ الأشتر قد أوفد إلى الكوفة في مستهلّ الأمر ، ولكن جهوده باءت بالفشل [3] . وتجدر الإشارة إلى أنّ الأشتر كانت له وجهة لا نظير لها بين أهالي الكوفة . وقد استطاع في عهد عثمان ، وفي ذروة هيمنة الخليفة أن يسيطر على الكوفة ويثير أهلها ضدّ عثمان . وفي ضوء ذلك يكون الاحتمال الأقوى هو أنّ الأشتر كان الموفد الأخير ، وأنّه سار إلى هناك لحسم الأمور . أمّا الرواية التي أشارت إلى أنّه كان أوّل المبعوثين ، وأنّه قد فشل في مهمّته فهي رواية سيف بن عمر الذي يلاحظ بوضوح عداؤه الصريح للأشتر في مواضع لاحصر لها من كتاب تاريخ الطبري .

[1] أنساب الأشراف : ج 3 ص 32 .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 486 .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 482 .

وذكرت مصادر أخرى أنّ الأشتر نفسه أعرب عن رغبته في المسير إلى الكوفة [1]. لأنّ أبا موسى كان والياً لعثمان على الكوفة ، وأنّ الإمام قد رام عزله ولكنّه أبقاها في منصبه هذا نزولاً عند رغبة مالك الأشتر . وقد يُفهم أنّ عمله هذا قد جاء رغبة منه في التكفير عن خطئه الأوّل .

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 482 .

[2] الجمل : ص 251 .

احتلال البصرة

أ - مُناقشات مندوبِ الوالي والتّائذين

348. أنساب الأشراف عن أبي مخنف في إسناده : ولَمَّا قَرَّبَتْ عَائِشَةُ وَمَنْ مَعَهَا مِنَ الْبَصْرَةِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ حُثَيْفٍ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ الْخَزَاعِيَّ أَبَا نُجَيْدٍ ، وَأَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيَّ ، فَلَقِيَاهُم بِحَقَرٍ أَبِي مُوسَى [1] فَقَالَا لَهُمْ : فِيمَا قَدِمْتُمْ ؟ فَقَالُوا : نَطْلُبُ يَدَ عِثْمَانَ ، وَأَنْ نَجْعَلَ الْأَمْرَ شُورَى ؛ فَإِنَّا غَضِبْنَا لَكُمْ مِنْ سَوَاطِيهِ وَعَصَاهُ ؛ أَفَلَا نَعْضِبُ لَهُ مِنَ السَّيْفِ ؟ !! وَقَالَا لِعَائِشَةَ : أَمْرُكَ اللَّهُ أَنْ تَقْرِي فِي بَيْتِكَ ؛ فَإِنَّكَ حَبِيسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَلِيلَتُهُ وَحَرَمَتُهُ . فَقَالَتْ لِأَبِي الْأَسْوَدِ : قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ مَا تَقُولُ فِيَّ !! فَانْصَرَفَ عِمْرَانُ وَأَبُو الْأَسْوَدِ إِلَى ابْنِ حُثَيْفٍ ، وَجَعَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَقُولُ : يَا بَنَ حُثَيْفٍ قَدْ أَتَيْتَ فَانْفِرْ وَطَاعِنِ الْقَوْمَ وَضَارِبِ وَاصِيرِ 0 0 وَابْزُرْ لَهُمْ مُسْتَلِيماً وَشَمِيرَ 0 فَقَالَ عُثْمَانُ : إِي وَرَبِّ الْحَرَمَيْنِ لَأَفْعَلَنَّ . [2]

ب - حَصْرُ دَارِ الْإِمَارَةِ وَالْقِتَالُ حَوْلَهَا

349. أنساب الأشراف : ونادى عُثْمَانُ بْنُ حُثَيْفٍ فِي النَّاسِ فَتَسَلَّحُوا ، وَأَقْبَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ حَتَّى دَخَلُوا الْمِرْدَ مِمَّا يَلِي بَنِي سُلَيْمٍ ، وَجَاءَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ مَعَ عُثْمَانَ رُكْبَانًا

[1] حَقَرَّ أَبِي مُوسَى : وَهِيَ رَكَابًا أَحْفَرَهَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَلَى جَادَةِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ (معجم البلدان : ج 2 ص 275) .

[2] أنساب الأشراف : ج 3 ص 24 .

349. أنساب الأشراف : ومُشَاهَةً ، وَخَطَبَ طَلْحَةُ فَقَالَ : إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ وَالْقَضِيَّةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَأَحْدَثَ أَحْدَانًا تَقَمَّنَاهَا عَلَيْهِ ، قَبَائِنَاهُ وَنَاقِرَانَهُ ، ثُمَّ أَعْتَبَ حِينَ اسْتَعْتَبْنَاهُ ، فَعَدَا عَلَيْهِ امْرُؤٌ ابْتَزَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَمْرَهَا بِغَيْرِ رِضَى وَلَا مَشُورَةٍ ، فَقَتَلَهُ ، وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ رَجُلًا غَيْرَ أَبْرَارٍ وَلَا اتَّقِيَاءَ ، فَقَتَلُوهُ رَبِيبًا تَائِبًا مُسْلِمًا ، فَتَحْنُ نَدَعُوكُمْ إِلَى الطَّلَبِ يَدِمِهِ ؛ فَإِنَّهُ الْخَلِيقَةُ الْمَظْلُومُ . وَتَكَلَّمَ الزُّبَيْرُ يَنْحُو مِنْ هَذَا الْكَلَامِ . فَاخْتَلَفَ النَّاسُ ؛ فَقَالَ قَائِلُونَ : نَطَقَ بِالْحَقِّ ، وَقَالَ آخَرُونَ : كَذَبَا وَلَهُمَا كَانَا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عُثْمَانَ !! وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ . وَأَبِي بَعَائِشَةَ عَلَى جَمَلِهَا فِي هَوْدَجِهَا فَقَالَتْ : صَوِّ صَ [1] ، فَخَطَبَتْ يَلِسَانٍ دَلَّى وَصَوِّ جَهْوَريٍّ ، فَأَسْكَتْ [2] لَهَا النَّاسُ فَقَالَتْ : إِنَّ عُثْمَانَ خَلِيفَتُكُمْ قِيلَ مَظْلُومًا بَعْدَ أَنْ تَابَ إِلَى رَبِّهِ ، وَخَرَجَ مِنْ دُنْيَاهُ ، وَاللَّهُ مَا بَلَغَ مِنْ فِعْلِهِ مَا يُسْتَحَلُّ بِهِ دَمُهُ ؛ فَيَنْبَغِي فِي الْحَقِّ أَنْ يُؤْخَذَ قَتْلُهُ فَيُقْتَلُوا بِهِ ، وَبُجْعَلَ الْأَمْرُ شُورَى . فَقَالَ قَائِلُونَ : صَدَقْتَ . وَقَالَ آخَرُونَ : كَذَبْتَ ، حَتَّى تَضَارِبُوا بِاللِّعَالِ وَتَمَازِيروا ، فَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةً مَعَ عَائِشَةَ وَأَصْحَابِهَا ، وَفِرْقَةً مَعَ ابْنِ حُثَيْفٍ ، وَكَانَ عَلَى خَيْلِ ابْنِ حُثَيْفٍ حُكَيْمُ بْنُ خَبَلَةَ ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ وَيَقُولُ : 0 خَيْلِي إِلَيَّ إِنَّهَا فَرِيسٌ لِيُرِدِّيْنَهَا نَعِيمُهَا وَالطَّيِّسُ [3] 0 وَتَاهَبُوا لِلْقِتَالِ ، فَانْتَهَوْا إِلَى الزَّابُوقَةِ [4] ، وَأَصْبَحَ عُثْمَانُ بْنُ حُثَيْفٍ قَرَحَتْ إِلَيْهِمْ ، فَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَكَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْقَتْلَى ، وَفُتَّتْ فِيهِمُ الْجِرَاحُ . ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ تَدَاعَوْا

[1] هي كلمة زجر تقال عند الإسكات ، بمعنى اسكت (النهاية : ج 3 ص 63) .

[2] أسكت : أي أعرض ولم يتكلم . يقال : تكلم الرجل ثم سكت بغير ألف ، فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل : اسكت (النهاية : ج 2 ص 383) .

[3] كذا ورد في المصدر ، وعجز البيت مختل الوزن .

[4] الزابوقة : موضع قريب من البصرة ، كانت فيه وقعة الجمل (معجم البلدان : ج 3 ص 125) .

349. أنساب الأشراف : إلى الصلح ، فكتبوا بينهم كتاباً بالمواذعة إلى قُدوم عليّ على أن لا يعرض بعضهم لبعض في سوق ولا مشرعة ، وأن لعثمان بن حنيف دار الإمارة وبيت المال والمسجد ، وأن طلحة والزبير ينزلان ومن معهما حيث شاؤوا . ثم انصرف الناس وألقوا السلاح . [1]

ج - إستيلاء التاكثين على البصرة

350. الجمل - في ذكر ما حدث بعد مصالحة عثمان بنوكانوا قوما من الرط [2] قد استبصروا وأكل السجود جباههم ، وانتمتهم عثمان على بيت المال ودار الإمارة - فأكبّ عليهم القوم وأخذوهم من أربع جوانبهم ، ووضعوا فيهم السيف ، فقتلوا منهم أربعين رجلاً صبراً يتولّى منهم ذلك الزبير خاصة ، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً ، وعمدوا إلى لحيته - وكان شيخاً كثر اللحية - فتنفوها حتى لم يبق منها شيء ولا شعرة واحدة ! وقال طلحة : عذبوا الفاسق ، وانتفوا شعر حاجبيه ، وأشفا عتيه ، وأوثقوه بالحديد ! [3]

د - أمر عائشة يقتل عثمان بن حنيف

351. الجمل : قال طلحة والزبير لعائشة [بعدما أخذ عثمان بن حنيف] : ما تأمرين في عثمان ؟ فإنه إما به .

[1] أنساب الأشراف : ج 3 ص 25 .

[2] الرط : جنس من السودان والهنود (النهاية : ج 2 ص 302) .

[3] الجمل : ص 281 .

351. الجمل : فقالت : أقتلوه قتله الله ! وكانت عندها امرأة من أهل البصرة فقالت لها : يا أمّاه أين يذهب بك ؟ ! تأمرين يقتل عثمان بن حنيف ، وأخوه سهل خليفة على المدينة ، ومكانه من الأوس والخزرج ما قد علمت ! والله ، لئن فعلت ذلك لتكونن له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري فريش . فتاب إلى عائشة رأيها وقالت : لا تفتلوه ، ولكن احبسوه وصيقوا عليه حتى أرى رأيي . فحسب أياها ، ثم بدا لهم في حبسه ، وخافوا من أخيه أن يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم ، فتركوا حبسه . [1]

ه - قتل المعارضين

352. تاريخ الطبري عن الزهري : فام طلحة والزبير خطيبين فقالا : يا أهل البصرة إتبعة يحوية ، إنما أردنا أن يستعقب أمير المؤمنين عثمان ، ولم نرد قتله ، فقلّب سقهاء الناس الخلماء حتى قتلوه . فقال الناس لطلحة : يا أبا محمّد ، قد كانت كئيبك تأتينا بغير هذا ! فقال الزبير : فهل جاءكم مني كتاب في شأنه ؟ ثم ذكر قتل عثمان وما أتى إليه ، وأظهر عيب عليّ . فقام إليه رجل من عبد القيس فقال : أيها الرجل ! أنصت حتى تتكلم ، فقال عبد الله بن الزبير : وما لك ولكلام ؟ فقال العبدى : يا معشر المهاجرين ، أنتم أول من أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان لكم بذلك فضل ، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم ، فلما توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله بايعتم رجلاً منكم ، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك ، فرضينا وأتبعناكم ، فجعل الله عز وجل للمسلمين في إمارته بركة ، ثم مات واستخلف عليكم رجلاً منكم فلم تشاورونا في

[1] الجمل : ص 284 .

352. تاريخ الطبري عن الزهري : ذلك ، فرضينا وسلّمنا ، فلما توفّي الأمير جعل الأمر إلى سيّته نقر ، فاحترث عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ، ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منا ، ثم بايعتم عليّاً عن غير مشورة منا ، فما الذي نعلم عليه فنقاتله ؟ هل استأثر بقي ؟ أو عمل بغير الحق ؟ أو عمل شيئاً نكروته فتكون معكم عليه ؟ وإلا فما هذا ؟ فهموا يقتل ذلك الرجل ، فقام من دونه عشرين ، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه ، فقتلوا سبعين رجلاً . [1]

353. الإرشاد عن ابن عباس : لَمَّا نَزَلَ [الإمامُ عَلِيٌّ] عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذِي فَارٍ أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ فَأَكْثَرَ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالْتِنَاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ : قَدْ جَرَتْ أُمُورٌ صَبَرْنَا عَلَيْهَا - وَفِي أَعْيُنِنَا الْقَذَى - تَسْلِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا امْتَحَنَنَا بِهِ رَجَاءُ الثَّوَابِ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ الصَّبْرَ عَلَيْهَا أَمْثَلَ مِنْ أَنْ يَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ وَتُسْقَكَ دِمَاؤُهُمْ . نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ ، وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِسُلْطَانِ الرِّسَالَةِ ، وَمَعِينُ الْكَرَامَةِ الَّتِي ابْتَدَأَ اللَّهُ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ . وَهَذَا طَلْحَةُ وَالزُبَيْرُ لَيْسَا مِنْ أَهْلِ النَّبُوَّةِ وَلَا مِنْ دُرِّيَةِ الرَّسُولِ ، حِينَ رَأَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا بَعْدَ أَعْصِي ، فَلَمْ يَصْبِرَا حَوْلًا وَاحِدًا وَلَا شَهْرًا كَامِلًا حَتَّى وَتَبَا عَلَى

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 469 .

353. الإرشاد عن ابن عباس : دَابَّ الْمَاضِينَ قَبْلَهُمَا، لِيَذْهَبَا بِحَقِّي، وَيُقَرِّقَا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَنِّي. ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمَا. [1]

ب - قُدُومُ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ

354. الجمل : حَرَجَ ابْنُ حُنَيْفٍ حَتَّى أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَذِي فَارٍ ، فَلَمَّا تَطَرَّ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ نَكَلَ بِهِ الْقَوْمُ ، بَكَى وَقَالَ : يَا عُثْمَانُ، بَعَثْتُكَ شَيْخًا أَلْحَى فَرْدُوكَ أَمْرًا إِلَيَّ ! اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ اجْتَرَأُوا عَلَيْكَ وَاسْتَحَلُّوا حُرْمَتَكَ ، اللَّهُمَّ اقْتُلْهُمْ يَمَنْ قَتَلُوا مِنْ شِيعَتِي ، وَعَجِّلْ لَهُمُ النَّقْمَةَ يَمَا صَنَعُوا بِخَلِيقَتِي . [2]

ج - قُدُومُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْبَصْرَةِ

355. مروج الذهب عن المنذر بن الجارود : لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَصْرَةَ دَخَلَ مِمَّا يَلِي الطَّفَّ - إِلَى أَنْ قَالَ - : قَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا الْمَوْضِعَ الْمَعْرُوفَ بِالرَّائِوِيَّةِ ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، وَعَقَّرَ حَذْيَهُ عَلَى الثَّرَابِ ، وَقَدْ خَالَطَ ذَلِكَ دُمُوعُهُ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَتْ، وَالْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَتْ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، هَذِهِ الْبَصْرَةُ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْنَا فِيهَا خَيْرَ مَنْزِلٍ وَأَنْتَ خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ ، اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ خَلَعُوا طَاعَتِي وَبَغَوْا عَلَيَّ وَتَكَنُّوا بَيْعَتِي ، اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ . [3]

جهود الإمام عليه السلام لمنع القتال

عندما تحرَّك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع قوّاته من ذي قار ، بعث صَعَصَعَةَ بْنَ

[1] الإرشاد : ج 1 ص 249 .

[2] الجمل : ص 285 .

[3] مروج الذهب : ج 2 ص 368 .

صوحان إلى طلحة والزبير وعائشة ، ومعه كتاب تحدّث فيه عن إنارتهم للفتنة ، وذكر فيه موقفهم الحاقد الماكر من عثمان بن حنيف ، وحذّره من معيّة عملهم ، وعاد صَعَصَعَةَ فَأَخْبَرَهُ قَائِلًا : «رَأَيْتُ قَوْمًا مَا يُرِيدُونَ إِلَّا قِتَالَكَ» . [1] وَتَاهَبَتْ قَوَاتُ الطَّرْفَيْنِ لِلْحَرْبِ ، بِيَدِ أَنَّ الْإِمَامَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ مَنَعَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَنْ يَبْدُوهُمْ بِقِتَالٍ ، وَحَاوَلَ فِي بَادئِ أَمْرِهِ أَنْ يَرِدَعَ أُولَى الْفِتْنَةِ عَنِ الْحَرْبِ . وَإِنَّ حَدِيثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَادَةِ جَيْشِ الْجَمَلِ ، وَمَعَ الْجَيْشِ نَفْسَهُ يَجْلِبُ الْإِنْتِبَاهَ [2] . وَبِذَلِكَ فَصَارَ جُهْدُهُ فِي سَبِيلِ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْهَدْوِ ، وَالْحَوُولِ دُونَ اشْتِعَالِ نَارِ الْحَرْبِ ، فَبَعَثَ إِلَى قَادَةِ الْجَيْشِ رِسَالًا يَحْتَثُّهُمْ فِيهَا عَلَى عَدَمِ الْأَصْطِدَامِ [3] ، ثُمَّ أَوْفَدَ مَبْعُوثِيهِ لِلتَّفَاوُضِ مَعَهُمْ [4] . وَلَمَّا لَمْ يَتِمَّ جُهْدُهُ شَيْئًا ، ذَهَبَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ [5] . وَنَاحَظَ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ تَرَجَّمَ لَنَا فِي تِلْكَ الرِّسَالِ وَالْمَحَاوِرَاتِ شَخْصِيَّتَهُ وَأَبَانَ عَظِيمَ قُدْرِهِ ، وَأَمَاطَ اللِّثَامَ عَنِ الْمَوْقِفِ السَّابِقِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مَسَاعِيرُ الْحَرْبِ ، وَتَحَدَّثَ مَرَّةً أُخْرَى عَنْ قَتْلِ عُثْمَانَ وَكَيْفِيَّتِهِ بِدَقَّةٍ تَامَّةٍ ، وَكَشَفَ أَبْعَادَ ذَلِكَ الْحَادِثِ ، وَأَغْلَقَ عَلَى مَثِيرِي الْفِتْنَةِ تَشْبِيْثَهُمْ بِالْمَعَاذِيرِ الْوَاهِيَةِ . وَلَمَّا وَجَدَ ذَلِكَ عَقِيمًا وَتَاهَبَ الْفَرِيقَانِ لِلْقِتَالِ ، أَوْصَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَابَهُ بِمَلَكِ أَنْفُسِهِمُ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى الْهَدْوِ ، وَقَالَ : «لَا تَعْجَلُوا حَتَّى أُعْذَرَ إِلَى الْقَوْمِ . . .» . فَقَامَ إِلَيْهِمْ فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْقَوْمِ إِجَابَةً . وَبَعْدَ اللَّتْبَا وَالتِّي ، بَعَثَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثَانِيَةً مِنْ أَجْلِ التَّفَاوُضِ الْآخِرِ ؛ لَعَلَّهُ يَرُدُّهُمْ عَنِ الْحَرْبِ ؛ ، لِئَلَّا تُسْفِكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ هَدْرًا ، بِيَدِ أَنَّ الْقَوْمَ خُتِمَ عَلَى سَمْعِهِمْ ، فَلَمْ

[1] الجمل : ص 313 و 314 .

[2] قرب الإسناد : ص 96 ح 327 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 54 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 31 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 508 و 509 .

يصغوا إلى رسول الإمام ، كما لم يصغوا إلى الإمام عليه السلام من قبل [1]. وقد كان لعائشة وعبد الله بن الزبير خاصّة الدور الأكبر في ذلك .

أ - الإقدام الشجاع لاءنقاذ العَدُوّ

356. مروج الذهب : خَرَجَ عَلَيَّ يَنْفَسِيهِ حَاسِرًا عَلَى بَعْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا سِيْلَاحَ عَلَيْهِ ، فَنَادَى : يَا زُبَيْرُ ، اخْرُجْ إِلَيَّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ شَاكًا فِي سِيْلَاحِهِ ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : وَائِذَا كُنْتُ بِأَسْمَاءَ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّ عَلِيًّا حَاسِرٌ ، فَاطْمَأْنَنْتِ . وَاعْتَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَيْحَكَ يَا زُبَيْرُ ! مَا الَّذِي أَخْرَجَكَ ؟ قَالَ : دَمَ عُمَانُ ، قَالَ : قَتَلَ اللَّهُ أَوْلَانَا يَدِمَ عُمَانُ ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي بَنِي بِيْاضَةَ وَهُوَ رَاكِبٌ جِمَارَةً ، فَضَجَّكَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ، وَضَجَّكَتْ إِلَيْهِ ، وَأَنْتَ مَعَهُ ، فَقُلْتَ أَنْتَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَدْعُ عَلِيٌّ زَهْوَهُ . فَقَالَ لَكَ : لَيْسَ بِهِ زَهْوٌ ، أُتِجِيهُ يَا زُبَيْرُ ؟ فَقُلْتَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأُجِئُهُ . فَقَالَ لَكَ : إِنَّكَ وَاللَّهِ سَتَقَاتِلُهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَاللَّهِ لَوْ ذَكَرْتُهَا مَا خَرَجْتُ . فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا زُبَيْرُ ، ارْجِعْ ، فَقَالَ : وَكَيْفَ أَرْجِعُ الْآنَ وَقَدْ التَقْتُ خَلَقًا الْبِطَانِ [2] ؟! هَذَا وَاللَّهِ الْعَارُ الَّذِي لَا يُغَسَّلُ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا زُبَيْرُ ، ارْجِعْ بِالْعَارِ قَبْلَ أَنْ تَجْمَعَ الْعَارَ وَالنَّارَ .

[1] الجمل : ص 313 و 314 .

[2] قرب الإسناد : ص 96 ح 327 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 54 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 31 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 508 و 509 .

[6] الجمل : ص 336 - 338 .

[7] البطان : حزام القتب الذي يجعل تحت بطن البعير . يقال : التقت خلقنا البطان للأمر إذا اشتدّ (ناج العروس : ج 18 ص 62) .

[8] مروج الذهب : ج 2 ص 371 .

356. مروج الذهب : فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ يَقُولُ : 0 إِخْتَرْتُ عَارًا عَلَى نَارٍ مُؤَجَّجَةٍ مَا إِنْ يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ مِنَ الطَّيْنِ 0 0 نَادَى عَلِيٌّ بِأَمْرِ لَسْتُ أَجْهَلُهُ عَارٌ لَعَمْرُكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ 0 0 فَقُلْتُ : حَسْبُكَ مِنْ عَذْلِ أَبِي حَسَنِ قَبِعْمُ هَذَا الَّذِي قَدْ قُلْتَ يَكْفِينِي 0 فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَدْعُنَا ؟ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، أَذْكَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ بِأَمْرِ كُنْتُ قَدْ أَنْسَيْتُهُ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّكَ قَرَرْتَ مِنْ سَيْوِفِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ فَإِنَّهَا طَوَالٌ جِدَادٌ ، تَحْمِلُهَا فِتْيَةٌ أَنْجَادٌ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ مَا أَنْسَانِيهِ الدَّهْرُ ، فَاخْتَرْتُ الْعَارَ عَلَى النَّارِ ، أَيْالَجِبُنِ تُعَيِّرَنِي لَا أَبَا لَكَ ؟ ثُمَّ أَمَّا سِنَانَتُهُ وَشَدُّ فِي الْمَيْمَنَةِ . فَقَالَ عَلِيٌّ : إِفْرِجُوا لَهُ فَقَدْ هَاجَوْهُ . ثُمَّ رَجَعَ فَشَدَّ فِي الْمَيْسَرَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَشَدَّ فِي الْقَلْبِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى ابْنِهِ ، فَقَالَ : أَيْ يَقَعَلُ هَذَا جَبَانٌ ؟ ثُمَّ مَضَى مُنْصَرِفًا . [1]

ب - عاقبة الزُّبَيْرِ

357. الجمل عن مروان بن الحكم : هَرَبَ الزُّبَيْرُ فَارًّا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَتَى وَادِيَ السَّيْبَاعِ ، فَزَفَعَ الْأَحْتَفَ صَوْتَهُ وَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِالزُّبَيْرِ ؟ قَدْ لَفَّ بَيْنَ غَارَيْنِ [2] مِنَ النَّاسِ حَتَّى قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، ثُمَّ هُوَ يُرِيدُ الْيَحَاقَ بِأَهْلِهِ !! فَسَمِعَ ذَلِكَ ابْنُ حُرْمُوزٍ فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ ، وَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنْ مُجَاشِعٍ حَتَّى لَحِقَاهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا الزُّبَيْرُ خَذَرَهُمَا .

[1] البطان : حزام القتب الذي يجعل تحت بطن البعير . يقال : التقت خلقنا البطان للأمر إذا اشتدّ (ناج العروس : ج 18 ص 62) .

[2] مروج الذهب : ج 2 ص 371 .

[3] الغار : الجمع الكثير من الناس ، والقبيلة العظيمة (المحيط في اللغة : ج 5 ص 124) .

[4] الجمل : ص 390 و 387 .

357. الجمل عن مروان بن الحكم : قَالَا : يَا حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ، أَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا لَا يَصِلُ إِلَيْكَ أَحَدٌ . وَسَايَرُهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ ، قَبِينَا هُوَ يَسَايَرُهُ وَيَسْتَأْخِرُ ، وَالرُّبَيْرُ يُفَارِقُهُ ، قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنِزِعْ دِرْعَكَ فَاجْعَلْهَا عَلَى فَرْسِكَ فَإِنَّهَا تُثْقِلُكَ وَتُعْيِيكَ ، فَتَزَعُهَا الرُّبَيْرُ وَجَعَلَ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ يَنْكُصُ وَيَتَأَخَّرُ ، وَالرُّبَيْرُ يُنَادِيهِ أَنْ يَلْحَقَهُ وَهُوَ يَجْرِي يَقْرُسِيهِ ، ثُمَّ يَنْحَاؤُهُ عَنْهُ حَتَّى اطمأنَّ إِلَيْهِ وَلَمْ يُنْكَرْ تَأَخُّرَهُ عَنْهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَطَعَنَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَأَخْرَجَ السِّنَانِ مِنْ نُدْيِيهِ ، وَنَزَلَ فَاحْتَرَّتْ رَأْسُهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى الْأَحْتَفِ ، فَأَنْقَذَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَلَمَّا رَأَى رَأْسَ الرُّبَيْرِ وَسَيْفَهُ قَالَ : نَاوِلْنِي السَّيْفَ ، فَنَاولَهُ ، فَهَرَّهُ وَقَالَ : سَيْفٌ طَالَمَا قَاتَلَ بِهِ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَكِنَّ الْحَيْنَ وَمَصَارِعَ السَّوْءِ ! ثُمَّ تَقَرَّسَ فِي وَجْهِ الرُّبَيْرِ وَقَالَ : لَقَدْ كَانَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صُحْبَةً وَمِنْهُ قَرَابَةٌ ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ دَخَلَ مِنْخَرِيكَ ، فَأَوْرَدَكَ هَذَا الْمَوْرِدَ ! [1]

ج - مُنَاقَشَاتُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَلَحَةٌ

358. الإمامة والسياسة - فِي ذِكْرِ مَادَارٍ بَيْنَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَ: قَالَ طَلَحَةُ : إِعْتَزَلَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَتَجَعَّلَهُ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ رَضُوا بِكَ دَخَلْتَ فِيهَا مَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، وَإِنْ رَضُوا غَيْرَكَ كُنْتَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ عَلِيٌّ : أَوْلَمْ تُبَايِعْنِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ؟ قَمَا كُنْتُ لِأَنْتَ بَيْعَتِي . قَالَ طَلَحَةُ : بَايَعْتُكَ وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِي . قَالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي مَا أَكْرَهْتُ أَحَدًا عَلَى الْبَيْعَةِ ؟ وَلَوْ كُنْتُ مُكْرَهًا أَحَدًا لَأَكْرَهْتُ سَعْدًا ، وَابْنَ عُمَرَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ : أَبُؤُا الْبَيْعَةَ وَاعْتَزَلُوا ، فَتَرَكْتُهُمْ .

[1]. الجمل : ص 390 و ص 387 .

358. الإمامة والسياسة - فِي ذِكْرِ مَادَارٍ بَيْنَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَ: قَالَ طَلَحَةُ : كُنَّا فِي الشُّورَى سِتَّةَ ، فَمَاتَ اثْنَانِ وَقَدْ كَرِهْنَاكَ ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ . قَالَ عَلِيٌّ : إِنَّمَا كَانَ لَكُمْ أَلَّا تَرْضَا قَبْلَ الرِّضَى وَقَبْلَ الْبَيْعَةِ ، وَأَمَّا الْآنَ فَلَيْسَ لَكُمْ غَيْرُ مَا رَضِيتُمَا بِهِ ، إِلَّا أَنْ تَخْرُجَا مِمَّا بُويعْتُ عَلَيْهِ بِحَدَثٍ ، فَإِنْ كُنْتُ أَحَدُثُ حَدَثًا فَسَمُّوهُ لِي ! وَأَخْرَجْتُمْ أَمَّكُمْ عَائِشَةَ ، وَتَرَكَتُمْ نِسَاءَكُمْ ، فَهَذَا أَعْظَمُ الْحَدَثِ مِنْكُمْ ، أَرْضَى هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ تَهْتِكُوا سِتْرَهُ عَلَيْهِ ، وَتُخْرِجُوهَا مِنْهُ ؟ ! فَقَالَ طَلَحَةُ : إِنَّمَا جَاءَتْ لِلِإِصْلَاحِ . قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هِيَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - إِلَى مَنْ يُصْلِحُ لَهَا أَمْرَهَا أَحْوَجُ . أَيُّهَا الشَّيْخُ! إِقْبِلِ النَّصِيحَ وَارْضَ بِالنُّتُوبَةِ مَعَ الْعَارِ ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْعَارُ وَالنَّارُ . [1]

9 / 1

القتال

أ - دُعَاءُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ الْقِتَالِ

359. الجمل : لَمَّا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا قَدِمَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الْعِنَادِ وَاسْتَحْلَوْهُ مِنْ سَفْكِ الدَّمِ الْحَرَامِ ، رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ شَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبُسِطَتِ الْأَيْدِي ، وَأَفْضَتِ الْقُلُوبُ ، وَتَقَرَّبَتْ إِلَيْكَ بِالْأَعْمَالِ ، «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» [2]. [3]

ب - تَحْرِيزُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْقِتَالِ

360. الجمل : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْظَرَهُمْ [أَصْحَابَ الْجَمَلِ] ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ : لِيُكْفُوا وَيَرْعَوْا ، فَلَمَّا

[1]. الإمامة والسياسة : ج 1 ص 95 .

[2]. الأعراف : 89 .

[3]. الجمل : ص 341 .

360. الجمل : عَلِمَ إِصْرَارُهُمْ عَلَى الْخِلَافِ فَأَمَرَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : عِبَادَ اللَّهِ ! إِنْهَدُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مُنْشَرِحَةً صُدُورُكُمْ ، فَإِنَّهُمْ تَكُونُوا بَيْعَتِي ، وَقَتَلُوا بِعَايِلِي ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ أَلَمُوهُ بِالضَّرْبِ الْمُتَبَرِّحِ ، وَالْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَهُوَ شَيْخٌ مِنْ وُجُوهِ الْأَنْصَارِ وَالْفُضَلَاءِ ، وَلَمْ يَرْعَوْا لَهُ حُرْمَةً ، وَقَتَلُوا

السَّابِغَةَ رَجَالاً صَالِحِينَ ، وَقَتَلُوا حُكَيْمَ بْنَ جَبَلَةَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ؛ لِعَصِيهِ لِلَّهِ ، ثُمَّ تَتَبَعُوا شَيْعَتِي بَعْدَ أَنْ هَرَبُوا مِنْهُمْ وَأَخَذُوهُمْ فِي كُلِّ غَائِطَةٍ [1] ، وَتَحْتَ كُلِّ رَابِيَةٍ ، يَضْرِبُونَ أَعْنَاقَهُمْ صَبْرًا ، مَا لَهُمْ ؟ «قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَيْسَ يُؤْفَكُونَ» [2] ! ! فَانْهَدُوا إِلَيْهِمْ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكُونُوا أَسْوَدًا عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ شِيرَارٌ ، وَمُسَاعِدُوهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ شِيرَارٌ ، فَالْقَوْمُ صَائِرِينَ مُحْتَسِبِينَ مَوَاطِنَ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّكُمْ مُنَازِلُونَ وَمُقَاتِلُونَ ، قَدْ وَطَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّرْبِ وَالطَّعْنِ وَمُنَازِلَةِ الْأَفْرَانِ . فَأَيُّ أَمْرٍ أَحْسَنُ مِنْ تَفْسِيهِ رِبَاطَةَ جَاشٍ عِنْدَ الْفَرَعِ وَشَجَاعَةً عِنْدَ الْيَقَاءِ وَرَأَى مِنْ أَخِيهِ قَسَلًا وَوَهْنًا ، فَلْيَذُبْ عَنْهُ كَمَا يَذُبْ عَنْ تَفْسِيهِ ؛ فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . [3]

ج - السَّكِينَةُ الْعَلَوِيَّةُ فِي الْحَرْبِ

361. الجمل عن محمد ابن الحنفية : لَمَّا نَزَلْنَا الْبَصْرَةَ وَعَسَكْرُنَا بِهَا وَصَفْنَا صُفُوفَنَا ، دَفَعَ أَبِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيَّ الْيَلَاءَ ، وَقَالَ : لَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى يُحَدِّثَ فِيكُمْ . ثُمَّ نَامَ ، فَانَلْنَا نَبْلَ الْقَوْمِ ، فَأَفْرَعْتُهُ ، فَقَزَعَهُ وَهُوَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ مِنَ النَّوْمِ ، وَأَصْحَابُ الْجَمَلِ يَصِيحُونَ : يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ ! قَبِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا قَمِيصٌ وَاجِدٌ ، ثُمَّ قَالَ : تَقَدَّمْ بِالْيَلَاءِ ! فَتَقَدَّمْتُ وَقُلْتُ : يَا

[1] الغائط : المتسع من الأرض مع طمأنينة (لسان العرب : ج 7 ص 364) .

[2] التوبة : 30 .

[3] الجمل : ص 334 .

361. الجمل عن محمد ابن الحنفية : أَتَيْتُ أَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَقْمِيصِي وَاجِدٌ ؟ ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَحَزَّرَ أَمْرًا أَجَلُهُ [1] ، وَاللَّهِ قَاتَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَا حَاسِرٌ [2] أَكْثَرَ مِمَّا قَاتَلْتُ وَأَنَا دَارِعٌ . [3]

د - إِشْتِدَادُ الْقِتَالِ

362. الإمامة والسياسة : إِفْتَتَلَ الْقَوْمُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَتْ يَمَنُ الْبَصْرَةِ يَمَنَ عَلِيٍّ ، وَهَزَمَتْ رَبِيعَةُ الْبَصْرَةَ رَبِيعَةَ عَلِيٍّ . . . ثُمَّ تَقَدَّمَ عَلِيٌّ فَتَطَرَّ إِلَى أَصْحَابِهِ يُهَزِّمُونَ وَيُقَتِّلُونَ ، فَلَمَّا تَطَرَّ إِلَى ذَلِكَ صَاحَ بِابْنِهِ مُحَمَّدٍ - وَمَعَهُ الرَّايَةُ - : أَنْ اقْتَحِمِ ! فَأَبْطَأَ وَثَبَتْ ، فَأَتَى عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِهِ فَضْرَبَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ حَمَلَ فَدَخَلَ عَسْكَرَهُمْ ، وَإِنَّ الْمَيْمَنَتَيْنِ وَالْمَيْسَرَتَيْنِ تَضْطَرِبَانِ ؛ فِي إِحْدَاهُمَا عَمَّارٌ ، وَفِي الْأُخْرَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ . قَالَ : فَشَقَّ عَلِيٌّ فِي عَسْكَرِ الْقَوْمِ يَطْعَنُ وَيَقْتُلُ ، ثُمَّ خَرَجَ . . . ثُمَّ أُعْطِيَ الرَّايَةَ لِابْنِهِ وَقَالَ : هَكَذَا فَاصْنَعِ . فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدٌ بِالرَّايَةِ وَمَعَهُ الْأَنْصَارُ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْجَمَلِ وَالْهُودَجِ وَهَزَمَ مَا بَلِيهِ ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ ذَلِكَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى كَانَتْ الْوَاقِعَةُ وَالصَّرْبُ عَلَى الرُّكْبِ . [4]

ه - مُقَاتَلَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَفْسِيهِ

363. الفتوح : إِنْفَرَقَ عَلِيٌّ بِرِيْدٍ أَصْحَابَهُ ، فَصَاحَ بِهِ صَائِحٌ مِنْ وَرَائِهِ ، فَالْتَفَتَ وَإِذَا يَعْبُدُ اللَّهَ بْنِ خَلْفٍ الْخُرَاعِيِّ وَهُوَ صَاحِبُ مَنْزِلٍ عَائِشَةَ بِالْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَلِيٌّ عَرَفَهُ ، مَا

[1] أَحَزَّرْتُ الشَّيْءَ أَحَزَّرُهُ : إِذَا حَفِظْتُهُ وَضَمَمْتُهُ إِلَيْكَ وَصُنَّتَهُ عَنِ الْأَخْذِ (لسان العرب : ج 5 ص 333) .

[2] الحاسر : خلاف الدارع ، وهو من لا مغفر له ولا درع ولا بيضة على رأسه (تاج العروس : ج 6 ص 274) .

[3] الجمل : ص 355 .

[4] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 96 .

363. الفتوح : تَشَاءُ يَا بَنَ خَلْفٍ ؟ قَالَ : هَلْ لَكَ فِي الْمُبَارَزَةِ ؟ قَالَ عَلِيٌّ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ وَيْخُكُ يَا بَنَ خَلْفٍ مَا رَاحَتْكَ فِي الْقِتْلِ وَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ أَتَا ! ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلْفٍ : دَعْنِي مِنْ مَدْحِكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَادْنُ مِنِّي لِتَرَى إِنَّمَا يَقْتُلُ صَاحِبَهُ ! ثُمَّ أَنْشَدَ شِعْرًا ، فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ ، وَالتَّقْوَا لِلصَّرْبِ ، فَبَادَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلْفٍ بِضَرْبَةٍ دَفَعَهَا عَلِيٌّ بِحِجْفِيهِ [1] ، ثُمَّ انْحَزَفَ عَنْهُ عَلِيٌّ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً زَمَى بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ ضْرَبَهُ أُخْرَى فَأَطَارَ فَحَفَّ رَأْسِهِ . [2]

و - قَتْلُ طَلْحَةَ بْنِ مَرْوَانَ

364. الفتوح : جَعَلَ طَلْحَةُ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : عِبَادَ اللَّهِ ! الصَّبْرَ الصَّبْرَ ! إِنَّ بَعْدَ الصَّبْرِ النَّصْرُ وَالْأَجْرُ . فَتَطَرَّ إِلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَقَالَ لِعُغْلَامٍ لَهُ : وَيْلَكَ يَا عُغْلَامُ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَرَّضَ عَلَيَّ قَتْلَ عُثْمَانَ يَوْمَ الذَّارِ أَحَدٌ كَتَحْرِيطِ طَلْحَةَ وَلَا قَتَلَهُ سِوَاهُ ! وَلَكِنْ اسْتَرْنِي فَأَنْتَ حُرٌّ ؛ فَسَرَّهَ الْعُغْلَامُ . وَزَمَى مَرْوَانُ بِسَهْمٍ مَسْمُومٍ لَطْلَحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَأَصَابَتْهُ بِهِ ، فَسَقَطَ طَلْحَةُ لِمَا بِهِ وَقَدْ غُمِيَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَفَاقَ ، فَتَطَرَّ إِلَى الدِّمِّ يَسِيلُ مِنْهُ فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَطْنُ وَاللَّهِ إِنَّا غُنِينَا بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ يَقُولُ : «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [3] . [4]

[1] الحَجَف : ضرب من التَّرسَة ، واحدتها حَجَفَة . ويقال للتَّرس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب (لسان العرب : ج 9 ص 39) .

[2] الفتوح : ج 2 ص 478 .

[3] الأنفال : 25 .

[4] الفتوح : ج 2 ص 478 .

ز - إستمراؤ الحرب بقيادة عائشة

365. تاريخ الطبري عن محمد وطلحة : كان القتال الأول يستجر إلى انتصاف النهار ، وأصيب فيه طلحة ، وذهب فيه الزبير ، فلما أؤوا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة ، دمرتهم [1] عائشة . فافتتلوا حتى تناذوا فتحاجزوا ، فرجعوا بعد الظهر فافتتلوا ، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة ، فافتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير ، وفي وسطه مع نيشة . [2] .

ح - غفر الجمل وتفرق أصحابه

366. الجمل : لما تفرق الناس عن الجمل أشفق أمير المؤمنين عليه السلام أن يعود [3] إليه فتعود الحرب ، فقال : عرقوا [4] الجمل . فتبادر إليه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فعرقبوه ، ووقع لجنيه ، وصاحت عائشة صيحة أسمعت من في العسكرين . [5]

ط - مدة الحرب

367. أنساب الأشراف : كانت الحرب من الظهر إلى غروب الشمس . [6]

[1] الذمر : اللوم والحضّ معاً (لسان العرب : ج 4 ص 311) .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 514 .

[3] كذا في المصدر ، ولعلّ الصواب : «يعودوا» .

[4] تعربها : تقطع عرقوبها ، والعرقوب هو الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع (النهاية : ج 3 ص 221 «عرقب») .

[5] الجمل : ص 350 .

[6] أنساب الأشراف : ج 3 ص 38 .



368. الإمام الباقر عليه السلام : أَمَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنَادِيَةً قَنَادَى يَوْمَ الْبَصَرَةِ : « لَا يُتَّبَعُ مُدِيرٌ ، وَلَا يُدَقَّفُ [1] عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا يُقْتَلُ أُسِيرٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ » ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَتَاعِهِمْ شَيْئًا . [2]

ب - إصداؤ العفو العام

369. أنساب الأشراف : قَامَ عَلِيٌّ - حِينَ ظَهَرَ وَظَفَرَ - خَطِيبًا فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْبَصَرَةِ ! قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ ؛ فَإِيَّاكُمْ وَالْفِتْنَةَ ؛ فَإِنَّكُمْ أَوَّلُ الرِّعِيَّةِ تَكَثَّرَتِ الْبَيْعَةُ ، وَشَقَّ عَصَا الْأُمَّةِ . ثُمَّ جَلَسَ وَبَايَعَهُ النَّاسُ . [3]

ج - مُحَادَثَاتُ بَيْنِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَائِشَةَ

370. تاريخ البعقوبي - فِي خَبَرٍ عَائِشَةَ : أَنَهَا عَلِيٌّ ، وَهِيَ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيِّ ، وَابْنُهُ الْمَعْرُوفُ يَطْلَحُ الطَّلَحَاتِ ، فَقَالَ : إِيهَا يَا حُمَيْرَاءُ ! أَلَمْ تَنْتَهِي عَنْ هَذَا الْمَسِيرِ ؟ فَقَالَتْ : يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ ! قَدَرْتُ فَأَسْجِحُ ! فَقَالَ : اخْرُجِي إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَارْجِعِي إِلَى بَيْتِكَ الَّذِي أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ تَقْرِي فِيهِ . قَالَتْ : أَفْعَلُ . [4]

[1] الذق : الإجهاز على الجريح (الصحيح : ج 4 ص 1362 «ذفق»).

[2] السنن الكبرى : ج 8 ص 314 ح 16747 .

[3] أنساب الأشراف : ج 3 ص 58 .

[4] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 183 .

د - إشخاص عائشة إلى المدينة

371. الجمل : لَمَّا عَزَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْكُوفَةِ أَنْقَذَ إِلَى عَائِشَةَ بِأَمْرِهَا بِالرَّحِيلِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَتَهَيَّأَتْ لِذَلِكَ ، وَأَنْقَذَ مَعَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً أَلْبَسَهُنَّ الْعَمَائِمَ وَالْقَلَابِيسَ [1] ، وَقَلَّدَهُنَّ السُّيُوفَ ، وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَحْقِظْنَهَا ، وَيَكُنَّ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا وَمِنْ وَرَائِهَا . فَجَعَلَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ فِي الطَّرِيقِ : اللَّهُمَّ أَفْعَلْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِمَا فَعَلَ بِي ! بَعَثْتَ مَعِيَ الرِّجَالَ وَلَمْ يَحْقِظْ بِي حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَلَمَّا قَدِمْنَ الْمَدِينَةَ مَعَهَا أَلْقَيْنَ الْعَمَائِمَ وَالسُّيُوفَ وَدَخَلْنَ مَعَهَا ، فَلَمَّا رَأَتْهُنَّ تَدِمَّتْ عَلَى مَا قَرِطَتْ يَدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَيِّئِهِ . وَقَالَتْ : جَزَى اللَّهُ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ خَيْرًا ، فَلَقَدْ حَفِظْتُ فِي حُرْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [2]

ه - غنائم الحرب

372. شرح الأخبار : كَانَ عَلِيٌّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - قَدْ غَنِمَ أَصْحَابُهُ مَا أَجْلَبَ بِهِ أَهْلُ الْبَصَرَةِ إِلَى قِتَالِهِ - وَأَجْلَبُوا بِهِ : يَعْنِي أَتَوْا بِهِ فِي عَسْكَرِهِمْ - وَلَمْ يَعْزُضْ لِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَجَعَلَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالٍ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ لَوَرَّثَتْهُمْ ، وَخَمَسَ مَا أُغْنِمَهُ مِمَّا أَجْلَبُوا بِهِ عَلَيْهِ ، فَجَرَتْ أَيْضًا بِذَلِكَ السُّنَّةُ . [3]

و - دخول الإمام عليه السلام بيت مال البصرة

373. الجمل : لَمَّا خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ مِنَ الْبَصَرَةِ ، وَعَادَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فَتَأَمَّلَا مَا فِيهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا حَوَاهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قَالُوا : هَذِهِ الْغَنَائِمُ الَّتِي وَعَدَنَا اللَّهُ

[1] الفلنسة : تلبس في الرأس والجمع فلانس (تاج العروس : ج 8 ص 424) .

[2] الجمل : ص 415 .

[3] شرح الأخبار : ج 1 ص 389 ح 331 .

373. الجمل : بها ، وأخبرنا أنه يُعجلها لنا . قال أبو الأسود : فقد سمعتُ هذا مِنْهُما ، ورأيتُ عليّاً عليه السلام بعد ذلك ، وقد دخل بيت مال البصرة ، فلما رأى ما فيه قال : يا صفراء ويا بياضاً غري غري ! أَلَمَّا يَعْسوب [1] الظلمة ، وأنا يَعْسوبُ المؤمنين . فلا والله ما التقت إلى ما فيه ، ولا فكر فيما رآه مِنْهُ ، وما وجدته عنده إلا كالتراب هواناً ! فعجبتُ من القوم ومنه عليه السلام ! فقلتُ : أولئك ممن يُريدُ الدنيا ، وهذا ممن يُريدُ الآخرة ، وقويت بصيرتي فيه . [2]

ز - توبيخ الإمام عليه السلام أهل البصرة

374. الجمل : لما كتب أمير المؤمنين عليه السلام الكُتُبَ بالفتح قام في الناس خطيباً ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على مُحَمَّدٍ وآله ، ثم قال : أما بعد ؛ فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ عَزِيزٌ ذُو انتقام ، جعلَ عفوه ومغفرته لأهل طاعته ، وجعلَ عذابه وعقابه لِمَن عَصَاهُ وخالف أمره ، وابتدع في دينه ما ليس مِنْهُ ، ويرحمته نال الصالحون العون ، وقد أمكنني الله مِنْكُمْ يا أهل البصرة ، وأسلمكم بأعمالكم ؛ فإياكم أن تعودوا إلى مثلها ؛ فإياكم أولٌ من شرع القتال والشقاق ، وترك الحق والإنصاف . [3]

ح - إسئخلاف ابن عباس على البصرة

375. الجمل عن الواقدي عن رجاله : لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام الخروج من البصرة استخلفَ عليها عبدُ الله بنُ العباس وأوصاه ، فكان في وصيته لَهُ أن قال :

[1] اليعسوب : السيد والرئيس والمقدم (النهاية : ج 3 ص 234) .

[2] الجمل : ص 285 .

[3] الجمل : ص 400 .

375. الجمل عن الواقدي عن رجاله : يا بن عباسي ، عليك يتقوى الله والعدل بمن وليت عليه ، وأن تبسط للناس وجهك ، وتوسيع عليهم مجلسك وتسعهم بجلملك . وإياك والغضب ؛ فإنه طيرة من الشيطان ، وإياك والهوى ؛ فإنه يصدك عن سبيل الله . وأعلم أنَّ ما قرَّبَكَ مِنَ الله فهو مُبعدُكَ مِنَ النار ، وما بعدَكَ مِنَ الله فهو مُقرَّبُكَ مِنَ النار . وأذكرُ الله كثيراً ولا تكن من الغافلين . وروى أبو مخنفٍ لوط بن يحيى قال : لما استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس على البصرة خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال : يا معاشر الناس ، قد استخلفتُ عليكم عبد الله بن العباس ، فاسمعوا لَهُ وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله ؛ فإن أحدث فيكم أو راع عن الحق فأعلموني أعزله عنكم ؛ فإني أرجو أن أجدّه عفيفاً تقيّاً ورعاً ، وإني لم أوله عليكم إلا وأنا أظن ذلك به ، غفر الله لنا ولكم . فأقام عبدُ الله بالبصرة حتى عمل أمير المؤمنين عليه السلام على التوجه إلى الشام ، فاستخلفَ عليها زياد بن أبيه ، وضم إليه أبا الأسود الدؤلي ، ولحقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ، فسار معه إلى صقين . [1]

ط - قدوم الإمام عليه السلام إلى الكوفة

376. وقعة صقين عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود و لما قديم علي بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين ، وقد أعز الله نصره ، وأظهره على عدوه ، ومعه أشراف الناس وأهل

[1] الجمل : ص 420 .

376. وقعة صفين عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود و البصرة ، استقبلته أهل الكوفة وفيهم قرأؤهم وأشرفهم ، فدعوا له بالبركة وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أين تنزل ؟ أ تنزل القصر ؟ فقال : لا ، وليكن أنزل الرحبة . فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال : أما بعد ؛ يا أهل الكوفة ! فإن لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدلوا وتغيروا . دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبدأنتم بالمنكر فغيروا . ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم ، فأنتم أسوء من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه . ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل ؛ فأما اتباع الهوى فيضد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة . ألا إن الدنيا قد ترحلت مديرة ، والآخرة ترحلت مقيلة ، ولكل واحد منهما بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل . الحمد لله الذي نصر وليه ، وحذل عدوه ، وأعز الصادق المحق ، وأذل الناكث المبطل . عليكم يتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم ، الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المنتجلين المدعين المقالين إلينا ، يتفصلون يفصلنا ، ويواجدون أمرنا ، ويتنازعون حقنا ، ويؤذوننا عنه . فقد ذاقوا وبال ما اجتروا فسوف يلقون غياً . ألا إنه قد قعد عن نصرتي منكم رجالاً قاتاً عليهم عاتب زار . فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ، ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة . [1]

[1] وقعة صفين : ص 3 .

الفصل الثاني : الحرب الثانية : وقعة صفين

1 / 2

مواصفات الحرب

أ - تأريخها

بعد مضي حوالي أربعة أشهر على إخماد فتنة الناكثين بقيادة عائشة وطلحة والزبير وفي وقت لم تكن جراحها قد اندملت ودمائها قد جفت ، واجه الإسلام العلوي فتنة القاسطين بقيادة معاوية . فخرج الإمام علي عليه السلام في الخامس من شوال عام 36 للهجرة من الكوفة لإخماد هذه الفتنة [1] . وفي أواخر ذي القعدة [2] وأثناء حط الرحال في صفين وقعت معركة خاطفة للسيطرة على شريعة الفرات التي سيطر عليها جيش معاوية قبل وصول الإمام وحيشه ، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار جيش الإمام علي عليه السلام . وفي شهر ذي الحجة وقعت مناوشات بين الجيشين [3] ، إلى أن أعلنت الهدنة بين

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 384 .

[2] راجع : تاريخ الطبري : ج 4 ص 573 .

[3] راجع : تاريخ الطبري : ج 4 ص 575 .

الفريقين في محرم من عام 37 [1] ، وما إن انتهت حتى وقعت الحرب الحقيقية بينهما في بداية صفر عام 37 [2] وحمي وطيسها في الثامن من صفر . وفي العاشر منه [3] حينما كان جيش الإمام على وشك إحراز الانتصار الحاسم ، إلا أنها انفضت بحيلة من عمرو بن العاص ، وعاد الإمام إلى الكوفة .

ب - مكائنها

صفين - بكسرتين وتشديد الفاء - موضع بقرب الرقة [4] على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس [5] . [6] وتبلغ المسافة بين دمشق والرقة - وهي بقرب صفين - 550 كيلو مترا تقريبا . [7]

ج - عدد المشاركين فيها

ذكرت أعداد متضاربة عن عدد جيشي الإمام علي عليه السلام ومعاوية . ولعل سبب ذلك يعود إلى أن بعضهم ذكر عدد المقاتلين فقط ، بينما أضاف بعض آخر الخدم والعلماء . وزاد عليهم آخرون كل من يرافق الجيوش عادة من جماعات الميرة ، والنساء والأطفال .

[1] راجع : تاريخ الطبري : ج 4 ص 575 و ج 5 ص 5 .

[2] راجع : تاريخ الطبري : ج 5 ص 10 .

[3] راجع : مروج الذهب : ج 2 ص 400 .

[4] الرقة : من مدن سوريا الحالية ، وهي مدينة مشهورة تقع على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، وهي قريبة من صفين (راجع : معجم البلدان : ج 3 ص 59) .

[5] بَالِس : بلدة بالشام بين حلب والرَّقَّة في الساحل الغربي من الفرات أسفل صَقِين (راجع : معجم البلدان : ج 1 ص 328) .

[6] معجم البلدان : ج 3 ص 414 .

[7] جدول المسافات للقطر العربي السوري : ص 127 .

ومع أنّ النصوص التاريخية أشارت إلى أنّ جيش الإمام عليّ عليه السلام بلغ قوامه 120 ألفا [1] أو 150 ألفا [2] أو 95 ألفا [3] أو أكثر من 100 ألف [4] أو 50 ألفا [5] على اختلافٍ بينها ، إلّا أنّ المشهور هو أنّ عدد جيش الإمام كان تسعين ألفا . [6] وتضاربت الروايات أيضا بخصوص عدد جيش معاوية ما بين 60 ألفا [7] و 70 ألفا [8] و 83 ألفا [9] و 90 ألفا [10] ومائة ألف [11] ومائة وعشرين ألفا [12] و 130 ألفا [13] ، إلّا أنّ الروايات التي تصرّح بأنّ عددهم كان خمسمئة وثمانين ألفا هي الأشهر . [14]

د - أكابر أصحاب الإمام عليه السلام

شارك في حرب صَقِين إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام الكثير من أكابر صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وغيرهم ممّن بذل كلّ غالٍ ونفيس في سبيل إرساء دعائم الإسلام . وتختلف الروايات في ذكر عددهم ؛ فمنها ما يشير إلى أنّ عددهم كان بين 70 و 80

[1] معجم البلدان : ج 3 ص 414 .

[2] البداية والنهاية : ج 7 ص 261 .

[3] العقد الفريد : ج 3 ص 332 .

[4] البداية والنهاية : ج 7 ص 261 .

[5] أنساب الأشراف : ج 3 ص 97 .

[6] مروج الذهب : ج 2 ص 384 .

[7] البداية والنهاية : ج 7 ص 275 .

[8] أنساب الأشراف : ج 3 ص 97 .

[9] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 123 .

[10] معجم البلدان : ج 3 ص 414 .

[11] أنساب الأشراف : ج 3 ص 97 .

[12] معجم البلدان : ج 3 ص 414 .

[13] البداية والنهاية : ج 7 ص 261 .

[14] مروج الذهب : ج 2 ص 384 .

من البدرين ، و 800 ممّن شهدوابيعة الرضوان ، و 400 من سائر الصحابة . وفي مقابل ذلك كان عدد الذين شاركوا في جيش معاوية من الصحابة لا يتجاوز عدد أصابع اليد وهم ممّن أسلموا بعد الفتح .

هـ - وجوه أصحاب معاوية

لم يكن أحد من أصحاب معاوية من السابقين إلى الإسلام ، بل كان بعضهم ممّن حارب النبيّ صلى الله عليه وآله سنوات عديدة أو ممّن طرده أو لعنه النبيّ صلى الله عليه وآله .

و - عدّد القتلى فيها

هويّة رؤساء القاسطين

أ - مُعاويةُ بنُ أبي سفيان

ولد في سنة 20 قبل الهجرة وأسلم سنة 8 هـ مُكرها تحت بوارق فرسان الإسلام ، وعُرف هو وأُضراجه بـ«الطُّلقاء» . ولّاه عمر على الشام ، فانتهج لنفسه أسلوباً تحكّميّاً سلطويّاً ، وضرب على وتر الاستقلال مذ تُصب واليا عليه ، وتساهل معه عمر لأسبابٍ ما . [2]

[1] أنساب الأشراف : ج3 ص98 .

[2] قيل : «ولقد كانت هناك اعتراضات على عمر بن الخطّاب في توليته بعض الناس ؛ روي أنّه لمّا ولي معاوية الشام قال الناس : ولي معاوية ! فقال لهم : لا تذكرُوا معاوية إلّا بخير ؛ فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : اللهمّ اهْدِ يه (البداية والنهاية : ج8 ص122) .

[3] مروج الذهب : ج4 ص41 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج4 ص57 .

[5] شرح نهج البلاغة : ج11 ص44 .

وفي عهد عثمان - الذي كان يتطلّع إلى تسليط الأمويّين على الناس - لم يرعو معاوية عن ظلمه وجوره ، وتمرّع في ترفه ونعيمه ، بلا وازعٍ من ضمير ، ولا رادعٍ من سلطان . وإنّ إمارته التي استمرّت عشرين سنة ، وأساليبه في تجهيل الناس وتحميقهم ، وبثّ الذعر والهلع في نفوسهم ، وإبقائهم على جهلهم ؛ كلّ أولئك مهّد الأرضيّة لكلّ عمل يصبّ في مصلحته بالشام . عزم على مناءة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام منذ تولّيه الخلافة ، وجدّ كثيراً في تحريض طلحة والزبير عليه ، وقاد معركة صقيّنة ضدّ الإمام عليه السلام . وبعد قضيّة التحكيم أكثر من شتّى الغارات الوحشيّة على المناطق الخاضعة لحكومة الإمام عليه السلام ، وأفسد في الأرض ، وأهلك الحرث والنسل . ثمّ تمكّن من فرض الصلح على الإمام الحسن عليه السلام وأنصاره ، موعلاً في ذلك ، حتى أنّ أقرانه وأتباعه لم يطيقوا مفتعل ، فأحكم قبضته على السلطة بلا منازع ، ثمّ طفق يضطهد شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره ، موعلاً في ذلك ، حتى أنّ أقرانه وأتباعه لم يطيقوا ممارساته . وإنّ لقاء المغيرة به ، وإخباره عن موقفه العدائيّ ضدّ الدين الإسلامي الحنيف يترجمان حقده الدفين ، كما يدلّان على غاية خستته ودّثسه [1] ، وقد أفرط في سبّ الإمام عليه السلام ، وعندما طُلب منه أن يكفّ قال : «لا والله ، حتى يربو عليه الصغير ، ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر ذاكر له فضلاً» !! [2]

[1] مروج الذهب : ج4 ص41 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج4 ص57 .

وتستوفينا المعلومات التي يذكرها ابن أبي الحديد حول طمسه فضائل الإمام ، واختلاقه فضائل لنفسه ، وسعيه في وضع الحديث ، نقلاً عن كتاب الأحداث للمدائني [1] ، وغيره من الكتب القديمة ، والواقع أنّ كلّ ما قام به يوائم التفكير القيصري والكسروي ، ويبغّي تبديل تعاليم الدين . وتعتبر إمامته للصلاة في المدينة ، وتركه البسملة ، واحتجاج المهاجرين والأنصار عليه أدلّة قاطعة على ما نقول . ومهما يكن فإنّ معاوية تقمّص الخلافة ؛ الخلافة الدينيّة التي لا يعتقد بها اعتقاداً راسخاً من أعماق قلبه ، وادّعى خلافة من قصد قتاله ، ولم يتورّع عن تشويه الدين ، ولم يأبأ لتغيير معارف الحقّ . وأباح لنفسه كلّ عمل من أجل إحكام قبضته على الأمور ، واستمرار تسلّطه وتحكّمه . هلك معاوية سنة 60 هـ ، ونصب يزيد حاكماً على الناس ، فخطا بذلك خطوة أخرى نحو قلب الحقائق الدينيّة ، وهو ما اشتهرت آثاره في التاريخ .

دُعَاء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ

377. صحيح مسلم عن ابن عباس : كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ . قَالَ : فَجَاءَ فَخَطَّأَنِي خَطَاةً [2] وَقَالَ : إِذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ . قَالَ : فَجِئْتُ فَقُلْتُ : هُوَ يَأْكُلُ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ لِي : إِذْهَبْ قَادِعُ لِي مُعَاوِيَةَ . قَالَ : فَجِئْتُ فَقُلْتُ : هُوَ يَأْكُلُ . فَقَالَ : لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ ! [3]

378. رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقولوه [4] .

[1] شرح نهج البلاغة : ج11 ص44 .

[2] يقال : خطأه ، خطأً ؛ إذا دفعه بكفه . وقيل : لا يكون الخطأ إلا ضربة بالكف (النهاية : ج 1 ص 404) .

[3] صحيح مسلم : ج 4 ص 2010 ح 96 .

[4] تهذيب التهذيب : ج 1 ص 637 الرقم 1708 .

ب - عمرو بن العاص

سياسي مكر ، ومحتال ماهر ، ووجه متلون عجيب ، وعدّ أحد دهاة العرب الأربعة [1] . كان له في الفحشاء عرق ؛ فأمة النابغة كانت من البغايا المشهورة . ولما ولد عمرو في سنة 50 قبل الهجرة ، نسبت أمه إلى خمسة ، ثم اختارت العاص وألحقته به . [2] نشأ عمرو في حجر من كان يهجو النبي صلى الله عليه وآله كثيرا ، وهو الذي عبرت عنه سورة الكوثر بالأبتر [3] . وكان الإمام الحسن عليه السلام يقول فيه : «الأمهم حسبا ، وأخبتهم منصبا» . [4] وكان عمرو بن العاص يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وآله ويهجو كثيرا في مكة . وبعد كل ما أباده من عناد وتهتك لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وقال : «اللهم إن عمرو بن العاص هجاني ، وأنت تعلم أنني لست بشاعر ، فآلعه مكان كل بيت هجاني لعنة» . [5] وعندما هاجر عدد من المسلمين إلى الحبشة ، ذهب عمرو بن العاص إلى بلاد النجاشي مبعوثا من قريش ليرجعهم ، فلم يفلح . [6] قال ابن أبي الحديد في وصف عمرو بن العاص : وكان عمرو أحد من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وآله بمكة وبشتمه ، ويضع في طريقه الحجارة ؛ لأنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وآله يخرج من منزله ليلا ، فيطوف بالكعبة ، وكان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه

[1] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 58 الرقم 15 .

[2] ربيع الأبرار : ج 3 ص 548 .

[3] البداية والنهاية : ج 3 ص 104 و ج 5 ص 307 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 6 ص 291 .

[5] الإيضاح : ص 84 .

[6] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 431 ح 1740 .

ليعثر بها . . . لنشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله وآله أرسله أهل مكة إلى النجاشي ليزهده في الدين ، وليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة ، وليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله . [1] قاتل المسلمين في حروب متعددة إلى جانب المشركين . [2] ولما أحس بقدرته الإسلام المتعاطمة ، أسلم سنة 8 هـ قبل فتح مكة . [3] كان ملما بفنون القتال . أمره النبي صلى الله عليه وآله وآله في غزوة ذات السلاسل ، وفي الجيش أبو بكر ، وعمر [4] ، وعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله وآله كان في مهمة بعمان [5] . [6] أحبه عمر بن الخطاب كثيرا ، وكان يكرمه ويبيح له [7] . وفتح ابن العاص مصر في أيامه ، ثم ولّاه عليها . [8] وظلّ واليا عليها في عهد عثمان مدة ، ثم عزله عثمان وولّى أخاه لأمه عبد الله ابن سعد بن أبي سرح ؛ انطلاقا من سياسته في تحكيم الأمويين [9] . فاعتم عمرو لذلك وحقد على عثمان ، وكان له دور مهم في تأليب الناس عليه . [10] وكان ابن العاص داهية ، عارفا بزمانه ، ومن جانب آخر كان ركونا إلى الدنيا ،

[1] شرح نهج البلاغة : ج 6 ص 283 .

[2] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 63 الرقم 15 .

[3] أسد الغابة : ج 4 ص 232 الرقم 3971 .

[4] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 67 الرقم 15 .

[5] عُمان : اسم لبلدة عربيّة على ساحل بحر اليمن والهند (معجم البلدان : ج 4 ص 150) . وهي اليوم من دول الجزيرة العربيّة تقع في الجنوب الشرقي منها ، عاصمتها مسقط .

[6] تاريخ الطبري : ج 3 ص 258 و ص 302 .

[7] النجوم الزاهرة : ج 1 ص 63 و 64 .

[8] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 58 الرقم 15 .

[9] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 34 الرقم 8 .

[10] أنساب الأشراف : ج 6 ص 192 .

عابدا لهواه ، من هنا كان يعلم جيّدا أنّه لا يمكن أن ينسجم مع أشخاص مثل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، لذلك ولّى صوب معاوية [1] عندما تقلّد الإمام الخلافة ، وهو يعلم أنّ حبّ الدنيا هو الذي حداه على ذلك ، وقال لمعاوية مرّة : إن هي إلّا الدنيا نتكالب عليها . . . [2] وهكذا كان ، إذ جعل ولاية مصر شرطا لمؤازرته معاوية . [3] وكان في حرب صقّين قائدا لجيش الشام ، ومستشارا لمعاوية ، وموجّها للحرب في ساحة القتال . [4] وكان أسود القلب ، أعماه حبّ الدنيا عن رؤية الحقّ ، وكان يعرف فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، وطالما صرّح بها [5] . وكذلك كان يعرف عمّار بن ياسر وشخصيته ، ويعتقد بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله فيه إذ قال له : «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» . [6] ومن جهة أخرى كان يدرك صفة معاوية وذرالته وتعتسّفه . كما كان هو نفسه لا نظير في ضعفه وحفارته ؛ إذ كشف عورته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا رأى الموت قد أمسك بخناقفه ! ! فنجا من الموت بهذه المكيدة التي تمثّل وصمة عارٍ عليه [7] . وهو صاحب خطّة رفع المصاحف على الرماح عند اشتداد الحرب ، وتواتر الهزائم ، فأنفذ جيش الشام من اندحار حتميّ . [8]

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 560 .

[2] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 72 الرقم 15 .

[3] أنساب الأشراف : ج 3 ص 74 .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 563 و ج 5 ص 12 .

[5] أنساب الأشراف : ج 3 ص 73 .

[6] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 381 .

[7] الفتوح : ج 3 ص 47 .

[8] أنساب الأشراف : ج 3 ص 98 .

ومثّل معاوية في التحكيم ، فخدع أبا موسى الأشعري ؛ إذ جعل نتيجة التحكيم لمصلحة معاوية [1] ، فمهد الأرضيّة لفتن أخرى . وكان أحد المخطّطين البارعين للسياسة الدعائيّة المناهضة لأمير المؤمنين عليه السلام [2] . وإنّ قيامه بتعكير الأجواء ، وتضليل الناس ، وانتقال المواقف ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام معلم على لؤمه وقبحه ومكره ، وأشار الإمام إلى شيء من ذلك إشارة بليغة في الخطبة 84 من نهج البلاغة . قاتل ابنُ العاص محمّد بن أبي بكر في مصر ، فغلبه وأحكم قبضته عليها . [3] هلك سنة 43 هـ [4] . وخلف ثروة طائلة ، ودراهم ودنانير وافرة . وذكر أنّ أمواله المنقولة بلغت سبعين رقية جمل مملوءة ذهباً . [5] شيدّه أسفّه عند الموت

379. تاريخ اليعقوبي : لمّا حصّرت عمرا الوفاة قال لابنوه : لوذّ أبوك أنّّه كان مات في غزاة ذات السلاسل ؛ إنّني قد دخلتُ في أمورٍ لا أدري ما حُجّتي عند الله فيها . ثمّ نظرَ إلى مالي قرأى كثرته ، فقال : يا ليتني كان بَعرا ، يا ليتني متُّ قبلَ هذا اليومِ بثلّاثين سنة ؛ أصلحتُ لمعاوية دُنياه ، وأفسدتُ ديني ، أثرتُ دُنياي وتركتُ آخرتي ، عُميّ عليّ رُشدِي حتّى حصّرتني أجلي ، كأتّي بمعاوية قد حوى مالي ، وأساء فيكم خلافتي . وثوّقي عَمرو ليلةَ الفطر سنة 43 هـ ، فأقرّ معاويةَ أبته عبدَ الله بنَ عمرو . [6]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 51 و ص 70 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 84 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 100 - 105 .

[4] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 513 ح 5907 .

[5] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 77 الرقم 15 .

[6] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 222 .

السياسة العلوية

أ - عزل معاوية

ذكرنا سابقاً أنّ أولى الأعمال التي اتخذها الإمام عليّ عليه السلام بعد مبايعة الناس له على طريق الشروع بالإصلاحات هو عزل عمّال عثمان . وكان الساسة من أصحاب الإمام لا يرون من المصلحة عزل شخصين ، هما : معاوية وأبي موسى الأشعري . وأخيراً وبعد الكثير من التوضيحات وفي أعقاب وساطة مالك الأشتر ، وافق أمير المؤمنين عليه السلام على إبقاء أبي موسى الأشعري . أمّا بالنسبة إلى معاوية فلم تغلج جميع الجهود التي بذلت لإقناع الإمام بإبقائه في منصبه ، إذ كان لا يرى جواز إبقائه واليا ولو لحظة واحدة . أمّا بالنسبة إلى معاوية فهو لم يبايع الإمام ولم يترك أهل الشام يبايعونه . وبدأ منذ اليوم الأول لخلافة الإمام بالتآمر عليه ، ممهّداً بذلك الأجواء للصدام العسكري . وأوّل سؤال يُثار في هذا المجال هو كيف يمكن تبرير عمل الإمام هذا من الوجهة السياسية ؟ أ لم يكن من الأفضل أن يُبقي الإمام معاوية في منصبه في بداية خلافته إلى حين استتباب الأمور ، وإلى أن يبايع هو وأهل الشام ، ثمّ يعزله من بعد ذلك لكي لا تقع حرب صقيين ولكي تستقرّ الحكومة الإسلامية بقيادته ؟ أ لم يكن الحفاظ على وحدة كلمة الأمة وديمومة النظام الإسلامي وهما من أوجب الواجبات ، يقضيان بإبقاء معاوية على ولاية الشام ولو مؤقتاً ؟

دفاع عن سياسة عزل معاوية

استناداً إلى ما يتبنّاه الإمام في سياسة وإدارة النظام الإسلامي التي سبق شرحها يمكن الردّ على هذه التساؤلات بكلّ سهولة . يبيّن أنّ هذه السياسة توجد بشأنها أمور مهمّة لا بدّ من الإشارة إليها هاهنا :

دافع ابن أبي الحديد عن هذه السياسة بالتفصيل ، ونحن نورد النقاط المهمّة فيها : استدكّ ابن أبي الحديد ابتداءً من خلال المصادر والوثائق التاريخية على أنّ معاوية ما كان يبايع الإمام في أيّ ظروف كانت . ثمّ أشار إلى المبادئ الدينيّة التي كان يسير عليها الإمام في تعيين وعزل الولاة والعمال . ثمّ أورد في ختام المطاف تحليلاً رصيناً لعالم يدعى ابن سنان بيّن فيه عدم امكانية إبقاء معاوية في الظروف التي بايع فيها الناس عليّاً من بعد قتل عثمان ؛ لأنّها ستجعل الإمام يواجه في أوّل حكومته أوضاعاً كالتّي انتهى إليها عثمان في أواخر حكمه .

1 . إبقاء معاوية في منصبه لا يدعوه إلى البيعة

نقل ابن أبي الحديد فيما يخصّ انتقاد سياسة الإمام بعزل معاوية : منها قولهم : لو كان حين بويغ له بالخلافة في المدينة أقرّ معاوية على الشام إلى أن يستقرّ الأمر له ويتوطّد ويبايعه معاوية وأهل الشام ثمّ يعزله بعد ذلك ، لكان قد كُفي ما جرى بينهما من الحرب . والجواب : إنّ قرآن الأحوال حينئذٍ قد كان علم أمير المؤمنين عليه السلام منها أنّ معاوية لا يبايع له وإن أقرّه على ولاية الشام ، بل كان إقراره له على إمرة الشام أقوى لحال معاوية وأكد في الامتناع من البيعة ؛ لأنّه لا يخلو صاحب السؤال إمّا أن يقول : كان ينبغي أن يطالبه بالبيعة ويقرن إلى ذلك تقليده بالشام فيكون الأمران معاً ، أو يتقدّم منه عليه السلام المطالبة بالبيعة ، أو يتقدّم منه إقراره على الشام وتتاخّر المطالبة بالبيعة إلى وقت ثاني . فإن كان الأوّل فمن الممكن أن يقرّ معاوية على أهل الشام تقليده بالإمرة فيؤكّد حاله عندهم ، ويقرّر في أنفسهم : لولا أنّه أهل لذلك لما اعتمده عليّ عليه السلام معه ، ثمّ يماطله بالبيعة ويحاجزه عنها .

وإن كان الثاني فهو الذي فعله أمير المؤمنين عليه السلام . وإن كان الثالث فهو كالقسم الأوّل ، بل هو أكد فيما يريده معاوية من الخلاف والعصيان . وكيف يتوهّم من يعرف السير أنّ معاوية كان يبايع له لو أقرّه على الشام وبينه وبينه ما لا تترك الابل عليه من التّرات القديمة والأحقاد ، وهو الذي قتل حنظلة أخاه ، والوليد خاله ، وعتبة جدّه ، في مقام واحد ! ! ثمّ ما جرى بينهما في أيّام عثمان حتى أغلظ كلّ واحد منهما لصاحبه ، وحتى تهدّده معاوية وقال له : إنّني شاخص إلى الشام وتارك عندك هذا الشيخ - يعني عثمان - والله لئن انحصت منه شعرة واحدة لأضربتك بمائة ألف سيف ! ! . . . و أمّا قول ابن عباس له عليه السلام : ولّه شهره وإعزله دهره ، وما أشار به المغيرة بن شعبه ، فإنّهما ما توهّماه وما غلب على ظنونها وخطر بقلوبهما . و عليّ عليه السلام كان أعلم بحاله مع معاوية ، وأنّها لا تقبل العلاج والتدبير ، وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية ونكره ودهانته وما كان في نفسه من عليّ عليه السلام من قتل عثمان ومن قبل قتل عثمان أنّه يقبل إقرار عليّ عليه السلام له على الشام ، وينخدع بذلك ، ويبايع ويعطي صفقة يمينه ! إنّ معاوية لأدهى من أن يُكاد بذلك ، وإنّ عليّاً عليه السلام لأعرف بمعاوية ممّن ظنّ أنّه لو استماله بإقراره لبايع له . ولم يكن عند عليّ عليه السلام دواء لهذا المرض إلّا السيف ؛ لأنّ الحال إليه كانت تؤول لا

لم يكن إبقاء معاوية على ولاية الشام يقوّي ركائز حكومة الإمام ، بل إنّه كان يؤدي الى زعزعتها منذ البداية . وقد جاء تحليل ابن سنان في هذا المضمار على النحو

[1] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 233 .

التالي : إنّ قد علمنا أنّ أحد الأحداث التي تقمت على عثمان وأفضت بالمسلمين إلى حصاره وقتله تولية معاوية الشام مع ما ظهر من جوره وعدوانه ، ومخالفة أحكام الدين في سلطانه ، وقد خوطب عثمان في ذلك فاعتذر بأنّ عمر ولّاه قبله ، فلم يقبل المسلمون عذره ، ولا فنعوا منه إلّا بعزله ، حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى . وكان عليّ عليه السلام من أكثر المسلمين لذلك كراهية ، وأعرفهم بما فيه من الفساد في الدين ، فلو أنّه عليه السلام افتتح عقد الخلافة له بتوليته معاوية الشام وإقراره فيه ، أليس كان يتدبّر في أول أمره بما انتهى إليه عثمان في آخره ، فأفضى إلى خلعه وقتله ؟ ! ولو كان ذلك في حكم الشريعة سائغا والوزير فيه مأمونا لكان غلطا قبيحا في السياسة ، وسببا قويا للعصيان والمخالفة ، ولم يكن يمكنه عليه السلام أن يقول للمسلمين : إنّ حقيقة رأيي عزل معاوية عند استقرار الأمر وطاعة الجمهور لي ، وإنّ قصدي بإقراره على الولاية مخادعته وتعجيل طاعته ومبايعة الأجناد الذين قبله ، ثمّ أستأنف بعد ذلك فيه ما يستحقّه من العزل ، وأعمل فيه بموجب العدل ؛ لأنّ إظهاره عليه السلام لهذا العزم كان يتصل خبره بمعاوية ، فيفسد التدبير الذي شرع فيه ، وينتقض الرأي الذي عوّل عليه . {1-}

3 . إبقاء معاوية يتعارض مع المباني السياسية للإمام عليه السلام

قدّم ابن سنان ردّا آخر على الطعن بسياسته في عزل معاوية ، وفيه إشارة إلى مبانيه السياسية في الحكم ، ويسمّي جوابا حقيقيا ويقول فيه : وإعلم أنّ حقيقة الجواب هو أنّ عليّا عليه السلام كان لا يرى مخالفة الشرع لأجل السياسة ، سواء أكانت تلك السياسة دينية أو دنيوية ؛ أمّا الدنيوية فنحو أن يتوهّم الإمام في إنسان أنّه يروم فساد خلافته

[1] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 247 .

من غير أن يثبت ذلك عليه يقينا ؛ فإنّ عليّا عليه السلام لم يكن يستحلّ قتله ولا حبسه ، ولا يعمل بالتوهّم وبالقول غير المحقّق . وأمّا الدنيوية فنحو ضرب المتهم بالسرقة ؛ فإنّه أيضا لم يكن يعمل به ، بل يقول : إن يثبت عليه بإقرار أو بيّنة أقمت عليه الحدّ ، وإلّا لم أعترضه . وغير عليّ عليه السلام قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأي ، ومذهب مالك بن أنس العمل على المصالح المرسلة ، وأنّه يجوز للإمام أن يقتل ثلث الأمة لإصلاح الثلثين ، ومذهب أكثر الناس أنّه يجوز العمل بالرأي وبغالب الظنّ ، وإذا كان مذهبه عليه السلام ما قلناه ، وكان معاوية عنده فاسقا ، وقد سبق عنده مقدّمة أخرى يقينية ، هي أنّ استعمال الفاسق لا يجوز ، ولم يكن ممّن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة . فقد تعيّن مجاهرته بالعزل ، وإن أفضى ذلك إلى الحرب . {1-}

ب - رفض سياسة المداينة

380. مروج الذهب عن ابن عباس : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ يَخْمَسَ لَيَالٍ ، فَجِئْتُ عَلِيًّا أَدْخُلُ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لِي : عِنْدَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، فَجَلَسْتُ بِالْبَابِ سَاعَةً ، فَخَرَجَ الْمُغِيرَةُ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : مَتَى قَدِمْتَ ؟ قُلْتُ : السَّاعَةَ ، وَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . . . قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ شَأْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَلِمَ خَلَا بِكَ ؟ قَالَ : جَاءَنِي بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ يَوْمَيْنِ ، فَقَالَ : أَخْلِنِي ، فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّصْحَ رَحِيصٌ ، وَأَنْتَ بَقِيَّةُ النَّاسِ ، وَأَنَا لَكَ نَاصِحٌ ، وَأَنَا أَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَرُدَّ عَمَالَ عُثْمَانَ عَامَكَ هَذَا ، فَأَكْتُبَ إِلَيْهِمْ بِإِثْبَانِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَإِذَا بَايَعُوا لَكَ ، وَاطْمَأَنَّ أَمْرُكَ ، عَزَلْتُ مَنْ أَحْبَبْتُ ، وَأَقَرَرْتُ مَنْ أَحْبَبْتُ .

[1] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 246 .

380. مروج الذهب عن ابن عباس : قُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ ، لَا أَدَاهِيْ فِي دِينِي ، وَلَا أَعْطِي الرِّبَا فِي أَمْرِي . قَالَ : فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَبَيْتَ فَانْزِعْ مَنْ شِئْتَ ، وَانْزِكْ مُعَاوِيَةَ ؛

فَإِنَّ لَهُ جُرْأَةً وَهُوَ فِي أَهْلِ الشَّامِ مَسْمُوعٌ مِنْهُ ، وَلَكَ حُجَّةٌ فِي إِبْنَانِهِ ، فَقَدْ كَانَ عُمَرُ وَلَاهُ الشَّامِ كُلِّهَا . فَقُلْتُ لَهُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَسْتَعْمِلُ مُعَاوِيَةَ يَوْمَينِ أَبَدًا . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِي عَلَى مَا أَشَارَ بِهِ ، ثُمَّ عَادَ ، فَقَالَ : إِنِّي أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِمَا أَشَرْتُ بِهِ وَأُبَيِّتُ عَلَيْكَ ، فَتَنَطَّرْتُ فِي الْأَمْرِ وَإِذَا أَنْتَ مُصِيبٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَأْخُذَ أَمْرَكَ بِخُدْعَةٍ ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ دَلْسَةٌ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا أَوْلَى مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ فَقَدْ تَصَحَّحْتَ ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَقَدْ غَشَّكَ . [1]

ج - الإمام عليه السلام يدعو مُعَاوِيَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ

381. شرح نهج البلاغة : لَمَّا بَوَّعَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَتَلُوا عُثْمَانَ عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنِّي ، وَابْتَعُونِي عَنْ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ وَاجْتِمَاعٍ ، فَإِذَا أَنْتَ كِتَابِي قَبَائِعَ لِي ، وَأَوْفِدَ إِلَيَّ أَشْرَافَ أَهْلِ الشَّامِ قَبْلَكَ . [2]

د - سِيَّاسَةُ مُعَاوِيَةَ فِي جَوَابِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ

382. تاريخ الطبري - فِي ذِكْرِ كِتَابِ الْإِمَامِ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَبِي مُو: وَكَانَ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ سَبْرَةَ الْجُهَيْنِيَّ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُتُبْ مُعَاوِيَةَ بِشَيْءٍ ، وَلَمْ يُجِبْهُ ، وَرَدَّ رَسُولُهُ ، وَجَعَلَ كُلُّمَا تَنَجَّرَ جَوَابُهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى قَوْلِهِ : { أَدِمَ إِدَامَةَ حِصْنِي وَأَخَذَا يَدِي حَرْبًا ضَرُوسًا تَشُبُّ الْجَزَلَ وَالضَّرْمَا } 0

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 364 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 230 .

382. تاريخ الطبري - فِي ذِكْرِ كِتَابِ الْإِمَامِ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَبِي مُو 0 فِي جَارِكُمْ وَأَبْنَيْكُمْ إِذْ كَانَ مَقْتَلُهُ شَنْعَاءَ شَبَّيْتُ الْأَصْدَاعَ وَاللِّمَمَا 0 أَعْيَى الْمَسُودُ بِهَا وَالسَّيِّدُونَ فَلَمْ يَوْجِدْ لَهَا غَيْرَنَا مَوْلًى وَلَا حَكَمًا 0 وَجَعَلَ الْجُهَيْنِيُّ كُلُّمَا تَنَجَّرَ الْكِتَابُ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الثَّالِثُ مِنْ مَقْتَلِ عُثْمَانَ فِي صَفَرٍ دَعَا مُعَاوِيَةَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ ثُمَّ أَحَدَ بَنِي رَوَاحَةَ يُدْعَى قَبِيصَةَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ طُومَارًا مَخْتُومًا عَنْوَانُهُ : مِنْ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ : إِذَا دَخَلْتَ الْمَدِينَةَ فَاقْبِضْ عَلَى أَسْقَلِ الطُّومَارِ ، ثُمَّ أَوْصَاهُ بِمَا يَقُولُ ، وَسَرَّحَ رَسُولَ عَلِيٍّ . وَخَرَجَا فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ فِي رُبْعِ الْأَوَّلِ لِعُرْبِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَا الْمَدِينَةَ رَفَعَ الْعَبْسِيُّ الطُّومَارَ كَمَا أَمَرَهُ ، وَخَرَجَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَتَفَرَّقُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مُعَاوِيَةَ مُعْتَرِضٌ ، وَمَضَى يَدْخُلُ عَلَى عَلِيٍّ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الطُّومَارَ فَقَبَضَ خَاتَمَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِي جَوْفِهِ كِتَابَةً ، فَقَالَ لِلرُّسُولِ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : آمِنٌ أَنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ إِنَّ الرُّسُلَ أَمْنَةٌ لَا تُقْتَلُ . قَالَ : وَرَأَيْتُ أَنِّي تَزَكْتُ قَوْمًا لَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِالْقَوْدِ . قَالَ : مِمَّنْ ؟ قَالَ : مِنْ خِيَطِ نَفْسِكَ ، وَتَزَكْتُ سِتِّينَ أَلْفَ شَيْخٍ يَبْكِي تَحْتَ قَمِيصِ عُثْمَانَ وَهُوَ مَنْصُوبٌ لَهُمْ قَدْ أَلْبَسُوهُ مِنْبَرَ دِمَشْقٍ . فَقَالَ : مَتَى يَطْلُبُونَ دَمَ عُثْمَانَ ! أَلَسْتُ مَوْتورًا كَثِيرَةً عُثْمَانَ ؟ ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ . [1]

ه - تَعْيِينُ الْوَالِيِّ لِلشَّامِ وَإِرْجَاعُهُ

383. تاريخ الطبري عن مُحَمَّدٍ وَطْلَحَةَ : بَعَثَ عَلِيُّ عُمَالَهُ عَلَى الْأَمْصَارِ فَبَعَثَ . . . سَهْلَ بْنَ خُثَيْفٍ عَلَى الشَّامِ ، فَأَمَّا سَهْلٌ فَإِنَّهُ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ يَتَبَوَّكُ [2] لِقَيْتِهِ خَيْلٌ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَمِيرٌ . قَالُوا : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : عَلَى الشَّامِ ، قَالُوا : إِنْ كَانَ عُثْمَانُ بَعَثَكَ

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 443 .

[2] تبوك ، منطقة في وسط الطريق الرابط بين المدينة ودمشق ، شمال غربي المدينة ، وجنوب دمشق .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 442 .

383. تاريخ الطبري عن مُحَمَّدٍ وَطْلَحَةَ : فَحَيَّهَلاً يَكْ ، وَإِنْ كَانَ بَعَثَكَ غَيْرُهُ فَارْجِعْ ! قَالَ : أَوْمَا سَمِعْتُمْ بِالَّذِي كَانَ ؟ قَالُوا : بَلَى ؛ فَارْجِعْ إِلَى عَلِيٍّ . [1]

و - إِشْخَاصُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ

384. تاريخ الطبري : وَجَّهَ عَلِيُّ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْبَصَرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ وَفَرَاغِهِ مِنَ الْجَمَلِ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ ، وَكَانَ جَرِيرٌ حِينَ خَرَجَ عَلِيٍّ إِلَى الْبَصَرَةِ لِقَائِهِ مَنْ قَائِلَةٌ بِهَا بِهَمْدَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا كَانَ عُثْمَانُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَدْرَبِجَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا كَانَ عُثْمَانُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ الْكُوفَةَ مُنْصَرِفًا إِلَيْهَا مِنَ الْبَصَرَةِ كَتَبَ إِلَيْهِمَا بِأَمْرِهِمَا بِأَخِذِ الْبَيْعَةِ لَهُ عَلَى مَنْ قَبِلَهُمَا مِنَ النَّاسِ وَالْإِنْصِرَافِ إِلَيْهِ . فَقَعَلَا ذَلِكَ ، وَانْصَرَفَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَرَادَ عَلِيُّ تَوْجِيهَ الرُّسُولِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : . . . ابْعَثْنِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لِي وَدٌّ حَتَّى آتِيَهُ فَأَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِكَ ، فَقَالَ الْأَشْثَرُ لِعَلِيٍّ : لَا تَبْعَثْهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَطْنُ هَوَاهُ مَعَهُ . فَقَالَ عَلِيُّ : دَعُهُ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي يَرْجِعُ بِهِ إِلَيْنَا . فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا يُعَلِّمُهُ فِيهِ يَاجِثِمَاعَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَكَتَبَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَمَا كَانَ مِنْ حَرَبِهِ إِلَيْهِمَا ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ مِنْ طَاعَتِهِ ، فَشَخَّصَ إِلَيْهِ جَرِيرٌ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مَاطَلَهُ وَاسْتَنْظَرَهُ ، وَدَعَا عَمْرًا فَاسْتَشَارَهُ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى وُجُوهِ الشَّامِ ، وَيُلْزِمَ عَلِيًّا دَمَ عُثْمَانَ ، وَيُقَانِلَهُ بِهِمْ ، فَقَعَلَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ . [2]

[1] تبوك ، منطقة في وسط الطريق الرابط بين المدينة ودمشق ، شمال غربيّ المدينة ، وجنوب دمشق .

[2] تاريخ الطبري : ج4 ص442 .

[3] تاريخ الطبري : ج4 ص561 .

ز - مُعَاوِيَةُ يُبَيِّدُ الْوَقْتَ اسْتِعْدَادًا لِلْحَرْبِ

385. وقعة صفين عن الجرجاني : كَانَ مُعَاوِيَةُ أَتَى جَرِيرًا فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ : يَا جَرِيرُ ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيَا . قَالَ : هَاتِيهِ . قَالَ : أَكْتُبُ إِلَى صَاحِبِكَ يَجْعَلُ لِي الشَّامَ وَمِصْرَ حَيَاتِي ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ بَيْعَةً فِي عُنُقِي ، وَأَسْلِمَ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ ، وَأَكْتُبُ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ جَرِيرٌ : أَكْتُبْ بِمَا أَرَدْتَ ، وَأَكْتُبْ مَعَكَ . فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ بِذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ . فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى جَرِيرٍ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَلَّا يَكُونَ لِي فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ، وَأَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيئَكَ حَتَّى يَذُوقَ أَهْلَ الشَّامِ . وَإِنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلَيٍّ أَنْ اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ وَأَنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَأَتَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَرَانِي أَتَّجِدُ الْمُضِلِّينَ غَضًا ، فَإِنْ بَاتَلَ الرَّجُلُ ، وَإِلَّا فَأَقِيلُ . [1]

ح - أصحاب الإمام عليه السلام يُشِيرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ

386. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كَلَامٍ لَهُ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَا : إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَحَرِيرٍ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلَكِنْ قَدْ وَقْتُ لِحَرِيرٍ وَقْتًا لَا يُعِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا . وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاءِ ، فَأَرُدُوا [2] وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ .

[1] وقعة صفين : ص52 .

[2] أَرُودُ : أَهْمِلُ (مجمع البحرين : ج2 ص753) .

386. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كَلَامٍ لَهُ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَا وَلَقَدْ صَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ، وَقَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرْ لِي فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ يَمَّا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالِإِحْدَاثِ وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا ، فَقَالُوا نُمُ تَقْمُوا فَعَيَّرُوا . [1]

4 / 2

حرب الدعاية

أ - كَيْدُ مُعَاوِيَةَ فِي حَرْبِ الدَّعَايَةِ

387. شرح نهج البلاغة عن النقيب أبي جعفر : كَانَ مُعَاوِيَةُ يَتَسَقَّطُ عَلَيًّا وَيَبْعِي عَلَيْهِ مَا عَسَاهُ يَذْكُرُهُ مِنْ حَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَنْتَهُمَا غَضَبَاهُ حَقَّةً ، وَلَا يَزَالُ يَكِيدُهُ بِالْكِتَابِ يَكْتُبُهُ وَالرَّسَالَةَ يَبْعَثُهَا يَطْلُبُ غِرَّتَهُ [2] ؛ لِيَنْفُثَ بِمَا فِي صَدْرِهِ مِنْ حَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِمَّا مُكَاتِبَةً أَوْ مُرَاسَلَةً ، فَيَجْعَلُ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ ، وَيُضِيقُهُ إِلَى مَا قَرَّرَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا زَعَمَ ، فَقَدْ كَانَ غَمَصَهُ [3] عِنْدَهُمْ بِأَنَّهُ قَتَلَ عُثْمَانَ وَمَالًا عَلَى قَتْلِهِ ، وَأَنَّهُ قَتَلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَأَسْرَ عَائِشَةَ وَأَرَأَقَ دِمَاءَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَبَقِيَتْ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ أَنْ يَنْبُتَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَيَنْسُبُهُمَا إِلَى الظُّلْمِ وَمُخَالَفَةِ الرَّسُولِ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ ، وَأَنْتَهُمَا وَتَبَا عَلَيْهَا غَلَبَةُ وَغَضَبَاهُ إِيَّاهَا . فَكَانَتْ هَذِهِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى لَيْسَتْ مُقْتَصِرَةً عَلَى قَسَادِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِ ، بَلْ وَأَهْلِي الْعِرَاقِ الَّذِينَ هُمْ جُنْدُهُ وَبِطَانَتُهُ وَأَنْصَارُهُ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَقِدُونَ إِمَامَةَ الشَّيْخَيْنِ إِلَّا الْقَلِيلَ الشَّاذَّ مِنْ خَوَاصِّ الشَّيْعَةِ .

[1] نهج البلاغة : الخطبة 43 .

[2] الْغِرَّةُ : الْعَقْلَةُ (النهاية : ج3 ص355) .

[3] غَمَصَهُ : حَفَرَهُ وَاسْتَصَفَرَهُ وَلَمْ يَرَهُ شَيْئًا (لسان العرب : ج7 ص61) .

387. شرح نهج البلاغة عن النقيب أبي جعفر : فَلَمَّا كَتَبَ ذَلِكَ الْكِتَابَ مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ قَصَدَ أَنْ يُغَضِبَ عَلِيًّا وَيُحَرِّجَهُ وَيُحَوِّجَهُ إِذَا قَرَأَ ذَكَرَ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ يَخْلُطَ خَطُّهُ فِي الْجَوَابِ بِكَلِمَةٍ تَقْتَضِي طَعْنًا فِي أَبِي بَكْرٍ ، فَكَانَ الْجَوَابُ مُجَمِّعًا غَيْرَ بَيِّنٍ لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِالتَّطْلِيمِ لَهُمَا وَلَا التَّصْرِيحُ بِبِرَاءَتِهِمَا وَتَارَةً يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمَا وَتَارَةً يَقُولُ : أَخَذَا حَقِّي وَقَدْ تَرَكَتُهُ لَهُمَا . فَأَشَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا ثَانِيًا مُنَاسِبًا لِلْكِتَابِ الْأَوَّلِ ؛ لِيَسْتَفِرَّ فِيهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَسْتَخِفَّاهُ ، وَيَحْمِلَهُ الْغَضَبُ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ كَلَامًا يَتَعَلَّقَانِ بِهِ فِي تَقْيِيحِ حَالِهِ وَتَهْجِينِ مَذْهَبِهِ . وَقَالَ لَهُ عَمْرُو : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ تَرَقَّى تَبَّاهُ ، وَمَا اسْتَطَعَمَتْ مِنْهُ الْكَلَامُ يَمِثِلُ تَغْرِيطَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَارْتَبَ . فَكَتَبَ كِتَابًا أَنْقَذَهُ إِلَيْهِ مَعَ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى يَعْتَنِيهِ مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَنُسَخَهُ الْكِتَابُ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَدُّهُ ، اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرِسَالَتِهِ وَاحْتِصَّهُ بِوَحْيِهِ وَتَأْدِيَةِ شَرِيعَتِهِ ، فَأَنْقَذَ بِهِ مِنَ الْعِمَايَةِ وَهَدَى بِهِ مِنَ الْغَوَايَةِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ رَشِيدًا حَمِيدًا قَدْ بَلَغَ الشَّرْعَ وَمَحَقَ الشِّرْكَ وَأَخَمَدَ نَارَ الْإِفْكِ ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ وَضَاعَفَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ وَأَلَاءَهُ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَصَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَصْحَابٍ أَبْدَوْهُ وَأَزْرَوْهُ وَتَصَرَّوهُ ، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ : «أَشِيدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» [1] فَكَانَ أَفْضَلُهُمْ مَرْتَبَةً وَأَعْلَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ مَنَزَلَةً الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ ، الَّذِي جَمَعَ الْكَلِمَةَ وَلَمْ الدَّعْوَةَ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَّةِ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي الَّذِي فَتَحَ الْفُتُوحَ وَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ وَأَذَلَّ رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ الثَّالِثُ الْمَظْلُومُ الَّذِي نَشَرَ الْمِلَّةَ وَطَبَّقَ الْأَفَاقَ بِالْكَلِمَةِ

[1] العُرَّة : الغفلة (النهاية : ج 3 ص 355) .

[2] غَمَصَهُ : حَقَّرَهُ وَاسْتَصَغَّرَهُ وَلَمْ يَرَهُ شَيْئًا (لسان العرب : ج 7 ص 61) .

[3] الفتح : 29 .

[4] الجِرَان : باطن العُنُق . ومنه حديث عائشة «حتى ضرب الحقُّ بِجِرَانِهِ» أَي قَرَّ قَرَارُهُ وَاسْتَقَامَ ، كَمَا أَنَّ الْبَعِيرَ إِذَا بَرَكَ وَاسْتَرَاحَ مَدَّ عُنُقَهُ عَلَى الْأَرْضِ (النهاية : ج 1 ص 263) .

[5] الْخِرَام : جمع خِرَامَةٍ ، وهي خَلْقَةٌ مِنْ شَعَرٍ تُجْعَلُ فِي أَحَدِ جَانِبَيْ مَنْخَرِي الْبَعِيرِ (النهاية : ج 2 ص 29) .

[6] الحجرات : 17 .

[7] البقرة : 264 .

[8] الشَّزْرُ : النظر عن اليمين والشمال ، وليس بمستقيم الطريقة . وقيل : هو النَّظَرُ بِمَوْخَرِ الْعَيْنِ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ النَّظَرُ الشَّزْرُ فِي حَالِ الْغَضَبِ وَإِلَى الْأَعْدَاءِ (النهاية : ج 2 ص 470) .

[9] أَهْجَرَ فِي مَنْطِقِهِ يُهْجَرُ إِهْجَارًا إِذَا أَفْحَشَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ فِيْمَا لَا يَنْبَغِي . وَالاسْمُ : الْهَجْرُ ، بِالضَّمِّ . وَهَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا ، بِالْفَتْحِ ، إِذَا خَلَطَ فِي كَلَامِهِ ، وَإِذَا هَذَى (النهاية : ج 5 ص 245) .

[10] شرح نهج البلاغة : ج 15 ص 184 .

387. شرح نهج البلاغة عن النقيب أبي جعفر : الْحَنِيفِيَّةُ . فَلَمَّا اسْتَوْتَقَّ الْإِسْلَامَ وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ [1] عَدَوَاتٍ عَلَيْهِ فَبَغَيْتُهُ الْغَوَائِلَ وَنَصَبَتْ لَهُ الْمَكَائِدَ ، وَضَرَبَتْ لَهُ بَطْنَ الْأَمْرِ وَظَهَرَهُ وَدَسَّسَتْ عَلَيْهِ وَأَغْرَبَتْ بِهِ ، وَقَعَدَتْ حَيْثُ اسْتَنْصَرَكَ عَنْ نَصْرِهِ وَسَأَلَتْ أَنْ تُدْرِكَهُ قَبْلَ أَنْ يُمَرِّقَ فَمَا أَدْرَكَتُهُ ، وَمَا يَوْمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ بِوَاجِدٍ . لَقَدْ حَسَدَتْ أَبَا بَكْرٍ وَالتَّوْبِتَ عَلَيْهِ وَرُمَتْ إِفْسَادَ أَمْرِهِ ، وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِكَ ، وَاسْتَعْوَيْتَ عَصَابَتَهُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى تَأْخَرُوا عَنْ بَيْعَتِهِ ، ثُمَّ كَرِهَتْ خِلَافَةَ عُمَرَ وَحَسَدَتْهُ وَاسْتَطَلَّتْ مُدَّتَهُ ، وَسُرُرَتْ بِقَتْلِهِ وَأَظْهَرَتْ الشُّمَاتَةَ بِمُضَايِهِ حَتَّى إِنَّكَ حَاوَلْتَ قَتْلَ وَلَدِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَتَلَ قَائِلَ أَبِيهِ ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ أَشَدَّ مِنْكَ حَسَدًا لِابْنِ عَمَلِكَ عُثْمَانَ نَشَرْتَ مَقَابِيحَهُ وَطَوَيْتَ مَحَاسِنَهُ ، وَطَعَنْتَ فِي فَقْهِهِ ثُمَّ فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي سِيرَتِهِ ثُمَّ فِي عَقْلِهِ ، وَأَغْرَبْتَ بِهِ السُّقْمَاءَ مِنْ أَصْحَابِكَ وَشَيْعَتِكَ حَتَّى قَتَلُوهُ بِمَحْضَرٍ مِنْكَ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ ، وَمَا مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ بَغَيْتَ عَلَيْهِ وَتَلَكَّاتَ فِي بَيْعَتِهِ حَتَّى خُمِلَتْ إِلَيْهِ قَهْرًا تُسَاقُ بِخِرَانِمِ [2] الْإِفْتِسَارِ كَمَا يُسَاقُ الْفَحْلُ الْمَخْشُوشُ ، ثُمَّ تَهَضَّتْ الْأَنْ تَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَقَتَلَتْ عُثْمَانَ خُلَاصُوكَ وَسُجْرَاؤُكَ وَالْمُحِدِّقُونَ بِكَ ، وَتَلَكَ مِنْ أَمَانِي الثُّفُوسِ وَضَلَالَاتِ الْأَهْوَاءِ . فَدَعَا اللَّجَاجَ وَالْعَبْتَ جَانِبًا وَادْفَعَ إِلَيْنَا قَتْلَةَ عُثْمَانَ ، وَأَعَادَ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِيَتَّفِقُوا عَلَى مَنْ هُوَ لِلَّهِ رِضًا . فَلَا بَيْعَةَ لَكَ فِي أَعْنَاقِنَا وَلَا طَاعَةَ لَكَ عَلَيْنَا وَلَا غَتْبَى لَكَ عِنْدَنَا ، وَلَيْسَ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ عِنْدِي إِلَّا السَّيْفُ ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا مُطَلَبَ قَتْلَةَ عُثْمَانَ أَبْنِ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا حَتَّى أَقْتُلَهُمْ أَوْ تَلْتَحِقَ رُوحِي بِاللَّهِ .

[1] الجِرَان : باطن العُنُق . ومنه حديث عائشة «حتى ضرب الحقُّ بِجِرَانِهِ» أَي قَرَّ قَرَارُهُ وَاسْتَقَامَ ، كَمَا أَنَّ الْبَعِيرَ إِذَا بَرَكَ وَاسْتَرَاحَ مَدَّ عُنُقَهُ عَلَى الْأَرْضِ (النهاية : ج 1 ص 263) .

[2] الْخِرَام : جمع خِرَامَةٍ ، وهي خَلْقَةٌ مِنْ شَعَرٍ تُجْعَلُ فِي أَحَدِ جَانِبَيْ مَنْخَرِي الْبَعِيرِ (النهاية : ج 2 ص 29) .

387. شرح نهج البلاغة عن النقيب أبي جعفر : فَأَمَّا مَا لَا تَرَاهُ تَمُنُّ بِهِ مِنْ سَائِقِيكَ وَجِهَادِكَ فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : «بِمُنُونِ عَلِيٍّ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا

تَمْنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [1] وَلَوْ تَطَرَّتْ فِي حَالِ نَفْسِكَ لَوَجَدْتَهَا أَشَدَّ الْأَنْفُسِ إِمْتِنَانًا عَلَى اللَّهِ بِعَمَلِهَا ، وَإِذَا كَانَ الْإِمْتِنَانُ عَلَى السَّائِلِ يُبْطِلُ أَجْرَ الصَّدَقَةِ فَالْإِمْتِنَانُ عَلَى اللَّهِ يُبْطِلُ أَجْرَ الْجِهَادِ وَيَجْعَلُهُ كَ «صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» . [2] قَالَ النَّقِيبُ أَبُو جَعْفَرٍ : فَلَمَّا وَصَلَ هَذَا الْكِتَابُ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، كَلَّمَ أَبَا أَمَامَةَ يَتَحَوِّمًا كَلَّمَ يَهْ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ وَكَتَبَ مَعَهُ هَذَا الْجَوَابَ . قَالَ النَّقِيبُ : وَفِي كِتَابِ مُعَاوِيَةَ هَذَا ذِكْرُ لَفْظِ الْجَمَلِ الْمَخْشُوشِ أَوْ الْقَحْلِ الْمَخْشُوشِ ، لَا فِي الْكِتَابِ الْوَاصِلِ مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ هَذِهِ اللَّفْظَةُ وَإِنَّمَا فِيهِ : «حَسَدَتِ الْخُلَفَاءُ وَتَغَيَّبَتْ عَلَيْهِمْ عَرَفْنَا ذَلِكَ مِنْ تَطَرُّكِ الشَّرِّ [3] وَقَوْلِكَ الْهَجَرِ [4] وَتَنْفُسِكَ الصُّعْدَاءُ وَإِبْطَانِكَ عَنِ الْخُلَفَاءِ» . قَالَ : وَإِنَّمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابِينَ ، وَالْمَشْهُورُ عِنْدَهُمْ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ فَيَجْعَلُونَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فِيهِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا فِي كِتَابِ أَبِي أَمَامَةَ ، أَلَا تَرَاهَا عَادَتْ فِي جَوَابِهِ ؟ وَلَوْ كَانَتْ فِي كِتَابِ أَبِي مُسْلِمٍ لَعَادَتْ فِي جَوَابِهِ . [5]

[1] الحجرات : 17 .

[2] البقرة : 264 .

[3] الشَّرُّ : النظر عن اليمين والشمال ، وليس بمستقيم الطريقة . وقيل : هو التَّطَرُّ بِمَوْخَرِ الْعَيْنِ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ التَّطَرُّ الشَّرُّ فِي حَالِ الْعَصَبِ وَإِلَى الْأَعْدَاءِ (النهاية : ج 2 ص 470) .

[4] أَهَجَرَ فِي مَنْطِقِهِ يَهْجُرُ إِهْجَارًا إِذَا أَفْحَشَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ فِيهَا لِأَنَّهُ يَنْبَغِي . وَالاسْمُ : الْهَجْرُ ، بِالضَّمِّ . وَهَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا ، بِالْفَتْحِ ، إِذَا خَلَطَ فِي كَلَامِهِ ، وَإِذَا هَذَى (النهاية : ج 5 ص 245) .

[5] شرح نهج البلاغة : ج 15 ص 184 .

ب - الْأَجَوِبَةُ الْوَاعِيَةُ لِلْإِمَامِ

388.الإمام علي عليه السلام - مِنْ كِتَابٍ لَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَابًا ، وَهُوَ مَرَّةً : فَقَدْ أَنَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ اصْطِفَاءُ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ وَتَأْيِيدُهُ إِتَاهُ يَمُنُّ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا ، إِذْ طُفِفَتْ تَخْيِيرُنَا بِتِلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي تَيْبِنَا ، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَافِلِ الثَّمَرِ إِلَى هَجَرٍ أَوْ دَاعِي مُسْتَدِيرٍ إِلَى الْيَضَالِ . وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ تَقَصَّرَ لَمْ يَلْحَقَكَ تَلْمُؤُهُ . وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ وَالْمَقْضُولُ ، وَالسَّائِسُ وَالْمَسُوسُ ؟ وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ . هِيَاهُنَّ لَقَدْ حَرَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطُفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا . أَلَا تَرَى : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - عَلَى طُلُوعِكَ ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ دَرِيعِكَ ؟ وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدَرُ ؟ قَمَا عَلَيْكَ عَلَيْهِ الْمَغْلُوبُ وَلَا طَقَرَ الطَّافِرُ ، وَائِذَاكَ لَدَهَابٍ فِي النَّبِيِّ ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ . أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخِيرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدِيثٌ - أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدًا قِيلَ : سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ . أَوْ لَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فَعَلَ يَوَاجِدُنَا مَا فَعَلَ يَوَاجِدُهُمْ قِيلَ : الطَّبَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْخَنَاحِينَ ، وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ تَرْكِهِ الْمَرَّةَ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ ، فَدَعَ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ يَهْ الرِّمِيَةُ ؛ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعِ

388.الإمام علي عليه السلام - مِنْ كِتَابٍ لَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَابًا ، وَهُوَ مَرَّةً : لَمْ يَمْتَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا وَلَا عَادِيَّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِنَفْسِنَا ، فَتَنَكْحَنَا وَأَنَكْحَنَا فَعَلَ الْأَكْفَاءُ ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ . وَأَتَى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَدِّبُ ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ ، وَمِنَّا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَةُ النَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْخَطْبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ ؛ فَاِسْلَامُنَا قَدْ سَمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تَدْفَعُ ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» [1] وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» [2] فَتَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ ، وَنَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ . وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيقَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الْقَلْحُ يَهْ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بَغْيُهُ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ . وَزَعَمْتَ أَنَّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدَتْ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتٌ ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجَنَابَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ : وَتِلْكَ شِكَاةُ طَاهِرٍ عَنْكَ عَارِضًا وَقُلْتَ إِنِّي كُنْتُ أَفَادُ كَمَا يُفَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَبَايَعُ ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتِ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَطْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكَاً فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَابًا بِبِقِيَّتِهِ . وَهَذِهِ خُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ فَصَدَّهَا ، وَلِكَيْتِي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا . ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَمْ أَنْ تَجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَجَمِكَ مِنْهُ ، فَإِنَّا كَانُوا أَعْدَى لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ . أَلَا مَنْ بَدَّلَ لَهُ نَصْرَتَهُ فَاسْتَعَدَّهُ وَاسْتَكْفَهُ ، أَمْ

[1] الأنفال : 75 .

[2] آل عمران : 68 .



388. الإمام علي عليه السلام - من كتاب له إلى معاوية جواباً ، وهو م من استنصره فترأخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه ؟ كلا والله لـ «قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً» [1] وما كنت لأعتذر من أتى كنت أنقم عليه أحداثاً ، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايته له فرب ملوم لا ذنب له ؛ وقد يستفيد الطئة الممتنع . وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وذكرته أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف فلقد أضحت بعد استيعار ! متى أقيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكليين ، وبالسيف مخوفين ؟ ! فـ ليت قليلاً يلحق الهيجا حمل فسيطرك من تطلب ، ويعرب منك ما تستبعد ، وأنا مرفل تحوكت في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، شديد زحامهم ، ساطع قناتهم ، متسرلين سرايل الموت ، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم ، وقد صحتهم ذرية بدرية وسيف هاشمية ، قد عرفت موافق نصالها في أخيك وخالك وحذك وأهلك «و ما هي من الظلمين يبعيد» [2] . [3]

[1] الأحزاب : 18 .

[2] هود : 83 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 28 .

أهداف معاوية في حرب الدعاية وحكمة أجوبة الإمام

تأمل الرسائل التي تبودلت بين الإمام ومعاوية أثناء الحرب الدعائية ، وما ينطوي عليه جواب معاوية من جرأة ووقاحة ؛ يفضي بالباحث إلى السؤال التالي : لماذا فتح الإمام باب المكاتبه وتبادل الكتب مع شخص مثل معاوية ؟ أ لم يكن الأفضل أن يهمل الإمام جواب معاوية ليكون بمنأى عن كل ذلك التعريض والبذاءة ؟ يكتب ابن أبي الحديد بعد نقل شطر من الكتب التي جرت بين الإمام ومعاوية ، ما نصه : «قلت : وأعجب وأطرب ما جاء به الدهر - وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة - أن يفضي أمر علي عليه السلام إلى أن يصير معاوية ندّاً له ونظيراً ممانلاً ، يتعازضان الكتاب والجواب ، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه ، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة إلا قال مثلها ، وأحسن منّا منها ، فليت محمداً صلى الله عليه وآله كان شاهد ذلك ! ليرى عياناً لا خبراً أن الدعوة التي قام بها ، وقاسى أعظم المشاق في تحملها ، وكابد الأهوال في الذب عنها ، وضرب بالسيف عليها لتأييد دولتها ، وشيّد أركانها ، وملأ الأفاق بها ، خلصت صفواً غفواً لأعدائه الذين كذبوه ، لما دعا إليها ، وأخرجوه عن أوطانهم لما حصّ عليها ، وأدموا وجهه ، وقتلوا عمه وأهله ، فكأنه كان يسعى لهم ، وبدأ لإراحتهم ؛ كما قال أبو سفيان في أيام عثمان ، وقد مرّ بقرى حمزة ، وضربه يرحله ، وقال : يا أبا عمارة ! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم

يتلعبون به ! ثم آل الأمر إلى أن يفارخ معاوية علياً ، كما يفارخ الأكفاء والنطراء ! ! 0 إذا عير الطائي بالخل ماجر وقرع قساً بالفهامة باقل 0 0 وقال السها للشمس : أنت خفيّة وقال الدجى : يا صبح لونك حائل 0 0 وفارخت الأرض السماء سفاهة وكاترت الشهب الحصى والجنادل 0 0 فيا موت زر إن الحياة دميّة وبها نفس جدّي إن دهرك هازل 0 0 ثم أقول ثانياً لأمر المؤمنين عليه السلام : ليت شيعري ، لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية ؟ ! وإذا كانت الضرورة قد فادت إلى ذلك فهل اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة والمنافرة ! وإذا كان لابدّ منهما فهل اكتفى بهما من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقاتلة والمعارضة يمثله ، وبأشد منه : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» [1] . . . ولعله عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا الآن ، والله أمر هو بالغة ! . [2] وحقيقة الأمر تؤول إلى ما ذكره ابن أبي الحديد نهاية كلامه بصيغة الاحتمال . فالشيء الجزمي أن الإمام لم يلج مضمار هذه الحرب الدعائية من دون حكمة ، ولكي نتلمس الحكمة من وراء مكاتبات الإمام يتحتم أن نعرف في البدء طبيعة الأهداف التي كان يتوخاها معاوية من إطلاق الحرب الدعائية ضد الإمام .

قبل أن ندلف إلى تبين الأهداف التي كان يصبو إليها معاوية من الحرب الدعائية ، من الضروري أن نشير إلى أنّ الرسائل السياسيّة كانت تعدّ في ذلك العصر واحدة

[1] الأنعام : 108 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 16 ص 136 .

من أهمّ أدوات الحرب النفسيّة والدعائيّة . ففي ذلك العهد كانت وسائل الإعلام تقتصر على الخطب العامّة والرسائل ، ومن الطبيعي أن يكون للرسائل فاعليّة إعلاميّة تفوق ما للخطابة . وربّما استطعنا أن نقارب التأثير الإعلامي للرسائل في ذلك العصر بما للصحافة المعاصرة من موقع في وقتنا الحاضر . لقد بادر معاوية إلى شنّ حرب دعائيّة شاملة ضدّ الإمام قبل أن تبدأ لحظة الاشتباك العسكري المباشر معه . فبالاستناد إلى مركزات نهجه السياسي رام معاوية من وراء حرب الدعاية هذه أن يهيئ الأرضيّة الاجتماعيّة للالتحام العسكري المباشر ، حيث وظّف في هذه الحرب الآيّة الخطابة والآيّة الرسالة في الوقت ذاته . لقد كان يبغي من وراء حربه الدعائيّة تحقيق عدد من الأهداف ، هي :

1 . اتّهام الإمام عليه السلام بقتل عثمان

يركّز الشطر الأعظم من كتب معاوية إلى الإمام على هذا الموضوع . أمّا البواعث التي أملت على معاوية اتّهام الإمام بالتورّط بقتل عثمان ، فقد تمثّلت - من جهة - بالظعن بأهليّة الإمام في تسبّم الخلافة ، كما تحرّكت - من جهة ثانية - باتّجاه تمهيد الأجواء للاصطدام العسكري المباشر معه بذريعة الطلب بدم عثمان ، ومن ثمّ تهيئة المناخ اللازم لوصول معاوية نفسه إلى السلطة . كثيرة هي الوثائق التاريخيّة التي تثبت صحّة هذا الادّعاء . [1] فقد انتهج معاوية هذه السياسة الشيطانيّة بوضوح حتى قبل مقتل عثمان ، حينما تباطأ عن نصرته . وقد بلغ من شدّة جلاء هذا الأمر أنّ عثمان حينما رأى إهمال معاوية لمؤازرته برغم

[1] راجع : أنساب الأشراف : ج 3 ص 205 .

[2] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 175 .

إصراره في أن يبعث إليه بقوة تحميه في مقابل الثائرين ؛ قال له صراحة : «أَرَدْتَ أَنْ أَقْتَلَ فَتَقُولَ : أَنَا وَلِيُّ النَّارِ» [1] !

2 . دفع الإمام عليه السلام للحديث ضدّ الخلفاء

يعرف معاوية جيّد أنّ عليّاً عليه السلام يعدّ نفسه هو الخليفة بلا فصل بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّ الإمام يعتقد بأنّه قد أصابه الظلم في هذه الواقعة ، ولذلك اعتصم بالمقاومة وامتنع عن بيعة أبي بكر ما كانت زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله على قيد الحياة . بيد أنّ الإمام لم يكن يرى من المصلحة أن يجهر بهذا الأمر ، لما يفضي إليه ذلك من وقوع الفرقة في المجتمع الإسلامي ، وتصدّع الكيان السياسي للمسلمين . وفي هذا الاتجاه كانت إحدى أهداف معاوية من حربه الدعائيّة أن يدفع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للتعريض بالخليفين الأوّل والثاني ، لكي يصير ذلك ذريعة إلى محاصرته أمام الرأي العام وإحراجه ، ووسيلة إلى بثّ الفرقة بين أنصاره وأتباعه . يقول النقيب أبو جعفر بهذا الشأن : «كَانَ مُعَاوِيَةُ يَتَسَقَطُ عَلِيّاً وَيَتَعَيَّ عَلِيّاً مَا عَسَاهُ يَذْكُرُهُ مِنْ حَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَنْهُمَا غَضِبَاهُ حَقّاً ، وَلَا يَزَالُ يَكِيدُهُ بِالْكِتَابِ يَكْتُبُهُ ، وَالرَّسَالَةَ يَبْعَثُهَا يَطْلُبُ غِرَّتَهُ ، لِيَنْفُثَ بِمَا فِي صَدْرِهِ مِنْ حَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، إِمَّا مُكَاتِبَةً أَوْ مُرَاسَلَةً ، فَيَجْعَلُ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ . . . فَكَانَتْ هَذِهِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى لَيْسَتْ مُقْتَصِرَةً عَلَى فُسَادِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِ ، بَلْ وَأَهْلَ الْإِيرَاقِ الَّذِينَ هُمْ جُنْدُهُ وَبِطَانَتُهُ وَأَنْصَارُهُ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَقِدُونَ إِمَامَةَ الشَّيْخَيْنِ ، إِلَّا الْقَلِيلَ الشَّدَّادِ مِنْ خَوَاصِّ الشَّيْخَةِ» . [2]

[1] راجع : أنساب الأشراف : ج 3 ص 205 .

[2] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 175 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 15 ص 184 .

3 . التعريض بشموليّة بيعة الأُمّة للإمام عليه السلام

اتّضح من مقدّمة القسم أنّ سعة بيعة عموم الناس للإمام هي واحدة من نقاط القوّة البارزة التي اقترنت مع بداية حكمه ، إذ لم يحطّ أيّ من الخلفاء السابقين بمثل هذا الشمول . وما كان يرمي إليه معاوية في حربه الدعائيّة هو تشويه هذه النقطة والنيل من هذا المكسب ، والإيحاء بأنّ عدم مبايعة أهل الشام للإمام هي دليل عدم شرعيّة خلافته .

4 . النيل من قداسة الإمام عليه السلام في الوجدان الشعبي

لقد كان معاوية على دراية تامّة بأنّه لا يستطيع مواجهة الإمام والوقوف ضدّه مع كلّ الرصيد الضخم الذي يحظى به أمير المؤمنين عليه السلام وما له من سابقة مشرقة في هذا الدين ، إلّا بتهديم تلك القداسة في الأذهان والنيل من هالته في الوجدان الشعبي ، عبر عمل دعائي مكثّف تتخلّله عناصر التضييل والخداع . وما الرسائل التي بعث بها للإمام إلّا خطوة في هذا الاتجاه ، ثمّ جاء سيّبه من على المنابر استكمالاً لهذا النهج .

حكمة أجوبة الإمام عليه السلام لمعاوية

والآن نتساءل : ما الذي كان سيقع لو أنّ الإمام تراجع في هذه الحرب الدعائيّة ؟ وماذا لو لم يفتح باب المكاتبة مع معاوية بحسب تفكير ابن أبي الحديد ؟ وماذا سيكون لو أهمل كلام معاوية وبرامجه على هذا الصعيد ولم يرد عليها ؟ هل كان معاوية يختار الصمت مثلاً ويكفّ عن حربه الدعائية الشعواء ضدّ الإمام ؟ لا ريب أنّ سياسة السكوت في مقابل الأمواج الدعائيّة العاتية التي بيّنها معاوية كانت ستنتهي بضرر الإمام . فسكوت الإمام كان معناه تأييداً منه لكلّ تهم معاوية . إنّ من السذاجة بمكان أن نتصوّر بأنّ الإمام لو لم يفتح باب المكاتبة مع معاوية ،

لما كان معاوية قد شرع بحربه الدعائيّة ضدّ الإمام أو أنّه كان ينثني عن إدامتها ، بل الذي لا نشكّ فيه أنّ سكوت الإمام - لو حصل - كان يستتبع تصعيد وتيرة هذه الحرب وتأجيج نيرانها أكثر . إنّ كتب الإمام وأجوبته لم تعمل على تعطيل الفعل الدعائي الماكر لمعاوية وحسب ، بل تحوّلت إلى وثيقة في التاريخ تثبت أحقيّة الإمام . إضافة إلى ما بادر إليه الإمام من تنوير العقول وتبصير الناس وتوعيتها عبر هذه الرسائل ، فقد عمد فيها للدفاع عن نفسه على أحسن وجه ، وأنتمّ الحجّة على معاوية والمخدوعين من أتباعه . كما ترك للتاريخ وللمن يأتي بعده وثيقة حوت ما جرى بينه وبين معاوية . لقد التزم الإمام جانب الحذر بعمله بحيث لم يدع معاوية يحقق أيّاً من الأهداف التي كان يصبو إليها من حربه الدعائيّة كما يريد .

5 / 2

تهبُّ معاوية للحربالحرب

أ - إشارة عمرو بن العاص

389. شرح نهج البلاغة - في شرح كلامه عليه السلام في اليوم الثا: قال الكلبي: ثُمَّ أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكُلِّ سِلَاحٍ وَجَدَ لِعُثْمَانَ فِي دَارِهِ مِمَّا تَقَوَّى بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَبِضَ ، وَأَمَرَ يَقْبِضَ تَجَائِبَ كَانَتْ فِي دَارِهِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَقَبِضَتْ ، وَأَمَرَ يَقْبِضَ سَيْفَهُ وَدِرْعَهُ ، وَأَمَرَ أَلَّا يُعْرَضَ لِسِلَاحٍ وَجَدَ لَهُ لَمْ يُقَاتِلْ بِهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَبِالْكَفِّ عَنْ جَمِيعِ أَمْوَالِهِ الَّتِي وَجَدَتْ فِي دَارِهِ وَفِي غَيْرِ دَارِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ تُرْتَجَعَ الْأَمْوَالُ الَّتِي أَجَازَ بِهَا عُثْمَانُ حَيْثُ أُصِيبَتْ أَوْ أُصِيبَ أَصْحَابُهَا . قَبِلَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَكَانَ بِأَيْلَةٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، أَنَّهَا حَيْثُ وَتَبَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ فَتَزَلَّهَا فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : مَا كُنْتُ صَانِعًا قَاصِيعَ . إِذْ قَشَرَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ كُلِّ مَالٍ تَمْلِكُهُ كَمَا تُقَشِّرُ عَنِ الْعَصَا لِحَاها . [1]

ب - الإِسْتِعَانَةُ بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

390. وقعة صفين عن عمر بن سعد ومحمد بن عبيد الله : كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَمْرِو وَهُوَ بِالْبَيْعِ مِنْ فَلَسْطِينَ : أَمَا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ مَا قَدْ بَلَغَكَ . وَقَدْ سَقَطَ إِلَيْنَا مَرَوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فِي رَافِضَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَقَدِمَ عَلَيْنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . فِي بَيْعَةِ عَلِيٍّ ، وَقَدْ حَبَسْتُ نَفْسِي عَلَيْكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي . أَقِيلُ أَذَاكَ أَمْراً . فَلَمَّا فُرِغَ الْكِتَابِ عَلَى عَمْرِو اسْتَشَارَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَمُحَمَّدًا فَقَالَ : ابْنِي ، مَا تَرَيَانِ ؟

[1] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 270 .

390. وقعة صفين عن عمر بن سعد ومحمد بن عبيد الله : فقال عبد الله : أرى أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله فُيَضَ وهو عنك راضٍ ، والخليفتان من بعده ، وقيل عثمان وأنت عنه غائبٌ . ففرّ في منزلك فلستَ مجعولاً خليفةً ، ولا تريد أن تكون حاشيةً لمعاوية على دنيا قليلة ، أوشك أن تهلك فتشقى فيها . وقال محمد : أرى أنّك شيخٌ فريسيّ وصاحبٌ أمرها ، وإن تصرّم هذا الأمر وأنت فيه خاملٌ تصاغرَ أمرُك ، فالحقّ يجماعة أهل الشام فكنّ يدا من أياديها ، وأطلب يدُم عثمان ، فإنّك قد استتمت فيه إلى بني أمية . فقال عمرو : أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خيرٌ لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خيرٌ لي في دنياي ، وأنا ناظرٌ فيه . [1]

ج - وعدّ المؤازرة المشروطة

391. سير أعلام النبلاء عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الواح لما صار الأمر في يد معاوية ، استكثر مصر طعمة لعمرو ما عاش ، ورأى عمرو أنّ الأمر كلّهُ قد صلح به ويتدبيره ، وطنّ أنّ معاوية سيزيده الشام ، فلم يفعل ، فتتكرّر له عمرو . فاحتلّفا وتغالطا ، فأصلح بينهما معاوية بن حديج ، وكتبَ بينهما كتاباً بأنّ لعمرو ولاية مصر سبع سنين ، وأشهدَ عليهما شهوداً ، وسارَ عمرو إلى مصر سنة تسع وثلاثين ، فمكثَ نحو ثلاث سنين ، ومات . [2]

392. الإمام عليّ عليه السلام - في ذكر عمرو بن العاص : - إنّهُ لم يُبايع معاوية حتّى شرط أن يُؤتية آتية ، ويرضخَ له على ترك الدين رضىخة . [3]

[1] وقعة صفين : ص 34 .

[2] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 73 الرقم 15 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 84 .

د - إستغلال قميص عثمان

393. تاريخ الطبري عن محمد وطلحة : كان أهل الشام لما قدِمَ عليهم الثُعمان بن بشير يَمِصُ عثمان الذي قُتلَ فيه مُحَضّاً يَدَمِهِ ، وبأصابع نائلة زوجته مقطوعةً بالبراجيم ؛ إصبعان منها ، وشيءٌ من الكفّ ، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ، ونصف الإبهام ، وضع معاوية القميصَ على المنبر ، وكتبَ بالخبر إلى الأجناد . وثاب إليه الناس ، وبكوا سنة [1] وهو على المنبر والأصابع معلقةً فيه ، وإلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ، ولا يمسسهم الماء للغسل إلا من احتلام ، ولا يناموا على الفرش حتّى يقتلوا قتلة عثمان ، ومن عرّضَ دونهم شيءٍ أو تغنى أرواحهم . فمكثوا حول القميص سنة ، والقميصُ يوضعُ كلَّ يومٍ على المنبر ويُجلّله أحياناً قبلبسه ، وعُلّقَ في أرواحه أصابع نائلة . [2]

هـ - المصالحة مع الروم

394. مروج الذهب : قد كان معاوية صالحَ ملك الروم على مالٍ يحمله إليه ليشغله بعلية . [3]

و - الإستينصار من مكة والمدية

395. وقعة صفين عن زياد بن رستم : كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب خاصة ، وإلى سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، دون كتابه إلى أهل المدينة ، فكان في كتابه إلى ابن عمر : أما بعد ؛ فإنّه لم يكن أحدٌ من فريسيّ أحبّ إليّ أن يجتمع عليه الأمة بعد قتل

[1] في الكامل في التاريخ : «فبكوا على القميص مدة» ، وهو الأصح .

[2] تاريخ الطبري : ج 4 ص 562 .

[3] مروج الذهب : ج 2 ص 387 .

395. وقعة صفين عن زياد بن رستم : عثمان منك . ثمّ ذكرتُ خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك ، وقد هوّن ذلك عليّ خلافتك على عليّ ، ومحا عتك بعض ما كان منك ، فأعيتاً - رحمتك الله - على حقّ هذا الخليفة المظلوم ، فإنّي لستُ أريد الإمامة عليك ، ولكيّني أريدها لك ، فإن آتيت كانت شوري بين المسلمين . [1]

ز - إعلان الحرب

396. وقعة صفين عن محمد وصالح بن صدقة : كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى جَرِيرٍ [رَسُولِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ] بَعْدَ ذَلِكَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِذَا أَنْكَ كِتَابِي هَذَا ، فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزِيمِ ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُحْطِيَةٍ ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ قَانِيزْ لَهُ ، وَإِنْ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ . فَلَمَّا انْتَهَى الْكِتَابُ إِلَى جَرِيرٍ أَتَى مُعَاوِيَةَ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُعَاوِيَةُ ، إِنَّهُ لَا يُطِيعُ عَلَى قَلْبٍ إِلَّا يَذْنِبُ ، وَلَا يُشْرَحُ صَدْرٌ إِلَّا يَتَوَبَّعُ ، وَلَا أَطْنُ قَلْبِكَ إِلَّا مَطْبُوعًا . أَرَأَيْكَ قَدْ وَقَفْتَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَأَنَّكَ تَنْتَظِرُ شَيْئًا فِي يَدَيَّ غَيْرِكَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَلَا تَعْلَمُ أَنَّكَ بِالْقَبْضِ أَوْلَى مَجْلِسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا بَاتَعَ مُعَاوِيَةَ أَهْلُ الشَّامِ وَذَاقَهُمْ قَالُوا : يَا جَرِيرُ ! الْحَقُّ بِصَاحِبِكَ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالْحَرْبِ ، وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ يَقُولُ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ : 0 أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مُلْكُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهَا كَارِهُونَا 0 0 وَكُلُّ لِصَاحِبِهِ مُبِغِضٌ يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينًا [2]. 0

[1] وقعة صفين : ص 71 .

[2] وقعة صفين : ص 55 .

مسير الإمام عليه السلام إلى صفين

أ - إِسْتِشَارَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى صَفِينِ

397. تاريخ الطبري عن أبي بكر الهذلي : إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا اسْتَخْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ سَارَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ فَتَهَيَّأَ فِيهَا إِلَى صَفِينِ ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَنْ يَبْعَثَ الْجُنُودَ وَيُقيمَ وَأَشَارَ آخَرُونَ بِالْمَسِيرِ ، فَأَبَى إِلَّا الْمُبَاشَرَةَ فَجَهَّزَ النَّاسَ . فَلَبَّغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَدَعَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَاسْتَشَارَهُ فَقَالَ : أَمَّا إِذْ بَلَغَكَ أَنَّهُ يَسِيرُ فَسِرْ بِتَفْسِيكَ وَلَا تَغِبْ عَنْهُ بِرَأْيِكَ وَمَكِيدَتِكَ . قَالَ : أَمَّا إِذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَجَهَّزَ النَّاسَ . فَجَاءَ عَمْرُو فَحَضَّضَ النَّاسَ وَضَعَّفَ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ وَقَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ قَرَفُوا جَمْعَهُمْ وَأَوْهَنُوا شُوكَتَهُمْ وَقَلُّوا حُدُودَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مُخَالِفُونَ لِعَلِيِّ قَدْ وَتَرَهُمْ وَقَتَلَهُمْ ، وَقَدْ تَفَانَتْ صُنَادِيدُهُمْ وَصَنَادِيدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَإِنَّمَا سَارَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ قَتَلَ خَلِيفَتَكُمْ ، قَالَ اللَّهُ - اللَّهُ فِي حَقِّكَمُ أَنْ تُضَيِّعُوهُ وَفِي دِمِّكُمْ أَنْ تُبْطِلُوهُ . [1]

ب - خُطْبَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ الشُّخُوصِ

398. الأخبار الطوال : لَمَّا أَجْمَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَخَضَرَتِ الْجُمُعَةُ ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! سِيرُوا إِلَى أَعْدَاءِ السُّنَنِ وَالْقُرْآنِ ، سِيرُوا إِلَى قَتْلَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، سِيرُوا إِلَى الْجُفَاةِ الطَّعَامِ الَّذِينَ كَانَ إِسْلَامُهُمْ خَوْفًا وَكَرْهًا ، سِيرُوا إِلَى الْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ لِيَكْفُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِأَسْهُمٍ . [2]

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 563 .

[2] الأخبار الطوال : ص 164 .

ج - بُكَاءُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى كَرْبَلَاءَ

399. وقعة صفين عن الحسن بن كثير عن أبيه : إِنَّ عَلِيًّا أَتَى كَرْبَلَاءَ فَوَقَّفَ بِهَا ، فَقِيلَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ كَرْبَلَاءُ . قَالَ : ذَاتُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ . ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ فَقَالَ : هَاهُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ ، وَمُنَاحُ رِكَابِهِمْ . وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ : هَاهُنَا مَهْرَاقُ دِمَائِهِمْ . [1]

د - الْأَشْتَرُ عَلَى مُقَدِّمَةِ جَيْشِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

400. تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي : إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا قَطَعَ الْفُرَاتَ دَعَا زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَشُرَيْحَ بْنَ هَانِيٍّ فَسَرَّحَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مُعَاوِيَةَ عَلَى حَالِهِمَا الَّتِي كَانَا خَرَجَا عَلَيْهَا مِنَ الْكُوفَةِ . قَالَ : وَقَدْ كَانَا حَيْثُ سَرَّحَهُمَا مِنَ الْكُوفَةِ أَخَذَا عَلَى شَاطِئِي الْفُرَاتِ مِنْ قِبَلِ الْبَرِّ مِمَّا يَلِي الْكُوفَةَ حَتَّى بَلَغَا عَانَاتِ [2] ، فَلَبَّغَهُمَا أَخَذَ عَلِيٌّ عَلَى طَرِيقِ الْجَزِيرَةِ ، وَبَلَغَهُمَا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ دِمَشْقٍ فِي جُنُودِ أَهْلِ الشَّامِ لِاسْتِغْبَالِ عَلِيٍّ فَقَالَا : لَا وَاللَّهِ ، مَا هَذَا لَنَا بِرَأْيٍ أَنْ نَسِيرَ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْبَحْرُ ! وَمَا لَنَا خَيْرٌ فِي أَنْ نَلْقَى جُنُودَ أَهْلِ الشَّامِ بِقِلَّةٍ مِنْ مَعْنَا مُنْقَطِعِينَ مِنَ الْعَدَدِ وَالْمَدَدِ . فَذَهَبُوا لِيَعْبُرُوا مِنْ عَانَاتٍ ، فَمَنَعَهُمْ أَهْلُ عَانَاتٍ وَحَبَسُوا عَنْهُمْ السُّفْنَ ، فَأَقْبَلُوا رَاجِعِينَ حَتَّى عَبَرُوا مِنْ هَيْبِ [3] ، ثُمَّ لَحِقُوا عَلِيًّا بِقَرْبَةٍ دُونَ قَرْقِيسِيَاءَ [4] وَقَدْ أَرَادُوا أَهْلَ

[1] وقعة صفين : ص 142 .

[2] عَانَاتٍ : عانة بلد في العراق مشهور بين الرقة وهيت ، وجاء في الشعر (عانات) كأنه جمع لما حوله ، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة (معجم البلدان : ج 4 ص 72) .

[3] هَيْت : بلدة في العراق على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (معجم البلدان : ج 5 ص 421) .

[4] قَرْقِيسِيَاء : بلد على نهر الخابور قرب صَقِين والرَّقَّة ، وعندها مصبّ الخابور في الفرات ، وهي الآن في العراق (راجع : معجم البلدان : ج 4 ص 328) .

400. تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي : عاناتٍ فَتَخَصَّصُوا وَقَرُّوا ، وَلَمَّا لَحِقَتِ الْمُقَدِّمَةُ عَلِيًّا قَالَ : مُقَدِّمَتِي تَأْتِينِي مِنْ وَرَائِي ! فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ وَشَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ فَأَخْبَرَاهُ بِالَّذِي رَأَى حِينَ بَلَغَهُمَا مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَهُمَا . فَقَالَ : سَدَدْتُمَا . ثُمَّ مَضَى عَلِيٌّ فَلَمَّا عَبَرَ الْفُرَاتَ قَدَّمَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى سُرور الرُّومِ لَقِيَهُمَا أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ عَمَرُو بْنُ سَفِيَّانٍ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَرْسَلَا إِلَى عَلِيٍّ : إِنَّا قَدْ لَقِينَا أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَقَدْ دَعَوَانَهُمْ فَلَمْ يُجِبْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ . فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَى الْأَشْتَرِ فَقَالَ : يَا مَالِكُ ، إِنَّ زِيَادًا وَشَرِيحًا أَرْسَلَا إِلَيَّ يُعْلِمَانِي أَنَّهُمَا لَقِيا أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْبَأَنِي الرَّسُولُ أَنَّهُ تَرَكَهُمُ مُتَوَاقِفِينَ ، فَالْتَجَاءُ إِلَى أَصْحَابِكَ النَّجَاءُ ، فَإِذَا قُدِّمَتْ عَلَيْهِمْ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ يَبْذُوكَ حَتَّى تَلْقَاهُمْ فَتَدْعُوهُمْ وَتَسْمَعَ ، وَلَا يَجْرِمَنَّ شَتَائُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذارَ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَاجْعَلْ عَلَى مِيمَتِكَ زِيَادًا وَعَلَى مِيسْرَتِكَ شَرِيحًا وَوَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا ، وَلَا تَدْنُ مِنْهُمْ دُنُوٌّ مِنْ بَرِيدٍ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ ، وَلَا تَبَاعِدْ مِنْهُمْ بَعْدَ مَنْ يَهَابُ الْبَاسَ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي حَثِيْتُ السَّيْرَ فِي أَتْرَاكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : وَكَانَ الرَّسُولُ الْحَارِثُ بْنُ جُمَهَانَ الْجُعْفِيُّ فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى زِيَادٍ وَشَرِيحٍ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا مَالِكًا فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا ، فَإِنَّهُ يَمْنَنُ لَا يُخَافُ رَهَقَهُ وَلَا سِقَاطَهُ وَلَا بَطُوَّهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ، وَلَا الْإِسْرَاعُ إِلَى مَا الْإِبْطَاءُ عَنْهُ أَمْتَلُ ، وَقَدْ أَمَرْتُهُ بِمِثْلِ الَّذِي كُنْتُ أَمَرْتُكُمَا بِهِ إِلَّا بَدَأَ الْقَوْمَ حَتَّى يَلْقَاهُمْ فَيَدْعُوهُمْ وَيُعْذِرَ إِلَيْهِمْ . [1]

[1] عَانَات : عانة بلد في العراق مشهور بين الرَّقَّة وهيت ، وجاء في الشعر (عانات) كأنَّه جمع لما حوله ، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة (معجم البلدان : ج 4 ص 72) .

[2] هَيْت : بلدة في العراق على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (معجم البلدان : ج 5 ص 421) .

[3] قَرْقِيسِيَاء : بلد على نهر الخابور قرب صَقِين والرَّقَّة ، وعندها مصبّ الخابور في الفرات ، وهي الآن في العراق (راجع : معجم البلدان : ج 4 ص 328) .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 566 .

ه - مُوَاخَظَةُ مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِيِّينَ

401. تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي : خَرَجَ الْأَشْتَرُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْقَوْمِ ، فَاتَّبَعَ مَا أَمَرَهُ عَلِيٌّ وَكَفَّ عَنِ الْقِتَالِ ، فَلَمْ يَرَالُوا مُتَوَاقِفِينَ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ حَمَلَ عَلَيْهِمُ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ ، فَتَبَتُوا لَهُ وَاضْطَرَبُوا سَاعَةً ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ انْصَرَفُوا . ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمُ مِنَ الْغَدِ هَاشِمُ بْنُ عُثْبَةَ الزُّهْرِيُّ فِي خَيْلٍ وَرِجَالٍ حَسَنٍ عَدَدُهَا وَعُدَّتُهَا ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْأَعْوَرِ فَأَقْتَتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ، تَحْمِلُ الْخَيْلُ عَلَى الْخَيْلِ وَالرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ ، وَصَبَرَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ فَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ . بْنُ الْمُنْبِرِ التَّنُوخِيُّ قَتَلَهُ يَوْمَئِذٍ طَبِيبَانِ بْنُ عَمَّارِ التَّمِيمِيِّ وَمَا هُوَ إِلَّا فَتَى حَدَثٌ وَإِنْ كَانَ التَّنُوخِيُّ لِفَارِسِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَخَذَ الْأَشْتَرُ يَقُولُ : وَيَحْكُمُ ! أَرُونِي أَبَا الْأَعْوَرِ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْأَعْوَرِ دَعَا النَّاسَ فَرَحَعُوا نَحْوَهُ ، فَوَقَفَ مِنْ وَرَاءِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَجَاءَ الْأَشْتَرُ حَتَّى صَفَّ أَصْحَابَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَبُو الْأَعْوَرِ ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ لِسَيْنَانَ بْنِ مَالِكٍ النَّخَعِيِّ : انْطَلِقْ إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ فَادْعُهُ إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَقَالَ : إِلَى مُبَارَاةٍ أَوْ مُبَارَاةٍ ؟ فَقَالَ لَهُ الْأَشْتَرُ : لَوْ أَمَرْتُكَ بِمُبَارَاةٍ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ ، لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَعْتَرِضَ صَفَّهُمْ بِسَيْفِي مَا رَجَعْتُ أَبَدًا حَتَّى أَضْرِبَ بِسَيْفِي فِي صَفِّهِمْ ، قَالَ لَهُ الْأَشْتَرُ : يَابْنَ أَخِي ، أَطَالَ اللَّهُ بُغَاءَكَ ! قَدْ وَاللَّهِ ، أَرَدْتُ رَغْبَةً فِيكَ لَا أَمَرْتُكَ بِمُبَارَاةٍ إِنَّمَا أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُوهُ إِلَى مُبَارَاةٍ ، إِنَّهُ لَا يَبْزُزُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ إِلَّا لِدَوَى الْأَسْنَانِ وَالْكَفَاءَةِ وَالشَّرَفِ ، وَأَنْتَ - لِرَيْكَ الْحَمْدُ - مِنْ أَهْلِ الْكَفَاءَةِ وَالشَّرَفِ غَيْرَ أَنَّكَ فَتَى حَدَثَ السِّنِّ ، فَلَيْسَ بِمُبَارِزٍ الْأَحْدَاثِ وَلَكِنْ ادْعُهُ إِلَى مُبَارَاةٍ . فَأَنَاهُ فَنَادَى : آمِنُونِي فَإِنِّي رَسُولُ قَاوِمِينَ ، فَجَاءَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ . قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ أَبُو زُهَيْرٍ الْعَيْسِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي سَيْنَانٌ قَالَ : قَدِّمْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : إِنَّ الْأَشْتَرَ يَدْعُوكَ إِلَى مُبَارَاةٍ . قَالَ : فَسَكَتَ عَنِّي

401. تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي : طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : إِنَّ خِصَّةَ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ هُوَ حَمَلُهُ عَلَى إِجْلَاءِ عُمَالِ ابْنِ عَقَّانٍ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَانْتِزَاؤُهُ عَلَيْهِ يُفَيِّحُ مَحَاسِنَهُ ، وَمِنْ خِصَّةِ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ أَنْ سَارَ إِلَى ابْنِ عَقَّانٍ فِي دَارِهِ وَقَرَارِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، فِيمَنْ قَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مُتَّبَعًا بِدَمِهِ ، أَلَا لَا حَاجَةَ لِي فِي مُبَارَاةٍ . قَالَ : قُلْتُ : إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فَاسْمَعْ حَتَّى أَجِيبَكَ ، فَقَالَ : لَا ، لَا حَاجَةَ لِي فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنْكَ وَلَا فِي جَوَابِكَ ، اذْهَبْ عَنِّي . فَصَاحَ بِي أَصْحَابُهُ فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ ، وَلَوْ سَمِعَ إِلَيَّ لِأَخْبَرْتُهُ بِعُذْرِ صَاحِبِي وَخُجَّتِهِ . فَارْجَعْتُ إِلَى الْأَشْتَرِ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ قَدْ أَبَى الْمُبَارَاةَ ، فَقَالَ : لِنَفْسِي نَظَرٌ . فَوَاقَفْنَاهُمْ حَتَّى حَجَرَ اللَّيْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَا

مُتَحَارِسِينَ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا تَطَرْنَا فَإِذَا الْقَوْمُ قَدْ انْصَرَفُوا مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ ، وَبُصِخْنَا عَلَيَّ مِنْ أَبِي طَالِبٍ عُذْوَةً . فَقَدِمَ الْأَشْتَرُ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْمُقَدِّمَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُعَاوِيَةَ قَوَاقِفُهُ ، وَجَاءَ عَلَيٌّ فِي أَثَرِهِ فَلَحِقَ بِالْأَشْتَرِ سَرِيعًا وَقَوَّفَ وَتَوَاقَفُوا طَوِيلًا . [1]

7 / 2

مواجهة الجيشين

توجّه الإمام عليه السلام من الكوفة باتجاه الشام في شهر شوال من عام 36 هـ ، ولما كان الطريق المستقيم بينهما يمرّ عبر صحراء جرداء لا عشب فيها ولا ماء ولم تكن للإمام عليه السلام المعدّات الكافية لدعم جيشه الذي قوامه مئة ألف ، اختار الطريق المحاذي للفرات (أي مسير الجزيرة) . فمرّ على كربلاء وهيت و ... حتى وصل إلى الرقة قرب صفين . فالتقت مقدّمة جيش الإمام بقيادة مالك الأشتر مع مقدّمة جيش معاوية

[1] تاريخ الطبري : ج4 ص567 .

واضطرتهم للفرار ، وهي أوّل مواجهة بين الجيشين في صفين ، والذي شرع بهذه المواجهة جيش معاوية . وفي أواخر ذي القعدة وصل جيش الإمام إلى صفين ، بعد وصول جيش معاوية إليها لقرّبها من الشام ، واحتلال المناطق الحسّاسة من المنطقة . وقد نظّم معاوية جيشه بنحوٍ بحيث لا يتمكّن جيش الإمام من الوصول للماء . فنصحهم الإمام عليه السلام ، وأرسل اليهم رسولا في ذلك ، لكن دون جدوى . فهجم الأشتر والأشعث على جيش معاوية - بعد موافقة الإمام على ذلك - واستولوا على الماء . فأمر الإمام عليه السلام بتنظيم الجيش بنحوٍ يتمكّن معه الجيشان من الماء . وبهذا انتصر الإمام عليه السلام نصراً معنوياً سجّله التاريخ في صفحاته بماء الذهب بأنّ الإمام يمنع التوسّل بالسبل غير الإنسانية في مواجهة العدوّ لتحقيق النصر . ثمّ أرسل الإمام عليه السلام ممثليه إلى معاوية كي يدفعوا به إلى الاستسلام ، ويحولون دون وقوع الحرب وإراقة الدماء . فلمّا أقبلوا على معاوية طردهم بغضب . وفي شهر ذي الحجة حصلت مناوشات ومواجهات متفرّقة بين الجيشين ؛ إذ كان الإمام في صدد إنهاء ذلك بالصلح دون الحرب ، ولذا لم تكن المواجهة بين تمام الجيشين . ثمّ انقطعت هذه المواجهات المتفرّقة في شهر محرّم من عام 37 هـ ، وصارت محادثات الصلح بصورة أكثر جدّية ، لكنّها لم تثمر شيئا كسابقاتها . فلمّا تقطّعت جميع السبل تهبّ الإمام عليه السلام للحرب ، فبدأت الحرب يوم الأربعاء أوّل شهر صفر عام 37 هـ . وكانت الحرب في الأسبوع الأوّل بهذه الكيفيّة : يخرج صباح كلّ يوم أحد القادة الأبطال لجيش الإمام ويحارب العدوّ حتى المساء ، ثم تنقطع الحرب إلى اليوم التالي دون حصول نصر لأحد الطرفين على

الآخر خلال هذه المدة . وكان قادة الجيش في هذه الأيام : مالك الأشتر ، وعمار بن ياسر ، ومحمّد ابن الحنفية ، وعبد الله بن عباس ، وهاشم بن عتبة ، وقيس بن سعد . لكن الحرب اشتدّت في يوم الأربعاء الثامن من صفر واتّخذت شكلاً آخر ؛ حيث اشترك فيها تمام الجيشين . وقد استقرّ الإمام عليه السلام في القلب ، وتولّى قيادة الجيش بنفسه . واستشهد عدد كثير من كبار الجيش في هذا اليوم ويوم الخميس . ولمّا كان قصد الإمام حسم الأمر لم تتوقّف الحرب عند غروب الخميس بل استمرّت ليلة الجمعة أيضاً ، وكانت أشدّ ليلة طوال الحرب ، ولهذا سُمّيت «ليلة الهرير» . وكان الإمام عليه السلام حاضراً بنفسه في أرض المعركة يوم الخميس وليلة الجمعة ، وقتل بيده 523 شخصاً أكثرهم من شجعان أهل الشام . ولشدّة الحرب صلّى أصحاب الإمام عليه السلام في ميدان القتال إيماءً . وفي صباح الجمعة أشرقت الشمس وأطلّت على ظفر جيش الإمام وانكسار وهزيمة أهل الشام . وأشرف مالك الأشتر والسريّة التي يقودها على خيمة معاوية - التي يقود الجيش منها - بحيث صمّم معاوية على الاستسلام وطلب الأمان ، لكن جرى قلم القدر على شيء آخر ؛ فتلاقح جهل الخوارج مع حيلة عمرو بن العاص فأنتجا نجاة معاوية !

أ - مكَافَأَةُ الْإِسَاءَةِ بِالْإِحْسَانِ

402. شرح نهج البلاغة - في ذِكْرِ الْقِتَالِ عَلَى الْمَاءِ وَاسْتِيلَاءِ أَصْحَابِ: قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَشِيعَتُهُ: إِمْتَعَهُمُ الْمَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! كَمَا مَتَعُوكَ ، وَلَا تَسْقِهِمْ مِنْهُ قَطْرَةً ،

402. شرح نهج البلاغة - في ذِكْرِ الْقِتَالِ عَلَى الْمَاءِ وَاسْتِيلَاءِ أَصْحَابِ وَأَقْتُلُهُمْ بِسُيُوفِ الْعَطَشِ ، وَخُذْهُمْ قَبْضًا بِالْأَيْدِي فَلَا حَاجَةَ لَكَ إِلَى الْحَرَبِ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَكْفِيهِمْ يَمِثِلَ فِعْلِهِمْ ، فَاسْخَوْا لَهُمْ عَنْ بَعْضِ الشَّرِيعَةِ ، فَفِي حَدِّ السَّيْفِ مَا يُغْنِي عَنْ ذَلِكَ . [1]

ب - يَدَايَةُ الْقِتَالِ

403. تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي - في بيان ابتداء الحرب في ذي الحجة -: أَخَذَ عَلِيٌّ بِأَمْرِ الرَّجُلِ ذَا الشَّرَفِ فَيَخْرُجُ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ آخَرٌ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَيَقْتَتِلَانِ فِي خَيْلِهِمَا وَرِجَالِهِمَا ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ ، وَأَخَذُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَلْقُوا يَجْمَعُ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّامِ لِمَا يَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِسْتِصَالِ وَالْهَلَاكِ ، فَكَانَ عَلِيٌّ يُخْرِجُ مَرَّةً الْأَشْتَرُ ، وَمَرَّةً حُجْرَ بْنِ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ ، وَمَرَّةً شَبَّابَ بْنَ رُبَيْعٍ ، وَمَرَّةً خَالِدَ بْنَ الْمُعَمَّرِ ، وَمَرَّةً زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ الْحَارِثِيَّ ، وَمَرَّةً زِيَادَ بْنَ حَصَفَةَ النَّيْمِيَّ ، وَمَرَّةً سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ ، وَمَرَّةً مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيَّ ، وَمَرَّةً قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْقَوْمِ خُرُوجًا إِلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُخْرِجُ إِلَيْهِمُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدِ الْمَخْزُومِيَّ وَأَبَا الْأَعْوَرِ السَّلْمِيَّ ، وَمَرَّةً حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيَّ ، وَمَرَّةً ابْنَ ذِي الْكَلَّاعِ الْجَمِيرِيَّ ، وَمَرَّةً عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَمَرَّةً شَرْحِبِيلَ بْنَ السِّمِطِ الْكِنْدِيَّ ، وَمَرَّةً حَمْرَةَ بْنَ مَالِكِ الْهَمْدَانِيَّ ، فَأَقْتَتَلُوا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ كُلِّهَا وَرَبَّمَا اقْتَتَلُوا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَرَّتَيْنِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ . قَالَ أَبُوْمُخَنَّفٍ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْفَائِشِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي أَنَّ الْأَشْتَرَ خَرَجَ يَوْمًا يُقَاتِلُ بِصَقِينَ فِي رِجَالٍ مِنَ الْقُرَاءِ وَرِجَالٍ مِنْ فُرْسَانِ الْعَرَبِ ، فَاسْتَدَّ فِتَالَهُمْ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَجُلٌ وَاللَّهِ لَقَلَّمَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ هُوَ أَطْوَلُ وَلَا أَعْظَمُ مِنْهُ ،

[1] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 24 .

403. تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي - في بيان ابتداء الحرب في ذي الحجة - فدعا إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد إلا الأشتر ، فاختلعا ضربتين فصرته الأشتر فقتله ، وإبم الله ، لقد كنا أشقنا عليه ، وسألناه ألا يخرج إليه ، فلما قتله الأشتر نادى مناد من أصحابه : 0 يا سَهْمَ سهم بن أبي العيزار يا خير من تعلمه من زار 0 وزاره : حي من الأرد . وقال : أفسيم بالله لأقتلن فإتلك أو ليقتلني . فخرج فحمل على الأشتر وعطف عليه الأشتر فصرته ، فإذا هو بين يدي فرسيه ، وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحا . فقال أبو ربيعة القهمي : هذا كان نارا فصادف إعصارا . واقتتل الناس ذا الحجة كله ، فلما انقضى ذو الحجة تداعى الناس إلى أن يكف بعضهم عن بعضي المحرم ، لعن الله أن يجري صلحا أو اجتماعا ، فكف بعضهم عن بعض . [1]

ج - الهدنة رجاء الصلح

404. تاريخ الطبري - في أخبار سنة 37 هجرية :- كان في أول شهر منها وهو المحرم موادة الحرب بين عليّ ومعاوية ، قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضاء طمعا في الصلح . [2]

د - الاستثناء رجاء الإهيداء

405. الإمام عليّ عليه السلام - من كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه : أمّا قولكم : أكل ذلك كراهية الموت ؟ فوالله ما أبالي ، دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ . وأمّا قولكم : شكّا في أهل الشام ، فوالله ما دفعت الحرب يوما إلّا وأنا أطمع أن

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 574 .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 5 .

405. الإمام عليّ عليه السلام - من كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه تلحق بي طائفة فتهتدي بي ، وتعيشو [1] إلى صوفي ، وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلاليها ، وإن كانت ثبوء يأتاها . [2]

8 / 2

القتال

أ - دعاء الإمام عليه السلام قبل القتال

406. الإمام عليّ عليه السلام - يوم صقين :- اللهم إليك رُفِعَتِ الأبصارُ ، وبُسيطَتِ الأيدي ، وثُقلتِ الأقدامُ ، ودَعَتِ الألسُنُ ، وأُفصَتِ القلوبُ ، وثُحوِكِمَ إليك في الأعمالِ ، فأحكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الفايحين . اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وقلّة عددينا وكثرة عدوينا وتشتت أهواننا وشيعة الزمان وظهور الفتن . أعنا عليهم بقتي تعجله ، ونصري نعرِ به سلطان الحق وظهوره . [3]

ب - الأمر بالقتال

407. الأخبار الطوال : لما انسَلَخَ الْمُحَرَّمُ بَعَثَ عَلِيٌّ مُنَادِيَا ، فَنَادَى فِي عَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ : إِنَّا أَمْسَكْنَا لِتَنْصَرِمَ الْأَشْهُرَ الْخُرْمَ ، وَقَدْ تَصَرَّمَتْ ، وَإِنَّا نَبِيدُ إِلَيْكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ . [4]

ج - تحريض الإمام عليه السلام أصحابه على القتال

408. تاريخ دمشق عن ابن عباس : عَمِمَ النِّسَاءُ أَنْ يَأْتِينَ بِمِثْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ رَجُلًا يَوْزَنُ بِهِ ، لَرَأَيْتُهُ - يَوْمَ صَقِينَ

[1] يعيشو : يُبْصِرُ بِهَا بَصَرًا ضَعِيفًا (النهاية : ج 3 ص 243) .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 55 .

[3] وقعة صفين : ص 231 .

[4] الأخبار الطوال : ص 171 .

408. تاريخ دمشق عن ابن عباس : رأسه عمامة قد أرخى طرفيها كأن عينيها سراجا سليلط وهو يقف على شيرذمة يحضهم حتى انتهى إليّ وأنا في كنف من الناس فقال : معاشير المسلمين ! استشعروا خشية ، وغضوا الأصوات ، وتجلّبوا السكينة ، وأعملوا الأسنة ، وأقلقوا السيوف قبل السيلة ، وأطعنوا الرّخ [1] ، ونافحوا بالطبا ، وصلّوا السيوف بالخطا ، والنبال بالرماح ، فأتكم بعين الله . ومع ابن عمّ نبيّه صلى الله عليه وآله . عاودوا الكرّ ، واستحبوا من القرّ : فإنّه عارّ باقٍ في الأعقاب والأعناق ، وناز يوم الحساب ، وطبوا عن أنفسكم أنفسا ، وامشوا إلى الموت أسحجا [2] ، وعليكم بهذا السواد الأعظم ، والزّواقي المطنّبة [3] ، فاضربوا نبتة [4] ؛ فإن الشيطان راكب صعبه ، ومفرس ذراعيه ، قد قدّم للوثبة يدا ، وآخر للثكوص رجلا ، فصمدا صمدا حتى يتجلّى لكم عمود الدين « وأنتم الأغلوّن والله معكم وكن يترككم أعمالكم » [5] . [6]

د - اليوم الأوّل من القتال

409. مروج الذهب : وأصبح عليّ يوم الأربعاء - وكان أوّل يوم من صفر - فعبّا الجيش ، وأخرج الأشتر أمام الناس ، وأخرج إليه معاوية - وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق - حبيب بن مسلمة الفهريّ ، وكان بينهم قتال شديد سائر يومهم ، وأسفرت

[1] كذا في المصدر ، وفي نهج البلاغة : « الشّرر » . والطعن الشّرر : ما كان عن يمين وشمال (لسان العرب : ج 4 ص 404) .

[2] كذا في المصدر ، ولعلّها من سخّ الماء وغيره يسخّه سخّا : إذا صبّه صبا متتابعا كثيرا (لسان العرب : ج 2 ص 476) . وفي نهج البلاغة : « سُجّحا » . والشجّح : السهولة (النهاية : ج 2 ص 342) .

[3] في المصدر : « المطيّب » ، والصواب ما أثبتناه كما في مختصر تاريخ دمشق والمصادر الأخرى .

[4] تَبَجّه : وسطه ومعظمه (النهاية : ج 1 ص 206) .

[5] محمد : 35 .

[6] تاريخ دمشق : ج 42 ص 460 .

409. مروج الذهب : عن قتلى من القريقين جميعا ، وأنصرفوا . [1]

ه - اليوم الثاني من القتال

410. مروج الذهب : فلما كان يوم الخميس - وهو اليوم الثاني - أخرج عليّ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهريّ المرقال وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وإنما سمّي المرقال : لأنّه كان يرقل [2] في الحرب ، وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة عليّ . . . فأخرج إليه معاوية أبا الأعور السلمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن عليّ ، فكانت بينهم الحرب سجالا ، وأنصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير . [3]

و - اليوم الثالث من القتال

411. الأخبار الطوال : خرج يوما آخر عمّار بن ياسر في خيل من أهل العراق ، فخرج إليه عمرو بن العاص في ذلك ، ومعّه شقة سوداء على قنّاق . فقال الناس : هذا لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله . فقال عليّ رضى الله عنه : أنا مخيركم بقصة هذا اللواء : هذا لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : من يأخذه يحقّه ؟ فقال عمرو : وما حقّه يا رسول الله ؟ فقال : لا تورّ به من كافر ، ولا ثقال به مسلما .

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 387 .

[2] الإرقال : ضرب من الخبّ ؛ من قولهم : ناقة مرقال ؛ أي مُسرعة . وهو لقب هاشم بن عتبة الزهري ؛ سمّي به لشدة اتّصافه بهذا الوصف (مجمع البحرين

411. الأخبار الطوال : فَقَدَ قَرِيْبُهُ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَقَدْ قَاتَلَ يَوْمَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ . فَاقْتَتَلَ عَمْرُو وَعَمَارٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ . [1]

ز - الْيَوْمَ الرَّابِعُ مِنَ الْقِتَالِ

412. وقعة صفين عن عمر بن سعد : إِنَّ عُبيدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ تَقَدَّمَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ فَارِسًا مَذْكُورًا ، وَجَمَعَ مِنْ اسْتِطَاعَ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : إِنَّكَ تَلْفِي أَفَاعِيَّ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَارْفُوقًا وَائْتِدَ . فَلَقِيَهُ الْأَشْتَرُ أَمَامَ الْخَيْلِ مُزِيدًا - وَكَانَ الْأَشْتَرُ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ أَزِيدَ وَشَدَّ عَلَى الْخَيْلِ خَيْلَ الشَّامِ فَرَدَّهَا ، فَاسْتَحْيَا عُبيدَ اللَّهِ فَبَرَزَ أَمَامَ الْخَيْلِ - وَكَانَ فَارِسًا شَجَاعًا فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ قَطَعَتْهُ ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ ، وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ وَلِلْأَشْتَرِ الْفَضْلُ ، فَعَمَّ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ . [2]

ح - الْيَوْمَ الْخَامِسُ مِنَ الْقِتَالِ

413. تاريخ الطبري : فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْخَامِسُ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقَيْبَةَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَدَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقَيْبَةَ ، فَأَخَذَ الْوَلِيدُ يَسْبُغُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَخَذَ يَقُولُ : يَا بَنَ عَبَّاسٍ ! قَطَعْتُمْ أَرْحَامَكُمْ ، وَقَتَلْتُمْ إِمَامَكُمْ ، فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ صُنْعَ اللَّهِ بِكُمْ ؟ ! لَمْ تُعْطُوا مَا طَلَبْتُمْ ، وَلَمْ تُدْرِكُوا مَا أَمَلْتُمْ ، وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ مُهْلِكُكُمْ وَنَاصِرٌ عَلَيْكُمْ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنْ ابْرُزْ لِي ، فَأَبَى . وَقَاتَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَغَشِيَ النَّاسَ يَتَفَسِّهُ . [3]

[1] الأخبار الطوال : ص 174 .

[2] وقعة صفين : ص 429 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 13 .

ط - الْيَوْمَ السَّادِسُ مِنَ الْقِتَالِ

414. تاريخ الطبري : خَرَجَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَابْنُ ذِي الْكَلَعِ الْجَمْعِيُّ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْصَرَفَا . وَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ . [1]

ي - الْيَوْمَ السَّابِعُ مِنَ الْقِتَالِ

415. تاريخ الطبري - فِي ذِكْرِ أَحْدَاثِ الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الْحَرْبِ: خَرَجَ الْأَشْتَرُ ، وَعَادَ إِلَيْهِ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْيَوْمِ السَّابِعِ ، فَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْصَرَفَا عِنْدَ الظُّهْرِ ، وَكُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ . وَذَلِكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ . [2]

2 / 9

اشتداد القتال

أ - الْقِتَالُ الْجَمَاعِيُّ

416. تاريخ الطبري عن زيد بن وهب : أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : حَتَّى مَتَى لَا تُنَاهِضُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِأَجْمَعِنَا ! فَقَامَ فِي النَّاسِ عَشِيَّةَ الثَّلَاثَاءِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُبِيرُ مَا تَقْضَى ، وَمَا أَبْرَمَ لَا يَنْقُضُهُ التَّاقِضُونَ ، لَوْ شَاءَ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا تَنَازَعَتِ الْأُمَّةُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا جَحْدَ الْمَفْضُولِ ذَا الْفَضْلِ فَضْلَهُ . وَقَدْ سَاقَتْنَا وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأَقْدَارُ ، فَلَقَّتْ بَيْنَنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ ، فَتَحْنُ مِنْ رَبَّنَا بِمَرَأٍ وَمَسْمَعٍ ، فَلَوْ شَاءَ عَجَّلَ النِّقْمَةَ ، وَكَانَ مِنْهُ التَّغْيِيرُ ، حَتَّى يُكَذِّبَ اللَّهُ الطَّالِمَ ، وَيُعْلِمَ الْحَقُّ أَيْنَ مَصِيرُهُ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَعْمَالِ ، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ عِنْدَهُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ؛ «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْنَوْا بِمَا عَمِلُوا وَ يُجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْخُسْنَى» . [3]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 13 .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 13 .

[3] النجم : 31 .

416. تاريخ الطبري عن زيد بن وهب : أَلَا إِنَّكُمْ لَأَقْوُ الْقَوْمِ عَدَا ، فَأَطِيلُوا اللَّيْلَةَ الْيَامَ ، وَأَكْثِرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَسَلُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّصْرَ وَالصَّبْرَ ، وَالْقَوْهُمْ بِالْحِدِّ وَالْخَزْمِ ، وَكُونُوا صَادِقِينَ . ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَوَتَّبَ النَّاسَ إِلَى سُيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ وَنِبالِهِمْ يُصْلِحُونَهَا ، وَمَرَّ بِهِمْ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ التَّغْلِيْبِيُّ وَهُوَ يَقُولُ : 0 أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ عَدَا لِمَنْ غَلَبَ 0 0 فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ عَدَا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ [1] 0

ب - إِسْتِشْهَادُ أُوَيْسِ بْنِ عَامِرٍ الْقَرْنِيِّ

417. تاريخ دمشق عن سعيد بن المسيب - في ذكر أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ :- عَادَ فِي أَيَّامِ عَلِيٍّ فِقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتُشْهِدَ فِي صَقِينِ أَمَامَهُ ، فَتَنَظَرُوا قِيَادًا عَلَيْهِ نِيْفًا وَأَرْبَعُونَ جِرَاحَةً ، مِنْ طَعْنَةٍ ، وَضَرْبَةٍ ، وَرَمِيَةٍ . [2]

ج - إِسْتِشْهَادُ هَاشِمِ بْنِ عُبَيْتَةَ

418. مروج الذهب : إِنَّ هَاشِمًا الْمِرْقَالَ لَمَّا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَجُودُ يَنْفُسِيهِ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا عُيْبُذُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مَطْرُوحًا إِلَى قُرْبِهِ جَرِيحًا ، فَحَبَا حَتَّى دَنَا مِنْهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْضُ عَلَى تَدْيِيهِ حَتَّى تَبَتَّتَ فِيهِ أَسْنَانُهُ لِعَدَمِ السِّلَاحِ وَالْقُوَّةِ . [3]

د - إِسْتِشْهَادُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ

كان عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَحَابِيًّا ، حَلِيفَ الْحَقِّ ، مُؤَاظِرًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَكَانَ مُهَذَّبَ النَّفْسِ ، طَاهِرَ النَّقِيْبَةِ ، مَحْمُودَ السَّرِيْرَةِ ، سَلِيْمَ الْقَلْبِ ، مَفْعَمًا بِحَبِّ اللَّهِ تَعَالَى .

[1] تاريخ الطبري : ج5 ص13 .

[2] تاريخ دمشق : ج9 ص434 .

[3] مروج الذهب : ج2 ص397 .

إِنَّ عَمَّارًا وَمَا تَحَمَّلَهُ مِنْ مَشَاقِّ وَجْهِهِ فِي سَبِيلِ الدِّينِ وَإِرْسَاءِ دَعَائِمِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْفَتَى صَفْحَةً مُشْرِقَةً تَتَأَلَّقُ فِي التَّأْرِيْخِ الْإِسْلَامِيِّ ؛ فَكَانَ ذَا بَصِيْرَةٍ ثَاقِبَةٍ ، وَرُؤْيَا نَافِذَةٍ ، وَخُطُوبَاتٍ وَطِيْدَةٍ ، فَقَدْ كَانَ يَرَى الشَّرْكَ عَلَى حَقِيْقَتِهِ مِنْ بَيْنِ رَكَامِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيْعَةِ وَالظُّوَاهِرِ الْمَمْوُهِةِ بِالْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ . وَكَانَ يَقِفُ وَقْفَةً مَهِيْبَةً أَمَامَ رَاْيَةِ أَهْلِ الشَّامِ وَيَقُولُ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ قَاتَلْتُ بِهَذِهِ الرَّايَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَهَذِهِ الرَّايَةُ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ صَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا شَعَفَاتِ هَجَرَ لَعَرَفْتُ أَنَّ مُصْلِحِينَ عَلَى الْحَقِّ ، وَأَتَّهَمُ عَلَى الضَّلَالَةِ . [1] وَهَكَذَا كَانَ وَجُودُ عَمَّارٍ فِي صَقِينِ بَاعِثًا عَلَى زَهْوِ الْبَعْضِ ، وَمَوْلِدًا الذَّعْرَ فِي نَفُوسِ الْبَعْضِ الْآخَرِ ، وَمَثِيرًا لِلتَّأَمُّلِ عِنْدَ آخَرِينَ . وَلَمَّا عَلِمَ الزُّبَيْرُ بِحُضُورِهِ فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ ، طَفِقَ يَنْتَضِعُ [2] . وَأَرَابَ وَجُودَهُ فِي صَقِينِ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ قَدْ قَالَ لَهُ : «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» [3] ، وَقَالَ : «يَلْتَقِي أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَعَمَّارٌ فِي أَهْلِ الْحَقِّ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» [4] ، وَقَالَ : «لَيْسَ يَنْبَغِي لِعَمَّارٍ أَنْ يُفَارِقَ الْحَقَّ ، وَلَنْ تَأْكُلَ النَّارُ مِنْهُ شَيْئًا» [5] ، وَقَالَ : «إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ كَانَ ابْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الْحَقِّ . . .» . [6] وَحَاوَلَ الْكَثِيرُونَ أَنْ يَرَوْا عَمَّارًا ، وَيَسْمَعُوا كَلَامَهُ ؛ كَيْ يَسْتَزِيدُوا مِنَ التَّعَرُّفِ

[1] مسند ابن حنبل : ج6 ص480 ح18906 .

[2] الأخبار الطوال : ص147 .

[3] نقل سبعة وعشرون صحابيًا هذا الحديث بألفاظ مختلفة ، راجع : صحيح البخاري : ج1 ص172 ح436 وج3 ص1035 ح2657 ، صحيح مسلم : ج4 ص2235 ح70 و ص2236 ح72 .

[4] وقعة صقین : ص335 .

[5] وقعة صقین : ص335 .

[6] المعجم الكبير : ج10 ص96 ح10071 .

على حَقَّانِيَّة أمير المؤمنين عليه السلام من خلال كلام هذا الشيخ الجليل الفتيّ القلب . . . الذي ينبع حديثه من أعماق قلبه ، من أجل أن يتنبَّتوا من مواضع أقدامهم . ولمّا تجنّدل ذلك الشيخ المتفاني ذو القَدِّ الممشوق ، وتضمَّخ بدمه ، وشرب كأس المنون . . . كبر ذلك على كلا الجيشين . ورأى مثيرو الفتنة ومسعرو الحرب ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر أعينهم ، وإذ شقَّ عليهم وصمة «الفئة الباغية» فلا بدَّ أن يحتالوا بتنميق فتنة أخرى وخديعة ثانية ؛ ليحولوا دون تضعُّع جندهم ، وهذا ما فعله معاوية . [1] فقد إمامنا العظيم - صلوات الله عليه - أخلص أصحابه وأفضلهم ، وقُطع عضده المقتدر ، واغتمت نفسه المقدَّسة وضاق صدره ، فقال : رَجِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ أُسْلِمَ ، وَرَجِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ قُتِلَ ، وَرَجِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ يُعْثَى حَيًّا . [2]

هـ - إضطرابُ حبشِ مُعاوِيَةَ

419. شرح نهج البلاغة : قال مُعاوِيَةُ لَمَّا قُتِلَ عَمَّارٌ - وَاضْطَرَبَ أَهْلُ الشَّامِ لِرِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ كَانَتْ لَهُمْ : «تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» - : إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحَرْبِ وَعَرَّضَهُ لِلْقَتْلِ ! فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَرَسَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَنْ قَاتِلْ حَمْرَةَ ! [3]

و - إستهزاءُ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ

420. الطبقات الكبرى عن عمارة بن خزيمة بن ثابت : شَهِدَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ الْجَمَلَ وَهُوَ لَا يَسْلُ سَيْفًا ، وَشَهِدَ صِقِينَ وَقَالَ : أَنَا لَا أَصِلُ [4] أَبَدًا حَتَّى يُقْتَلَ عَمَّارٌ ، فَأَنْظَرَ مَنْ يَقْتُلُهُ ؛ فَإِنِّي

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 41 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 262 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 20 ص 334 ح 835 .

[4] كذا في المصدر ، والصحيح : «لا أصول» أي لا أقاتل كما في أسد الغابة .

420. الطبقات الكبرى عن عمارة بن خزيمة بن ثابت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ . فَلَمَّا قُتِلَ عَمَّارٌ بْنُ يَاسِرٍ قَالَ خُزَيْمَةُ : قَدْ بَاتَتْ لِي الصَّلَاةُ ، وَاقْتَرَبَ قِتَالِي حَتَّى قُتِلَ . [1]

ز - قِتَالُ الْأَشْتَرِ

تؤدّي الحوادث العصبية ومشقّات الحياة وصروف الدهر دورًا مهمًّا في صقل الناس ، وتبلور رفعتهم وعزّتهم . إنّ هذا النوع من الحوادث كما يُجَلِّي عظمة الروح الإنسانيّة بنحو بَيِّن ، فإنّه يترك أثره العميق في إيجاد الأرضيّة التي تتبلور فيها شخصيّة الإنسان في بعض الأحيان ، وبها تتجلّى بوطن الناس ؛ فإنّه في صروف الدهر وحدثانه تُعرف حقيقة الإنسان ، وقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ» [2] خير آية على هذه الحقيقة العميقة . وهكذا كانت معركة صقّين مرآة تجلّت فيها شخصيّة مالك المتألّفة في تاريخ التشيّع ؛ فقد كان الوجه البارز ، والبطل الشجاع الباسل في هذه الحرب . 1 . كان دور مالك واضحًا في تحفيز الكوفيّين الذين كانوا يسمعون كلامه ، وفي إرسالهم إلى المعركة . 2 . كان له دور أساسي في تنظيم الجيش . 3 . كان مالك على مقدّمة الجيش ، وكانت هيمنته العظيمة ومواجهته البطوليّة لمقدّمة جيش معاوية - التي كان عليها أبو الأعور السلمي - قد أرغمتا هؤلاء على الفرار من الميدان .

[1] كذا في المصدر ، والصحيح : «لا أصول» أي لا أقاتل كما في أسد الغابة .

[2] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 259 .

[3] نهج البلاغة : الحكمة 217 .

[4] الرِّقَّة : من مدن سوريا الحاليّة، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام (راجع : معجم البلدان : ج 3 ص 59) .

4 . كان أهل الرقّة [1] من أنصار عثمان ، فدمروا الجسور المنصوبة على نهر الفرات لخلق العقبات أمام الجيش العلوي الذي كان قوامه مئة ألف مقاتل . فعزم الإمام عليه السلام على الرجوع والبحث عن معبر آخر ؛ لأنّه لم يُرد أن يستخدم القوّة العسكريّة ويقسر الناس على القيام بعمل شاقّ ، وهنا عرّف مالك نفسه لأهل الرقّة وهذّدهم ، فاضطّروا إلى نصب جسر للعبور ، وعبر الجيش بالفعل . 5 . حال جيش معاوية دون وصول جيش الإمام عليه السلام إلى الماء ، فاستبسل ومعه الأشعث بن قيس حتى تمكّن الجيش من الحصول على الماء . 6 . تولى مالك قيادة الخيّالة عند نشوب الحرب . 7 . كان له الدور الأكبر في صولات ذي الحجّة . وحين بدأت الحرب في شهر صفر ودامت ثمانية أيّام ، كان مالك في يومين منها قائدا عامًّا لها على الإطلاق . 8 . كان مقاتلاً لا نظير له في المواجهات الفرديّة ، ولم ينكس قطّ عند مواجهة أحد . 9 . في الأيّام الأخيرة من المعركة ، كان حلالاً للمشاكل العويصة فيها ، وكان يحضر بأمر مولاه حينما

ظهرت مشكلة فيبادر إلى حلّها . 10 . تألّق مالك تألّفا عظيما في وقعة الخميس وليلة الهرير . 11 . قاد مع أصحابه جولة مرعبة مهيبة من جولات صقّين ، فتقدّم حتى وصل خيمة معاوية فجرّ يوم الجمعة ، ولم يكن بينه وبين الانتصار الأخير وإخماد نار الفتنة الأمويّة إلّا خطوة واحدة ، فتأمّر الأشعث والخوارج وأجبروا الإمام عليه السلام على

[1] نهج البلاغة : الحكمة 217 .

[2] الرّقة : من مدن سوريا الحاليّة، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام (راجع : معجم البلدان : ج 3 ص 59) .



إرجاعه ، فابتعد عن خيمة معاوية بقلب ملؤه الأسى ؛ كي لا يصل إلى مولاه أذى . فبا عجا لكل هذا الإيثار مع ذلك التحجر ، واسوداد ضمائر المناوئين للإمام عليه السلام ، وقبح سرائرهم ! ! إن أعظم ما تميّز به مالك هو معرفته العميقة للإمام عليه السلام وتواضعه أمام مولاه ، ذلك التواضع النابع من وعيه القد ، ومعرفته العظيمة .

ح - قتال الإمام عليه السلام بنفسه

421. وقعة صفين عن جابر بن عمير الأنصاري - في بيان شجاعة علي عليه السلام في حرب: لا والله الذي بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق نبيا ، ما سمعنا يرتبس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب يده في يوم واحد ما أصاب ؛ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمئة من أعلام العرب ، يخرج يسفيه منحيا فيقول : معذرة إلى الله عز وجل وإليكم من هذا ، لقد هممت أن أصقله ولكن حزنني عنه أتت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يقول كثيرا : « لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي » وأنا أقبل به دونه . قال : فكنا تأخذة فنقومه ، ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصف ، فلا والله ما لبث بأشد يكأية في عدوه منه ، رحمه الله عليه رحمة واسعة . [1]

ط - طمأنينة الإمام عليه السلام في ساحة القتال

422. وقعة صفين عن أبي إسحاق : خرج علي يوم صفين وفي يده عنزة ، فمر على سعيد بن قيس الهمداني ، فقال له سعيد : أ ما تخشى يا أمير المؤمنين أن يقاتلك أحد وأنت قرب عدوك ؟ فقال له علي : إنه ليس من أحد إلا عليه من الله حقة يحفظونه من أن

[1] وقعة صفين : ص 477 .

422. وقعة صفين عن أبي إسحاق : يتردى في قليب [1] ، أو يجز عليه حائط ، أو تُصبه أفة ، فإذا جاء القدر خلوا بيته وبيته . [2]

ي - فضيحة عمرو بن العاص

423. عيون الأخبار عن المدائني : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك ، فقال له : مم تضحك يا أمير المؤمنين ، أضحك الله سيك ؟ قال : أضحك من حضور ذهيك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب ! أما والله لقد وافقتنا مئانا كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك . قال عمرو : يا أمير المؤمنين ، أما والله إني لئن بيمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك ، وربا سحرك ، وبدا منك ما أكره ذكره لك ، فمن تفسيك قاضحك أو دع !! [3]

ك - هجوم الإمام عليه السلام على المجموعة التي فيها معاوية

424. الأخبار الطوال : حمّل علي رضي الله عنه على الجمع الذي كان فيه معاوية في أهل الجواز من قريش والأنصار وغيرهم ، وكانوا زهاء اثني عشر ألف فارس ، وعليهم أماتهم ، وكبروا وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض ، فانتفضت صفوف أهل الشام ، واختلقت راياتهم ، وانتبهوا إلى معاوية وهو جالس على منبره معه عمرو بن العاص ينظران إلى الناس ، فدعا يقرس ليركبته . ثم إن أهل الشام تداعوا بعد جوليئهم ، وثابوا [4] ، ورجعوا على أهل العراق ، وصبر

[1] القليب : البئر التي لم تطو (النهاية : ج 4 ص 98) .

[2] وقعة صفين : ص 250 .

[3] عيون الأخبار لابن قتيبة : ج 1 ص 169 .

[4] ثاب الناس : اجتمعوا وجاؤوا (لسان العرب : ج 1 ص 243) .

424. الأخبار الطوال : القوم بعضهم ليعضي إلى أن حَزَرَ بَيْنَهُم اللَّيْلُ . [1]

ل - حيلة معاوية

425. وقعة صفين - في بيان ما قاله معاوية لعمرو بن الع: قد رأيت أن أكتب إلى عليّ كتاباً أسأله الشام - وهو الشيء الأول الذي رَدَّني عنه - وألقي في نفسيه الشك والريبة . فضجك عمرو بن العاصي ، ثم قال : أبن أنت يا معاوية من خدعة عليّ ؟ ! فقال : ألسنا بني عبد مناف ؟ قال : بلى ، ولكن لهم النبوة دوتك ، وإن شئت أن تكتب فأكتب . فكتب معاوية إلى عليّ مع رجل من السكاسيك ، يقال له عبد الله بن عتبة ، وكان من نافلة [2] أهل العراق ، فكتب : أما بعد ، فإني أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا ويك ما بلغت وعلمنا ، لم يجنّها بعضنا على بعضي ، وإنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ، ونصليح به ما بقي . وقد كنت سألتك الشام على ألا يلزمني لك طاعة ولا بيع ، فأبيت ذلك عليّ ، فأعطاني الله ما متعت ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإني لا أرجو من البقاء إلا ما أرجو ، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف . وقد والله رقت الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعصنا على بعضي فضل إلا فضل لا يستدل به عزيز ، ولا يستترق حر به . والسلام . [3]

م - جواب الإمام عليه السلام

426. وقعة صفين : فلما انتهى كتاب معاوية إلى عليّ قرأه ، ثم قال : العجب لمعاوية وكتابه !

[1] الأخبار الطوال : ص 181 .

[2] النافلة : ضد الفاطنين (ناج العروس : ج 15 ص 753) .

[3] وقعة صفين : ص 470 .

426. وقعة صفين : ثم دعا عليّ عبيد الله بن أبي رافع كاتبه ، فقال : أكتب إلى معاوية : أما بعد ؛ فقد جاءني كتابك ، تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا ويك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعضي ، فإنا وإياك منها في غاية لم تبلغها ، وإني لو قُلت في ذات الله وحبيته ، ثم قُلت ثم حبيت سبعين مرة ، لم أرجع عن الشدة في ذات الله ، والجهاد لأعداء الله . وأما قولك : إنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى ، فإني ما نقصت عقلي ، ولا ندمت على فعلتي . فأما طلبك الشام ، فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما متعتك منها أمس . وأما استواؤنا في الخوف والرجاء ؛ فإنك لست أمضى على الشك ميتي على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة . وأما قولك : إنا بنو عبد مناف ليس لبعصنا على بعضي فضل ؛ فلعمري إنا بنو أبي واحد ، ولكن ليس أمة كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالتليق ، ولا المجر كالمبطل . وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أدلنا بها العزيز ، وأعزنا بها الدليل . والسلام . [1]

10 / 2

أشد الأيام

أ - وقعة الخميس

كان يوم الخميس أشد أيام الحرب في صفين وأكثرها فزعا ؛ فقد كان الإمام عليه السلام يقاتل قتالاً شديداً في خضم تلك المعركة مضافاً إلى قيادته للجيش . وكان يُهيج الجيش للقتال بما صنعه من ملاحم عظيمة مثيرة تشجّع على خوض الحرب . ولم يهدأ القتال يومئذ لحظة واحدة ، حتى صلى الجند وهم يقاتلون .

[1] وقعة صفين : ص 471 .

وكثر القتلى حتى صاروا كالتلّ ، وجرح مالا يُحصى من الجيش ، وقتل الإمام عليه السلام آنذاك في يوم واحد (523) من مُنازلي الأقران ، ومن شجعان العرب . وكان كلما قتل يكبر ، ومن تكبيرات الإمام عليه السلام كانوا يعرفون عدد من يُصرع من العدو . وقد سُمّي ذلك اليوم «وقعة الخميس» أو «يوم الحرير» [1] .

427. وقعة صفين عن جندب الأزدّي : لما كان غداة الخميس لسبع خلون من صفر من سنة سبع وثلاثين ، صلى عليّ ، فغلس بالغداة . ما رأيت عليّاً غلس بالغداة أشد من تغليسه يومئذ . ثم خرج بالناس إلى أهل الشام فرحف إليهم ، وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم ، فإذا رأوه وقد رَحَف استقبلوه برحوفهم . [2]

428. مروج الذهب : كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ - وَهِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ - فَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ قَتَلَ عَلِيًّا بِكَفِّهِ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ خَمْسَمِئَةٍ وَثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ رَجُلًا ، أَكْثَرُهُمْ فِي الْيَوْمِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَتَلَ رَجُلًا كَبُرَ إِذَا صَرَبَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَضْرِبُ إِلَّا قَتَلَ . ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ مَنْ كَانَ يَلِيهِ فِي حَرَبِهِ وَلَا يُفَارِقُهُ مِنْ وَلَدِهِ وَغَيْرِهِمْ . [3]

429. الصراط المستقيم عن عمرو بن العاص - يَوْمَ الْهَرِيرِ :- لِلَّهِ دَرُّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ! مَا كَانَ أَكْثَرُهُ عِنْدَ الْحُرُوبِ ! مَا آتَسْتُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِلَّا وَسَمِعْتُهُ فِي آخِرِهِمْ ، وَلَا فِي الْمَيِّتَةِ إِلَّا وَسَمِعْتُهُ فِي الْمَيِّسَةِ . [4]

[1] قال المجلسي قدس سره - في بيان وجه تسمية ليلة الهرير - : إِنَّمَا سَمَّيْتُ اللَّيْلَةَ بِلَيْلَةِ الْهَرِيرِ لِكثَرَةِ أَصْوَاتِ النَّاسِ فِيهَا لِلْقِتَالِ ، وَقِيلَ : لِاضْطِرَارِّ مُعَاوِيَةَ وَفَزَعِهِ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَرْبِ وَاسْتِيْلَاءِ أَهْلِ الْعِرَاقِ كَالْكَلْبِ ؛ فَإِنَّ الْهَرِيرَ أُنِينُ الْكَلْبِ عِنْدَ شِدَّةِ الْبُرْدِ (مرآة العقول : ج 15 ص 427) .

[2] وقعة صفين : ص 232 .

[3] مروج الذهب : ج 2 ص 399 .

[4] الصراط المستقيم : ج 2 ص 4 .

430. وقعة صفين عن عمار بن ربيعة : إِنَّ عَلِيًّا قَامَ خَطِيْبًا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَنشَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! قَدْ بَلَغَ بِكُمْ الْأَمْرُ وَيَعْدُوْكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَجْرُ نَفْسِي ، وَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَقْبَلَتْ اعْتَبِرْ أَخْرِجْهَا بِأَوَّلِهَا ، وَقَدْ صَبَرَ لَكُمْ الْقَوْمُ عَلَى غَيْرِ دِينٍ حَتَّى بَلَّغْنَا مِنْهُمْ مَا بَلَّغْنَا ، وَأَنَا عَادٍ عَلَيْهِمْ بِالْغَدَاةِ أَحَاكِمُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ ، فَدَعَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِي ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو ! إِنَّمَا هِيَ اللَّيْلَةُ حَتَّى يَغْدُوَ عَلَيَّ عَلَيْنَا بِالْقِيَصْلِ ، قَمَا تَرَى ؟ قَالَ : إِنَّ رَجَالَكَ لَا يَقُومُونَ لِرَجَالِهِ ، وَلَسْتُ مِثْلَهُ ، هُوَ يُغَايِلُكَ عَلَى أَمْرٍ ، وَأَنْتَ تُغَايِلُهُ عَلَى غَيْرِهِ . أَنْتَ تُرِيدُ الْبَقَاءَ وَهُوَ يُرِيدُ الْقَنَاءَ ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ يُخَافُونَ مِنْكَ إِنْ طَفَرْتَ بِهِمْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ لَا يَخَافُونَ عَلَيًّا إِنْ طَفَرَ بِهِمْ . وَلَكِنْ أَلْقِ إِلَيْهِمْ أَمْرًا إِنْ قِيلُوا اخْتَلَفُوا ، وَإِنْ رَدُّوهُ اخْتَلَفُوا ؛ أَدْعُهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ حَكَمًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ؛ فَإِنَّكَ بَالِغٌ بِهِ حَاجَتِكَ فِي الْقَوْمِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ أَوْجِزُ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ قَتَ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ . فَعَرَفَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : صَدَقْتَ . [1]

ب - رَفْعُ الْمَصَاحِفِ

431. تاريخ اليعقوبي : رَحَفَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ وَظَهَرُوا عَلَى أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ ظُهُورًا شَدِيدًا ، حَتَّى لَصَقُوا بِهِ ، فَدَعَا مُعَاوِيَةُ بِقَرَسِيهِ لِيَنْجُوَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي : إِلَى أَيْنَ ؟

[1] وقعة صفين : ص 476 .

431. تاريخ اليعقوبي : قَالَ : قَدْ نَزَلَ مَا تَرَى ، قَمَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : لَمْ يَبْقَ إِلَّا حِيلَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ أَنْ تَرْفَعَ الْمَصَاحِفَ ، فَتَدْعُوهُمْ إِلَى مَا فِيهَا ، فَتَسْتَكْفِيَهُمْ ، وَتُكْسِرَ مِنْ حَدِيثِهِمْ ، وَتَقُتَّ فِي أَعْضَادِهِمْ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : فَشَأْنُكَ ! فَرَفَعُوا الْمَصَاحِفَ ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى التَّحَكُّمِ بِمَا فِيهَا ، وَقَالُوا : تَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ . فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّهَا مَكِيدَةٌ ، وَلَيْسُوا بِأَصْحَابِ قُرْآنٍ . فَاعْتَرَضَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَبِيْسٍ الْكِنْدِيُّ - وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ اسْتَمَالَهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ وَدَعَاهُ إِلَى نَفْسِهِ - فَقَالَ : قَدْ دَعَا الْقَوْمُ إِلَى الْحَقِّ ! فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّهُمْ إِنَّمَا كَادُواكُمْ ، وَأَرَادُوا صَرْفَكُمْ عَنْهُمْ . فَقَالَ الْأَشْعَثُ : وَاللَّهِ ، لَئِنْ لَمْ تُجِيبَهُمْ أَنْصَرَفْتُ عَنْكَ . وَمَا لَتِ الْيَمَانِيَّةُ مَعَ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ الْأَشْعَثُ : وَاللَّهِ ، لَتُجِيبَهُمْ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ ، أَوْ لَتَدْفَعَنَّكَ إِلَيْهِمْ بِرُمْتِكَ . [1]

ج - الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حِصَارِ أَصْحَابِ الْجِبَاهِ السُّودِ

432. مروج الذهب - بَعْدَ ذِكْرِ رَفْعِ الْمَصَاحِفِ :- فَلَمَّا رَأَى كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ذَلِكَ ، قَالُوا : نُجِيبُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَنُنِيبُ إِلَيْهِ ، وَأَحَبُّ الْقَوْمِ الْمُوَادَعَةَ وَقِيلَ لِعَلِيٍّ : قَدْ أَعْطَاكَ مُعَاوِيَةُ الْحَقَّ ، وَدَعَاكَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَاقْبَلْ مِنْهُ ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَبِيْسٍ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَا أَحَبُّ حَتَّى قَرَحْتُمْكَ الْحَرْبَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكْتَ ، وَإِنِّي كُنْتُ بِالْأَمْسِ أَمِيرًا ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا ، وَقَدْ

[1] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 188 .

432. مروج الذهب - بعد ذكر رفع المصاحف - أحببتم البقاء . [1]

د - رجوع الأشر من المعركة

433. وقعة صفين عن إبراهيم بن الأشر - في بيان ماجرى بعد رفع المصاحف :- قال الأشر : يا أمير المؤمنين ! احمل الصف على الصف تصرع القوم . فتصاحوا : إن علياً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ، ورضي بحكم القرآن ، ولم يستعه إلا ذلك . قال الأشر : إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن ، فقد رضي بما رضي أمير المؤمنين . فأقبل الناس يقولون : قد رضي أمير المؤمنين ، قد قبل أمير المؤمنين ، وهو ساكت ، لا يتص بكلمة ، مطرق إلى الأرض . [2]

ه - فرح معاوية

434. الفتوح : كان معاوية بعد ذلك [أي بعد ختام الحرب] يقول : واللّه ، لقد رجعت عني الأشر يوم رفع المصاحف ، وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من عليّ . وقد هممت ذلك اليوم بالهرب ، ولكن ذكرت قول عمرو بن الإطنابة حيث يقول : 0 أت لي عقتي وأبي ثلاثي وأخذي الحمد باليمن الربيع [3] 0

و - رسالة معاوية إلى الإمام عليه السلام

435. وقعة صفين عن إبراهيم بن الأشر : بعث معاوية أبا الأعور السلمي على بردون أبيص ، فسار بين الصفين : صف أهل العراق وصف أهل الشام ، والمصحف على رأسه وهو

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 400 .

[2] وقعة صفين : ص 492 .

[3] الفتوح : ج 3 ص 188 .

435. وقعة صفين عن إبراهيم بن الأشر : يقول : كتاب الله بيننا وبينكم . فأرسل معاوية إلى عليّ : إن الأمر قد طال بيننا وبينك ، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر ، وقد قيل فيما بيننا بشر كثير ، وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى ، وأنا سوف نسأل عن ذلك الموطن ، ولا نحاسب به غيري وغيرك ، فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة ، وصلاح للأمة ، وحقن للدماء ، وألف للدين ، وذهاب للضعافين والفتن ؛ أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضيان ؛ أحدهما من أصحابي ، والآخر من أصحابك ؛ فيحكمان بما في كتاب الله بيننا ؛ فإنه خير لي ولك ، وأقطع لهذه الفتن . فأتى الله فيما دُعيت له ، وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله . والسلام . [1]

ز - جواب الإمام عليه السلام عنه وقبوله التحكيم

436. وقعة صفين عن إبراهيم بن الأشر - بعد ذكر كتاب معاوية للإمام عليه السلام : فكتب إليه عليّ بن أبي طالب : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد ؛ فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما يحسن به فعله ، ويستوجب فضله ، ويسلم من عيبه . وإن البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه ، ويبديان من خله عند من يغنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره . فاحذر الدنيا ؛ فإنه لا فرح في شيء وصلت إليه منها . ولقد علمت أنك غير مدرك ما قضى قوائمه . وقد رام قوم أمرا يغير الحق ؛ فتأولوا على الله تعالى ، فأكذبهم ومتعهم قليلاً ، ثم اضطروهم إلى عذاب غليظ . فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمده عاقبة عمله ، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحاده ، فغرتة الدنيا وأطمأن

[1] وقعة صفين : ص 493 .

436. وقعة صفين عن إبراهيم بن الأشر - بعد ذكر كتاب معاوية للإمام عليه السلام : ثم إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن ؛ ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن ، ولست حكمه تريد ، والله المستعان . وقد أحبنا القرآن إلى حكمه ، ولنا إناك أجنا . ومن لم يرض بحكم القرآن [1] فقد ضلّ ضلالاً بعيداً . [2]

ح - كلام الإمام عليه السلام في ذم أصحابه

أ - مُخَالَفَةُ الإمام عليه السلام في تعيين الحكم

437. الإمام على عليه السلام - من كلامه عليه السلام حين رَجَعَ أصحابه ع: لَقَدْ فَعَلْتُمْ فَعَلَةً مَّعَصَتٍ مِنَ الْإِسْلَامِ قُوَاهُ ، وَأَسْقَطْتُمْ مَثَنَةً [3] ، وَأَوْرَثْتُمْ وَهنا وَدِلَّةً . لَمَّا كُنْتُمْ الْأَعْلَيْنَ ، وَخَافَ عَذُوكُمُ الْإِجْتِيَا حَ ، وَاسْتَحَرَّ بِهِمُ الْقَتْلُ ، وَوَجَدُوا أَلَمَ الْجِرَاحِ ؛ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ وَدَعَوْكُمُ إِلَى مَا فِيهَا لِيَفْتُووكُمْ [4] عَنْهُمْ ، وَيَقْطَعُوا الْحَرْبَ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، وَيَتَرَبَّصُوا [5] بِكُمْ رَبِّبَ الْمَنُونِ خَدِيعَةً وَمَكِيدَةً . فَمَا أَنْتُمْ إِنْ جَامَعْتُمُوهُمْ عَلَى مَا أَحْبَبُوا ، وَأَعْطَيْتُمُوهُمْ الَّذِي سَأَلُوا إِلَّا مَغْرُورُونَ . وَإِيْمُ اللَّهِ ، مَا أَظْنَكُم بَعْدَهَا مُوَافِقِي رُشْدٍ ، وَلَا مُصِيبِي حَزْمٍ . [6]

438. الإمام الباقر عليه السلام : لَمَّا أَرَادَ النَّاسُ عَلِيًّا عَلَى أَنْ يَصْعَ حَكَمَيْنِ قَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ لِيَصْعَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَحَدًا هُوَ أَوْثَقُ بِرَأْيِهِ وَنَظَرِهِ مِنْ عَمْرِو بْنِ

[1] ما بين المعقوفين سقط من المصدر ، وأثبتناه من بحار الأنوار وشرح نهج البلاغة .

[2] وقعة صقّين : ص 493 .

[3] المَثَنَةُ : القُوَّةُ (لسان العرب : ج 13 ص 415 «من»).

[4] فَنَّا الرَّجُلَ : كَسَرَ غَضَبَهُ وَسَكَنَهُ بِقَوْلٍ أَوْ غَيْرِهِ (لسان العرب : ج 1 ص 120 «فنا»).

[5] في المصدر : «يتربص» ، والصواب ما أثبتناه كما في المصادر الأخرى .

[6] الإرشاد : ج 1 ص 268 .

438. الإمام الباقر عليه السلام : العاصي ، وإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلْقُرْشِيِّ إِلَّا مِثْلُهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَارْمُوهُ بِهِ ؛ فَإِنَّ عَمْرًا لَا يَعْقِدُ عَقْدَةً إِلَّا حَلَّهَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَلَا يَحُلُّ عَقْدَةً إِلَّا عَقَدَهَا ، وَلَا يُبْرِمُ أَمْرًا إِلَّا تَقَصَّهُ ، وَلَا يَنْقُضُ أَمْرًا إِلَّا أَبْرَمَهُ . فَقَالَ الْأَشْعَثُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَحْكُمُ فِيهَا مُضْرِبَانِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَلَكِنْ اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ إِذْ جَعَلُوا رَجُلًا مِنْ مُضَرَ . فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُخَدَعَ بِمِثْيَيْكُمْ ؛ فَإِنَّ عَمْرًا لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِذَا كَانَ لَهُ فِي أَمْرِ هَوًى . فَقَالَ الْأَشْعَثُ : وَاللَّهِ ، لِأَنْ يَحْكُمَا بَعْضُ مَا تَكْرَهُ ، وَأَحْذَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَا نُحِبُّ فِي حُكْمِهِمَا وَهُمَا مُضْرِبَانِ . [1]

ب - وَثِيقَةُ التَّحْكِيمِ

439. تاريخ الطبري عن فضيل بن خديج الكندي - في وَثِيقَةِ التَّحْكِيمِ :- كَانَ الْكِتَابُ فِي صَفَرٍ وَالْأَجَلَ رَمَضَانُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ ، إِلَى أَنْ يَلْتَقِيَ الْحَكَمَانِ . ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ دَقُّوا قَتْلَاهُمَا ، وَأَمَرَ عَلِيٌّ الْأَعْوَرَ قَنَادِي فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . [2]

ج - عَدَمُ رِضَاءِ الْأَشْتَرِ يَمَا فِي الْوَثِيقَةِ

440. تاريخ الطبري عن عُمارة بن ربيعة الجرمي : لَمَّا كُتِبَتِ الصَّحِيفَةُ دُعِيَ لَهَا الْأَشْتَرُ فَقَالَ : لَا صَحِيبَتِي يَمِينِي وَلَا تَفْعَتْنِي بَعْدَهَا شِمَالِي إِنْ خُطَّ لِي فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ اسْمٌ عَلَى صُلْحٍ وَلَا مُوَادَعَةٍ ، أَوْ وَلَسْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَمِنْ ضَلَالٍ عَذْوِي ؟ أَوْ لَسْتُ قَدْ رَأَيْتُمْ الطُّغْرَ لَوْ لَمْ تُجْمِعُوا عَلَى الْجَوْرِ ؟

[1] وقعة صقّين : ص 500 .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 59 .

440. تاريخ الطبري عن عُمارة بن ربيعة الجرمي : فَقَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بِنُ قَيْسٍ : إِنَّكَ وَاللَّهِ ، مَا زَأَبْتَ طَقْرًا وَلَا حُورًا ، هَلُمَّ إِلَيْنَا فَإِنَّهُ لَا رَغْبَةَ بِكَ عَنَّا . فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ ، لَرَغْبَةٍ بِي عَنْكَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلْآخِرَةِ ، وَلَقَدْ سَقَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسِيفِي هَذَا دِمَاءَ رِجَالٍ مَا أَنْتَ عِنْدِي خَيْرٌ مِنْهُمْ وَلَا أَحَرَمٌ دَمًا . قَالَ عُمَارَةُ : فَتَنَظَرْتُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ وَكَأَنَّمَا فُصِّعَ عَلَى أَنْفِهِ الْحُمَمُ - يَعْنِي الْأَشْعَثُ - . [1]

د - إِخْتِلَافُ الْكَلِمَةِ فِي أَصْحَابِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَام

441. مروج الذهب : لَمَّا وَقَعَ التَّحْكِيمُ تَبَاغَضَ الْقَوْمُ جَمِيعًا ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ بِتَبَرٍّ مِنْ بَعْضٍ : يَتَبَرَّ الْأَخُ مِنْ أَخِيهِ ، وَالْإِبْنُ مِنْ أَبِيهِ ، وَأَمَرَ عَلِيٌّ بِالرَّحِيلِ ، لِيَعْلِمَهُ بِإِخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ ، وَتَغَاوُثِ الرَّأْيِ ، وَعَدِمِ النِّيطَامِ لِأَمُورِهِمْ ، وَمَا لِحَقِّهِ مِنَ الْخِلَافِ مِنْهُمْ ، وَكَثُرَ التَّحْكِيمُ فِي جَيْشِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَتَضَارَبَ الْقَوْمُ بِالْمَقَارِعِ وَنَعَالِ

السُّيُوفِ ، وَتَسَاوَا ، وَلَمْ كُلُّ قَرِيبٍ مِنْهُمْ الْآخَرَ فِي رَأْيِهِ . وَسَارَ عَلَيَّ يَوْمَ الْكُوفَةِ ، وَلَجِيَ مُعَاوِيَةَ يَدِمَشْقَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَقَرَّقَ عَسَاكِرَهُ ، فَلَحِقَ كُلُّ جُنْدٍ مِنْهُمْ بِتَلْدِهِ . [2]

13 / 2

الإِنصَافُ مِنْ صَقِين

أ - بَدَأَ تَدْفُقُ الْإِعْتِرَاضِ

442.الإمام علي عليه السلام - لَمَّا قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : تَهَيَّئْنَا: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَتَى حِينَ أَمَرْتُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَذِبْتُكُمْ ، وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوْمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ - لَكَانَتْ الْوُثْقَى . وَلَكِنْ يَمَنُ ، وَإِلَى مَنْ ؟ أَرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَانِي ؛ كَنَافِشِ الشُّوْكَهَ بِالشُّوْكَهَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ صَلَاحَهَا [3] مَعَهَا ! اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطْيَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِي ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَابِ الرِّكْيِ ! أَيْنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقِيلُوا ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَهَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ قَوْلَهُمْ وَلَهُ الْيَقَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا ، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا ، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا ، وَصَقَّ صَقًّا . بَعْضُ هَلْكَ ، وَبَعْضُ نَجَا . لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ ، وَلَا يُعَزِّوْنَ عَنِ الْمَوْتِ . مُرَّةُ الْعُيُوبِ مِنَ الْبُكَاءِ ، خُمَصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ، دُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ ، صُفْرُ الْأَلْوَابِ مِنَ السَّهَرِ ، عَلَى وَجْهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ . أُولَئِكَ إِخْوَانِي الدَّاهِيُونَ . فَحَقُّ لَنَا أَنْ نَظْمًا إِلَيْهِمْ ، وَنَعَضَ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَيِّئُ لَكُمْ طُرْقَهُ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دَيْنَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَاعِيهِ وَتَفَنَائِهِ ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِمْ ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ . [4]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 54 .

[2] مروج الذهب : ج 2 ص 405 .

[3] صَلَّعُهَا : أَي مِيلُهَا (النهاية : ج 3 ص 96 «ضلع»).

[4] نهج البلاغة : الخطبة 121 .

522

كتابخانه مدرسه فهاهت

منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

ب - دُخُولُ الْكُوفَةِ وَبَدَأَ فِتْنَةُ أُخْرَى

443.تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة - فِي صِفَةِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- خَرَجُوا مَعَ عَلِيٍّ إِلَى صَقِينَ وَهُمْ مُتَوَادُونَ أَحِبَّاءَ ، فَرَجَعُوا مُتَبَاغِضِينَ أَعْدَاءَ ، مَا بَرِحُوا مِنْ عَسْكَرِهِمْ يَصِفُّونَ حَتَّى فَشَا فِيهِمُ التَّحْكِيمُ ، وَلَقَدْ أَقْبَلُوا يَتَدَاوِعُونَ الطَّرِيقَ كُلَّهُ وَيَتَشَاتَمُونَ

523

كتابخانه مدرسه فهاهت

منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

443.تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة - فِي صِفَةِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَيَضْطَرِبُونَ بِالسَّيْبِاطِ . يَقُولُ الْخَوَارِجُ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ! أَدْهَنْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَكَمْتُمْ ! وَقَالَ الْآخَرُونَ : فَارَقْتُمْ إِمَامَنَا ، وَقَرَقْتُمْ جَمَاعَتَنَا . فَلَمَّا دَخَلَ عَلِيُّ الْكُوفَةَ لَمْ يَدْخُلُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا خَرْوَاءَ [1] ، فَنَزَلَ بِهَا مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَنَادَى مُنَادِيَهُمْ : إِنَّ أَمِيرَ الْقِتَالِ شَتَبْتُ بَنَ رُبْعِي التَّمِيمِي ، وَأَمِيرَ الصَّلَاةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْكَوَّاءِ الْيَشْكُرِيُّ ، وَالْأَمْرُ شُورَى بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَالْبَيْعَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ . . . وَلَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ الْكُوفَةَ وَفَارَقْتَهُ الْخَوَارِجُ وَتَبَّتْ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ فَقَالُوا : فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ ثَانِيَّةٌ ؛ نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ . فَقَالَتِ الْخَوَارِجُ : إِسْتَبَقْتُمْ أَنْتُمْ وَأَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْكُفْرِ كَفَرَسِي رَهَانٍ ؛ بَاتَعَ أَهْلُ الشَّامِ مُعَاوِيَةَ عَلَى مَا أَحَبُّوا وَكَرَهُوا ، وَبَاتَعْتُمْ أَنْتُمْ عَلِيًّا عَلَى أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَى وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَى ! فَقَالَ لَهُمْ زَيْدُ بْنُ النَّضْرِ : وَاللَّهِ مَا بَسَطَ عَلَيَّ يَدَهُ قَبَايِعُنَاهُ قَطُّ إِلَّا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَكِنَّكُمْ لَمَّا خَالَفْتُمُوهُ جَاءَتْهُ شَيْعَتُهُ فَقَالُوا : نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ ، وَنَحْنُ كَذَلِكَ وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى ، وَمَنْ خَالَفَهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ . [2]

14 / 2

خِيَمَةُ التَّحْكِيمِ

أ - تَقْيِيمُ الْحَكَمَيْنِ

444.الطرائف عن أبي رافع : لَمَّا أَحْضَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ وَجَّهَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ فَقَالَ لَهُ : أَحْكُمْ بَيْنَنَا وَاللَّهِ لَا تَجَاوِزُهُ ، فَلَمَّا أَدْبَرَ قَالَ : كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ خُدِعَ . قُلْتُ :

[1] خَرْوَاءُ : قَرْيَةٌ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : مَوْضِعٌ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْهَا ، نَزَلَ بِهِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ خَالَفُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَسَبُوا إِلَيْهَا (معجم البلدان : ج 2 ص 245).

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 63 و 64 .

444.الطرائف عن أبي رافع : يا أمير المؤمنين ! فليمن توجّهه وأنت تعلم أنّه مخدوع ؟ فقال : يا بُنيّ ، لو عمل الله في خلقه يعلمه ما احتجّ عليهم بالرّسل . [1]

ب - وصيّة ابن عباسٍ لأبي موسى

445.مروج الذهب : وفي سنة ثمانٍ وثلاثين كان التّفاء الحَكَمين يدومَة الجندل وقيل يغيرها ، على ما قدّمنا من وصف التّنّاع في ذلك ، وبعتّ عليّ يعبد الله بن العباس ، وشريح ابن هانئ الهمدانيّ في أربعين رجُل فيهم أبو موسى الأشعريّ ، وبعتّ معاوية يعمرو ابن العاص ومعه شريح بن السّيمط في أربعين ، فلما تدارى القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع قال ابن عباسٍ لأبي موسى : إنّ عليّاً لم يرض بك حكماً لفضل عندك ، والمتقدّمون عليك كثير ، وإنّ الناس أبوا غيرك ، وإنّي لأظنّ ذلك ليس يرادّ بهم ، وقد ضمّ داهية العرب معك . إن نسيت فلا تنس أنّ عليّاً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وليس فيه خصلة تُباعده من الخلافة ، وليس في معاوية خصلة تُقرّبه من الخلافة . [2]

ج - وصيّة معاوية يعمرو بن العاص

446.البيان والتبيين : قال معاوية يعمرو بن العاص : يا عمرو ! إنّ أهل العراق قد أكرهوا عليّاً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك . وقد ضمّ إليك رجُل طویل اللسان ، قصير الرأى ؛ فأجد الحرّ ، وطيق المفضل ، ولا تلعّ برأيك كلّ . [3]

[1].الطرائف : ص511 .

[2].مروج الذهب : ج2 ص406 .

[3].البيان والتبيين : ج1 ص172 .

د - نصيحة الإمام عليه السلام يعمرو بن العاص

447.وقعة صفين عن شقيق بن سلمة : كتب عليّ إلى عمرو بن العاص يعطه وبرشيده : أمّا بعد ؛ فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها ، ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له جرساً يزيده فيها رغبةً ، ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يبلغه ، ومن وراء ذلك فراق ما جمّع . والسعيد من وعظ بغيره ؛ فلا تحبط - أبا عبد الله - أجرك ، ولا تجار معاوية في باطله . فأجابه عمرو بن العاص : أمّا بعد ؛ فإنّ ما فيه صلاحنا وألفتنا الإجابة إلى الحقّ ، وقد جعلنا القرآن حكماً بيننا ، فأجبنا إليه . وصبر الرجل ممّا نفسه على ما حكم عليه القرآن ، وعذره الناس بعد المحاجرة . والسلام . فكتب إليه عليّ : أمّا بعد فإنّ الذي أعجبتك من الدنيا ممّا نازعتك إليه نفسك ووثقت به منها لمنقلب عنك ، ومفارق لك ؛ فلا تطمئنّ إلى الدنيا ؛ فإنّها غرارة . ولو اعتبرت بما مضى لحفطت ما بقي ، وانتفعت بما وُعِطت به . والسلام . فأجابه عمرو : أمّا بعد ؛ فقد أنصف من جعل القرآن إماماً ، ودعا الناس إلى أحكامه . فاصبر أبا حسن ، وأنا غير منيلك إلا ما أنالك القرآن . [1]

ه - مفاوضات الحَكَمين

448.العقد الفريد عن أبي الحسن - في ذكر اجتماع الحَكَمين :- أخلّي لهما يعمرو بن العاص وأبي موسى مكاناً يجتمعان فيه ، فأمهلّه عمرو بن العاص ثلاثة أيّام ، ثمّ أقبل إليه بأنواع من الطعام يشهيه بها ، حتّى إذا استبطن أبو موسى نجاهه عمرو ، فقال له : يا أبا موسى ! إنّك شيخ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله ، وذو فضيلها ، وذو سابقتها ، وقد ترى ما

[1].وقعة صفين : ص498 .

448.العقد الفريد عن أبي الحسن - في ذكر اجتماع الحَكَمين - وقعت فيه هذه الأمّة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها ، فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمّة ؛ فيحقن الله بك دماءها ؛ فإنّه يقول في نفسه واحدة : « ومن أخطأها فكأنّما أخطأ الناس جميعاً » [1] ، فكيف بمن أخطأ هذا الخلق كلّ ! قال له : وكيف ذلك ؟ قال : تخلّع أنت عليّ بن أبي طالب ، وأخلّع أنا معاوية بن أبي سفيان ، وتختار لهذه الأمّة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة ، ولم يغيب يدّه فيها . قال له : ومن يكون ذلك ؟ - وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبي موسى في عبد الله بن عمر - فقال له : عبد الله بن عمر . فقال : إنّّه لكما ذكرت ، ولكن كيف لي

بِالْوَيْفَةِ مِنْكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُوسَى ، «أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ» [2] ، خُذْ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاقِفِ حَتَّى تَرْضَى . ثُمَّ لَمْ يَبْقِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَهْدًا وَلَا مَوْنًا وَلَا يَمِينًا مُؤَكَّدَةً حَتَّى خَلَفَ بِهَا ، حَتَّى بَقِيَ الشَّيْخُ مَبْهُوتًا ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَحْبَبْتُ . [3]

و - رَأَى الْحَكَمَيْنِ

449. تاريخ الطبري عن أبي جناب الكلبي : إِنَّ عَمْرًا وَأَبَا مُوسَى حَيْثُ التَّقْيَا يَدُومَةُ الْجَنْدَلِ ، أَخَذَ عَمْرُو يُقَدِّمُ أَبَا مُوسَى فِي الْكَلَامِ ، يَقُولُ : إِنَّكَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنْتَ أَسَنُّ مِنِّي ، فَتَكَلَّمْ وَأَتَكَلَّمْ ؛ فَكَانَ عَمْرُو قَدْ عَوَّدَ أَبَا مُوسَى أَنْ يُقَدِّمَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، اعْتَزَى بِذَلِكَ كَلِّهِ أَنْ يُقَدِّمَهُ ، فَيَبْدَأَ يَخْلَعُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَتَنَظَّرَ فِي أَمْرِهِمَا وَمَا اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، فَأَرَادَهُ

[1] المائدة : 32 .

[2] الرعد : 28 .

[3] العقد الفريد : ج 3 ص 340 .

449. تاريخ الطبري عن أبي جناب الكلبي : عَمْرُو عَلَى مُعَاوِيَةَ قَابِي ، وَأَرَادَهُ عَلَى ابْنِهِ قَابِي ، وَأَرَادَ مُوسَى عَمْرًا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ قَابِي عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : خُتْرَنِي مَا رَأَيْتُكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَنْ تَخْلَعَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، وَتَجْعَلَ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ لِنَفْسِهِمْ مَنْ أَحَبُّوا . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : فَإِنَّ الرَّأْيَ مَا رَأَيْتَ . فَأَقْبَلَا إِلَى النَّاسِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُوسَى ، أَعْلِمُهُمْ بِأَنَّ رَأْيَنَا قَدْ اجْتَمَعَ وَاتَّفَقَ ، فَتَكَلَّمْ أَبُو مُوسَى فَقَالَ : إِنَّ رَأْيِي وَرَأْيَ عَمْرُو قَدْ اتَّفَقَ عَلَى أَمْرٍ نَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ . فَقَالَ عَمْرُو : صَدَقَ وَبَرَّ ، يَا أَبَا مُوسَى ! تَقَدَّمَ فَتَكَلَّمْ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى لِيَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَيَخَكْ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُطِئُهُ قَدْ خَدَعَكَ . إِنْ كُنْتُمَا قَدْ اتَّفَقْتُمَا عَلَى أَمْرٍ ؛ فَقَدِّمَهُ فَلْيَتَكَلَّمْ بِذَلِكَ الْأَمْرَ قَبْلَكَ ، ثُمَّ تَكَلَّمْ أَنْتَ بَعْدَهُ ؛ فَإِنَّ عَمْرًا رَجُلٌ غَادِرٌ ، وَلَا أَمْنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعْطَاكَ الرِّضَا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَإِذَا قُمْتَ فِي النَّاسِ خَالَفَكَ . وَكَانَ أَبُو مُوسَى مُعْقَلًا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّا قَدْ اتَّفَقْنَا . فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأُثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّا قَدْ تَطَرْنَا فِي أَمْرٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَمْ نَرِ أَصْلَحَ لِأَمْرِهَا ، وَلَا أَلَمَّ لِبَسْعِئِهَا مِنْ أَمْرٍ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَرَأْيَ عَمْرُو عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ أَنْ تَخْلَعَ عَلَيَّا وَمُعَاوِيَةَ ، وَتَسْتَقِيلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ هَذَا الْأَمْرَ ؛ فَيُؤَلُّوا مِنْهُمْ مَنْ أَحَبُّوا عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلَيَّا وَمُعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقِيلُوا أَمْرَكُمْ ، وَوَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا . ثُمَّ تَنَحَّى . وَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَمَامَ مَقَامَهُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأُثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ هَذَا قَدْ قَالَ مَا سَمِعْتُمْ وَخَلَعَ صَاحِبَتَهُ ، وَأَنَا أَخْلَعُ صَاحِبَتَهُ كَمَا خَلَعَهُ ، وَأُنَبِّئُ صَاحِبِي مُعَاوِيَةَ ؛ فَإِنَّهُ وَلِيُّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَالطَّالِبُ بِدَمِيهِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِمَقَامِي . فَقَالَ أَبُو مُوسَى : مَا لَكَ لَا وَفَّقَكَ اللَّهُ ! غَدَرْتَ وَفَجَرْتَ ! إِنَّمَا مَثَلُكَ «كَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكَ يَلْهَثُ» [1] . قَالَ عَمْرُو : إِنَّمَا مَثَلُكَ «كَمَثَلُ الْجِمَارِ يَحْمِلُ

[1] الأعراف : 176 .

[2] الجمعة : 5 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 70 .

449. تاريخ الطبري عن أبي جناب الكلبي : أَسْقَارًا» [1] . وَحَمَلَ شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ عَلَى عَمْرُو فَقَنَعَهُ بِالسَّوِطِ ، وَحَمَلَ عَلَى شَرِيحِ ابْنِ لَعْمَرُو فَضَرَبَهُ بِالسَّوِطِ ، وَقَامَ النَّاسُ فَحَجَزُوا بَيْنَهُمْ . وَكَانَ شَرِيحٌ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : مَا نُذِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدَامَتِي عَلَى ضَرْبِ عَمْرُو بِالسَّوِطِ أَلَّا أَكُونَ ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ إِنِّيَا يَه الدَّهْرُ مَا أُنَى . وَالتَّمَسَّ أَهْلُ الشَّامِ أَبَا مُوسَى ، فَزَكَبَ رَاحِلَتَهُ وَلَجَقَ بِمَكَّةَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَ أَبِي مُوسَى ! حَذَرْتُهُ وَأَمَرْتُهُ بِالرَّأْيِ فَمَا عَقَلَ . فَكَانَ أَبُو مُوسَى يَقُولُ : حَذَرْنِي ابْنُ عَبَّاسٍ غَدْرَةَ الْفَاسِقِ ، وَلَكِنِّي أَطْمَأْنَنْتُ إِلَيْهِ ، وَطَنَنْتُ أَنَّهُ لَنْ يُؤَيِّرَ شَيْئًا عَلَيَّ نَصِيخَةَ الْأُمَّةِ . ثُمَّ انْصَرَفَ عَمْرُو وَأَهْلُ الشَّامِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، وَرَجَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَشَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ إِلَى عَلِيٍّ . [2]

ز - كَلَامُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَلَغَهُ أَمْرُ الْحَكَمَيْنِ

450. الإمام علي عليه السلام - مِنْ كَلَامٍ لَهُ بَعْدَ التَّحْكِيمِ وَمَا بَلَغَهُ م: أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ ، تَوَرَّثَ الْخَسْرَةَ ، وَتُعْقِبُ الدَّامَةَ . وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَتَخَلَّيْتُ لَكُمْ مَحْزُونٍ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ بَطَاغُ لِقَاصِرٍ أَمْرٍ ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ ، وَالْمُنَادِينَ الْعُصَاةِ . حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِطُغْيَانِهِ ، وَضَنَّ الرَّبْدُ بِقُدْحِهِ ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَارِئَ : 0 أَمْرُتُكُمْ أَمْرِي يَمْنَعُ عِجَالِي الْيَوْمَ فَلَمْ تَسْتَبِيئُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ [3] 0

[1] الجمعة : 5 .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 70 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 35 .

بحث حول التحكيم

إنّ قضية التحكيم في معركة صفّين تُعدّ واحدة من أكثر الوقائع الباعثة على الأسف والأسى في عهد حكومة الإمام عليّ عليه السلام ؛ حيث جاءت هذه الحادثة الممرية في وقت شارف فيه جيش الإمام على إحراز النصر النهائي ، فحال قبول التحكيم دون تحقيق ذلك الانتصار الساحق ، وليس هذا فحسب ، بل إنّهُ أفضى أيضا إلى وقوع خلافات في جيشه عليه السلام وانهماكه في صراعات مع كوكبة واسعة من خيرة مقاتليه . ولغرض تسليط الأضواء على هذا الموضوع لابدّ أولاً من مناقشة عدّة أمور :

1 . سبب قبول التحكيم

السؤال الأوّل الذي يتبادر إلى الأذهان هو : لماذا وافق الإمام على فكرة التحكيم ؟ فهل إنّهُ كان في شكّ من أمره ومواقفه ؟ بل ما معنى التحكيم بين الحقّ والباطل ؟ أولم تكن الحكمة والسياسة تقضيان أن يقاوم الإمام ضغوط رهط من جيشه ، ولا ينصاع لفكرة التحكيم ؟ وفي معرض الإجابة عن هذه التساؤلات نقول : بلى ، إنّ مقتضى الحكمة والسياسة ألا يقبل الإمام بالتحكيم ، إلّا أنّه عليه السلام - كما تفيد الوثائق التاريخية القطعية - لم يقبل التحكيم بإرادته وإنّما فرض عليه فرضا ، ولم تكن مقاومته أمام ذلك الرأي

الساذج تُجديه نفعا ، بل كانت تؤدّي إلى وقوع معركة النهروان في صفّين ، وسيضطرّ الإمام إلى محاربة قسم كبير من جيشه في ذات الميدان الذي كان يقاتل فيه جيش الشام . عندما أدرك معاوية بأنّه لا طاقة له على الصمود أمام جيش الإمام ، وأنّ الحرب لو استمرت لكان الانتصار الحاسم حليف الإمام ، لجأ - بما لديه من معرفة بغريقتين واسع من جيش الإمام ، وبناءً على اقتراح من عمرو بن العاص - إلى حيلتين شيطانتين خطيرتين : الأولى هدفها إيقاف القتال مؤقتاً ، بينما ترمي الثانية إلى تمزيق أو إضعاف جيش الإمام . وقد أتت كلتا الحيلتين أكلهما بمعاوضة العناصر المتغلغلة في جيش الإمام . كانت الحيلة الأولى رفع القرآن على الرماح ، ودعوة الإمام إلى تحكيم القرآن ، حتى أوقف القتال ، أمّا الحيلة الثانية فكانت قضية التحكيم التي تمّ حبكها على نحو أكثر تعقيدا ، ممّا أذى في خاتمة المطاف إلى وقوف قطاع من خيرة جيشه في وجهه . وهذا هو السبب الذي دفع الإمام لاحقا إلى مقاتلة أنصاره في معركة النهروان . ولم يكن أمامه مناص في معركة صفّين سوى الانصياع لضغوطهم وقبول التحكيم . وهناك قول مشهور للإمام في وصف حالته أثناء قبول التحكيم : «لقد كنت أُمسي أميرا ، فأصبحت اليوم مأمورا ! وكنت أُمس ناهيا ، فأصبحت اليوم منهيا !» . وهو يعبر بكلّ وضوح عن هذا الواقع المريع .

2 . لماذا أبو موسى ؟

تفيد بعض الوثائق التاريخية أنّ أبا موسى الأشعري كان رجلاً منافقا ؛ فقد نُسب إلى حذيفة وعمّار بن ياسر القول بذلك . وهذا الادّعاء حتّى لو افترضناه غير صحيح ،

إلّا أنّ من المسلّم به أنّه كان رجلاً ساذجا ومغفلاً وكان مناهضا لسياسة الإمام في التصديّ الحاسم لمثيري الفتنة الداخلية . وموقفه هذا هو الذي جعله يثبط الناس عن أمير المؤمنين عند قدومه البصرة ، ويحثّهم على لزوم بيوتهم ، وفي نهاية الأمر أرغمه مالك الأشتر على مغادرة قصر الإمارة . وهنا يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال وهو : لماذا عيّن الإمام شخصا ساذجا له كهذا ، مندوبا عنه في أمر التحكيم ؟ ألم يعلم بما ستكون عليه نتيجة التحكيم فيما لو دخل أبو موسى فيه ؟ والجواب هو : بلى ، إنّ الإمام كان يعلم بالنتيجة ؛ فقد ذكر عبد الله بن أبي رافع كاتب الإمام عليّ عليه السلام بأنّ أبا موسى عندما أراد المسير إلى التحكيم ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «كأني به وقد خدع !» ، غير أنّ الضغوط التي أرغمت الإمام على قبول التحكيم هي نفسها التي أرغمت على إرسال أبي موسى ممثلاً عنه . ومع أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حاول أن يعث عبد الله بن عباس أو مالكا الأشتر حكما ، إلّا أنّ محاولاته لم تُجد نفعا ! فقال عليه السلام : «إنّكم عصيتموني في أوّل الأمر ؛ فلا تعصوني الآن ! إني لا أرى أن أوليَ أبا موسى» . فقال الأشعث وزيد بن الحصين الطائي ومسعر بن فدكي : لا نرضى إلّا به ؛ فإنّه ما كان يحذرنا منه وقعنا فيه ! قال عليّ عليه السلام : «فإنّه ليس لي يثقة ؛ قد فارقتني وحذّك الناس عني ، ثمّ هرب منّي حتّى آمنته بعد أشهرٍ . . .» . ولم يستطع الإمام أن يثنيهم عن رأيهم ، فقال لهم في نهاية الأمر : «فاصنعوا ما أردتم !» .

3 . موضوع التحكيم

لنتطّلع الآن في موضوع الحَكَمِيَّة ، وما الذي يجب أن يحكم فيه الحكمان ؟ لا يلاحظ في وثيقة التحكيم ما يشير إلى موضوع التحكيم ، ولا واجبات وصلاحيّات الحكمين ، وإتّما اشتملت على واجب عامّ للحكمين وهو «أن ينزل الحكمان عند حكم القرآن ، وما لم يجدها مسمّى في الكتاب ردّاه إلى سِتّة رسول الله » . لم يرد في نصّ الوثيقة ما يشير إلى موضوع التحكيم قطّ ، أو أنّه يُعنى بالنظر في أمر قتلة عثمان ؛ كما أشار البعض إلى «أنّ الذي يُستشفّ من كتب وكلمات معاوية أنّ ما قُوض إلى الحكمين هو النظر في أمر قتلة عثمان ، وهل كانوا محقّين في عملهم أم لا ؟» . أوّهل كان موضوع التحكيم واضحاً بحيث لم تكن هناك ضرورة لإدراجه في نصّ الوثيقة ؟ أم يحتمل أنّ موضوع التحكيم كان موجوداً في الوثيقة ، إلّا أنّه حُذف أو حُرّف لاحقاً ؟ الذي يبدو أنّ تحريف نصّ الوثيقة كان أمراً مستبعداً ، وكذلك لو كان موضوع التحكيم يختصّ بقتلة عثمان لأشير إليه في نصّ الوثيقة . وما جاء في كلام الإمام أو في رسائله إلى معاوية لا يكشف عن أنّ مسألة قتلة عثمان كان أحد مواضع التحكيم . ويظهر أنّ موضوع التحكيم يختصّ بحلّ اختلافات الجانبين ، ولا توجد حاجة لتعيينه ؛ فقد يكون الاختلاف تارة حول مسائل الزواج ، كما جاء في الآية (35) من سورة النساء ، أو مسائل سياسيّة ، كما وقع في معركة صفّين ، أو مسائل أخرى . وفي كلّ الحالات يجب على الحكمين البتّ في جميع المسائل المختلف عليها بين

الفريقين المتنازعين ، وتوفير أجواء المصالحة بينهما . ومعنى هذا الكلام عدم تخصيص موضوع الحَكَمِيَّة في معركة صفّين بمسألة قتلة عثمان ، وإتّما كان يشمل جميع الأمور المتنازع عليها بين عليّ عليه السلام ومعاوية . وهذا هو السبب الذي جعل الوثيقة خالية من ذكر أيّ موضوع خاصّ ، إلّا أنّ هذا المعنى لم يكن يشمل تعيين الخليفة ، وإتّما كان واجب الحكمين البتّ في تنازع جيش الكوفة والشام ووضع حدّ لحالة الحرب وسفك الدماء . والحقيقة هي أنّ ما أعلن بوصفه رأياً نهائياً على أثر الخديعة التي حاكها عمرو بن العاص ، جاء خارج موضوع التحكيم وفوق الصلاحيّات المفوّضة إلى الحكمين .

4 . سبب انخداع جيش الإمام عليه السلام

والآن نُجِيل النظر في أسباب انخداع جيش الإمام عليّ عليه السلام ؛ ولماذا لم يدركوا أو لم يريدوا أن يدركوا بأنّ رفع المصاحف على الرماح لم يكن إلّا مكيدة أراد بها الشاميون إيقاف القتال ؟ ولماذا لم يُصغوا لكلام إمامهم ، وأرغموه على قبول التحكيم ؟ ينبغي الإجابة عن هذا السؤال بالقول : إنّّه وإن كان ثمة أفراد في جيش الإمام كانوا طوعاً أمّره ، وأرادوا أن تستمرّ المعركة حتّى انتصار جيش الكوفة ، إلّا أنّ الوثائق التاريخيّة تُثبت أنّ الأكثرية العظمى من جيش الإمام كانت قد سنّمت الحرب أوّلاً ، وكانوا يعلمون أنّهم حتى لو انتصروا فلن يحصلوا على أيّة غنائم - منمّا حدث في معركة الجمل - ثانياً ؛ ومن هنا فهم كانوا يفتقدون الدوافع المحفزة على مواصلة القتال . وعندما عرض عديّ بن حاتم على الإمام عليه السلام مواصلة الحرب قائلاً : يا أمير المؤمنين ، ألا نقوم حتى نموت ؟ فقال عليّ عليه السلام : «أدنته» ، فدنا حتّى وَضَعَ أُذُنُهُ عِنْدَ أَنْفِهِ ، فَقَالَ : «وَيْحَكَ ! إِنَّ عَامَّةَ

مَنْ مَعِيَ يَعْصِينِي ، وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ فَيَمَنْ يُطِيعُهُ وَلَا يَعْصِيهِ» . نعم ، فقد كان قرّاء الكوفة - الذين كان لهم دور أساسي في جيش الإمام - من جملة هذه الشيرّومة ، ونظراً لمكانتهم بين أهل الكوفة ، فقد أصبح لهم الدور الأكبر في صياغة هذا المشهد الأليم ، وكان جهلهم وغرورهم بمثابة الغشاء الذي حال بينهم وبين إدراك الخدعة التي لجأ إليها الشاميون برفع المصاحف على الرماح لغرض إيقاف الحرب والحيلولة دون هزيمتهم المتوقّعة ، وقد أدّى التطرّف الديني - المقرون بالجهل والحماسة - بهؤلاء العبّاد الجُهلاء إلى إرغام إمامهم على قبول التحكيم . وممّا دعم الموقف الأحمق للقرّاء في تلك الأثناء وساهم في نجاح مكيدة معاوية لإيقاف الحرب وبثّ الفرقة في جيش الإمام - كما سبق الإشارة إليه - هو موقف أولئك الذين كانوا يتعاملون مع الإمام تعاملاً منافقاً ، ومن كانوا يمتّون أنفسهم بوعود معاوية ، وعلى رأسهم الأشعث بن قيس . فالأشعث بن قيس من قبيلة كندة التي كانت تقطن جنوب الجزيرة العربيّة ، وقد وفد على الرسول صلى الله عليه وآله مع جماعة من قومه في السنة العاشرة للهجرة ، وأسلم ، ثم ارتدّ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، فبعث أبو بكر جيشاً لقتاله ، وأسر واقتيده مكبلاً بالأغلال إلى المدينة ، فعفا عنه أبو بكر وزوّجه أخته ! وبعد مقتل عثمان بايع عليّ عليه السلام ، بيد أنّه لم يكن يتعامل معه بإخلاص ؛ فموافقه إزاء الإمام وخاصّة فيما يتعلّق بالتحكيم ، وبثّ الفرقة بين صفوف جيش الإمام ، تشير إلى أنّه تحوّل إلى واحد من العناصر المندسّة في جيش الإمام لصالح معاوية . إلّا أنّ الإمام عليّ عليه السلام لم يكن قادراً على البتّ في أمره ؛ بسبب مكانته الاجتماعيّة وضخامة قبيلته التي كان لها دور مؤثّر في جيش الكوفة .

5 . الحكمة من عدم اغتنام الفرصة بعد توبة الخوارج

وتوقّفت المعركة على أثر المكيدة التي ابتكرها عمرو بن العاص . ولكن ما لبث قرّاء الكوفة أن انتبهوا إلى أنّهم قد انطلت عليهم الخدعة ، وأنّهم قد أخطؤوا في حمل الإمام على قبول التحكيم . فجاؤوا إليه وأعربوا عن خطأ موقفهم ، وتوبتهم ممّا كان منهم ، وأنّه هو الآخر قد أخطأ في قبول رأيهم ، ويجب أن يتوب أيضا ! واعتبروا الوثيقة التي صيغت على أساس المكيدة فاقدة لأية قيمة ، ولابدّ من نقضها واستئناف الحرب . إلّا أنّ الإمام رفض قبول هذه الاقتراحات ، وانتهى ذلك الرفض إلى انشقاق القرّاء عن الإمام ووقوع معركة النهروان . والسؤال الأساسي الأخير فيما يخصّ أمر التحكيم هو : لماذا رفض الإمام اقتراح القرّاء بنقض الوثيقة ومعاودة القتال ؟ ألم يكن يعلم بما سيؤول إليه رفض تلك المقترحات ؟ وما هي الحكمة الكامنة وراء عدم اغتنام الإمام لتلك الفرصة الذهبية لإنهاء فتنة القاسطين ، وتوقّي وقوع فتنة المارقين ؟ وجواب هذا السؤال : هو أنّ استجابة الإمام لتلك المقترحات تنطوي على ثلاثة أخطاء سياسية ودينية كبرى لم يكن الإمام على استعداد لاعتراضها ، وهي :

أ - الاعتراف بخطأ القيادة

كان الطلب الأوّل للخوارج أن يعترف بأنّه قد أخطأ فيما يخصّ القبول بأمر التحكيم ، غير أنّ الإمام لم يكن على استعداد للإعلان عن ارتكابه لأيّ خطأ ؛ وذلك لأنّ القبول بالتحكيم لحلّ الاختلافات لا يُعدّ تصرّفا خاطئا ، بل هو أمر محدّد يؤيّد القرآن . والمؤاخذة الوحيدة في هذا السياق هي أنّ التحكيم في هذه الواقعة جاء خلافا للحكمة والسياسة التي أعلنها الإمام صراحة ، لكنّهم هم الذين استنكروا منه ذلك الموقف وأملوا عليه وعلى جيش الكوفة الرضوخ للتحكيم .

536

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاها

وفضلاً عن ذلك ، فإنّ الإمام كان يميل إلى الاستقالة على نحو يُرضي الخوارج ، غير أنّ الأشعث لم يقبل وأصرّ على أن يعترف الإمام بالخطأ على نحو يسبيء إلى مكانته بوصفه قائدا .

ب - نقض العهد

ولو افترضنا أنّ الإمام قد اعترف بخطأ ؛ فإنّ الخوارج كان لديهم طلب آخر ؛ وهو نقض الوثيقة بين جيش الشام والكوفة . بينما كان الإمام يرى أنّ التمسك بالمواثيق يعدّ واحدا من المبادئ الدلّية في الإسلام ، ولا ينبغي أن ينقض المواثيق تحت أّية ذريعة كانت . ومن هنا فقد كتب في عهده إلى مالك الأشتر : «وإن عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عَقْدَةً أَوْ أَلَسْتَ مِنْكَ دَمَةً ، فَحُطَّ عَهْدُكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارَعَ دِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَ : فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَرَائِصِ اللَّهِ - شَيْءٍ النَّاسُ اشْتَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً ، مَعَ تَغَرُّقِ أَهْوَانِهِمْ وَتَشَتُّتِ أَرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ . وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا اسْتَوْتَلَوْا مِنْ عَوَاقِبِ الْقَدْرِ ؛ فَلَا تَعْدِرْ بِدِمَّتِكَ ، وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ ، وَلَا تَخْلِنَنَّ عَدُوَّكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَدِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرَمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جَوَارِهِ ؛ فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ» . [1] فإذا كان الإمام عليّ عليه السلام ينقض هذا المبدأ الإسلامي الأساسي ، فما عسانا أن نتوقّع من غيره !

ج - خطورة تسلّط الجبهة المنتسكين

إنّ خطر تسلّط الجبهة المنتسكين - في منظار الإمام عليه السلام - لا يقلّ عن خطر العلماء

[1] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

537

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاها

الفاسقين ؛ فالاعتراف بخطأ ، ونقض العهد في أمر التحكيم ، كان يعني انصياع عليّ عليه السلام لتسلّط الجبهة المنتسكين - المصابين بمرض العجب وحبّ الدنيا والتطرّف الديني لدى من اشتهروا باسم «القرّاء» - على نفسه وعلى الأمة الإسلامية ، وأنّه قد فوّض إليهم القرارات الأساسية في الحرب والسلام ، ومن بعدهما في جميع الأمور المهمّة والحسّاسة . وهذا ليس بالأمر الذي يمكن أن يتقبّله أو يستسيغه قائد الأمة الإسلامية . وهذا ما جعل الإمام يقاوم طلباتهم بكلّ قوّة ، ويقول : «فإني فقاأت عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي» .

538

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاها

الفصل الثالث : الحرب الثالثة : وقعة نهروان

دراسة حول المارقين وجذور انحرافهم

إنَّ ظهور حركة الخوارج وبالتالي قيام معركة النهروان يُعَدُّ من الحوادث المليئة بالعبر في التاريخ الإسلامي وعصر حكومة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ ذلك أنَّ طبيعة سلوكهم ، وسابقتهم الدينيّة ، وتمسّكهم القشري بالإسلام ، ثمّ مواجهتهم للإمام عليه السلام ، كلّ ذلك يعتبر من الأمور المهمّة الحسّاسة في السيرة العلويّة . ويمكننا أن نقف على المخاطر والمخادير إزاء مواجهة تيّارهم ومحاربتهم ، من خلال كلام رفيع للإمام عليه السلام قال فيه : « . . . إني فُتِّتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيَّهَا أَحَدٌ غَيْرِي » . [1] أجلّ ، كيف يتستّى أن تُسلّ السيوف على وجوه قرآنيّة الظاهر ، وجباة يَفْتَتِ من كثرة السجود ، ومن ثمّ قهرها وإبادتها ؟ ! نحن في هذا الموضوع سوف نتوفر - وقبل كلّ شيء - على دراسة الوضع النفسي والاجتماعي للخوارج اعتماداً على الوثائق التاريخيّة والحديثيّة ، ونستعرض

[1] سيوافيك تفصيل النصوص التي أفاد منها هذا التحليل خلال البحوث القادمة ، ما عدا بعض الموارد الخاصّة حيث لم يرد لها ذكر هناك ؛ فعمدنا إلى تخريجها من مصادرها وذكرها هنا في الهامش .

كيفية تبلور أفكارهم ، وما كان لهم من موقف متشدّد مشوّب باللجاجة والجهل في قبال الإمام عليه السلام .

الدين والاعتدال

الإسلام دينٌ وَسَطٌ [1] ، وتعاليمه زاخرة بالتأكيد على الاعتدال ، وبالنظرة الشموليّة المستوعبة ، وبضرورة الابتعاد عن الإفراط ، والنظرة الضيّقة الأحاديّة الجانب إلى الأمور . ورسول الله صلى الله عليه وآله - الذي كان يعرض الإسلام بوصفه منهاجاً للتكامل المادّي والمعنوي ويؤكّد شموليّته وكمالته في استيعابه المصالح الفرديّة والاجتماعيّة - كان يرى الإفراط والنظرة الأحاديّة الجانب أكبر خطر على أمّته ودينه . ولم يزل ينبّه على هذه الحقيقة طيلة عمره المبارك ، فقد كان صلى الله عليه وآله يقول : « لَا يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ » . [2] وكان صلى الله عليه وآله يرى أنّ الذين يحملون النظرة الشموليّة المستوعبة للدين ، ويُحيطون بجميع التعاليم الدينيّة في مجال الفكر ، والقول ، والتكامل الفردي والاجتماعي هم وحدهم الذين تُثمر جهودهم في نصرته الدين ، وكان يحرص على تعليم ذلك لأُمَّته . ومن هنا كان صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّ دِينَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ » . [3] ورسول الله صلى الله عليه وآله - إلى جوار ما كانت تعيشه الأُمَّة من تعاليم سيرته الوضّاء التي يُتحفها بها من أجل هدايتها واستقامتها على الطريقة ، وجعلها الأُمَّة الوسط - كان

[1] قال تبارك وتعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » (البقرة : 143) .

[2] كنز العمّال : ج 3 ص 84 ح 5612 .

[3] الفردوس : ج 1 ص 234 ح 897 .



يدلّ على القدوة في هذا المجال ، ويؤكد تمسك المسلمين بسيرة العترة التي كان يعرفها للأمة بوصفها المثال البارز للاعتدال والوسطية . وقد أشار الأئمة عليهم السلام إلى منزلة أهل البيت ومكانتهم ، من ذلك دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في الصلوات الشعائرية ، حيث جاء فيها : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الْفُلْكِ الْجَارِيَةِ فِي الْلُجَجِ الْغَامِرَةِ ؛ يَأْمَنُ مَنْ رَكِبَهَا ، وَيَعْرِقُ مَنْ تَرَكَهَا ، الْمُتَّقِدِّمُ لَهُمْ مَارِقٌ ، وَالْمُتَأَخِّرُ عَنْهُمْ زَاهِقٌ ، وَاللَّازِمُ لَهُمْ لَاحِقٌ . [1] وهكذا نبّه أئمة الدين الناس على لزوم الاعتدال في الفكر والحياة ، وأكّدوا ذلك . ويمكننا أن ندرك من هذا كلّ أن الخروج عن جادة الاعتدال ، والسقوط في حضيض الإفراط والتطرّف لا يستتبع إلّا الشذوذ ، وربّما الانجراف مع تيّار الفساد . ومثّل الخوارج - في نطاق الثقافة الإسلامية - تيّارا متطرّفا ذا مواقف حادّة متشنّجة بعيدة عن الاعتدال ، ونُعتوا في الأحاديث النبويّة بصفة «التعمّق» : «إِنَّ أَقْوَامًا يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ يَمْرُقُونَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ» . وتتناول هذا الاصطلاح فيما يأتي بإيجاز قبل أن نتحدّث عن جذور تيّار الخوارج :

التطرّف الديني في اصطلاح الحديث

ذكرنا أنّ الإسلام دينٌ وسطٌ يرفض الإفراط ، والتطرّف ، والخروج عن الاعتدال ، ولنا أن نلمس هذه الحقيقة في التعاليم الدينيّة بعناوين متنوّعة . منها : إنّنا نلاحظ أنّ الإفراط والتطرّف وردا في لسان الأحاديث والروايات تحت عنوان «التعمّق» ، قال

[1] مصباح المتجهد : ص361 ح485 .

رسول الله صلى الله عليه وآله : «إِنَّا كُمْ وَالتَّعَمَّقَ فِي الدِّينِ ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُ سَهْلًا ، فَخُذُوا مِنْهُ مَا تُطِيقُونَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَا دَامَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا» [1] . وثُلقي فيما يأتي نظرة عابرة على هذه المفردة مستهدين بما ذكره أرباب المعاجم . قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : الْمُتَعَمَّقُ : المبالغ في الأمر المنشود فيه الذي يُطلب أقصى غايته [2] . وجاء في «لسان العرب» : الْمُتَعَمَّقُ : المبالغ في الأمر المتشدد فيه الذي يطلب أقصى غايته [3] . ونجد هذا المعنى أيضا في كلام المحدثين ؛ فقد ذهبوا في شرح روايات جمّة إلى أنّ التعمّق هو الإغراق في الخروج عن الاعتدال ، والإفراط في مقابل الاعتدال [4] . إنّ التنقيب عن مواضع استعمال «التعمّق» في المعاجم والأحاديث الإسلامية المنقولة في مصادر الفريقين لا يُريب الباحث في أنّ المراد من هذه الكلمة في الثقافة الإسلامية ليس إلّا الإفراط ، والتطرّف ، والخروج عن الاعتدال . وعلى أيّ

[1] كنز العمال : ج3 ص35 ح5348 .

[2] كتاب العين : ص579 .

[3] لسان العرب : ج10 ص271 .

[4] قال المجلسي قدس سره في بيان ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام : «لا تعمّق في الوضوء» : أي بإكثار الماء ، أو بالمبالغة كثيرا في إيصال الماء زائدا عن الإسباغ المطلوب . بحار الأنوار : ج80 ص258 وراجع وسائل الشيعة : ج1 ص434 «باب استحباب صفق الوجه بالماء قليلاً عند الوضوء وكراهة المبالغة في الضرب ، والتعمّق في الوضوء» وصحيح البخاري : ج6 ص2661 «باب ما يكره من التعمّق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع» .

حال لو لم يكن إلّا الحديث الذي أوردناه آنفاً لكفى به برهانا على ما نقول . وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يوصي أصحابه دائما ألاّ يتجاوزوا حدّ الاعتدال في أمور الدين ، ولا يُخرجوا أنفسهم ، ولا يفقدوا حماسهم ونشاطهم في العبادة ، وأن يُراعوا حدود السنّة ، ولأنّ المجال هنا يضيق عن ذكر كلّ وصاياه وتعاليمه

التربوية المليئة بالدروس والعبر ، الجديرة بالقراءة والتأمل . فإننا نذكر نرزا يسيرا منها : «ألا وإنَّ لِكُلِّ عِبَادَةٍ شِرَّةً ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى فِتْرَةٍ ، فَمَنْ صَارَتْ شِرَّةً عِبَادَتِهِ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى ، وَمَنْ خَالَفَ سُنَّتِي فَقَدْ ضَلَّ ، وَكَانَ عَمَلُهُ فِي تَبَابٍ ، أَمَا إِنِّي أَصَلِّي وَأُتَامُ ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّ وَأُبْكِي ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ مِنْهَاجِي وَسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [1]. وكان صلى الله عليه وآله ينظر في مرآة الزمان إلى أفراد من أُمَّته يناهضون الحقَّ لإفراطهم وتطرُّفهم ، ويصرون على موقفهم إصرارا سُرعان ما يُبعدهم عن الدين وحقائقه ، ولذا قال في حقِّهم : «إِنَّ أَقْوَامًا يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ ، يَمْرُقُونَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» [2]. وقال مشيرا إلى علامات هؤلاء : «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدَّابُونَ يَعْنِي يُعْجِبُونَ النَّاسَ وَتُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» . فالتعمق هو التطرف والإفراط ، وإذا ما جُعل ميزانا لأفعال الآخرين فلا يُنتج إلَّا الحكم الجائر ؛ فيرى الحقُّ دوما في جانبه ، وليس للآخرين حظُّ منه ، وهذا النوع من الرؤى هو الذي يسبب الفرقة ، ويستتبع الزيف ويوجد الشقاق ، وبالتالي فيصبح دعامة للكفر ، وحسبنا في المقام كلام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه الحقيقة ، وأنَّ التعمق أحد أسس الكفر ، إذ يقول :

[1] الكافي : ج 2 ص 85 ح 1 .

[2] مسند ابن حنبل : ج 4 ص 318 ح 12615 .

«وَالْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٍ : عَلَى التَّعَمُّقِ ، وَالتَّنَازُعِ ، وَالزَّيْغِ ، وَالشِّقَاقِ ؛ فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُبْ إِلَى الْحَقِّ» [1]. ومثل هؤلاء المتعمقين بتماديهم في ظنونهم وأوهامهم ، وإغراقهم في أفكارهم ، ومن ثمَّ أساليبهم المفرطة ، لا يجدون مجالا للإجابة إلى الحقِّ ، ومن هنا لا ينقادون للإسلام ، وهل الإسلام إلَّا التسليم للحقِّ ، والإقرار به ، والخضوع له بعد فهمه ؟ والمؤسف أنَّ مشكلة الخوارج الكبرى قد تمثَّلت في توجَّهاتهم المتطرَّفة المفرطة اللامتناهية ، لذلك آل أمرهم إلى حكمهم بالكفر على كلِّ من لا يرى رأيهم ولا يعمل عملهم !

نقطة البداية في الانحراف

إنَّ عددا من المسلمين في عصر صدر الإسلام لم يتلقَّ تحذير النبي صلى الله عليه وآله من «التعمق» بكثيرٍ من الجِدَّةِ ؛ لأسباب سنعرضها عند الحديث عن جذور «التعمق» ؛ فهؤلاء قد تجاوزوا السَّنة النبويَّة ، وأفرطوا في نزعاتهم حتى وقَّحُوا في بعض المِرَّاتِ واجتروا يؤاخذون النبي صلى الله عليه وآله و آلِه إذ كان صلى الله عليه وآله في أحد الأيام مشغولاً بتوزيع الغنائم ، وقسمتها بمراعاة مصالح معيَّنة ، فهبَّ أحد هؤلاء «المتقدِّسين» ، وقد سَوَّلَ له نفسه أنَّه أعدل من رسول الله صلى الله عليه وآله في القسمة بزعمه ، وطلب منه أن يعدل في التوزيع ! وطعن في تقسيمه القائم على التعاليم القرآنيَّة ، وكان أثر السجود باثنا على جبهته ، ورأسه مخلوق على طريقة «المتقدِّسين» يومئذٍ ورفع عقيرته بغلظة وفظاظة قائلاً : «يَا مُحَمَّدُ ، وَاللَّهِ مَا تَعْدِلُ !» فقال له النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله مَغْضَباً : وَيَحْكُ ! فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ وَهَمَّ الصَّحَابَةُ بِقَتْلِهِ لموقفه الوقح هذا ، بَيَّدَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله عليه وآله مَنَعَهُمْ ، وحكى لهم صورةً

[1] نهج البلاغة : الحكمة 31 .

عن مستقبله ، وأنبأهم بأنَّه ورفقاءه بعيدون عن الحقِّ من منطلق «التعمق» وقال : «سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ» . [1] وقال في خبر آخر : «إِنَّهُ يَخْرُجُ هَذَا فِي أَمْنَالِهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ وَفِي ضُرْبَائِهِ يَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ مِنْ قِبَلِ دِينِهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لَا يَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ» . [2] والعجب أنَّ هؤلاء قد تقمَّصوا الزهد ، وعليهم سيما العابدين أو هيئة الراهدين ، بَيَّدَ أَنَّهُمْ - من منظار رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله - من الدين خارجون ، وعن الحقِّ والحقيقة بعيدون ، وهم الذين كانوا يسمُّون أنفسهم «القرَّاء» أيضا ، في حين أبان النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله هذه الصفة وجلَّى طبيعتها أيضا ، فقد قال صلى الله عليه وآله عليه وآله : «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ خُلُوقَهُمْ أَوْ حَنَاجِرَهُمْ !» [3]. وبحسن بنا أن نتحدَّث بإجمال عن مصطلح «القرَّاء» ؛ لما كان له من أُرْضيَّة اجتماعيَّة في التاريخ الإسلامي .

تِيَّارُ الْقُرَّاءِ وتبلوره

كان في المجتمع الإسلامي أشخاص مشهورون بخُسن القراءة ، وحظي هؤلاء بشعبيَّة لافتة للنظر ، وإقبال حَسَنٍ بين الناس ، حتى غدا عنوان «الفارئ» امتيازاً له أثر في تعيين المناصب أحيانا [4].

[1] مسند ابن حنبل : ج 2 ص 681 ح 7059 .

[2] كنز العمال : ج 11 ص 306 ح 31587 .

[3] صحيح البخاري : ج 6 ص 2540 ح 6532 .

[4] تاريخ الطبري : ج 3 ص 99 .

وقد ازداد عددهم بمرور الأيام ، وكانوا يخلقون رؤوسهم على طريقة خاصة [1] ، ويضعون عليها برانس خاصة لتمييزهم عن غيرهم ، فعرفوا بـ «أصحاب البرانس» . وكان القراء متفرّقين في مكّة ، والمدينة ، والشام ، والكوفة ، لكنّ معظمهم كان في الكوفة [2] . ولم يشتركوا في الشؤون السياسيّة غالبا ، بيد أنّهم طفقوا ينتقدون عثمان في أيام خلافته ، ولم يُطبق انتقادهم وتعنيفهم فنفاهم ، ولهم في الثورة عليه وقتله دور أيضا .

دور القراء في جيش الإمام عليّ عليه السلام

كان القراء - بسابقتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية هذه - يشكّلون قسما لافتا للنظر من جيش الإمام عليه السلام ، وعُرفوا بالشجاعة والإقدام والقتال ، وكان لهم موقع في جيشه عليه السلام ، بحيث إنّهم لمّا أُبِيدوا في النهروان تركوا فراغا مشهودا في الجيش . ويدلّ على موقعهم أيضا أنّ معاوية عندما شنّ غاراته ، وحثّ الإمام عليه السلام جُنده على الدفاع عن الثغور ، فلم يسمع جوابا منهم ، قال أحد أصحابه : «ما أحوَجَ أمير المؤمنين عليه السلام ومَن معه إلى أصحاب النهروان!» [3] .

القراء وفرض التحكيم على الإمام عليه السلام

مما يؤسف له أنّ هؤلاء القراء بماضيهم المعروف قد خدعتهم - وهم في جيش الإمام عليه السلام - المكائد الخفية لمعاوية وعمرو بن العاص وعملائهما ، بسبب تطرّفهم ، وإفراطهم أو تعمّقهم على حدّ تعبير النبيّ صلى الله عليه وآله ، ففرضوا التحكيم على الإمام عليه السلام .

[1] قال ابن أبي الحديد : كان شعارهم أنّهم يخلقون وسط رؤوسهم ويبقى الشعر مستديرا حوله كالإكليل (شرح نهج البلاغة : ج 8 ص 123 وراجع بحار الأنوار : ج 68 ص 289) .

[2] حياة الشعر في الكوفة : ص 244 .

[3] الأمالي للطوسي : ص 174 ج 293 .

لقد احتال ابن العاص وسوّل للجيش مكيدته في وقتٍ أوشك أن يطوى فيه ملفّ الشام إلى الأبد ، وتستريح الأمة من هذه الفتنة العمياء السوداء ، وأمر برفع المصاحف على الرماح دلالةً على الكفّ عن القتال ، وأمارّةً على تحكيم كتاب الله فيه ، فاتّخذ أولئك القراء موقفهم المُشين المشهور ، وهم المعروفون بسطحيتهم ونظرهم إلى ظاهر الأمور لا باطنها ، ولم يروا وجه الحيلة ، فأجبروا الإمام عليه السلام على قبول التحكيم ، والإمساك عن القتال تعظيما لحرمة القرآن بزعمهم ، وأكروهه على ذلك بالرغم من معارضته عليه السلام ومعه الخاصة من أصحابه ، وهدّوه بالقتل عند الرّفض ، ولم يكن له عليه السلام سبيل إلّا الاستجابة لذلك المنطق المتعسف الخاوي الجهول ؛ لما كان لهم من تغلغل ونفوذ في جيشه ، وقيل الإمام عليه السلام اقترحهم ، فاستدعى «مالكا» الذي كان قد تقدّم في المعركة واقترب من فسطاط معاوية . وهكذا انطلقت الخديعة ، وواجهت حكومة الإمام عليه السلام مشكلة جدّية .

انفصال القراء عن الإمام عليه السلام

ما لبث أن أُميط اللثام ، وافتضحت خديعة معاوية ، وأدرك القراء السطحيون خطأهم وانخداعهم بمكيدة رفع المصاحف ، ولكنّهم بدل أن يستفيقوا فيعيدوا الحقّ إلى نصابه ، والماء إلى مسابه نراهم كابروا بمضاعفة تطرّفهم ، وجهلهم ، وإفراطهم ، ونظرتهم الضيقة المغلقة ، واجترحوا سيئةً أكبر من سابقتها ، فقالوا للإمام عليه السلام : لقد كفرنا بعلنا هذا ، وإنا تائبون منه ، وأنت كفرت أيضا ؛ فليكن أن تتوب مثلنا ، وتنتكث ما عاهدت عليه معاوية ، ونعود إلى مقاتلته ! ولا ريب في أنّ نكت الإمام عهده - مضافا إلى ما فيه من مخالفةٍ لسيرته وأسلوبه وتعاليم دينه - يُفضي إلى تضيق هؤلاء «المتقدّسين» المتعنّتين الخناق على الإمام عليه السلام ، وتحديد نطاق حكومته إلى درجة ينفلت معها زمام الأمور ، ويفقد عليه السلام

القدرة على صنع قراره في الحرب والسلم ، والسياسة والإدارة ؛ وتخرج الأمور المهمة من يده . فلذا واجه عليه السلام هذا الطلب الجهول بكلّ قوّة ، لكنّ أولئك القراء بدل أن يتأمّلوا في هشاشة موقفهم الأحقّ هذا ، افترقوا - عند الرجوع من صقّين - عن أمير المؤمنين وإمام المتديّنين ؛ انطلاقا من «التعمّق» في الدين والإفراط في السلوك المشين ، وعسكروا في «حروراء» قريبا من الكوفة .

انقلاب «القراء» إلى «المارقين»

أجل ، تحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وإذا الذين كانوا بالأمس وجوه المسلمين البارزة ، وممن جمعوا في حياتهم بين الجهاد والقتال ، والزهد والعبادة ، يقفون اليوم أمام الدين وإمام المسلمين بسبب إصابتهم بداء التعمق والتطرف ؛ متذرعين بذريعة الدفاع عن ساحة القرآن وحريم الدين . وهكذا أخرجهم داء الإفراط والتطرف من الدين حتى لم يبق في نفوسهم للدين من أثر . وهكذا استحقوا عنوان «المارقين» الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد وصفهم به من قبل . ومما كان صلى الله عليه وآله قد قاله للإمام عليه السلام : «يا علي ! تولا أنت لما قوتل أهل النهر ، قال : قُلتُ : يا رسول الله ! ومن أهل النهر ؟ قال : قوم يَمْرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهم من الرميّة» [1].

الإمام عليه السلام ومباهاته باجتثاث فتنة «التعمق»

اتضح ممّا ذكرناه إلى الآن حول تيار «التعمق» والوجوه المنتمة إليه أنّ الاصطدام به كان عملاً صعباً ، وحقيقة الأمر أنّ استئصال جذور هذه الفتنة - التي كانت في ظاهرها تياراً وطيداً في التدنّين - عملٌ في غاية الإعضال ، وكان الإمام عليه السلام يرى أنّ

[1] الأمالي للطوسي : ص 200 ح 341 ، بحار الأنوار : ج 33 ص 325 ح 570 .

إبادة هذا التيار واقتلاع جذور الفتنة من مفارح عصر خلافته ، فقد قال عليه السلام : «إني فقاُ عَيْنَ الفتنَةِ ، ولم يكن ليَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي» [1]. إن قتال أدعياء الحق ؛ القرءاء الذين كانت ترنيمات القرآن قد ملأت حياتهم ، وجرى على سنتهم نداء «لا حُكْمَ إلّا لله» وهم يسير ربّانية الظاهر ، عملٌ جدٌ عسير ؛ فهؤلاء كانوا يُحيون الليل بالعبادة ، ويخرون للأذقان سجّداً سجّداً طويلة ، وجباههم ثغفات من كثرة السجود . وكانوا لا يعرفون حدّاً لانتقاد غيرهم ، واشتهروا بوصفهم رجالاً أولي شأني وقوّة في الدين . لكن وأسفاه ! إذ كانوا مرضى القلوب ، ضيّقي الأفكار ، صغار العقول . من هنا كان الاصطدام بتيار «التعمق» - بناءً على ما ذكر - ممّا لم يقدر عليه يومئذ إلا الإمام عليه السلام وكان قمعه يتطلّب بصيرة وحزماً خاصاً متميّزاً لم يقدر عليه سوى عليّ عليه السلام . وهذه الكلمة كلمته المشهورة التي نطق بها بعد قتال الخوارج لم يُقلها - لذلك - في حربه مع «الناكثين» و«الفاستين» فإنّه ما قال في قتال هاتين الطائفتين : «لم يكن ليَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي» أو «تولا أنا ما قوتل . . .» ، بيد أنّه قال ذلك في قتال الخوارج .

جذور التعمق

لننظر الآن من أين ظهر هذا التيار ، وكيف ؟ ولماذا ظهر إن دراسة جذور هذا التيار ، والوقوف على بواعث انحراف أصحابه يعتبران من أهمّ موضوعاته وتتجلى أهميّة هذه الدراسة بملاحظة إخبار النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام باستمرار هذا التيار عبر التاريخ الإسلامي ، وأنّ مقارعة التطرف والإفراط ، واليقظة والحذر منهما حاجة

[1] شرح نهج البلاغة : ج 7 ص 44 .

لازمة للأمة الإسلامية . قال النبي صلى الله عليه وآله في استمرار هذا التيار الفكري : «كُلّما قُطِعَ مِنْهُمْ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ ثُمَّ يَخْرُجُ فِي بَقِيَّتِهِمُ الدّجَالُ» . [1] وعندما أريد الخوارج في النهروان وقبل للإمام عليه السلام : هلك القوم بأجمعهم ، قال عليه السلام : «كَلّا وَاللّهِ ، إِنْهُمْ نُطْفٌ فِي أَصْلَابِ الرّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ ؛ كُلّما نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حتّى يكون آخرهم لوصاً سلّابين» . [2] من هنا ، ينبغي التوقّر قبل كلّ شيء على دراسة نفسيّات المارقين ، والتنقيب عن جذور «التعمق» ، واستقصاء ممهّدت هذا التطرف ، لعلّ في ذلك عبرة لمعتبر في عصرنا هذا وجميع الأعصار .

1 . الجهل

لا مناصّ من عدّ الجهل أوّل عامل في دراسة جذور «التعمق» وقد نصّت الأحاديث والروايات على هذه النقطة ؛ فإنّنا نلاحظ عليّاً عليه السلام ينظر إلى الجهل مصدراً للإفراط والتفريط ، والتطرف والتكؤ ، قال عليه السلام : «لا تَرَى الجاهِلَ إلّا مُفْرِطاً أو مُقَرِّطاً» [3] . وهكذا نجده في كلام الإمام الباقر عليه السلام إذ عدّه أساس تطرف الخوارج وموقفهم المفرط ، فقد قال إسماعيل الجعفي : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسعُ العباد جهله ؟ فقال :

[1] مسند الطيالسي : ص 303 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 60 .

[3] نهج البلاغة : الحكمة 70 .

«الدِّينُ واسعٌ ، ولكنَّ الخَوارجَ ضَيِّقوا على أنفُسِهِمْ مِنْ جَهْلِهِمْ» [1]. وهذه هي النقطة التي أكّدها أمير المؤمنين عليه السلام من قبل عند تحليله النفسي والفكري للخوارج وسبب تطرّفهم ونزعانهم المفرطة ، فقال : « . . . ولكن مُنِيتُ بِمَعَشَرٍ أَخَفَاءِ الْهَامِ ، سَقَّهَاءِ الْأَحْلَامِ » [2]. وقال في كلام آخر يخاطبهم به : «وَأَنْتُمْ - وَاللَّهِ - مَعَاشِيرُ أَخَفَاءِ الْهَامِ سَقَّهَاءِ الْأَحْلَامِ» [3]. وفي كلام رفيع له عليه السلام كان يهدف منه إيقاظهم ، أوصاهم في سياق توضيح بعض الحقائق أن يرجعوا عن لجاجهم وعملهم الذي يسوّله لهم جهلهم ، وأن يتبنّوا طريق الاعتدال ، وأشار فيه إلى خلقهم وجلبتهم فقال عليه السلام : «تُمْ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَصَرَبَ بِهِ تَبِيهَهُ . وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ : مُجِبٌّ مُقِرٌّ يَذْهَبُ بِهِ الْخُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ؛ وَمُبِغِضٌ مُقِرٌّ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ . وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ التَّمَطُّ الْأَوْسَطُ ؛ فَالزَّمُوهُ» [4].

العقل مقياس الأعمال

إنّ التعقّل ، والانطلاق من العقل في العمل ، وقياس السلوك بالفكر والتفكّر كلّ أولئك في غاية الأهميّة من منظار الدين . وللدين تأكيد عجيب في هذا المجال ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما قَسَمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ الْعَقْلِ ، فَتَوَمَّرَ الْعَاقِلُ أَفْضَلَ مِنْ سَهَرَ الْجَاهِلِ ،

[1] الكافي : ج 2 ص 405 ح 6 .

[2] نهج السعادة : ج 2 ص 393 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 85 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 127 .

وإقامة العاقل أفضل من شُخوص الجاهل» [1]. من هنا ، لا يقام وزن للأعمال التي لا تُمارَس من وحي العقل ، ولا للجهود المنطلقة من الجهل والحمق . وهكذا كان الخوارج في حقّة عقولهم وجهلهم ؛ فإنّهم لم يلجؤوا إلى ركن وثيق في الدين مع جميع ما كانوا عليه من العبادة وقيام الليل . والغريب أنّهم لم يظفروا بمعتقدات راسخة قطّ مع ما عرفوا به من استيسالهم في ساحات الوغى ، وعباداتهم الطويلة ، وتحملهم مشقّات في العبادة . وهذا كلّ لم يؤدّ دوراً تكاملياً في عقائدهم . وحين سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً من الحرورية يتهجّد ويقرأ ، قال : «تَوَمَّرَ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ» [2].

عمق جهل الخوارج

إنّ جهل الخوارج مُدهش إلى درجة أنّهم كانوا في مِرْيَةٍ وشكٍّ من أمرهم حتى اللحظات الأخيرة من الحرب التي أوقدوها وزهقت فيها أرواحهم ، بيد أنّهم لم يرجعوا عن مكابرتهم . وهذه من النقاط المهمّة في تحليل شخصيتهم ، أي أنّهم على الرغم من تطرّفهم الشديد في العمل لم يلجؤوا إلى ركن وثيق في العقيدة . وعلى سبيل المثال لمّا هلك أحدهم في النهروان قال : «حَبَّذَا الرَّوْحَةَ إِلَى الْجَنَّةِ» ، فقال قائدهم عبد الله بن وهب : ما أدري أإلى الجنّة أم إلى التّار ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ كَانَ يَرَى هَذَا الْمَشْهَدَ : «إِنَّمَا خَصَرْتُ اغْتِرَاراً بِهَذَا ، وَأَرَاهُ قَدْ شَكَّ ! ! فَانْخَزَلْ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَالَ إِلَى نَاجِيَةِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ» . ونذكر بأنّ جواب صادق آل محمّد صلى الله عليه وآله بشأن الخوارج جدير بالمطالعة والتأمّل .

[1] الكافي : ج 1 ص 12 ح 11 .

[2] نهج البلاغة : الحكمة 97 .

فقد سمّاهم «الشُّكَّاك» ، ونبّه أيضاً على موافقهم من الوجهة النفسيّة ، فعن جميل بن درّاج : قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ [الإمام الصادق] عليه السلام : الْخَوَارِجُ شُكَّاكٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ وَهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْإِرَازِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ مِمَّا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ [1]. والنقطة الملفتة للانتباه في هذا الحوار هي أنّ السائل يجد صعوبة في أن يقر بأنّ رجالاً يشبهون سيوفهم ويقاتلون دفاعاً عن عقيدة مشوبة بالشك والارتياب . وجواب الإمام عليه السلام هو أنّهم لا ينطلقون في تحركهم من وحي عقيدة راسخة معيّنة ، بل من وحي عواطف باطنية دعته إلى اتّخاذ مثل ذلك الموقف ، وهذه النقطة شديدة الإثارة للتأمّل والدعوة إلى الاعتبار ، فقد يحدث - بل كثيراً ما يحدث - أن يقع الإنسان دونما تفكير أسيراً لعواطفه دفعةً واحدة ، في المواطن المثيرة والمواضع التي تحكمها اللحظة الحاضرة إلى درجة يتعطل معها عقله بغتةً ، وهو يعيش إعصار العاطفة ، فإذا ما سكن هذا الإعصار وهدأت فورته يفهم الراكب موجته ماذا كان فعل ، وكيف فقدّ كنهه ! وكلام الإمام عليه السلام يدلّ على أنّ تحرّك المارقين لم يعتمد على عقيدة راسخة . وفيما ذكرناه . وفي غيره من الحقائق التي تصدق على حياة بعضهم - إنارة وبيان لهذه الحقيقة .

يمكن أن نعدّ حبّ الدنيا وتأثير مغرباتها العامل الثاني لانحراف الخوارج ، مهما تعدّدت أشكال هذا الحبّ ومؤشّراته . وهذا الموضوع في الحقيقة أهمّ عامل في زرع التيارات الثلاثة : الناكثين والقاسطين والمارقين . وقد تعرّض الإمام عليه السلام إلى هذه

[1] تهذيب الأحكام : ج 6 ص 145 ح 251 .

553

كتابخانه مدرسه فهايت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

الحقيقة في كلام عميق له قال فيه : «فَلَمَّا تَهَضَّتْ بِالْأَمْرِ تَكُنْتُ طَائِفَةً ، وَمَرَقْتُ أُخْرَى ، وَقَسَطَ آخَرُونَ ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا قِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [1] . بَلَى وَاللَّهِ ، لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ خَلَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَرَافَقَهُمْ زِبْرُجُهَا [2] . وَلَعَلَّ مَا جَاءَ فِي التَّارِيخِ حَوْلَ الْخَوَارِجِ يَجْعَلُ التَّصْدِيقَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ عَسِيرًا بَعْضُ الْعُسْرِ ، ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا اتَّخَذُوا الزَّهْدَ شَعَارًا لَهُمْ ، وَظَهَرُوا بِمَظْهَرِ الْعَازِفِينَ عَنِ الدُّنْيَا ، وَأَتَعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ ، وَجَاوَزُوا حَدَّ الْإِعْتِدَالِ فِيهَا ، وَرَغِبُوا عَنْ مَادِّيَّاتِ هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَكَانُوا يُبْلُونَ بِلَاءً حَسَنًا فِي مِيَادِينِ الْقِتَالِ ، كَيْفَ يَكُونُ لِحُبِّ الدُّنْيَا مِنْ مَعْنَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ ؟ ! وَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ : «هَاهُنَا أَلْفُ مَسْأَلَةٍ هِيَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ» [3] . فَلِلْإِقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا مَعَالِمٌ وَوُجُوهُ ، ذَلِكَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَشَدَّدُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ حِينَ ، وَيَعْتَفُ بِهَا ؛ لَكَيْ يَكُونَ مَشْهُورًا مَحْبُوبًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَذِيعُ صِيَّتَهُ ، وَيَتَحَدَّثُ الْمُتَحَدِّثُونَ بِاسْمِهِ ! أَجَلْ : 0 كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ يَطْلُبُ صَبْدًا إِمَّا الْإِخْتِلَافُ فِي الشَّيْكَاتِ 0 وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ أَنْ يُخْلَصَ دَخِيلَتُهُ فِيهَا مَا لَمْ يَخْلَصْ مِنْ حِبَالَةِ النَّفْسِ وَفِجِّ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ الْوَاضِحُ أَنَّ الْإِقْبَالَ عَلَى الدُّنْيَا - إِذَا كَانَ فِي قَالِبِ التَّائِبِينَ وَلِبَاسِ أَهْلِ الْآخِرَةِ - أَضَرُّ بِكَثِيرٍ مِمَّا إِذَا كَانَ فِي قَالِبِ حُبِّ الدُّنْيَا وَاللَّهْثِ وَرَءَاهَا ، وَفِي رَيِّ الْإِتْرَافِ . ذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْعَسِيرِ إِدْرَاكَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ الظَّاهِرِ .

[1] القصص : 83 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

[3] ترجمة لمثل فارسي .

554

كتابخانه مدرسه فهايت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

ولنا أن نلمس هذه الحقيقة بوضوح في تصوير شامل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث فيه عن أصناف الناس في عصره ، قال عليه السلام : «وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا يَعْمَلُ الْآخِرَةَ وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ يَعْمَلُ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِيهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَحَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَاتَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ دَرِيْعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ» [1] . وَمَنْ الصَّعْبُ تَمْيِيزُ النَّمَاذِجِ الْمَائِلَةِ لَطَلَّابِ الدُّنْيَا بِخَاصَّةِ طَلَّابِهَا الَّذِينَ عَلَيْهِمْ مَسْحَةُ التَّوَجُّهِ إِلَى الْآخِرَةِ ، فَهَذَا اللَّوْنُ مِنَ التَّوَجُّهِ لَا يَظْهَرُ إِلَّا عِنْدَ مُحَاطَاتِ الْإِخْتِبَارِ وَفِي مُنْعَطَفَاتِ الْحَيَاةِ الْوَعْرَةِ ، وَهَنَاجِ تَنْجَلِي جَوْهَرَةِ الْبَاطِنِ ، وَنِعَمَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْمَجَالِ : «فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرَّجَالِ» . [2] إِنْ إِدْرَاكُ الْحَقِيقَةِ الْمُسْتَخْفِيَةِ وَرَاءَ حِجَابِ الرِّبَا وَالتَّدْلِيسِ أَمْرٌ لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ ؛ فَهُوَ يَتَطَلَّبُ بَصِيرَةً عَمِيقَةً ثَاقِبَةً كَبَصِيرَةِ مَالِكِ الْأَشْتَرِ ، حَتَّى يَتَسَنَّى أَنْ يُرَى حُبُّ الدُّنْيَا كَامِنًا وَرَاءَ السَّجْدَاتِ الطَّوِيلَةِ وَالتَّزَعُّاتِ الْخَادِعَةِ بِبَرِيقِ قَدَاسَتِهَا الْمَفْتَعَلَةِ . لَقَدْ كَانَ مَالِكٌ عَلَى مِشَارِفِ النُّصْرَةِ فِي صَقِينِ ، وَتَقَدَّمَ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْ خِيْمَةِ طَلَّابِ السُّلْطَةِ ، لَكِنَّهُ أَكْرَهَ عَلَى التَّقَهُّقِرِ تَحْتَ ضَغْطِ «الْقُرَّاءِ» . وَحِينَ عَادَ خَاطِبُهُمْ بِحَرْقَةٍ وَأَلَمٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : «يَا أَصْحَابَ الْجِبَاهِ السُّودِ ! كُنَّا نَطُنُّ صَلَوَاتِكُمْ زَهَادَةً فِي الدُّنْيَا ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، فَلَا أَرَى فِرَارَكُمْ إِلَّا إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الْمَوْتِ ، أَلَا قُبْحًا يَا أَشْبَاهَ الْيَبِّ الْجَلَّالَةِ» [3] .

[1] نهج البلاغة : الخطبة 32 .

[2] نهج البلاغة : الحكمة 217 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 50 .

555

كتابخانه مدرسه فهايت

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

وهذا اللون من طلب الدنيا وضروب حبّها والركون إليها ورد أيضا في كلام ترويّي للإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام يبعث على التذكير والتنبيه ، فلنقرأه معاً : «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ حَسَنَ سَمِيَّةً وَهَدِيَّةً ، وَتَمَاقُوتَ فِي مَنْطِقِيهِ ، وَتَخَاضَعَ فِي حَرَكَاتِهِ ، فَرُودًا لَا يَغْفَرُكُمْ ؛ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُعْجِزُهُ تَنَاوُلُ الدُّنْيَا وَرُكُوبُ الْمَحَارِمِ مِنْهَا لِيَضَعَفَ بَيْتُهُ ، وَمَهَاتَبِهِ ، وَجُنَّ قَلْبُهُ ؛ فَتَصَبَّ الدِّينَ فَنَاقَا لَهَا ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَخْتِلُ النَّاسَ بِظَاهِرِهِ ؛ فَإِنْ تَمَكَّنَ مِنْ حَرَامٍ اقْتَحَمَهُ . وَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعْفُ عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ فَرُودًا لَا يَغْفَرُكُمْ ؛ فَإِنَّ شَهَوَاتِ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَبْنُو عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ وَإِنْ كَثُرَ ، وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى شَوْهَاءٍ قَبِيحَةٍ قِيَانِي مِنْهَا مُحَرَّمًا ،

فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِيفُ عَنْ ذَلِكَ قَرُّوْهُ لَا يَغْرُكُم حَتَّى تَنْظُرُوا مَا عَقَدَهُ عَقْلُهُ ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ أَجْمَعَ ، ثُمَّ لَا يَرْجِعْ إِلَى عَقْلِ مَتِينٍ ، فَيَكُونُ مَا يُفْسِدُهُ يَجْهَلُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ يَعْقِلُهُ ، فَإِذَا وَجَدْتُمْ عَقْلَهُ مَتِينًا ، قَرُّوْهُ لَا يَغْرُكُم حَتَّى تَنْظُرُوا : أَمْ مَعَ هَوَاهُ يَكُونُ عَلَى عَقْلِهِ ، أَوْ يَكُونُ مَعَ عَقْلِهِ عَلَى هَوَاهُ ؟ وَكَيْفَ مَحَبَّتُهُ لِلرَّئِاسَاتِ الْبَاطِلَةِ وَهَذِهِ فِيهَا ؟ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ يَتْرُكُ الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، وَيَرَى أَنَّ لَذَّةَ الرَّئِاسَةِ الْبَاطِلَةِ أَفْضَلُ مِنْ لَذَّةِ الْأَمْوَالِ وَالْيَعْمِ الْمُبَاحَةِ الْمُحَلَّلَةِ ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ طَلْبًا لِلرَّئِاسَةِ الْبَاطِلَةِ ، حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ ، أَخَذَتِ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ، وَلَيْسَ الْمَهَادُ ؛ فَهُوَ يَخِيطُ خَبْطَ عَشَوَاءَ ، يَقُوْدُهُ أَوَّلُ بَاطِلٍ إِلَى أْبَعَدِ غَايَاتِ الْخَسَارَةِ ، وَيُمِدُّهُ رَبُّهُ بَعْدَ طَلْبِهِ لِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي طُغْيَانِهِ ، فَهُوَ يُجِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَيُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، لَا يُبَالِي مَا فَاتَ مِنْ دِينِهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ رِئَاسَتُهُ الَّتِي قَدْ شَقِيَ مِنْ أَجْلِهَا ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا . وَلَكِنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُلِ يَعْمَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ هَوَاهُ تَعَالَى لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَقُوَاهُ مَبْذُولَةً فِي رِضَى اللَّهِ ، يَرَى الذُّكْرَ مَعَ الْحَقِّ أَقْرَبَ إِلَى عِزِّ الْأَبَدِ مِنَ الْعِزِّ فِي الْبَاطِلِ ،

وَيَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلًا مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ صَرَائِهَا يُؤَدِّيهِ إِلَى دَوَامِ التَّعْمِقِ فِي دَارٍ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقُذُ ، وَأَنَّ كَثِيرًا مَا يَلْحَقُهُ مِنْ سَرَائِهَا إِنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يُؤَدِّيهِ إِلَى عَذَابٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا رَوَالٍ ، فَذَلِكُمْ الرَّجُلُ يَعْمَ الرَّجُلُ ، فِيهِ فَتَمَسَّكُوا ، وَبَسْتَيْهِ فَاقْتَدُوا ، وَإِلَى رَبِّكُمْ يَهْ قَتَوْسَلُوا ؛ فَإِنَّهُ لَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ ، وَلَا تُخَيَّبُ لَهُ طَلِبَةٌ» [1].

آثار التعمق

من المناسب أن نتحدث عن آثار «التعمق» بعد أن تعرّفنا على طبيعته وجذوره ؛ فإننا نلاحظ أنّ الأحاديث التي أحصت أخطار الجاهل «المتنسك» هي في الحقيقة قد صوّرت آثار «التعمق» الضارة . ونقرأ في هذه الأحاديث : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر بهلاك أمته على يد العلماء الفجار ، والعباد الجهال . وقد تجسّد هذا الخبر في أيام حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واتّخذ شكله يومئذٍ ، قال عليه السلام : «قَصَمَ ظَهْرِي عَالِمٌ مُتَهَيِّئٌ ، وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ» [2]. وقال : «قَطَعَ ظَهْرِي اثْنَانِ : عَالِمٌ فَاسِقٌ . . . وَجَاهِلٌ نَاسِكٌ» [3] وقال في خطبة له عليه السلام : «قَطَعَ ظَهْرِي رَجُلَانِ مِنَ الدُّنْيَا : رَجُلٌ عَلِيمٌ الْيَسَانِ فَاسِقٌ ، وَرَجُلٌ جَاهِلٌ الْقَلْبِ نَاسِكٌ ؛ هَذَا يَصُدُّ بِلِسَانِهِ عَنْ فِسْقِهِ ، وَهَذَا يُنْسِكِيهِ عَنْ جَهْلِهِ ؛ فَأَتَّقُوا الْفَاسِقَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَالْجَاهِلَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ ، أُولَئِكَ فِتْنَةُ كُلِّ مَقْتُونٍ» [4]. نلاحظ هنا أنّ الإمام عليه السلام بكلماته هذه يذكر بمشكلة حكومته في الحقيقة ، وأتته

[1] الاحتجاج : ج2 ص159 ح192 .

[2] منية المريد : ص181 .

[3] تنبيه الخواطر : ج1 ص82 .

[4] الخصال : ص69 ح103 .

بلغتنا إلى أنّ حكومته قد تلقت ضربتين قاصمتين من شريحتين ، وأنّ عمودها الفقري قد أصيب وتضعف بذلك ، وهاتان الشريحتان هما : 1 . العلماء المتهتكون ؛ وهم الوجوه البارزة الذين أوقدوا فتنة الجمل وصقّين (الناكثون والفاسطون) ومهدّوا سبل الفساد ، وقسطوا ونكثوا عامدين . 2 . الجهال العابدون الذين واجهوا الإمام عليه السلام في النهروان بسيمااء الزاهدين وباسم الدين منطلقين من جهلهم وحمقهم . وهكذا ، فلا قيمة لعبادات الجاهل المتنسك ، ولا وزن لتهجّداته ، ولا خلاق له منها . وليس هذا فحسب ، بل إنهم يشكّلون خطرا عظيما على الإسلام والحكومة الإسلامية ، وبعبارة أخرى : مثّل العالم المتهتك في خطره على النظام الإسلامي كمثل الجاهل المتنسك في خطره على الأمة الإسلامية والنظام الإسلامي أيضا . ولا غرو أن تُختم حياة الإمام عليه السلام على يد هذه الشريحة الثانية ، فدلّ واقع التاريخ على أنّ خطر العبّاد الجاهلين أشدّ وأكثى . فاستبان - إذن - أنّ أمر تمرّ وأضرّها لشجرة «التعمق» الخبيثة - الضاربة جذورها في الجهل وحبّ الدنيا والمرتدية لباس الدين - هو تقويض أركان النظام الإسلامي . والان نعرّج على أغصان هذه الشجرة بشيء من التوضيح :

1 . العُجب

العُجب ، والزهو ، والتعظيم ، كلّ ذلك يمثّل أوّل غصن للتعمق ، والتطوّف ، والتنسك الجاهل . وقد مُني القراء بهذه الأدواء الوبيّلة ؛ لإفراطهم في تعبّدهم وتسنّكهم ، ونظرهم إلى هذا المرض على أنّه قيمة مهمّة . وزعموا - بفعل هذا المرض - أنّ ليس في الناس من هو أفضل منهم . ومن هنا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهم بغية كشف باطنه الخفيّ له ووضعه أمامه ، فقال :

«أُفْلِتَ فِي نَفْسِيكَ حِينَ وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ : لَيْسَ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ !» . فأراد صلى الله عليه وآله أن ينّبّه على إصابته بداء الزهو والعُجب .

وقال فيه وفي نظائره : «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَدَّبُّونَ وَيَعْمَلُونَ حَتَّى يُعْجِبُوا النَّاسَ وَتُعْجِبَهُمْ أَنْفُسُهُمْ» [1].

خطر العُجب

العُجب أخطر الأمراض الأخلاقية ، فإذا استفحل عند أحد غدا غُضالاً ، وأودى بصاحبه . وكلام صادق آل محمد عليه السلام آية بينة على هذه الحقيقة ، قال عليه السلام : «مَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ هَلَكَ ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَإِنَّ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : دَاوَيْتُ الْمَرْضَى فَشَقَّيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأَبْرَأْتُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَالَجْتُ الْمَوْتَى فَأَحْيَيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَالَجْتُ الْأَحْمَقَ ؛ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِهِ ! فَقِيلَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، وَمَا الْأَحْمَقُ ؟ قَالَ : الْمُعْجَبُ بِرَأْيِهِ وَبِنَفْسِهِ ، الَّذِي يَرَى الْقَضَى كُلَّهُ لَا عَلَيْهِ ، وَيُوجِبُ الْحَقَّ كُلَّهُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يُوجِبُ عَلَيْهَا حَقًّا ، فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ الَّذِي لَا حِيلَةَ فِي مُدَاوَاتِهِ» [2]. وقال السيد الإمام الخميني رحمه الله في وصيته لابنه : «يَا بُنَيَّ اعْتَقُ نَفْسَكَ مِنْ رِقِّ الزهو والعُجب ؛ فَإِنَّهُ إرث الشيطان الذي عصى الله تعالى في الخضوع لوليه وصفيه جلّ وعلا بسببه . واعلم أنّ جميع بلايا الإنسان من هذا الإرث الشيطاني ، فهو أصل أصول الفتن» [3].

[1] فتح الباري : ج 12 ص 289 عن أنس .

[2] الاختصاص : ص 221 .

[3] صحيفة النور «مجموعة كلمات الإمام الخميني» : ج 22 ص 371 .

وإذا ترسّخ هذا الداء في نفس أحد ، فلا ينفعه عندئذٍ أيّ عمل من أعماله في نجاته وتكامله . وقال الإمام الصادق عليه السلام : «قَالَ إِبْلِيسُ - لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - لِيَجُودِيَ : إِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْ ابْنِ آدَمَ فِي ثَلَاثٍ ، لَمْ أَبَالِ مَا عَمِلَ ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ مِنْهُ : إِذَا اسْتَكْتَرَّ عَمَلَهُ ، وَتَسَيَّ دَنْبَهُ ، وَدَخَلَهُ الْعُجْبُ» [1]. إنّ داء العجب في الحقيقة يحول دون استمتاع المرء ببركات أعماله الصالحة من جهة ، ويُفضي إلى ضروب الانحرافات الأخلاقية من جهة أخرى . وهكذا ينبغي أن نؤكد أنّ سائر أعراض «التعمّق» التي سنشير إليها لاحقاً ترشّف من هذه الرذيلة .

2 . استدامة الجهل

وتمثّل الغصن الآخر من أغصان شجرة «التعمّق» ، ولها في العُجب جذور على نحو ما ؛ فحينما يُفِرط الإنسان في عمله ، وينطلق فيه بلا تعقّل ، ويرى نفسه أفضل من الآخرين من دون منازع ؛ فإنّه لا يعيد النظر في فكره وعمله ، ويسعى في جهله ، ويلجّ فيه ، ويطلّ حبيسَ حالته . ومن هنا قال الإمام الهادي عليه السلام : «العُجبُ صَارِفٌ عَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ ، دَاعٍ إِلَى التَّخَبُّطِ فِي الْجَهْلِ» [2]. وفي الواقع أنّ داء العُجب يُلقِي الإنسان في الجهل المركّب حقّاً ، و«المتعمّق» - كما قلنا - يرى أنّ ما يفعله هو الأفضل ، فليَمِ التأمّل وإعادة النظر فيه إذن ؟ وتحدّث القرآن الكريم عن أمثال هذا النموذج بنحو يدعو إلى الاعتبار والاتّعاظ . قال جلّ من قائل :

[1] الاختصاص : ص 221 .

[2] صحيفة النور «مجموعة كلمات الإمام الخميني» : ج 22 ص 371 .

[3] الخصال : ص 112 ح 86 .

[4] نزهة الناظر : ص 140 ح 16 .

[5] الكهف : 103 و 104 .

[6] بحار الأنوار : ج 33 ص 352 .

[7] تحف العقول : ص 73 .

«قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» [1]. وحين ثلّبت هذه الآية الكريمة عند الإمام عليه السلام ، قال : «أَهْلُ حَزْرَاءٍ مِنْهُمْ» [2]. وهكذا يأسر العجب الإنسان في الجهل ، والمفتون بهذا الجهل لا يرى نفسه جاهلاً أبداً ، ولا ينفكّ من هذا القيد بتاتا ، وكلام الإمام عليه السلام في هذا الشأن معيّر ناطق بليغ ، فقد قال عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام : «إِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَدَّ نَفْسَهُ - يَما جَهِلَ - مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ - عَالِمًا ، وَبِرَأْيِهِ مُكْتَفِيًا ؛ فَمَا يَزَالُ لِلْعُلَمَاءِ مُبَاعِدًا ، وَعَلَيْهِمْ زَارِيًا ، وَلِمَنْ خَالَفَهُ مُحْطِنًا ، وَلِما لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْأُمُورِ مُضِلًّا ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ ما لَمْ يَعْرِفْهُ أَنْكَرَهُ وَكَذَّبَ بِهِ وَقَالَ بِجَهَالَتِهِ ؛ ما أَعْرِفُ هذا ، وما أراهُ كَأنَّ ، وما أَطُنُّ أن يَكُونَ ، وَأَتَى كَأنَّ ؟ ! وَذلِكَ لِيُقْنِيَهُ بِرَأْيِهِ ، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِجَهَالَتِهِ . فَمَا يَنْفَكُ - يَما يَرَى مِمَّا يَلْتَمِسُ عَلَيْهِ رَأْيَهُ مِمَّا لا يَعْرِفُ - لِلْجَهْلِ مُسْتَفِيدًا ، وَلِلْحَقِّ مُنْكَرًا ، وَفِي الْجَهَالَةِ مُتَحَيِّرًا ، وَعَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ مُسْتَكْبِرًا» [3].

3 . التكفير والاتّهام

إِنَّ إِحْدَى الثَّمَارِ الْمَرَّةِ الْمَضْرَّةَ لِلتَطَرُّفِ الْمُنْطَلِقِ مِنَ الْجَهْلِ ، وَالْإِفْرَاطِ الْهَشِّ الْخَاوِي ، وَ«التَّعَمُّقِ» فِي الدِّينِ ، وَحِبِّ التَّمَحُّورِ الْمُنْبَثِقِ مِنْهُ هِيَ اتِّهَامُ الْآخَرِينَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الدِّينِ ؛ فَالْمُسَطِّحِيُّونَ الْمُتَحَجِّرُونَ الزَّاهُونَ بِأَنْفُسِهِمِ الْعَادُّونَ سُلُوكَهُمْ مَعْيَارًا لِلْحَقِّ يَحْكُمُونَ عَلَى الْآخَرِينَ بِلَا أَثَانٍ وَلَا أُسَاسٍ ، وَيَقْصُمُونَ ظَهَرَ كُلِّ مَنْ لَا يَفْكَرُ

[1] الكهف : 103 و 104 .

[2] بحار الأنوار : ج 33 ص 352 .

[3] تحف العقول : ص73 .

تفكيرهم بعضا التكفير . وهكذا كان الخوارج ، فهم الذين كانوا قد فرضوا التحكيم على الإمام عليه السلام غير آذنين لأنفسهم بالتفكير فيه والتأمل فيما ابتدعه ولو قليلاً ، ثم حملوا عصا التكفير وكفّروا الإمام عليه السلام وهو الذي كان كيان الإيمان المائل ، وصورة الحقّ المتجسّد ، ومظهر الرّبانيّة الرفيعة . والعجب أنّهم قد أفتوا بقتل كلّ من لم يعتقد بعقيدتهم ، وأقدموا على ذلك عمليّاً ، فقتلوا أشخاصاً في هذا السبيل [1] . وواصلوا نهجهم على هذا المنوال ، وشرّعوا التكفير ، وقالوا بكفر كلّ من يرتكب الكبيرة . ومن هنا ، لما سُئِلَ أحد قادتهم ؛ وهو قطري بن الفُجاءة ، في إحدى المعارك : هل تقاتل أم لا ؟ فأجاب بالنفي ، ثم استدرك فعزم على القتال ، قال جنده : كَذَبَ وَكَفَرَ . وعرضوا به قائلين : «دابة الله» ، فحكم عليهم بالكفر [2] .

4 . التعصّب واللجاج

اللجاج من وحي الجهل والتعصّب الأعمى إفراز آخر من الإفرازات الخطرة للتطرّف الديني والعُجب المنبثق منه . وهكذا فالشخص المتعمّق مرتّنه بحالة الزيف والضلال بحيث تتعدّر نجاته . من هذا المنطلق ، ولما اتّصف به الخوارج ، خاطبهم الإمام عليه السلام قائلاً : «أَيَّتَهَا الْعِصَابَةُ الَّتِي أَخْرَجْتَهَا عِدَاوَةُ الْإِمْرَاءِ وَاللَّجَاجَةِ ، وَصَدَّهَا عَنِ الْحَقِّ الْهُوَى ، وَطَمَحَ بِهَا التَّزَقُّ [3] ، وَأَصْبَحَتْ فِي اللَّبْسِ وَالْخُطْبِ الْعَظِيمِ» [4] . وهكذا «المتعمّقون» و «المتعصّبون» أولو اللجاجة لم ينظروا فيما يعتقدون به

[1] من حملتهم عبد الله بن خباب بن الارت ، وقصته مشهورة .

[2] راجع : الكامل للمبرّد : ج3 ص1334 .

[3] التَّزَقُّ : خفة في كلّ أمر وعجلة في جهل وحمق (لسان العرب : ج10 ص352) .

[4] تاريخ الطبري : ج5 ص84 .

قطّ ، ولم يحتملوا فيه الخطأ فيرونه بحاجةٍ إلى إعادة نظر وتمحيص . من هنا صمّوا عن سماع توجيهات الإمام عليه السلام الناصحة الشفيقة ، ولم يعيدوا النظر في مواقفهم حين حاورهم ابن عبّاس وغيره من رُسل الإمام عليه السلام حواراً استدلالياً واعياً ، بل أنّهم قد تصاموا عن الكلام ؛ لئلاّ يسمعوهُ فيؤثّر فيهم . قال عبد الله بن وهب ، وهو يقاتل : «أَلْقُوا الرِّمَاحَ ، وَسَلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ حُفُوزِهَا ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوَكُمْ كَمَا نَاشِدُوَكُمْ يَوْمَ حَزْوَرَاءَ!» [1] . وصرخوا بعد مناظرةٍ للإمام عليه السلام معهم قائلين : «لَا تُخَاطِبُوهُمْ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ» [2] . ولما سمعوا احتجاج ابن عبّاس الرصين ، وقد أغلق عليهم منافذ التذرّع والتشبّث ، مستهدياً بالقرآن الكريم ، صاحوا : «لَا تَجْعَلُوا احْتِجَاجَ قُرَيْشٍ حُجَّةً عَلَيْكُمْ ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خِصِمُونَ» [3] ! وحين سمعوا أجوبته القويّة في حوار آخر وغيّوا عن رده ، رفعوا عقيرتهم بوجهه مخاطبين إيّاه بقولهم : «أَمْسِكْ عَنَّا غَرَبَ لِسَانِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؛ فَإِنَّهُ طَلَقَ دَلِقَ غَوَاصٍ عَلَى مَوْضِعِ الْحُجَّةِ!» [4] . وعلى هذا فالخوارج - وبعنوان آخر «القرّاء» ، وأخيراً «المتعمّقون» في الدين ، وفيما نتج عنهم من الإفراط ، والتطرّف ، والجهل ، واللجاجة - قد ظلّوا على كفرهم ،

[1] صحيح مسلم : ج2 ص748 ح156 .

[2] تاريخ الطبري : ج5 ص85 .

[3] الزخرف : 58 .

[4] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 6 ص 288 .

وصاروا مصدرا للغيّ والضياع في المجتمع الإسلامي .

دور المتغلغلين

ينبغي في الختام ألاّ نغفل عن نقطةٍ في تحليل فتنة الخوارج واستقصاء جذورها ، وتتمثّل هذه النقطة في دور المتغلغلين بخاصّة «القاسطين» في انحراف «المارقين» ، مع تذكيرنا بصعوبة العثور على وثائق تاريخيّة لإثبات هذا الموضوع نتيجةً للسريّة الموجودة في هذا المجال بشكل طبيعيّ ، بيدّ أنّنا يتسنى لنا أن نبليغ ما نصبوا إليه إلى حدٍّ ما عبر قرائن معيّنة ، ومن هذه القرائن التي يمكن أن تساعد الباحث في هذا الحقل : دراسة دور الأشعث بن قيس في هذه الفتنة [1]. إنّ التأمل في النصوص التاريخيّة ، لاسيّما فيما ذكره كتاب «وقعة صفّين» الثمين حول الأشعث وموقفه في ذروة القتال يوم صفّين وما بعده لا يدع مجالاً للشكّ في أنّه لم يرتبط بالإمام عليه السلام ولم يؤايله قطّ ، وأنّه كان عنصراً متغلغلاً عميلاً لمعاوية في جيشه عليه السلام ، ويعود ذلك إمّا لإقالاته عن ولاية أذربيجان [2] ، وعزله عن رئاسة قبيلته [3] ، أو لتقلّباته الاعتقاديّة واضطراب عقائده الدينيّة ، ممّا دفع ابن أبي الحديد أن يقول : «كُلُّ قَسَادٍ كَانَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُلُّ اضْطِرَابٍ حَدَثَ فَأَصْلُهُ الْأَشْعَثُ» [4]. وكان الأشعث متّهماً بارتباطه بمعاوية ، وهو نفسه كان منتبهاً إلى هذه النقطة ، حذراً منها ، وكان يحاول ألاّ يعمل ما يفصح ويكشف للناس حقيقته ، وقد راودته فكرة التوجّه إلى معاوية بعد عزله ، فمنعه قومه من ذلك [5]. وارتباطاته مع معاوية ،

[1] راجع : ص 906 (الأشعث بن قيس) .

[2] وقعة صفّين : ص 21 .

[3] وقعة صفّين : ص 137 - 139 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 279 .

[5] وقعة صفّين : ص 21 .

وحواره مع رُسله إليه دليل على نفاقه [1]. وعندما احتدم القتال ، وتضعض جيش معاوية ، ولاحت في الأفق بشائر النصر لجيش الإمام عليه السلام ، خطب الأشعث بقييلته ، وأفزعهم ذاكرة ترمّل النساء ويّتم الأطفال ، فبان وهن عجيب في صفوفهم [2]. ولمّا رفع أصحاب معاوية المصاحف بمكيدة ابن العاص ، خطب الأشعث وأكره الإمام عليه السلام على قبول التحكيم [3]. وحينما وافق الإمام على التحكيم ، واختار مالك الأشتر أو عبد الله بن عباس ممثلاً عنه ، عمل الأشعث بكلّ ماله من قوّة للحيلولة دون ذلك [4]. ولمّا كُتب نصّ التحكيم رفعه أمام الجيش ، فصاح بعض الأفراد قائلين : لا حكم إلّا لله [5]. و بعد أن انكشفت أسرار المؤامرة قليلاً هبّ أولئك المخدوعون فاتّهموا عليّاً عليه السلام بالإثم ، وطلبوا منه أن يتوب . وعندما أراد عليه السلام أن يُخمد نار الفتنة بأسلوب لطيف ، ويُعيثّ الناس نحو الشام واصل الأشعث إثارته للفتنة ، وحاول أن يُرجع المخدوعين الذين كانوا عازمين على الذهاب مذعنين بالحقّ إلى موضعهم الأوّل ، فزاد بذلك إيقاد الفتنة [6]. وهكذا زرع الأشعث بذرة الفتنة ، واتّخذ سبيله مع أشخاص كثيرين ، وخرج من جيش الإمام عليه السلام ، وقصد الكوفة . وكان الأشعث ملوّث النفس ، سقيم الفكر ، ذا موقفٍ معادٍ ، واستطاع أن يمارس دوراً خبيثاً مؤثراً في إثارة الفتنة إبان حرب النهروان . وكان يتّخذ المواقف من منطلق الأهواء ، والميل الماديّة ، والعصبيّات القبليّة متلبساً برداء المعايير الإلهيّة

[1] وقعة صفّين : ص 408 .

[2] وقعة صفّين : ص 481 .

[3] وقعة صفّين : ص 482 .

[4] وقعة صفّين : ص 499 .

[5] وقعة صفّين : ص 512 .

[6] شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 280 .

والإنسانيّة . وحرّيّ بالذكر أيضاً أنّ الإمام عليه السلام عندما اختار عبد الله بن عباس للتحكيم قال الأشعث : لا وَاللّهِ ، لا يَحْكُمُ فِيهَا مُضَرِّبانِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

، ولكن اجعلهُ رَجُلًا مِن أَهْلِ الْيَمَنِ إِذْ جَعَلُوا رَجُلًا مِن مُضَرَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُخَدَعَ يَمَنِيكُمْ ؛ فَإِنَّ عَمْرًا لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِذَا كَانَ لَهُ فِي أَمْرِ هَوًى . فَقَالَ الْأَشْعَثُ : وَاللَّهِ لَأَنْ يَحْكُمَا يَبْعُضُ مَا تَكْرَهُ وَأَخَذَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَا نُحِبُّ فِي حُكْمِهِمَا وَهُمَا مُضَرِّيَانِ . [1] وهكذا فالعصبية القبلية والعريكة الجاهلية التي كان عليها الأشعث وعدد من أصحابه هي التي أوقدت فتنة النهروان بعد تلك الأحداث ، مما أذى إلى أن يُقرن رجل أحرق غير وإع كآبي موسى الأشعري اليمني إلى رجل محتال مكر مثير للفتن كعمرو بن العاص ، ويبدل من بعدها مجرى التاريخ الإسلامي !

[1] راجع : ص 906 (الأشعث بن قيس) .

[2] وقعه صقين : ص 21 .

[3] وقعة صقين : ص 137 - 139 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 279 .

[5] وقعة صقين : ص 21 .

[6] وقعة صقين : ص 408 .

[7] وقعة صقين : ص 481 .

[8] وقعة صقين : ص 482 .

[9] وقعة صقين : ص 499 .

[10] وقعة صقين : ص 512 .

[11] شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 280 .

[12] راجع : شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 229 .

أَفَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا كَانَ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَكْرَهَ لِذَلِكَ مِنِّي؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ... فَرَجَعَ مَعَهُ مِنْهُمْ أَلْفَانِ مِنْ حَرَوْرَاءَ، وَقَدْ كَانُوا تَجَمَّعُوا بِهَا. فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: مَا تُسَمِّيْكُمْ؟ ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ الْحَرَوْرِيَّةُ؛ لِاجْتِمَاعِكُمْ بِحَرَوْرَاءَ» [1].

3 . الشُّرَاة

وهذا الاسم يحمل معنيين متضادين: أ - مأخوذ من «شَرَى» بمعنى «غضب» وقيل في معناه: سُمُّوا بذلك لأنَّهم غضبوا وَلَجَّوا [2]. ب - مأخوذ من «شَرَى» بمعنى «باع». وكان الخوارج يعتبرون أنفسهم «شُرَاة» بهذا المعنى، بزعمهم أنَّهم شَرُّوا دنياهم بِالْآخِرَةِ، وأنَّهم مِصْدَاقُ اللَّابَةِ الْكَرِيمَةِ: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» [3]. [4] وقال عليّ عليه السلام في ردِّ هذه التَّصَوُّرِ الْجَاهِلِ: بَلْ إِنَّهُمْ مِصْدَاقٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» [5].

4 . الخوارج

وهذا الاسم من الأسماء المعروفة لمثيري حرب النهروان، وسُمُّوا بهذا الاسم لخروجهم عن طاعة الإمام عليّ عليه السلام وتمردهم على حكمه [6].

[1] الكامل للمبرِّد: ج 3 ص 1099، شرح نهج البلاغة: ج 2 ص 274؛ بحار الأنوار: ج 33 ص 350.

[2] تاج العروس: ج 19 ص 568.

[3] البقرة: 207.

[4] تاج العروس: ج 19 ص 568.

[5] الكهف: 103 و 104.

[6] مجمع البحرين: ج 1 ص 502.

5 . البُغَاة

البُغَاة: مشتق من البغي بمعنى التعدي والظلم والفساد. فعندما سُئِلَ عليّ عليه السلام عن أصحاب النهروان هل هم مشركون أم منافقون؟ سمَّاهم بغاة. ولهذه التسمية جذر قرآني حيث يقول الباري تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [1]. وممَّا ينبغي الالتفات إليه في هذا المضمار أنَّ الأسماء الثلاثة الأولى خاصٌّ بأصحاب النهروان، وأمَّا «الخارج» و «الباعغي» فيشملان الناكثين والقاسطين أيضاً، بل يطلقان على كلِّ من تمرد على الإمام العادل.

ب - إخبار النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ خَصَائِصِهِمْ وَمَصِيرِهِمْ

451. رسول الله صلى الله عليه وآله - فِي الْحَرَوْرِيَّةِ -: يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ [2]. [3]

452. صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، سِيَمَاهُمْ التَّحَالُفُ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ. [4]

453. صحيح البخاري عن يسير بن عمرو: قُلْتُ لِسَهْلِ بْنِ خَتِيفٍ: هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ - وَأَهْوَى بِيَدِهِ قَبْلَ الْعِرَاقِ -: يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ. [5]

[1] الحجرات: 9.

[2] الرَّمِيَّة: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك. وقيل: هي كلُّ دابة مرمية (النهاية: ج 2 ص 268).

[3] صحيح البخاري: ج 6 ص 2540 ح 6533.

[4] صحيح مسلم: ج 2 ص 745 ح 149.

[5] صحيح البخاري: ج 6 ص 2541 ح 6535.

454. الفتوح عن حبيب بن عاصم الأزدي - للإمام عليّ عليه السلام -: يا أمير المؤمنين ، هؤلاء الذين تُقاتِلُهُمْ ، أ كُفَّارٌ هُمْ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : مِنَ الْكُفَرِ هَرَبُوا ، وَفِيهِ وَقَعُوا . قَالَ : أَفَمُتَّافِقُونَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . قَالَ : فَمَا هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَقَاتِلَهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ وَبَقِينِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : هُمْ قَوْمٌ مَرَقُوا مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ، كَمَا مَرَقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ؛ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فَلَا يَتَجَاوَزُ تَرَافِيَهُمْ ، فَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ . [1]

د - مُبَاهَاتُ الإمام عليه السلام يُقَاتِلُهُمْ

455. الإمام عليّ عليه السلام : أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّنَائِي عَلَيْهِ ، أَيُّهَا النَّاسُ ! فَإِنِّي فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيْبُهَا ، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا [2] . [3]

هـ - نَهَى الإمام عليه السلام عَنْ قِتَالِهِمْ بَعْدَهُ

456. الإمام الباقر عليه السلام : دُكِرَتِ الْحَرَوْرِيَّةُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِنْ خَرَجُوا مَعَ جَمَاعَةٍ أَوْ عَلَى إِمَامٍ عَادِلٍ فَقَاتِلُوهُمْ ، وَإِنْ خَرَجُوا عَلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَلَا تُقَاتِلُوهُمْ ؛ فَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَقَالًا . [4]

و - هُوِيَّةُ رُؤَسَائِهِمْ

انبتق الخوارج من قلب فئة كانت تسكن الكوفة وتعرف باسم «البراء». وجاءت

[1] الفتوح : ج 4 ص 272 .

[2] الكَلْبُ : يعرض للإنسان من عضّ الكلب الكلب، فيصبيه شبه الجنون، فلا يعض أحدا إلا كلب، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا (لسان العرب: ج 1 ص 723) .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 93 .

[4] علل الشرائع : ص 603 ح 71 .



نشأتهم في ظل مشاعر جياشة استفحلت في الأيام الأخيرة من معركة صفين، ولم تأت من نوازع قائمة على التفكير والتعقل. كان زمام قيادتهم العسكرية بيد شيث بن ربعي، فيما كان زمام زعامتهم الدينية والفكرية بيد عبد الله ابن الكواء. وفي أعقاب تقلص حدة المشاعر، ومن بعد المناظرات والاحتجاجات التي أجراها معهم الإمام علي عليه السلام وعبد الله بن عباس، انشق هذان الشخصان عن الخوارج وعادا إلى جيش الإمام علي عليه السلام، وكانا في عداد جيشه عند اضطرار معركة النهروان، وتولى شيث بن ربعي قيادة ميسرة جيش الإمام. وأخذ بزمام قيادة الخوارج فيما بعد أفراد من عامة الناس ومن مجاهيلهم، ولا تتوَقّر بين أيدينا معلومات عنهم. وقد وردت أسماء أشخاص مثل شريح بن أوفى، وزيد بن الحصين، وحمزة بن سنان في عداد الشخصيات البارزة للخوارج، ولكن لا تتوَقّر لدينا معلومات عن حياتهم وسيرتهم.

1. حرقوص بن زهير

كان حرقوص من الصحابة [1]، ولكنه خاؤ من الاعتقاد الراسخ. وقد ذكرنا كلمته البيذنية النابية لرسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة حنين، إذ قال له: اعدِلْ يا محمد! وكذلك جواب النبي صلى الله عليه وآله له [2]. أمره عمر بن الخطاب بقمع التمرد الذي قام به الهرمزان في خوزستان، فنجح في مهمته [3]. وشارك في الثورة على عثمان. وهم أصحاب الجمل بقتله، لكنه استطاع الفرار من أيديهم [4]. كان في عداد أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته، لكنه اندخد بمكيدة

[1] تاريخ الطبري: ج 4 ص 76.

[2] صحيح البخاري: ج 3 ص 1321 ح 3414.

[3] أسد الغابة: ج 1 ص 714 الرقم 1127.

[4] تاريخ الطبري: ج 4 ص 472.

عمرو بن العاص في صفين، ووقف بوجه الإمام عليه السلام، وقام بدور مهم في فرض التحكيم، بما كان يحمله من أرضية فكرية وروحية منحرفة كما أشرنا إلى ذلك سلفا. وكان عنصرا مؤثرا أيضا في تنظيم الخوارج لحرب الإمام عليه السلام. كما كان متشددا في عداوته له وحقده عليه [1]. وهو وإن رفض الإمارة على أصحاب النهروان، لكنه كان على رجاالتهم في تلك المعركة [2]. ثم قتل الإمام عليه السلام فيها [3]. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر بهلاكه في النهروان، وعن كيفية ذلك. وبعد معركة النهروان قال الإمام عليه السلام: أطلبوه، فلم يجدوه، فقال عليه السلام مؤكدا: إرجعوا، فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثا ثم وجدوه في حرية [4]. فهذا التأكيد دليل على حقانية الإمام عليه السلام من جهة، وعلى انحراف الخوارج وضلالهم الثابت من جهة أخرى، وهو خطوة لتثبيت قلوب أصحاب الإمام عليه السلام الذين كان قد شق عليهم قتال أناس يتظاهرون بالزهد والعبادة. وهكذا أصر الإمام عليه السلام بحقه وثبات خطاه هو وأصحابه مرارا في معركة النهروان.

2. عبد الله بن وهب

تولى قيادة الخوارج في فتنه النهروان. وليس في أيدينا معلومات تذكر عن ماضيه. علما أنه لم يقم بالأمر في بداية تبلور التيار الخارجي؛ فقد كان ابن الكواء أمير الصلاة، وشيث بن ربعي أمير الحرب [5]. ثم انفصلا عن الخوارج فيما بعد [6]، ممّا

[1] تاريخ الطبري: ج 5 ص 72.

[2] تاريخ الطبري: ج 5 ص 85.

[3] كشف الغمة: ج 1 ص 266.

[4] صحيح مسلم: ج 2 ص 749 ح 157.

[5] تاريخ الطبري: ج 5 ص 63.

دفعهم إلى البحث عن قائد جديد لهم . وكان المرشّحون للقيادة : هم زيد بن حُصَيْن ، وحرْقوص بن زُهَيْر ، وحمزة بن سِنَان ، وشُريح بن أوفى ، بَيّد أُنْهم رفضوا ذلك ، فتأمّر عبد الله بن وهب عليهم [1] . ونظّمهم من أجل الحرب ، ودعاهم إليها في خطّبه الحماسيّة ، وحذّرهم من التحدّث إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والاستماع إلى خطّبه [2] . وتدلّ بعض النصوص التاريخيّة على أنّه لم يكن ثابت العقيدة في طريقه الذي كان قد اختاره لنفسه [3] . ونقل المؤرّخون أنّه دعا الإمام عليّاً عليه السلام إلى اليراز بكلّ وقاحة وصلافة ، ولكنّه قُتل في اللحظات الأولى التي واجه فيها ليث الوغى الذي لا يدّ له .

2 / 3

مواصفات الحرب

أ - تاريخها

بعدما يقرب من سنة واحدة على واقعة صَقِين، وفي وقت لم تكن قد أُخمدت فيه نيران هذه الحرب الدامية، اندلع لهيب ثالث حرب داخلية منطلقاً هذه المرّة من داخل جيش الإمام وبزعامة المتطرّفين من المسلمين. وهكذا كان الإمام منذ تسلّمه لزمّام السلطة السياسية يواجه في كلّ عام حرباً أهليّة.

[1] أنساب الأشراف : ج 3 ص 134 و ص 137 .

[2] صحيح مسلم : ج 2 ص 748 ح 156 .

[3] الكامل للمبرّد : ج 3 ص 1105 .

إنّ تاريخ وقوع معركة النهروان غير محدّد على وجه الدقّة؛ فقد ذكر بعض المؤرّخين أنّها وقعت سنة 38 هـ [1] ، بينما ذكر آخرون أنّها وقعت سنة 37 هـ [2] ، وأشار غيرهم الى وقوعها سنة 39 هـ . [3] ويبدو أنّ الرأي الأوّل أقرب إلى الصواب؛ فبالإضافة إلى أنّ الكثير من أصحاب السّير - أو أكثرهم كما يقول الطبري - يذهبون إلى هذا القول؛ فإنّ التتبّع الدقيق لمجريات الأحداث في عهد حكومة الإمام عليّ عليه السلام يؤيّد هذا الرأي أيضاً. وأمّا الشهر الذي وقعت فيه معركة النهروان فلم يُشير إليه أكثر المؤرّخين إلّا أنّ البعض منهم يرى أنّها حدثت في شهر صفر سنة 38 هـ [4] . ويرى آخرون أنّها كانت في شهر شعبان سنة 38 هـ [5] ويبدو أنّ القول الصحيح هو الأوّل أي في شهر صفر سنة 38 هـ ؛ لأنّ وقت التحكيم كان قد عُيّن في شهر رمضان، ومن بعده جَهّز الإمام جيشاً وسار به نحو الشام، وإذا به يواجه تمرّد الخوارج عليه. وكانت مدّة الحرب قصيرة جداً وما لبثت أن خمدت على وجه السرعة [6] .

ب - مكائنها

دارت رحى الحرب في النهروان وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي [7] على أربعة فراسخ من بغداد . [8]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 91 .

[2] أسد الغابة : ج 1 ص 714 الرقم 1127 .

[3] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 193 .

[4] أنساب الأشراف : ج 3 ص 136 .

[5] تاريخ الإسلام للذهبي : ج 3 ص 588 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 86 .

[7] معجم البلدان : ج 5 ص 325 .

[8] مجمع البحرين : ج 3 ص 1689 .

ج - عَدَدُ الْمُشَارِكِينَ فِيهَا

شكّل جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من ثمانية وستين ألفاً ؛ وذلك أنّ الإمام عليه السلام نهياً لقتال أهل الشام ، ولم يكن عزم على قتال الخوارج [1]. وأمّا جيش الخوارج فكان أربعة آلاف [2] ، أو ألفين وثمانمئة . [3]

457. تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري - في ذكر ما بقي من أصحاب النهروان بعد: كانوا أربعة آلاف ، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمئة . [4]

3 / 3

مسير المارقين إلى النهروان

أ - بداية الفرقة

458. تاريخ الطبري عن الزهري : تفرّق أهل صفين حين حُكِمَ الحكماني . . . فلما انصرف عليّ خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فاذنوه بالحرب ، وردوا عليه أن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل ، وقالوا : لا حكم إلا لله سبحانه ! وقتلوا . [5]

ب - إشخاص عبد الله بن عباس إليهم

459. الإمام عليّ عليه السلام - من وصيته لعبد الله بن عباس ل: لا

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 80 .

[2] مروج الذهب : ج 2 ص 415 .

[3] الكامل للمبرّد : ج 3 ص 1105 .

[4] تاريخ الطبري : ج 5 ص 86 .

[5] تاريخ الطبري : ج 5 ص 57 .

459. الإمام عليّ عليه السلام - من وصيته لعبد الله بن عباس ل: تخصمهم بالقرآن ؛ فإن القرآن حمال ذو وجوه ؛ تقول وتقولون ، ولكن حاججهم بالسنة ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا . [1]

ج - خروج الإمام عليه السلام إلى حرّورة وتوبة جماعة من الخوارج

460. الفتوح - بعد ذكر رجوع عبد الله بن عباسي م: ركب عليّ إلى القوم في مئة رجل من أصحابه ، حتّى وافاهم بحرّورة ، فلما بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكواء في مئة رجل من أصحابه حتّى وافقه . فقال له عليّ : يابن الكواء إن الكلام كثير ، ابزر إليّ من أصحابك حتّى أكلمك . قال ابن الكواء : وأنا أمين من سيفك . قال عليّ : نعم ، وأنت أمين من سيفي . قال : فخرج ابن الكواء في عشيرة من أصحابه ودنوا من عليّ رضى الله عنه . قال : وذهب ابن الكواء ليتكلم فصاح به رجل من أصحاب عليّ وقال : أسكت ؛ حتّى يتكلم من هو أحقّ بالكلام منك . قال : فسكت ابن الكواء ، وتكلم عليّ بن أبي طالب ، فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية ، وذكر اليوم الذي رُفعت فيه المصاحف ، وكيف اتفقوا على الحكمين ، ثم قال له عليّ : ويحك يابن الكواء ، أ لم أفل لكم في ذلك اليوم الذي رُفعت فيه المصاحف ؛ كيف أهل الشام يريدون أن يخذعوكم بها ؟ أ لم أفل لكم بأنهم قد عصهم السيلاح وكاعوا [2] عن الحرب ، فدروني أناجزهم ، فأبيتهم عليّ وفلثم ؛ إن القوم قد

[1] نهج البلاغة : الكتاب 77 .

[2] كاع : جبن (لسان العرب : ج 8 ص 317) .

[3] بطّنه : ضرب بطنه (لسان العرب : ج 13 ص 54) .

[4] الفتوح : ج 4 ص 253 .

460.الفتوح - بعد ذكر رجوع عبد الله بن عباسي م دعونا إلى كتاب الله عز وجل فأجيهم إلى ذلك ، وإلا لم نقاتل معك ، وإلا دفعناك إليهم ! فلما أجيهم إلى ذلك وأردت أن أبعث ابن عمي عبد الله بن عباسي ليكون لي حكما ، فإنه رجل لا يبتغي بشيء من عري هذه الدنيا ولا يطمع أحد من الناس في خديعته ، فأبى علي منكم من أبى ، وجئتموني بأبي موسى الأشعري وقلتم : قد رضينا بهذا . فأجيهم إليه وأنا كاره ، ولو أصبت أعوانا غيركم في ذلك الوقت لما أجيهم . ثم إني اشتراطت على الحكمين يحضركم أن يحكما بما أنزل الله من فائتيه إلى خائميته أو السنة الجامعة ، فإن هما لم يفعلا ذلك فلا طاعة لهما علي ، أكان ذلك أم لم يكن ؟ فقال ابن الكواء : صدقت ، قد كان هذا بعيني ، فلم لا ترجع إلى حرب القوم إذ قد علمت إن الحكمين لم يحكما بالحق ، وأن أحدهما خدع صاحبه ؟ فقال علي : إنه ليس إلى حرب القوم سبيل إلى انقضاء المدة التي ضربت بيني وبينهم . قال ابن الكواء : فأنت مجيع على ذلك ؟ قال : وهل يسعني إلا ذلك ؟ أنظر يابن الكواء أتني أصبت أعوانا وأفعد عن حقي ؟ قال : فعندها بطن [1] ابن الكواء فرسه وصر إلى علي مع العشرة الذين كانوا معه ، وزجعو عن رأي الخوارج ، وأنصرفوا مع علي إلى الكوفة ، وتفرق الباقون وهم يقولون : لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله . [2]

[1] بطنه : ضرب بطنه (لسان العرب : ج 13 ص 54) .

[2] الفتوح : ج 4 ص 253 .

د - صبر الإمام عليه السلام على أذاهم ورفقه بهم

461.تاريخ الطبري عن كثير بن بهز الحضرمي : قام علي في الناس يخطبهم ذات يوم ، فقال رجل - من جاني المسجد - : لا حكم إلا لله . فقام آخر فقال مثل ذلك ، ثم توالى عدده رجال يحكمون . فقال علي : الله أكبر ، كلمة حق يلتمس بها باطل ! أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صجيتمونا : لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا تمنعكم القي ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا . ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته . [1]

ه - بيعتهم عبد الله بن وهب

462.تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرة : إن عليا لما بعث أبا موسى لإعفاء الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضا ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وتبينون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي الرضا بها والركون بها والإيناء إياها غناء وتبار . أتر عندهم من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من وضر فإنه من يمن ويضر في هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل والخلود في جناته . فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الطاليم أهلها إلى بعض كور الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلة . فقال له خرقوص بن زهير : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعوتكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتكم عن طلب الحق ، وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 73 .

462.تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرة : فقال حمزة بن سنان الأسدي : يا قوم ! إن الرأي ما رأيتم ، قولوا أمركم رجلا منكم ، فإنه لا بد لكم من إمام وسناد وراية تحقون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ، فأبى ، وعرضوها على خرقوص بن زهير ، فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العيسبي ، فأبى ، وعرضوها على عبد الله بن وهب ، فقال : هاتوها ، أما والله لا أخدنها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها قرأ [1] من الموت . فباعوه لعشر خلون من شوال ، وكان يقال له : ذو النفات . ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العيسبي ، فقال ابن وهب : إشخصوا بنا إلى بلدة تجتمع فيها لإعفاء حكم الله ، فإنكم أهل الحق . قال شريح : نخرج إلى المدائن فنزولها ، وتأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكاتها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا . فقال زيد بن حصين : إنكم إن خرجتم مجتمعين أثبتتم ، ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين ، فأما المدائن فإن بها من يمتعكم ، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان وتكاثروا إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرأي . وكنت عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثهم على اللحاق بهم ، وسير الكتاب إليهم ، فأجابوه أنهم على اللحاق به . فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم : وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، وساروا يوم السبت ، فخرج شريح بن أوفى العيسبي وهو يتلو قول الله تعالى : «فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين * و لما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل» [2] . [3]

[1] الفرق : الخوف والفرع (النهاية : ج 3 ص 438) .

[2] القصص : 21 و 22 .

و - قَتَلَهُمْ ابْنُ حَبَّابٍ وَامْرَأَتَهُ وَهِيَ حُبْلَى

463. مسند ابن حنبل عن أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من دَخَلُوا قَرْيَةً ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبَّابٍ ، دَعِرًا يَجْرُ رِدَاءُهُ ، فَقَالُوا : لَمْ تُرْعَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ رُعْتُمُونِي ! قَالُوا : أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبَّابٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالُوا [1] : فَهَلْ سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ حَدِيثًا يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تُحَدِّثُنَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ ذَكَرَ فِتْنَةً ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي . قَالَ : فَإِنْ أَدْرَكَتَ ذَلِكَ فَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ الْمَقْتُولَ - قَالَ أَيُّوبُ : وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ : وَلَا تَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ الْقَائِلَ - قَالُوا : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ أَبِيكَ يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَدِّمُوهُ عَلَى صَقِّهِ النَّهْرَ ، فَضَرَبُوا عُقْقَهُ ، فَسَالَ دَمُهُ كَأَنَّهُ شِرَاكٌ تَعْلَى مَا ابْدَقَرَّ [2] ، وَبَقَرُوا أُمَّ وَلَدِهِ عَمَّا فِي بَطْنِهَا . [3]

4 / 3

عزم الإمام عليه السلام على قتال معاوية ثانيا

أ - خُطِبَةُ الإمام عليه السلام قَبْلَ الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ

464. تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حَرَّة : لَمَّا خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ وَهَرَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى مَكَّةَ

[1] في المصدر : «قال» ، والتصحیح من تاريخ الطبري .

[2] ما ابْدَقَرَّ دَمُهُ : ما تَفَرَّقَ ولا تَمَذَّرَ (لسان العرب : ج 4 ص 51) .

[3] مسند ابن حنبل : ج 7 ص 452 ح 21121 .

464. تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حَرَّة : وَرَدَّ عَلَيَّ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْبَصْرَةِ ، قَامَ فِي الْكُوفَةِ فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَاجِحِ ، وَالْحَدَثَانِ الْجَلِيلِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ تَوْرَثَ الْخَسْرَةَ ، وَنُعِيبُ النَّدَمَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَفِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ، وَتَحَلُّكُمْ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ لِقَاصِرٍ أَمْرٌ ! وَلَكِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مَا أَرَدْتُمْ ، فَكُنْتُ أَنَا وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَارَيْنَ : 0 أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَزَجِ اللَّوَى قَلَمٍ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ 0 أَلَا إِنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ اخْتَرْتُمُوهُمَا حَكَمَيْنِ قَدْ تَبَدَّا حُكْمَ الْقُرْآنِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمَا ، وَأَحْيَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، وَاتَّبَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، فَحَكَمَا بِغَيْرِ حُجَّةٍ بَيْنَهُ ، وَلَا سُنَّةٍ مَاضِيَةٍ ، وَاخْتَلَفَا فِي حُكْمِهِمَا ، وَكِلَاهُمَا لَمْ يَرْشُدْ ، فَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُمَا وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ . اسْتَعِذُوا وَتَاهَبُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ ، وَأَصْبَحُوا فِي مُعَسْكِرِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ . [1]

ب - اسْتِنصَارُ الإمام عليه السلام الْخَوَارِجَ فِي قِتَالِ مُعَاوِيَةَ

465. أنساب الأشراف عن أبي مجلز : بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَبَّابٍ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ سِيرُوا إِلَى حَيْثُ شِئْتُمْ ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ؛ فَإِنِّي غَيْرُ هَائِجِكُمْ مَا لَمْ تُحْدِثُوا حَدَثًا . قَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا النَّهْرَوَانَ ، وَأَجْمَعَ عَلِيُّ عَلَى إِيَابِ صَقِينٍ ، وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ قَسَارَ حَتَّى أَتَى صَقِينَ . وَكَتَبَ عَلِيُّ إِلَى الْخَوَارِجِ - بِالنَّهْرَوَانِ - : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ ، قَدْ تَفَرَّقَ الْحَكَمَانِ عَلَى غَيْرِ حُكُومَةٍ وَلَا إِتْفَاقٍ ، فَارْجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ ، فَإِنِّي أُرِيدُ

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 77 .

465. أنساب الأشراف عن أبي مجلز : الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ . فَأَجَابُوهُ : أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَكَ إِمَامًا وَقَدْ كَفَرْتَ حَتَّى تَشْهَدَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْكَفْرِ ، وَتَتُوبَ كَمَا تُبْنَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تَغْضَبْ لِلَّهِ ، إِنَّمَا غَضِبْتَ لِنَفْسِكَ . فَلَمَّا قَرَأَ جَوَابَ كِتَابِهِ إِلَيْهِمْ يَبْسُ مِنْهُمْ ، قَرَأَ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ مُعَسْكِرِهِ بِالنُّخَيْلَةِ - وَقَدْ كَانَ عَسْكَرُهَا حِينَ جَاءَ خَبْرُ الْحَكَمَيْنِ - إِلَى الشَّامِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الشُّهُوسِ مَعَهُ . [1]

466.الأخبار الطوال - بَعْدَ ذِكْرِ رِسَالَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى: لَمَّا قَرَأَ عَلِيٌّ كِتَابَهُمْ يَتَسَمَّيْنَهُمْ ، وَرَأَى أَنْ يَدْعَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ ، وَيَسِيرَ إِلَى الشَّامِ ؛ لِيُعَاوِدَ مُعَاوِيَةَ الْخَرْبَ ، فَسَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى عَسَكَرَ بِالنُّخَيْلَةِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : تَأَهَّبُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنِّي كَاتِبٌ إِلَى جَمِيعِ إِخْوَانِكُمْ لِيَتَقَدَّمُوا عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا وَاقُوا شَخْصَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ كَتَبَ كِتَابَهُ إِلَى جَمِيعِ عُمَّالِهِ أَنْ يُخَلِّفُوا خُلَفَاءَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَيَتَقَدَّمُوا عَلَيْهِ . [2]

د - إِصْرَارُ الْجَيْشِ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ قَبْلَ الْمَسِيرِ

467.تاريخ الطبري عن أبي الصلت التيمي : بَلَغَ عَلِيًّا أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : لَوْ سَارَ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْخَرَوِثَةِ قَبْدَانَا بِهِمْ ، فَإِذَا قَرَعْنَا مِنْهُمْ وَجَّهَنَا مِنْ وَجْهِنَا ذَلِكَ إِلَى الْمُجَلِّينَ . فَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي قَوْلُكُمْ : لَوْ أَنَّ

[1] أنساب الأشراف : ج3 ص141 .

[2] الأخبار الطوال : ص206 .

467.تاريخ الطبري عن أبي الصلت التيمي : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَارَ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْخَارِجَةِ الَّتِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ قَبْدَانَا بِهِمْ ، فَإِذَا قَرَعْنَا مِنْهُمْ وَجَّهَنَا إِلَى الْمُجَلِّينَ ، وَإِنَّ غَيْرَ هَذِهِ الْخَارِجَةِ أَهَمُّ إِلَيْنَا مِنْهُمْ ، فَدَعَا ذِكْرَهُمْ ، وَسِيرُوا إِلَى قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكُمْ كَيْمَا يَكُونُوا جَبَّارِينَ مُلُوكًا ، وَيَتَّخِذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوْلًا . فَتَنَادَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَايِبٍ : سِيرْ بِنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ أَحْبَبْتَ . [1]

مسير جيش الإمام عليه السلام إلى النهروان

أ - مَا أَدَّى إِلَى تَطَوُّرٍ مَوْقِفِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُوَاجَهَةِ الْخَوَارِجِ

468.تاريخ الطبري عن حميد بن هلال - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ الْخَوَارِجَ قَتَلُوا عَبْدًا : وَقَتَلُوا ثَلَاثَ نِسْوَةٍ مِنْ طَيِّئٍ ، وَقَتَلُوا أُمَّ سِنَانٍ الصِّدَاوِيَّةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِهِمْ عَبْدَ اللَّهِ - بَنَ حَبَابٍ وَاعْتِرَاضِهِمُ النَّاسَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثَ بْنَ مَرْةَ الْعَبْدِيِّ لِيَأْتِيَهُمْ فَيَنْطَرُقَ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، وَيَكْتُبَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَا يَكْتُمُهُ . فَخَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرِ لِيُسَائِلَهُمْ ، فَخَرَجَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ . وَأَتَى الْخَبْرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّاسَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَامَ تَدْعُ هَؤُلَاءِ وَرَأَيْنَا يَخْلِفُونَنَا فِي أُمُورِنَا وَعِيَالِنَا ؟ ! سِيرْ بِنَا إِلَى الْقَوْمِ ، فَإِذَا قَرَعْنَا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِيرْنَا إِلَى عَدُوِّنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ . وَقَامَ إِلَيْهِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ فَكَلَّمَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ - وَكَانَ النَّاسُ يَزَوْنَ أَنَّ الْأَشْعَثَ يَرَى رَأْيَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ صَقِيْنِ أَنْصَقْنَا قَوْمٌ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَمَرَ عَلِيًّا بِالمَسِيرِ إِلَيْهِمْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى رَأْيَهُمْ - فَاجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ ، فَنَادَى بِالرَّحِيلِ . [2]

[1] تاريخ الطبري : ج5 ص80 .

[2] تاريخ الطبري : ج5 ص82 .

ب - نُزُولُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَرَسَخَيْنِ مِنَ النَّهْرَوَانِ

469.الفتوح : سَارَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى قَرَسَخَيْنِ مِنَ النَّهْرَوَانِ ، ثُمَّ دَعَا بِغُلَامِهِ فَقَالَ لَهُ : إِرْكَبْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، وَقُلْ لَهُمْ عَنِّي : مَا الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَيَّ ، أَمْ لَمْ أَقْصِدْ فِي حُكْمِكُمْ ؟ أَمْ لَمْ أَعْدِلْ فِي قَسْمِكُمْ ؟ أَمْ لَمْ أَقْسِمَ فِيكُمْ فَيُنْكَمْ ؟ أَمْ لَمْ أَوْقِرْ كَبِيرَكُمْ ؟ أَمْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي لَمْ أَتَّخِذْكُمْ خَوْلًا ، وَلَمْ أَجْعَلْ مَالَكُمْ نَقْلًا ؟ وَانْظُرْ مَاذَا يَرُدُّونَ عَلَيَّ ، وَإِنْ شَتَمُوكَ فَاحْتَمِلْ ، وَإِلَّاكَ أَنْ تُرَدَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا . فَأَقْبَلَ غُلَامٌ عَلِيًّا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْقَوْمِ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَقَالَ لَهُمْ مَا أَمْرُهُ بِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ الْخَوَارِجُ : إِرْجِعْ إِلَى صَاحِبِكَ ؛ فَلَسْنَا نُحِبُّهُ إِلَى شَيْءٍ يُرِيدُهُ أَبَدًا ، وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَرُدَّنَا بِكَلَامِهِ الْخَسَنِ كَمَا رَدَّ إِخْوَانُنَا بِخَرَوَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكُوَاءِ وَأَصْحَابِهِ ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ» [1] ، وَمَوْلَاكَ عَلِيٌّ مِنْهُمْ ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ وَخَيِّرْهُ بَيْنَ اجْتِمَاعِنَا هَاهُنَا لِجِهَادِهِ وَمُحَارَبَتِهِ ، لَا لِيُغَيِّرَ ذَلِكَ . [2]

ج - إِبْخَارُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا سَيَقَعُ فِي الْحَرْبِ

470.الإمام عليّ عليه السلام - لَمَّا عَزَمَ عَلَى حَرْبِ الْخَوَارِجِ ، وَقِيلَ لَهُ: مَصَارِعُهُمْ دُونَ الثُّطُقَةِ [3] ، وَاللَّهِ ، لَا يُغْلِبُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ . [4]

[1] الزخرف : 58 .

إقامة الحجّة في ساحة القتال

أ - إحتجاجات الإمام عليه السلام عليهم

471. نهج البلاغة : من كلام له عليه السلام قاله للخوارج ، وقد خرّج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام : أكلّكم شهد معنا صقيّين ؟ فقالوا : ميتا من شهد ، وميتا من لم يشهد . قال : فامتازوا فرقتين ؛ فليكن من شهد صقيّين فرقة ، ومن لم يشهد فرقة ، حتى أكلّم كلّا منكم بكلام طويل ، من جملته أن قال عليه السلام : أ لم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكر وخديعة : إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه ، فالرأي القبول منهم ، والتنفيس عنهم ؟ قلّ لك : هذا أمر ظاهر إيمان ، وباطنه عداوة ، وأوله رحمة ، وآخره تدامة ، فأقيموا على شأكم ، وآلزموا طريقكم ، وعصوا على الجهاد بتواجذكُم ، ولا تلتفتوا إلى ناعيّ تَعَقَ : إن أجيب أضلّ ، وإن ترك ذلك . وقد كانت هذه القعلة ، وقد رأيتموها . والله لئن أبيّتها ما وجبت عليّ قريضتها ، ولا حملتي الله ذنبها . والله ، إن جئتها إني للمجئ الذي يتبع ، وإن الكتاب لمعي ، ما فارقتهُ مُذْ صَحِيَّتُهُ ، فلقد كُنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء ، والإخوان والقربان ، فما نردأ على كلّ مُصيبة وشِدّة إلا إيمانا ، ومُصيبة على الحقّ ، وتسلّما للأمر ، وصبرا على مَضِيّ [1] الجراح .

[1] مَضِيّ الجرح : ألَمني وأوجعني (لسان العرب : ج 7 ص 233) .

471. نهج البلاغة : وليكنا إنما أصبحنا نُقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الرِّبِّغ والأعوجاج ، والشُّبهة والتَّأويل . فإذا طمعنا في حَصَلَةِ يَلْمُ الله بها شَعْننا ، وتَدانِي بها إلى البقيّة فيما بيننا ، رَغَبنا فيها ، وأمسكنا عمّا سواها . [1]

472. تاريخ بغداد عن جابر : إنّي لشاهدٌ عليّا يومَ النَّهروانِ لَمّا أن عايَنَ القومَ قال لأصحابه : كُفُّوا . فنَاداهم أن أقيدونا [2] يَدِمَ عبدِ الله بنِ حَبّابٍ - وكان عامِلُ عليّ على النَّهروانِ - قالوا : كُنّا قَتَلَهُ . [3]

ب - حُطْبَةُ الإمام عليه السلام بين الصّقيّين

473. الأخبار الموقّعات عن عليّ بن صالح : لَمّا استَوَى الصّقّان بالنَّهروانِ تَقَدَّمَ أميرُ المؤمنينَ عليّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام بين الصّقيّين ، ثُمَّ قال : أمّا بعدُ ، أَيْتُهَا الْعِصَابَةُ الَّتِي أَخْرَجَتْهَا عَادَةُ الْمِرَاءِ وَالضَّلَالَةِ ، وَصَدَفَ بِهَا عَنِ الْحَقِّ الْهَوَى وَالرَّيْبُ ، إِنْني نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصِيحُوا غَدَا صَرَعى بِأَكْنافِ هَذَا النَّهْرِ ، أَوْ يَمْلِطُطِ [4] مِنْ الْغَائِطِ ، يَلَا بَيْتِي مِنْ رِيْكُمْ وَلَا سُلْطَانُ مُبِينٍ . أ لم أنهكم عن هذه الحكومة وأحذركموها ، وأعلمكم أن طلب القوم لها ذهنٌ منهم ومكيدةٌ ؟ ! فخالفتُم أَمْرِي وَجَانِبْتُمُ الْحَزْمَ فَعَصَيْتُمُونِي حَتَّى أَفَرَرْتُ بِأَنْ حَكَمْتُ ، وَأَخَذْتُ عَلَى الْحَكَمِينَ فَاسْتَوْتَعْتُ ، وَأَمَرْتُهَا أَنْ يُحْيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، فَخَالَفَا أَمْرِي وَعَمَلَا بِالْهَوَى ، وَنَحَنَ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ وَأَيْنَ يُنَاهِ يَكُم ؟ فَقَالَ حَاطِبُهُمْ : أَمّا بعدُ ، يَا عَلِيُّ ! فَإِنَّا حِينَ حَكَمْنَا كَانِ ذَلِكَ كُفْرًا مِتًا ، فَإِنْ ثُبِتَ

[1] نهج البلاغة : الخطبة 122 .

[2] القود : القصاص ، وقتل القاتل بدل القتيل ، وقد أقدته به أقيده (النهاية : ج 4 ص 119) .

[3] تاريخ بغداد : ج 7 ص 237 الرقم 3729 .

[4] المِلطاط : ساحل البحر (لسان العرب : ج 7 ص 390) .

473. الأخبار الموقّعات عن عليّ بن صالح : كما تُبنا فَنَحْنُ مَعَكَ وَمِنْكَ ، وإن أُبَيَّتْ فَنَحْنُ مُنْأَذُونَ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ . فَقَالَ عَلِيٌّ : أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ [1] وَلَا يَبْقَى مِنْكُمْ وَابِرٌ [2] ، أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ ، وَجِهَادِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَهَجَرَتِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْرُ بِالْكَفْرِ ؟ ! لَقَدْ صَلَّيْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَلَكِنْ مُنِيتُ بِمَعْشَرٍ أَجْقَاءِ الْهَامِ ، سُقَّهَاءِ الْأَحْلَامِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . [3]

ج - رَفَعُ رَايَةِ الْأَمَانِ

474. تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري : رَفَعَ عَلِيٌّ رَايَةَ أَمَانٍ مَعَ أَبِي أُيُوبَ ، قَنَادَاهُمْ أَبُو أُيُوبَ : مَن جَاءَ هَذِهِ الرَّايَةَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَقْتُلْ وَلَمْ يَسْتَعْرِضْ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَن انْصَرَفَ مِنْكُمْ إِلَى الْكُوفَةِ أَوْ إِلَى الْمَدَائِنِ وَخَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ فَهُوَ آمِنٌ ، إِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بَعْدَ أَنْ تُصِيبَ قَتْلَةَ إِخْوَانِنَا مِنْكُمْ فِي سَفَكٍ دِمَائِكُمْ . فَقَالَ قَرُوهُ بِنُ تَوَلَّى الْأَشْجَعِيَّ : وَاللَّهِ ، مَا أَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُفَانِلُ عَلِيًّا ؟ ! لَا أَرَى إِلَّا أَنْ أَنْصَرِفَ حَتَّى تَنْغَدَ لِي بِصِيرَتِي فِي قِتَالِهِ أَوْ اتِّبَاعِهِ ، وَأَنْصَرِفَ فِي خَمْسِمِئَةٍ فَارِسِي حَتَّى تَزَلَ الْبَنْدِيجِينَ وَالْذُّسُكْرَةَ ، وَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مُتَقَرِّفِينَ قَتَلَتِ الْكُوفَةَ ، وَخَرَجَ إِلَى عَلِيٍّ مِنْهُمْ نَحْوُ مِائَةٍ ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، فَكَانَ الَّذِينَ يَقُوا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ مِنْهُمْ أَلْفَيْنِ وَتَمَائِمِئَةٍ . [4]

[1] حاصِب : أي عذاب من الله ، وأصله رُمِيْتُمْ بالحصباء من السماء (النهاية : ج 1 ص 394) .

[2] يقال : ما بالدار وابر ؛ أي ما بها أحد (لسان العرب : ج 5 ص 273) .

[3] الأخبار الموقّعات : ص 325 ج 181 .

[4] تاريخ الطبري : ج 5 ص 86 .

7 / 3

القتال

أ - الدُّعَاءُ قَبْلَ الْقِتَالِ

475. الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَدْعُو عَلَى الْخَوَارِجِ فَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ ، أَسْأَلُكَ الظَّفَرَ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَبَدَّوْا كِتَابَكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَفَارَقُوا أُمَّةَ أَحْمَدَ عَثُوا عَلَيْكَ . [1]

ب - الْأَمْرُ بِالْقِتَالِ

476. مروج الذهب - في ذكر قتال الخوارج :- لَمَّا أَسْرَفَ [عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] عَلَيْهِمْ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَتَصَافَّ الْقَوْمُ ، وَوَقَفَ عَلَيْهِمْ يَتَفَسَّيْهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الرَّجُوعِ وَالتَّوْبَةِ ، فَأَبَوْا وَرَمَوْا أَصْحَابَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ رَمَوْنَا . فَقَالَ : كُفُّوا . فَكَرَّرُوا الْقَوْلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ بِالْكَفِّ ، حَتَّى أَتَى بِرَجُلٍ قَتِيلٍ مُتَشَجِّطٍ بِدَمِهِ . فَقَالَ عَلِيٌّ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْآنَ حَلَّ قِتَالُهُمْ ، احْمِلُوا عَلَى الْقَوْمِ . [2]

ج - قِتَالُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَفَسَّيْهِ

477. الكامل للمبرّد : خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ بَعْدَ أَنْ قَالَ عَلِيٌّ رِضَاؤُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

[1] قرب الإسناد : ص 12 ج 37 .

[2] مروج الذهب : ج 2 ص 416 .

477. الكامل للمبرّد : إِرْجِعُوا وَادْفَعُوا إِلَيْنَا قَاتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَتَّابٍ . فَقَالُوا : كُلُّنَا قَتَلَهُ وَشَرَكُ فِي دَمِهِ ! ثُمَّ حَمَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صَفِّ عَلِيٍّ - وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ : لَا تَبْذُوهُمْ يَفْتَالٍ - فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ثَلَاثَةً وَهُوَ يَقُولُ : 0 أَقْتُلْهُمْ وَلَا أَرَى عَلِيًّا وَلَوْ بَدَأَ أَوْحَرْتُهُ الْخَطِيئَةَ 0 فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا خَالَطَهُ السَّيْفُ قَالَ : حَبَّذَا الرُّوحَةُ إِلَى الْجَنَّةِ ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ : مَا أَدْرِي إِلَيْي الْجَنَّةُ أَمْ إِلَى النَّارِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ : إِنَّمَا حَضَرْتُ اغْتِرَارًا بِهَذَا ، وَأَرَاهُ قَدْ شَكَّ ! ! فَانْخَزَلَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَالَ أَلْفَ إِلَى نَاحِيَةِ أَبِي أُيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ . [1]

د - مُقَاتَلَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ

478. الفتوح : تَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ الرَّاسِبِيُّ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ ، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا بَنِي أَبِي طَالِبٍ ! حَتَّى مَتَى يَكُونُ هَذِهِ الْمُطَاوَلَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ؟

! وَاللَّهِ ، لَا تَبْرَحُ هَذِهِ الْعَرَصَةُ أَبَدًا أَوْ تَأْبَى عَلَى نَفْسِكَ ، فَأَبْرُزْ إِلَيَّ حَتَّى أَبْرُزَ إِلَيْكَ وَذَرِ النَّاسَ جَانِبًا . فَتَبَسَّمَ عَلَيَّ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ مَا أَقَلَّ حَيَاءَهُ ! أَمَا إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّي خَلِيفُ السَّيْفِ وَخَدِيلُ الرُّمَحِ ، وَلَكِنَّهُ أَيْسَ مِنَ الْحَيَاةِ ، أَوْ لَعَلَّهُ يَطْمَعُ طَمَعًا كَاذِبًا . قَالَ : وَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ يَجُولُ بَيْنَ الصَّقَيْنِ وَهُوَ يَرْتَحِزُ وَيَقُولُ : { 0 } أَنَا ابْنُ وَهْبٍ الرَّاسِيَّيِّ الثَّارِي أَضْرِبُ فِي الْقَوْمِ لِأَخْذِ الثَّارِ { 0 } حَتَّى تَزُولَ دَوْلَةُ الْأَشْرَارِ وَيَرْجِعَ الْحَقُّ إِلَى الْأَخْيَارِ { 0 }

[1] الكامل للمبرّد : ج 3 ص 1105 .

478.الفتوح : ثُمَّ حَمَلَ فَضْرَبَهُ عَلَيَّ صَرْبَةً أَلْحَقَهُ بِأَصْحَابِهِ . [1]

هـ - سُرْعَةُ دَمَارِهِمْ

479.الإمامة والسياسة عن الثعلبي : لَقَدْ رَأَيْتُ الْخَوَارِجَ حِينَ اسْتَقْبَلَتْهُمْ الرِّمَاحُ وَالنَّبِلُ كَأَنَّهُمْ مَعَزٌ اتَّقَتْ الْمَطَرَ يَقْرُونَهَا ، ثُمَّ عَطَفَتْ الْخَيْلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمِيسَرَةِ ، وَنَهَضَ عَلَيٌّ فِي الْقَلْبِ بِالسُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ ، فَلَا وَاللَّهِ مَا لَيْثُوا فُوقًا [2] ، حَتَّى صَرَغَهُمُ اللَّهُ ، كَأَنَّمَا قَبِلَ لَهُمْ : مَوْتُوا قَمَاتُوا . [3]

و - اسْتِبْشَارُ النَّاسِ بِظُهُورِ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الثُّبُوتِ

480.صحيح مسلم عن بسر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع الخَزَوَيْيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ - وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالُوا : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ . قَالَ عَلِيٌّ : كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَفَ نَاسًا إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ ، يَقُولُونَ الْحَقَّ بِالسِّيَرَةِ لَا يَجُوزُ هَذَا مِنْهُمْ - وَأَشَارَ إِلَى خَلْقِهِ - مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَسْوَدُ ، إِحْدَى يَدَيْهِ طَبِيٌّ شَاةٌ أَوْ حَلَمَةٌ نَدِي . فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَنْظَرُوا ، فَتَنْظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا . فَقَالَ : إِرْجِعُوا ، قَوْلَ اللَّهِ ! مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِيَةٍ ، فَأَتَوْا بِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَأَنَا حَاضِرٌ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَقَوْلِي عَلَيٍّ فِيهِمْ . [4]

[1] الفتوح : ج 4 ص 274 .

[2] أي قدر فواق ناقة ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة (النهاية : ج 3 ص 479) .

[3] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 169 .

[4] صحيح مسلم : ج 2 ص 749 ح 157 .

ز - كَلَامُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمُرُورِ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ

481.الإمام عليّ عليه السلام - وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَا: بُؤْسًا لَكُمْ ، لَقَدْ صَرَّكُم مِّنْ غَرَّكُمْ ! فَقِيلَ لَهُ : مَن غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ ، وَالْأَنْفُسُ الْأَمَارَةُ بِالسَّوْءِ ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَقَسَحَتْ لَهُمُ بِالْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ . [1]

ح - إِخْبَارُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاسْتِمْرَارِ تَهْجِهِمْ فِي التَّارِيخِ

482.المصنّف لعبد الرزّاق عن قتادة : لَمَّا قَتَلَهُمْ قَالَ رَجُلٌ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبَادَهُمْ وَأَرَاخَنَا مِنْهُمْ . فَقَالَ عَلِيٌّ : كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ مِنْهُمْ لَمَن فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ لَمْ تَحْمِلْهُ النِّسَاءُ بَعْدُ ، وَلَيَكُونَنَّ آخِرُهُمْ لُصَاصًا جَرَّادِينَ [2] .

ط - سِيَّاسَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَرَحَى وَالْعَنَائِمِ

483.تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرة : طَلَبَ [عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] مَن يَهْ رَمَقَ مِنْهُمْ ، فَوَجَدَنَاهُمْ أَرْبَعِمِئَةِ رَجُلٍ ، فَأَمَرَ بِهِمْ عَلِيٌّ فَدُفِعُوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ ، وَقَالَ : إِحْمِلُوهُمْ مَعَكُمْ فِدَاوُوهُمْ ، فَإِذَا بَرْنَا فَوَافُوا بِهِمُ الْكُوفَةَ ، وَخُذُوا مَا فِي عَسْكَرِهِمْ مِنْ شَيْءٍ . قَالَ : وَأَمَّا السِّلَاحُ وَالذُّوَابُ وَمَا شَهِدُوا بِهِ عَلَيْهِ الْحَرْبَ ، فَقَسَّمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ،

[1] نهج البلاغة : الحكمة 323 .

[2] المصنّف لعبد الرزّاق : ج 10 ص 150 ح 18655 .

483. تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرة : وَأَمَّا الْمَتَاعُ وَالْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ فَإِنَّهُ حِينَ قَدِمَ رَدَّهُ عَلَى أَهْلِهِ . [1]

ي - خُطْبَةُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَرَعَ مِنْ قِتَالِ الْخَوَارِجِ

484. كنز العمال عن عبد الملك بن قريش : سَمِعْتُ الْغَلَاءَ بْنَ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : صَعِدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ بَعْدَ الْفِتْنَةِ وَقَرَأَهُ مِنَ النَّهْرَوَانِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَخَتَمَهُ الْعِبْرَةَ ، فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ بِدُمُوعِهِ وَجَرَتْ ، ثُمَّ تَقَضَّ لِحْيَتَهُ فَوَقَعَ رَشَاشُهَا عَلَى نَاسٍ مِنْ أَنْاسٍ ، فَكُنَّا يَقُولُ : إِنَّ مَنْ أَصَابَهُ مِنْ دُمُوعِهِ فَقَدْ حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! لَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَرْجُو الْأَجْرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ يَطُولُ الْأَمَلُ ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا قَوْلَ الرَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاهِبِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْتَبِعْ ، وَإِنْ مَنِعَ مِنْهَا لَمْ يَفْتَحْ ، يَعِزُّ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، وَيَأْمُرُ وَلَا يَأْتِي ، وَيَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَيُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وَهُوَ مِنْهُمْ ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَطُنُّ ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ ، إِنْ اسْتَعْنَى فُتِنَ ، وَإِنْ مَرَضَ خَرَبَ ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَبِطَ وَوَهَنَ ، فَهُوَ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالنِّعْمَةِ بَرْتَعُ ، يُعَافَى فَلَا يَشْكُرُ ، وَيُبْتَلَى فَلَا يَصْبِرُ ، كَأَنَّ الْمُحْذَرَّ مِنَ الْمَوْتِ سِوَاهُ ، وَكَأَنَّ مَنْ وَعِدَ وَزَجَرَ غَيْرُهُ . يَا أَغْرَاضَ الْمَنَآيَا ! يَا زَهَائِنَ الْمَوْتِ ! يَا وَعَاءَ الْأَسْقَامِ ! يَا نَهْبَةَ الْأَيَّامِ ! يَا ثِقَلَ الدَّهْرِ ! يَا فَكْهَةَ الزَّمَانِ ! يَا نُورَ الْخِذْلَانِ ! يَا خُرْسَ عِنْدَ الْحُجَجِ ! يَا مَنْ غَمَرَتَهُ الْفِتْنُ وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْرِفَةِ الْعَبْرِ . يَحْوِي ! أَقُولُ : مَا نَجَا مَنْ نَجَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ ، وَمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إِلَّا مِنْ تَحْتِ يَدِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 88 .

484. كنز العمال عن عبد الملك بن قريش : قُورَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا» [1] .جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَمِعَ الْوَعْدَ فَقِيلَ ، وَدُعِيَ إِلَى الْعَمَلِ فَعَمِلَ . [2]

8 / 3

خروج بقايا من الخوارج

485. الكامل في التاريخ : لَمَّا قُتِلَ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ ، خَرَجَ أَشْرَسُ بْنُ عَوْفٍ الشَّيْبَانِيُّ عَلَى عَلِيٍّ - بِالدَّسَكَةِ - فِي مِئَتَيْنِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْأَنْبَارِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلِيُّ الْأَبْرَشُ بْنُ حَسَّانٍ فِي ثَلَاثِينَ قَوَاقِعَهُ ، فَقُتِلَ أَشْرَسُ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ . ثُمَّ خَرَجَ هِلَالُ بْنُ عُقْلَةَ - مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ - وَمَعَهُ أَخُوهُ مُجَالِدٌ ، فَأَتَى مَاسِدَانَ [3] ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرَّيَاحِيَّ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِئَتَيْنِ ، وَكَانَ قَتْلُهُمْ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ . ثُمَّ خَرَجَ الْأَشْهَبُ بْنُ يَشْرِ ، وَقِيلَ : الْأَشْعَثُ - وَهُوَ مِنْ بَجِيلَةَ - فِي مِئَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَأَتَى الْمَعْرَكَةَ الَّتِي أُصِيبَ فِيهَا هِلَالٌ وَأَصْحَابُهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ وَدَفَنَ مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ جَارِيَةً مِنْ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ ، وَقِيلَ : حُجِرَ بْنُ عَدِيٍّ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمُ الْأَشْهَبُ ، فَاقْتَتَلَ بِحَرْجَرَايَا [4] مِنْ أَرْضِ جُوخَا [5] ، فَقُتِلَ الْأَشْهَبُ وَأَصْحَابُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ .

[1] التحريم : 6 .

[2] كنز العمال : ج 16 ص 205 ح 44229 .

[3] مَاسِدَانُ : مَدِينَةٌ مِنْ مَدَنِ بِيْشْكُوهِ فِي مَحَافِظَةِ لَرِسْتَانِ الْإِيرَانِيَّةِ وَيُقَالُ لَهَا سَيَّرَوَانُ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ بَيْنَ جِبَالِ وَشْعَابٍ ، وَفِيهَا عَيُونُ مَاءٍ تَجْرِي وَسَطَ الْمَدِينَةِ (رَاجِعْ تَقْوِيمَ الْبِلَادِ : ص 415).

[4] جَرْجَرَايَا : بَلَدَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ دَجْلَةٍ بَيْنَ بَغْدَادَ وَوَاسِطَ ، مِنْ تَوَابِعِ النَّهْرَوَانِ السُّفْلَى (رَاجِعْ تَقْوِيمَ الْبِلَادِ : ص 305).

[5] جُوخَا : اسْمُ نَهْرٍ عَلَيْهِ كُورَةٌ وَاسِعَةٌ فِي سَوَادِ بَغْدَادَ ، وَهُوَ بَيْنَ خَانَقِينَ وَخَوْزِسْتَانَ (مَعْجَمُ الْبِلَادِ : ج 2 ص 179).

485. الكامل في التاريخ : ثُمَّ خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ قُفْلٍ التَّيْمِيُّ - مِنْ تَيْمِ اللَّهِ - فِي رَجَبٍ بِالْبَدَنِيَجِينَ وَمَعَهُ مِئَتَا رَجُلٍ فَأَتَى دَرَزِنْجَانَ [1] - وَهِيَ مِنَ الْمَدَائِنِ عَلَى فَرَسَخَيْنِ - فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَتَلَهُمْ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ . ثُمَّ خَرَجَ أَبُو مَرْيَمَ السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ ، فَأَتَى شَهْرَزُورَ [2] ، وَأَكْثَرُ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَوَالِي ، وَقِيلَ : لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرُ سِتَّةٍ نَقَرَهُ هُوَ أَحَدَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ مِئَتَا رَجُلٍ ، وَقِيلَ : أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَعَادَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ فَرَسَخٍ مِنَ الْكُوفَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ وَدُخُولِ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَالَ : لَيْسَ بَيْنَنَا غَيْرُ الْحَرْبِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ شَرِيحَ بْنَ هَانِيٍّ فِي سَبْعِمِئَةٍ ، فَحَمَلَ الْخَوَارِجُ عَلَى شَرِيحٍ وَأَصْحَابِهِ فَانْكَشَفُوا ، وَبَقِيَ شَرِيحٌ فِي مِائَتَيْنِ ، فَأَنَاحَ إِلَى قَرِيَّةٍ ، فَتَرَاوَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدَخَلَ الْبَابُونَ الْكُوفَةَ . فَخَرَجَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةً مِنْ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ ، فَدَعَاهُمْ جَارِيَةً إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ وَحَذَرَهُمُ الْقَتْلَ فَلَمْ يُجِيبُوا ، وَلِحَقِّهِمْ عَلِيٌّ أَيْضًا فَدَعَاهُمْ فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَأَعْلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلَهُمْ أَصْحَابُ

عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ غَيْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا اسْتَأْمَنُوا فَأَمَّتَهُمْ . وَكَانَ فِي الْخَوَارِجِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا جَرَحَى ، فَأَمَرَ عَلِيٌّ بِإِدْخَالِهِمُ الْكُوفَةَ وَمُداوِلَتِهِمْ حَتَّى يَبْرُؤُوا ، وَكَانَ قَتْلُهُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ؛ وَكَانُوا مِنْ أَشْجَعِ مَنْ قَاتَلَ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَلِجُرْأَتِهِمْ قَارَبُوا الْكُوفَةَ . [3]

[1] كذا في المصدر ، والصحيح كما في أنساب الأشراف ومعجم البلدان «دَرْزِيْجَان» : وهي قرية كبيرة تحت بغداد على ثلاثة فراسخ منها على دجلة بالجانب الغربي ، وهي من مدن الأكاسرة ، وإحدى المدائن السبع . وأصل اسمها درزبندان (راجع معجم البلدان : ج 2 ص 450).

[2] شَهْرُزُور : بلدة بين الموصل وهمدان بناها زور بن الضحّاك ، وتعرف اليوم باسم زور في جنوب شرقي السليمانية قرب الحدود العراقية الإيرانية (راجع : تقويم البلدان : ص 413).

[3] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 423 .

خروج الخريّث بن راشد

486.أسد الغابة عن الزبير : كَانَ الْخَرِثُ عَلَى مُصَرَّ يَوْمَ الْجَمَلِ مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ قَدْ اسْتَعْمَلَ الْخَرِثَ بْنَ رَاشِدٍ عَلَى كُورٍ مِنْ كُورِ فَارِسٍ ، ثُمَّ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْحُكُومَةُ فَارَقَ عَلِيًّا إِلَى بِلَادِ فَارِسٍ مُخَالِفًا ، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَيْهِ جَيْشًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْجَيْشِ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ وَزِيَادَ بْنَ خَصَفَةَ ، فَاجْتَمَعَ مَعَ الْخَرِثِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ وَتَصَارَى كَانُوا تَحْتَ الْجَزْيَةِ ، فَأَمَرَ الْعَرَبَ بِإِمْسَاكِ صَدَقَاتِهِمْ وَالتَّصَارَى بِإِمْسَاكِ الْجَزْيَةِ ، وَكَانَ هُنَاكَ تَصَارَى أَسْلَمُوا ، فَلَمَّا رَأَوْا الْإِخْتِلَافَ ارْتَدَّوْا وَأَعَانُوهُ ، فَلَقُوا أَصْحَابَ عَلِيٍّ وَقَاتَلُوهُمْ ، فَتَصَبَّ زِيَادُ بْنُ خَصَفَةَ رَايَةَ أَمَانٍ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا قَنَادَى : مَنْ لَحِقَ بِهَذِهِ الرَّايَةِ فَلَهُ الْأَمَانُ ، فَانصَرَفَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ أَصْحَابِ الْخَرِثِ ، فَانْهَزَمَ الْخَرِثُ فَقُتِلَ . [1]

[1] أسد الغابة : ج 2 ص 165 الرقم 1437 .

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

القسم السابع : أيام المحنة

الفصل الأوّل: عصيان الجيش

الفصل الثاني: تحذير الإمام عليه السلام أصحابه من عاقبة العصيان

الفصل الثالث : شكوى الإمام عليه السلام من عصيان أصحابه

الفصل الرابع : هرب عدّة من أصحاب الإمام عليه السلام إلى معاوية

الفصل الخامس: محايدة عدّة من أصحاب الإمام عليه السلام

الفصل السادس: استشهاد مالك الأشتر

الفصل السابع: احتلال مصر

الفصل الثامن: هجمات أذنان معاوية

الفصل التاسع: تمّتي الاستشهاد

الفصل العاشر: آخر خطبة خطبها الإمام عليه السلام

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

الفصل الأول: عصيان الجيش

أ - العزم على قتال معاوية بعد الفراغ من الخوارج

487. تاريخ الطبري عن أبي الدرداء : كَانَ عَلِيٌّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَهْلِ التَّهْرَوَانِ حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ يَكُم ، وَأَعَزَّ نَصْرَكُمْ ، فَتَوَجَّهُوا مِنْ قُورُكُمْ هَذَا إِلَى عَدُوِّكُمْ . قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَفِدْتَ نِبَالَنَا ، وَكَلَّتْ سُبُوفُنَا ، وَتَصَلَّتْ أَسِنَّةُ رِمَاجِنَا ، وَعَادَ أَكْثَرُهَا قَصْدًا ، فَارْجِعْ إِلَى مِصْرِنَا ، فَلْتَسْتَعِذَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا ، وَلَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عِدَّتِنَا عِدَّةً مَن هَلَكَ مِنَّا ؛ فَإِنَّهُ أَوْفَى لَنَا عَلَى عَدُونِنَا . وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ الْكَلَامَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ . فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ الثُّخَيْلَةَ [1] ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَلْزَمُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَيُوطِنُوا عَلَى الْجِهَادِ أَنْفُسَهُمْ ، وَأَنْ يُقِلُّوا زِيَارَةَ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ حَتَّى يَسِيرُوا إِلَى عَدُوِّهِمْ . فَأَقَامُوا فِيهِ أَيَّامًا ، ثُمَّ تَسَلَّلُوا مِنْ مَعْسَكِهِمْ ، فَدَخَلُوا إِلَّا رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ النَّاسِ قَلِيلًا ، وَتَرَكَ الْعَسْكَرَ خَالِيًا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَخَلَ الْكُوفَةَ ، وَانْكَسَرَ عَلَيْهِ رَأْيُهُ فِي الْمَسِيرِ . [2]

[1] الثُّخَيْلَةَ : موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام علي عليه السلام (معجم البلدان: ج 5 ص 278).

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 89 .

ب - دَمَّ الإمام عليه السلام أصحابه لَمَّا كَرِهُوا الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ

488. الغارات عن قيس بن السكن : سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ وَنَحْنُ يَمْسِكُنِ [1] : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ! «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» [2] . فَتَلَكَّؤُوا ، وَقَالُوا : الْبَرْدُ شَدِيدٌ ، وَكَانَ غَزَائُهُمْ فِي الْبَرْدِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ الْقَوْمَ يَجِدُونَ الْبَرْدَ كَمَا تَجِدُونَ . قَالَ : فَلَمْ يَفْعَلُوا وَأَبُوا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ قَالَ : أَفِي لَكُمْ ! إِنَّهَا سُنَّةٌ جَرَتْ عَلَيْكُمْ . [3]

[1] مَسْكِنٍ : موضع بالكوفة قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق ، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ، فقتل مصعب ، وقبره هناك معروف (معجم البلدان : ج 5 ص 127) .

[2] المائدة : 21 .

[3] الغارات : ج 1 ص 26 .



الفصل الثاني: تحذير الإمام عليه السلام أصحابه من عاقبة العصيان

أ - التحذير من غلبة أهل الشام

489. الإرشاد - من كلامه عليه السلام في استبطاء من قَع: ما أظن هؤلاء القوم - يعني أهل الشام - إلا ظاهرين عليكم ، فقالوا له : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : أرى أمورهم قد علت ونيراتكم قد خبت ، وأراهم جادين وأراكم وائين ، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرقين ، وأراهم لصاحيهم مطيعين وأراكم لي عاصين . أم والله ! لن تظهروا عليكم لتجدهم أرباب سوء من يعدي لكم ، لكأنني أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم قبضكم ، وكأنني أنظر إليكم تكشون [1] كشيش الصباب ؛ لا تأخذون حقاً ولا تمتعون لله حرمة ، وكأنني أنظر إليهم يقتلون صالحكم ، ويخيفون قراءكم ، ويحرمونكم ويحبسونكم ، ويدنون الناس دوتكم ، قلو قد رأيتم الجرمان والأثرة ، ووقع السيف ، ونزل الخوف ، لقد تدمتم وحسرتكم على تفریطكم في جهادهم ، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض [2] والعافية حين لا

[1] الكشيش : الصوت يشوبه خور مثل الخشخشة وكشيش الأفعى : صوتها من جلد لها من فمها . يقرع عليه السلام أصحابه بالجبن والفشل ويقول لهم لكأنني أنظر إليكم وأصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذي قد اعتراكم فهي أشبه شيء بأصوات الصباب المجتمعة (شرح نهج البلاغة : ج 7 ص 304) .

[2] الخفض : الدعة والسكون (النهاية : ج 2 ص 54) .

489. الإرشاد - من كلامه عليه السلام في استبطاء من قَع يَنْفَعُكُمْ التذكار . [1]

ب - التحذير من جهنم الدنيا

490. الإمام علي عليه السلام - في كلامه مع أهل الكوفة :- أيها الناس ! إني استنقرتكم لجهاد هؤلاء القوم [أي أهل الشام] فلم تنفروا ، وأسمعتكم فلم تحيوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، شهوذاً كالغيب ، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها ، وأعطكم بالموعظة البالية فتتفرقون عنها ، كأنكم خمر مستنفرة قرت من فسورة [2] ، وأحنتكم على جهاد أهل الجور فما أتني على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبياً ، ترجعون إلى مجالسكم تترفعون جلفاً ، تضربون الأمثال وتناشدون الأشعار ، وتجسسون الأخبار ، حتى إذا تفرقتم تسألون عن الأسعار ، جهلة من غير علم ، وغفلة من غير ورع ، وتنبأ في غير خوف ، نسيتم الحرب والاستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالأعالي والأباطيل . فالعجب كل العجب ! وما لي لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم ، وتخاذلكم عن حقكم ! يا أهل الكوفة ! أنتم كأم مجاليد ، حملت فأملصت [3] ، فمات قيمها ، وطال تأييمها ، وورثها أبغدها . والذي قلن الحبة وبرأ النسيمة ، إن من ورائكم للأعور الأدبر ، جهنم الدنيا ، لا يبقی ولا يدّر ، ومن بعده النحاس القراس الجموع المنوع ، ثم ليتوارثتكم من بني أمية عدة ، ما الآخر ياراف يكمن من الأولى ، ما خلا رجلاً واجداً [4] ، بلاء قضاء الله على

[1] الإرشاد : ج 1 ص 274 .

[2] قيل : هو الرماة من الصّادين . وقيل : هو الأسد . وقيل : كل شديد (النهاية : ج 4 ص 63) .

[3] إملاص المرأة الجنين : هو أن تزلق الجنين قبل وقت الولادة . وكل ما زلق من اليد فقد ملص (النهاية : ج 4 ص 356) .

[4] قال المجلسي قدس سره : المراد بالنحاس القراس إمّا هشام بن عبد الملك ؛ لاشتهاره باليخل ، أو سليمان بن عبد الملك ، والأول أنسب . والمراد بالرجل الواحد هو عمر بن عبد العزيز (بحار الأنوار : ج 34 ص 140) .

490. الإمام عليّ عليه السلام - في كلامه مع أهل الكوفة - هذه الأمة لا محالة كائن ، يقتلون خياركم ، ويستعيدون أراذلكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخائرهم من جوف جبالكم [1] ، نعمة بما ضيعتم من أموركم ، وصلاح أنفسكم ودينكم . [2]

ج - التحذير من الذلّ الشامل

491. الغارات عن جند بن عبد الله الوائلي : كان عليّ عليه السلام يقول : أما إنكم ستلقون بعدي ثلاثا : ذلّا شاملاً ، وسيفا قاتلاً ، وأثرة [3] يتخذها الظالمون عليكم سنة ، فستذكرونني عند تلك الحالات ، فتتمنون لو رأيتموني وتصرتُموني وأهركم دماءكم دون دمي ، فلا يُبعد الله إلا من ظلم . وكان جندب بعد ذلك إذا رأى شيئا يكرهه ، قال : لا يُبعد الله إلا من ظلم . [4]

[1] الجبال : جمع الحجلة ؛ وهي بيت كالقبة يُستتر بالثياب ، وتكون له أزرار كبار (النهاية : ج 1 ص 346) .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 278 .

[3] الأثرة : الاسم من أثر : إذا أعطى ، أراد أنه يُستأثر عليكم ، فيُفضل غيركم في نصيبه من الفيء (النهاية : ج 1 ص 22) .

[4] الغارات : ج 2 ص 492 .

الفصل الثالث : شكوى الإمام عليه السلام من عصيان أصحابه

أ - مُنيب يَمَن لا يُطِيع

492. الإمام عليّ عليه السلام - في خطبة خطبها عند علمه بغزوة الن : مُنيب يَمَن لا يُطِيع إذا أمرت ، ولا يُجيب إذا دعوت ، لا أبا لكم ! ما تنتظرون يتصرّكم ربكم ؟ أ ما دين يجمعكم ، ولا حمية تحمّشكم ! أقوم فيكم مُستصرّخا ، وأناديكم مُتعوّثا ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتّى تكشّف الأمور عن عواقب المساءة ؛ فما يدرك بكم ناز ، ولا يبلغ بكم مرام . دعوتكم إلى نصر إخوانكم فخرّجتم جرحرة الجمل الأسر ، وتناقلتم تناقل النيص الأدير ، ثم خرّج إليّ منكم جُنيد متذائب ضعيف [1] ، «كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» [2] . [3]

[1] قال ابن أبي الحديد ما موجه : مُنيب : أي بُليت . تحمّشكم : تُغضبكم . المتعوّث : الفائل : واغوثاه ! . الجرحرة : صوت يردده البعير في حنجرته والجمل الأسر الذي يكرّره [هي إحدى الثغفات الخمس] ذبرة . والنيص : البعير المهزول . والأدير : الذي به دبر ؛ وهو المعقور من القتب وغيره . متذائب : مضطرب (شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 300 و 301) .

[2] الأنفال : 6 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 39 .

ب - مُنيب يثير خلق الله

493. الإمام عليّ عليه السلام : أما بعد يا أهل الكوفة ! أكلما أقبل منسير من مناسير أهل الشام أغلق كل امرئ بابه ، وانجَحَرَ في بيته انجَحَار الضبّ ، والصَّيغ الدليل في وجاره ؟ أف لكم ! لقد لقيت منكم ، يوما أناجيكم ، ويوما أناديكم ؛ فلا إخوان عند التجاء ، ولا أحرار عند النداء . [1]

ج - لَيْسَ حُشَّاشُ الْحَرْبِ أَشْم

494. الإمام عليّ عليه السلام : لَعَمُ الله ، لَيْسَ حُشَّاشُ الْحَرْبِ أَشْم ! إنكم تكادون ولا تكيدون ، وتُنَقِّص أطرافكم ولا تتحاشون ، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، إن أبا الحرب يَقْطَن ذو عَقْلٍ ، وبات ليل من واذع ، وغلب المتجادلون ، والمغلوب مَقْهُور ومَسْلُوب . [2]

د - لا غناء في كثرة عدديكم

495. نهج البلاغة : من كلام له عليه السلام وقد جمَعَ الناس وحضهم على الجهاد فسكنوا مليا ، فقال : ما بالكم أمخرسون أنتم ؟ فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن سيرت سيرنا معك . فقال عليه السلام : ما بالكم ! لا سددتم لِرُشدٍ ، ولا هديتم لِقَصْدٍ ! أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج ؟ وإنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجاعكم وذوي بأسكم ، ولا ينبغي لي أن أدع الجند ، والمصر ، وبيت المال ، وجباية الأرض ، والقضاء بين المسلمين ، والنظر في حقوق المطالبين ، ثم أخرج في كنيبة أتبع أخرى ، أتقلقل

495. نهج البلاغة : تَقْلَقُ الفِدْحَ فِي الجَفِيرِ [1] الفارغ ، وإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرِّحَا ؛ تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا يَمْكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا ، وَاضْطَرَبَ يُفَالِهَا [2] . هذا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيِ السَّوِّءِ . وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوِّ - وَلَوْ قَدْ حُمَّ [3] لِي لِقَاؤُهُ - لَقَرَبْتُ رُكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ ، فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جُنُوبٌ وَشِمَالٌ ، طَعْنَانِ عِيَابِينَ حَيَّادِينَ رَوَّاعِينَ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ ، لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ ؛ مَنِ اسْتَقَامَ قَالَى الْجَنَّةَ ، وَمَنِ زَلَّ قَالَى النَّارَ ! [4]

ه - ما بالكم؟ ما دواؤكم؟

496. أنساب الأشراف : لَمَّا اسْتَنْفَرَ عَلِيُّ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَتَنَاقَلُوا وَتَبَاطَوْا ، عَاتَبَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنْهُمْ الْعَجْزُ ، وَخَشِيَ مِنْهُمْ التِّمَامَ عَلَى الْخِذْلَانِ ، جَمَعَ أَشْرَافَ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَدَعَا شَبِيعَةَ الَّذِينَ يَتَّقِي بِمُنَاصَحَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ ! فَإِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَى هَذِهِ الْبَيْعَةِ فَلَمْ أُرَدِّكُمْ عَنْهَا ، ثُمَّ بَايَعْتُمُونِي عَلَى الْإِمَارَةِ وَلَمْ أَسْأَلْكُمْ إِيَّاهَا ، فَتَوَنَّبَ عَلَيَّ مُتَوَنِّبُونَ ، كَفَى اللَّهُ مُؤَوَّنَتَهُمْ ، وَصَرَعَهُمْ لِيُخْذَوْهُمْ ، وَأَنْعَسَ خُذُودَهُمْ ، وَجَعَلَ دَائِرَةَ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ . وَبَقِيَتْ طَائِفَةٌ تُحَدِّثُ فِي الْإِسْلَامِ أَحْدَانًا ؛ تَعْمَلُ بِالْهَوَى ، وَتَحْكُمُ بِغَيْرِ الْحَقِّ ،

[1] الجفير : الكنانة والجعية التي تُجعل فيها السهام (النهاية : ج 1 ص 278 «جفر»).

[2] الثِّفَال : جِلْدَةٌ تَبْسُطُ تَحْتَ رِجْلِ الْيَدِ لِيَقَعَ عَلَيْهَا الدَّقِيقُ (النهاية : ج 1 ص 215 «ثفل»).

[3] حُمَّ لَهُ ذَلِكَ : قُدِّرَ (لسان العرب : ج 12 ص 151 «حمم»).

[4] نهج البلاغة : الخطبة 119 .

496. أنساب الأشراف : لَيْسَتْ بِأَهْلِي لِمَا ادَّعَتْ ، وَهُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: تُقَدِّمُوا قَدَمًا ، تَقَدَّمُوا ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: أَقْبِلُوا أَقْبِلُوا ، لَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِهِمُ الْبَاطِلَ ، وَلَا يُبْطِلُونَ كِبَاطِلَهُمُ الْحَقَّ . أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مِنْ عِنَايِكُمْ وَخِطَابِكُمْ ، فَتَيَّنُوا لِي مَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ ؛ فَإِنْ كُنْتُمْ شَاخِصِينَ مَعِيَ إِلَى عَدُوِّي فَهَوَّ مَا أَطْلُبُ وَأَجِبُّ ، وَإِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ فَاعِلِينَ فَاكْشِفُوا لِي عَنْ أَمْرِكُمْ أَرَى رَأْيِي . قَوْلَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَخْرُجُوا مَعِيَ بِأَجْمَعِكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ فَتَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ لَادْعُوهُنَّ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ لَأَسِيرَنَّ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ إِلَّا عَشْرَةٌ . أَجْلَافُ أَهْلِ الشَّامِ وَأَعْرَابُهَا أَصْبَرُ عَلَى نُصْرَةِ الصَّلَالِ ، وَأَشَدُّ اجْتِمَاعًا عَلَى الْبَاطِلِ مِنْكُمْ عَلَى هُدَاكُمْ وَحَقِّكُمْ ؟ مَا بِالْكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟ إِنَّ الْقَوْمَ أَمْثَالَكُمْ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . [1]

و - لَوْ كَانَ لِي بِعَدَدِ أَهْلِ بَدْرٍ

497. الإمام علي عليه السلام : إِنِّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَتَحَاتُّوا عَلَى الْجِهَادِ مَعَ إِمَامِكُمْ ؛ فَلَوْ كَانَ لِي مِنْكُمْ عِصَابَةٌ بِعَدَدِ أَهْلِ بَدْرٍ ؛ إِذَا أَمَرْتُهُمْ أَطَاعُونِي ، وَإِذَا اسْتَنْهَضْتُهُمْ تَهَضُّوا مَعِيَ ، لَأَسْتَغْنِيَتْ بِهِمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْكُمْ ، وَأَسْرَعَتْ النُّهُوضُ إِلَى حَرْبٍ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِيهِ ؛ فَإِنَّهُ الْجِهَادُ الْمَفْرُوضُ . [2]

ز - وَدِدْتُ أَنَّ لِي يَكُلُّ عَشْرَةَ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ

498. الإمام علي عليه السلام : وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ لِي يَكُلُّ عَشْرَةَ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنِّي صَرَفْتُكُمْ كَمَا يُصَرِّفُ الذَّهَبُ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُهُمْ عَلَى بَصِيرَتِي فَأَرَاخِيَّيَ اللَّهَ مِنْ مَقَاسَاتِكُمْ

[1] أنساب الأشراف : ج 3 ص 235 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 263 .

498.الإمام عليّ عليه السلام : ومُداريتُكم كما يُدارى اليكأر العَمِدة [1] وَالْيَابُ الْمُتَهَرِّةُ كُلُّمَا خِطَّتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكُ مِنْ جَانِبٍ . [2]

ح - بَلَّغْنِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ : «عَلَيَّ يَكْذِبُ»

499.الإمام عليّ عليه السلام : أَمَا بُعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرَأَةِ الْحَامِلِ ؛ حَمَلَتْ ، فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيْمُهَا ، وَطَالَ تَأْيِيمُهَا ، وَوَرَتْهَا أَبْعَدُهَا ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْنُكُمْ اخْتِيَارًا ، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْفًا . وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنْتُمْ تَقُولُونَ : عَلَيَّ يَكْذِبُ ! فَاتْلُكُمُ اللَّهَ تَعَالَى ! فَقُلَى مَنْ أَكْذِبُ ؟ أَعَلَى اللَّهِ ؟ قَاتَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ، أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ قَاتَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ، كَلَّا وَاللَّهِ ، لَكِنِّهَا لَهْجَةً غِثْمَ عَنْهَا ، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا ، وَيُلَمِّهِ [3] كَيْلًا يَغْيِرُ ثَمَنِي ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ ، «وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ جِبْنٍ» [4] . [5]

ط - لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفسَادِ نَفْسِي

500.الإمام عليّ عليه السلام : وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي يُصْلِحُكُمْ هُوَ السَّيْفُ ، وَمَا كُنْتُ مُتَحَرِّيًا صِلَاحَكُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي ، وَلَكِنْ سَيُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي سُلْطَانٌ صَعْبٌ . [6]

[1] البكار : جمع بُكَر ؛ وهو الفتى من الإبل . العمة : من العمَد : الورم والدَّبَر . وقيل : العَمِدة : التي كسرَها ثقل حملِها (النهاية : ج3 ص297) .

[2] أنساب الأشراف : ج3 ص198 .

[3] رجلٌ وَيُلَمِّهِ : أي داوٍ . ويقال للمستجد : وَيُلَمِّهِ ؛ أي ويلٌ لأمِّه كقولهم : لَا بَ لَكَ يَرِيدُونَ : لَا أَبَ لَكَ (ناج العروس : ج15 ص789) .

[4] ص : 88 .

[5] نهج البلاغة : الخطبة 71 .

[6] الإرشاد : ج1 ص281 .

الفصل الرابع : هرب عدّة من أصحاب الإمام عليه السلام إلى معاوية

أ - النّجاشيُّ

مقيس بن عمرو بن مالك المشهور بالنجاشي : من شعراء صدر الإسلام ، وأحد أصحاب الإمام عليه السلام . كان النجاشي من الدعاة لجيش الإمام عليّ عليه السلام بأشعاره ؛ فكان يُحمّس الناس للقتال من جهة ، ويفضح معاوية وأصحابه ، ويبيد مخازيهم من جهة أخرى . فلما كان منه ما كان من إفطاره في شهر رمضان وشربه للخمر حذّه الإمام عليه السلام كغيره من العصاة ، ولم يمنع الإمام عليه السلام عن إقامة حدّ الله تعالى ما قدّمه من خدمات . فلما رأى النجاشي شدّة الإمام وجزمه في إقامة الحدود الإلهيّة ، وعدم منع شيء عن إقامتها - ولم يكن يتصوّر شدّة الإمام بهذا الحدّ - اعتزل عن الإمام والتجأ إلى معاوية .

ب - القَعْقَاعُ بْنُ شَوْرٍ

لَيْسَ عِنْدَنَا مَعْلُومَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ حَيَاتِهِ . وَلَيْ كَسَكَرَ بَعْدَ قُدَامَةِ بْنِ عَجَلَانَ [1] . وَقَالَ ابْنُ

[1] الغارات : ج2 ص533 .

أبي الحَدِيدِ : إِنَّهُ وَلِيَ «مَيْسَانَ» أَيْضًا . [1] قَبِضَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ لِتَرْفُوعِهِ وَمَلْدَاتِهِ . وَحِينَ عَلِمَ أَنَّ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ ، أَخَذَ الْأَمْوَالَ وَدَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ [2] . دَنَسَ قَلْبُهُ الْأَسْوَدَ حَيَاتَهُ ، وَبَلَغَ بِهِ الْحَالُ أَنَّهُ خَانَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ سَفِيرَ الْإِمَامِ الْخُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَسَعَى فِي تَفْرِيقِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ ، مُتَوَاطِنًا مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَأَصْرَائِهِ . [3]

ج - يَزِيدُ بْنُ حُجَيَّةٍ

من أصحاب الإمام عليه السلام [4] ، وشهد معه حروبه [5] . وجعله الإمام عليه السلام أحد الشُّهود في التَّحْكِيمِ . [6] استعمله الإمام عليه السلام على الرِّيِّ ودستبى [7] [8] . لكنّه انتهج الخيانة ، إذ نقل ابن الأثير أنّه استحوذ على ثلاثين ألف درهم من بيت المال ؛ وطالبه الإمام بالتَّقص الحاصل في بيت المال ، فانكر ذلك ، فجلده [9] وسجنه ، فقرّ من السَّجْن والتحق بمعاوية [10] . وشهد على حجر بن عديّ حين أراد معاوية قتله . [11]

[1] شرح نهج البلاغة : ج 3 ص 13 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 4 ص 87 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 369 و ص 381 .

[4] تاريخ دمشق : ج 65 ص 147 ج 8256 .

[5] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 367 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 54 .

[7] دَسْتَبَي : بلدة تقع إلى الغرب والجنوب الغربي من مدينة طهران ، وكانت واسعة بحيث تشمل ما بين قزوين وهمدان الحاليتين (راجع معجم البلدان : ج 2 ص 454) .

[8] الغارات : ج 2 ص 525 .

[9] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 367 .

[10] الغارات : ج 2 ص 525 - 528 .

[11] الغارات : ج 2 ص 528 .

د - كتاب الإمام عليه السلام إلى سهل فيمن لَحِقَ بِمُعاوِيَة

501. الإمام عليّ عليه السلام - من كتاب له إلى سهل بن حنيف الأنصاري: أَمَا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً يَمُنُّ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعاوِيَة ؛ فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفْعُلُوكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبَ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ ؛ فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا ، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيَا ، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَإِضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ، وَمُهِطِعُونَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدَلَ وَرَأَوْهُ ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَدَ ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ ، قُبِعْدَا لَهُمْ وَسُحِقَا ! إِنْهُمْ - وَاللَّهِ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَلْخَقُوا بِعَدْلٍ ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدْلِلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ ، وَيُسَهِّلَ لَنَا خَزَنَتَهُ [1] ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ . [2]

[1] الْحَزَنُ : المكان الغليظ الخشن (النهاية : ج 1 ص 380) .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 70 .

الفصل الخامس: محايدة عدّة من أصحاب الإمام عليه السلام

أ - جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ

502. تاريخ الطبري : خَرَجَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى قَرْفِيسِيَاءَ وَكَتَبَ إِلَى مُعاوِيَة ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ . [1]

ب - أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ

503. الغارات عن عطاء بن السائب : قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ : أُنشِدُكَ بِاللَّهِ تَخِيرُنِي ، فَلَمَّا أَكَّدَ عَلَيْهِ قَالَ : يَا لِلَّهِ هَلْ أَبْغَضْتَ عَلِيًّا إِلَّا يَوْمَ قَسَمَ الْمَالَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فَلَمْ يُصِبْكَ وَلَا أَهْلَ بَيْتِكَ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : أَمَّا إِذَا أُنشِدْتَنِي بِاللَّهِ فَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . [2]

[1] تاريخ الطبري : ج 4 ص 562 .

[2] الغارات : ج 2 ص 567 .

الفصل السادس: استشهاد مالك الأشتر

أ - إشخاص مالِك إلى مصر

504. تاريخ الطبري - في ذكر أحداث ستّة ثمانٍ وثلّاثين هجرية: فلَمّا انقضى أمرُ الحُكُومَةِ ، كَتَبَ عَلِيٌّ إلى مالِك بن الحارثِ الأَشْترِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِنَصِيبِنَ - : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ مِمَّنِ اسْتَظْهَرْتُهُ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ ، وَأَقَمَعْتَ بِهِ نَخْوَةَ [1] الأَثَمِ ، وَأَشَدُّ بِهِ النَّعْرَ [2] المَخَوْفَ . وَكُنْتُ وَلِيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ ، فَخَرَجْتَ عَلَيْهِ بِهَا خَوَارِجٌ ، وَهُوَ غُلَامٌ حَدَثٌ لَيْسَ يَذِي تَجَرِبَةً لِلْحَرْبِ ، وَلَا يَمْجَرِبُ لِلْأَشْيَاءِ ، فَأَقْدِمَ عَلَيَّ ؛ لِنَظَرِي فِي ذَلِكَ فِيمَا يَتَّبِعُنِي ، وَاسْتَخْلِفَ عَلَيَّ عَمَلِكَ أَهْلَ الثِّقَةِ وَالنَّصِيحَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ . وَالسَّلَامُ . فَأَقْبَلَ مَالِكٌ إِلَى عَلِيٍّ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَحَدَّثَهُ حَدِيثَ أَهْلِ مِصْرَ ، وَخَبَرَهُ خَبَرَ أَهْلِهَا ، وَقَالَ : لَيْسَ لَهَا غَيْرُكَ ، اخْرُجْ رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَإِنِّي إِن لَمْ أَوْصِكَ اكْتَفَيْتُ بِرَأْيِكَ ، وَاسْتَغْنَيْتُ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ ، فَاخْلُطِ الشَّيْءَ بِاللَّيْنِ ؛ وَارْفُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَبْلَغَ ، وَاعْتَرِمْ بِالشَّيْءِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّيْءُ . [3]

[1] النَّخْوَةُ : العظمة والكبر والفخر (لسان العرب : ج 15 ص 313) .

[2] النَّعْرُ : موضع المخافة من فُروج البلدان (لسان العرب : ج 4 ص 103) .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 95 .

ب - كِتَابُ الإمام عليه السلام إلى أَهْلِ مِصْرَ قَبْلَ إِشْخَاصِ مَالِكِ

505. الأُمالي للمفيد عن هشام بن محمد : قَدَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَامَهُ [أَي مَالِكُ] كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مِصْرَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، لَا يَنَامُ أَتَامَ الْخَوْفِ ، وَلَا يَنْكُلُ عَنْ الْأَعْدَاءِ جَذَارَ الدَّوَابِّ [1] ، مِنْ أَشَدِّ عُبِيدِ اللَّهِ . بَاسَا ، وَأَكْرَمِهِمْ حَسْبًا ، أَصَرَ عَلَى الْفُجَارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ ، وَأَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ دَنَسٍ أَوْ عَارٍ ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْترِ ، لَا نَابِي الضَّرْسِ ، وَلَا كَلِيلُ الْحَدِّ ، خَلِيمٌ فِي الْحَدَرِ ، رَزِينٌ فِي الْحَرْبِ ، ذُو رَأْيٍ أَصِيلٍ ، وَصَبْرٍ جَمِيلٍ ؛ فَاسْمَعُوا لَهُ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّغْيِيرِ فَاغْيُرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا قَاقِمُوا ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ إِلَّا بِأَمْرِي ، فَقَدْ أَثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي ؛ نَصِيحَةً لَكُمْ ، وَشِدَّةَ شَكِيمَةٍ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، عَصَمَكُمُ اللَّهُ بِالْهَدْيِ ، وَتَبَتَّكُمْ بِالتَّقْوَى ، وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . [2]

ج - مَكْرُ مُعَاوِيَةَ فِي قَتْلِ الْأَشْترِ

506. تاريخ الطبري عن يزيد بن طبيان الهمداني : بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْجَابِسْتَارِ - رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْخَرَاجِ - فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْأَشْترَ قَدْ وُلِّيَ مِصْرَ ، فَإِنْ أَنْتَ كَفَيْتَنِي لَمْ أَخُذْ مِنْكَ خَرَاجًا مَا بَقِيَتْ ، فَاحْتَلْ لَهُ بِمَا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ . فَخَرَجَ الْجَابِسْتَارُ حَتَّى أَتَى الْقُلُومَ وَأَقَامَ بِهِ ، وَخَرَجَ الْأَشْترُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْقُلُومِ اسْتَقْبَلَهُ الْجَابِسْتَارُ ، فَقَالَ : هَذَا مَنَزِلٌ وَهَذَا طَعَامٌ وَعَلَفٌ ، وَأَنَا

[1] الدوائر : الموت أو القتل (لسان العرب : ج 4 ص 297) .

[2] الأُمالي للمفيد : ص 81 ج 4 .

506. تاريخ الطبري عن يزيد بن طبيان الهمداني : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْخَرَاجِ ، فَنَزَلَ بِهِ الْأَشْترُ ، فَأَنَاهُ الدَّهْقَانُ يَعْلفِي وَطَعَامٍ ، حَتَّى إِذَا طَعِمَ أَنَاهُ بِشَرِيَةٍ مِنْ عَسَلٍ قَدْ جَعَلَ فِيهَا سَمًا فَسَقَاهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا شَرِبَهَا مَاتَ . وَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ لِأَهْلِ الشَّامِ : إِنَّ عَلِيًّا وَجَّهَ الْأَشْترَ إِلَى مِصْرَ ، فَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يَكْفِيَكُمْوهُ . قَالَ : فَكَانُوا كُلُّ يَوْمٍ يَدْعُونَ اللَّهَ عَلَى الْأَشْترِ ، وَأَقْبَلَ الَّذِي سَقَاهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَاحْبَرَهُ بِمَهْلِكِ الْأَشْترِ ، فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ كَانَتْ لِعَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ يَدَايِمِيَانِ قُطِعَتْ إِحْدَاهُمَا يَوْمَ صَفِّينَ - يَعْنِي عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ - وَفُطِعَتِ الْأُخْرَى الْيَوْمَ - يَعْنِي الْأَشْترَ - . [1]

د - حَزْنُ الإمام عليه السلام

507. تاريخ اليعقوبي : لَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا قَتْلُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَالْأَشْترِ جَزَعٌ عَلَيْهِمَا جَزَعًا شَدِيدًا ، وَتَفَجَّعَ ، وَقَالَ عَلِيٌّ : عَلَى مِثْلِكَ فَلْتَبِكِ الْبَوَاكِي يَا مَالِكُ ، وَأَتَى مِثْلُ مَالِكِ ! [2]

508. الإمام عليّ عليه السلام - لَمَّا جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْترِ - : مَالِكٌ وَمَا مَالِكُ ! وَاللَّهِ ، لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِينَا [3] ، وَلَوْ كَانَ حَجَرًا لَكَانَ صَلْدًا [4] ، لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ ، وَلَا يُوفِي [5] عَلَيْهِ الطَّائِرُ . [6]

509. الغارات عن علقمة بن قيس النخعي - بَعْدَ شَهَادَةِ مَالِكِ الْأَشْتَرِ :- قَمَا زَالَ عَلَيَّ يَتَلَهْفُ وَيَتَأَسَّفُ حَتَّى طَنَّنَا أَنَّهُ الْمُصَابُ بِهِ دُونَا ، وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ أَيْمًا . [7]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 95 .

[2] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 194 .

[3] الغند : هو المنفرد من الجبال (النهاية : ج 3 ص 475 «فند»).

[4] حجر صلد : صُلب أملس (لسان العرب : ج 3 ص 256 «صلد»).

[5] أَوْقَى : أَشْرَفَ وَأَتَى (لسان العرب : ج 15 ص 399 «وفي»).

[6] نهج البلاغة : الحكمة 443 .

[7] الغارات : ج 1 ص 265 .

ه - هَزِيمَةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَمُوتِ الْأَشْتَرُ

510. أنساب الأشراف عن المدائني : ذُكِرَ الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ النَّخَعِ لِلَّذِي ذَكَرَهُ : أُسْكُتْ ، فَإِنَّ مَوْتَهُ أَذَلَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَإِنَّ حَيَاتَهُ أَذَلَّتْ أَهْلَ الشَّامِ ! فَسَكَتَ مُعَاوِيَةُ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . [1]

[1] أنساب الأشراف : ج 5 ص 41 .

الفصل السابع: احتلال مصر

أ - إشخاص عمرو بن العاص ليقْتالِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ

511. تاريخ الطبري عن عبد الله بن حوالة الأزدي - في ذكرِ إشخاصِ مُعَاوِيَةَ عَمْرُو ابْنِ الْعَاصِ : بَعَثَهُ فِي سِيَّةٍ أَلَا فِي رَجُلٍ . . . فَخَرَجَ عَمْرُو يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ أَدَانِيَةَ أَرْضِ مِصْرَ ، فَاجْتَمَعَتِ الْعُثْمَانِيَّةُ إِلَيْهِ فَأَقَامَ بِهِمْ ، وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : أَمَّا بَعْدُ ، فَتَنَحَّ عَنِّي يَدْمُكَ يَا بَنَ أَبِي بَكْرٍ فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يُصِيبَكَ مِنِّي طُغْرٌ ، إِنَّ النَّاسَ بِهَذِهِ الْيَلَادِ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى خِلَافِكَ وَرَفَضُوا أَمْرَكَ وَتَدِيمُوا عَلَى اتِّبَاعِكَ ، فَهُمْ مُسْلِمُونَ لَوْ قَدْ التَقَتْ خَلَقَتَا الْبِطَانِ [1] ، فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، وَالسَّلَامُ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو أَيْضًا بِكِتَابِ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ غَيْبَ الْبَغِيِّ وَالظُّلْمَ عَظِيمَ الْوَبَالِ ، وَإِنَّ سَفْكَ الدِّمِّ الْخَرَامَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهُ مِنَ الْيَقْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَمِنَ النَّبِيعَةِ الْمَوْقِفَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِنَّا لَا نَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَعْظَمَ عَلَى عُثْمَانَ بَغِيًّا وَلَا أَسْوَأَ لَهُ غَيْبًا وَلَا أَشَدَّ عَلَيْهِ خِلَافًا مِنْكَ ، سَعَيْتُ عَلَيْهِ فِي السَّاعِينَ وَسَقَمْتُ دَمَهُ فِي السَّافِكِينَ ، ثُمَّ أَنْتَ تَطُنُّ أَتْيَ عَنكَ نَائِمٌ أَوْ نَاسٍ لَكَ حَتَّى

[1] الْبِطَانُ : حِزَامُ الْقَتَبِ الَّذِي يَجْعَلُ تَحْتَ بَطْنِ الْبَعِيرِ. يُقَالُ: التَقَتْ خَلَقَتَا الْبِطَانِ لِلأَمْرِ إِذَا اشْتَدَّ (تاج العروس : ج 18 ص 62) .

511. تاريخ الطبري عن عبد الله بن حوالة الأزدي - في ذكرِ إشخاصِ مُعَاوِيَةَ عَمْرُو ابْنِ الْعَاصِ : تَأْتِيهِ فَتَأَمَّرَ عَلَى يَلَادٍ أَنْتَ فِيهَا جَارِي ، وَجُلُّ أَهْلِهَا أَنْصَارِي يَرَوْنَ رَأْيِي وَيَرْفُوبُونَ قَوْلِي وَيَسْتَصْرِخُونِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ قَوْمًا جَنَاقًا عَلَيْكَ يَسْتَسْقُونَ دَمَكَ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِجَهَادِكَ ، وَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ عَهْدًا لِيَمِثْلَنَّ بِكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَيْكَ مَا عَدَا قَتْلُكَ مَا حَدَرْتُكَ وَلَا أَنْدَرْتُكَ ، وَلَاحِبَبْتُ أَنْ يَقْتُلُوكَ بِظُلْمِكَ وَقَطِيعَتِكَ وَعُدُوكَ عَلَى عُثْمَانَ يَوْمَ يُطْعَنُ بِمَشَافِصِكَ [1] بَيْنَ خُشْشَانِهِ [2] وَأَوْدَاجِهِ ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أُمِثَلَ بِقُرَشِيٍّ ، وَلَنْ يُسَلِّمَكَ اللَّهُ مِنْ الْفِصَاصِ أَبَدًا أَيْمًا كُنْتُ . وَالسَّلَامُ . [3]

ب - اسْتِنصَارُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

512. تاريخ الطبري عن عبد الله بن حوالة الأردني : فَطَوَى مُحَمَّدٌ كِتَابَيْهِمَا وَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى عَلِيٍّ ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ابْنَ الْعَاصِي قَدْ نَزَلَ أَدَانِي أَرْضَ مِصْرَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْبَلَدِ جُلُثُهُمْ مِمَّنْ كَانَ يَرَى رَأْيَهُمْ ، وَقَدْ جَاءَ فِي جَيْشِي لَجِبٌ خَرَّابٌ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِمَّنْ قَبْلِي بَعْضَ الْقَتْلِ ، فَإِنْ كَانَ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ حَاجَةٌ فَأَمْدَنِي بِالرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ . [4]

ج - كِتَابُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَوَابِهِ

513. تاريخ الطبري عن عبد الله بن حوالة الأردني : فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ أَنَّ ابْنَ الْعَاصِي قَدْ نَزَلَ بِأَدَانِي أَرْضِ مِصْرَ فِي لَجِبٍ مِنْ جَيْشِيهِ خَرَّابٍ ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ يَهَا عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ قَدْ خَرَجَ إِلَيْهِ ، وَخُرُوجُ مَنْ يَرَى رَأْيَهُ إِلَيْهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِفَامَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَذَكَرْتُ أَنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ فِي بَعْضِ مِنْ قَبْلِكَ قَتْلًا ، فَلَا تَفْتُلْ وَإِنْ قَتَلُوا

[1] المِشْقَص : نَصْلُ السَّهْمِ إِذَا كَانَ طَوِيلًا غَيْرَ عَرِيضٍ (النهاية : ج 2 ص 490) .

[2] خَشَشَائِهِ : هُوَ الْعَظَمُ النَّائِي خَلْفَ الْأُذُنِ (النهاية : ج 2 ص 34) .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 100 .

[4] تاريخ الطبري : ج 5 ص 101 .

513. تاريخ الطبري عن عبد الله بن حوالة الأردني : فَحَصَّنَ قَرَيْتَكَ ، وَاصْمُمْ إِلَيْكَ شَيْعَتَكَ وَانْدُبْ إِلَى الْقَوْمِ كِنَانَةَ بْنَ يَشْرِ الْمَعْرُوفَ بِالنَّصِيحَةِ وَالنَّجْدَةَ وَالْبَاسَ ، فَإِنِّي نَادَيْتُ إِلَيْكَ النَّاسَ عَلَى الصَّعْبِ وَالذُّلُولِ ، فَاصْبِرْ لِعَدْوِكَ وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ وَقَاتِلْهُمْ عَلَى نِيَّتِكَ وَجَاهِدْهُمْ صَاحِرًا مُحْتَسِبًا ، وَإِنْ كَانَتْ فِتْنَتُكَ أَقَلَّ الْفِتْنَتَيْنِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يُعِزُّ الْقَلِيلَ وَيَحْذُلُ الْكَثِيرَ . وَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَ الْفَاجِرِ بْنِ الْفَاجِرِ وَكَافِرِ عَمْرِو ، الْمُتَحَابِّينَ فِي عَمَلِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُتَوَافِقِينَ الْمُرْتَشِيَيْنَ فِي الْحُكُومَةِ ، الْمُنْكَرِينَ فِي الدُّنْيَا ، قَدْ اسْتَمْتَعُوا بِخِلَافِهِمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِخِلَافِهِمْ ، فَلَا يَهْلِكُ إِرْعَادُهُمَا وَإِبْرَاقُهُمَا ، وَأَجِبُهُمَا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُجِبْهُمَا يَمَا هُمَا أَهْلُهُ ، فَإِنَّكَ تَحِدُّ مَقَالًا مَا شِئْتَ . وَالسَّلَامُ . [1]

د - اسْتِنَاهَاضُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلدِّفَاعِ عَنْ مِصْرَ

514. تاريخ الطبري عن عبد الله بن فُقيْمٍ - بَعْدَ ذِكْرِ اسْتِصْرَاحِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : قَامَ عَلِيٌّ فِي النَّاسِ وَقَدْ أَمَرَ قَنُودِي : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ! فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَذَا صَرِيحُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَإِخْوَانُكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، قَدْ سَارَ إِلَيْهِمْ ابْنُ النَّائِفَةِ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَوُلِّيَ مَنْ عَادَى اللَّهَ ، فَلَا يَكُونَنَّ أَهْلُ الصَّلَاةِ إِلَى بَاطِلِهِمْ ، وَالرُّكُوءُ إِلَى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ أَشَدَّ اجْتِمَاعًا مِنْكُمْ عَلَى حَقِّكُمْ هَذَا ، فَإِنَّهُمْ قَدْ بَدَّوْكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِالْغَرِ ، فَاعْجَلُوا إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَاسَاةِ وَالنَّصْرِ . عِبَادَ اللَّهِ ! إِنَّ مِصْرَ أَعْظَمُ مِنَ الشَّامِ ، أَكْثَرُ خَيْرًا ، وَخَيْرٌ أَهْلًا ، فَلَا تَغْلِبُوا عَلَى مِصْرَ ، فَإِنَّ بَقَاءَ مِصْرَ فِي أَيْدِيكُمْ عِزٌّ لَكُمْ ، وَكَتِبَ لِعَدُوِّكُمْ ، أَخْرَجُوا إِلَى الْجَرَّةِ [2] بَيْنَ

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 102 .

[2] الْجَرَّةُ : مَوْضِعٌ قَرِبَ الْكُوفَةِ (معجم البلدان : ج 2 ص 127) .

[3] الْجَيْرَةُ : مَدِينَةُ جَاهِلِيَّةٌ ، كَثِيرَةُ الْأَنْهَارِ ، وَهِيَ عَنِ الْكُوفَةِ عَلَى نَحْوِ فَرَسَخٍ ، وَكَانَتْ مَنَازِلَ آلِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ (تقويم البلدان : ص 299) .

[4] تاريخ الطبري : ج 5 ص 108 .

514. تاريخ الطبري عن عبد الله بن فُقيْمٍ - بَعْدَ ذِكْرِ اسْتِصْرَاحِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ إِ الْحَيْرَةِ [1] وَالْكُوفَةِ ، قَوَّافُونِي بِهَا هُنَاكَ عَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ خَرَجَ يَمْشِي ، فَتَزَلَّهَا بُكْرَةٌ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ يَوْمُهُ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُوَافِهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَزَجَعَ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَشِيِّ بَعَثَ إِلَى أَشْرَافِ النَّاسِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ الْقَصْرَ وَهُوَ حَزِينٌ كَنِيْبٌ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرِي وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلِي وَابْتَلَانِي بِكُمْ أَبَيْتُهَا الْفِرْقَةُ ؛ مِمَّنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لَيْعِبِرِكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِصَبْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ! الْمَوْتُ وَالذُّكُورُ لَكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، قَوْلَ اللَّهِ ، لَئِنْ جَاءَ الْمَوْتُ - وَلِيَّائِينَ - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَنَا لَصُحْبَتُكُمْ قَالٍ وَيَكُمُ غَيْرُ ضَنِينٍ . [2]

ه - اسْتِشْهَادُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

وَلَّى الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِصْرَ سَنَةَ 36 هـ بِاقْتِرَاحِ مَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَذَلِكَ بَعْدَ عَزْلِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَنْهَا [3] . مِنْ هُنَا لَمْ يَشْهَدْ مُحَمَّدٌ مَعْرَكَةً صَقِيْن . [4] تَشَدَّدَ مُحَمَّدٌ عَلَى أَشْخَاصٍ كَانَ هَوَاهُمْ فِي عُثْمَانَ [5] ، فَتَمَرَّدُوا عَلَيْهِ بَعْدَمَا جَرَى فِي صَقِيْنِ وَمَا آلَتْ إِلَيْهِ مِنَ التَّحْكِيمِ [6] ، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ الْخَنَاقَ [7] ، وَانْتَهَزَ مُعَاوِيَةُ وَعَمَرُو

[1] الجَيِّرة : مدينة جاهليّة ، كثيرة الأنهار ، وهي عن الكوفة على نحو فرسخ ، وكانت منازل آل النعمان بن المنذر (تقويم البلدان : ص299) .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 108 .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 554 .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 557 .

[5] تاريخ الطبري : ج 5 ص 94 و 95 .

[6] الغارات : ج 1 ص 254 .

[7] تاريخ الطبري : ج 5 ص 95 .

بن العاص الفرصة فهبوا إلى مؤازرة المتمردين [1]. فكادت الأمور تفلت في مصر ، ويخرج هذا الإقليم من سيادة الدولة الإسلاميّة ، لذا عيّن الإمام عليه السلام مالكا مكانه ليُخمد الفتنة المستعرة فيها [2] ، لكنّ هذا النصير الفدّ الفريد استشهد في الطريق بأسلوبٍ غادر خبيث انتهجه معاوية ، فأعاد الإمام عليه السلام محمّدا إليها . [3] بعث معاوية عمرو بن العاص مع لُمةٍ لإعانة المتمرّدين [4] . وكان لابن العاص نفوذ فيها إذ كان قد فتحها في زمان خلافة عمر [5] . فحدثت اشتباكات استشهد فيها كنانة الذي كان قد بعثه محمّد على رأس ألفين لمواجهة ابن العاص [6] ، فجرّ ذلك إلى أن ترك أصحاب محمّد أميرهم وحيدا ، فوقع في قبضة العدو . [7] ومن جانب آخر لم تُجدِ استغاثة الإمام عليه السلام واستنصاره أهل الكوفة لمؤازرة محمّد [8] . وآل الأمر إلى أن يضع معاوية بن خديج محمّدا في جلد حمار ميّت ويحرقه ، وهو ظمآن [9] ، وجاء في بعض الأخبار أنّه أحرق حيّا . [10] أحزن استشهاد محمّد بن أبي بكر الإمام عليه السلام كثيرا [11] ، وتوجّع على ما جرى على عزيزه الراحل ، وجزع عليه أشدّ الجزع ، وحين سُئل عليه السلام عن علّة جزعه الشديد ،

[1] الغارات : ج 1 ص 276 .

[2] الأمالي للمفيد : ص 79 ج 4 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 34 .

[4] أنساب الأشراف : ج 3 ص 170 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 104 - 111 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 103 .

[7] أنساب الأشراف : ج 3 ص 170 .

[8] تاريخ الطبري : ج 5 ص 107 .

[9] أنساب الأشراف : ج 3 ص 171 و 172 .

[10] الاستيعاب : ج 3 ص 423 الرقم 2348 .

[11] نهج البلاغة : الحكمة 325 .

قال : «رَجِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ؛ كَانَ غُلَامًا حَدَّثَنَا ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ أُولِيَ الْمِرْقَالَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ مِصْرَ ... يَلَا ذِمًّا لِمُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، لَقَدْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَقَضَى مَا عَلَيْهِ» . [1] وكان عليه السلام يُثني عليه ويذكره بخير في مناسبات مختلفة ويقول : «لَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا ، وَكَانَ لِي رَبِيبًا [2] ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا ، وَعَامِلًا كَادِحًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَزُكْنًا دَافِعًا» . [3]

و - فَرَحُ مُعَاوِيَةَ

515. الغارات عن جندب بن عبد الله - في خَيْرٍ قَتَلَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ :- قَدِمَ عَلَيْهِ [عَلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُسَيَّبِ الْقَزَارِيُّ ... عَيْتُهُ بِالشَّامِ ... وَحَدَّثَهُ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الشَّامِ حَتَّى قَدِمَتِ الْبُشَيْرَى مِنْ قِتْلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ تَتْرِي بَتْنَيْعَ بَعْضُهَا عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ يَفْتَحُ مِصْرَ وَقَتْلَ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَتَّى أَذِنَ مُعَاوِيَةُ يَقْتُلِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ سُرُورًا يَمِثِلُ سُرُورِ رَأْيْتُهُ بِالشَّامِ ، حَتَّى أَنَاهُمْ هَلَكَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ . فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ

[1] الغارات : ج 1 ص 301 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 68 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 35 .

[4] الغارات : ج 1 ص 295 .

ز - خُطِبَةُ الإمام عليه السلام بَعْدَ قَتْلِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

516. الإمام عليّ عليه السلام - في خُطْبَتِهِ بَعْدَ قَتْلِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: أَلَا إِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتَتَحَهَا الْفَجْرَةُ أَوَّلُو الْجَوْرِ وَالظُّلْمَ الَّذِينَ صَدَّوْا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَبَعَوْا الْإِسْلَامَ عَوَجًا . أَلَا وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ قَدْ اسْتَشْهِدَ ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ . أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ لِمَنْ يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ ، وَيَعْمَلُ لِلْجَزَاءِ ، وَيُبْعِضُ شَكْلَ الْفَاجِرِ ، وَيُجِبُّ هَذِي الْمُؤْمِنِ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَلُومُ نَفْسِي عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَإِنِّي لِمُقَاسَاةِ الْحَرْبِ لِحَدِّ خَبِيرٍ ، وَإِنِّي لَأَقْدَمُ عَلَى الْأَمْرِ وَأَعْرِفُ وَجْهَ الْخَزِيمِ ، وَأَقُومُ فِيكُمْ بِالرَّأْيِ الْمُصِيبِ ، فَأَسْتَصْرِخُكُمْ مُعَلِّينَا ، وَأُنَادِيكُمْ نِدَاءَ الْمُسْتَعِيثِ مُعْرَبًا ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَصِيرَ بِي الْأُمُورُ إِلَى عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ، فَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَا يُدْرِكُ بِكُمْ النَّازُ ، وَلَا تُنْقِضُ بِكُمْ الْأَوْتَارُ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى غِيَاثِ إِخْوَانِكُمْ مِنْذُ يَضَعُ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً فَتَجَرَّجَرْتُمْ جَرَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَشَدِّقِ ، وَتَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ تَنَاقُلَ مَنْ لَيْسَ لَهُ نِيَّةٌ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَا اِكْتِسَابِ الْأَجْرِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتْدَانِبٌ «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» [1] فَأَقْبَى لَكُمْ ! [2]

[1] الأنفال : 6 .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 108 .

الفصل الثامن: هجمات أذنان معاوية

أ - السياسة العلوية والسياسة الأموية

بعد أن تحمّل معاوية مرارة الانكسار في صغين توصل إلى هذه النتيجة وهي عدم قدرته على مواجهة الإمام وجهاً لوجه ، فانتهج أسلوباً آخر من أجل الوصول إلى أهدافه وأطماعه المشؤومة ، فاتخذ سياسة غير إسلامية و غير إنسانية في مواجهة الإمام ؛ وهي سياسة الإيذاء المباحة ، من قبيل : الاغتيال ، وإحراق المنازل والبيوت ، ونهب الأموال ، وإثارة الرعب والخوف بين الناس ، وسلب الأمن عن البلاد الإسلامية . وفي هذا المجال كتب المسعودي - المؤرخ المعروف - : «وكان معاوية في بقية أيام عليّ يبعث سرايا تغير ، وكذلك عليّ كان يبعث من يمن سرايا معاوية من أذية الناس» . [1] وقد رام معاوية بانتهاجه هذه السياسة اللئيمة الخطرة الأهداف التالية : 1 . زرع اليأس في قلوب الناس من حكومة الإمام عليه السلام ، وقت مقاومتهم ومنعهم عن الاستمرار في معاضدة الإمام .

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 421 .

2 . السيطرة على المجال التي لها موقع سياسي هامّ كالبحر ومصر . 3 . إلجاء الإمام إلى المقابلة بالمثل ، وإزالة قدسيّة الإمام من أذهان الناس . 4 . استغلال غطاء «عهد الصلح» المشروط - الذي أمضاه الإمام في التحكيم - لخدمة مصالحه وأهدافه ، وبالتالي دفع الإمام لنقض العهد المذكور . والذي ساعد على إيجاد أرضية مناسبة لهذه السياسة الخطرة هو استشهاد جملة من أركان جيش الإمام من جانب ، ومن جانب آخر تعب جيش الإمام وعدم طاعتهم لقائدهم . لكن الإمام عليه السلام - في ذلك الظرف الحساس - لم يتخطّ حدود العدالة قيّد أنملة ، وأبقى درساً عملياً للحكومات التي تريد الاستنارة بنهجه في الوفاء والثبات على هذه السياسة المباركة ، بل لم يكن حاضراً لنقض ذلك العهد المشروط الذي ألجئ إلى قبوله . وإليك كلام الإمام عليه السلام في هذا المجال :

517. الإرشاد : ومن كلامه عليه السلام لَمَّا تَغَضَّ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ شَرَطَ الْمَوَادَّةَ وَأَقْبَلَ بِشَنِّ الْغَارَاتِ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ :

ما لِمُعَاوِيَةَ فَاتَلَهُ اللَّهُ ؟ ! لَقَدْ أَرَادَنِي عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، أَرَادَ أَنْ أَفْعَلَ كَمَا يَفْعَلُ ، فَأَكُونُ قَدْ هَتَكْتُ ذِمَّتِي وَتَقَضْتُ عَهْدِي ، فَيَتَّخِذَهَا عَلَيَّ حُجَّةً ، فَتَكُونُ عَلَيَّ شَيْنًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلِّمَا دُكِرْتُ . فَإِنْ قِيلَ لَهُ : أَنْتَ بَدَأْتَ ، قَالَ : مَا عَلِمْتُ وَلَا أَمَرْتُ ، فَمِنْ قَائِلِي يَقُولُ : قَدْ صَدَقَ ، وَمِنْ قَائِلِي يَقُولُ : كَذَبَ . أَمَ وَاللَّهِ ، إِنْ اللَّهَ لَذُو أَنَاةٍ وَحِلْمٍ عَظِيمٍ ، لَقَدْ حَلَمَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ فِرَاعِيَةِ الْأَوَّلِينَ وَعَاقِبَ فِرَاعِيَتَهُ ، فَإِنْ بُمِهَلَهُ اللَّهُ قُلْنَ يَفُوتُهُ ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ . فَلْيَصْنَعْ مَا بَدَأَ لَهُ فَإِنَّا غَيْرُ غَادِرِينَ بِذِمَّتِنَا ، وَلَا نَاقِضِينَ لِعَهْدِنَا ، وَلَا مُرَوِّعِينَ

517. الإرشاد : لِمُسْلِمٍ وَلَا مُعَاهِدٍ ، حَتَّى يَنْقَضِيَ شَرْطُ الْمُوَادَعَةِ بَيْنَنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . [1]

ب - غَارَةُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ

518. الكامل في التاريخ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ [39 هـ] فَرَّقَ مُعَاوِيَةُ جُبُوشَهُ فِي الْعِرَاقِ فِي أَطْرَافِ عَلِيِّ ، فَوَجَّهَ الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ، وَفِيهَا : مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ مَسْلُحَةً لِعَلِيِّ فِي أَلْفِ رَجُلٍ ، وَكَانَ مَالِكٌ قَدْ أُذِنَ لِأَصْحَابِهِ فَأَتُوا الْكُوفَةَ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا مِنْهُ رَجُلٌ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِالثُّعْمَانِ كَتَبَ إِلَى أُمِّيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُهُ وَيَسْتَمِذُّهُ . فَخَطَبَ عَلِيُّ النَّاسَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَتَنَاقَلُوا . وَوَقَعَ مَالِكُ الثُّعْمَانِ وَخَلَعَ جِدَارَ الْقَرْيَةِ فِي طُحُورِ أَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ مَالِكٌ إِلَى مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ يَسْتَعِينُهُ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ ، وَافْتَتَلَ مَالِكٌ وَالثُّعْمَانُ أَشَدَّ فِتَالٍ ، فَوَجَّهَ مِخْنَفُ ابْنَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا ، فَأَتَتْهُوَ إِلَى مَالِكٍ وَقَدْ كَسَرُوا جُفُونَ سَبُوفِهِمْ وَاسْتَقْتَلُوا ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ أَهْلُ الشَّامِ انْهَزَمُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ ، وَطَبَّوْا أَنْ لَهُمْ مَدَدًا ، وَتَبِعَهُمْ مَالِكٌ فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ . وَلَمَّا تَنَاقَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى مَالِكٍ ، صَعِدَ عَلِيُّ الْمِنْبَرِ فَخَطَبَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! كُلُّمَا سَمِعْتُمْ يَجْمَعُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَطْلُكُمْ أَنْجَحَرُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ فِي بَيْتِهِ ، وَأَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ أَنْجَحَرَ الصَّبِّ فِي جُحْرِهِ ، وَالصَّبُّ فِي وَجَارِهَا ، الْمَغْرُورُ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، لَا أَحْرَارَ عِنْدَ الْبِدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانٌ عِنْدَ النَّجَاءِ ! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! مَاذَا مُنِيتَ بِهِ مِنْكُمْ ؟ عُمِّي لَا يُبْصِرُونَ ، وَبُكُمْ لَا يَنْطُقُونَ ، وَصُمْ لَا يَسْمَعُونَ ! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . [2]

[1] الإرشاد : ج 1 ص 275 .

[2] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 425 .

ج - غَارَةُ سُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ

519. الغارات عن سفیان بن عوف الغامدي : دَعَانِي مُعَاوِيَةُ فَقَالَ : إِنِّي بَاعِثُكَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ذِي أَدَاةٍ وَجَلَادَةٍ فَالْزَمْ لِي جَانِبَ الْفُرَاتِ حَتَّى تَمُرَّ بِهَيْتِ [1] فَتَقَطِّعُهَا ، فَإِنْ وَجَدْتَ بِهَا جُنْدًا فَأَغِرْ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا فَاْمُضِ حَتَّى تُغِيرَ عَلَى الْأَنْبَارِ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بِهَا جُنْدًا فَاْمُضِ حَتَّى تُغِيرَ عَلَى الْمَدَائِنِ ثُمَّ أَقِيلْ إِلَيَّ ، وَاتَّقِ أَنْ تَقْرُبَ الْكُوفَةَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ أَغَرْتَ عَلَى أَهْلِ الْأَنْبَارِ وَأَهْلِ الْمَدَائِنِ فَكَأَنَّكَ أَغَرْتَ عَلَى الْكُوفَةِ ، إِنَّ هَذِهِ الْغَارَاتُ يَا سُفْيَانُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ تَرْهَبُ قُلُوبَهُمْ وَتُجَرِّئُ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ فِينَا هَوًى مِنْهُمْ وَيَرَى فِرَاقَهُمْ ، وَتَدْعُو إِلَيْنَا كُلَّ مَنْ كَانَ يَخَافُ الدَّوَائِرَ ، وَخَرَّبَ كُلَّ مَا مَرَّتْ بِهِ مِنَ الْقُرَى ، وَاقْتُلْ كُلَّ مَنْ لَقِيتَ يَمُنُّ لَيْسَ هُوَ عَلَى رَأْيِكَ ، وَاحْرَبْ [2] الْأَمْوَالَ ، فَإِنَّهُ شَبِيبَةٌ بِالْقَتْلِ وَهُوَ أَوْجَعُ لِلْقُلُوبِ . [3]

د - غَارَةُ الصَّخَاكِ بْنِ قَيْسٍ

520. الغارات عن عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري : دَعَا مُعَاوِيَةُ الصَّخَاكِ بْنَ قَيْسِ الْفِهْرِيِّ ، وَقَالَ لَهُ : سِرْ حَتَّى تَمُرَّ بِنَاجِيَةِ الْكُوفَةِ ، وَتَرْفِعَ عَنْهَا مَا اسْتَطَعْتَ ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي طَاعَةِ عَلِيِّ فَأَغِرْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ وَجَدْتَ لَهُ مَسْلَحَةً [4] أَوْ خَيْلًا فَأَغِرْ عَلَيْهِمَا ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فِي بَلَدَةٍ فَأَمْسِ فِي أُخْرَى ، وَلَا تُقِيمَنَّ لِخَيْلٍ بَلَعَكَ أَثْنَاهَا قَدْ سَرَّحْتَ إِلَيْكَ لَتَلْفَاهَا فَتَنَاقَلَهَا ، فَسَرَّحَهُ فِيمَا بَيْنَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ جَرِيدَةٍ خَيْلٍ . فَأَقْبَلَ الصَّخَاكُ يَأْخُذُ الْأَمْوَالَ ، وَيَقْتُلُ مَنْ لَقِيَ مِنَ الْأَعْرَابِ حَتَّى مَرَّ بِالنَّعْلِيَّةِ

[1] هَيْتٌ : بَلَدَةٌ فِي الْعِرَاقِ عَلَى الْفُرَاتِ مِنْ نَوَاحِي بَغْدَادَ ، فَوْقَ الْأَنْبَارِ (معجم البلدان : ج 5 ص 421) .

[2] الْحَرَبُ : نَهْبٌ مَالِ الْإِنْسَانِ وَتَرْكُهُ لَا شَيْءَ لَهُ (النهاية : ج 1 ص 358) .

[3] الْغَارَاتُ : ج 2 ص 464 .

[4] الْمَسْلَحَةُ : كَالثَّغْرِ وَالْمَرْقَبِ يَكُونُ فِيهِ أَقْوَامٌ يَرْقُبُونَ الْعَدُوَّ لئَلَّا يَطْرُقَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ ، فَإِذَا رَأَوْهُ أَعْلَمُوا أَصْحَابَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا لَهُ . (والجمع : مسالِح (النهاية : ج 2 ص 388) .

520. الغارات عن عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري : فَأَغَارَ حَيْلُهُ عَلَى الْحَاجِّ ، فَأَخَذَ أَمَتَيْتَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَلَقِيَ عَمْرَوَ بْنَ عُمَيْسٍ بْنِ مَسْعُودٍ الدُّهْلِيَّ - وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقَتَلَهُ فِي طَرِيقِ الْحَاجِّ عِنْدَ الْقُطُطَانَةِ [1] وَقَتَلَ مَعَهُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ . قَالَ أَبُو رَوْحٍ : فَحَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! أَخْرُجُوا إِلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ عَمْرُو بْنِ عُمَيْسٍ ، وَإِلَى جُيُوشِ لَكُمْ قَدْ أَصِيبَ مِنْهَا طَرَفٌ ! أَخْرُجُوا فَقَاتِلُوا عَدُوَّكُمْ وَأَمْنُوا خَرِيمَتَكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قَالَ : فَردُّوا عَلَيْهِ رَدًّا ضَعِيفًا ، وَرَأَى مِنْهُمْ عَجْزًا وَفَشْلًا فَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ مِتَّةٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ ، وَبِحَكْمٍ أَخْرَجُوا مَعِي ، ثُمَّ فِرَّوْا عَنِّي إِنْ بَدَأَ لَكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَكْرَهَ لِقَاءَ رَبِّي عَلَى يَتِيٍّ وَبَصِيرَتِي ، وَفِي ذَلِكَ رُوحٌ لِي عَظِيمٌ ، وَفَرَجٌ مِنْ مُنَاجَاتِكُمْ وَمُقَاسَاةِكُمْ وَمُدَارَاةِكُمْ مِثْلَ مَا تُدَارَى الْبَكَارُ الْعَمِيدَةُ ، وَالْيَتَابُ الْمُتَهَيِّزَةُ ، كُلُّمَا خِيطَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ عَلَى صَاحِبِهَا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَخَرَجَ يَمْشِي حَتَّى بَلَغَ الْغَرِيْبَيْنِ [2] ، ثُمَّ دَعَا حَجْرَ بْنَ عَدِيٍّ الْكِنْدِيَّ مِنْ خِيَلِهِ فَعَقَدَ لَهُ ثُمَّ رَايَةً عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، ثُمَّ سَرَّحَهُ . [3] فَخَرَجَ حَتَّى مَرَّ بِالسَّمَاءَةِ [4] - وَهِيَ أَرْضٌ كَلْبٍ - فَلَقِيَ بِهَا أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ

[1] القُطُطَانَةُ : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ، كان بها سجن النعمان بن المنذر (معجم البلدان : ج 4 ص 374) .

[2] الْغَرِيْبَانِ : طربالان ، وهما بناءان كالصومعيتين بظاهر الكوفة ، قرب قبر عليّ بن أبي طالب (معجم البلدان : ج 4 ص 196) .

[3] سَرَّحْتُ فَلَانًا إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا : إذا أُرسلته (لسان العرب : ج 2 ص 479) .

[4] السَّمَاءَةُ : ماء بالبادية ، وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام ففرض أظنها مسمّاة بهذا الماء ، وقال السكري : السماوة ماء لكلب (معجم البلدان : ج 3 ص 245) .

520. الغارات عن عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري : أَوْسُ بْنُ جَابِرٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَلِيٍّ الْكَلْبِيِّ أَصْهَارَ الْخُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَكَانُوا إِدْلَاءَهُ عَلَى طَرِيقِهِ وَعَلَى الْمِيَاهِ ، فَلَمْ يَزَلْ مُعْذًا فِي أَثَرِ الضَّحَاكِ حَتَّى لَقِيَهِ بِنَاجِيَةٍ تَدْمُرُ قَوَاقِفَهُ فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الضَّحَاكِ تِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ حُجْرِ رَجُلَانِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ اللَّهِ الْغَامِدِيُّ ، وَحَجَرَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ ، فَخَضَى الضَّحَاكُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا لَمْ يَجِدُوا لَهُ وَلَاصِحِيهِ أَثَرًا . [1]

ه - غَارَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَبَاثٍ

521. الكامل في التاريخ - في أحداث سنة تسع وثلاثين هجرية :- وفيها سَبَرَّ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ قَبَاثٍ بْنِ أَشِيمٍ إِلَى يِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَفِيهَا شَبِيبُ بْنُ عَامِرٍ - جَدُّ الْكِرْمَانِيِّ الَّذِي كَانَ يَخْرُاسَانَ - وَكَانَ شَبِيبٌ يَنْصِبِينَ ، فَكَتَبَ إِلَى كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ يَهِيْتُ ، يُعَلِّمُهُ خَبَرَهُمْ . فَسَارَ كُمَيْلٌ إِلَيْهِ تَجَدُّهُ لَهُ فِي سَيْمَنَةِ فَارِسٍ ، فَأَدْرَكُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَمَعَهُ مَعْنُ بْنُ بَرِيدٍ السُّلَمِيُّ ، فَقَاتَلَهُمَا كُمَيْلٌ وَهَزَمَهُمَا ، فَغَلَبَ عَلَى عَسْكَرِهِمَا ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُتَبَّعَ مُدِيرٌ وَلَا يُجَهَّزَ عَلَى جَرِيحٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ كُمَيْلِ رَجُلَانِ . وَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ بِالْفَتْحِ فَجَزَاهُ خَيْرًا ، وَأَجَابَهُ جَوَابًا حَسَنًا وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ وَأَقْبَلَ شَبِيبُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ نَصِيبِينَ فَرَأَى كُمَيْلًا قَدْ أَوْفَقَ بِالْقَوْمِ فَهَتَّاهُ بِالطَّقْرِ ، وَأَتْبَعَ الشَّامِيَيْنِ فَلَمْ يَلْحَقْهُمَا ، فَغَبَرَ الْفُرَاتَ ، وَبَثَّ حَيْلَهُ ، فَأَغَارَتْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى بَلَغَ بَعْلَبَكُ .

[1] الغارات : ج 2 ص 421 .

521. الكامل في التاريخ - في أحداث سنة تسع وثلاثين هجرية - فَوَجَّهَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَلَمْ يُدْرِكْهُ ، وَرَجَعَ شَبِيبٌ فَأَغَارَ عَلَى تَوَاجِيهِ الرَّقَّةَ ؛ فَلَمْ يَدَعْ لِلْعُمَايِيَّةِ بِهَا مَاشِيَةً إِلَّا اسْتَأْفَقَهَا ، وَلَا خَيْلًا وَلَا سِلَاحًا إِلَّا أَخَذَهُ ، وَعَادَ إِلَى نَصِيبِينَ وَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ يَنْهَاهُ عَنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ إِلَّا الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ الَّذِي يُغَايِلُونَ بِهِ ، وَقَالَ : رَجِمَ اللَّهُ شَبِيبًا ، لَقَدْ أَبْعَدَ الْغَارَةَ وَعَجَّلَ الْإِنْتِصَارَ . [1]

و - غَارَةُ بُسْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ

522. تاريخ الطبري عن عوانة : أُرْسِلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بَعْدَ تَحْكِيمِ الْحَكَمَيْنِ بُسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ - فِي جَيْشٍ ، فَسَارُوا مِنْ الشَّامِ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، وَعَامِلٌ عَلَيْهِ عَلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ أَبُو أُتَيْبٍ الْأَنْصَارِيُّ ، فَقَرَّ مِنْهُمْ أَبُو أُتَيْبٍ ، فَأَتَى عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ . وَدَخَلَ بُسْرُ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : فَصِيدَ مِنْبَرَهَا وَلَمْ يُفَالِقْهَا بِهَا أَحَدٌ ، فَنَادَى عَلَى الْمَنْبَرِ : يَا دِينَارُ ، وَيَا نَجَّارُ ، وَيَا زَرْبُقُ ، شَيْخِي شَيْخِي ! عَهْدِي بِهِ بِالْأَمْسِ ، فَأَيْنَ هُوَ ! يَعْنِي عُثْمَانَ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ! وَاللَّهِ ، لَوْ لَا مَا عَهْدُ إِلَيَّ مُعَاوِيَةُ مَا تَرَكْتُ بِهَا مُحْتَلِمًا إِلَّا قَتَلْتُهُ ، ثُمَّ بَاتَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ . وَأُرْسِلَ إِلَى بَنِي سَلَمَةَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ ، مَا لَكُمْ عِنْدِي مِنْ أَمَانٍ ، وَلَا مُبَاقِيَةٍ حَتَّى تَأْتُونِي بِجَاوِبٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ . فَانْطَلَقَ جَائِرٌ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لَهَا : مَاذَا تَرَيْنَ ؟ إِنِّي قَدْ خَشِيتُ أَنْ أَقْتَلَ ، وَهَذِهِ بَيْعَةُ ضَلَالَةٍ .

[1] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 428 .



522. تاریخ الطبري عن عوانة : قالت : أرى أن ثبايع ؛ فإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع ، وأمرت ختني عبد الله بن زمعة - وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زمعة فأنه جابر قبائعه . وهدم بسر دورا بالمدينة ، ثم مضى حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى أن يقتله ، فقال له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ذلك ، فخلّى عنه . وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن : إن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل الناس ، تقتل من أبي أن يفر بالحكومة . ثم مضى بسر إلى اليمن ، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملًا ليعلي ، فلما بلغه مسيره فر إلى الكوفة حتى أتى علياً ، واستخلف عبد الله بن عبد المदान الحارثي على اليمن ، فأنه بسر فقتله وقتل ابنه ، ولقي بسر ثقل [1] عبيد الله بن عباس ، وفيه ابنان له صغيران قد زحهما . وقد قال بعض الناس : إنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية ، فلما أراد قتلهما ، قال الكنايني : علام تقتل هذين ولا ذنب لهما ! فإن كنت قاتلهما فاقتلني . قال : أفعل ، فبدأ بالكنايني فقتله ، ثم قتلهما ، ثم رجع بسر إلى الشام . وقد قيل : إن الكنايني قاتل عن الطفيلين حتى قتل ، وكان اسم أحد الطفيلين اللذين قتلهما بسر : عبد الرحمن ، والآخر فتم ، وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام . فوجه جارية بن قدامة في ألقين ، وهب بن مسعود في

[1] الثقل : المتاع والحشم ، وأصل الثقل أن العرب تقول لكل شيء نفيس خطر موصون ثقل (لسان العرب : ج 11 ص 87 و 88) .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 139 .

522. تاریخ الطبري عن عوانة : ألقين ، فسار جاريته حتى أتى نجران فخرق بها ، وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم ، وهرب بسر وأصحابه منه ، وأتبعهم حتى بلغ مكة . فقال لهم جارية : بايعونا . فقالوا : قد هلك أمير المؤمنين ، فلِمَن ثبايع ؟ قال : لِمَن بايع له أصحاب علي ، فتناقلوا ، ثم بايعوا . ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم ، فهرب منه ، فقال جارية : والله ، لو أخذت أبا سئور لصربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا الحسن بن علي ، قبائعه . وأقام يوماً ، ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلى بهم . [1]

523. الاستيعاب : أرسل معاوية بسر بن أوطاة إلى اليمن ، فسبى نساء مسلميات ، فأقمن في السوق [2] .

[1] الثقل : المتاع والحشم ، وأصل الثقل أن العرب تقول لكل شيء نفيس خطر موصون ثقل (لسان العرب : ج 11 ص 87 و 88) .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 139 .

[3] الاستيعاب : ج 1 ص 243 الرقم 175 .

الفصل التاسع: تمتي الاستشهاد

أ - إن أحب ما أتا لاقى إلهي الموت

524. الإمام علي عليه السلام - من خطبة له عليه السلام في دم العاصين... إنه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضوه ، ولا سخط فتجتبعون علي ، وإن أحب ما أتا لاقى إلهي الموت ! قد دارسكنم الكتاب ، وفاتكنكم الججاج ، وعرفكنم ما أنكرتم ، وسوكنكم ما مججتم ، لو كان الأعمى يلحظ ، أو التائم يستيقظ ! وأقرب يقوم - من الجهل بالله - قائدهم معاوية ! ومؤدبهم ابن التايغ [1]

525. الغارات عن ابن أبي رافع : رَأَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدِ اِزْدَحَمُوا عَلَيْهِ حَتَّى اَدَمَوْا رِجْلَهُ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ قَدْ كَرِهْتُهُمْ وَكَرِهُونِي ، فَأَرْحِنِي مِنْهُمْ وَأَرْحِمْهُمْ مِنِّي . [2]

[1] نهج البلاغة : الخطبة 180 .

[2] الغارات : ج 2 ص 459 .

الفصل العاشر: آخر خطبة خطبها الإمام

526. نهج البلاغة : رُوِيَ عَنْ تَوْفِي الْيَكَلِيِّ قَالَ : خَطَبْنَا بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ تَصَبَّحَ لَهَا جَعْدَةٌ بَنُ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيِّ ، وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لَيْفٌ ، وَفِي رِجْلَيْهِ تَعْلَانِ مِنَ الْبَيْفِ ، وَكَأَنَّ حَبِيبَتَهُ تَفْتَهُ بَعِيرٌ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَتَيَّيرِ بُرْهَانِهِ ، وَتَوْأَمِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَى تَوَائِبِهِ مَقَرَّبًا ، وَلِيُحْسِنَ مَزِيدَهُ مُوجِبًا . وَتَسْتَعِينَ بِهِ اسْبِعَانَةٌ رَاجٍ لِقَضِيلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَائْتِي بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطُّوْلِ ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ رَّحَاهُ مُوَفِّيًا ، وَأُنَابٌ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعٌ لَهُ مُذْعِنًا ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا ، وَعَظَمَهُ مُمَجِّدًا ، وَلَاذٍ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا . لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكًا ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُثًا هَالِكًا . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ . وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقَنِّ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ مُوْطِنَاتٍ يَلَا عَمْدٍ ، قَائِمَاتٍ يَلَا سِنْدٍ . دَعَاهُنَّ

526. نهج البلاغة : فَأَجَبَنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّنَاتٍ وَلَا مُبْطِنَاتٍ . وَلَوْلَا إِفْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِدْعَائُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَأَتِيهِ ، وَلَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . حَقَلَتْ نُجُومُهَا أَعْلَامًا تَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجٍ [1] الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْتَنِعْ صَوْنُ نَوْرِهَا اِدْلِهَامًا سُجْفُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ . وَلَا اسْتِطَاعَتْ حَلَابِيْبُ سَوَادِ الْحَنَادِيسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نَوْرِ الْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ عَسَقِي دَاجٍ وَلَا لَيْلِ سَاجٍ [2] فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِنَاتِ ، وَلَا فِي بَقَاعِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقَطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهَاطُ السَّمَاءِ ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطُ الْقَطَرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبُ الدَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا . الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّهُ أَوْ عَرْشُهُ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ ، لَا يَدْرِكُ يَوْهَمِهِ ، وَلَا يَقْدَرُ بِفَهْمِهِ . وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ، وَلَا يَنْظُرُ بَعَيْنٌ ، وَلَا يَحُدُّ بَابِنٌ . وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ . وَلَا يَدْرِكُ بِالْخَوَاسِ . وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا . يَلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا تُطْفَى وَلَا لَهَوَاتٍ . بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَتَيْهَا الْمُتَكَلِّفُ لَوْصِفِ رَيْكَ فَصِفْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِينَ [5] ، مُتَوَلِّهِةً عُقُولَهُمْ أَنْ يَخْدُوا أَحْسَنَ

[1] الفِجَاجُ : جمع فَجٍّ ؛ وهو الطريق الواسع (النهاية : ج 3 ص 412) .

[2] لَيْلٌ سَاجٍ : أي يَغْطِي بظلامه وسكونه (النهاية : ج 2 ص 344) .

[3] الْبَقَاعُ : المشرف من الأرض والجبل ، وكلّ شيء مرتفع فهو بقاع (لسان العرب : ج 8 ص 414) .

[4] الشَّفْعُ : جمع سفعة ؛ نوع من السواد ليس بالكثير ، وقيل : هو سواد مع لون آخر (النهاية : ج 2 ص 374) والمراد بها الجبال كما تظهر للناسر إليها من بعيد .

[5] اِرْجَحَنَّ الشيءُ : إذا مَالَ مِنْ ثِقَلِهِ وَتَحَرَّكَ (النهاية : ج 2 ص 198) .

526. نهج البلاغة : الْخَالِفِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ دَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَتَقَضَى إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَيِّهِ بِالْقَنَاءِ ؛ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ طَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نَوْرٍ . أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاسَ [1] وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ . وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَحِذُّ إِلَى الْبَقَاءِ سَلْمًا ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مَلِكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ الثُّبُوتِ وَعَظِيمِ الرُّلْفَةِ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ ، وَاسْتَكَمَلَ مَدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قَيْسِي الْقَنَاءِ بَيْنَالِ الْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتْ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً ، وَوَرَثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً ! أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ ! أَيْنَ الْقَرَاعِئَةُ

وأبناء القراعتة ! أين أصحاب مدائن الرّسّ الذين قتلوا التّيبين ، وأطقوا سنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجّارين ! وأين الذين ساروا بالجّوش وهزموا بالألوف . وعسكروا العساكر ومدّثوا المدائن . ومنها : قد ليس للحكمة جنتها ، وأخذها يجمع أدبها من الإقبال عليها ، والمعرفة بها ، والتّفرغ لها ؛ فهي عند نفسه ضالّته التي يطلّبها ، وحاجته التي يسأل عنها ؛ فهو مُعْتَرِبٌ إذا اعترب الإسلام ، وضرب يعسب [2] دّنيه ، وألصق الأرض بجرائه [3] . بقيّة من بقايا حجّته ، خليفة من خلايفه أنبيائه . ثمّ قال عليه السلام : أيّها التّاس ! إنّي قد بئنث لكم المواعط التي وعط الأنبياء بها أممهم ، وأدبّت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم ، وأدبّتكم بسوطي فلم تستقيموا . وحدّثكم بالزّواجر فلم تستوسقوا [4] . لله أنتم ! أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم

[1] الرّياس : ما ظهر من الّياس (النهاية : ج 2 ص 288) .

[2] عسيب الذّنب : منّيته من الجليد والعظم (لسان العرب : ج 1 ص 599) .

[3] الجران ، مقدّم عنق البعير من المذبح إلى المنحر ، والبعير أقلّ ما يكون نفعه عند بروكه . والفاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف (راجع : لسان العرب : ج 13 ص 86) .

[4] أي فلم تجتمعوا على الطاعة (انظر النهاية : ج 5 ص 185) .

526. نهج البلاغة : الطّريق ، ويرشدكم السّيل ؟ ألا إنّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مُقيلاً ، وأقبل منها ما كان مُديراً ، وأزمع [1] التّرحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدّنيا لا يبقى كثير من الآخرة لا يفتنى . ما صرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم يصقّين ألا يكوئوا اليوم أحياء ؟ يُسيغون الغصص ويشربون الرّثق [2] . قد - والله - لقوا الله قوقاهم أجورهم ، وأخلّهم دار الأمن بعد خوفهم . أين إخواني الذين ركّبوا الطّريق ومضوا على الحقّ ؟ أين عمّار ؟ وأين ابن التّيهان ؟ وأين ذو الشّهادتين ؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة ، وأبرد يرووسهم إلى الفجرة . قال : ثمّ ضرب بيده على لحيته الشّريفة الكريمة فأطال البكاء ، ثمّ قال عليه السلام : أوّه على إخواني الذين تلوّوا القرآن فأحكموه ، وتدبّروا القرص فأقاموه ، أحيوا السنّة وأماؤا اليدعة . دّعوا للجهاد فأجابوا ، ووثقوا بالقايّد فأتبعوه . ثمّ نادى بأعلى صوته : الجهاد الجهاد عباد الله ! ألا وإني مُعسكرٌ في يومي هذا ؛ فمن أراد الرّواح إلى الله فليخرج ! قال توفّ : وعقد للخسّين عليه السلام في عشرة آلاف ، ولقيس بن سَعْدٍ في عشرة آلاف ، ولأبي أيوب الأنصاريّ في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعدادٍ آخر وهو يريد الرّجعة إلى صقّين ، فما دارت الجماعة حتّى صرّبه الملعون ابن ملجم لعنة الله ، فتراجعت العساكر ، فكتا كأغنامٍ فقدت راعيها تختطفها الذّئاب من كلّ مكانٍ . [3]

[1] أزمع : عدا وخفّ (لسان العرب : ج 8 ص 143) .

[2] ماء رثق : كدّر (لسان العرب : ج 10 ص 127) .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 182 .

بحث في جذور التخاذل

عرفنا في القسم الخامس أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حظي بتأييد شعبي واسع ، ووصل إلى الخلافة عبر انتخابات حرّة ، حتى بلغ من إقبال الناس على بيعته وفرحهم بها أنّه قال في وصفها : «أقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها» . كما قرأنا في هذا الفصل أنّ الجماهير راحت تبتعد عن الإمام تدريجيّاً ولما تمضي مدّة قصيرة على حكمه ، حيث فقد حماية وتأييد أغلبهم ؛ ففي الأيام الأولى - من عهد الإمام السياسيّ - نقض بعض الناس البيعة فخرجوا مع ثلّة من السّباقيين إلى بيعة الإمام ليشيروا حرب الجمل . على خطّ آخر بادر جمع من الشخصيات المعروفة ذات التأثير الشعبي البارز للالتحاق بمعاوية ، كما انفصل آخرون عن صفّ الإمام وقرّروا اتّخاذ موقف الحياد . هكذا راح يتضاءل التأييد الشعبي لحكم الإمام يوماً بعد آخر ، بحيث لم يفقد الحكم العلوي ذلك التأييد الجماهيري العارم الذي برز في الأيام الأولى للبيعة فحسب ، بل انقلب التأييد إلى معارضة! حتى آل الأمر في نهاية المطاف إلى أن يعيش الإمام الأشهر الأخيرة من حياته وحيداً وهو يشكو مرارة غربته ، وعصيان أصحابه ، وعدم طاعتهم .

تكمّن إشكاليّة الموضوع في الأسئلة الأساسيّة التالية : ما هي الأسباب وراء ابتعاد أكثرية الناس عن الإمام علي عليه السلام ؟ لماذا لم يستطع الإمام أن يحافظ على تأييد أغلبية الجمهور لحكمه؟ لماذا حلّت الفرقة بين الجماهير خلال حكم الإمام ، ولم يستطع إيجاد وحدة الكلمة بين صفوف الجماهير التي بايعته؟ لماذا صار الإمام أواخر حياته يثّ شكواه على الدوام من عدم حماية الناس لحركته الإصلاحية ، وهو يقول : «هيهات أن أطلع يكم سرار العدل» ، ويقول : «أريد أن أدوي يكم وأنثم داني» ، ويقول : «مُنيت يمن لا يطيع» ، ويقول : «لا غناء في كثرة عدّكم مع قلة اجتماع قلوبكم!» ، ويقول : «لو كان لي يعدّ أهل بدر» ، ويقول : «وددت أني أبيع عشرة منكم يرخل من أهل الشام!» . وبكلمة مختصرة : ما هو سبب إدبار عامّة الناس عن الحكم العلوي بعد ذلك الإقبال منقطع النظر الذي حظي به الإمام يوم البيعة؟ أليس في انفضاض الناس عن الإمام وبقائه وحيداً ما يدلّ على عدم إمكانيّة ممارسة الحكم عملياً وفق أصول المنهج السياسي العلوي ، وأنّه لا مكان للمدينة العلوية الفاضلة إلّا في دنيا الخيال؟ قبل أن نلجأ للإجابة على هذه الأسئلة وبيان أسباب بقاء الإمام وحيداً ، من

الضروري الإشارة إلى نقطتين :

1 . دور الخواصّ في التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة

لقد كان للخواصّ على مرّ التاريخ - ولا يزال - الدور الأكبر في التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة التي يشهدها أيّ مجتمع ، فالنخب هي التي تأخذ موقع الجمهور في العادة وتقرّر بدلاً منه ، على حين ليس للجمهور - في الأغلب - إلّا اتباع تلك النخب والانقياد لها . وقد تُرتّب النخبُ المشهد - أحياناً - بصيغة بحيث تتوهّم الجماهير أنّها صاحبة القرار! ففي عصر كصدر الإسلام كان لرؤساء القبائل الدور المحوري في التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة ، وفي عصر آخر صار ذلك التأثير إلى النخب الفكرية وقادة الأحزاب . أما في العصر الحاضر فإنّ الذي يتحكم بالجمهور ويوجّهه ويصوغ قراراته هم كبار المشرفين على الشبكات الخبريّة ، وأجهزة الاتصال المختلفة ، والقنوات والنظم الإعلاميّة ، وأصحاب الجرائد ، والصحفيّون .

2 . دور أهل الكوفة في حكم الإمام عليه السلام

يحتلّ العراق في الجغرافيّة السياسيّة لعصر صدر الإسلام موقع الجسر الذي يربط شرق العالم الإسلامي بغربه ، كما يعدّ مصدراً لتزويد السلطة المركزيّة بما تحتاج إليه من جنود وقوّات عسكريّة . وفي العراق تحظى الكوفة بموقع خاصّ ، وحساسيّة كبرى . لقد مُصّرت الكوفة عام 17 هـ ؛ لتكون مقرّاً للجنّد ، حيث تقارّنت تمصير هذه المدينة مع إيجاد معسكرات كبرى للجنّد . بهذا يتّضح أنّ الكوفة هي قاعدة عسكريّة ، ومن ثمّ فإنّ من يسكنها لم يكن

يفكّر بأكثر من القتال والبعوث وفتح البلدان والحصول على الغنائم وغير ذلك ممّا له صلة بهذه الدائرة . لقد كان من سكن الكوفة بعيداً عن المدينة المنورة التي تحتضن أكثرية الصحابة ، كما أنّ تردّد الصحابة على هذا المصّر كان قليلاً أيضاً ، إذ سار عمر بسياسةٍ تقضي أن لا يتوزّع الصحابة في الأمصار بل يبقون في المدينة من حوله [1] . على هذا الأساس لم يحطّ الكوفيّون بالمعرفة الدينيّة اللازمة ، وظلّ حظّهم ضئيلاً من تعاليم الشريعة والعلوم الدينيّة . لقد تحدّث عمر صراحةً إلى من رغب من الصحابة قصّد الكوفة ، ونهاهم عن تعليم الحديث ؛ لئلاّ يضرّوا أنس هؤلاء بالقرآن . [2] هذا وقد برزت في الكوفة طبقة عُرفت بـ «القرّاء» ، ألّفت فيما بعد البذور التأسيسيّة لتيّار الخوارج . ثم نقطة أساسيّة أخرى تتمثّل بالنسيج القبائلي الموجود في الكوفة وهيمنة الطابع القبليّة ، وثقافة القبيلة وموازينها على مجتمع الكوفة ، ففي إطار نسيج ثقافيّ كهذا تكون الكلمة الفصل لرئيس القبيلة ، أما البقيّة فهم تبع له ، من دون أن تكون لهم حريّة الاختيار . بضّم هاتين المقدّمتين لبعضهما نخلص إلى هذه النتيجة : عندما نقول : «إنّ الناس انفضّوا عن الإمام علي عليه السلام وتركوه وحيداً» فما نقصده بذلك هو تخلّي الخواصّ والنخب ورؤساء قبائل الأمّة الإسلاميّة عنه ، بالخصوص أهل العراق ، وبخاصّة أهل الكوفة .

[1] المستدرك على الصحيحين : ج 1 ص 193 ح 374 .

[2] كنز العمال : ج 1 ص 292 ح 29479 .

وفيما يلي نعرض دراسة أسباب هذه الظاهرة ، وكيف بقي الإمام وحيداً ، من خلال ما ورد على لسان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

غربة الإمام عليه السلام على لسانه

ذكرنا قبل ذلك أنّ الإمام عليّاً عليه السلام استطاع أن يعكس في أيّام حكمه القصير أبهى صورة للحكم القائم على أساس القيم الإنسانيّة . فالنوح العلوي في الحكم لم يكن يستقطب إليه المؤمنين بالقيم الإسلاميّة فحسب ، بل كان - ولا يزال - يجذب إلى دائرة نفوذه حتى أولئك الذين لا يدينون بهذه القيم من بني

الإنسان . لذلك كلّه لا يمكن أن يكون سبب انفضاض الناس عن الإمام كامناً بخطأ منهجه في الحكم ، بل ثم لذلك أدلّة أخرى . لقد بين الإمام نفسه أسباب إدبار الجمهور عن حكمه بعد أن كانوا أقبلوا عليه ، وكشف بالتفصيل دوافع إحجام المجتمع عن برنامجه الإصلاحية ، كما وضع يده على الجذر الذي تنتهي إليه الاختلافات التي عصفت بالمجتمع ، والاضطرابات التي برزت أيام حكمه . وفيما يلي تقدّم أجوبة الإمام على هذه النقاط :

1 . تضادّ الإرادات

يبرز السبب الأوّل في ابتعاد الناس عن الإمام بذلك الاختلاف الأساسي الذي ظهر بين الرؤى ، والتضادّ المبدئي الذي حصل بين دوافع القوم وأهدافهم ؛ فلم يكن دافع أغلب الذين ثاروا على عثمان - لاسيما بعض قادة الحركة مثل طلحة والزبير - هو إعادة المجتمع إلى سيرة النبيّ وسنّته ، واستئناف القيم الإسلامية الأصيلة ، بل كان الباعث على ذلك هو سحر هؤلاء من الاستئثار القبلي والحزبي الذي مارسه بنو أميّة وفي طليعتهم عثمان . وبذلك لم يكن هدف هؤلاء من قتل عثمان ومبايعة الإمام

علي عليه السلام يتخطّى هذه النقطة ، حيث لبثوا بانتظار حلّ الإمام لهذه المشكلة . أمّا الإمام ، فقد كان له في قبول الحكم هدف وباعث آخر ، فقد كان يهدف من وراء الاستجابة أن يعيد المجتمع إلى سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسنّته ، ويبادر إلى إحياء القيم الإسلامية ، ويطلق حركة إصلاحية عميقة وواسعة في المجتمع والدولة تطال جميع المرافق الإدارية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية . وخلاصة الكلام أنّ مطامح الجمهور كانت شخصية ، وما يريده الإمام كان إلهياً . فبينما كانت الناس تدور حول منافعها الشخصية ، كان الإمام يسعى إلى استئناف القيم الإسلامية وتطبيقها . وهذا ما أشار إليه بقوله عليه السلام : «وليس أمرى وأمركم واجداً ؛ إني أريدكم لله ، وأنتم تريدونني لأنفسكم» . [1] في أجواء كهذه ، عندما لمس الناس أنّ الإمام لا يتواءم وإياهم في الهدف ، راحوا يتخلّون عن مساندته . ثمّ بمرور الزمان ، وكلّما اتّضحت دوافع الإمام في العمل أكثر راح تأييد الناس يتضاءل ، وتتسع الفجوة بينهم وبين الإمام .

2 . خيانة الخواصّ وتبعية العوام

لقد كان لرؤساء القبائل في العهد العلوي الدور الأبرز في اتّخاذ القرار ، والتأثير على أغلبية الجمهور . ولم تؤت جهود الإمام ثمارها المرجوة على صعيد الارتقاء بهؤلاء فكرياً ، من خلال تصحيح نظرهم إلى الحقّ ، بحيث يعرفون الحقّ بمعيار الحقّ ، لا بمعيار الرجال الذين يكتّون لهم الاحترام . لقد صارت هذه الأجواء - التي تنفّ حائلاً صلباً دون تحقّق الإصلاحات الأساسية - تلقي في نفس الإمام الألم والمضاضة .

[1] الإرشاد : ج 1 ص 243 .

ومما جاء عن الإمام في تحليل هذا الفضاء الاجتماعي الذي بيعث على الملالة ، قوله عليه السلام : «الناس ثلاثة : فعالم ربّانيّ ، ومتعلّم على سبيل نجا ، وهمج رعا ؛ أتباع كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، لم يستصينوا دين العلم ، ولم يلجؤوا إلى زكّي وثيق» . [1] يقسم هذا النص العلوي الناس في انتخاب طريق الحياة إلى ثلاثة أقسام ، هي : القسم الأوّل : العلماء الذين عرفوا طريق الحياة الصحيح ، حيث يطلق الإمام على هؤلاء وصف «العالم الربّاني» . القسم الثاني : هم ذلك الفريق من الناس الذي يسعى لمعرفة الطريق الصحيح ، ويتحرّك باتجاه معرفة الحقّ ، وهؤلاء في الوصف العلوي «متعلّمون على سبيل نجا» . أمّا القسم الثالث فلا هو بالذي يعرف الطريق الصحيح للحياة ، ولا هو يبذل سعيه في سبيل معرفته ، بل يتمثّل معياره في اتّخاذ القرار واختيار النهج الذي يسلكه بالتقليد الأعمى للخواصّ ، وأتباع الشخصيات دون بصيرة ، وهؤلاء هم «الهمج الرعا» . إنّ معنى «الهمج» هو الذباب الصغير الذي يحطّ على وجه الغنم أو الحمير ، و«الرعا» بمعنى الأحمق والتافه الذي لا قيمة له . فشبه التحليل العلوي أولئك الذين لا يعرفون طريق الحياة الصحيح ، ولا يسمحون لأنفسهم بالتفكير به ، بل غاية حظهم اتباع الآخرين أتباعاً أعمى ، شبههم بالذباب ؛ إذ هم يحيطون بجاهلي أكبر منهم يستمدّون منه ، وهو يذوهم! إنّ أمثال هؤلاء لا يتمتّعون بقاعدة فكرية وعقيدية متينة ، وهم يتبعون الغير من

[1] نهج البلاغة : الحكمة 147 .

دون تفحص لكونه حقّاً أو باطلاً ، بل يتبعونه لمحض كونه رئيس قبيلة ، أو قائد حزب ، أو شخصيّة تحظى بالاحترام بالنسبة إليهم ، فهم كالذباب تماماً ؛ كلّما تحرّكت الريح من جانب تحرّك معها . والذي بيعث على ألم الإمام وتوجّعه أنّ أغلب من يعاصره من الناس كان من القسم الثالث . فقد كان عليّ يعيش وسط

جمهور ليس من أهل المعرفة والتشخيص ، ولا هو ممن يتحرّك المعرفة ويتحرّك في مسار البحث والتحقيق . بيد أن الأمل على الإمام في ذلك كلّ أنّه عليه السلام قلّما كان يعثر على من يباثّه همومه ، ويتحدّث إليه بمثل هذه المصائب الاجتماعيّة . أجل ، لم يكن مع عليّ من يستطيع أن يُفصّل له بحقيقة من يعيش معهم ، وعلام يمارس حكمه . وعندما أراد مرّة أن يُفصّل بخبيته نفسه لكميل بن زياد - وهو من خواصّه وممن يطبق سماع تحليله المتوجّع للوضع القائم - تراه أخذ بيده ، وصار به إلى الصحراء ، وبالجزن الممزوج بالآلم أشار إليه أنّه لا يستطيع أن يتحدّث بهذا الكلام لكلّ أحد ؛ لعدم قدرة الجميع على تحمّله ، وأنّه كلما حظي الإنسان بقاعدة فكريّة أكبر وأفق معنويّ أوسع ، كان ذا قيمة أكثر ، ثمّ بعد ذلك حدّثه بسرّ انفضاض الناس عن نهجه ، وانكفائهم عنه ، وتنكّبهم عن برنامجه الإصلاحية ، حيث ذكر له أنّ المشكلة الأساسيّة في ذلك تعود إلى جهل الناس ، واتباعهم الأعمى للخواصّ ممن هو خائن أو جاهل .

إتمام الحجّة على الخواصّ والعوامّ

إنّ ما ذكره الإمام مجملًا إلى كميل بن زياد - في الصحراء - من خطر خيانة الخواصّ وتبعيّة العوامّ ، وما كان قد أشار إليه بهذا الشأن في مجلس خاصّ جمع فيه عدّة من المقرّبين والأتباع المخلصين ، عاد لاستعراضه تفصيلًا أمام جمهور

تحذير للخواصّ

في هذا الخطاب وبعد أن عرّج الإمام على المصير الذي آل إليه إبليس بعد ستّة آلاف سنة من العيادة ، انعطف إلى النخب التي لها في خدمة الإسلام سابقة مشرقة ، وراح يحذّرها من أن تؤوّل إلى المصير نفسه ، وهو يقول : «فاحذّروا - عباد الله - عدوّ الله أن يُعديكم يدائِه ، وأن يستفزكم يندائِه!». ولكي لا تُبتلى الأمة بهذا المصير يتحمّ عليها أن تكفّ عن العصبيّة ، وأحقاد الجاهليّة ، وعن التكبر ، فقال عليه السلام : «قأطِفُونَا ما كَمَنَ في قلوبكم من نيرانِ العصبيّة ، وأحقادِ الجاهليّة ، فإنّما تلك الحميّة تكون في المُسلم من خطرات الشيطان ، وتحوّاتِه ، وتزعّاتِه ، وتفتّاتِه . واعتمدوا وَضْعَ التَّدَلِّ على رؤوسكم ، وإلقاء التّعزّز تحت أقدامكم ، وخلق التّكبر من أعناقكم» .

تحذير للعوامّ

وفي إدانة خطابه راح الإمام يركّز بكثافة على جماهير الناس ، وهو يحذّرها من السادة والكبراء ، فلو أنّ أولئك لم يثنوا عن علوّهم وتكبرهم فلا ينبغي للجمهور أن يتبعهم ، ويكون أداة يستغلّها الكبراء في تحقيق أهدافهم اللامشروعة .

ثم ألفت نظر الجماهير إلى أن جميع الفتن وضروب الفساد تنبع من تلكم الرؤوس فقال : «ألا فالحدّز الحدّز من طاعة سادائكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسيبهم ، وترفعوا فوق نسيبهم . . . ؛ فإنّهم قواعِدُ العصبيّة ، ودعائم أركانِ الفتنَة . . . وهم أساسُ الفسوق ، وأحلاسُ العقوق ، اتّخذهم إبليس مطايا ضلالٍ ، وجنّداً بهم يصول على الناس» . وبعد أن انتهى الإمام من بيان عدد من المقدّمات الضروريّة في هذا المجال ، انعطف إلى بحث أخلاقي سياسي مهمّ ، وهو يتحدّث عن الامتحانات الإلهيّة الصعبة ودورها في تربية الإنسانيّة ، فقد أكّد أنّ فلسفة ما يلاقيه الإنسان من ضروب المحن والمصائب وما يعانيه من مشاق الحياة ، هي عين حكمة الصلاة والصوم والزكاة ، حيث أنّها تهدف أيضاً إلى بناء الإنسان معنويّاً ، وتركيبته من الرذائل الخلقية ، بالأخصّ الأثرة والكبر والغرور . ثمّ دعا الناس أن يعتبروا بمصير النهضات الدنيّة التي سبقت الإسلام ، وما آلت إليه من انكسار إثر الفرقة والاختلاف ، فحذّروهم أن لا يجرّ كبر الخواصّ وعلوّهم واتباع العوامّ الحكومة الإسلاميّة إلى مصير مماثل لما انتهت إليه النهضات السابقة . وعند هذه النقطة راح الإمام يدقّ أجراس الخطر بصراحة ، وهو يتمّ الحجّة على الخواصّ والعوامّ معاً ، بقوله لهم : «ألا وإنّكم قد تفضّم أيدىكم من حبل الطاعة ، وتلمثم جسن الله المصروب عليكم ، بأحكام الجاهليّة . . . وأعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً ، وبعد الموالاة أحراباً ؛ ما تتعلّقون من الإسلام إلا باسمه ، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه . . . ألا وإنّكم قد قطعتم قيد الإسلام ، وعطلتم حدوده ، وأمّتم أحكامه» . {-1-}

[1] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

تكمُن إحدى أهم أسباب ابتعاد الخواص عن الإمام والتفاف العوام حوله بسياسة العدالة الاقتصادية . لطالما حضَّ المقرَّبون إلى الإمام أن يغضَّ الطرف عن هذا النهج ، ليستحوذ على ولاء رؤساء القبائل ، ويستقطب إليه نفوذ الشخصيات البارزة من خلال منحهم مزايا مادية خاصة . بيد أنَّ الإمام كان يرى أنَّ هذا العرض يتنافى مع أصول الحكم العلوي ، ويتعارض مع متركزاته ، ومن ثمَّ فإنَّ العمل به معناه أن ينفض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يديه عن أهداف الحكم الإسلامي ، ويتخلَّى عن غاياته . لذلك لم يُبدِ استعداداً لقبوله . فيما يلي أمثلة لهذه العروض مقرونة بجواب الإمام عليها : 1 . جاء في كتاب الغارات : شَكَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى الْأَشْتَرِ فِرَارَ النَّاسِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَاتَلْنَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَالرَّأْيُ وَاحِدٌ ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ، وَتَعَادَوْا ، وَضَعَفَتِ النَّيَّةُ ، وَقَلَّ الْعَدْلُ ، وَأَنْتَ تَأْخُذُهُمْ بِالْعَدْلِ ، وَتَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ ، وَتُصِيفُ الْوُضِيعَ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَلَيْسَ لِلشَّرِيفِ عِنْدَكَ فَضْلٌ مَنَزَلَةٌ عَلَى الْوُضِيعِ ، فَضَجَّتْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ مَعَكَ عَلَى الْحَقِّ إِذْ عَمُوا بِهِ ، وَاعْتَمُوا مِنَ الْعَدْلِ إِذْ صَارُوا فِيهِ ، وَصَارَتْ صَنَائِعُ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْغِنَى وَالشَّرَفِ ، فَتَأْتَتْ أَنْفُسُ النَّاسِ إِلَى الدُّنْيَا ، وَقَلَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا بِصَاحِبٍ ، وَكَثُرَ هُمْ مَنْ يَجْتَوِي الْحَقَّ ، وَيَسْتَمِرُّ بِالْبَاطِلِ ، وَيُؤَوِّزُ الدُّنْيَا . فَإِنْ تَبَدَّلَ الْمَالُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَمِلُ إِلَيْكَ أَعْنَاقُ النَّاسِ ، وَتَصِفُ تَصِيحْتَهُمْ ، وَتَسْتَخْلِصُ وُدَّهُمْ . صَنَعَ اللَّهُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَبَتْ عَذُوكَ ، وَفَضَّ جَمْعَهُمْ ، وَأَوْهَنَ كَيْدَهُمْ ، وَشَتَّتْ أُمُورَهُمْ ، إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ .

فَأَخْبَاهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَمَلِنَا وَسِيرَتِنَا بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ» [1] وَأَنَا مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقْصِرًا فِيمَا ذَكَرْتَ أَخَوْفٌ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْحَقَّ تَقَلَّ عَلَيْهِمْ فَافْرُقُوا لِدَلِكْ ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُوا مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَدْعُوا إِذْ فَارَقُوا إِلَى عَدْلِ ، وَلَمْ يَلْتَمِسُوا إِلَّا دُنْيَا زَائِلَةً عَنْهُمْ كَأَنْ قَدَّ فَارَقُوا ، وَلَيْسَ أَلَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَلِلْدُنْيَا أَرَادُوا أَمْ لِلَّهِ عَمِلُوا؟ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بَدَلِ الْأَمْوَالِ وَاصْطِنَاعِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّا لَا نَسْعَا أَنْ نُؤْتِيَ أَمْرًا مِنَ الْفَيْءِ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَبِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» . [2] وَبَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَدَّثَهُ فَكَتَرَهُ بَعْدَ الْقِلَّةِ ، وَأَعَزَّ فِتْنَةً بَعْدَ الدَّلِيلَةِ ، وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُوَلِّينَا هَذَا الْأَمْرَ يُدَلِّلْ لَنَا صَعْبَةً ، وَيُسَهِّلْ لَنَا حَزَنَةً [3] . وَأَنَا قَائِلٌ مِنْ رَأْيِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى ، وَأَنْتَ مِنْ آمِنِ أَصْحَابِي ، وَأَوْتَقِعُهُمْ فِي تَفْسِي ، وَأَنْصَحُهُمْ وَأَرَاهُمْ عِنْدِي . [4] 2 . وفي الكتاب نفسه روى عن ربيعة وعمارة ما نصه : إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامَ مَشُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْطِ هَذِهِ الْأَمْوَالَ ، وَفَضِّلْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافَ مِنَ الْعَرَبِ وَفَرِيشَ عَلَى الْمَوَالِي وَالْعَجَمِ ، وَمَنْ تَخَافُ خِلَافَهُ مِنَ النَّاسِ وَفِرَارَهُ . قَالَ : وَإِنَّمَا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يَكُنْ كَانَ مُعَاوِيَةَ يَصْنَعُ مِنْ أَنَا . فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام : أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ ؟ ! وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ مَا طَلَعَتْ

[1] فضلت : 46 .

[2] البقرة : 249 .

[3] الحزن : المكان الغليظ الخشن (النهاية : ج 1 ص 380) .

[4] الغارات : ج 1 ص 71 .

شَمَسٌ ، وَمَا لَاحَ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ . وَاللَّهِ ، لَوْ كَانَ مَا لَهُمْ لِي لَوَاسِيَتْ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُهُمْ ؟ ! [1] 3 . بعث سهل بن حنيف - والي الإمام على المدينة - رسالة إليه ، يخبره فيها أنَّ جمعا من أهل المدينة التحق بمعاوية . فكتب الإمام في جوابه : «أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ مِنْ عَدْوِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدِيدِهِمْ ، فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَلَكْ مِنْهُمْ شَافِيًّا فَرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَإِبْصَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُفِيلُونَ عَلَيْهَا ، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدَلَ وَرَأَوْهُ ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرِ ، فَبُعِدَ لَهُمْ وَسُحِقُوا !! إِنَّهُمْ - وَاللَّهِ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَلْخَقُوا بِعَدْلِ ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلِّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَةً ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزَنَةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ» . [2]

4 . تجنَّب القوَّة في إجراء الأحكام

المدرسة الأموية ترى أنَّ الهدف يوجِّه الوسيلة ، بحيث يستطيع السياسي أن يستفيد من الأدوات اللامشروعة في سياساته وبرامجه وأوامره . ومن ثمَّ فإنَّ القائد ليس له أن يضلَّ الجمهور بلغة التطميع فحسب ، بل له أيضاً أن يفرض نفسه عليه عبر استخدام لغة التهديد والتوسل بالقوَّة . ولقد استطاع معاوية من خلال توظيف هذه السياسة أن يحافظ على التفاف الناس حوله . وربما كان يستطيع أن يحافظ على المصالح الوطنية للشام من خلال

[1] الغارات : ج 1 ص 74 - 75 .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 70 .

هذا النهج . بيد أن الأمر يختلف في المدرسة العلوية التي لا تُجيز توظيف الأدوات غير المشروعة في تنفيذ السياسات المطلوبة ؛ وعندئذ لا يستطيع القائد أن يتوسّل بلغة التطميع لتنفيذ الحكم ، كما لا يستطيع أن يستخدم لغة التهديد مع الناس . وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام عليه السلام على استعداد أن يجبر الناس على طاعته بالقوة ؛ فعندما أجبره الجند في حرب صفين على إيقاف القتال والإذعان إلى التحكيم ، قال : «ألا إني كنتُ أمير المؤمنين ، فأصحتُ اليومَ مأموراً ، وكنتُ ناهياً ، فأصحتُ منهياً ، وقد أحببتمُ البقاءَ وليسَ لي أن أحملكم على ما تكرهون» . على هذا الضوء لا يستطيع الحكم العلوي تحقيق مراميه الإصلاحية إلا على أساس الاختيار الشعبي الحر لبرامج الإمام بهذا الشأن ، وإلا فالإمام لا يرى نفسه مخوّلاً باستخدام منطق القوة والتوسّل بالسيف لإجبار الناس على طاعته ، فالجمهور سوف ينتخب الطريق الذي يريده هو . وبعبارة أخرى : إن إحدى أجوبة الإمام على هذا التساؤل : لماذا ترك الناسُ الإمامَ وحيداً؟ هو : إني لستُ على استعداد أن أجبر هؤلاء على الطاعة بمنطق السيف ؛ فهذا الأسلوب وإن كان يحلّ مشكلة الحكم مؤقتاً ، إلا أنّ هذا الحكم لن يمدد حكماً عروبياً؛ لقد تكرر هذا المعنى في كلام الإمام ، ففي خطاب لأهل الكوفة ، قال بعد أن بثّ شكواه منهم : «يا أهل الكوفة ! أتروني لا أعلم ما يُصليحكم؟! بلى ، وليكني أكره أن أصليحكم بفساد نفسي» . [1] وكما قال مرّة أخرى : «ولقد علمتُ أنّ الذي يُصليحكم هو السيف ، وما كنتُ

[1] الأُمالي للمفيد : ص 207 ح 40 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 278 .

[3] ربيع الأبرار : ج 4 ص 250 .

مُتَحَرِّباً صَلاَحَكُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي ، وَلَكِنْ سَيَسْلُطُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي سُلْطَانٌ صَعْبٌ» . [1] يوجّه الإمام في هذا الكلام خطابه إلى أولئك الذين أساءوا استخدام أجواء الحرية في ظلال حكمه ، وصاروا يتمردون على طاعته ؛ بأنني أستطيع كبقية السياسيين المحترفين أن أضطركم إلى إطاعتي ، وبمقدوري أن أقوم أوّدكم ببساطة من خلال القوة وعبر منطق السيف ؛ بيد أنني أربأ بنفسي أن أقدم على ذلك ؛ لأنّ إصلاح أمركم بالسيف ومنطق القوة لا يكون إلا بالنصحية بقيمي الأخلاقية ، وهذا الثمن يتنافى مع فلسفة حكمي . لكن اعلّموا بأنّ المستقبل يُخبئ لكم في أحشائه آتياً عظيماً! فبسلوككم هذا إنّما توطنون لأنفسكم نازلة قوم لا يحكمونكم إلا بالسيف ، ولا يتحدّثون إليكم إلا بمنطق القوة ، ولا يعرفون بكم الشفقة! لقد خاطب الإمام أولئك بقوله عليه السلام : «لا يصلحُ لكم يا أهل العراق إلا من أخرجكم وأخزاه الله!» . [2]

تحقق نبوءة الإمام عليه السلام

هكذا مضى عليّ عليه السلام مظلوماً من بين الناس ؛ وبتعبيره : «إن كانت الرعايا قبلي لتشكو خيف رُعائِها ، وإنّني اليوم لأشكو خيف رعيّتي» . [3] لقد أوضح للامة أنّ هضم الرعية لحقوق الوالي العادل لا يقلّ في تبعاته الخطرة على المجتمع عن عمل الوالي الظالم ، وهو يقول : «وإذا غلبت الرعية واليهاء ، أو أجهت الوالي رعيّته ، اختلقت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور ، وكثر الإدغال في الدين ، وثرت محاج السئن ، فعمل بالهوى ، وعطلت الأحكام ، وكثرت علل

[1] الإرشاد : ج 1 ص 278 .

[2] ربيع الأبرار : ج 4 ص 250 .

[3] نهج البلاغة : الحكمة 261 .

الثفوس ، فلا يستوحش لعظيم حقّ غطّل ، ولا لعظيم باطلٍ فُعل ، فهناك تدلّ الأبرار ، وتعرّ الأشرار ، وتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ» . [1] لم تلبث الأمة بعد استشهاد الإمام إلا أربعة وثلاثين عاماً حتّى تحققت نبوءته فيها . ففي عهد خلافة عبد الملك بن مروان خرجت على الحكومة المركزية من جهة الأهواز جماعة من الخوارج يطلق عليها الأزارقة ، ولم تكن ثمّ منطقة يمكن أن يُبعث منها جند لمواجهة هؤلاء غير الكوفة ، لكنّ أهل الكوفة لم يدعوا لذلك ، ولم يستجيبوا لرغبة الحكم ، ولم يعبوا به . بادر عبد الملك إلى عقد مجلس ضمّ الخواصّ والمقرّبين لمعالجة المشكلة وتدبّر الحلّ ، فاستنهمهم ضمن خطابٍ حماسي ، قائلاً : «فمن يتدب لهم منكم بسيفٍ قاطع ، وسنان لاعم!» ، فخيم الصمت على الجميع ، ولم ينيس أحدهم ، إلا الحجاج بن يوسف - الذي كان قد انتهى لتوه من مهمّة في مكّة قضى فيها على حركة عبد الله بن الزبير - فنهض من مكانه وأبدى استعداده للمهمّة . بيد أنّ عبد الملك لم يرصّ ، وطلب منه الجلوس . وفي إطار حديثه عن كيفية إرسال الجند إلى الأهواز توجه عبد الملك مجدداً إلى القوم طالباً من الحضور أن يذكروا له أكفأ الرجال أميراً على العراق ، ومن يكون قائداً للجيش الذي سيقود المعركة مع الأزارقة ، وهو يقول : ويلكم! من للعراق؟ فصمتوا ، وقام الحجاج ثانية ، وقال : أنا لها . الطريف في الأمر أنّ عبد الملك التفت هذه المرّة إلى الحجاج مستوضحاً عن الوسيلة التي يلجأ إليها في دفع الناس لطاعته ، حيث سأله نصّاً : إنّ لكلّ أمير آلة وقلائد ، فما ألتك

- [1] نهج البلاغة : الحكمة 261 .
- [2] نهج البلاغة : الخطبة 216 .
- [3] النحل : 112 .
- [4] الفتوح : ج 7 ص 8 - 10 .
- [5] الفتوح : ج 7 ص 13 .
- [6] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 273 .

أوضح الحجاج لعبد الملك أنّه سيلجأ إلى القوّة واستعمال السيف لإجبار الناس على الطاعة ، وأنّه لن يوقّر جهداً في استغلال سياسة التهديد والترغيب وتوظيفها بأقصى مداها حتى يقضي على جميع المناوئين ، معيّراً عن هذا النهج بقوله : «فمن نازعني قصمته ، ومن دنا منّي أكرمته ، ومن نأى عنّي طلبته ، ومن ثبت لي طاعنته ، ومن ولّى عنّي لحقته ، ومن أدركته قتلته . . . إنّ ألتي : ازرع بدرهمك من يواليك ، واحصد بسيفك من يعاديك» . وافق عبد الملك على هذا النهج ، وكتب للحجاج عهده على العراقيين أعني الكوفة والبصرة سنة (74) للهجرة . أمّا الحجاج فكان أوّل ما نطق به في أوّل لقاء جمعه مع أهل الكوفة ، قوله لهم : «إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنّي لصاحبها ، وكأنّي أنظر إلى الدماء ، وإنّها لترفرق بين العمائم واللحى . . . واعلموا أنّي لا أريد إلاّ وفيت ، ولا أقول إلاّ أمضيت ، ولا أدنو إلاّ فهمت ، ولا أبعد إلاّ سمعت ، فإنّي أكرم وهذه الهنات والجماعات والبطالات ، وقال وقيل وماذا يقول ، وأمر فلان إلى ماذا يؤول . وما أنتم يا أهل العراق وبأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق! وإنّما أنتم أهل قرية «كأنّ آمنة مطمّنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأدّ قها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» [1] . . . ألا إنّ سيفي سيروى من دمانكم ، ويفري من جلودكم ، فمن شاء فليحقن دمه» . [2] لقد أدرك الناس من خلال القسوة التي أبدتها الحجاج منذ اليوم الأوّل لعهدّه أنّه جادّ في تنفيذ سياسته ، حازم في العمل بما يقول . وحيث كان ذاك فقد أمر في اليوم

- [1] النحل : 112 .

- [2] الفتوح : ج 7 ص 8 - 10 .

الثاني مناديه أن يطوف في سكك الكوفة وطرقها ، وهو يقرأ على الناس : «ألا إنّنا قد أجلنا من كان من أصحاب المهلب ثلاثاً ، فمن أصبناه بعد ذلك فعقوبته ضرب عنقه» . لكي يضمن الحجاج تنفيذ أمره دعا حاجبه زياد بن عروة وصاحب شرطته ؛ وأمرهما أن يطوفا في سكك المدينة وطرقها مع عدد من الجند ؛ يشرفان على خروج الناس إلى القتال ، ومن أبى أو تأخّر عن النفير ضربت عنقه . هكذا التحق بالمهلب بن أبي صفرة قائد الجيش الذي خرج لحرب الأزارقة جميع من كان معه بادئ الأمر ، وعادوا إليه بعد أن كانوا تركوه وحيداً ، دون أن يتخلّف أحد . [1] لقد استطاع عبد الملك بن مروان إسكات جميع المعارضين والقضاء على الخارجين عليه من خلال الانكاء إلى سياسة البطش والإرهاب هذه ، وإجرائها في جميع أوصار العالم الإسلامي ، حتى بلغ من أمره أنّه خرج إلى مكّة حاجّاً سنة (75) وهو مطمئنّ البال . قال اليعقوبي بهذا الشأن : «ولما استقامت الأمور لعبد الملك ، وصلحت البلدان ، ولم تبق ناحية تحتاج إلى صلاحها والاهتمام بها ، خرج حاجّاً سنة 75» . [2] أجل ، هذه هي الإصلاحات التي يكون ثمنها فساد المصلح . والإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن على استعداد أن يصلح المجتمع بهذه الطريقة ، فعليّ لا يستطيع أن يميل إلى نهج يحلّ مشكلة الحكم من خلال التضحية بالقيم الإنسانية . ولو حصل ذلك لن تكون عندئذٍ ثمّ حاجة إلى بعث الأنبياء وإلى القادة الإلهيين ،

- [1] الفتوح : ج 7 ص 13 .

- [2] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 273 .

ومن ثمّ ليس هناك حاجة إلى قيادة عليّ عليه السلام بالأساس ، بل لن يكون للحكم العلوي من معنى ، إنّما يغدو شعاراً بلا مفهوم ؛ لأنّ في وسع الجميع ممارسة الحكم بهذه الطريقة ، كما تمّ ذلك فعلاً ، حيث مارسوا الحكم قروناً باسم الإسلام . وأمّا الحكم العلوي فإنّ الأصالة فيه للقيم ، وعلى هذا لم يكن الإمام علي عليه السلام على استعداد للتضحية بالقيم الإنسانية والإسلامية مهما كان الثمن . وإنّ الحكم الذي يجعل القيم فداءً لمصالح الحكم والحاكمين هو حكم أموي ، وليس علويّاً ولا إسلاميّاً وإن توارى خلف اسم علي والإسلام! بديهيّ لم يعد لسياسة القوّة ولغة السيف وقع ولا تأثير يذكر في العالم المعاصر . فقد راحت الأدوات العسكرية تفقد فاعليتها بالتدريج ، واكتشف الحكام والناس وسائل جديدة لممارسة السلطة على أساس النهج الأموي ؛ فالوسائل صارت أكثر تعقيداً ممّا كانت عليه في الماضي ، وأفدح خطراً في هتك القيم الإنسانية ووأدها ، ومن بين ذلك برز برنامج «الإصلاح الاقتصادي» الذي يضخّي بالعدالة الاجتماعية ، ويأبّي تطبيقه على أساس تدمير الطبقات الضعيفة في الهرم الاجتماعي والقضاء عليها .

5 . العوامل الجانبية

يمثّل ما ذكرناه حتى الآن العوامل الأساسية لتخاذل الناس وبقاء الإمام وحده آخر أيّام حكمه . وهناك مجموعة أخرى من العوامل هي وإن لم تكن بمستوى هذه تأثيراً ، إلّا أنّه لا يمكن الإغضاء عن الدور الذي ساهمت به في إبعاد الجماهير عن الإمام . سنطلق على المجموعة الثانية وصف العوامل الجانبية التي اصطفت إلى جوار العوامل الأساسية ، وراحت تخلق المشكلات لحكم الإمام ؛ وهي :

أ - شبهة قتال أهل القبلة

انطلقت المواجهة في جميع الحروب التي سبقت العهد العلوي مع الكفّار ، بحيث لم يكن بمقدور أحد أن يثير شبهة في هذا المجال . أمّا الحروب التي اندلعت في ظلّ حكم الإمام ، وتحركت في مسار إصلاح المجتمع الإسلامي ومن أجل إعادته إلى ظلال سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسنته ، فقد وقعت مع أهل القبلة . لقد انطلقت هذه الحروب في مواجهة أناسي يدّعون الانتماء إلى الإسلام أيضاً ، بل لبعضهم سوابق مشرقة في خدمة هذا الدين . من هنا كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أطلق في تنبؤاته على هذه الحروب صفة القتال على أساس تأويل القرآن . أجل ، لقد هيأت حروب أهل القبلة التي اشتعلت في أيّام حكم الإمام الأرضية المناسبة لإيجاد الشبهة ، وانفصال الناس عن الإمام ، ومناذتهم له . وعلى هذا الأساس اختارت شخصيات بارزة موقفها منذ البدء في أن لا تكون إلى جوار علي عليه السلام في هذه الحروب . ولما استوضح الإمام من هؤلاء بواعث موقفهم هذا ، أجاب سعد بن أبي وقاص : «إني أكره الخروج في هذه الحرب لئلا أصيب مؤمناً ، فإن أعطيتني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك» . وقال له أسامة : «أنت أعزّ الخلق عليّ ، ولكنتي عاهدت الله أن لا أقاتل أهل لا إله إلّا الله» . وقال عبد الله بن عمر : «لست أعرف في هذه الحرب شيئاً ، أسألك ألاّ تحملني على ما لا أعرف» . [1] لقد التقى استعداد الناس ذهنيّاً بشبهة عدم استساعة قتال أهل القبلة ، مع تلك

[1] الجمل : ص 95 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 173 .

الشبهات التي أثارها المناوئون لمنهج الإصلاح العلوي ، بالأخصّ معاوية في حربه الدعائية الشعواء ضدّ الإمام ؛ التقى هذا بذاك ، وصارا سبباً في عرقلة حركة التعبئة العامة وتهديدها بأخطار جدّية ، بحيث لم يجد الإمام مناصّاً من أن يلج الميدان بنفسه أغلب الأحيان ، وينهض شخصياً بإرشاد الناس وتوجيههم . خاطبهم عليه السلام في البدء : «وقد فُتِحَ بابُ الحربِ بينكم وبينَ أهلِ القبلة ، ولا تحمِلُ هذا العلمَ إلّا أهلُ البَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ ، قَامِضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَاقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا ؛ فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غَيْراً» . [1] مع أنّ الإمام لم يألُ جهداً في أن يستفيد من أيّ فرصة تسنح لتوجيه الناس وإرشادهم ، إلّا أنّه كان عسيراً على كثيرين أن يهضموا أنّ عليّاً عليه السلام ينطق بالحقّ ، وأنّ طلحة والزبير وعائشة - في الوقت ذاته - سادرون في الغيّ .

ب - القتال بلا غنيمة

من العوامل السلبية التي أثّرت في الجماهير غيابُ الغنيمة ؛ فمع تدنّي مستوى الوعي الثقافي للقاعدة الشعبية العريضة صار لغياب الغنائم الحربيّة الكبرى أثر في تخريب الحالة النفسيّة للقوّات المقاتلة ، ودفعها إلى الملالة والإحباط والتعب من الحرب ، ومن ثمّ عدم طاعة الإمام والانقياد له ، يفوق ما كان لشبهة قتال أهل القبلة . لقد اعتاد المقاتلون الحصول على غنائم وافرة في العهود التي سبقت عهد الإمام ، من خلال حروب الكفّار ، وبالأخصّ حروب فارس والروم . أمّا الآن فقد راح الإمام عليه السلام يدعوهم منذ أوائل أيّام حكمه - ولأوّل مرّة - إلى حرب لا غنيمة من

[1] نهج البلاغة : الخطبة 173 .

ورائها ، أو أن يكون نصيبهم منها ضئيلاً لا قيمة له . وهذا ما لم يألفه الناس قبل ذلك ، ومن ثمّ لم يكونوا على استعداد لقبوله كما يبدو . لقد كان اقتتان الحرب بالغنيمة أمراً ذا مغزى للجمهور الذي يعيش في ذلك العصر . وعندما ننظر إلى القاعدة الشعبية التي رافقت الإمام عليه السلام في حروبه وشهرت السيف معه ضدّ أصحاب الفتنة ، نجدتها في الغالب غير متحلّية بالبصيرة ، ولا ملتزمة منار الحقّ ، بحيث يكون الحقّ هو هدفها في إشهار السيف ، ورضا الله هو الغاية القصوى التي تتمناها من القتال ، بل كان الجَمّ الغفير من هؤلاء يفكر بمنافعه الشخصية قبل أن يفكر بالحقّ ومصلحة الدين . فمن بين الاعتراضات التي طالما كرّرها جند الإمام في حربي الجمل والنهروان ، هو : لماذا لا يسلبون نساء القوم ويتخذونهنّ سبائاً وأسارى؟ ولماذا لا توزّع عليهم أموالهم؟ قال ابن أبي الحديد بهذا الصدد : «اتّفت الرواة كلّها على أنّه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجمل ؛ من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض ، فقسّمه بين أصحابه ، وأنّهم قالوا له : اقسام بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً ، فقال : لا . فقالوا : فكيف تحلّ لنا دماءهم وتحريم علينا سبيهم؟!» . [1] لقد تلاقت عوامل الملالة والتعب والإحباط التي عاشها الجند بعد سنتين من ممارسة القتال بدون غنائم وعوائد ماديّة ، مع التبعات السلبية لشبهة عدم شرعية قتال أهل القبلة ؛ حتى إذا ضُمَّت هذه إلى تلك ، ثمّ التفت الحصيلة مع العناصر الأساسيّة للتخاذل ، صار من الطبيعي أن تجرّ الحالة إلى عدم انقياد هؤلاء وعصيانهم ، بحيث راح الإمام يواجه مشكلة حقيقية جادة في استنفار القوّات

[1] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 250 .

وتعبنتها أواخر عهد حكمه .

ج - فقد الأخلة وخلص الأعوان

تتمثّل إحدى العوامل الأخر التي ساهمت في غربة الإمام وبقائه وحيداً أواخر عهده في الحكم بغياب أبرز الخلّان ، وفقدان الشخصيات الكبيرة التي كان لكلّ منها أثره المباشر في توجيه جيشه . لقد كان هؤلاء لساناً ناطقاً ، ثلّهب كلماتهم النفوس ، وثبّت القلوب في الأزمات ، وتثير خطبهم الحماس في سوح القتال ، ولهم تأثير بليغ على الناس . هذه هي سوح القتال ومضامير الحياة وقد خلت من عمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، وهاشم بن عتبة ، كما لم يعدّ فيها أثر يذكر لمحمّد بن أبي بكر ، وعبد الله بن بديل ، وزيد بن صوحان ، حتى يلهبوا بكلماتهم المضيفة حماس الناس ، ويثيروا فيهم العزائم . وها هو الإمام يومئذ إلى تلك الأطواد الشامخة بالبصيرة ، المتوقّجة بالنور ، وسط ساحةٍ عنود يمتنع فيها الأصحاب ، ويأوّن عن نصرته بهذه الذريعة وتلك ، ويتحدّث عن رهبان الليل ، وليوث الوغى إذا حمى الوطيس ، والسابقين في مضمار الإيمان والعمل ، فيقول : «أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبّلوه ، وقرؤوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا إلى الجهاد قولّوها ولّة اللفاح إلى أولادها ، وسلّبوا السيوف أعماذها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً ، وصقاً صقاً . بعض هلك ، وبعض نجا . لا يُبشّرون بالأحياء ، ولا يُعزّون عن الموتى . مرّة [1] العيون من البكاء ، خُمص البطون من الصيام ، دُبُل الشفاه من الدّعاء ، صُغر الألوان من السّهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين ، أولئك إخواني الدّاهيون ، فحقّ لنا أن نطمأ إليهم ، ونعصّ الأيدي

[1] هو جمع الأمّره ، وقد مرّته عيّنهُ تمرّه مرّها ، والمرّة : مرض في العين لترك الكحل (النهاية : ج 4 ص 321 و 322) .



علی فراقهم». [1] وقد عاد الإمام إلى ذكر أولئك الأخلاء في آخر خطبة ألقاها ، قبل عدة أيام من اغتياله ، فقال : «أين إخواني الذين ركبوا الطريق ، ومضوا على الحق ! أين عمّار ! أين ابن التّيهان ! وأين ذو الشّهادتين ! وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة ، وأبرد رؤوسهم إلى القجرة!». [2] على خطب آخر كان الخوارج جزءاً من جند الإمام ومقاتلي جيشه ، ثمّ ما لبثوا أن تحوّلوا بعد صقّين إلى موقعٍ مناهض للإمام ، فكان مآلهم أن قتلوا في النهروان ، أو صاروا أحلاس بيوتهم . وبذلك غابت عن صفوف العسكر أيضاً هذه القوّة القتاليّة الوثابة ، فصار الإمام عليّ عليه السلام وحيداً فريداً غربياً .

الكفاءة القياديّة للإمام عليه السلام في وحدته

آخر وأهم نقطة تجدر عنايتنا في بحث عوامل وحدة الإمام وتقصّي جذور هذه الحالة ، هي القدرة القياديّة والكفاءة الإداريّة الفدّة التي حظي بها أمير المؤمنين عليه السلام في هذه البرهة الحالكة ، ممّا لم نر من تنبّه إليها . تكشف الوثائق التاريخيّة أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أبدى في عهد غربته أسمى حالات الكفاءة القياديّة ، وأظهر من نفسه أجلّ معاني القدرة الإداريّة وأرفعها ؛ فحين نسجّل أنّ عليّاً بقي وحيداً فليس معنى ذلك أنّ عناد الجند وعدم انقياده لطاعته اضطرّه إلى أن يكون جلّس بيته ، أو أنّه افتقد في الأشهر الأخيرة من خلافته قدرته القياديّة ، وغابت عنه جدارته في إدارة المجتمع ، بحيث راح يمضي وقته بيت شكواه ، ولم يكن له شاغل حتى لحظة استشهاد غير تقريع الناس ولومهم على عدم دفاعهم عن

[1] نهج البلاغة : الخطبة 121 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 182 .

نهجه الإصلاحی . كلّاً ، بل هذه هي صفحات التاريخ تجهر عن واقع مغاير بالكامل ، وهي تبدي الإمام وقد بذل جهوده القصوى في هذه المدّة ، وتظهره وقد بذل جهد طاقته في هذه الأيام إذا ما قيسست ببقية أشواط حكمه . لقد كان على الإمام أن ينهض في هذه البرهة بالعبء وحده ، وأن يبادر لملء الفراغات جميعاً ، وأن يمضي حتى آخر لحظة من حياته على السبيل ذاتها التي اختطّها لحكمه ، وأعلنها منذ اليوم الأوّل . ولقد حدث هذا تماماً . تعالوا معنا نرقب المشهد عن كثب ؛ في مجتمع لم تكن النخبة على استعداد لمسايرته ، ولم يكن الخواص راضين بمماشاته ، وكان العوامّ تبعاً لأولئك ؛ وفي فضاء ينضج بشبهة قتال أهل القبلة ، ومحاربة شخصيات لها في هذا الدين سابقة ، وهي إلى ذلك تتسرّبل وشاح القدسيّة وتنتظاهر به ؛ وفي ظلّ أوضاع قاتمة انقلب فيها المقاتلون إلى حالة مطبقة من التآكل والضرر بعد ثلاثة حروب دمويّة أمضوها في سنتين من دون غنائم ومكاسب مادّيّة تذكر . وفي مشهد غاب عنه كبار أصحاب الإمام وخلفاء حواريه ، وفي الوقت الذي راح جيش معاوية يواصل غاراته على الناس من دون انقطاع ، في أجواء مكفهرّة كهذه ، كم هي الكفاءة التي يحتاج إليها القائد لكي يحثّ الجمهور على العودة إلى القتال ، ويعبّئه لحرب معاوية مجدّداً من دون أن يتوسّل بمنطق القوّة؟ لقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يحظى بهذه الكفاءة كلّها ، وخير ما يشهد لهذه الكفاءة ويفصح عن هذا الادّعاء بجلاء هو الخطبة الحماسيّة التي كان قد ألقاها الإمام قبل بعث الجند إلى صقّين مجدّداً ، فعن نوف البكالي ، قال : «خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، وعليه مدرعة من صوف ، وحمائل سيفه ليف ، وفي رجليه نعلان من

ليف ، وكان جبينه ثَقَنَ بعير» . وفي نهاية الخطبة نادى الإمام بأعلى صوته : «الجهاد الجهاد عبادة الله ! ألا وإني مُعَسِّكٌ في يومي هذا ، فَمَنْ أرادَ الرّواحَ إلى الله فليُخْرِجْ!» قال نوف : وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعداد آخر ، وهو يريد الرجعة إلى صقّين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم - لعنه الله - فتراجعت العساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، تختطفها الذئاب من كلّ مكان! [1] هكذا يظهر أنّ ما كان يندّد عن الإمام من صيحات متوجّعة ، وما كان يبتّ به أصحابه من شكاوى مكرّرة ، لم يكن عن ضعف قيادي ، كما لم يكن إظهاراً لعجز عن إدارة المجتمع في مثل ذلك الفضاء الذي كان يعمّه ، وتلك الخصائص التي كانت تغشو فيه . إنّما رام الإمام أن يستفيد من

هذه اللغة في حثّ الناس وتعبئتها للحركة والجهاد بدلاً من استخدام منطق القوة والسيف . إنّ تعبئة الإمام لتلك القوّات الكثيفة في ظلّ الأوضاع التي مرّت الإشارة إليها ولمّا يبقَ على استشهاده إلّا أقلّ من اسبوع ، ينبئ من جهة عن الكفاءة الاستثنائية الممتازة التي يحظى بها في تعبئة جماهير الناس ، ويكشف من جهة أخرى عن نجاح النهج العلوي في إدارة الاجتماع السياسي .

[1] نهج البلاغة : الخطبة 182 .

663

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام
كتابخانه مدرسه فقاھت

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

664

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام
كتابخانه مدرسه فقاھت

القسم الثامن : استشهاد الإمام عليّ عليه السلام
الفصل الأوّل: إخبار النبيّ صلى الله عليه و آله باستشهاده
الفصل الثاني: إخبار الإمام عليه السلام باستشهاده
الفصل الثالث: التأمّر في اغتيال الإمام عليه السلام
الفصل الرابع: اغتيال الإمام عليه السلام
الفصل الخامس: من الاغتيال إلى الاستشهاد
الفصل السادس: بعد الاستشهاد

665

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام
كتابخانه مدرسه فقاھت

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

666

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام
كتابخانه مدرسه فقاھت

الفصل الأوّل: إخبار النبيّ صلّي الله عليه و آله باستشهاده عليه السلام

527.الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ : «الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [1] عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتُ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِيزَتْ عَيْنِي الشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ لِي : أَبَشِيرُ ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ فَقَالَ لِي : إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ . [2]

528.المعجم الكبير عن جابر : قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام : إِنَّكَ أَمْرٌ مُسْتَخْلَفٌ ، وَإِنَّكَ مَقْتُولٌ ، وَهَذِهِ مَخْصُوبَةٌ مِنْ هَذِهِ - [يعني إحييته من رأسه] . [3]

[1] العنكبوت : 1 و 2 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 156 .

529. مسند أبي يعلى عن عائشة : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ التَّزَمَ عَلِيًّا وَقَبَّلَهُ وَيَقُولُ : يَا أَيُّهُ الْوَحِيدُ الشَّهِيدُ ، يَا أَيُّهُ الْوَحِيدُ الشَّهِيدُ . [1]

530. الإمام عليّ عليه السلام : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا عَلِيُّ ، تَدْرِي مَنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : عَاقِرُ النَّاقَةِ . قَالَ : تَدْرِي مَنْ شَرُّ ، وَقَالَ مَرَّةً : مَنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّكَ . [2]

[1] مسند أبي يعلى : ج 4 ص 318 ح 4558 .

[2] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 566 ح 953 .

الفصل الثاني: إخبار الإمام عليه السلام باستشهاده

531. الإرشاد عن الإمام عليّ عليه السلام : أَنَا كُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، وَهُوَ سَيِّدُ الشُّهُورِ ، وَأَوَّلُ السَّنَةِ ، وَفِيهِ تَدْوَرُ رَحَى السُّلْطَانِ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ حَاجُّو الْعَامِ صَفًا وَاجِدًا ، وَأَيُّهُ ذَلِكَ أَتَى لَسْتُ فِيكُمْ . فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَقُولُونَ : إِنَّهُ يَنْعَى إِلَيْنَا نَفْسَهُ ، فَضَرِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي لَيْلَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ ، وَمَضَى فِي لَيْلَةٍ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرِ . [1]

532. علل الشرائع عن الأصعب بن نباتة : قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا مَتَعَكَ مِنَ الْخِضَابِ وَقَدْ اخْتَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قَالَ : أَنْتَظِرُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَ لِحَبِيبَتِي مِنْ دَمِ رَأْسِي بَعْدَ عَهْدٍ مَعَهُودٍ أَخْبَرَنِي بِهِ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [2]

533. تاريخ البعقوبي : قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ الْمُرَادِيُّ الْكُوفَةَ لِعِشْرِ بَقِيَّةٍ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ (40 هـ) ، فَلَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا قُدُومَهُ قَالَ : وَقَدْ وَافَى ؟ أَمَا إِنَّهُ مَا بَقِيَ عَلَيَّ غَيْرُهُ ، هَذَا أَوَانُهُ . فَتَزَلَّ عَلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَسْتَجِدُّ سَيْفَهُ . [3]

[1] الإرشاد : ج 1 ص 320 .

[2] علل الشرائع : ص 173 ح 1 .

[3] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 212 .

الفصل الثالث: التآمر في اغتيال الإمام عليه السلام

534. الإرشاد عن أبي مخنف لوط بن يحيى وإسماعيل بن راشد إِنَّ تَقَرُّا مِنَ الْخَوَارِجِ اجْتَمَعُوا بِمَكَّةَ ، فَتَذَاكَرُوا الْأَمْرَ ، فَعَابَوْهُمْ وَعَابُوا أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَذَكَرُوا أَهْلَ النَّهْرَوَانِ وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَوْ أَنَّا شَرَيْنَا أَنْفُسَنَا لِلَّهِ ، فَأَتَيْنَا أَيْمَةَ الصَّلَالِ ، فَطَلَبْنَا غِرَّتَهُمْ [1] ، فَأَرَحْنَا مِنْهُمْ الْعِبَادَ وَالْإِلَادَ ، وَتَأَرْنَا بِأَخَوَانِنَا لِلشَّهَدَاءِ بِالنَّهْرَوَانِ . فَتَعَاهَدُوا عِنْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ : أَنَا أَكْفِيكُمْ عَلِيًّا ، وَقَالَ الْبَرَكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ : أَنَا أَكْفِيكُمْ مُعَاوِيَةَ ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ بَكْرِ التَّمِيمِيُّ : أَنَا أَكْفِيكُمْ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ، وَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَتَوَافَقُوا عَلَيْهِ وَعَلَى الْوَفَاءِ ، وَاتَّعَدُوا لِشَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ ، ثُمَّ تَقَرَّقُوا . فَأَقْبَلَ ابْنُ مُلْجَمٍ - وَكَانَ عِدَادُهُ فِي كِنْدَةَ - حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَلَقِيَ بِهَا أَصْحَابَهُ ، فَكَتَمَهُمْ أَمْرَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَشِرَ مِنْهُ شَيْءٌ . فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِذْ رَأَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ - مِنْ تَيْمِ الرُّبَابِ - فَصَادَفَ عِنْدَهُ فُطَامَ بِنْتَ الْأَخْضَرِ التَّمِيمِيَّةِ ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَتَلَ أَبَاهَا وَأَخَاهَا بِالنَّهْرَوَانِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْمَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا ، فَلَمَّا

[1] الْغِرَّةُ : الْعَقْلَةُ (النهاية : ج 3 ص 354 «غرر») .

534. الإرشاد عن أبي مخنف لوط بن يحيى وإسماعيل بن راشد رآها ابن ملجم شغف بها واشتد إعجابها بها ، فسأل في نكاحها وخطبها فقالت له : ما الذي تُسمّي لي من الصداق ؟ فقال لها : احتكّمي ما بدا لك . فقالت له : أنا محتكّمة عليك ثلاثة آلاف درهم ، ووصيفا وخادما ، وقيل عليّ بن أبي طالب . فقال لها : لك جميع ما سألت ، وأما قتل عليّ بن أبي طالب فأنتي لي بذلك ؟ فقالت : تلتئمس غرّته ، فإن أنت قتلتها شقيت نفسي وهتأك العيش معي ، وإن قُتلت فما عند الله خير لك من الدنيا . فقال : أما والله ما أقدمني هذا المصّر . وقد كنت هاربا منه لا آمن مع أهله . إلا ما سألتني من قتل عليّ بن أبي طالب ، فلك ما سألت . قالت : فأنا طالبة لك بعض من يُساعدك على ذلك ويُقوّيك . ثمّ بعثت إلى وردان بن مجالد - من تيم الرباب - فخبّرتة الخبر وسألتة معونة ابن ملجم ، فتحمّل ذلك لها ، وخرّج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يُقال له شبيب بن بجرة . فقال : يا شبيب ، هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تُساعدني على قتل عليّ بن أبي طالب - وكان شبيب على رأي الخوارج - . فقال له : يابن ملجم ، هبّلتك الهبوك ، لقد جئت شينا إذا ، وكيف تقدّر على ذلك ؟ فقال له ابن ملجم : تكمن له في المسجد الأعظم ، فإذا خرّج لصلاة فجر فتكنا به ، وإن نحن قتلناه شقينا أنفسنا وأدركنا نارنا . فلم يزل به حتى أجابته ، فأقبل معه حتى دخلا المسجد على قطار . وهي مُتكيّة في المسجد الأعظم ، قد ضربت عليها قبة . فقال لها : قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل . قالت لهما : فإذا أردتما ذلك فالقياي في هذا الموضع . فانصرفا من عندها قليلا أياما ، ثم أتياها ومعهما الآخر ليلة الأربعاء ليسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، فدعت لهنّ بخير فقصبت به صدورهنّ ، وتقلّدا أسياقهنّ ومضوا وخلسوا مفايل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصلاة ، وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في

534. الإرشاد عن أبي مخنف لوط بن يحيى وإسماعيل بن راشد نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام وواطأهم عليه وحصر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعوتهم على ما اجتمعوا عليه . [1]

[1] العزة : العفلة (النهاية : ج 3 ص 354 «غرر»).

[2] الإرشاد : ج 1 ص 17 .

بحث حول المتأمرين لاغتيال الإمام على عليه السلام

يفهم من النصوص التاريخية أنّ الأخبار التي رواها مؤرخو الشيعة والسنة تشير إلى أنّ الإمام عليّاً عليه السلام اغتيل بمؤامرة نقّذها عدد من بقايا الخوارج . وتتلخص أخبار المؤرخين الأوائل في هذا المجال : أنّ جماعة من الخوارج اجتمعوا بعد معركة النهروان في مكة وأقسموا على الانتقام لقتلهم ، واستقرّ رأيهم بعد المداولات حول كيفية إيجاد حلّ لمشكلات العالم الإسلامي على أنّ منشأ الفتنة ثلاثة أشخاص هم : علي عليه السلام ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص . ومادام هؤلاء الثلاثة أحياء فستبقى الأمة الإسلامية تعيش حالة من الاضطراب . وهكذا أخذ ثلاثة من أولئك القوم على عاتقهم مهمة اغتيال هؤلاء الثلاثة . تبنّى عبد الرحمن بن ملجم المرادي مهمة اغتيال الإمام عليّ عليه السلام ، وتبنّى برك بن عبد الله التميمي مهمة اغتيال معاوية ، وأنيطت مهمة قتل عمرو بن العاص بعمرو بن بكر التميمي . وعزم هؤلاء الثلاثة على تنفيذ خطة القتل في إحدى ليالي شهر رمضان حيث يضطرّ هؤلاء الثلاثة إلى القدوم إلى المسجد . وبناءً على المشهور لدينا - في ليلة التاسع عشر من رمضان . فقتل عمرو بن بكر الذي كان مكلفاً بقتل عمرو بن العاص شخصا آخر كان قد

ذهب إلى الصلاة بدلاً عن ابن العاص في تلك الليلة ، وجرح برك بن عبد الله معاوية . أمّا ابن ملجم فقد استطاع تنفيذ مهمّته بتخريض من قطار . وكانت امرأة جميلة - وبمساعدة من وردان بن مجالة وشبيب بن بجرة ، وأنهى مهمة قتل الإمام عليّ عليه السلام . وهذه الرواية متّفق عليها من قبل جميع المؤرخين المسلمين تقريباً . وهل كانت القصة على هذا المنوال حقاً ، أم أنّ الحقيقة شيء آخر؟ وهل كان الخوارج - كما جاء في النصوص التاريخية - هم المخطّطون الأصليون لاغتيال الإمام ولم يكن لمعاوية أيّ دور فيه؟ وهل الحكايات التي حكيت حول دور قطار في اغتيال الإمام كانت صحيحة ، أم أنّ المخطّط الأصلي لاغتيال الإمام كان معاوية ، وكلّ ما جاء في التاريخ عن الفاعلين ليس إلّا تليفاً يراد منه تبرئة ساحة معاوية من جريمة اغتيال أمير المؤمنين؟ يميل بعض المؤرخين

المعاصرين إلى تأييد الفرضية ، وينكرون أساسا دور الخوارج في عملية الاغتيال هذه . أشار الدكتور شهيدى إلى هذا الافتراض قائلاً : «لا أريد القول كما قال المؤرخ الأباضي المعاصر الشيخ سليمان يوسف بن داود بأنّ الخوارج كانوا أنصار الإمام عليّ عليه السلام ولم يشتركوا في قتله ، وأنّ قبيلة بني مراد التي ينتمي إليها ابن ملجم لم تكن من الخوارج ، وأنّ قصة ابن ملجم ورفيقه من تلفيق جلاوزة معاوية لإخفاء الحقيقة عن الناس . وقد عرضت بعض الانتقادات على كتابه هذا في لقاء جمع بيننا في الجزيرة ، وكتبتها له في رسالة أيضا . ولكن لو أنّ أحدا قال بأنّ مؤامرة شهادة الإمام عليّ عليه السلام ليست بالشكل الذي شاع على الألسن ، فإنني لا أستبعد صحّة قوله» . وبعد نقده لبعض النصوص المتعلقة بدور قطاع في مؤامرة الاغتيال هذه كتب

ما يلي : «مجموع هذه التناقضات يؤيد كون هذه القصة ملفقة . ويبدو أنّ قصة قطاع قد ابتدعت وربطت بقصة أولئك الثلاثة لكي تتقبلها الأذهان أكثر» . يبدو أنّ على الباحث الذي يريد الاقتراب من الحقيقة عند تتبّع واقعة قتل الإمام ومعرفة مسببها أن يبحث في دور الخوارج ومعاوية وقطام في قتل الإمام كلّاً على حدة :

1 . دور الخوارج

دور الخوارج في مؤامرة قتل الإمام عليّ عليه السلام من مسلمات التاريخ الإسلامي ولا يمكن إنكارها . وقد أذعن الخوارج أنفسهم لهذه الحقيقة . فقد نظم عمران بن حطان قصيدة في الثناء على عمل ابن ملجم جاء فيها : 0 يا صرّبة منّ تقيّ ما أرادَ بها إلّا ليبلغ منّ ذي العرشِ رضواناً 0 0 إني لأذكرُ حيناً فأحسبُه أوفى التريّة عند الله ميزاناً [1] 0 وقال ابن أبي ميثاس المرادي: 0 وتحنّ صرّبتا يا لك الخيرَ حيدرًا أبا حسني مأمومة فتقطّرا 0 0 وتحنّ خلعتا ملكة من نظاميه بصرّبة سنيّ إذ علا وتجنّرا 0 0 وتحنّ كراماً في الصباح أعزّة إذا الموتُ يالموت ارتدى وتآزرا [2] 0 لا شك في أنّ مثل هذه المسألة لو كانت من اختلاق قصاص معاوية لما بقي هذا الموضوع التاريخي المهمّ خافياً عن أذهان المؤرخين والمحدثين . ويمكن فهم

[1] شرح نهج البلاغة : ج5 ص93 .

[2] تاريخ الطبري : ج5 ص150 .

مدى دور الخوارج في هذه المؤامرة من خلال معرفة هل هم تصرّفوا فيها على نحو مستقلّ أم كانوا في عملهم القدر هذا أداة بيد معاوية أو جلاوزته؟ وكذلك من خلال النظر إلى كفيّة تنفيذ المؤامرة . وهذه المسائل تتطلب التأمل والتمعّن .

2 . دور معاوية

لا يوجد من الناحية التاريخية سند يمكن أن يعزو بوضوح مؤامرة قتل الإمام إلى معاوية . ولكن توجد ثمة قرائن لا يمكن للباحث أن ينكر في ضوئها دور معاوية في هذه الواقعة . لا شك في أنّ معاوية كان بصدد قتل الإمام ؛ وذلك لأنّه كان يعلم جيّداً بأنّه لن يصل إلى الخلافة طالما بقي عليّ عليه السلام حيّاً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّ قتل الإمام في ساحة المعركة لم يكن أمراً ميسوراً ، بل إنّ تجربة وقعة صفين أثبتت لو أنّ هذه الحرب تكرّرت مرّة أخرى لانتهت قطعاً بهزيمة معاوية والقضاء عليه . وعلى هذا فإنّ أفضل السبل لإزاحة الإمام عن الطريق هو اغتياله ، وهو عمل سبق له أن جرّبه مع مالك الأشتر الذي يعتبر من أفضل العناصر التي وقفت إلى جانب الإمام . وكان أنجح أسلوب لتنفيذ الخطّة هو تنفيذها على يد أنصار سابقين للإمام ؛ أي على يد بقايا الخوارج الذين دخلوا مؤخّراً في صراع مع الإمام ، وكانوا يفكّرون بالانتقام لقتلهم . وتوقّرت لديهم الدواعي الكافية للإقدام على هذا العمل الخطير والخبث ، هذا فضلاً عن عدم إمكانية تتبّع المؤامرة والوصول الى الفاعل الأصلي ، ولعلّ هذا هو السبب الذي أدّى إلى عدم وجود أي سند تاريخي يثبت ارتباط هذه القضية بمعاوية . ومن الطبيعي أنّ أمثال هذه القرارات السريّة من قبل الحكومات ليست مما يمكن للمؤرخين الاطلاع عليه وتثبيته في كتبهم .

إحدى القرائن الأخرى الجديرة بالتأمّل في هذا السياق هو دور الأشعث في هذه الواقعة ؛ فهو لم يكن مؤيّداً للإمام من كلّ قلبه ، بل إنّّه هدّد الإمام بالقتل ، ووصفه الإمام علانية بالنفاق ، ولكن بما أنّه كان رئيساً لقبيلة كندة ، فإنّ الإمام كان ينتهج معه أسلوب المداواة ؛ لأنّ إبعاده عن الإمام كان يخلق له مشكلة مع تلك القبيلة الكبيرة ويمنعها من الوقوف إلى جانبه . إنّ دور الأشعث في فرض التحكم على الإمام ، واختيار أبي موسى للتحكيم وما تبع ذلك من وقائع ، ينمّ عن علاقاته الخفية بمعاوية . وعلى هذا الأساس فإنّ علمه المسبق بعملية الاغتيال قبل وقوعها ، وعلاقة ابن ملجم به قبل تنفيذ العملية يعدّ مؤشّراً على وجود يد لدمشق في تلك الحادثة . نقل ابن أبي الدنيا عن أستاذه عبد الغفار أنّه قال : «سمعتُ غيرَ واحدٍ يذكُر أنّ ابنَ ملجمٍ باتَ عندَ الأشعثِ بنِ قيسٍ ، فلمّا أسخّرَ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ : أصبَحْتَ» . [1] ونقل الكثير من المؤرخين أنّ ابن ملجم عندما مرّ بالأشعث عند المسجد قبل الإقدام على عملية الاغتيال ، قال له :

«الْتَّجَاءُ التَّجَاءَ لِحَاجَتِكَ فَقَدْ قَضَيْتَكَ الصُّبْحُ». ولما سمع حُجْر بن عدي مقالته عرف مقصوده ، فقال له : «قَتَلْتَهُ يَا أَعُوْزُ» ، وخرج من المسجد من ساعته ليبلغ الإمام بالقضية ، ولكنَّ الإمام كان قد دخل من باب آخر ، وعندما وصل حجر ، كان الرَّجُل قد ضرب الإمام ! يمكن لهذه القرائن أن تؤيِّد تدخُّل دمشق في اغتيال الإمام ، ولكن لا بمعنى نفى أي دور للخوارج في ذلك الاغتيال ، ولكن يعني أنَّهم أقدموا على هذا العمل تحت تأثير مكائد معاوية ولو عن طريق وسطاء ، مثلما يسري هذا الاحتمال على قضية فرض التحكيم على الإمام .

[1] مقتل أمير المؤمنين عليه السلام لابن أبي الدنيا : ص 36 ح 23 .

الشبهة الوحيدة التي يمكنها الطعن بهذا الرأي هي أنّه لو كانت لمعاوية يد في اغتيال الإمام لما انعكست هذه الخطّة عليه وعلى رفيقه المقرّب عمرو بن العاص . ويمكن الإجابة عن هذه الشبهة بالقول : أولاً : يحتمل أنّ الضربة التي أصابت ألية معاوية ، كانت - مثل قتل شخص آخر بدلاً من عمرو بن العاص - لعبة سياسية لكي يواجه الحاكم الجديد مشاكل أقلّ مع الناس . ثانياً : في المؤامرات غير المباشرة التي تحوكمها وتنقّذها العناصر المعارضة ، كثيراً ما تطال نيران تلك المؤامرات المخطّطين الأصليين وخاصة في ذلك العصر الذي كانت تنعدم فيه وسائل الاتصال السريع .

3 . دور قطام

ذهب المؤرخون إلى الإفراط والتفريط فيما يخصّ دور قطام في مقتل أمير المؤمنين . فالبعض جعل لها في هذه الحادثة دوراً أساسياً ، ولعلّ أول مؤرّخ بالغ في تضخيم دور قطام في مؤامرة القتل ، هو ابن أئثم . ونقل كتاب بحار الأنوار عن كتاب مجهول هذه القصّة على صورة رواية غرامية . وعندما وقعت هذه القصة بيد القاص المسيحي جرجي زيدان ، جعل لها أغصانا وفروعاً كثيرة . وفي مقابل ذلك شكّك مؤرخون معاصرون من خلال عرضهم لبعض الإشكالات والتناقضات الموجودة في هذه القصّة ، في أصل وجود مثل هذه القضية في قتل الإمام عليه السلام . ويبدو أنّ أصل وجود قطام ودورها في مؤامرة اغتيال الإمام شيء لا يمكن إنكاره . بيد أنّ الحكايات التي جاءت بهذا الخصوص في فتوح ابن أئثم وفي بحار الأنوار ، وفي كتاب جرجي زيدان لا واقع لها . تتفق مصادر قديمة كالطبقات الكبرى (م 230) ، الإمامة والسياسة (م 276) ،

أنساب الأشراف (م 279) ، الأخبار الطوال (م 282) والكمال للمبرد (م 285) ، مقاتل الطالبين (م 356) على دور امرأة اسمها قطام قُتل أبوها وأخوها . وفي بعض النصوص عمّها . في معركة النهروان ، ممّا جعلها تحقد على الإمام وتشارك في مؤامرة اغتياله ، وكانت على صلة بابن ملجم . وعلى هذا لا يمكن إنكار أصل القصّة بهذه البساطة . ولكن يمكن التشكيك في كفيّتها . وأما ما جاء منها على شكل رواية ابن أئثم أو كتاب مجهول نقل عنه بحار الأنوار ، فهو باطل قطعاً . وربما يمكن القول بأنّ أقرب النصوص إلى الواقع هو النصّ الذي جاء في كتابي أنساب الأشراف والإمامة والسياسة الذبياء فيه : «قَدِمَ ابْنُ مُلْجَمِ الْكُوفَةَ وَكَتَمَ أَمْرَهُ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا : قُطَامُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ ، وَكَانَتْ خَارِجِيَّةً ، وَكَانَ عَلِيٌّ قَدْ قَتَلَ أَخَاهَا فِي حَرْبِ الْخَوَارِجِ ، وَتَزَوَّجَهَا عَلَى أَنْ يَقْتُلَ عَلِيًّا فَأَقَامَ عِنْدَهَا مَدَّةً ، فَقَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَهُوَ مُخْتَفٍ : لَطَالَمَا أَحْبَبْتَ الْمَكَّةَ عِنْدَ أَهْلِكَ وَأَضْرَبْتَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي جِئْتَ بِسَبَبِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ لِي وَقْتًا وَأَعِدْتُ فِيهِ أَصْحَابِي وَلَنْ أَجَاوِزَهُ» [1] .

[1] الإمامة والسياسة: ج 1 ص 180 وانظر أنساب الأشراف: ج 3 ص 253 .

الفصل الرابع: اغتيال الإمام

أ - لَيْلَةُ التَّاسِعِ عَشْرِ

535.الإرشاد : رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ سَهَرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَأَكْثَرَ الْخُرُوجَ وَالنَّظَرَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ ، وَإِنَّهَا اللَّيْلَةُ الَّتِي وُعِدْتُ بِهَا ، ثُمَّ يُعَاوِذُ مَضْجَعَهُ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ شَدَّ إِزَارَهُ وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : 0 أَشَدُّ حَبَازِيْمَكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيْلَ 0 0 وَلَا تَجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ 0 فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ اسْتَقْبَلَتْهُ الْإِوَارُ فَصَحَنَ فِي وَجْهِهِ ، فَجَعَلُوا يَطْرُدُونَهُنَّ فَقَالَ : «دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ تَوَائِحُ» ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَصِيبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [1]

ب - فَجْرُ التَّاسِعِ عَشْرِ

536.تاريخ الطبري عن محمد ابن الحنفية : كُنْتُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَصْلِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي ضُرِبَ فِيهَا عَلِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ ، فِي رِجَالٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ ،

536. تاريخ الطبري عن محمد بن الحنفية : لصلاة الغداة ، فجعل ينادي : أَيُّهَا النَّاسُ ، الصَّلَاةُ ، الصَّلَاةُ ، فَمَا أُدْرِي أَخْرَجَ مِنَ السُّدَّةِ فَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَمْ لَا ! فَتَنَطَّرْتُ إِلَى بَرِيقٍ ، وَسَمِعْتُ : الْحُكْمُ لِلَّهِ يَا عَلِيُّ لَا لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ ، فَرَأَيْتُ سَيْفًا ، ثُمَّ رَأَيْتُ ثَانِيًا ، ثُمَّ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ : لَا يَفُوتَنَّكُمُ الرَّجُلُ . وَشَدَّ النَّاسُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . قَالَ : فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَخِذَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَأَدْخَلَ عَلَيَّ ، فَدَخَلْتُ فِيمَنْ دَخَلَ مِنَ النَّاسِ ، فَسَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، إِنْ أَتَا مَثُ فَاقْتُلُوهُ كَمَا قَتَلَنِي ، وَإِنْ بَقِيَْتَ رَأَيْتَ فِيهِ رَأْيِي . [1]

ج - قُرْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ

537. الإمام عليّ عليه السلام - لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ :- قُرْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . [2]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 146 .

[2] خصائص الأئمة عليهم السلام : ص 63 .

بحث حول تعريض الإمام عليه السلام نفسه للقتل

يُستفاد من النصوص التاريخية والحديثية التي مرّ قسم منها بأنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان من غير شكّ على علم بشهادته ، وكان يعلم بوقتها وأنّه كان يعرف قاتله أيضاً ، وحتى إنّ بعض خواصّه كانوا على اطلاع بهذا الأمر . [1] ومن هنا فلا بدّ من التساؤل عن السبب الذي جعل الإمام يعرض نفسه للقتل . ألم يكن مكلفاً بوقاية نفسه من القتل لكي تنتفع الأمة الإسلامية من بركات وجوده أكثر فأكثر؟ ألا يُعتبر ذهابه إلى المسجد في الليلة التي يعلم بأنّه سيقتل فيها ، إلقاءً للنفس في التهلكة؟ وهذا التساؤل يثار أيضاً حول سائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، وهو أنّهم إذا كانوا على علم بشهادتهم ، لماذا لم يتوقّوها؟

مبادئ علم الإمام عليه السلام

قبل الإجابة عن التساؤلات أعلاه ، ينبغي الإجابة عن سؤال آخر ، وهو من أين يعلم الأئمة الكيفية التي سيقتلون فيها؟ قدّمنا إجابة تفصيلية عن هذا السؤال في كتاب «أهل البيت في الكتاب والسنة»

[1] راجع : الإرشاد : ج 1 ص 322 .

تحت عنوان «مبادئ علومهم» . أمّا الجواب الإجمالي عن هذا السؤال فهو أنّ مبادئ العلوم المتنوّعة الواسعة عند أهل البيت هي عبارة عن : تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله التي انتقلت عن طريق الإمام علي عليه السلام إلى سائر الأئمة عليهم السلام ، وكتب الأنبياء السابقين ، وكتاب الإمام عليّ عليه السلام ، ومصحف فاطمة عليها السلام ، وكتاب الجفر ، وكتاب الجامعة ، والإلهام . [1] واستناداً إلى النصوص التي أوردناها في الفصل الرابع من ذلك القسم ، فإنّ أئمة أهل البيت كانوا يكسبون معرفة ما يريدون معرفته بواسطة الطرق التي سبقت الإشارة إليها .

إجابات عن سبب تعريض الإمام عليه السلام نفسه للقتل

عرضت إجابات مختلفة حول عدم توقّي الأئمة لشهادتهم مع علمهم بوقوعها ، ويتلخّص أهم تلك الأسباب فيما يلي :

1 . عدم العلم التفصيلي

مع أنّ الأئمة كانوا على معرفة إجمالية بالكيفية التي سيقتلون بها ، إلّا أنّهم لم يكن لديهم علم تفصيلي بالموضوع ، حتى وإن كان سبب عدم العلم يعود إلى

عدم إرادتهم لمعرفته . بيد أنّ هذا الجواب يتنافى مع ظاهر الروايات الدالة على أنّ الأئمة كان لديهم علم تفصيلي بوقائع شهادتهم ، أو يمكن القول على الأقلّ بأنّ هذا التوجيه غير مقبول فيما يخصّ شهادة الإمام عليّ عليه السلام ولا سيما في ضوء وجود كلّ هذه النصوص التاريخية والحديثية التي أطلعنا على بعضي منها . ومن المثير للعجب أن يقول الشيخ

[1] راجع : أهل البيت في الكتاب والسنة : ص 211 .

المفيد : «فأما علمه بوقت قتله فلم يأت عليه أثر على التحصيل» .

2 . عدم العلم أثناء وقوع التقدير الإلهي

ويفيد هذا المعنى أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا على علم تفصيلي بخبر شهادتهم ، ولكن هذا العلم يُسلَب منهم وقت استشهادهم وفقاً للتقدير الإلهي القطعي . جاءت رواية عن الإمام الرضا عليه السلام يمكن أن تؤيد في أحد احتمالاتها صحّة هذا الجواب ، قال الحسن بن الجهم : قلتُ للإمام الرضا عليه السلام : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليّلة التي يُقتل فيها والموضع الذي يُقتل فيه ، وقوله لمّا سمع صياح الإوزّ في الدار : صوائح تتبعها نوائح ، وقول أمّ كلثوم : لو صليت الليّلة داخل الدار وأمرت غيرك يصليّ بالناس ! فأبى عليها ، وكثر دخوله وخروجه تلك الليّلة بلا سلاح ، وقد عرف عليه السلام أنّ ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف ، كان هذا ممّا لم يجز تعرّضه ! فقال : «ذَلِكَ كَانَ ، وَلَكِنَّهُ خَيْرٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لِمَضِيِّ مَقَادِيرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ» . [1] لقد جاء في بعض نسخ المصدر كلمة «خير» بدل «خير» ، وعلى هذا فإنّ قول الإمام يدلّ بكل وضوح بأنّه طرأت عليه في تلك اللحظة حالة لم يبقَ معها عليه تكليف بدفع القتل عن نفسه ، لكي يجري التقدير الإلهي .

3 . الإمام عليه السلام مكلف باختيار الشهادة

لاشكّ في أنّ تقدير الشهادة للإمام يأتي على أساس الحكمة الإلهية البالغة ، ولها مصالح ملزمة يجب أن تتحقّق . ولهذا السبب يتعيّن على الإمام أن لا يتوقّى منها ، وليس هذا فحسب ، بل ويجب عليه اختيار الشهادة رغم علمه الدقيق بكيفية

[1] الكافي : ج 1 ص 259 ح 4 .

استشهاده . وذلك لأنّ اختيار الشهادة مع العلم بوقتها وكيفيةّها يُعدّ فضيلة لا يحتملها إلّا القادة الربانيّون الكبار وخواصّ أصحابهم . ومع أنّني لم ألاحظ أحدا تعرض لهذا الجواب ، ولكن يبدو أنّه أفضل ما يُمكن أن يُعلّل به عدم وقاية أئمة أهل البيت أنفسهم من الشهادة ، مع علمهم بكيفيةّها ، وهو ممّا تؤيّد الأدلّة العقلية والنقلية [1] . ولغرض تقديم مزيد من المعلومات للباحثين ، نورد فيما يلي نصّ جواب الشيخ المفيد ، والعلامة الطباطبائي :

جواب الشيخ المفيد

نقل العلامة المجلسي أنّ الشيخ المفيد سئل في المسائل العكبريّة : الإمام عندنا مجمع على أنّه يعلم ما يكون ، فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنّه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان ؟ وما بال الحسين بن عليّ عليهما السلامسار إلى الكوفة وقد علم أنّهم يخذلونه ولا ينصرونه وأنّه مقتول في سفرته تلك ؟ ولمّ لمّا حُصروا وعرف أنّ الماء قد مُنع منه وأنّه إن حفر أذرعاً قريبة نبع الماء ، ولم يحفر وأعان على نفسه حتى تلف عطشا؟ والحسن عليه السلام وادع معاوية وهادنه وهو يعلم أنّه ينكت ولا يفني ويقتل شيعة أبيه عليه السلام . فأجاب الشيخ - رحمه الله - عنها بقوله : وأما الجواب عن قوله : «إنّ الإمام يعلم ما يكون» فإجماعنا أنّ الأمر على خلاف ما قال ، وما أجمعت الشيعة على هذا القول . وإنّما إجماعهم ثابت على أنّ الإمام يعلم الحكم في كلّ ما يكون دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز . وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها . ولسنا نمنع

[1] كما جاء في الرواية السابقة قوله : «لكنّه خير» ، وهذا المعنى يؤيّد صحّة هذا الجواب .

أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث ويكون بإعلام الله تعالى له ذلك . فأما القول بأنّه يعلم كلّ ما يكون فلسنا نطلقه ولا نصوّب قائله لدعواه فيه من غير حجة ولا بيان . والقول بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم قاتله والوقت الذي يُقتل فيه فقد جاء الخبر متظاهراً أنّه كان يعلم في الجملة أنّه مقتول ، وجاء أيضاً بأنّه يعلم

فأنله على التفصيل . فأما علمه بوقت قتله فلم يأت عليه أثر على التحصيل . ولو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنه المعترضون ، إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل ، ليلغى بذلك علو الدرجات ما لا يبلغه إلا به . ولعلمه بأنه يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يردّها . ولا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة ، ولا معيئاً على نفسه معونة تستقيح في العقول . وأما علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه ، فلسنا نقطع على ذلك ، إذ لا حجة عليه من عقل ولا سمع ، ولو كان عالماً بذلك لكان الجواب عنه ما قدّمناه في الجواب عن علم أمير المؤمنين عليه السلام بوقت قتله ومعرفة فأنله كما ذكرناه . وأما دعواه علينا أنّ نقول : إنّ الحسين عليه السلام كان عالماً بموضع الماء قادراً عليه ، فلسنا نقول ذلك ، ولا جاء به خبر ، على أنّ طلب الماء والاجتهاد فيه يقضي بخلاف ذلك ، ولو ثبت أنّه كان عالماً بموضع الماء لم يمتنع في العقول أن يكون متعبداً بترك السعي في طلب الماء من حيث كان ممنوعاً منه حسب ما ذكرناه في أمير المؤمنين عليه السلام ، غير أنّ ظاهر الحال بخلاف ذلك على ما قدّمناه . والكلام في علم الحسن عليه السلام بعاقبة مواعيدته معاوية بخلاف ماتقدم ، وقد جاء الخبر بعلمه بذلك ، وكان شاهد الحال له يقضي به ، غير أنّه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه له إلى معاوية ، وكان في ذلك لطف في بقائه إلى حال مضيه ولطف لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده ، ودفع فساد في الدين هو أعظم من الفساد الذي

حصل عند هذنته ، وكان عليه السلام أعلم بما صنع لما ذكرناه وبينا الوجوه فيه . انتهى كلامه . أقول : وسأل السيد مهتّا بن سنان العلامة الحليّ عن مثل ذلك في أمير المؤمنين عليه السلام فأجاب بأنّه يحتمل أن يكون عليه السلام أخبر بوقوع القتل في تلك الليلة ، ولم يعلم في أي وقت من تلك الليلة أو أي مكان يقتل ، وأنّ تكليفه عليه السلام مغاير لتكليفنا ، فجاز أن يكون بذل مهجته الشريفة في ذات الله تعالى ، كما يجب على المجاهد الثبات ، وإن كان ثباته يقضي إلى القتل . {-1-}

جواب العلامة الطباطبائي

قال العلامة الطباطبائي في هذا المجال : الإمام عليه السلام واقف بإذن الله على حقائق عالم الوجود كيفما كانت ؛ سواء كانت محسوسة أم خارج دائرة الحسّ كالموجودات السماوية والحوادث الماضية ووقائع المستقبل . والدليل على هذا القول هو : جاء في الروايات المتواترة المنقولة في الجوامع الحديثية الشيعية ككتاب الكافي ، والباقر ، وكتب الصدوق ، وكتاب بحار الأنوار وغيرها مما لا يحصى ولا يُعدّ من الروايات بأنّ الإمام عليه السلام واقف بكلّ شيء لا عن طريق العلم الاكتسابي وإنّما بطريق الموهبة الإلهية ، وإمكانه أن يعلم كلّ شيء بإذن الله من خلال أدنى توجّه . النكتة التي ينبغي الالتفات إليها في هذا المجال هي أنّ هذا العلم اللدني الذي تتبناه الأدلة العقلية والنقلية ، لا تخلف فيه ولا تغيير ، ولا خطأ ، ويُسمّى بعلم ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، والعلم بما له صلة بالقضايا الإلهية الحتمية . وهذا المطلب يستلزم عدم وجود أيّ تكليف بمتعلّق هذا العلم من حيث كونه حتمي الوقوع ولا يرتبط به قصد وطلب من الإنسان ؛ وذلك أنّ التكليف يأتي عادة

[1] بحار الأنوار : ج 42 ص 257 .

عن طريق الإمكان بالفعل ، وعن طريق كون الفعل والترك كلاهما بيد المكلف يختار منهما ما يشاء . وأمّا ما كان ضروري الوقوع ومتعلّقاً بالقضاء الحتمي ، فمن المحال أن يكون موضع تكليف . فمن الممكن مثلاً أن يأمر الله العبد بفعل أو ترك ما بيده فعله أو تركه . ولكن من المحال أن يأمره بفعل أو ترك ما قضت به الإرادة الإلهية ولا مجال فيه للأخذ والردّ ؛ لأنّ مثل هذا الأمر والنهي عبث ولغو . وكذلك يتسوّى للإنسان أن يعقد العزم على تحقيق عمل يحتمل فيه الإمكان وعدم الإمكان ويجعله نصب عينيه ويسعى من أجل تحقيقه ، ولكنه لا يستطيع إطلاقاً أن يقصد تحقيق أمر يقيني لا يخضع للتغيير والتخلف ؛ لأنّ إرادة أو عدم إرادة الإنسان ، وقصده وعدم قصده لا تأثير له في أمر واقع لا محالة ، من جهة كونه واقعاً . فتأمّل . يتّضح من خلال هذا البيان : 1 . إنّ هذا العلم اللدني لدى الإمام عليه السلام لا تأثير له في أعماله ولا صلة له بتكاليفه الخاصة . وكلّ أمر مفروض من جهة تعلّقه بقضاء الله الحتمي الوقوع ، لا يكون موضوعاً لأمر الإنسان أو نهيه أو قصده أو إرادته . أجل إنّ متعلّق القضاء الحتمي والمشية الإلهية القاطعة للحقّ تعالى هو الرضا بالقضاء كما روي عن سيّد الشهداء عليه السلام في اللحظات الأخيرة من حياته حينما كان يتمرّع في الدم والتراب : «صبرا على قضائك ولا معبود سيواك يا غياث المستغيثين» [1] . وكذلك فيما جاء في خطبته عند خروجه من مكة : «رضاً لله - رضانا أهل البيت» [2] . 2 . حتمية فعل الإنسان من حيث تعلّقه بالقضاء الإلهي لا تتنافى مع صفته الاختيارية من حيث النشاط الاختياري للإنسان ؛ لأنّ القضاء الإلهي يتعلّق بكيفياته

[1] نبايع المودة : ج 3 ص 82 .

[2] مثير الأحرار : ص 29 .

لا يمتلئ به ؛ كأن يشاء الله أن يؤدي الإنسان كذا عمل اختياري بإرادته ، ففي مثل هذه الحالة يكون التحقق الخارجي لهذا الفعل حتمياً لامفرّ منه من حيث تعلّقه بالإرادة الإلهية ، وهو في الوقت ذاته اختياري ويتصف بصفة الإمكان بالنسبة للإنسان ، فتأمل . 3 . لا ينبغي أخذ ظواهر أعمال الإمام عليه السلام الخاصة للتطابق مع العلل والأسباب الظاهرية كدليل على عدم امتلاكه لهذا العلم اللدني ، وشاهداً على الجهل بالواقع ، كأن يقال : إذا كان لدى الإمام الحسين عليه السلام علم بالواقع لماذا أرسل مسلم بن عقيل نيابة عنه إلى الكوفة؟ ولماذا بعث كتاباً إلى أهل الكوفة بيد الصيداوي؟ ولماذا خرج من مكة إلى الكوفة؟ ولماذا ألقى بنفسه إلى التهلكة والباري تعالى يقول : «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» [1] . [2]

[1] البقرة : 195 .

[2] بررسيهای اسلامی (بالفارسیّة) : ص 167 - 170 .

الفصل الخامس: من الاغتيال إلى الاستشهاد

أ - أمر الإمام عليه السلام بالإحسان إلى قاتليه

538. أنساب الأشراف - في ذكر ما جرى بعد اغتيال الإمام عليه : أما ابن ملجم فأخذ وأدخل على عليّ ، فقال : أطيبوا طعامه وألبنوا فراشه ، فإن أعيش فأنا وليّ دمي ؛ فإنما عقوبت وإما اقتصصت ، وإن أمّت فألحقوه بي «وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» [1] . [2]

539. الرياض النضرة : لما أخذ [ابن ملجم] قال عليّ رضي الله عنه : حبسوه ؛ فإن مئت فاقتلوه ، ولا تمثّلوا به ، وإن لم أمّت فالأمر إلّي في العفو أو القصاص . [3]

ب - وصايا الإمام عليه السلام

أوصى الإمام عليّ عليه السلام أولاده وعائديه في أيامه الأخيرة بوصايا عديدة ، ذكرتها كتب الحديث والتاريخ [4] ، ونحن نشير هنا إلى بعض هذه الوصايا :

[1] البقرة : 190 .

[2] أنساب الأشراف : ج 3 ص 256 .

[3] الرياض النضرة : ج 3 ص 236 .

[4] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 4 (القسم الثامن / الفصل الخامس : من الإغتيال إلى الاستشهاد / وصايا الإمام عليه السلام) .



540. الإمام علي عليه السلام - من وصية له للخسین والحسین عليهما أوصيكمما بتقوى الله ، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا بالحق ، وأعملا للأجر ، وكونا للطاليم خصما ، وللمظلوم عونا . أوصيكمما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله وتنظيم أمركم وصلاح ذات بينكم ؛ فإنني سمعت جدكم صلى الله عليه وآله يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام . الله الله في الأيتام ؛ فلا تغبوا [1] أفواههم ، ولا يضعوا بحضرتكم . والله الله في جيرانكم ؛ فإنهم وصية نبيكم . ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم . والله الله في القرآن ، لا تسيقكم بالعمل به غيركم . والله الله في الصلاة ؛ فإنها عمود دينكم . والله الله في بيت ربكم ، لا تخلوه ما بقيتم ؛ فإنه إن تركتم لم تظنوا . والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم والسيتكم في سبيل الله . وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابير والتقاطع . لا تنزكوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيؤلى عليكم شراكم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . ثم قال : يا بني عبد المطلب ، لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين خوضا ، تقولون : قتل أمير المؤمنين . ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي . أنظروا إذا أتا ميث من ضربته هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ، ولا تمللوا بالرجل ؛ فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور . [2]

[1] أي لا تجميعهم بأن تطعموهم يوما وتركوهم يوما (بحار الأنوار : ج 42 ص 257) .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 47 .

ج - عيادة الإمام عليه السلام

541. الأمالي للمفيد عن الأصمغ بن نباتة : لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه تقرر من أصحابنا ، أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا ، فقعنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا ، فخرج إلينا الحسن بن علي عليهما السلام فقال : أقم أقم انصرفوا . فقلت : لا والله يابن رسول الله ، ما نثارلكم . فانصرف القوم غيري ، واشتد البكاء من منزله فبكيت فخرج الحسن عليه السلام فقال : أقم أقم انصرفوا . فقلت : لا والله يابن رسول الله ، ما نثارلني نفسي ، ولا تحملي رجلي أن انصرف حتى أرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه . قال : فقلت ، قد خل ، ولم يلبث أن خرج فقال لي : أدخل ، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستنجد ، معصوب الرأس بعمامة صفراء ، قد نرف واصفر وجهه ، ما أدري وجهه أصفر أم العمامة ، فأكبت عليه فقبلته وبكيت ، فقال لي : لا تبك يا أصمغ ؛ فإنها والله الجنة ، فقلت له : جعلت فداك ، إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة ، وإنا أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين . [1]

د - كلمات الإمام عليه السلام قبيل موته

542. الإمام علي عليه السلام - من كلامه قبيل موته :- والله ، ما فجأني من الموت وإرد كرهته ، ولا طالع أنكرته ، وما كنت إلا كفاريا ورد ، وطالب وجد «وما عند الله خير للأبرار» [2] . [3]

[1] الأمالي للمفيد : ص 351 ج 3 .

[2] آل عمران : 198 .

[3] نهج البلاغة : الكتاب 23 .

543. ربيع الأبرار عن أسماء بنت عُميس : أَنَا لَعِنَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَمَا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ ، إِذْ شَقَّ شَهَقَةً ، ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : مَرَحِبًا ، مَرَحِبًا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ ، وَأَوْثَقَنَا الْجَنَّةَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَخِي جَعْفَرٌ ، وَعَمِّي حَمَزَةٌ ، وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ مُفْتَحَةٌ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ يُسَلِّمُونَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرُونَ ، وَهَذِهِ فَاطِمَةُ قَدْ طَافَ بِهَا وَصَافَتْهَا مِنَ الْحَوَرِ ، وَهَذِهِ مَنَازِلِي فِي الْجَنَّةِ ، «لِيُمِثِّلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ» [1]. [2]

و - تاريخ شهادته

كان اغتيال الإمام عليه السلام على يد ابن ملجم على المشهور في فجر اليوم التاسع عشر [3] من شهر رمضان . وكانت شهادته عليه السلام في ليلة الجمعة [4] الحادي والعشرين [5] من شهر رمضان سنة (40 هـ) [6] ، والذي يصادف ليلة نزول القرآن . [7] وهناك أقوال آخر حول تاريخ اغتياله وهي : اليوم السابع عشر [8] ، والحادي والعشرون [9] من شهر رمضان . كما ذكرت أقوال آخر حول تاريخ شهادته وهي : اليوم الثالث والعشرون [10] ،

[1] الصاغات : 61 .

[2] ربيع الأبرار : ج 4 ص 208 .

[3] الإرشاد : ج 1 ص 9 و ص 19 .

[4] الكافي : ج 7 ص 52 ح 7 .

[5] الكافي : ج 1 ص 452 .

[6] هذه المسألة متفق عليها ، وقد وردت في جميع المصادر الموجودة .

[7] الكافي : ج 1 ص 457 ح 8 .

[8] أنساب الأشراف : ج 3 ص 253 .

[9] الكافي : ج 7 ص 52 ح 7 .

[10] الكافي : ج 7 ص 52 ح 7 .

والتاسع عشر [1] ، والسابع عشر [2] ، والسابع والعشرون [3] من شهر رمضان سنة (40 هـ) . وهناك اختلاف أيضا بين المؤرخين حول سن الإمام عليه السلام حين شهادته ؛ فقد ذكر أكثر المؤرخين والمحدثين من الفريقين أنَّ عمره الشريف كان (63 سنة) [4] بيد أنَّ هناك أقوال آخر في هذا المضمار ، وهي : (58 سنة) [5] و(65 سنة) [6] و(64 سنة) [7]

[1] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 559 ح 942 .

[2] المعجم الكبير : ج 1 ص 95 ح 164 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 39 .

[4] الكافي : ج 1 ص 452 .

[5] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 156 ح 4695 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 151 .

[7] مقاتل الطالبين : ص 54 .

الفصل السادس: بعد الاستشهاد

أ - التَّجْهِيزُ وَالدَّفْنُ

544.الإرشاد عن حَبَّان بن عليّ العنزي عن مولى لعلّي ع لَمَّا حَضَرَت أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَفَاةُ قَالَ لِلْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : إِذَا أَتَا مُتُّ فَاحْمِلَانِي عَلَى سَرِيرِي ، ثُمَّ أَخْرِجَانِي وَاحْمِلَا مُؤَخَّرَ السَّرِيرِ ؛ فَإِنَّكُمَا تُكْفِيَانِ مُقَدَّمَهُ ، ثُمَّ اثْنِيَا بِي الْغَرِيبَيْنِ [1] ؛ فَإِنَّكُمَا سَتَرَيَانِ صَخْرَةً بَيْضَاءَ تَلْمَعُ نُورًا ، فَاحْتَفِرَا فِيهَا ؛ فَإِنَّكُمَا تَجِدَانِ فِيهَا سَاجَةً ، فَادْفِنَانِي فِيهَا . قَالَ : فَلَمَّا مَاتَ أَخْرَجْنَاهُ وَجَعَلْنَا نَحْمِلُ مُؤَخَّرَ السَّرِيرِ وَنُكْفِي مُقَدَّمَهُ ، وَجَعَلْنَا نَسْمَعُ دَوْبًا وَخَفِيفًا حَتَّى أَتَيْنَا الْغَرِيبَيْنِ ، فَإِذَا صَخْرَةٌ بَيْضَاءَ تَلْمَعُ نُورًا ، فَاحْتَفَرْنَا فَإِذَا سَاجَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا : «مِمَّا ادَّخَرَ نُوْحٌ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» . فَدَفَنَاهُ فِيهَا ، وَانْصَرَفْنَا وَنَحْنُ مُسْرُورُونَ بِإِكْرَامِ اللَّهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَجَعْنَا قَوْمٌ مِنَ الشَّيْعَةِ لَمْ يَشْهَدُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرْنَاهُمْ بِمَا جَرَى وَإِكْرَامِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا : نَجِبُ أَنْ نُعَايِنَ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَايَنْتُمْ . فَقُلْنَا لَهُمْ : إِنَّ الْمَوْضِعَ قَدْ عَفِيَ أَثَرُهُ بِوَصِيَّةٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمَضَوْا وَعَادُوا إِلَيْنَا فَقَالُوا : إِنَّهُمْ احْتَفَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا . [2]

[1] الغريّان : طربالان وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة ، قرب قبر عليّ بن أبي طالب (معجم البلدان : ج 4 ص 196) .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 23 .

ب - خُطْبَةُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَبِيهِ

545.تاريخ الطبري عن خالد بن جابر : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ - لَمَّا قِيلَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ قَامَ خَطِيبًا ، فَقَالَ - : لَقَدْ قَتَلْتُمُ اللَّيْلَةَ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ فِيهَا نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَفِيهَا رُفِعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَفِيهَا قُتِلَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ فَتَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَاللَّهِ مَا سَبَقَهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ ، وَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ يَكُونُ بَعْدَهُ ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيَبْعَثُهُ فِي السَّرِيَّةِ وَخَبْرِيْلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا تَمَائِمَتِهِ - أَوْ سَبْعِمِئَةٍ - أَرْضَهَا لِخَادِمِهِ . [1]

ج - فِصَاصُ ابْنِ مُلْجَمٍ

546.تهذيب الأحكام عن أبي مطر : لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ الْفَاسِقُ - لَعَنَهُ اللَّهُ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَقْتُلُهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَحْبِسْهُ ؛ فَإِذَا مُتُّ فَأَقْتُلُوهُ ، وَإِذَا مُتُّ فَادْفِنُونِي فِي هَذَا الطَّهْرِ فِي قَبْرِ أَخَوَيْ هُوْدٍ وَصَالِحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . [2]

د - مَكَانُ قَبْرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

547.الإمام الصادق عليه السلام : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ يَأْتِي النَّجَفَ وَيَقُولُ : وَادِي السَّلَامِ وَمَجْمَعُ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ وَنِعَمَ الْمَصْجَعُ لِلْمُؤْمِنِ هَذَا الْمَكَانُ . وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ قَبْرِي يَهَا . [3]

548.تهذيب الأحكام عن أبي بصير : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَبِنْ دُفِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : دُفِنَ فِي قَبْرِ أَبِيهِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُلْتُ : وَأَبِنْ قَبْرُ نُوْحٍ ؟ النَّاسُ يَقُولُونَ : إِنَّهُ فِي الْمَسْجِدِ ، قَالَ : لَا ، ذَاكَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ . [4]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 157 .

[2] تهذيب الأحكام : ج 6 ص 33 ح 66 .

[3] تاريخ دمشق : ج 1 ص 213 .

[4] تهذيب الأحكام : ج 6 ص 34 ح 68 .

ه - إِخْفَاءُ قَبْرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

549.الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ ابْنَتَهُ الْحَسَنَ أَنْ يَحْفَرَ لَهُ أَرْبَعَةَ قُبُورٍ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : فِي الْمَسْجِدِ ، وَفِي الرَّحْبَةِ ، وَفِي الْغَرِيِّ ، وَفِي دَارِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا أَنْ لَا يَعْلَمَ أَحَدٌ مِنْ أَعْدَائِهِ مَوْضِعَ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [1]

و - ظُهُورُ قَبْرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

550.كتاب من لا يحضره الفقيه عن صفوان عن الإمام الصادق سَارَ وَأَنَا مَعَهُ فِي الْقَادِسِيَّةِ [2] حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى النَّجَفِ . . . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِعْدِلْ يَنَا ، قَالَ : فَعَدَلْتُ يَهْ فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى أَتَى الْغَرِيَّ ، فَوَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ فَسَاقَ السَّلَامَ مِنْ أَدَمَ عَلَى تَبِيٍّ تَبِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَنَا أَسُوقُ السَّلَامَ مَعَهُ حَتَّى وَصَلَ السَّلَامُ إِلَى التَّيْبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ خَرَّ عَلَى الْقَبْرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَا نَحِيَّتَهُ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ - وَفِي خَبَرٍ آخَرَ : سِتَّ رَكَعَاتٍ - وَصَلَّيْتُ مَعَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا هَذَا الْقَبْرُ ؟ قَالَ : هَذَا الْقَبْرُ قَبْرُ جَدِّي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [3]

ز - نَوَابُ زِيَارَتِهِ

551.رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ زَارَ عَلِيًّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَهُ الْجَنَّةُ . [4]

552.تهذيب الأحكام عن جعفر بن محمد بن مالك عن رجاله كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَدْ ذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ ابْنُ مَارِْدٍ لِأَبِي

[1] فرحة الغري : ص32 .

[2] القَادِسِيَّةُ : مدينة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، وقعت عندها الحرب المعروفة بين المسلمين والفرس (راجع معجم البلدان : ج 4 ص291) .

[3] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 2 ص586 ح 3195 .

[4] المقنعة : ص462 .

697

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاھت

552.تهذيب الأحكام عن جعفر بن محمد بن مالك عن رجاله عَنِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا لِمَنْ زَارَ حَدَّثَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ فَقَالَ : يَابْنَ مَارِدٍ ، مَنْ زَارَ حَدَّثِي عَارِفًا يَحْقَهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ خُطْوَةٍ حَجَّةً مَقْبُولَةً وَعُمْرَةً مَبْرُورَةً ، وَاللَّهِ يَابْنَ مَارِدٍ مَا يُطْعِمُ اللَّهُ النَّارَ قَدَمَا اعْبَرَتْ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا شِئَا كَأَنْ أَوْ رَاكِبًا ، يَابْنَ مَارِدٍ ! أَكْتُبُ هَذَا الْحَدِيثَ بِمَاءِ الدَّهَبِ . [1]

[1] تهذيب الأحكام : ج 6 ص21 ح 49 .

698

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاھت

القسم التاسع : الآراء حول شخصية الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأول: عليّ عليه السلام عن لسان القرآن

الفصل الثاني: عليّ عليه السلام عن لسان النبيّ صلى الله عليه وآله

الفصل الثالث: عليّ عليه السلام عن لسان عليّ عليه السلام

الفصل الرابع: عليّ عليه السلام عن لسان أهل البيت عليهم السلام

الفصل الخامس: عليّ عليه السلام عن لسان أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله

الفصل السادس: عليّ عليه السلام عن لسان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله

الفصل السابع: عليّ عليه السلام عن لسان أصحابه

الفصل الثامن: عليّ عليه السلام عَنْ لِسَانِ أَعْدَائِهِ

الفصل التاسع: عليّ عليه السلام عَنْ لِسَانِ الشُّعْرَاءِ

699

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاھت

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

700

الفصل الأوّل: عليّ عليه السلام عن لسان القرآن

عليّ عليه السلام حافظ سرّ القرآن الكريم ، والمظهر الأسمى لفهم هذا الكتاب الإلهي . إنّه قرين هذا النداء السماويّ ، ولسانه الناطق . وارتباطه به ارتباط وثيق لا ينفكّ ، وبطلّ هذا الارتباط قائما إلى يوم القيامة ، والميعاد على حوض الكوثر . وهذه الحقيقة العظيمة نطق بها رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين العظيم ، وقال صلى الله عليه وآله في كلام آخر له أيضا : «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ! لا يفترقان حتّى يرثي عليّ الحوض» . [1] يترجم لنا هذا الكلام الثمين أنّ عليّا عليه السلام عدل القرآن الكريم ، والمدافع الدؤوب عن معارفه ، وحليفه الكبير المبين لتعاليمه ، كما قال عليه السلام : «ذلك القرآن فاستنطقوه ولئن ينطق ، ولكن أخيركم عنه» [2] . وقال : «والله ، ما نزلت آية إلّا وقد علّمت فيما نزلت ، وأبين نزلت ، وعلى من نزلت» [3] . وهذه حقيقة أفرّ بها الجميع ، واعترف بها

[1] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 134 ح 4628 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 158 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 338 .

الصحابة منذ الأيام الأولى . من جهة أخرى يمكننا أن نفهم من هذا الكلام النبويّ الرفيع أنّ القرآن الكريم أفضل وثيقة دالّة على عظمة عليّ عليه السلام وناطقة بجلالته وسموّ شأنه : «والقرآن مع عليّ» . [1] ولم يخف هذا على أحد منذ الأيام الأولى لنزول القرآن الكريم ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «ما أنزل الله آية فيها «يأيّها الذين آمنوا» إلّا وعليّ رأسها وأميرها» . [2] وقال مفسر القرآن الكبير عبد الله بن عباس : «ليس من آية في القرآن فيها : «يأيّها الذين آمنوا» إلّا وعليّ رأسها وأميرها وشريفها . ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في القرآن ، وما ذكر عليّا إلّا بخير» . [3] وقال أيضا : «ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ» . [4] وقال حذيفة بن اليمان : «ما نزلت في القرآن «يأيّها الذين آمنوا» إلّا كان لعليّ لبّها ولبابها» . [5] وقال مجاهد : «نزلت في عليّ سبعون آية ، لم يشركه فيها أحد» . [6] وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : «لقد نزلت في عليّ ثمانون آية صفوا في كتاب الله ، ما يشركه فيها أحد من هذه الأمة» . [7] وما سنذكره في السطور القادمة من هذه المجموعة ما هو غيض من قيض . وقد

[1] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 134 ح 4628 .

[2] حلية الأولياء : ج 1 ص 64 .

[3] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 654 ح 1114 .

[4] تاريخ الخلفاء : ص 203 .

[5] شواهد التنزيل : ج 1 ص 63 ح 67 .

[6] شواهد التنزيل : ج 1 ص 52 ح 50 .

[7] شواهد التنزيل : ج 1 ص 55 ح 55 .

آثرنا الإيجاز في عرض هذه الحقائق .

أ - نفس النبيّ صلى الله عليه وآله

الكتاب

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَذِبِينَ» .

[1]

الحديث

553. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ التَّصَارِي ادَّعَوْا أَمْرًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ : «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» ، فَكَانَتْ تَفْسِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ وَالنِّسَاءُ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَالْأَبْنَاءُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ . [2]

ب - شاهد مِنْهُ

الكتاب

«أَقَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» . [3]

الحديث

554. رسول الله صلى الله عليه وآله : «أَقَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ» : أُنَا ، «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» : عَلِيٌّ . [4]

[1] آل عمران : 61 .

[2] الخصال : ص 576 ح 1 .

[3] هود : 17 .

[4] الدر المنثور : ج 4 ص 410 .

ج - الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

الكتاب

«وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» . [1]

الحديث

555. الكافي عن بريد بن معاوية : قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِيَّانَا عَنَى ، وَعَلَيَّْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْلُنَا وَأَفْضَلُنَا وَخَيْرُنَا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [2]

د - الْمُؤْمِنُ

الكتاب

«أَقَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» . [3]

الحديث

556. تفسير الطبري عن عطاء بن يسار - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :- نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ؛ كَانَ بَيْنَ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامٌ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بِنُ عُقْبَةَ : أَنَا أَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا ، وَأَحَدُ مِنْكَ سِنَانًا ، وَأَرَدُ مِنْكَ لِكْتَبِيَّةً ! فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أُسْكُتْ ؛ فَإِنَّكَ فَاسِقٌ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا : «أَقَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» إِلَى قَوْلِهِ : «يَه تَكْذِبُونَ» . [4]

[1] الرعد : 43 .

[2] الكافي : ج 1 ص 229 ح 6 .

[3] السجدة : 18 .

[4] تفسير الطبري : ج 11 الجزء 21 ص 107 .

«وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» . [1]

«وَالسَّيْفُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ» . [2]

الحديث

557.الأماشي للمفيد عن ابن عباس : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ» ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : قَالَ لِي جِبْرِيلُ : ذَلِكَ عَلَيَّ وَشِيعَتُهُ ؛ هُمُ السَّيْفُونَ إِلَى الْجَنَّةِ ، الْمُقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكَرَامَتِهِ لَهُمْ . [3]

و - صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ

الكتاب

«إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» . [4]

الحديث

558.رسول الله صلى الله عليه وآله : صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [5]

ز - خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

الكتاب

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» . [6]

[1] الواقعة : 10 و 11 .

[2] التوبة : 100 .

[3] الأماشي للمفيد : ص298 ح 7 .

[4] التحريم : 4 .

[5] تاريخ دمشق : ج42 ص362 .

[6] البينة : 7 .

الحديث

559.رسول الله صلى الله عليه وآله - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ: أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ . [1]

560.الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : يَا عَلِيُّ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» : أَنْتَ وَشِيعَتُكَ . تَرُدُّ عَلَيَّ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ رَاضِينَ مَرْضِيَيْنَ . [2]

ح - خَصْمُ الْكُفَّارِ

الكتاب

«هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» . [3]

الحديث

561.صحيح البخاري عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن الإمام أَوَّْلَ مَنْ يَجْتُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ قَيْسٌ : وَفِيهِمْ نَزَلَتْ : «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» قَالَ : هُمُ الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ : عَلِيٌّ وَحَمْرَةُ وَغُبَيْدَةُ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَغُبَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ . [4]

ط - الهادي

الكتاب

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» . [5]

[1] تفسير الطبري : ج 15 الجزء 30 ص 265 .

[2] تفسير الحبري : ص 372 ح 99 .

[3] الحج : 19 .

[4] صحيح البخاري : ج 4 ص 1769 ح 4467 .

[5] الرعد : 7 .

الحديث

562. تاريخ دمشق عن ابن عباس : لَمَّا نَزَلَتْ : «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَنَا الْمُنذِرُ ، وَعَلِيٌّ الْهَادِي ، يَكُ يَا عَلِيُّ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ . [1]

ي - الْوَلِيُّ الْمُتَصَدِّقُ فِي الرُّكُوعِ

الكتاب

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَ كُوعُونَ» . [2]

الحديث

563. المعجم الأوسط عن عمار بن ياسر : وَقَفَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَائِلٌ وَهُوَ رَاكِعٌ فِي تَطَوُّعٍ ، فَتَرَعه خَاتَمَهُ فَأَعْطَاهُ السَّائِلَ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ ، فَتَرَعه عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذِهِ الْآيَةُ : «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَ كُوعُونَ» فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِي مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . [3]

ك - الَّذِي يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ

الكتاب

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» . [4]

[1] تاريخ دمشق : ج 42 ص 359 .

[2] المائدة : 55 .

[3] المعجم الأوسط : ج 6 ص 218 ح 6232 .

[4] البقرة : 207 .

الحديث

564. الإمام زين العابدين عليه السلام - فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :- نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [1]

ل - الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

الكتاب

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . [2]

الحديث

565. المعجم الكبير عن ابن عباس - فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «الَّذِينَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، كَانَتْ عِنْدَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ ، فَأَنْفَقَ بِاللَّيْلِ وَاحِدًا ، وَبِالنَّهَارِ وَاحِدًا ، وَفِي السَّيْرِ وَاحِدًا ، وَفِي الْعَلَانِيَةِ وَاحِدًا . [3]

«وَتَأَذَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا وَقَدْ جَدُّنَا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» . [4]

الحديث

566.الكافي عن أحمد بن عمر الحلال : سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ

[1]الأُمَالِي لِلطُّوسِي : ص 446 ح 996 .

[2]البقرة : 274 .

[3]المعجم الكبير : ج 11 ص 80 ح 11164 .

[4]الأعراف : 44 .

566.الكافي عن أحمد بن عمر الحلال : أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْمُؤَذِّنُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [1] .

ن - وَلاِئْتُهُ كَمَا لَدَّيْنِ

الكتاب

«الْيَوْمَ بَيِّنَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» . [2]

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» . [3]

الحديث

567.تاريخ دمشق عن أبي سعيد الخدري : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . [4]

[1]الكافي : ج 1 ص 426 ح 70 .

[2]المائدة : 3 .

[3]المائدة : 67 .

[4]تاريخ دمشق : ج 42 ص 237 .

الفصل الثاني: عليّ عن لسان النبيّ

موقع الإمام عليه السلام من الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله

ما توقّر عليه هذا الفصل هو كلمات عظيمة ، وقمم سامقة ، ومدايح لا نظير لها صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن عليّ عليه السلام . وفي البدء نرى من الضروري أن نذكر عددا من النقاط حيال أبعاد شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام ، والموقع الذي يحظى به هذا الإمام العظيم بنظر النبيّ صلى الله عليه وآله وما له من مكانة من خلال تعاليم الدين نفسه . هذه النقاط هي :

1 . سعة حديث النبيّ صلى الله عليه وآله حيال عليّ عليه السلام

تؤلّف كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله الوضاعة الشطر الأعظم ممّا ذكرناه في فصول هذا الكتاب من معالم عن عليّ عليه السلام ، وممّا توقّرنا على بيانه من أبعاد شخصيّة هذا العظيم . على هذا الضوء راح الكلام النبوي يشعّ في أرجاء تمام صفحات هذا الكتاب . وما نسجّله هنا - باختصار - ما هو إلّا نقاط بارزة ، وتجليات مشرقة من كلام النبيّ العظيم ، ممّا لم يأت ذكره في الفصول الأخر أو لم يرد بتفصيل .

امتداد التاريخ بعجزهم عن الارتقاء إلى مكان تلك الشخصية التي لا نظير لها في تاريخ الإسلام . بيد أن هذه الحقيقة تجلت على أسمى وجه وأتمه في كلام النبي صلى الله عليه وآله . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما عَرَفَكَ يا عَلِيُّ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا» . [1] لكن ما قدر ما أظهره النبي من تلك المعرفة ؟ وكما كان يطبق المجتمع من تلك الحقائق ؟ وكيف تعاملت الأمة - مع ما أبداه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وأظهره ؟! قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لولا أن يقول فيك الغالون من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم ؛ لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا الثراب من تحت قدميك يستشفون به» . [2] أجل ؛ إن الأمة لا تطبق سطوع حقيقة شخصيتك ، ولا تتحمل ظهور فضائلك ومناقبك كما هي ، وليس للأذان قدرة على الإصغاء إليها ، ولا للنفوس قابلية الانغمار بها والارتواء من نبيها . مع ذلك كله ، تبقى أجمل الصيغ عن شخصية أمير المؤمنين وأسمائها ، وأنطق الأوصاف وأبلغها وأثراها دلالة فيما جاء ؛ هي تلك التي نجدتها في كلام النبي المصطفى صلى الله عليه وآله . بيد أن السؤال : هل يعبر ما احتوته صفحات الآثار المكتوبة من الكلمات المحمدية حيال الإمام عن جميع ما كان ، أم إن كثيراً من تلك الحقائق بقي رهين الصدور خشية الأذى وخوف التبعات ، ثم دفن مع أهله واندثر مع أصحابه ؟ لسنا نريد في هذه المقدمة أن نزيح الستار عن هذا المشهد من التاريخ المليء

[1] إرشاد القلوب : ص 209 .

[2] الخصال : ص 575 ح 1 .

بالغصص ، لكننا نؤكد أن ما بقي هو غيض من فيض ، وما وصل إلينا محض أمثولات من حقائق ما برحت ثابتة في صدر التاريخ ، غائرة في أحشائه ، ومجرد أحاديث قصار من كلام سامق طويل لم يبح به . عجباً والله ! إن أولئك الذين لم يطبقوا أشعة الشمس ، لم يرضوا بهذا القليل ولم يتحملوه ؛ إذ سرعان ما أصدروا حكمهم عليه بـ «الوضع» عنادا من عند أنفسهم ، وجنوحا عن الحق ، ومعاداة للفضيلة ، ثم ما لبثوا أن سقوا بذريعة «الوضع» إلى إبعاد هذا القليل عن ساحة الثقافة ومضمار الفكر ، وحذفه من صفحات أذهان الناس . أما في المواضع التي استعصت فيها تلك الفضائل على التكذيب بما لها من قوة ومن تلالو ساطع ، فقد بادر أولئك إلى التحريف المعنوي ، وتوسلوا بتوجيهات غير منطقية وبجهود عقيمة ، علهم يبالغون بها شيئا من تشعشع أنوار الحق ، ويقللون من امتداده . وفي هذا المضمار نسجل بأسف : ما أكثر الكتابات التي أهملت بسبب هذه الهجمات الثقافية ، وما أكثر ما ضاع !

3 . كلام النبي صلى الله عليه وآله نافذة لمعرفة علي عليه السلام

علي سر الوجود المكنوم ؛ وهل ثم سبيل إلى اكتناه هذا السر وفتح مغاليقه سوى الاستمداد من أعلم شخصية في الوجود وأدراكها بالسر ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وأعرف الوجود بالسر ، وهو إلى ذلك معلم الإمام عليه السلام ومربيه ، وقد كان الإمام عليه السلام تلميذه ورفيق دربه وقريبه . لقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله علما وضمه إليه صغيرا ، ثم تمت ببناء الوحي في ثياب روحه وجوانبها ، فطفت أعماق وجود علي تفوح بشذى عطر التعاليم الإلهية وتنضح بنداها .

وهكذا كان علي مائلاً أمامه بكل وجوده كالمراة الصافية . وعندما كان النبي يتحدث عنه فإثما يتحدث بمثل هذه النظرة ومن خلالها . ولك أن تأمل هذا الوصف العلوي الأخاذ الناطق ، في بيان الصلة فيما بينهما (صلوات الله وسلامه عليهما) ؛ إذ يقول أمير المؤمنين : «وَصَعَنِي فِي جِرِّهِ وَأَنَا وَلَدٌ ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُقُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِيمُنِي عَرَفَهُ ، وَكَانَ يَمَضُّعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلِي ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلِي ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَأَمِهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِزُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءٍ قَارَأَهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمِيذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نَوْرَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَتَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا هَذِهِ الرَّتَّةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِي ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ» . إن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه السلام موصول بمصدر الوحي ومنبثق الإلهام ، ومن ثم فما يقوله هو انعكاس لتجليات ربانية ، وتجلي لحقائق الوحي ، وهو تبلور لكلام الله سبحانه . فعندما يتحدث النبي عن علي فكان الذي يتحدث عنه هو الله جل جلاله ، وهو

سبحانه الذي يكشف الستر والأسرار ، ويبرح الحُجب عن الشخصية السامقة لإمام الإنسانية . وحيثُ نطلّ على المشهد من زاوية أخرى ؛ فإنّ عليّاً هو نظير رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو

مثيله . وعلى ضوء الكلام الالهي الساطع : «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» فإنّ عليّاً عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله له جميع ما للنبيّ الأقدس من مقامات ظاهريّة وباطنيّة ما خلا النبوة . فعندما يتحدّث رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإمام أمير المؤمنين ويكشف عن مؤهلاته وما يحظى به من جدارة ، إنّما يضع في الحقيقة امتداده الوجودي بين يدي الآخرين ، ويعرض نظيره ويعرّف به من أجل الأهداف السياسيّة والاجتماعيّة العالية للأمة الإسلاميّة ، ويقدم إلى الناس كافّة أفضل شخصيّة وأسمائها نشأت في ظلال الأنوار الإلهيّة الساطعة .

4 . تصنيفُ كلام النبيّ صلى الله عليه وآله حيال عليّ عليه السلام

قبل أن نبادر إلى تصنيف كلام النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله حيال الإمام عليّ بن أبي طالب ، ونستخلصه من خلال عناوين تأتي بها في إطار نظرة سريعة عامّة ، ينبغي أن نتعرّف أنّ الاستخلاص الدقيق والتصنيف الكامل التام لما قاله النبيّ في عليّ لهو عمل عظيم شاقّ ، وهو - بلا شك - يتطلّب مجالاً أوسع من الفرصة المتاحة لنا في مقدّمة هذا الفصل . بيد أنّنا مع ذلك نسعى من خلال الإفادة من روايات هذا الفصل وما جاء في الفصول الأخر ، أن نشقّ طريقاً صوب المراد والمقصود ؛ وإن لم يكن بالمستوى اللائق . بهذا الشأن تبرز أمامنا العناوين التالية :

أ - عليّ عليه السلام من حيث الخلق والتكوين

يرتبط جزء من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإمام عليّ بجوهره الوجودي وكيفيّة خلقه . فمن وجهة نظر النبيّ يعدّ عليّ ورسول الله - صلوات الله وسلامه عليهما - شعاع نور

واحد ، والاثنان هما تجلّي لنور الله سبحانه ؛ فلحم عليّ هو لحم النبيّ ، ودّمه دّمه ، وروحه روحه ، وباطنه باطنه . طينتهما واحدة ، وكلاهما من شجرة واحدة ، وسائر الناس من شجرٍ شتّى ومن طينٍ مختلفة . كثيرةً هي الروايات التبتشير إلى هذه الحقيقة الرفيعة في مصادر الفريقين . {-1-}

ب - عليّ عليه السلام من حيث الأسرة

عليّ عليه السلام هو ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وصهره ووالد ربحانتيه . بيد أنّ الأسمى من ذلك كلّهُ أنّ عليّاً هو الشخصية السامقة في أهل البيت التي تحظى بمكانة مرموقة ، وأحد «أصحاب الكساء» و«الخمسة الطيّبين» الذين نزلت بحقّهم آية التطهير وهي تهيبهم أرفع فضيلة وأسمائها . فضلاً عن ذلك ، أنّ النبيّ كان يرى أنّ دوام نسله ينحدر من صلب عليّ الطاهر ، وهو صلى الله عليه وآله يقول : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي مِنْ صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» . وبخلود نسل النبيّ في ذرّيّة عليّ سجّل رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أبي الربحانتيّن الحسن والحسين وبحكيم إلهي ناصع ، أرفع خصوصيّة له وأرقى فضيلة .

ج - عليّ عليه السلام من حيث العلم

يعدّ عليّ بنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلم الأمة وأكثرها بصيرة . لقد قدّم النبيّ عليّاً خازناً لعلمه والمؤمن عليه ، ووارثه وحافظ أسرارهِ ومعدن تمام علمه ، وتحدّث عنه بوصفه الإنسان الذي يحظى من جميع علم البشريّة بتسعة أعشاره .

[1] راجع : موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 4 (القسم التاسع : الآراء حول شخصية الإمام عليّ عليه السلام / الفصل الثاني : عليّ عليه السلام عن لساني النبيّ صلى الله عليه وآله / الخلقة) .

ثم أكّد الحقيقة التي تفيد أنّ الطريق إلى بلوغ أفق العلم النبوي وساحة المعارف المحمّديّة إنّما يكمن فقط في سلوك جانب عليّ . فعليّاً على دراية بجميع ما في الكتب السماويّة وما تحويه من أحكام وتعاليم ؛ درايتة بالقرآن وتعاليمه وأحكامه . وعليّ الأعلم بحقائق القرآن ، والأكثر إحاطة من الجميع بدقائقه ، بحيث لم يكن على وجه الأرض وعلى امتداد الزمان غيره يقول : «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي» . وهذا ابن عباس تراه قد غضب ممّن قارن علمه بعلم عليّ ، وقال في جوابه : «علمي من علم عليّ ، وعلم أصحاب محمّد كلّهم في علم عليّ كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر» .

إِنَّ مَنْ تَرَعَرَ مِنْذُ الصَّغَرِ فِي حَضَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَاخْتَلَطَتْ لِحَظَاتِ حَيَاتِهِ وَتَوَاشَجَتْ بِلِحَظَاتِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ، وَسَمِعَ نِدَاءَ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ وَلَمْ يَلُوثْ الْكَفَرُ لَهُ رَوْحًا قَطُّ حَتَّى لِلْحِظَةِ وَاحِدَةٍ لَخْلِيقٍ بِهِ أَنْ يَحْتَلَّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تِلْكَ الْمَكَانَةَ الْعَظِيمَةَ . لَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ أَوَّلَ مَنْ صَدَعَ بِإِيمَانِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَفِي الْإِيمَانِ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الذُّرَّةَ فِي الشُّهُودِ الْقَلْبِيِّ ، وَهَذَا النَّبِيُّ يَقُولُ فِي خُطَابِ نَفْسِهِ الْوَضَاءَةِ الْمُنَوَّرَةِ : «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى» . وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَى اسْتِقَامَتِهِ وَثَبَاتِ إِيمَانِهِ وَرِسْوَحِهِ ، يَقُولُهُ : «الْإِيمَانُ مُخَالِطٌ لِحَمَكٍ وَدَمَكٍ كَمَا خَالَطَ لِحَمِيٍّ وَدَمِيٍّ» . بِهَذِهِ الشَّهَادَاتِ - وَغَيْرِهَا - وَضَعَ النَّبِيُّ ذَلِكَ الْمُؤْمِنَ النَّقِيَّ فِي أَرْفَعِ ذَرَى الْيَقِينِ .

كَانَ مِنْ بَيْنِ مَا أَعْلَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي فِلَسْفَةِ بَعْتِهِ وَهَدَفِ رِسَالَتِهِ ، هُوَ إِتِمَامُ «مَكَارِمِ

الأخلاق» . مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ سَعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى عَرْضِ مَشْرُوعٍ جَدِيدٍ ، وَتَرْبِيَةِ إِنْسَانٍ آخَرَ ، وَأَنْ يَصْنَعَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِهِ وَمَنْهَجِهِ مُثُلًا عَمَلِيَّةً لِلنَّهْجِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَقُدَوَاتٍ رَفِيعَةً لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ . عِنْدَ هَذِهِ النِّقْطَةِ يَبْرُزُ حُكْمُ النَّبِيِّ حِيَالِ عَلِيٍّ سَامِعًا مُوحِيًا وَهُوَ يَعِدُّهُ الْأَحْسَنَ أَخْلَاقًا ، وَالْقَمَّةَ فِي التَّحَمُّلِ وَالصَّبْرِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَالزَّهْدِ وَسَائِرِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ . وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ الْإِمَامُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَصْلَبُ فِي إِجْرَاءِ حُكْمِ الْحَقِّ ، ثَابِتًا لَا يَتَزَعَّرُ فِي الْعِلْمِ بِالْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ ، صَلْبًا لَا تَلِينُ لَهُ قَنَازَةٌ فِي تَنْفِيزِ الْعَدْلِ وَالْعَدَالَةِ ، حَتَّى قِيلَ فِيهِ : إِنَّهُ «كَلِمَةُ الْعَدْلِ» وَالتَّجَسُّدُ الْوَاقِعِيُّ لِلْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ .

كَثِيرُهُمْ أَصْحَابُ الْادِّعَاءَاتِ ، وَلَيْسُوا قَلَّةً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْحَقِّ وَيَرْفَعُونَ شِعَارَهُ ، لَكِنْ إِذَا مَا أُرْفِتْ سَاعَةُ الْعَمَلِ ، وَرَاحَتْ عَمَلِيَّةُ إِحْقَاقِ الْحَقِّ تَحْتَاجُ إِلَى الْجُحْدِ وَالْمُنَازَعَةِ ، وَتَتَطَلَّبُ التَّضَحِّيَّةَ وَالنَّبَاتَ ، صَارَ أَهْلُ الْحَقِّ قَلَّةً وَكَثُرَ الْفَارُغُونَ ! أَمَّا عَلِيٌّ فَهُوَ فِي مَضْمَارِ الْعَمَلِ أُمُتُورَةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا أَيْضًا ، ذَلِكَ أَنَّ اقْتِرَانَهُ بِالْحَقِّ وَاتِّبَاعَهُ لَهُ ، وَثَبَاتُهُ إِلَى جَوَارِ الْقُرْآنِ ، أَمْلِيًا أَنْ يَسْجَلَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ مَعْبُوتَةٍ مَعَ الْقُرْآنِ ، وَمَعْبُوتَةٍ مَعَ الْحَقِّ وَعَدَمُ انْفِصَالِهِ عَنْهُمَا . فَهُوَ أَوَّلُ إِنْسَانٍ يقيمُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَكَانَ لَهُ حُضُورُهُ الْأَوْفَرُ فِي سُوحِ الْقِتَالِ وَمِيَادِينِ الْجِهَادِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ ، وَلَمْ يُدِيرْ عَنْ عَدُوِّ قَطُّ ، حَتَّى حَمَلَ عَلَى صَدْرِهِ وَسَامَ : «لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْقَفَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ» . ثُمَّ عَدَّ النَّبِيُّ ضَرْبَتَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلَ مِنْ أَعْمَالِ الْأُمَّةِ وَعِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ - جَمِيعًا - إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

مِنْ خِلَالِ التَّأَمُّلِ بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ حِيَالِ عَلِيٍّ ، بِالْفَاءِ الْأَضْوَاءِ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي صَدَرَ بِهَا ذَلِكَ ، ثُمَّ بَتَفَخَّصَ الْأَجْوَاءَ الَّتِي انْطَلَقَتْ فِيهَا تِلْكَ الْحَقَائِقُ ، وَالْأَرْضِيَّةُ الَّتِي تَحَرَّكَتْ عَلَيْهَا الْخُطَابَاتُ النَّبَوِيَّةُ فِيمَا أَعْلَنَتْ مِنْ مَنَاقِبٍ وَمَكْرَمَاتٍ عُلُويَّةٍ ؛ لَا يَبْقَى ثَمَّ شَيْءٌ بَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ بِصَدَدِ بَيَانِ الْمَوْقِعِ الرَّفِيعِ لِقِيَادَةِ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَتَحْدِيدِ الْمَسَارِ إِلَى أَفْضَلِ إِنْسَانٍ يَتَسَتَّمُ هَذَا الْمَوْقِعَ ، وَالْمَصْدَاقِ الْإِلَهِيِّ الْوَحِيدِ لِهَذَا الْعُنْوَانِ . عَلَى هَذَا الضَّوْءِ خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ - لِلْأُمَّةِ وَالرِّسَالَةِ - قِيَادَةَ الْغَدِ وَسِيَاسَةَ الْمُسْتَقْبَلِ ، بِحَيْثُ رَاحَ يَكْتُبُ جَمِيعَ مَا قَالَهُ عَلَى هَذَا الصَّعِيدِ وَجَهَا آخَرَ عِبْرَ هَذِهِ الرُّؤْيَا . يَبْدُو أَنَّ مَا يَعْنِينَا التَّرْكِيزُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ ، هُوَ تِلْكَ الْعُنَاوِينَ وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي تَمَسُّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ عَنْ كُتُبٍ وَتَنْصِلُ بِهَا عَلَى نَحْوِ أَوْتَقٍ . لَقَدْ سَجَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ مَوْقِعَ الْأَبِّ فِي بَيَانِ طَبِيعَةِ صُلْتِهِ بِالْأُمَّةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : «حَقُّ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» . وَهَذَا هُوَ ذَا النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ يَطْلُقُ عَلَى عَلِيٍّ لِقَبِّ «سَيِّدِ الْعَرَبِ» وَ«سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ» وَ«سَيِّدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ، حَيْثُ تَكْتَسِبُ هَذِهِ الْأَلْقَابُ إِجَاءَاتٍ خَاصَّةً بِلِحَظَاتٍ لـ «السِّيَادَةِ» مِنْ مَعْنَى . كَمَا كَانَ مِنْ بَيْنِ مَا نَحَلَّهُ بِهِ مِنْ أَلْقَابٍ آخَرَ تَبَعَتْ عَلَى الْفَخْرِ وَضَفَّهُ لَهُ بِـ «حِجَّةِ اللَّهِ» وَ«صَاحِبِ السَّرِّ» وَ«الْوَزِيرِ» وَ«الْوَصِيِّ» وَ«الْخَلِيفَةِ» . أَمَّا تَعْبِيرُهُ عَنْهُ بِأَنَّ حَزْبَهُ حَزْبُ اللَّهِ ، وَ«عَلِيٌّ مِثِّي وَأَنَا مِثُّهُ» فَيَحْمِلُ دَلَالَاتٍ مَكْتَنَّةً عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَعَانِي خَاصَّةً تَدُلُّ عَلَيْهِ ، بِالْأَخْصَصِ قَوْلُهُ : «عَلِيٌّ مِثِّي وَأَنَا مِثُّهُ» وَ«لِحَمَتِهِ لِحَمِيٍّ وَدَمُهُ دَمِيٍّ» بِلِحَظَاتٍ مَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مِنْ مَدْلُولَاتٍ فِي إِطَارِ ذَلِكَ الْعَصْرِ وَثِقَاتِهِ . ثُمَّ يَجِيءُ قَوْلُ النَّبِيِّ : «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ» وَ«عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ

مَعَهُ» لِيَدُلِّلَ بوضوحٍ عَلَى أَنَّ إطَاعَةَ عَلِيٍّ إِطَاعَةُ اللَّهِ وَلِلرَّسُولِ ، وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ وَالْقُرْآنِ ، وَأَنَّ عَلِيًّا «مُحَوَّرٌ» فِي الْقِيَادَةِ وَالسِّيَاسَةِ ، وَهُوَ «سَفِينَةُ النِّجَازَةِ» إِذَا ارْتَطَمَتْ - بِالْأَمَّةِ - الْأَمْوَاجُ ، وَأَحَاطَتْ بِهَا الْحَرَكَاتُ الْعَانِيَّةُ ، حَيْثُ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «مَثَلُ عَلِيٍّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ الْكَعْبَةِ» . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يَا عَلِيُّ مَثَلُكَ فِي أُمَّتِي كَمَثَلِ سَفِينَةٍ نَوْحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ» . لَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي تُؤَكِّدُ لَزُومَ حُبِّ عَلِيٍّ ، وَتَعَدُّ حُبَّهُ «حُبَّ اللَّهِ»

و«حبّ رسول الله» ، وتنظر إلى حبّ أمير المؤمنين كـ «فريضة» و «عبادة» ، بل تخطّت مدلولات الحديث النبوي ذلك كلّهُ ، وهي تسجّل أنّ حبّ عليّ هو من دين الله بالصميم ؛ تداخل مع أصله وامتزج بأساسه ، حيث قال صلى الله عليه وآله : «لا يُحبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ، وَحُبُّهُ إِيْمَانٌ وَبُغْضُهُ كُفْرٌ» . وقال : «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ اهْتَدَى» . وفي المقابل ارتبط بغض عليّ بالكفر ، حيث عدّ النبيّ مبغضيه منافقي الأمة ، وعدّ أعداءه ومناوئيه أعداءً لله وللرسول . لقد جاء ذلك كلّهُ من أجل فتح جبهة مترامية الأطراف تمتدّ بامتداد التاريخ نفسه ، لتجعل من عليّ بؤرةً يرتبط بها أهل الحقّ بحزام وثيق وتدع مواضع المناوئين لعليّ ومخالفيه تتواصل مع خنادق الظلمة وأهل الباطل ؛ لتشقّ الطريق في نهاية المآل إلى حركة سياسيّة مستقبليةً قويمة ، من أجل سياسة الغد ومرحلة ما بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله . لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الجهد المستقبليّ الصادح بالحقّ ، ذروته في واقعة «غدير خم» ، عندما أعلّى عليّاً أمام الألوف وعلى رؤوس الأشهاد قائدا للمستقبل ، بصراحة ومن دون لبس ، في مشهدٍ أخاذ لا يُمحى عن الذاكرة ، ممّا ستأتي تفاصيله

في صفحات هذه المجموعة . إنّ العناوين والأوصاف التي اختارها رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ جاءت بأجمعها هادفةً موحيةً . فما جاء على لسان النبيّ في صفة عليّ من أنّه «جبل الله المتين» ، «عمود الدين» ، «يعسوب المؤمنين» ، «راية الهدى» ، «مدينة الهدى» ، «الصدّيق الأكبر» ، «الفاروق الأعظم» و «وليّ كلّ مؤمن بعدي» يكفي كلّ واحد منها ليخطّ للإمام الموقع الأفضل والمكانة الأسمى . أمّا ما جاء عن النبيّ من مضامين مفادها : أفلح من اتّبعك ، وضلّ عن السبيل من حادّ عنك ، وليس من سبيل للمؤمنين إلى معرفتي أقوم منك ، ولولاك ما عرفني مؤمن ، ففيه دلالة على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يفكر من خلال هذه المقولات بأهمّ ما يشغله ، متمثلاً بهداية الأمة واستقامتها على طريق الحقّ ؛ يترسّم لذلك العلاج ويحدّد لها الطريق ، لكي تهتدي الأمة بذلك ، وتعتزّ على سبيل الجنّة وتأنّى عن النار المحرقة . لقد أخذت مهمّة إبراز هذه الحقائق وإشاعة هذه التعاليم المنقذة على النبيّ حياته كلّها ، بحيث لم يغفل رسول الله صلى الله عليه وآله لحظة واحدة عن هذه الرؤية المستقبلية ، والتطلّع إلى ما وراء الحاضر ، والتوجيه من أجل غدٍ مطمئنّ وضّاح .

ح - عليّ عليه السلام من حيث المقامات المعنوية

ينظرُ عليّ إلى ما وراء هذه الدنيا كنظرته إلى هذه الدنيا ، وإنّ الحقائق العلوية وعالم الملكوت واضح لديه وضوح ما بين يديه ؛ والأمر بعد ذلك كما يقول : «لَوْ كُثِفَ الْغِطَاءُ مَا ارْدَدْتُ يَقِينًا» . إنّ التأمل في تمام الأبعاد الشامخة المتطاولة لهذه الشخصية يكشف عن رُقِيٍّ مركزها المعنوي ، والموقع الذي يحظى به الإمام على قمم المعنوية وذراها . ومع



ذلك كله ، لو لم تكن إلا هذه الكلمات المنيفة لرسول الله صلى الله عليه وآله في إضاءة هذا الجانب من شخصية عليّ لكفاه كي يتبوأ أرقى مواقع هذا الخطّ ، ويحلّق في أقصى دُرى المعنويّة ، حيث يقول فيه النبيّ : «عليّ خير البشر» وقوله : «خير من أتركّ بعدي» . تدلّ هذه الكلمات النبويّة السامقة على أنّ عليّاً هو الأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الأكمل ، وهو الشخصية التي لا يرقى إليها نظير . وهذه الفضيلة في الحقيقة هي أمّ فضائل الإمام ، وهي رأسها جميعا . عليّ زوج الزهراء البتول ، ولو لم يكن كذلك لما كان لها كفؤ ، وهذه آية التطهير تشهد لعليّ بالطهارة والفلاح . لكنّ لعليّ فوق ذلك فضيلة تسموا على الطهارة والعصمة ، التي راح يفخر بها ملائكة الله المقربون وكرامه الكاتبون ، واستوجبت رضا الله المطلق ، ورضا رسوله وأمين الوحي الإلهي عنه ؛ تلك هي سلوكه إلى الله ، ومراحل تقربه إليه ، وبلوغه المقصد الأعلى للإنسانيّة ، والحظّ الأوفى من الكمال ، حتى كان من ذلك في الذروة القصوى ، بحيث عدّ ذكره والنظر إليه عبادة لله المتعال .

ط - المنزلة الأخرويّة

حينما بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأبلغ الأمر بالرسالة ، وأُرسل إلى هداية الأمّة والناس كافة ، كانت أوّل يد شدّت على يديه الشريفتين هي يد عليّ ، وعلى هذا بمضي الأمر يوم القيامة ، إذ تكون أوّل يد تصافح يد النبيّ ، وأوّل كفّ توضع بكفّ رسول الله صلى الله عليه وآله هي كفّ عليّ . وكفّ عليّ هذه هي التي تحمل «لواء الحمد» راية رسول الله صلى الله عليه وآله في عرصات القيامة . وعليّ أوّل وارد على «الكوثر» ، وهو خليفة النبيّ عليه . وفي الآخرة يتألّق اسم عليّ بلقب «سيد الشهداء» و «أبي الشهداء» . ولن يمضي

على «الصراف» أحد ولن يجوز عليه إنسان إلا بإمضاء عليّ ، ولا غرو فهو «قسيم الجنة والنار» . عليّ في القيامة رفيق النبيّ وصاحبه ، وقرينه ، له في عرصاتها منزلة عظيمة ، بحيث يضيء وسط الجميع كالشمس المشرقة .

ي - مظلوميّة عليّ عليه السلام

لماذا كلّ هذا التركيز على شخصيّة عليّ ؟ ولماذا هذا التمجيد والتبجيل ؟ عليّ كبير ، وشأنه أعظم من أن يرقى إلى ذراه الطير [1]؛ فإذا ينبغي لهذه الشخصية أن تعرّف ، بيد أنّ السؤال لا يزال : لماذا كلّ هذا التأكيد على لزوم حبّ عليّ وموالاته ؟ ولماذا هذا التحذير من مناوراته ومخالفته وانتهاك حرمة ؟ عجبا لهذا الحديث المليء بالشجون ! لكأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يتشوّف ذلك كله ويتطلّع إليه عبر مرآة الزمان ؛ ينظر ضروب المظالم والإحسان والأصغان ، يرى غربة عليّ ووحدته وما ينزل به من الظلم الفظيع . أجل ، لكأنّ رسول الله ينظر إلى ذلك كله ، وهو يخاطب أمير المؤمنين بقوله : «إنّ الأمّة ستعذّر بك من بعدي» . هذا النبيّ يحضن عليّاً وتنهمر عيونه بالدموع ، وهو يذكر عليّاً وما ينزل به من ظلم في الغد ؛ وهذا أمير المؤمنين يصف لنا المشهد ووحد النبيّ ، بقوله : «إعتقني النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ أجسّس بأكيا ، قلتُ : ما يُكيك ؟ قال : صغائر قوم لا يبدونها لك إلا من بعدي» . يا للعجب !! رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله ينتخب عليّاً لمؤاخاته من بين الجميع ، ويأتيه أمر

[1] إشارة لقول أمير المؤمنين عليه السلام : «ولا يرقى إليّ الطير» .

السماء بغلاق الأبواب المشرعة على المسجد كلّها إلا باب عليّ . يصرّح بمنزلة عليّ مرّات ومرّات ، ويمتدحه على مرأى من الأمّة ومسمع ، ويشيد بمكانته ، ويذكر بوضوح أنّ من أذى عليّاً فقد أذاه ، ومن سبّ عليّاً فقد سبّ الله ورسوله . لكنّه يعود ليسجّل بقلب مصدوع مليء بالألم مظلوميّة الإمام ، وما يؤول إليه من الانغمار بدم الجراح ، فيقول مخاطبا إياه مواسيا : «يايحيى الشهيد» . كما يقول صلى الله عليه وآله : «إنّك مُقتولٌ وهذه مخصوبة من هذه» . وهكذا لا يرتقي إلى عليّ نظير في الأبعاد الإنسانيّة كلّها ، كما من العجب أن لا يرتقي إلى مظلوميّته أحدٌ أيضا ! على ضوء النقاط التي مرّت ، نقدّم فيما يلي شطرا من

568. رسول الله صلى الله عليه وآله : خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ . [1]

569. عنه صلى الله عليه وآله : خُلِقَتْ يَا عَلِيُّ مِنْ شَجَرَةٍ خُلِقَتْ مِنْهَا ، أَنَا أَصْلُهَا ، وَأَنْتَ فَرْعُهَا ، وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ أَغْصَانُهَا ، وَمُجِبُّونَا وَرَقُّهَا ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ . [2]

570. عنه صلى الله عليه وآله : هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، لَحْمُهُ لَحْمِي ، وَدَمُهُ دَمِي ، هُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . [3]

[1] الخصال : ص 31 ح 108 .

[2] عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 2 ص 60 ح 233 .

[3] المعجم الكبير : ج 12 ص 15 ح 12341 .

ب - الأسرة

571. الإمام علي عليه السلام : خَطَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَزَوَّجَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ هِيَ ؟ قَالَ : هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا . [1]

572. المعجم الكبير عن حذيفة : رَأَيْنَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ السُّرُورَ يَوْمَا مِنَ الْأَيَّامِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْنَا فِي وَجْهِكَ تَبَاشِيرَ السُّرُورِ ، قَالَ : وَكَيْفَ لَا أُسَرُّ وَقَدْ أَتَانِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَنِي أَنَّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَبُوهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُمَا . [2]

573. رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، مَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا إِلَّا وَجَّلَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ صُلْبِهِ ، وَجَّلَ ذُرِّيَّتِي مِنْ صُلْبِكَ ، وَلَوْلَاكَ مَا كَانَتْ لِي ذُرِّيَّةٌ . [3]

ج - المَنْزِلَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

574. رسول الله صلى الله عليه وآله : عَلِيُّ مِنِّي بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَبِّي . [4]

575. عنه صلى الله عليه وآله : عَلِيُّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ رَأْسِي مِنْ بَدَنِي . [5]

576. عنه صلى الله عليه وآله : لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ . [6]

577. عنه صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، أَحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، وَأُكْرَهُ لَكَ مَا أُكْرَهُ لِنَفْسِي . [7]

578. عنه صلى الله عليه وآله : عَلِيُّ مِنِّي كَنَفْسِي ، طَاعَتُهُ طَاعَتِي ، وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي . [8]

[1] خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ص 260 ح 145 .

[2] المعجم الكبير : ج 3 ص 38 ح 2608 .

[3] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 4 ص 365 ح 5762 .

[4] ذخائر العقبى : ص 120 .

[5] تاريخ بغداد : ج 7 ص 12 الرقم 3475 .

[6] صحيح البخاري : ج 2 ص 960 ح 2552 .

[7] سنن الترمذي : ج 2 ص 72 ح 282 .

[8] الخصال : ص 496 ح 5 .

579.عنه صلى الله عليه وآله : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَاصَّةٌ أَهْلِي ، وَحَبِيبِي إِلَى قَلْبِي . [1]

580.عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَنْتَ أَخِي ، وَوَزِيرِي ، تَقْضِي دِينِي ، وَتُنْجِزُ مَوْعِدِي ، وَتُبْرِئُ ذِمَّتِي . [2]

581.المستدرک علی الصحیحین عن ابن عباس : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ [لِإِنِّي عَمِيَه] : أَتَيْكُمْ يَتَوَلَّانِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟ فَقَالَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ : أَتَتَوَلَّانِي [3] فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟ فَقَالَ : لَا ، حَتَّى مَرَّ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا أَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَالَ : أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . [4]

د - المَكَانَةُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةُ

582.رسول الله صلى الله عليه وآله : أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ . [5]

583.عنه صلى الله عليه وآله : حَقٌّ عَلَيَّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ . [6]

584.عنه صلى الله عليه وآله : أُوحِيَ إِلَيَّ فِي عَلِيٍّ ثَلَاثٌ : أَنَّهُ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ . [7]

585.تاريخ بغداد عن ابن عباس : نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ : أَنْتَ سَيِّدٌ فِي الدُّنْيَا ، سَيِّدٌ فِي الْآخِرَةِ . [8]

[1] الأُمَالِي لِلْمُفِيدِ : ص 57 ح 2 .

[2] المعجم الكبير : ج 12 ص 321 ح 13549 .

[3] في المصدر : « يَتَوَلَّانِي » ، والصحيح ما أثبتناه كما في المعجم الأوسط .

[4] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 145 ح 4655 ، المعجم الأوسط : ج 3 ص 165 ح 2815 .

[5] كمال الدين : ص 261 ح 7 .

[6] تاريخ دمشق : ج 42 ص 307 ح 8850 .

[7] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 148 ح 4668 .

[8] تاريخ بغداد : ج 4 ص 41 الرقم 1647 .

586.رسول الله صلى الله عليه وآله : أَنْتَ يَا عَلِيٌّ وَوَلَدَايَ خَيْرُهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ . [1]

587.تاريخ دمشق عن أنس : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، إِذْ أَقْبَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَنَسُ ، أَنَا وَهَذَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ . [2]

588.رسول الله صلى الله عليه وآله - فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- قَدْ عَلَّمْتُهُ عِلْمِي ، وَاسْتَوْدَعْتُهُ سِرِّي ، وَهُوَ أَمِينِي عَلَى أَمَّتِي . [3]

589.عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَنْتَ وَارِثِي ، وَوَصِيِّي ، تَقْضِي دِينِي ، وَتُنْجِزُ عِدَاتِي ، وَتَقْتُلُ عَلَى سُنَّتِي . [4]

590.عنه صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيٌّ ، أَنْتَ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِي . [5]

591.عنه صلى الله عليه وآله : أَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيٌّ فَصَفِيِّي وَأَمِينِي . [6]

592.عنه صلى الله عليه وآله : خَيْرٌ مَنْ أَحْلَفْتُ بَعْدِي ، وَخَيْرُ أَصْحَابِي عَلِيٌّ . [7]

593.عنه صلى الله عليه وآله : حِزْبُ عَلِيٍّ حِزْبُ اللَّهِ ، وَحِزْبُ أَعْدَائِهِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ . [8]

594.عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ أَطَاعَكَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَاكَ فَقَدْ عَصَانِي . [9]

595.عنه صلى الله عليه وآله : مَثَلُ عَلِيٍّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ الْكَعْبَةِ . [10]

[1] عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 2 ص 58 ح 218 .

[2] تاريخ دمشق : ج 42 ص 308 ح 8853 .

[3] تفسير فرات : ص 497 ح 651 .

[4] المناقب لابن المغازلي : ص 261 ح 309 عن ابن عمر .

[5] كفاية الأثر : ص 157 عن محمد ابن الحنفية .

[6] خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ص 142 ح 73 .

[7] كفاية الأثر : ص 97 .

[8] الخصال : ص 496 ح 5 .

[9] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 139 ح 4641 .

[10] العمدة : ص 285 .

596. عنه صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، مثلك في أمتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . [1]

597. عنه صلى الله عليه وآله - في وصف عليّ عليه السلام :- هو يعسوب [2] المؤمنين . [3]

598. عنه صلى الله عليه وآله : عليّ آية الحق ، وراية الهدى . [4]

599. عنه صلى الله عليه وآله - في عليّ عليه السلام :- إنه الصراط المستقيم ، وإنه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة . [5]

600. عنه صلى الله عليه وآله : إن عليّا هو مدينة هدى ؛ فمن دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك . [6]

601. المعجم الكبير عن أبي ذرّ وسلمان : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام فقال : . . . هذا الصديق الأكبر ، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل . [7]

602. رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، لولاك لما عرف المؤمنون بعددي . [8]

603. عنه صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، أما إنك المبتلى والمبتلى بك ، أما إنك الهادي من اتبعك ، ومن خالف طريقك فقد ضلّ إلى يوم القيامة . [9]

604. عنه صلى الله عليه وآله : أتا مدينة الجنة وعليّ بابها ؛ فمن أراد الجنة فليأتها من بابها . [10]

[1] الخصال : ص 573 ح 1 .

[2] يعسوب : السيد والرئيس والمقدم (النهاية : ج 3 ص 234) .

[3] أنساب الأشراف : ج 2 ص 864 .

[4] الأمالي للطوسي : ص 506 ح 1107 .

[5] الأمالي للصدوق : ص 363 ح 447 .

[6] التوحيد : ص 307 ح 1 .

[7] المعجم الكبير : ج 6 ص 269 ح 6184 .

[8] عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 2 ص 48 ح 187 .

[9] الأمالي للطوسي : ص 499 ح 1094 .

[10] المناقب لابن المغازلي : ص 86 ح 127 .

605. عنه صلى الله عليه وآله : اللهم أقول كما قال أخي موسى : اللهم اجعل لي وزيرا من أهلي ، عليّا أخي ، اشدّد به أزرّي وأشركه في أمري ، كيّ تستبحك كثيرا وتذكرك كثيرا ، إنك كنت بنا بصيرا . [1]

606. الإمام عليّ عليه السلام : ولقد سمعت رثة [2] الشيطان حين نزل الوحيّ عليه صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الرثة ؟ فقال : هذا الشيطان قد أيسر من عبادته . إنك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلا أنك لست بتبيّ ، ولكنك لوزير ، وإنك لعلّى خير . [3]

607. عنه عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَضِيَ لِنَفْسِهِ أَخًا ، وَاخْتَصَّنِي لَهُ وَزِيرًا . [4]

608. رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَصِيِّي . [5]

609. عنه صلى الله عليه وآله - لِغُلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَنْتَ وَارِثِي ، وَوَصِيِّي ، تَقْضِي دِينِي ، وَتُنْجِزُ عِدَاتِي ، وَتَقْتُلُ عَلَيَّ سُنَّتِي . [6]

610. عنه صلى الله عليه وآله - فِي وَصْفِ غُلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- هُوَ أَخِي ، وَوَصِيِّي ، وَخَلِيقَتِي عَلَى أُمَّتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي ، مَنْ أَطَاعَهُ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ وَافَقَهُ وَافَقَنِي ، وَمَنْ خَالَفَهُ خَالَفَنِي . [7]

611. عنه صلى الله عليه وآله : أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ ، وَعَلِيٌّ ابْنُ عَمِّي سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ . [8]

612. رسول الله صلى الله عليه وآله : يَا بَنَ مَسْعُودٍ ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِمَامُكُمْ بَعْدِي ، وَخَلِيقَتِي عَلَيْكُمْ . [9]

[1] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 678 ح 1158 .

[2] الرثة : الصيحة الحزينة (لسان العرب : ج 13 ص 187) .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[4] الإرشاد : ج 1 ص 276 .

[5] الأموال للصدوق : ص 101 ح 77 .

[6] المناقب لابن المغازلي : ص 261 ح 309 .

[7] الأموال للصدوق : ص 88 ح 59 .

[8] المناقب للكوفي : ج 1 ص 543 ح 484 .

[9] كمال الدين : ص 261 ح 8 .

هـ - الْكَمَالَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ

613. رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ ، وَإِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فِي زُهْدِهِ ، وَإِلَى مُوسَى بْنِ إِمْرَانَ فِي بَيْطُشِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . [1]

614. اليقين عن جابر بن عبد الله الأنصاري : سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ يَقُولُ - وَالْأَقْصَمَتَا - : عَلِيُّ بَعْدِي خَيْرُ الْبَشَرِ ، مَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَّرَ . [2]

615. المعجم الكبير عن أبي رافع : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ عَلِيًّا مَبْعَثًا ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَجِيرِلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْكَ رَاضُونَ . [3]

616. رسول الله صلى الله عليه وآله : النَّظَرُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِبَادَةٌ ، وَذِكْرُهُ عِبَادَةٌ . [4]

و - الْمَقَامَاتُ الْآخَرَوِيَّةُ

617. رسول الله صلى الله عليه وآله : سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ قَالَرَمُوا عَلِيًّا بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَرَانِي ، وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . [5]

618. عنه صلى الله عليه وآله - لِغُلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَنْتَ صَاحِبُ لُؤَائِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . [6]

619. عنه صلى الله عليه وآله : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَعِيَ عِدَا فِي الْقِيَامَةِ عَلَى حَوْصِي ، وَصَاحِبُ لُؤَائِي ، وَمَعِيَ عِدَا عَلَى مَفَاتِيحِ خَرَائِنِ جَنَّةِ رَبِّي . [7]

[1] تاريخ دمشق : ج 42 ص 313 ح 8862 .

[2] اليقين : ص 270 ح 94 .

[3] المعجم الكبير : ج 1 ص 319 ح 946 .

[4] الأموال للصدوق : ص 201 ح 216 .

[5] تاريخ دمشق : ج 42 ص 450 ح 9026 .

620. عنه صلى الله عليه وآله : عَلِيٌّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْخَوْضِ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ جَاءَ بِجَوَازٍ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . [1]

621. عنه صلى الله عليه وآله : لَا يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ الْجَوَازَ . [2]

622. عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : أَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنِّي مَوْفِقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُكَ فِي الْجَنَّةِ مُتَوَاجِهَانِ كَمَنْزِلِ الْأَخَوَيْنِ . [3]

623. عنه صلى الله عليه وآله : يُنَادِي الْمُنَادِي [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] : يَا عَلِيُّ ، أَدْخِلْ مَنْ أَحَبَّكَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَادَاكَ النَّارَ ، فَأَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ قَسِيمُ النَّارِ . [4]

[1] المناقب لابن المغازلي : ص 119 ح 156 .

[2] الصواعق المحرقة : ص 126 .

[3] الأمالي للصدوق : ص 136 ح 135 .

[4] الأمالي للصدوق : ص 442 ح 590 .

الفصل الثالث: عليّ عليه السلام عن لسان عليّ عليه السلام

بَحَثٌ حَوْلَ مَدْحِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَفْسِيَةً

إنَّ أحدَ الفصول التَّربويَّةِ الثَّمينَةِ الموقُظَةِ في خطب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورسائله هي الكلمات التي تعكس أبعاداً من شخصيته الفريدة . وما سوف نعرضه في هذا الفصل يمثِّلُ شذرات من تلك الكلمات الدَّريَّةِ ، وستأتي نماذج أخرى من كلماته عليه السلام في طَيِّاتِ فصول الكتاب المتنوعة . إنَّ النظرة السطحيَّةَ العابرة لهذه الكلمات قد توحى بأنَّ الإمام كان يمدح نفسه ، ولعلَّها تسوق القارئ إلى القول بأنَّ مثل هذه الكلمات تتنافى مع قوله تعالى «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» [1] . علماً أنَّه عليه السلام قد أشار إلى ذلك بقوله : «وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزَكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةٍ» [2] . وهذا الكلام يمكن أن يكون آيةً على مسار تزكية النفس وكيفيته ، وجوازه أو حظره . لاشكَّ في أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام كان يقوم بواجب شرعيٍّ لا مناص منه ؛ إذ لو كانت تزكية المرء نفسه كذباً فهي محرمة ، ولو كانت صدقاً - ولا مصلحة ملزمة

[1] النجم : 32 .

[2] نهج البلاغة : الكتاب 28 .

فيها - فهي لا جَرَمَ مذمومة ، وأمَّا لو كانت ذات مصلحة فهي محمودة لا محالة . وخلاصة القول : لو ترتبت عليها مصالح مهمَّة ملزمة وكانت تصبُّ في اتِّجاه إحقاق الحقِّ والدفاع عن الحقوق فلا نرتاب في وجوبها ، وإذا صدف عنها الإنسان بذريعة عدم التحدُّث عن النفس فذلك مذموم وحرام ، وهو يمهِّد لضياغ الحقائق والقيم . . . ومن هنا فإنَّنا حينما نلاحظ كلمات المدح عند الإمام نلمس فيها دفاعاً عن شخصيَّة إنسان مظلوم ؛ ألجأه الواجب إلى إماطة اللثام عن حقٍّ ضائع مكتوم ، في ظروف لم يَحُلْ فيها مساعير الفتنة دون قول الحقِّ فحسب ، بل تقولوا واقتروا وتخَرَّصوا لتشويه صورة الحقِّ . ولقد تحدَّث الإمام عليه السلام من أجل قشع الغمائم السوداء عن سماء الحياة الفكرية للمجتمع ، وإراءة ما كان ، وما جرى على الحقِّ ، وإلَّا فإنَّ حقيقة حياته الصادقة عليه السلام وشخصيته الرفيعة هما أعظم شأننا من أن يتحدَّث عن نفسه ، أو أن يُمنى بحبِّ الذات ! ويتسنى لنا أن نحلِّل بعض التساؤلات المثارة حول مدح الإمام ذاته ، وتحديثه بفضائله ومعالم عظمته بما يأتي :

1 . امتثال أمر الله تعالى في بيان نعمه

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يلهج بذكر النعم الإلهية ، ويتحدث بفضل الله تعالى عليه، وهو بكلماته البليغة شكور يقدر النعمة والمنعم ويثمنها . ومن أقواله عليه السلام : «أنا قاتل الأقران، ومُجِدِّلُ الشُّجْعَانِ . أَنَا الَّذِي فَقَّاتُ عَيْنَ الشَّيْكِ، وَتَلَلْتُ عَرْشَهُ ؛ غَيْرَ مُمْتَنٍّ عَلَى اللَّهِ بِجَهَادِي وَلَا مُدِلٍّ [1] إِلَيْهِ بِطَاعَتِي ، وَلَكِنْ أَحَدَيْتُ بِنِعْمَةِ رَبِّي [2] . » [3]

[1] مُدِلٌّ: منبسط لا خوف عليه، وهو من الإدلال والدالة على من لك عنده منزلة (النهاية: ج 2 ص131).

[2] إشارة إلى الآية 11 من سورة الضحى .

[3] شرح نهج البلاغة: ج 20 ص296.

2 . بيان الحقائق التاريخية

تتلور كلّ حادثة في ثنايا التاريخ، وتُنقل على مّ الدهور، لكن كيف تُنقل ؟ من هم الذين كانوا أولي الدور المؤثر في الأحداث ؟ وكيف ظهرت الأحداث ؟ و و . . . تبلور الإسلام في شبه الجزيرة العربية كقضية عجيبة ، وأنتج ردود فعل كثيرة ، وفتح طريقه من بين المنعطفات الوعرة والوهاد والنجاد التي لا تُحصى ومضى قُدماً . وكان لعليّ عليه السلام الدور الأكبر فيه . بيد أنّ الذي كان يقال للأجيال السابقة آنذاك ، هل كان كذلك حقاً ؟ ! وحين حدث التغيير في الحكم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، فإنّ هذا التغيير قد استتبع تغييرات كثيرة ، منها وضع لكثير من الشخصيات، ورفع لكثير غيرها ، ومنها اختلاق لكثير من الشخصيات ، ومكابرة لكثير غيرها . . . وكان الإمام عليه السلام هو الذي رفع لواء الحقّ في وقت قد كُتّت فيه الأفواه، وقُطعت الألسن، وكُسرت الأقلام . وبين عليه السلام حقائق التاريخ كما هي عليه . فمن كان له الدور الأوّل والتأثير الأكبر في هذا التاريخ غير عليّ عليه السلام ؟ !

3 . الدفاع عن الحقّ دفاع مظلوم

قلنا إنّ التغييرات السياسية تستتبع تغييرات اجتماعية وثقافية كثيرة، وكان الإمام عليه السلام أكثر الناس ظُلاماً في ظلّ تلك التغييرات ، وقد صبر مهضوماً مظلوماً لمصلحة الإسلام - وقد تحدّثنا عن ذلك في أحد المواضع - بيد أنّه حاول أن يتحدّث عن هذه الظلامية ، ويحول دون تحريف التاريخ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وعندما بلغت التهديدات ذروتها سكت البعض خوفاً ، وألجم البعض الآخر حرصاً على الحياة بعدما كثرت مغرياتنا ، فمن يتحدّث عن عليّ عليه السلام ؟ ومن يُفصح عن «حقّ الخلافة» و«خلافة الحقّ» ؟ وأنكى من ذلك كلّهُ أنّ حزب الطُغاة استحوذ

على مقدّرات الأمة ، فنال من عليّ ما شاء ، واختلق - باطلاً - فضائل موهومة لبعض الصحابة كي يقلّل قبسا ولو ضئيلاً من فضائل عليّ ، فهل للإمام سبيل غير تعريف نفسه للأمة ، والإصحار بفضائله ومناقبه ؟ ! إنّهُ عليه السلام بكلماته المذكورة في موقع الدفاع عن المظلوم ، وهو نفسه المنادي بضرورة الدفاع عن المظلوم، ومقارعة الظالم .

4 . الدفاع عن حقّ الناس

عندما تُفتعل الأجواء الكاذبة في المجتمع ، وتجرف الدعايات المسمومة المضادة بعض الناس باطلاً ، وتقذف ببعضهم الآخر ظلماً ، ويترّبع غير الجذراء على دفة الحكم ، ويتسلّمون مقاليد الأمر ، وينزوي الجذراء المؤهلون ويتعدون عن مسرح الحياة ، فالتقصير على المجتمع ؛ إذ أباح ظلمهم ، وضيّع حقّه في الاستهداء بهم والاستنارة بجدارتهم . فالنضال ضدّ هذه الأجواء الكاذبة ، وإعادة الحقّ إلى نصابه يمثلان دفاعاً عن حقّ الناس . ومن كان يمتري في أنّ عليّاً عليه السلام كان الأجدر الأكفأ ؟ أ لم يقلّ عمر بن الخطّاب : «إنّهُ لأحراهم أن يُقيمهم على طريقَةٍ مِنَ الْحَقِّ» ؟ فماذا يفعل الناس في خصمّ حضورهم ؟ ! وإذا عرّف الإمام عليه السلام نفسه وتحدّث عن جدارته ولياقته فإنّما يدافع عن حقّ الناس الثابت ، أي حقّ معرفة الأجدر ، وتحكيم الأصلح . هذه وغيرها تمثّل سرّ حديث عليّ عن عليّ ، وبعبارة أخرى ، إنّ عليّ بن أبي طالب يتحدّث عن الإمام عليّ ، وعن أجدر إنسانٍ لتسلّم زمام الأمور .

5 . الدفاع عن الذات إزاء الهجوم الدعائي العنيف

بيد أنّ ما يفوق في أهمّيته جميع الأدلّة التي ذكرناها كبواغث أملت على الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام أن يبادر إلى تبين فضائله والحديث عن خصائصه بنفسه ، هي طبيعة الأجواء التي أعلن فيها ذلك على الملأ العام . حياة علي عليه السلام مدهشة حقاً ؛ أيامها ملأى بالدروس ، وتاريخها حافل بالعظات . شخصية تتألق بوهج مضيء مرتفع ، رجل في مثل هذه الصلابة والرسوخ العظيم ، مؤمن يسمو به إيمانه ، فلا توازيه نجوم السماء علواً وجلالاً . شخصية كهذه تتبوأ منصّة كلّ هذه المكرمات ، ثم تطلع عليها أجواء محمومة بالدعاية الباطلة ، كيف ستبدو في عيون جيل راح ينظر إليها وهي تمسك أزمنة الحكم بعد ربع قرن من الغياب ؟ وكيف ستكتسب موقعها في ذهنه ووعيه ؟ هذا هو السؤال . إن دراسة حياة علي عليه السلام المترعة نوراً وحركة ومضاء ، تكشف عن أنّ هذا العظيم لم يتحدّث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله عن نفسه قط ، مع ما كانت تزهو به أيامه من مآثر عظمى وإنجازات باهرة . لكن بعد أن مضى النبي الأقدس إلى الرفيق الأعلى بادر الإمام في الأيام الأولى التي شهدت تغيير الحكم وتكبّ الحياة السياسيّة عن أصولها ؛ بادر للحديث عن سايقة الوضيفة في هذا الدين ، وراح يصدع بحقه في كلّ مكان ؛ رغبة منه بإحقاق الحق ، وإجهاراً للحقيقة ، ودفاعاً عن موقع «الإمامة» . لكن للأسف لم تُغنِ جهود الإمام شيئاً ، فاختطت الخلافة مساراً آخر ! غير استثناءات قليلة ومواقع نادرة ، فلاذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بصمت رهيب استغرق من عمره سنوات مديدة ، وطوى عن حقه كسحاً ، وكلماته المتوجّعة تقول : «قَصِرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدْرٌ ، وَفِي الْخَلْقِ شَجَا» . ولما تسلّل «حزب الطلقاء» إلى واقع الحياة الإسلاميّة ، وترسّخت أقدامه على

عهد الخليفة الثالث ، اتّسع حجم الأكاذيب والافتراءات ، وطفقت تنهال من كلّ جانب ولا سيما في الشام ؛ لتصنع أجواء مكفهرّة تنته ، تغلب الحقائق ، وتخاصر أهل الحقّ وأنصاره خاصّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . وقف الإمام يواجه كلّ هذه الأكاذيب والافتراءات ، والسيول المتدفقة من التزييف والاثّام وقلب الحقائق وكنمانها ، يتصدّر بلاط معاوية المغموس بالخداع والحيلة ، وبإصرار جاهلي عنيد على إفساد الأذهان ، وتلوّث العقول بموج عارم من الأباطيل والزخارف والسفاهات . ولما كان معاوية يعرف أن شخصيّة علي عليه السلام لو راحت تسطع من وراء غيوم الدعاية المضادّة المتلبّدة الداجية لانهارت حياته السياسيّة والاجتماعيّة ، وذهبت أدراج الرياح ، لذلك حشد كلّ قواه وإرادته وتصميمه على استهداف هذه الشخصيّة ، فراح يضخّم ذاته حتى ينال من علي عليه السلام ما استطاع ، ولم تنهأ له وسيلة إلّا ركبها في هذه الحرب البغيضة الشعواء ، حتى بلغت به جرأته أن يفرض لعن علي عليه السلام في «الصلوات» ! ترى ماذا عسى الإمام علي عليه السلام أن يفعل في مواجهة جوّ وبيء مثل هذا يزدهم بالأكاذيب والافتراءات والتضليل ، وتتشابك فيه أحابيل الدعاية المضادّة ؟ ليس أمامه إلّا أن يجهر بفضائله ، ويكشف عن مثالب «حزب الطلقاء» وسواهم . إن شطراً عظيماً ممّا نطق به الإمام من فضائله كان لمواجهة فضاء وبيء مسعور مثل هذا . ولا ريب في أنّ ذلك مهمّة صعبة ، شاقّة ، مجهدة بيد أنّها ضروريّة لا مناص منها .

ولما كان علي عليه السلام لا يعرف إلّا الحقّ ، وليس له هدف إلّا أن يعلو الحقّ ، تحمّ عليه أن ينطق وأن يتحدّث ولو كلّفه ذلك جهداً ومرارة . وهذا ما فعله تماماً إمامنا سلام الله عليه .

أ - المكاتبة عند رسول الله صلى الله عليه وآله

624.الإرشاد - في ذكر أحوال الإمام علي عليه السلام ب: أنزلّه النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله عند ورودِهِ المدينة دارَهُ ، وأحلّه قرارَهُ ، وخَلَطَهُ بِحَرَمِهِ وأولادِهِ ، ولم يُميّزُهُ مِن خاصّة نَفْسِهِ ، وَلَا احتشَمَهُ في باطن أمرِهِ وسِرِّهِ . [1]

625.الإمام علي عليه السلام : كُنْتُ في أَيَّامِ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَجُزءٍ مِن رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، يَنْظُرُ إِلَيَّ النَّاسُ كَمَا يُنْظَرُ إِلَى الكَوَاكِبِ في أَقْصَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ غَضَّ [2] الدَّهْرُ مِنِّي ، فَفَرَنْ بِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، ثُمَّ فَرَنْتُ بِخَمْسَةِ أَمْثَلُهُمْ عُثْمَانُ ، فَقُلْتُ : وَاقَرَاهُ ! ثُمَّ لَمْ يَرْضَ الدَّهْرُ لِي بِذَلِكَ حَتَّى أَرَدَلَنِي ، فَجَعَلَنِي تَطِيرًا لِابْنِ هِنْدٍ وَابْنِ النَّايِفَةِ ، لَقَدْ اسْتَنْتَ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى [3] . [4]

626.عنه عليه السلام : أَنَا مِن رَسولِ اللَّهِ كَالضَّوءِ مِنَ الضَّوءِ [5] ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعَصِي . [6]

627.عنه عليه السلام : أَنَا صِنُوءُهُ ، وَوَصِيُّهُ ، وَوَلِيُّهُ ، وَصَاحِبُ نَجَواهُ وسِرِّهِ . [7]

[1] الإرشاد : ج 1 ص 54 .

[2] غَضَّ : وضع ونقص (لسان العرب : ج 7 ص 197) .

[3] مَثَلٌ يضرب للذي يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره (مجمع الأمثال : ج 1 ص 333) .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 20 ص 326 ح 733 .

[5] الضوء هو النور ، وعليه يكون معنى الحديث قريباً من معنى الحديث النبوي المشهور : «أنا وعليّ من نور واحد» . لكن ورد الحديث في بعض النسخ هكذا : «كالصنوّ من الصنوّ» والصنوّ : أن تطلع نخلتان من عرق واحد (النهاية : ج 3 ص 57) ، وعليه فيكون المعنى مقاربا لما ورد فيالنبوي المشهور : «أنا وعليّ من شجرة واحدة» .

[6] نهج البلاغة : الكتاب 45 .

628. عنه عليه السلام : لَقَدْ فُيْضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي ، وَلَقَدْ سَأَلَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي ، فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي . وَلَقَدْ وَلِيْتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَأْتُكَ أَعْوَانِي ، فَصَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْيِيَّةُ ؛ مَلَأَ يَهِيْطُ ، وَمَلَأَ يَعْجُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْبَةً [1] مِنْهُمْ ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارِبَانَهُ فِي ضَرْبِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا ؟ ! فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ ، وَلْتَصَدَّقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَعْفِزُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . [2]

ب - مُنْتَهَى الْخُضُوعِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

629. الإمام الصادق عليه السلام : جَاءَ جَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَتَى كَانَ رَبُّكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمَ أُمُّكَ ! وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ : مَتَى كَانَ ؟ ! كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ يَلَا قَبْلَ ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ يَلَا بَعْدَ ، وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ ، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ ، فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقَتَبِيَّ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : وَيْلَكَ ! إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [3]

630. الإمام عليّ عليه السلام : لَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْقِقُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنِّي لَمْ أُزِدْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِتَغْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ ، تَجِدُهُ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا . [4]

[1] الهينمة : الكلام الخفي لا يفهم (النهاية : ج 5 ص 290) .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 197 .

[3] الكافي : ج 1 ص 89 ح 5 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 197 .

ج - التَّقَدُّمُ عَلَى الْأَقْرَانِ

631. الإمام عليّ عليه السلام : لَا يَتَقَدَّمُنِي أَحَدٌ إِلَّا أَحْمَدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنِّي وَإِيَّاهُ لَعَلَى سَبِيلٍ وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ الْمَدْعُو بِاسْمِهِ . [1]

632. عنه عليه السلام - فِي خُطْبَةٍ لَهُ بَعْدَ وَقْعَةِ النَّهْرَوَانِ : فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ، وَتَطَقْتُ حِينَ تَعَتَّعُوا ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَخْفِضُهُمْ صَوْتًا ، وَأَعْلَاهُمْ قَوْتًا [2] ، فَطَرْتُ بِعِزِّهَا ، وَاسْتَبَدَّتْ بِرِهَانِهَا ، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ . [3]

د - الْقَضَائِلُ الْبَاهِرَةُ

633. الإمام الباقر عليه السلام : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَقُولُ : مَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَلَا لِلَّهِ مِنْ تَبَأٍ أَعْظَمُ مِنِّي . [4]

634. الإمام عليّ عليه السلام : أَنَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ ، وَأَنَا الْفَارُوقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . [5]

635. عنه عليه السلام : أَنَا كَلَامُ اللَّهِ التَّاطِقُ . [6]

636. عنه عليه السلام : أَنَا ... أَعَزُّكُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَفْقَهُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَعْلَمُكُمْ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ . [7]

637. عنه عليه السلام : أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْنُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . [8]

[1] الكافي : ج 1 ص 198 ح 3 .

[2] فائتي كذا : سبقني (لسان العرب : ج 2 ص 69) .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 37 .

[4] الكافي : ج 1 ص 207 ح 3 .

[5] كنز الفوائد : ج 1 ص 265 .

[6] بحار الأنوار : ج 82 ص 199 .

[7] الاحتجاج : ج 1 ص 182 ح 36 .

[8] صحيح البخاري : ج 4 ص 1458 ح 3747 .

638. عنه عليه السلام : أُنَا قَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، لَا يَدْخُلُهَا دَاخِلٌ إِلَّا عَلَى حَدِّ قَسَمِي . [1]

هـ - الْمَنَاقِبُ الْمَعْدُودَةُ

639. الإمام علي عليه السلام : لَقَدْ أُعْطِيَ السَّبْتُ ؛ عِلْمَ الْمَنَایَا وَالتَّلَايَا وَالْوَصَايَا ، وَفَصَلَ الْخُطَابِ ، وَاتَّيَ لَصَاحِبُ الْكُرَاتِ ، وَدَوْلَةُ الدُّوَلِ ، وَاتَّيَ لَصَاحِبُ الْعَصَا وَالْمِيسَمِ ، وَالذَّابَةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ . [2]

640. عنه عليه السلام : لَقَدْ أُعْطِيَ السَّبْعُ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ ؛ عِلْمُ الْأَسْمَاءِ ، وَالْحُكُومَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَتَفْسِيرَ الْكِتَابِ ، وَفِصْمَةَ الْحَقِّ مِنَ الْمَغَايِمِ بَيْنَ بَنِي آدَمَ ، فَمَا شَدَّ عَنِّي مِنَ الْعِلْمِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عُلِّمَنِيهِ الْمُبَارَكُ . وَلَقَدْ أُعْطِيَ حَرْفًا يَفْتَحُ أَلْفَ حَرْفٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيَ زَوْجَتِي مُصْحَفًا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَسْبِقْهَا إِلَيْهِ أَحَدٌ خَاصَّةً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . [3]

641. عنه عليه السلام : أُحَاجُّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِتِسْعٍ ؛ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَابْتِئَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّعَايَةِ ، وَالْقَسَمِ بِالسَّوِيَّةِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَشْبَاهِهِ . [4]

642. عنه عليه السلام : كَانَ لِي عَشْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، وَلَا يُعْطَاهُنَّ أَحَدٌ بَعْدِي ؛ قَالَ لِي : يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنِّي مَوْفِقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُكَ فِي الْجَنَّةِ مُتَوَاحِبَيْنِ [5] كَمَنْزِلِ الْأَخَوَيْنِ ، وَأَنْتَ الْوَصِيُّ ، وَأَنْتَ الْوَلِيُّ ، وَأَنْتَ الْوَزِيرُ ، عَدُوُّكَ عَدُوِّي ، وَعَدُوِّي عَدُوُّ اللَّهِ ، وَوَلِيُّكَ وَلِيِّي ، وَوَلِيِّي وَلِيُّ اللَّهِ . [6]

[1] الكافي : ج 1 ص 198 ح 3 .

[2] الكافي : ج 1 ص 198 ح 3 .

[3] بصائر الدرجات : ص 200 ح 2 .

[4] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 1 ص 538 ح 898 .

[5] في المصادر الأخرى: «متواجهان» وهو الأنسب.

[6] الخصال : ص 429 ح 7 .

و - الْمَنَاقِبُ الْمَنْثُورَةُ

643. الإمام علي عليه السلام : أَنَا أُولَى رِسُولِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَأَنَا وَصِيُّهُ وَوَزِيرُهُ وَمُسْتَوْدَعُ سِرِّهِ وَعِلْمِيهِ ، وَأَنَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ ، وَالْفَارُوقُ الْأَعْظَمُ ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ ، وَأَحْسَنُكُمْ بَلَاءً فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَعَرَفُكُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَفْقَهُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَعْلَمُكُمْ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ ، وَأَذَرُكُمْ [1] لِسَانًا ، وَأَتُبْتُكُمْ جَنَانًا . [2]

644. عنه عليه السلام : أَنَا عَيْنُ اللَّهِ ، وَأَنَا يَدُ اللَّهِ ، وَأَنَا جَنْبُ اللَّهِ ، وَأَنَا بَابُ اللَّهِ . [3]

645. عنه عليه السلام : أَنَا عِلْمُ اللَّهِ ، وَأَنَا قَلْبُ اللَّهِ الْوَاعِي ، وَلِسَانُ اللَّهِ التَّاطِقُ ، وَعَيْنُ اللَّهِ ، وَجَنْبُ اللَّهِ ، وَأَنَا يَدُ اللَّهِ . [4]

646. عنه عليه السلام : إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ ؛ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا ، فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا أَذَانَكُمْ قُلُوبَكُمْ تَفْهَمُوا . [5]

[1] ذرب الرجل : إذا فصح لسانه (لسان العرب : ج 1 ص 385) .

[2] الاحتجاج : ج 1 ص 182 ح 36 .

[3] الكافي : ج 1 ص 145 ح 8 .

الفصل الرابع: عليّ عليه السلام عن لسان أهل البيت عليهم السلام

647. فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه و - خطابا لِقَوْمٍ وَقَفُوا خَلْفَ بَابِ بَيْتِهَا لِأَخ: لَا عَهْدَ لِي بِقَوْمٍ أَسْوَأَ مَحْضَرًا مِنْكُمْ ؛ تَرَكْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ جَنَازَةً بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَقَطَعْتُمْ أَمْرَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَلَمْ تُؤْمِرُونَا ، وَلَمْ تَرَوْا لَنَا حَقًّا ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَا قَالَ يَوْمَ عَدِيرِ حُمٍّ ! وَاللَّهِ لَقَدْ عَقَدَ لَهُ يَوْمَئِذٍ الْوَلَاءَ ؛ لِيَقْطَعَ مِنْكُمْ بِذَلِكَ مِنْهَا الرَّجَاءَ ، وَلِكِنَّكُمْ قَطَعْتُمْ الْأَسْبَابَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ تَيْبِكُمْ ، وَاللَّهِ حَسِبْتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . [1]

648. الإمام الحسن عليه السلام - فِي خُطْبَةٍ لَهُ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! لَقَدْ فَارَقَكُمْ أَمْسَ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ ، وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخِرُونَ ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَبْعَثُ الْمُبْعَثَ فَيُعْطِيهِ الرَّايَةَ ، فَمَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ ، مَا تَرَكَ بَيَضاءَ وَلَا صَفراءَ إِلَّا سَبْعِمِئَةً دِرْهَمٍ فَضَلَّتْ مِنْ عَطَائِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا خَادِمًا . [2]

649. تاريخ دمشق عن مولى لحذيفة : كَانَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ إِذَا يَذْرَاعِي فِي أَيَّامِ الْمَوْسِمِ ، قَالَ :

[1] الاحتجاج : ج 1 ص 202 ح 37 .

[2] المصنّف لابن أبي شيبه : ج 7 ص 502 ح 42 .

649. تاريخ دمشق عن مولى لحذيفة : وَرَجُلٌ خَلَقْنَا يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَلِأُمَّهِ ، فَأَطَالَ ذَلِكَ ، فَتَرَكَ الْحُسَيْنُ ذِرَاعِي وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : قَدْ آذَيْنَا مِنْذُ الْيَوْمِ ، تَسْتَغْفِرُ لِي وَلِأُمِّي وَتَتْرُكُ أَبِي ؟ وَأَبِي خَيْرٌ مِنِّي وَمِنْ أُمِّي . [1]

650. الإمام زين العابدين عليه السلام - مِنْ كَلَامِهِ فِي مَجْلِسِ بَزِيدَ : أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خَرَاطِيمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَسْبِقِينَ ، وَطَعَنَ بِرُمَحِينَ ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ ، وَبَاعَ الْبَيْعَتَيْنِ ، وَصَلَّى الْفِيلَتَيْنِ ، وَقَاتَلَ يَدْرَ وَحْنَيْنِ ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ ، أَنَا ابْنُ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ ، وَقَامِعِ الْمُجَلْدِينَ ، وَبَعْسُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَوْرِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَزَيْنِ الْعَايِدِينَ ، وَتَاجِ الْبَكَائِينَ ، وَأَصْبَرِ الصَّابِرِينَ ، وَأَفْضَلِ الْقَائِمِينَ مِنْ آلِ بَاسِيْنَ ، وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ بِجِبْرِئِيلَ ، الْمَنْصُورِ بِمِيكَائِيلَ ، أَنَا ابْنُ الْمُحَامِي عَنْ حَزْمِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَائِلِ التَّائِكِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَالْمُجَاهِدِ أَعْدَاءَ النَّاصِبِينَ ، وَأَفْخَرِ مَنْ مَشَى مِنْ قُرَيْشٍ أَجْمَعِينَ ، وَأَوَّلِ مَنْ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ لِلَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَقْدَمِ السَّائِقِينَ ، وَقَاصِمِ الْمُعْتَدِينَ ، وَثَبِيرِ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَهْمِ مَنْ قَرَامِيَ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، وَلِسَانِ حِكْمَةِ الْعَايِدِينَ ، نَاصِرِ دِينِ اللَّهِ ، وَوَلِيِّ أَمْرِ اللَّهِ ، وَنُصْتَايِ حِكْمَةِ اللَّهِ ، وَغَيْبَةِ عِلْمِ اللَّهِ . سَمِيحٌ ، سَخِيٌّ ، نُهْلَوْتُ زَكِيَّ أَبْطُجِيَّ رَضِيَّ مُرَضِيٍّ ، مِقْدَامُ هَمَامٍ ، صَائِرُ صَوَامٍ ، مُهَذَّبُ قَوَامٍ ، شُجَاعُ قِمَامٍ [2] ، قَاطِعُ الْأَصْلَابِ ، وَمُقَرِّقُ الْأَحْزَابِ ، أَرْطَطُهُمْ خَنَانًا ، وَأَطَبَقُهُمْ عِنَانًا ، وَأَجْرَاهُمْ لِسَانًا ، وَأَمَاضَهُمْ غَزِيمَةً ، وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً [3] ، أَسَدُ بَاسِلٍ ،

[1] تاريخ دمشق : ج 14 ص 183 .

[2] القمقام من الرجال : السِّيدُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ الْوَاسِعِ الْفَضْلُ (لسان العرب : ج 12 ص 494) .

[3] الشَّكِيمَةُ : قُوَّةُ الْقَلْبِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الشَّكِيمَةِ : إِذَا كَانَ شَدِيدَ النَّفْسِ أَيْبَاءً (لسان العرب : ج 12 ص 324) .

650. الإمام زين العابدين عليه السلام - مِنْ كَلَامِهِ فِي مَجْلِسِ بَزِيدَ - وَغَيْثُ هَاطِلٍ . يَطْعَنُهُمْ فِي الْخُرُوبِ - إِذَا ارْذَلَتْ الْأَسِنَّةُ وَفَرَّتِ الْأَعْيَةُ - طَحَنَ الرَّحَى ، وَيَذَرُهُمْ دَرَوُ الرِّيحِ الْهَشِيمِ ، لَيْثُ الْحِجَارِ ، وَصَاحِبُ الْإِعْجَازِ ، وَكَبِشُ الْإِعْجَازِ ، الْإِمَامُ بِالْتِمَصِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، مَكِّيٌّ مَدِينِيٌّ ، أَبْطُجِيٌّ تِهَامِيٌّ ، خَفِيفِيٌّ عَقِييٌّ ، بَدْرِيٌّ أُحْدِيٌّ ، شَجَرِيٌّ مُهَاجِرِيٌّ ، مِنْ الْعَرَبِ سَيِّدُهَا ، وَمِنْ الْوَعْيِ لَيْثُهَا . وَارِثُ الْمَشْعَرَيْنِ ، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، مَظْهَرُ الْعَجَائِبِ ، وَمُقَرِّقُ الْكُتَائِبِ ، وَالشَّهَابُ الثَّاقِبُ ، وَالْتَوْرُ الْعَاقِبُ ، أَسَدُ اللَّهِ الْغَالِبِ ، مَطْلُوبُ كُلِّ طَالِبٍ ، غَالِبُ كُلِّ غَالِبٍ ، ذَاكَ جَدِّي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [1]

651.الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَصَبَّ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، فَمَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِنًا ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ كَانَ كَافِرًا ، وَمَنْ جَهِلَهُ كَانَ ضَالًّا ، وَمَنْ تَصَبَّ مَعَهُ شَيْئًا كَانَ مُشْرِكًا ، وَمَنْ جَاءَ بِوَلَايَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ جَاءَ بِعِدَاوَتِهِ دَخَلَ النَّارَ . [2]

652.الإمام الصادق عليه السلام - لِيُوَثِّقَ بِنِ أَبِي وَهَبٍ :- إَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْأَيْمَةِ كُلِّهِمْ ، وَلَهُ نَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فُضِّلُوا . [3]

653.الإمام الكاظم عليه السلام : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْهُدَى ؛ فَمَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ عَلِيٍّ كَانَ مُؤْمِنًا ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُ كَانَ كَافِرًا ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ كَانَ فِي الطَّبَقَةِ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ فِيهِمْ الْمَشِيئَةُ . [4]

654.الإمام الرضا عليه السلام - فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ مَرِّ إِبْنِ الدَّلِيلِ

[1] مقتل الحسين للخوارزمي : ج2 ص70 .

[2] الكافي : ج2 ص388 ح20 .

[3] الكافي : ج4 ص580 ح3 .

[4] الكافي : ج2 ص388 ح18 .

654.الإمام الرضا عليه السلام - فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ مَرِّ بَعْدَهُ [رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] وَالْحُجَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْقَائِمَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّاطِقَ عَنِ الْقُرْآنِ ، وَالْعَالِمَ بِأَحْكَامِهِ ، أَخُوهُ وَخَلِيفَتُهُ وَوَصِيُّهُ وَوَلِيُّهُ ، وَالَّذِي كَانَ مِنْهُ يَمْنَزِلُهُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، عَلِيُّ بْنُ أَبِيطَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَقَائِدُ الْعُرَى الْمُحَجَّلِينَ ، وَأَفْضَلُ الْوَصِيِّينَ ، وَوَارِثُ عِلْمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ . [1]

655.الإمام الجواد عليه السلام : عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفَ كَلِمَةٍ ، كُلُّ كَلِمَةٍ يَفْتَحُ أَلْفَ كَلِمَةٍ . [2]

656.الإمام الهادي عليه السلام - فِي زِيَارَةِ صَاحِبِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى وَلِيِّكَ ، وَدَيَّانِ دِينِكَ ، وَالْقَائِمِ بِالْقِسْطِ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ، وَتَعَسُّوبِ الدِّينِ ، وَقَائِدِ الْعُرَى الْمُحَجَّلِينَ ، قِبَلَةِ الْعَارِفِينَ ، وَعَلَمِ الْمُهْتَدِينَ ، وَعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، وَحَبْلِكَ الْمَتِينِ ، وَخَلِيفَةِ رَسُولِكَ عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَوَصِيِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . [3]

657.الإمام العسكري عليه السلام - فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، أَخِي نَبِيِّكَ ، وَوَصِيِّهِ ، وَوَلِيِّهِ ، وَصَفِيِّهِ ، وَوَزِيرِهِ ، وَمُسْتَوْدَعِ عِلْمِهِ ، وَمَوْضِعِ سِرِّهِ ، وَبَابِ حِكْمَتِهِ ، وَالتَّاطِقِ بِحُجَّتِهِ ، وَالدَّاعِي إِلَى شَرِيعَتِهِ ، وَخَلِيفَتِهِ فِي أُمَّتِهِ ، وَمُقَرِّجِ الْكُرْبِ عَنْ وَجْهِهِ ، قَاصِمِ الْكَفَرَةِ ، وَمُرْغِمِ الْقَجَرَةِ ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مِنْ نَبِيِّكَ يَمْنَزِلُهُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى . اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَنْصُرْ مَنْ تَصَرَّاهُ ، وَاحْذَلْ مَنْ خَذَلَهُ ، وَالْعَنْ مَنْ تَصَبَّ لَهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَصَلِّ عَلَيْهِ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْصِيَاءِ أَنْبِيَائِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . [4]

[1] عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج2 ص122 ح1 .

[2] الخصال : ص650 ح46 .

[3] مصباح الزائر : ص477 .

[4] مصباح المتعبد : ص400 ح522 .

658.الإمام المهدي عليه السلام - فِي دُعَائِهِ :- اللَّهُمَّ . . . وَصَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ ، وَقَائِدِ الْعُرَى الْمُحَجَّلِينَ ، وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . [1]

[1] مصباح المتعبد : ص406 ح534 .

الفصل الخامس: عليّ عليه السلام عن لسان أزواج النبيّ صلّي الله عليه وآله

659. المعجم الكبير عن أم سلمة : كَانَ عَلِيٌّ عَلَى الْحَقِّ ؛ مَنْ اتَّبَعَهُ اتَّبَعَ الْحَقَّ ، وَمَنْ تَرَكَهُ تَرَكَ الْحَقَّ ، عَهْدًا مَعَهُدًا قَبْلَ يَوْمِهِ هَذَا . [1]

660. التاريخ الكبير عن عائشة : أَعْلَمَ النَّاسُ بِالسُّنَّةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [2]

661. خصائص أمير المؤمنين عن جميع بن عمير : دَخَلْتُ مَعَ أُمِّي عَلَى عَائِشَةَ ، فَسَمِعْتُهَا تَسْأَلُهَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَتْ : تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلٍ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَانِهِ ؟ ! [3]

[1] المعجم الكبير : ج 23 ص 330 ح 758 .

[2] التاريخ الكبير : ج 3 ص 228 الرقم 767 .

[3] خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ص 211 الرقم 112 و 111 .

الفصل السادس: عليّ عليه السلام عن لسان أصحاب النبيّ صلّي الله عليه وآله

662. تاريخ بغداد عن إبراهيم عن علقمة والأسود : أَتَيْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صُغْبَيْنَ ، فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا أَيُّوبَ ، إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَكَ بِرَسُولٍ مُخَمِّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَمَجِّي نَاقِيَهُ تَفَضُّلاً مِنَ اللَّهِ . وَإِكْرَامًا لَكَ حَتَّى أَنْأَخْتَ بِهَاكَ دُونَ النَّاسِ ، ثُمَّ جِئْتَ بِسَيْفِكَ عَلَى عَاتِقِكَ تَضْرِبُ بِهِ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ ! فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنَّ الرَّايِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَنَا بِقِتَالِ ثَلَاثَةِ مَعَ عَلِيٍّ ؛ يَقْتَالُ النَّاكِثِينَ ، وَالْقَاسِطِينَ ، وَالْمَارِقِينَ . فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ أَهْلُ الْجَمَلِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَهَذَا مُنْصَرَفُنَا مِنْ عِنْدِهِمْ - يَعْنِي مُعَاوِيَةَ وَعَمْرًا - وَأَمَّا الْمَارِقُونَ فَهُمْ أَهْلُ الطَّرَافَاتِ ، وَأَهْلُ السُّعَيْفَاتِ ، وَأَهْلُ النُّخَيْلَاتِ ، وَأَهْلُ التَّهْرَوَانَاتِ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَبْنَ هُمْ ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ قِتَالِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِعِمَارٍ : يَا عِمَارُ ، تَعْتَلِّكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ، وَأَنْتَ إِذْ ذَاكَ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَكَ . يَا عِمَارُ بَنَ بِاسِيرٍ ، إِنْ رَأَيْتَ عَلِيًّا قَدْ سَلَكَ وَادِيًا وَسَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا غَيْرَهُ فَاسْلُكْ مَعَ عَلِيٍّ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَذِلَّكَ [1] فِي رَدَى ، وَلَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ هُدًى . يَا عِمَارُ ، مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَلِيًّا عَلَى غَدْوِهِ قَلَّدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

[1] ذُلَّى الشَّيْءِ فِي الْمَهْوَاةِ : أَرْسَلَهُ فِيهَا (لسان العرب : ج 14 ص 266) .

662. تاريخ بغداد عن إبراهيم عن علقمة والأسود : وشاحين [1] من دُرٍّ ، وَمَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَدُوَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ قَلَّدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وشاحين من نارٍ . قُلْنَا : يَا هَذَا ، حَسْبُكَ رَجِمَكَ اللَّهُ ! حَسْبُكَ رَجِمَكَ اللَّهُ ! [2]

663. تاريخ دمشق عن الشعبي : بَيْنَا أَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ ، إِذْ طَلَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعِيدٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَنْ سَرَّهَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَعْظَمِ النَّاسِ مَنْزِلَةً ، وَأَقْرَبِهِمْ قَرَابَةً ، وَأَفْضَلِهِمْ دَالَةً [3] . وَأَعْظَمُهُمْ غَنَاءً عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الطَّالِعِ . [4]

664. اليقين عن معاوية بن نعلبة اللبني - لأبي دَرٍّ - : قُلْتُ : يَا أَبَا دَرٍّ ، إِنَّا لَتَعْلَمُ أَنَّ أَحَبَّهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَبُّهُمْ إِلَيْكَ . قَالَ : أَجَلٌ . قُلْنَا : فَأَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : هَذَا الشَّيْخُ الْمَظْلُومُ الْمُضْطَّهَدُ حَقُّهُ - يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - . [5]

665. الأمامي للطوسي عن عبد المؤمن الأنصاري عن أبيه عن سألته : مَنْ كَانَ أَثَرُ النَّاسِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيمَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَمْنَزِلُهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ كَانَ يَبْعَثُنِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَيْهِ ، فَيَسْتَخْلِي بِهِ حَتَّى يُصْبِحَ ، هَذَا كَانَ لَهُ عِنْدَهُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا . [6]

666. الإمام الباقر عليه السلام : سُئِلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : ذَلِكَ

[1] الوشاح : شيءٌ يُنْسَجُ عَرِيضًا مِنْ أَدِيمٍ ، وَرَبَّمَا رُصِّعَ بِالْجَوْهَرِ وَالْخَزَرِ وَتَشَدَّ الْمَرْأَةُ بَيْنَ عَاتِقَيْهَا وَكَشَحِيهَا (النهاية : ج 5 ص 187) .

[2] تاريخ بغداد : ج 13 ص 186 الرقم 7165 .

[3] الدَّلَّةُ : عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار ، وحسن السيرة والطريقة ، واستقامة المنظر والهيئة (النهاية : ج 2 ص 131 «دلل»)

[4] تاريخ دمشق : ج 42 ص 411 و ص 73 .

666.الإمام الباقر عليه السلام : وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُخْزِي الْمُنَافِقِينَ ، وَبَوَارِ الْكَافِرِينَ ، وَسَيِّفُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِطِينَ وَالنَّكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ . [1]

667.كتاب من لا يحضره الفقيه : كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ يَدُورُ فِي سِكَكِ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَقُولُ : عَلَيَّ خَيْرُ الْبَشَرِ ، قَمَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ . يَا مَعْاشِرَ الْأَنْصَارِ ، أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى حُبِّ عَلِيٍّ ، قَمَنْ أَبِي قَانِظُورُوا فِي شَأْنِ أُمِّهِ ! [2]

668.شرح الأخبار عن حذيفة بن اليمان - فِي وَصْفِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- ذَلِكَ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَا يَشْكُ فِيهِ إِلَّا مُنَافِقٌ . [3]

669.المصنّف عن سلمان : إِنَّ أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرُوداً عَلَى نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوَّلُهَا إِسْلَاماً عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [4]

670.تاريخ دمشق عن ابن عباس : لِعَلِّي أَرْبَعُ خِصَالٍ : هُوَ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ لِوَأُوهُ مَعَهُ فِي كُلِّ رَحْفٍ ، وَهُوَ الَّذِي صَبَرَ مَعَهُ يَوْمَ الْمَهْرَاسِ [5] ، انْهَزَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ غَيْرُهُ ، وَهُوَ الَّذِي غَسَّلَهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ . [6]

671.تاريخ دمشق عن ابن عباس : كُنَّا نَتَحَدَّثُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهَدَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعِينَ عَهْدًا لَمْ يَعْهَدْهَا إِلَى غَيْرِهِ . [7]

672.مسند ابن حنبل عن ابن عمر : لَقَدْ أُوتِيَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ لِأَن تَكُونَ لِي وَاحِدَةً

[1] الفضائل لابن شاذان : ص 136 .

[2] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 3 ص 493 ح 4744 .

[3] شرح الأخبار : ج 1 ص 144 ح 82 .

[4] المصنّف لابن أبي شيبه : ج 7 ص 503 ح 49 .

[5] المهراس: ماء بأحد، وبه فسّر الحديث: أنّه عطش يوم أحد فجاءه عليّ رضى الله عنه في درقة بماء من المهراس (تاج العروس: ج 9 ص 38).

[6] تاريخ دمشق : ج 42 ص 72 .

[7] تاريخ دمشق : ج 42 ص 391 .



672. مسند ابن حنبل عن ابن عمر : مِنْهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خُمِرِ النَّعَمِ : زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابْنَتُهُ ، وَوَلَدَتْ لَهُ ، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ يَوْمَ خَيْبَرٍ . [1]

673. تاریخ دمشق عن عبد الله بن مسعود: إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، مَا مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ ، وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَهُ مِنْهُ عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . [2]

674. الفتوح عن عمار بن ياسر - مِنْ كَلَامِهِ فِي حَرْبِ صِقِينَ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَا: أَيُّهَا الْأَبْتُ ! أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَنْصُرْ مَنْ تَصَرَّهْ ، وَاحْذِلْ مَنْ حَذَلَهُ ؟ [3]

675. تاریخ دمشق عن عمر بن الخطاب : اللَّهُمَّ لَا تُنْزِلَنَّ شَدِيدَةً إِلَّا وَأَبُو الْحَسَنِ إِلَى جَنبِي . [4]

676. الاستيعاب : وَقَالَ [عُمَرُ] فِي الْمَجْنُونَةِ الَّتِي أَمَرَ بِرَجْمِهَا ، وَفِي الَّتِي وَصَّعَتْ لِسِنَّةٍ أَشْهَرٍ ، فَأَرَادَ عُمَرُ رَجْمَهَا ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : «وَحُمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» [5] الْحَدِيثُ ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ الْقَلَمَ عَنِ الْمَجْنُونِ ، الْحَدِيثُ ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ . [6]

677. كنز العمال عن عمر بن الخطاب : يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ ! فَمَا زِلْتَ كَاشِفَ كُلِّ شُبْهَةٍ ، وَمُوضِحَ كُلِّ حُكْمٍ . [7]

678. تاریخ بغداد عن عمر بن الخطاب - لَمَّا رَأَى رَجُلًا يَسُبُّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أَطُكُّ مُنَافِقًا ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : إِنَّمَا عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ

[1] مسند ابن حنبل : ج 2 ص 256 ح 4797 .

[2] تاریخ دمشق : ج 42 ص 400 .

[3] الفتوح : ج 3 ص 77 .

[4] تاریخ دمشق : ج 53 ص 35 .

[5] الأحقاف : 15 .

[6] الاستيعاب : ج 3 ص 206 الرقم 1875 .

[7] كنز العمال : ج 5 ص 834 ح 14509 .

678. تاریخ بغداد عن عمر بن الخطاب - لَمَّا رَأَى رَجُلًا يَسُبُّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدِي . [1]

679. شرح نهج البلاغة : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ : رَجِمَ اللَّهُ أَبَا حَسَنِ ! فَلَقَدْ كَانَ هَشَا بَشَا ، ذَا فُكَاهَةٍ . قَالَ قَيْسٌ : نَعَمْ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَمَزُجُ وَيَبْتَسِمُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَأَرَاكَ تُسِيرُ حَسْبَا فِي ارْتِغَاءٍ [2] ، وَتَعْبِيهُ بِذَلِكَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ مَعَ تِلْكَ الْفُكَاهَةِ وَالطَّلَاقَةِ أَهْيَبَ مِنْ ذِي لَبْدَتَيْنِ ، قَدْ مَسَّهُ الطَّوَى ، تِلْكَ هَيْبَةُ التَّقْوَى ، وَلَيْسَ كَمَا يَهَابُكَ طَعَامُ [3] أَهْلِ الشَّامِ . [4]

[1] تاریخ بغداد : ج 7 ص 453 الرقم 4023 .

[2] قال الميداني : «يُسِيرُ حَسْبَا فِي ارْتِغَاءٍ» الارْتِغَاءُ : شَرْبُ الرَّغْوَةِ . أَصْلُهُ : الرَّجُلُ يُؤْتَى بِاللِّبَنِ ؛ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ يَرِيدُ الرَّغْوَةَ خَاصَّةً وَلَا يَرِيدُ غَيْرَهَا ، فَيَشْرِبُهَا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَنَالُ مِنَ اللَّبَنِ . يَضْرِبُ لِمَنْ يَرِيكَ أَنَّهُ يَعِينُكَ ، وَإِنَّمَا يَجْرُ النَّفْعُ إِلَى نَفْسِهِ (مجمع الأمثال : ج 3 ص 525 الرقم 4680) .

[3] الطَّعام : من لا عقل له ولا معرفة ، وقيل : هم أوعاد الناس وأراذلهم (النهاية : ج 3 ص 128 «طعم»).

[4] شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 25 .

الفصل السابع: عليّ عليه السلام عن لسان أصحابه

680. ربيع الأبرار : سأل زياد بن أبيه أبا الأسود عن حبّ عليّ فقال : إنَّ حبَّ عليّ يزيد في قلبي جدّة ، كما يزيد حبّ معاوية في قلبك ؛ فإني أريد الله والدار الآخرة يحبّي عليّاً ، وأريد الدنيا يزيئها يحيك معاوية ، ومثلي ومثلك كما قال إخوة مدحج : 0 خيلانٍ مختلفٍ شأننا أريد العلاء وبهوى اليمّ 0 0 أحبّ دماء بني مالك وراق المعلّى [1] . بياض اللّبن [2] . 0

681. تنبيه الخواطر عن الأحنف بن قيس - لمّا سأله معاوية عن أمير المؤمنين: كان أخذاً بثلاثٍ تاركاً لثلاثٍ : أخذاً يفلوب الرّجال إذا حدّث ، حسن الاستماع إذا حدّث ، أيسر الأمرين عليه إذا خولف ، تاركاً للمراء ، تاركاً لمفارقة اللّئيم ، تاركاً لما يعتدّ منه . [3]

682. الصواعق المحرقة : قال معاوية لخاليد بن معمرٍ : لم أحببت عليّاً علينا ؟ قال : على ثلاثٍ خصالٍ : على حلمه إذا غضب ، وعلى صدقه إذا قال ، وعلى عدله إذا حكّم . [4]

[1] في المصدر : «العلی» ، والصحيح ما أثبتناه كما في تاج العروس : ج 19 ص 698 .

[2] ربيع الأبرار : ج 3 ص 479 .

[3] تنبيه الخواطر : ج 2 ص 14 .

[4] الصواعق المحرقة : ص 132 .

683. الإمام الصادق عليه السلام : لمّا ضرع زيد بن صوحان - رحمه الله - عليه - يوم الجملي ، جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى جلس عند رأسه فقال : رحمتك الله يا زيد ، قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة . قال : فرقع زيد رأسه إليه وقال : وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين ، فوالله ما غلّمتك إلا بالله عليماً ، وفي أم الكتاب عليّاً حكماً ، وأن الله في صدرك لعظيم . والله ما قاتلت معك على جهالةٍ ، ولكنتي سمعت أم سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم والي من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله» فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله . [1]

684. تاريخ البيهقي - في ذكر بيعة الناس لأمير المؤمنين ع: . . . وقام صمصمة بن صوحان فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لقد زينت الخلافة وما زانتك ، ورفعتها وما رفعتك ، ولهي إليك أحوج منك إليها . [2]

685. تذكرة الخواص عن عمرو بن يحيى عن صمصمة بن صوحان إنّه مرّ على المغيرة بن شعبه فقال له : من أين أقبلت ؟ فقال : من عند الوليّ التقيّ الجواد الحبيّ [3] الخليم الوقّي الكريم الحفيّ ، المانع بسيفه ، الجواد بكفه ، الورّي زنده [4] ، الكثير رفده ، الذي هو من ضيضي [5] أشراف أمجاد ليوث أنجاد ، ليس بإقعاد [6] ولا إنكاد ، ليس في أمره ولا في

[1] رجال الكشي : ج 1 ص 284 الرقم 119 .

[2] تاريخ البيهقي : ج 2 ص 179 .

[3] في المصدر : «الحي» وهو تصحيف .

[4] الرّند : العود الأعلى الذي يقتدح به النار . وإنّه لواري الرّند ووربه : يكون ذلك في الكرم وغيره من الخصال المحمودة (لسان العرب : ج 3 ص 195) .

[5] الضنصيّ : هو الأصل والمعدن (لسان العرب : ج 1 ص 110) .

[6] الإقعاد : قلة الآباء والأجداد ؛ وهو مذموم (لسان العرب : ج 3 ص 362) .

685. تذكرة الخواصّ عن عمرو بن يحيى عن صعصعة بن صوحان قوله قَدْ لَيْسَ بِالطَّائِشِ النَّزْفِي ، وَلَا بِالرَّائِيَةِ الْمَذْفِي [1] ، كَرِيمُ الْأَبْنَاءِ ، شَرِيفُ الْأَبَاءِ ، حَسَنُ الْبَلَاءِ ، ثَابِتُ السَّنَاءِ ، مُجَرَّبُ مَشْهُورٍ ، وَشَجَاعُ مَذْكُورٍ ، زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا ، رَاغِبٌ فِي الْآخِرَى . فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : هَذِهِ صِفَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [2]

686. مروج الذهب : دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ ضَمَرَةَ ؛ وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ عَلِيِّ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَافِدًا ، فَقَالَ لَهُ : صِفْ لِي عَلِيًّا . قَالَ : أَغْنِيَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَقَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِيهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ تَوَاحِيهِ ، يُعْجِبُهُ مِنَ الطَّعَامِ مَا خَشِنَ ، وَمِنَ الْلبَاسِ مَا قَصُرَ . وَكَانَ وَاللَّهِ يُجِيبُنَا إِذَا دَعَوْنَاهُ ، وَيُعْطِينَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَكُنَّا وَاللَّهِ - عَلَى تَقْرِيبِهِ لَنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ ، وَلَا تَبْتَدِئُهُ لِعَظَمِهِ فِي نُفُوسِنَا ، يَسِيمُ عَنْ نَعْرِ كَالْوُلُؤِ الْمَنْطُومِ ، يُعْظِمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيَرْحَمُ الْمَسَاكِينَ ، وَيُطْعِمُ فِي الْمَسْجِدِ يَتِيمًا ذَا مَقَرَّةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتَرَةٍ ، يَكْسُو الْعُرْيَانَ ، وَيَنْصُرُ الْأَهْلَافَ ، وَيَسْتَوْجِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ . وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ أَرَحَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ ، وَهُوَ فِي مُحَرَابِهِ قَائِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ [3] . وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، وَيَقُولُ : « يَا دُنْيَا غُرِّيْ غَيْرِي ، إِلَيَّ تَعَرَّضْتَ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّفْتَ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! لَا حَانَ حَيْثُكَ ، قَدْ أَتَيْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكَ ، غُمْرُكَ قَصِيرٌ ، وَعَيْشُكَ خَقِيرٌ ، وَخَطَرُكَ يَسِيرٌ ، أَهْ مِنْ قِلَّةِ الرَّادِّ وَبُعْدِ السَّقَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ .

[1] الرايث : من الرّيث : الإبطاء . ورجلٌ مذيقٌ : ملول (لسان العرب : ج 2 ص 157 و ج 10 ص 340) .

[2] تذكرة الخواصّ : ص 118 .

[3] السّليم : اللديغ . يقال : سلّمته الحيّة : أي لدّعته (لسان العرب : ج 12 ص 292) .

686. مروج الذهب : فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : زِدْنِي شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ ، فَقَالَ ضِرَارٌ : كَانَ يَقُولُ : أُعْجِبَ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ . . . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : زِدْنِي كَلِمًا وَعَيْتَهُ مِنْ كَلَامِهِ ، قَالَ : هَيْهَاتَ أَنْ آتِيَّ عَلَى جَمِيعٍ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ . [1]

687. الكامل في التاريخ - في ذكر مقتل حُجْر بن عديٍّ وأصحابه :- قَالَ [مُعَاوِيَةُ] لِغَيْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ : يَا أَخَا رَبِيعَةَ ، مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ ؟ قَالَ : دَعَنِي وَلَا تَسْأَلْنِي فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْعُكَ . قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ تَعَالَى كَثِيرًا ، مِنَ الْأَمِيرِينَ بِالْحَقِّ ، وَالْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ . قَالَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي عُثْمَانَ ؟ قَالَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ أَبْوَابَ الظُّلْمِ ، وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ الْحَقِّ . قَالَ : قَتَلْتَ نَفْسَكَ ! قَالَ : بَلْ إِنِّي أَكْتُفِلْتُ ، وَلَا رَبِيعَةَ بِالْوَادِي : يَعْنِي لِيَشْفَعُوا فِيهِ . قَرَدَهُ مُعَاوِيَةُ إِلَى زِيَادٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ سَرًّا قَتْلَةً ، فَدَفَنَهُ حَتَّى . [2]

688. رجال الكشي : سُئِلَ قَنْبَرٌ : مَوْلَى مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا مَوْلَى مَنْ ضَرَبَ بِسَيْفَيْنِ ، وَطَعَنَ بِرُمَحَيْنِ ، وَصَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ ، وَبَايَعَ التَّبِعَتَيْنِ ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ . أَنَا مَوْلَى صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ ، وَخَيْرِ الْوَصِيِّينَ ، وَأَكْبَرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَعْسُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنُورِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَرَبِّيسِ الْبَكَائِينَ ، وَرَبِّ الْعَائِدِينَ ، وَسِرَاجِ الْمَاضِينَ ، وَضَوْءِ الْقَائِمِينَ ، وَأَفْضَلِ الْقَائِمِينَ ، وَلِسَانِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ آلِ يَاسِينَ . الْمُؤَيَّدِ بِجَبْرِائِلِ الْأَمِينِ ، وَالْمَنْصُورِ بِمِيكَائِيلِ الْمَتِينِ ، وَالْمَحْمُودِ عِنْدَ أَهْلِ

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 433 .

[2] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 498 .

688. رجال الكشي : السَّمَاوَاتِ أَجْمَعِينَ ، سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ وَالسَّائِقِينَ ، وَقَائِلِ التَّاكِيَتِينَ وَالْقَاسِطِينَ ، وَالْمُحَامِي عَنِ حَرَمِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُجَاهِدِ أَعْدَاءَهُ النَّاصِبِينَ ، وَمُطْفِئِ نِيرَانِ الْمُؤَفِدِينَ ، وَأَفْخَرِ مَنْ مَشَى مِنْ قُرَيْشٍ أَجْمَعِينَ ، وَأَوَّلِ مَنْ حَارَبَ وَاسْتَجَابَ لِلَّهِ ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَصِيِّ نَبِيِّهِ فِي الْعَالَمِينَ ، وَأَمِينِهِ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ ، وَخَلِيقَةٍ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ وَالسَّائِقِينَ ، وَقَائِلِ التَّاكِيَتِينَ وَالْقَاسِطِينَ ، وَمُبِيدِ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَهْمٍ مِنْ مَرَامِي اللَّهِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، وَلِسَانِ كَلِمَةِ الْعَائِدِينَ . نَاصِرِ دِينِ اللَّهِ ، وَوَلِيِّ اللَّهِ ، وَلِسَانِ كَلِمَةِ اللَّهِ ، وَنَاصِرِهِ فِي أَرْضِهِ ، وَعَبِيَّةِ عِلْمِهِ ، وَكَهْفِ دِينِهِ ، إِمَامِ الْأَبْرَارِ ، مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْعَلِيُّ الْجَبَّارُ . سَمِخٌ ، سَخِيٌّ ، حَيِيٌّ [1] ، بُهْلُولٌ ، سَنَحْجِيٌّ [2] ، زَكِيٌّ ، مُطَهَّرٌ ، أَبْطَحِيٌّ ، بَازِلٌ ، جَرِيٌّ ، هُمَامٌ ، صَابِرٌ [3] . صَوَامٌ ، مَهْدِيٌّ ، مُقَدِّمٌ ، قَاطِعُ الْأَصْلَابِ ، مُقَرِّقُ الْأَحْزَابِ ، عَالِي الرِّقَابِ ، أَرْبَطُهُمْ عِنَانًا ، وَأَتْبَتُهُمْ جَنَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً [4] . بَازِلٌ [5] ، بَاسِلٌ ، صَنِيدٌ ، هَزْبَرٌ ، ضِرْعَامٌ ، حَازِمٌ ، عَزَامٌ ، حَصِيفٌ ، خَطِيبٌ ، مُحِجَّاجٌ ، كَرِيمُ الْأَصْلِ ، شَرِيفُ الْفَضْلِ ، فَاضِلُ الْقَبِيلَةِ ، نَقِيُّ الْعَشِيرَةِ ، زَكِيُّ الرِّكَاتَةِ [6] . مُؤَيَّدِي الْأَمَانَةِ . مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْإِمَامِ ، مَهْدِيِّ الرَّشَادِ ، مُجَانِبِ الْفَسَادِ ، الْأَشْعَثُ الْحَاثِمُ ، الْبَظَلُ الْجَمَاجِمُ ، وَاللَّيْثُ الْمُرَاجِمُ ، بَدْرِيٌّ ، مَكِّيٌّ ، حَتَفِيٌّ ، رُوحَانِيٌّ ، شَعَشَعَانِيٌّ . مِنَ الْجِبَالِ شَوَاهِقُهَا ، وَمِنَ الْهَضَابِ رُؤُوسُهَا ، وَمِنَ الْعَرَبِ سَيِّدُهَا ، وَمِنَ الْوَعَى لَيْثُهَا .

[1] في المصدر : «حيّ» ، والصحيح ما أثبتناه كما في الاختصاص .

[2] أي لا ينام الليل ؛ فهو متيقظ أبدا (النهاية : ج2 ص407) .

[3] في المصدر : «همام الصابر» ، والصحيح ما أثبتناه كما في الاختصاص .

[4] الشكيمة : قوّة القلب ، وإثّه لشديد الشكيمة : إذا كان شديد النفس أنفاً أبيّا (لسان العرب : ج12 ص324) .

[5] أي مستجمع الشباب ، مستكمل القوّة (لسان العرب : ج11 ص53) .

[6] من ركن : إذا كان ساكنا وقورا (لسان العرب : ج13 ص186) .

688. رجال الكشي : البطّل الهمام ، واللبث المقدام ، والتدرّ التمام ، محكّ المؤمنين ، ووارث المشعرين ، وأبو السبطين الحسن والحسين ، واللّه أمير المؤمنين حقا حقا عليّ بن أبي طالب عليه من اللّه الصلوات الركيّة والبركات السنيّة . [1]

689. تاريخ يعقوبي - في ذكر بيعة الناس لأمير المؤمنين ع: . . . ثم قام مالك بن الحارث الأشتر فقال : أيّها الناس ! هذا وصي الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء ، العظيم البلاء ، الحسن الغناء ، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله بحجّة الرضوان ، من كملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سايقته وعلمه وفضله الأواجر ولا الأوائل . [2]

[1] في المصدر : «حيّ» ، والصحيح ما أثبتناه كما في الاختصاص .

[2] أي لا ينام الليل ؛ فهو متيقظ أبدا (النهاية : ج2 ص407) .

[3] في المصدر : «همام الصابر» ، والصحيح ما أثبتناه كما في الاختصاص .

[4] الشكيمة : قوّة القلب ، وإثّه لشديد الشكيمة : إذا كان شديد النفس أنفاً أبيّا (لسان العرب : ج12 ص324) .

[5] أي مستجمع الشباب ، مستكمل القوّة (لسان العرب : ج11 ص53) .

[6] من ركن : إذا كان ساكنا وقورا (لسان العرب : ج13 ص186) .

[7] رجال الكشي : ج1 ص288 الرقم 129 .

[8] تاريخ يعقوبي : ج2 ص179 .

الفصل الثامن: عليّ عليه السلام عن لسان أعدائه

أ - معاوية بن أبي سفيان

690. سير أعلام النبلاء عن عبيد : جاء أبو مسلم الخولاني وأناس إلى معاوية وقالوا : أنت تثارع عليّا ، أم أنت مثله ؟ فقال : لا واللّه ، إني لأعلم أنّه أفضل مني وأحقّ بالأمر مني . [1]

691. تاريخ دمشق عن جابر : كُنا عند معاوية فذكر عليّ ، فأحسن ذكره وذكر أبيه وأمه ، ثم قال : وكيف لا أقول هذا لهم ؟ هم خيار خلق الله ، وعنده بنوهم أخيار أبناء أخيار . [2]

692. مقتل أمير المؤمنين عن مغيرة : لما حيّ معاوية يتعي عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو قائل [3] مع امرأته ابنة قرطبة في يوم صائف فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا فقدوا من العلم والخير والفضل واليقه ؟ قالت امرأته : بالأمس كنت تطعن في عيني وتسترجع اليوم عليّ ! قال : ويلك ! لا تدريين ماذا فقدوا من علمه وفضله وسوايقه ! [4]

[1] سير أعلام النبلاء : ج3 ص140 ح25 .

[2] تاريخ دمشق : ج42 ص415 .

[3] من القبولة : الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم (النهاية : ج4 ص133) .

ب - عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ

693. وقعة صفين عن عمر بن سعد بإسناده : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرٍو : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى جِهَادِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي عَصَى رَبَّهُ وَقَتَلَ الْخَلِيفَةَ ، وَأُظْهِرَ الْفِتْنَةَ ، وَفَرَّقَ الْجَمَاعَةَ ، وَقَطَعَ الرَّجِمَ !! قَالَ عَمْرُو : إِلَى مَنْ ؟ قَالَ : إِلَى جِهَادِ عَلِيٍّ . فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ يَا مُعَاوِيَةُ ، مَا أَنْتَ وَعَلِيٌّ بِعِصْمِي [1] . تَعِيرُ ، مَا لَكَ هَجْرَتُهُ وَلَا سَابِقَتُهُ ، وَلَا صُحْبَتُهُ ، وَلَا جِهَادُهُ ، وَلَا فَهْمُهُ وَعِلْمُهُ . وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ مَعَ ذَلِكَ حَدًّا وَجِدًّا ، وَحَظًّا وَخُطُوءَةً ، وَبَلَاءً مِنَ اللَّهِ حَسَنًا ، فَمَا تَجْعَلُ لِي إِنْ شَاعَتُكَ عَلَى حَرَبِهِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْغَرَرِ وَالْخَطَرِ ؟ قَالَ : حُكْمَكَ . قَالَ : مِصْرَ طُعْمَةً . [2]

ج - مَرَوَانُ بْنُ الْحَكَمِ

694. شرح نهج البلاغة عن ابن أبي سيف : خَطَبَ مَرَوَانُ وَالْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسٌ قَنَازَ مِنْ عَلِيٍّ ، فَقَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيْلَكَ يَا مَرَوَانُ !! أَهَذَا الَّذِي تَشْتُمُ شَرَّ النَّاسِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ . [3]

د - الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

695. الإرشاد : قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِنَبِيِّهِ يَوْمًا : يَا بَنِيَّ عَلَيْكُمْ بِالَّذِينَ ، فَإِنِّي لَمْ أَرِ الَّذِينَ بَنَى شَيْئًا فَهَدَمْتُهُ الدُّنْيَا ، وَرَأَيْتُ الدُّنْيَا قَدْ بَنَتْ بُنْيَانًا هَدَمَهُ الدِّينُ . مَا زِلْتُ أَسْمَعُ

[1] العُكْمَانُ : عِدْلَانِ يُشَدَّانِ عَلَى جَانِبِي الْهُودَجِ بَثُوبٍ (لسان العرب : ج 12 ص 415) .

[2] وقعة صفين : ص 37 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 13 ص 220 .

695. الإرشاد : أَصْحَابُنَا وَأَهْلُنَا يَسْتَبُونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَيَدْفِنُونَ قَضَائِلَهُ ، وَيَحْمِلُونَ النَّاسَ عَلَى شَتَائِهِ ، فَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا قُرْبًا ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَقْرِيْبِهِمْ مِنْ نُفُوسِ الْخَلْقِ فَلَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بُعْدًا . [1]

ه - عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرَوَانَ

696. شرح نهج البلاغة عن عمر بن عبد العزيز : كَانَ أَبِي يَخْطُبُ فَلَا يَزَالُ مُسْتَمِرًّا فِي خُطْبَتِهِ ، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى ذِكْرِ عَلِيٍّ وَسَيِّئِهِ تَقَطَّعَ لِسَانُهُ ، وَاصْفَرَ وَجْهُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ حَالُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَوْقَدْ قَطَنْتَ لِي ذَلِكَ ؟ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَوْ يَعْلَمُونَ مِنْ عَلِيٍّ مَا يَعْلَمُهُ أَبُوكَ مَا تَبِعْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا . [2]

[1] الإرشاد : ج 1 ص 310 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 13 ص 221 .

الفصل التاسع: عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ لِسَانِ الشُّعْرَاءِ

كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ [1]

697. من شعراء القرن الأول ، يقول : 0 0 إِنَّ عَلِيًّا لَمَيِّمُونَ تَغْيِيْبُهُ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَفْعَالِ مَحْبُورُ 0 0 صِهْرُ النَّبِيِّ وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُلُّ مَنْ رَامَهُ بِالْفَخْرِ مَفْخُورُ 0 0 صَلَّى الصَّلَاةَ مَعَ الْأَمِيِّ أَوْلَهُمْ قَبْلَ الْعِبَادِ وَرَبُّ النَّاسِ مَكْفُورُ 0 0 بِالْعَدْلِ قُتِمَ أَمِينًا حِينَ خَالَقَهُ أَهْلُ الْهَوَى مِنْ ذَوِي الْأَهْوَاءِ وَالزُّورِ 0 0 يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ نَعْلًا لَهُ قَدَمٌ إِلَّا التَّبِيَّ لَدَيْهِ الْبَغْيُ مَهْجُورُ 0 0 اللَّهُ أُعْطَاكَ فَضْلًا لَا زَوَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَنِي لَهُ الْأَيَّامُ تَغْيِيرُ [2] 0

الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ الْأَسَدِيُّ [1]

698. الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ الْأَسَدِيُّ 0 عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَقُّهُ مِنَ اللَّهِ مَفْرُوضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ 0 0 وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَى بِحَقِّهِ وَأَشْرَكَهُ فِي كُلِّ حَقٍّ مُقَسَّمٍ 0 0 وَزَوْجَهُ صَدِيقَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا مُعَادِلَةٌ غَيْرَ الْبَتُولَةِ مَرْتَبِمْ 0 0 وَرَدَّ أَبْوَابَ الَّذِينَ بَنَى لَهُمْ بُيُوتًا سِوَى أَبَوَيْهِ لَمْ يُرَدِّمْ 0 0 وَأَوْجَبَ يَوْمًا بِالْعَدِيرِ وَلَايَةً عَلَى كُلِّ بَرٍّ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمَ [2] 0

السَّيِّدُ الْجَمِيرِيُّ [3]

699. من أكابر الشعراء في القرن الثاني ، يقول : { 0 أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآيَةِ وَالْمَرْءِ عَمَّا قَالَ مَسْؤُولُ 0 } { 0 إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الثَّقَلَيْنِ وَالْبَيْتِ مَجْبُوكُ 0 } { 0 } وَإِنَّهُ كَانَ الْإِمَامَ الَّذِي لَهُ عَلَى الْأُمَّةِ تَفْضِيلُ 0

[1]. أبو المستهل الكميّ بن زيد بن خنيس : قال أبو الفرج : شاعر مقدّم عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، من شعراء مضر وألسنتها ، وكان في أيام بني أمية ، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة ومات قبلها ، وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك . وقال بعضهم : كان في الكميّ عشر خصال لم تكن في شاعر : كان خطيب أسد ، فقيه الشيعة ، حافظ القرآن العظيم ، ثبت الجنان ، كاتباً حسن الخط ، نسابة جديلاً ، وهو أوّل من ناظر في التشيع ، رامياً لم يكن في أسد أرمى منه ، فارساً شجاعاً سخياً دنيّاً ، وهو شاعر أهل البيت عليهم السلام ، وقد ورد عنهم عليهم السلام في حقّه مدائح قيّمة ، ولادته سنة 60 هـ ووفاته سنة 126 هـ (راجع : الغدير : ج 2 ص 195 و 211) .

[2] الغدير : ج 2 ص 195 .

[3]. إسماعيل بن محمّد بن يزيد بن ربيعة الجُميري : ولد في سنة 105 هـ ، قال: كنت وأنا صبي أسمع أبويّ يثلبان أمير المؤمنين عليه السلام فأخرج عنهما وأبقى جئنا ، وأوثر ذلك على الرجوع إليهما ، فأبيت في المساجد جائعاً لحبّي لفرافهما وبغضي لهما . والذي يجمع عليه المؤرّخون أنّه اعتنق أوّل ما اعتنق المذهب الكيساني ، ولكنّه اعتنق مذهب الإماميّة بعد أن لقي الإمام الصادق عليه السلام فناظره وألزمه الحجّة.توفيّ سنة 173 هـ ودفن بالجنيّة ببغداد (راجع : ديوان السيّد الحميري : ص 5) .

699. من أكابر الشعراء في القرن الثاني ، يقول : 0 يَقُولُ بِالْحَقِّ وَيَعْنِي [1] بِهِ وَلَا تُلْهِمِيهِ الْأَبَاطِيلُ 0 0 كَانَ إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْهَا الْقَنَا [2] وَأَحْجَمَتْ عَنْهَا الْبَهَائِلُ [3] 0 0 يَمْشِي إِلَى الْقِرْنِ وَفِي كَفِّهِ أَبْيَضُ مَاضِي الْحَدِّ مَصْقُولُ 0 0 مَشَى الْعَقْرَنِي [4] بَيْنَ أَشْبَالِهِ أَبْرَزَهُ لِقَتَصِ الْعَيْلِ [5] 0 0 ذَاكَ الَّذِي سَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ عَلَيْهِ مِيكَالٌ وَجَبْرِيلُ 0 0 مِيكَالٌ فِي أَلْفٍ وَجَبْرِيلُ فِي أَلْفٍ وَيَتْلُوهُمْ سَرَّافِيلُ 0 0 لَيْلَةً بَدَرٍ مَدَدًا أَنْزَلُوا كَأَنَّهُمْ طَيْرٌ أَبَابِيلُ 0 0 فَسَلَّمُوا لَمَّا أَتَوْا حَذُوهُ وَذَاكَ إِعْظَامٌ وَتَبْجِيلُ [6] 0

العَبِيدِيُّ الْكُوفِيُّ [7]

700. الْعَبِيدِيُّ الْكُوفِيُّ { 0 لَكَ الْمَنَاقِبُ يَعْتَى الْحَاسِبُونَ بِهَا عَدًّا وَيَعْجِزُ عَنْهَا كُلُّ مُكْتَتِبٍ 0 } { 0 كَرَجَعَةَ الشَّمْسِ إِذْ رُمَتْ الصَّلَاةُ وَقَدْ رَاحَتْ تَوَارَى عَنِ الْأَبْصَارِ بِالْحُجُبِ { 0

[1] في أعيان الشيعة : « يقضي » وهو الأنسب . وفي بشارة المصطفى : « يفتي » .

[2] مريّ الشبيء : استخرجه ، ومنه : مريثُ الفرس : إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره . والقنّى : جمع قناة ؛ أي الرمح (تاج العروس : ج 20 ص 182 «مري» و ص 102 «قنو») .

[3] البهلؤل : العزيز الجامع لكلّ خير ، والحييّ الكريم (لسان العرب : ج 11 ص 73 «بهل») .

[4] الْعَقْرَنِي : الأسد الشديد (النهاية : ج 3 ص 262 «عقر») .

[5] الْعَيْلُ : الأجمة وموضع الأسد (لسان العرب : ج 11 ص 512 «غيل») .

[6] الأمالى للطوسى : ص ، 198 ح 339 .

[7] أبو محمد سفيان بن مصعب العبدى الكوفي : من شعراء أهل البيت الطاهر ، المتزلفين إليهم بولائه وشعره ، المقبولين عندهم لصدق نيته وانقطاعه إليهم ، قال الإمام الصادق عليه السلام : «علموا أولادكم شعر العبدى ، فإنه على دين الله» (رجال الكشي : ج 2 ص 704 الرقم 748) ، ولم نجد في غير آل الله له شعرا ، وإن الواقف على شعره وما فيه من الجودة والجزالة والسهولة والعذوبة والمتانة ويرى ثناء الجُميري سيّد الشعراء عليه بأنه أشعر الناس من أهله في محله (راجع : الغدير : ج 2 ص 294 - 297) .

700. العبدى الكوفي 0 رُدّت عَلَيْكَ كَأَنَّ الشَّهَبَ مَا انْتَضَحَتْ لِنَاطِرٍ وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ 0 0 وفي بَرَاءَةِ أَنْبَاءٍ عَجَائِبُهَا لَمْ تُطَوِّعَنَّ نَارِحَ يَوْمًا وَمُقْتَرَبِ 0 0 وَلَيْلَةِ الْغَارِ لَمَّا يَتَّ مُمْتَلِنًا أَمِنَا وَغَيْرَكَ مَلَأَتْ مِنَ الرَّعْبِ 0 0 مَا أَنْتَ إِلَّا أَخُو الْهَادِي وَنَاصِرُهُ وَمُطَهِّرُ الْحَقِّ وَالْمَنْعُوتُ فِي الْكُتُبِ 0 0 وَزَوْجُ بَضْعَةِ الزَّهْرَاءِ يَكْنُفُهَا دُونَ الْوَرَى وَأَبُو أَبْنَائِهِ الثُّجْبِ [1] 0

الشَّافِعِيُّ

701. أحد أئمة أهل السنة ، يقول : 0 إذا فِي مَجْلِسٍ نَذَكُرُ عَلِيًّا وَسِبْطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّةَ 0 0 يُقَالُ تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيَّةِ 0 0 بَرِنْتُ إِلَى الْمُهَيِّمِينَ مِنْ أَنْاسِي بَرَوْنَ الرَّفَضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ [2] 0 وله أيضا : 0 يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ خُبُّكُمْ قَرْضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ 0 0 يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْتُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ [3] 0 وله أيضا : 0 إِلَامَ إِلَامٍ وَحَتَّى مَتَى أَعَاتَبَ فِي حُبِّ هَذَا الْقَتَى ؟ 0 0 وَهَلْ زُوِّجْتَ فَاطِمَةَ غَيْرَهُ وَفِي غَيْرِهِ هَلْ أَتَى «هَلْ أَتَى» [4] ؟ [5] 0

[1] الغدير : ج 2 ص 291 - 293 .

[2] ديوان الشافعي : ص 83 .

[3] ديوان الشافعي : ص 68 .

[4] الإنسان : 1 .

[5] الصراط المستقيم : ج 1 ص 183 .

الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ [1]

702. من جهازة العلماء والأدباء في القرن الرابع ، يقى 0 قالت : فَمَنْ صَاحِبُ الدِّينِ الْحَنِيفِ أَجِبْ ؟ فَقُلْتُ : أَحْمَدُ خَيْرُ السَّادَةِ الرَّشْلِ 0 0 قالت : فَمَنْ بَعْدَهُ تُصْفِي الْوَلَاءَ لَهُ ؟ قُلْتُ : الْوَصِيُّ الَّذِي أَرَبَى عَلَى رُحْلِ 0 0 قالت : فَمَنْ بَاتَ مِنْ فَوْقِ الْفِرَاشِ فِدَى ؟ فَقُلْتُ : أَثَبْتُ خَلْقَ اللَّهِ فِي الْوَهْلِ [2] 0 0 قالت : فَمَنْ دَا الَّذِي أَخَاهُ عَنْ مَقَةٍ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ حَازَ رَدَّ الشَّمْسِ فِي الطَّغْلِ 0 0 قالت : فَمَنْ زَوَّجَ الزَّهْرَاءَ فَاطِمَةَ ؟ فَقُلْتُ : أَفْضَلُ مَنْ حَافِيَ وَمُسْتَعِيلِ 0 0 قالت : فَمَنْ وَالِدُ السَّيِّطِينَ إِذْ قَرَعَا ؟ فَقُلْتُ : سَابِقُ أَهْلِ السَّقِي فِي مَهَلِ 0 0 قالت : فَمَنْ فَازَ فِي بَدْرِ يَمْعِزِهَا ؟ فَقُلْتُ : أَضْرَبَ خَلْقَ اللَّهِ فِي الْغُلِّ 0 0 قالت : فَمَنْ أَسَدُ الْأَحْرَابِ يَفْرِسُهَا ؟ فَقُلْتُ : قَاتِلُ عَمْرُو الصَّيْغِمِ الْبَطْلِ 0 0 قالت : فَيَوْمَ حُبَيْنَ مَنْ قَرَا وَبَرَا ؟ فَقُلْتُ : حَاصِدُ أَهْلِ الشَّيْكِ فِي عَجَلِ 0 0 قالت : فَمَنْ ذَا دُعِيَ لِلطَّيْرِ يَأْكُلُهُ ؟ فَقُلْتُ : أَقْرَبُ مَرَضِيٍّ وَمُسْتَعِيلِ 0 0 قالت : فَمَنْ يَلُوهُ يَوْمَ الْكِسَاءِ أَجِبْ ؟ فَقُلْتُ : أَفْضَلُ مَكْسُوٍّ وَمُسْتَمِيلِ 0

[1] هو أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن العبّاس الطالقاني : ولد سنة 326 هـ . نفسيته من النفسيات التي أعيت البليغ حدودها ؛ فهي تستدعي الإفاضة في تحليلها من ناحية العلم طورا ، ومن ناحية الأدب تارة ، كما تسترسل القول من وجهة السياسة مرة ومن وجهة العظمة أخرى ، إلى جود هامر وفضل وافر ، وفصائل لا تحصى . وصفه شيخنا الحرّ العاملي بأنه محقق متكلم عظيم الشأن جليل القدر ، كما أنّ الثعالبي جعله أحد أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في كتابه فقه اللغة . وقال السيّد في الدرجات الرفيعة : إنّ صاحب قال قصيدة معرّاة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولا في المنثور والمنظوم ، وهي في مدح أهل البيت عليهم السلام في سبعين بيتا ، فتعجب الناس ، وتداولتها الرواة ، فسارت مسير الشمس في كلّ بلدة ، فاستمرّ على تلك الطريقة وعمل قصائد كلّ واحدة منها خالية من حرف واحد من حروف الهجاء وبقيت عليه واحدة تكون خالية من الواو . وتوفي سنة 385 هـ بالرّي (راجع : الغدير : ج 4 ص 42) .

[2] الوهل : الفرع (لسان العرب : ج 11 ص 737 «وهل») .

702. من جهازة العلماء والأدباء في القرن الرابع ، بق 0 قالت : فَمَنْ سَادَ فِي يَوْمِ «الغدِير» أَيْنَ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ كَانَتْ لِلإِسْلَامِ خَيْرٌ وَلِيٌّ 0 0 قالت : فَفِي مَنْ أُنْثِيَ فِي هَلْ أُنْثِيَ شَرَفٌ ؟ فَقُلْتُ : أَتَذَلُّ أَهْلَ الْأَرْضِ لِلنَّهْلِ 0 0 قالت : فَمَنْ رَاكَ زَكَاةً يَخَاتِمُهُ ؟ فَقُلْتُ : أَطْعَمَهُمْ مُدَّ كَاتٍ بِالْأَسَلِ [1] 0 0 قالت : فَمَنْ ذَا قَسِيمِ النَّارِ يُسَهِّمُهَا ؟ فَقُلْتُ : مَنْ رَأَيْتُهُ أَذْكَى مِنْ الشُّعْلِ 0 0 قالت : فَمَنْ بَاهَلَ الطُّهْرَ النَّبِيَّ بِهِ ؟ فَقُلْتُ : نَالِيهِ فِي حِلٍّ وَمُتَحَلٍّ 0 0 قالت : فَمَنْ شَبِهَ هَارُونَ لِيَعْرِقَهُ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ لَمْ يَحُلْ يَوْمًا وَلَمْ يَزَلْ 0 0 قالت : فَمَنْ ذَا عَدَا بَابَ الْمَدِينَةِ قُلٌّ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ سَأَلُوهُ وَهُوَ لَمْ يَسَلْ 0 0 قالت : فَمَنْ قَاتِلُ الْأَقْوَامِ إِذْ نَكَنُوا ؟ فَقُلْتُ : تَفْسِيرُهُ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ 0 0 قالت : فَمَنْ حَارَبَ الْأَرْجَاسَ إِذْ قَسَطُوا ؟ فَقُلْتُ : صَقِيقُ ثُبْدِي صَفْحَةَ الْعَمَلِ 0 0 قالت : فَمَنْ فَارَعَ الْأَنْجَاسَ إِذْ مَرَقُوا ؟ فَقُلْتُ : مَعْنَاهُ يَوْمَ التَّهَرُّوَانِ جَلِي 0 0 قالت : فَمَنْ صَاحِبُ الْحَوْضِ الشَّرِيفِ عَدَا ؟ فَقُلْتُ : مَنْ بَيْتُهُ فِي أَشْرَفِ الْحُلَلِ 0 0 قالت : فَمَنْ ذَا لَوَاءِ الْحَمْدِ يَحْمِلُهُ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّوْعِ بِالْوَجَلِ 0 0 قالت : أَكُلُّ الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِي رَجُلٍ ؟ فَقُلْتُ : كُلُّ الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِي رَجُلٍ 0 0 قالت : فَمَنْ هُوَ هَذَا الْقَرْدُ سِمَهُ لَنَا ؟ فَقُلْتُ : ذَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ [2] 0

إِبْنُ أَبِي الْحَدِيدِ

703. من جهازة العلماء وأثبات المؤرخين في القرن السا 0 كَانَتْ طُبَاتِ الْمَشْرِقِيَّةِ [3] مِنْ كَرَى قَمَا يَبْتَغِي إِلَّا مَقَرَّ الْمَحَاجِرِ 0

[1] الْأَسَلُ : الرَّمَاحُ (لسان العرب : ج 11 ص 15 «أسل»).

[2] الغدير : ج 4 ص 40 ، المناقب لابن شهر آشوب : ج 3 ص 293 نحوه .

[3] الطُّبَةُ : حَدُّ السِّيفِ وَالسِّنَانِ وَالنَّصْلِ وَالخَنْجَرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (لسان العرب : ج 15 ص 22) . وَالْمَشْرِقِيَّةُ : نَوْعٌ مِنَ السِّبْوَفِ ؛ تَنْسَبُ إِلَى قَرْيَةٍ فِي مَشَارِفِ الشَّامِ (تاج العروس : ج 12 ص 301) .

703. من جهازة العلماء وأثبات المؤرخين في القرن السا 0 فَلَا تَحْسَبَنَّ الرَّعْدَ رَحْسَ غَمَامَةٍ وَلَكِنَّهُ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الرَّمَاجِرِ [1] 0 0 وَلَا تَحْسَبَنَّ الْبَرْقَ نَارًا قَائِمَةً وَمِصُّهُ أُنْثَى مِنْ ذِي الْقَقَارِ يَفَاقِرُ [2] 0 0 وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْنَ تَهْمِي [3] قَائِمًا أَنْامِلُهُ تَهْمِي بِأَوْطَفِ [4] هَامِرٍ [5] 0 0 تَعَالَيْتَ عَنْ مَدَحٍ فَأَبْلَغَ خَاطِبٍ يَمْدُجُ بَيْنَ النَّاسِ أَقْصَرَ قَاصِرٍ [6] 0

عَلَاءُ الدِّينِ الْجَلِّيُّ [7]

704. من أكابر العلماء والأدباء في القرن الثامن ، يقو 0 يَأْمَنُ بِهِ كَمَلُ الدِّبِّ الْخَنِيْفُ وَلِلْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ وَهْنِ مَيْلَةٍ عَصْدَا 0 0 وَصَاحِبُ النَّصِّ فِي خُمٍّ وَقَدْ رَفَعَ النَّبِيُّ [مِنْهُ] [8] عَلَى رَغَمِ الْعَدَا عَصْدَا 0 0 أَنْتَ الَّذِي اخْتَارَكَ الْهَادِي الْبَشِيرُ أَخَا وَمَا سِوَاكَ ارْتَضَى مِنْ بَيْنِهِمْ أَحَدًا 0 0 أَنْتَ الَّذِي عَجَبَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكُ فِي بَدْرِ وَمِنْ بَعْدِهَا إِذْ شَاهَدُوا أَحَدًا 0 ويقول أيضا : 0 وَحَقَّ نَصْرُكَ لِلإِسْلَامِ تَكْلُؤُهُ حِيَاظَةً بَعْدَ خَطْبِ فَادِحٍ وَرَدَى 0

[1] الزماجر : جمع زَمْجَرَةٍ ؛ وَهِيَ الصَّوْتُ ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الصَّوْتُ مِنَ الْجَوْفِ (لسان العرب : ج 4 ص 329) .

[2] فاقر : يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ افْتَقَرُ فِيهِ قَوْمٌ ، أَوْ كَسَرَ فِيهِ فَقَارٌ قَوْمٌ فَسَمِّيَ بِذَلِكَ (معجم البلدان : ج 4 ص 232) .

[3] هَمَّتْ عَيْنُهُ : صَبَّتْ دَمْعُهَا ، وَقِيلَ : سَالَ دَمْعُهَا (لسان العرب : ج 15 ص 364) .

[4] سحاب أوطف : هُوَ الَّذِي فِيهِ اسْتِرْخَاءٌ فِي جَوَانِبِهِ لِكَثْرَةِ الْمَاءِ (لسان العرب : ج 9 ص 357 - 358) .

[5] الْهَمَّارُ : السَّحَابُ السَّيَّالُ (لسان العرب : ج 5 ص 266) وَالْهَامَرُ : السَّائِلُ .

[6] الروضة المختارة : ص 126 .

[7] أَبُو الْحَسَنِ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَلِّيِّ الشَّهِيدِي ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الشَّهْقِيَّةِ : عَالِمٌ فَاضِلٌ وَأَدِيبٌ كَامِلٌ ، وَقَدْ جُمِعَ بَيْنَ الْفَضِيلَتَيْنِ عِلْمٌ غَزِيرٌ وَأَدَبٌ بَارِعٌ . وَفِي الطَّلِيْعَةِ : مِنْ شُعْرَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَقَدْ أُثْنِيَ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ الْقَاضِي فِي الْمَجَالِسِ ، وَالْحَزَّ الْعَامِلِي فِي أَمَلِ الْأَمَلِ ، وَالْمِيرِزَا صَاحِبُ رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ ، وَسَيِّدُنَا مُؤَلِّفُ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَابْنُ أَبِي شَبَانَةَ فِي تَتْمِيمِ الْأَمَلِ وَغَيْرِهِمْ (الغدير : ج 6 ص 365) .

[8] مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ أَثْبَتَاهُ مِنْ طَبْعَةِ مَرْكَزِ الْغَدِيرِ .

704. من أكابر العلماء والأدباء في القرن الثامن ، يقو 0 مَا قَصَلَ الْمَجْدُ جِلْبَابًا لِيَذِي شَرَفٍ إِلَّا وَكَانَ لِمَعْنَاكَ الْبَهِيْجِ رِدَا 0 0 يَا كَاشِفَ الْكَرْبِ عَنْ وَجْهِ النَّبِيِّ لَدَى بَدْرِ

وَقَدْ كَثُرَتْ أَعْدَاؤُهُ عَدَدًا 0 0 إِسْتَشْعَرُوا الدَّلَّ خَوْفًا مِنْ لِفَاكَ وَقَدْ تَكَاثَرُوا عَدَدًا وَاسْتَصَحَبُوا عُدَدًا 0 0 وَيَوْمَ عَمِرُو بِنَ وَدِّ الْعَامِرِيِّ وَقَدْ سَارَتْ إِلَيْكَ سَرَايَا جَيْشِهِ مَدَدًا 0 0 أَصْحَكَتْ نَعْرَ الْهُدَى بِشْرًا بِهِ وَبَكَتْ عَيْنُ الصَّلَالِ لَهُ بَعْدَ الدِّمَا مَدَدًا 0 0 وَفِي هَوَازِنَ لَمَّا نَارُهَا اسْتَعْرَتْ مِنْ عَزَمِ عَزَمِكَ يَوْمًا حَرُّهَا بَرَدًا 0 0 أَجْرَى خُسَامُكَ صَوْبًا مِنْ دِمَائِهِمْ هَدْرًا وَأَمْطَرْتُهُمْ مِنْ أَسْهُمٍ بَرَدًا 0 0 أَقْدَمْتَ وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ حِينَ رَأَوْا عَلَى النَّبِيِّ مُحِيطًا جَحَقَلًا لُبْدًا [1] 0 0 لَوْلَا خُسَامُكَ مَا وَلَّوْا وَلَا اطَّرَحُوا مِنَ الْغَنَائِمِ مَالًا وَافِرًا لُبْدًا [2] [3] 0

الشيخ أحمد السبعي الأحسائي [4]

705. من العلماء والأدباء في القرن العاشر ، يقول : {0 أَعَيْتَ صِفَاتِكَ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ وَأَوْرَدْتَهُمْ حِيَاضَ الْعَجَزِ وَالْحَصْرِ 0} {0 أَنْتَ الَّذِي دَقَّ مَعْنَاهُ لِمُعْتَبِرٍ يَا آيَةَ اللَّهِ بَلْ يَا فِتْنَةَ الْبَشَرِ 0} {0 يَا حُجَّةَ اللَّهِ بَلْ يَا مُنْتَهَى الْقَدْرِ 0} {0 عَنْ كَشْفِ مَعْنَاكَ دُوَ الْفِكْرِ الدَّقِيقِ وَهَنْ وَفِيكَ رَبُّ الْعُلَى أَهْلَ الْعُقُولِ فَتَنُ 0}

[1] لُبْدًا : أي مجتمعين (لسان العرب : ج3 ص387) .

[2] لُبْدًا : أي كثيرا لا يخاف فناؤه (لسان العرب : ج3 ص387) .

[3] الغدير : ج6 ص365 .

[4] الشيخ فخرالدين أحمد بن محمد بن عبد الله . . . بن رفاعه الرفاعي السبعي الأحسائي : كان فاضلاً في الدين ، مصفياً في أغلب العلوم ، أديبا شاعرا حسن المنثور والمنظوم ، جاء من بلاد البحرين إلى العراق ، ثم سكن الهند حتى توفي سنة تسعمائة ونيف وستين من الهجرة . وله مؤلفات كثيرة ؛ نذكر منها : تسديد الإفهام في شرح قواعد الأحكام ، والأنوار العلوية في شرح الألفية الشهيدية (راجع : أعيان الشيعة : ج3 ص123) .

705. من العلماء والأدباء في القرن العاشر ، يقول : 0 0 أَتَى تَحَدُّكَ يَا نَوْرَ الْإِلَهِ فُطُنَ يَامَنَ إِلَيْهِ إِشَارَاتُ الْعُقُولِ وَمَنْ 0 0 فِيهِ الْأَلْبَاءُ بَيْنَ الْعَجَزِ وَالْخَطَرِ 0 0 فَعَفِي خُدُونُكَ قَوْمٌ فِي هَوَاكَ غَوَا إِذْ أَبْصَرُوا مِنْكَ أَمْرًا مُعْجَزًا فَعَلَوْا 0 0 حَبِيتَ أَذْهَانُهُمْ يَا ذَا الْعُلَى فَعَلَوْا هَيِّمْتَ أَفْكَارَ ذِي الْأَفْكَارِ حِينَ رَوَّوْا 0 0 آيَاتِ شَانِكَ فِي الْأَيَّامِ وَالْعُصْرِ 0 0 أَوْضَحْتَ لِلنَّاسِ أَحْكَامًا مُحَرَّفَةً كَمَا أَتَيْتَ أَحَادِيثًا مُصَحَّحَةً 0 0 أَنْتَ الْمَقْدَمُ أَسْلَافًا وَأَسْلِقَةً يَا أَوَّلًا آخِرًا نَوْرًا وَمَعْرِفَةً 0 0 يَا ظَاهِرًا بَاطِنًا فِي الْعَيْنِ وَالْأَنْزِلِ 0 0 يَا مُطْعِمَ الْفَرْصِ لِلْعَايِنِ الْأَسِيرِ وَمَا ذَاكَ الطَّعَامَ وَأَمْسَى صَائِمًا كَرَمًا 0 0 وَمُرْجِعَ الْفَرْصِ إِذْ بَحَرَ الظَّلَامَ طَمًا لَكَ الْعِبَارَةُ بِالنُّطْقِ الْبَلِغِ كَمَا 0 0 لَكَ الْإِشَارَةُ فِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ 0 0 أَنْوَارُ فَضْلِكَ لَا تُطْفِئُ لَهْنٌ عِدَا مَهْمَا يُكَيِّمُهُ أَهْلُ الصَّلَالِ بَدَا 0 0 تَخَالَفْتَ فِيكَ أَفْكَارُ الْقَوَى أَبَدًا كَمْ خَاضَ فِيكَ أَنْاسٌ فَانْتَهَوْا فَقَدْ 0 0 مَعْنَاكَ مُحْتَجِبًا عَنْ كُلِّ مُقْتَدِرٍ [1] 0

الشيخ كاظم الأزرقي [2]

706. من كبار الشعراء في القرن الثالث عشر ، يقول : {0 أَيُّهَا الرَّكِيبُ الْمُجِدُّ رُوبِدَا يِقْلُوبٍ تَقَلَّبْتَ فِي جَوَاهَا 0}

[1] أعيان الشيعة : ج3 ص124 ، الغدير : ج7 ص42 عن الحافظ البرسي .

[2] هو الشيخ كاظم ابن الحاج محمد التميمي البغدادي ، المعروف بالأزرقي ، أديب أريب ، فاضل كامل ، منشئ ، بليغ ، شاعر له ديوان ، وله مدائح في أهل البيت عليهم السلام ، وقصيدته الهائية مشهورة وهي المعروفة بالأزرقيّة ، حتى أنّ صاحب الجواهر تَمَتَّى أن يكون له أجر هذه القصيدة بدل أجر جواهر الكلام الذي لم يُؤَلَّفَ نظيره في الفقه الجعفري لحدّ الآن . توفي سنة (1211 هـ) عن عمر يناهز الثمانين في مدينة الكاظمية المقدّسة ، ودفن في السرداب المعروف بقبر السيد المرتضى (ريحانة الأدب : ج1 ص110) .

706. من كبار الشعراء في القرن الثالث عشر ، يقول : 0 0 إِنْ تَرَأَيْتَ أَرْضَ الْغَرْبَيْنِ فَاخْضَعْ وَاخْلَعْ النَّعْلَ دُونَ وَادِي طُوهَا 0 0 وَإِذَا شِيمَتْ [1] قُبَّةُ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَأَنْوَارُ رَبِّهَا تَعْشَاهَا 0 0 فَتَوَاضَعْ قَتْمٌ دَارَةٌ قُدْسِي تَتَمَتَّى الْأَفْلَاكَ لَتَمَّ نَرَاهَا 0 0 قُلْ لَهُ وَالْذُمُوعُ سَفَحٌ عَقِيقٍ وَالْجَيْشِيُّ تُصْطَلَى بِنَارِ عَصَاهَا 0 0 يَابْنَ عَمَّ النَّبِيِّ أَنْتَ بَدُّ اللَّحِّ عِ الْتَنِي عَمَّ كُلِّ شَيْءٍ نَدَاهَا 0 0 أَنْتَ قُرْآنُهُ الْقَدِيمُ وَأَوْصَا فُكَّ آيَاتِهِ النَّبِيُّ أَوْحَاهَا 0 0 حَسْبُكَ [2] اللَّهُ فِي مَائِرِ شَتَّى هِيَ مِثْلُ الْأَعْدَادِ لَا تَتَنَاهَى 0 0 لَيْتَ عَيْنَا يَغْيِرَ رَوْضِكَ تَرَعَى قَذِيزَتِ وَاسْتَمَرَّ فِيهَا قَذَاهَا 0 0 أَنْتَ بَعْدَ النَّبِيِّ خَيْرُ الْبَرَايَا وَالسَّمَا خَيْرٌ مَا يَهَا قَمَرَاهَا 0 0 لَكَ ذَاتُ كَذَائِهِ حَيْثُ لَوْلَا أَتَاهَا مِثْلُهَا لَمَّا آخَاهَا 0 0 قَدْ تَرَاضَعْتُمَا يَتْدِي وَصَالِي كَانَ مِنْ جَوْهَرِ التَّجَلِّيِ غِذَاهَا [3] 0

[1] شِيمْتُ مخايل الشيء : إذا تطلعت نحوها ببصرك منتظراً له (لسان العرب : ج12 ص330) .

[2] كذا والظاهر أنّها تصحيف «خَصْكَ» .

[3] قرآن الشعر : ص85 .

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

القسم العاشر : خصائص الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأوّل: الخصائص العقائدية

الفصل الثاني: الخصائص الاخلاقية

الفصل الثالث: الخصائص العملية

الفصل الرابع: الخصائص السياسية والاجتماعية

الفصل الخامس: الخصائص الحربية

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

کلام حول خصائص الإمام عليه السلام

الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام منبع الفضائل ، وروحه ملأى بكلّ المحامد والمحاسن ، وحياته مظهر للمكرمات . وما نوره هنا هو طرف من خصائص الإمام عليه السلام . وأمّا الخصائص الرفيعة الكريمة كالعلم ، والعصمة ، وما مثلهما ، فقد جاءت في ذيل عناوينها الخاصة . يبيّن أنّ ما نُورده هنا ، وفي مواضع أخرى أيضا ، لا يمثّل كلّ شيء يمكن أن يقال في إمام الإنسانية المتفرد هذا . وسبب ذلك هو أنّ بحر عظمته وشخصيته أوسع وأعزّ من أن يأتي عليه الوصف أو يفي به القلم أو يبلغ قعره الفكر ، وهو القائل : «يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ» . [1] والسبب الآخر هو أنّ التاريخ لم ينقل للأجيال جميع مناقبه وفضائله ومكارمه . وكم دأب الكثيرون على محوها من ذاكرة التاريخ ، لكن ظهر منها ما بهر العيون وحير العقول ، رغم كلّ محاولات الجائرين المجحفين طمسها ودفنها . وما أروع كلام الخليل بن أحمد وأبلغه في الإمام حين قال : «ما أقولُ في حقِّ امرئٍ كَتَمَتْ مَنَاقِبُهُ أُولِيَاؤُهُ خَوْفاً ، وَأَعْدَاؤُهُ حَسْداً ، ثُمَّ ظَهَرَ مَا بَيْنَ

[1] تنقيح المقال : ج 1 ص 403 الرقم 3769 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

[3] التوحيد : ص 174 ج 3 .

الْكُتْمِينَ مَا مَلَأَ الْخَافِقِينَ ؟ !» . [1] نَزَّرَ يَسِيرَ نَذْرَهُ هُنَا مِنْ تَضَاعِيفِ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ ؛ إِذْ لَا يَسَعُنَا الْإِحَاطَةُ بِصِفَاتِ شَخْصِيَّةِ كَشْخِصِيَّةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ الْمُتَفَرِّدَةُ الَّتِي لَا مِثِيلَ لَهَا فِي الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْخُلُقِ وَالْفَتْوَى وَالشَّجَاعَةِ وَالرَّحْمَةِ . بَلْ لَا نَجِدُ إِنْسَانًا يَحْمِلُ بَيْنَ جَنَابَاتِهِ خَصَائِصَ مُتَضَادَّةٍ - لَا تُجْمَعُ فِي شَخْصٍ عَادَّةً - كَعَلِيِّ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْعَدُوِّ وَصَاحَ بِهِ فِي سَاحَاتِ الْوَعْيِ ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ وَبَلَغَ قَلْبُهُ حَنْجَرَتَهُ ، وَلَمْ يَجْزُ أَقْرَانُهُ عَلَى مَنَازِلَتِهِ . وَإِذَا نَظَرَ إِلَى دُمُوعِ الْيَتِيمِ مَتَرَفَرِفَةً فِي عَيْنَيْهِ ، أَوْ أَبْصَرَ مِنْ حُنَا الدَّهْرِ ظَهْرَهُ اهْتَزَّ قَلْبُهُ وَجَرَتْ دُمُوعُهُ . . . فَلِذَا عُرِفَ بِأَنَّهُ «جَامِعُ الْأَضْدَادِ» ! إِنَّهُ الْعَدِيمُ النَّظِيرُ فِي التَّارِيخِ كُلِّهِ ، وَفِي جَمِيعِ الْمَيَادِينِ ؛ فَهُوَ الْمَعْجِزَةُ الْكُبْرَى لِلْإِسْلَامِ وَلِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَقَدْ تَكَلَّفَتْهُ النَّبُوءَةُ وَاحْتَضَنَتْهُ الرِّسَالَةُ فِي حَجَرِ هَذَا الرَّسُولِ الْعَظِيمِ ، وَهُوَ الْفَانِي فِي جَمَالِ الْحَقِّ . لَكِنَّهُ - مَعَ كُلِّ ذَلِكَ - كَيْفَ كَانَ يَرَى نَفْسَهُ فِي مَقَابِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ نَجِدُ ذَلِكَ فِي جَوَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَجِبَ أَحَدُهُمْ مَرَّةً مِنْ عِلْمِهِ الزَّاهِرِ وَمَعْرِفَتِهِ الْعَمِيقَةِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبْدٍ مُخَمَّرٍ» . [2] كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْذُ الْأَيَّامِ الْأُولَى لِحَيَاتِهِ رَفِيقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعُضْدَهُ ، وَكَمْ يَأْسِرُ الْقُلُوبَ تَصَوُّبُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَذِهِ الْمُرَافَقَةِ وَالْمِلَازِمَةِ فِي خُطْبَتِهِ الطَّوِيلَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْقَاصِعَةِ ! قَلْبُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَلُ الْوَحْيِ الصَّافِي الزَّلَالِ ، وَرُوحُهُ مَعْطَرَةٌ بِالْتَّعَالِيمِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَقَدْ بَلُورَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ وَالسِّيَاسَةِ . وَحَيَاةُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَزِيَجٌ عَجِيبٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَالزَّهْدِ وَالسَّعْيِ . وَهُوَ أَسَدُ الْحُرُوبِ وَالْكَفَاحِ ، وَرُوحُهُ الْكَبِيرَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمُلُوكِ الْأَعْلَى فِي جَوْفِ اللَّيْلِ !

[1] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

[2] التوحيد : ص 174 ح 3 .

الفصل الأول: الخصائص العقائدية

أ - لَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرَفَةً عَيْنٍ

707. رسول الله صلى الله عليه وآله : إِنَّ سُبْحَانَ الْأَمَمِ ثَلَاثَةً لَمْ يَكْفُرُوا طَرَفَةَ عَيْنٍ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَصَاحِبُ يَاسِينَ ، وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ ، فَهَمْ الصِّدِّيقُونَ ، وَعَلِيُّ أَفْضَلُهُمْ . [1]

708. الإمام علي عليه السلام : إِنِّي لَمْ أَشْرِكْ بِاللَّهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ ، وَلَمْ أُعْبِدِ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . [2]

ب - أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ

709. رسول الله صلى الله عليه وآله : أَوَّلُكُمْ وَارِدًا عَلَى الْخَوْضِ [3] أَوَّلُكُمْ إِسْلَامًا : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [4]

710. عنه صلى الله عليه وآله : عَلِيٌُّّ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي . [5]

711. الإمام علي عليه السلام : أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [6]

712. عنه عليه السلام : لَقَدْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ . [7]

[1] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 6 .

[2] الخصال : ص 572 ح 1 .

[3] ويمكن ضبطها أيضاً بهذا الشكل: «عَلِيَّ الْخَوْضِ» .

[4] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 147 ح 4662 .

[5] تاريخ دمشق : ج 42 ص 36 ح 8362 .

[6] تاريخ بغداد : ج 4 ص 233 الرقم 1947 .

[7] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 586 ح 993 .

713. الكافي عن سعيد بن المسيب : سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : إِنْ كَمَ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ أَسْلَمَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَوْ كَانَ كَافِرًا قَطُّ ؟ إِنَّمَا كَانَ لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ كَافِرًا ، وَلَقَدْ آمَنَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَسَبَقَ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الصَّلَاةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ ، وَكَانَتْ أَوَّلُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّهَرِ رَكَعَتَيْنِ . [1]

714.المستدرک علی الصحیحین عن أنس : بُيِّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، وَأَسْلَمَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ . [2]

ج - أَفْضَلُ الْأَمَّةِ يَقِينَا

715.الإمام عليّ عليه السلام : لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينَا . [3]

716.عنه عليه السلام : مَا شَكَّكَتْ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيْتُهُ . [4]

717.المناقب للخوارزمي عن عمر بن الخطاب : أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَضِعْنَ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ ، وَوُضِعَ إِيْمَانُ عَلِيٍّ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ ، لَرَجَحَ إِيْمَانُ عَلِيٍّ . [5]

718.رسول الله صلى الله عليه وآله - لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- الْإِيْمَانُ مُخَالِطٌ لِحَمَكٍ وَدَمَكٍ كَمَا خَالَطَ لِحَمِي وَدَمِي . [6]

[1] الكافي : ج8 ص339 ح536 .

[2] المستدرک علی الصحیحین : ج3 ص121 ح4587 .

[3] الصواعق المحرقة : ص 129 .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 4 والحكمة 184 .

[5] المناقب للخوارزمي : ص131 ح146 .

[6] المناقب لابن المغازلي : ص238 ح285 .

کلام في بدء إسلام الإمام

كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضل وأكرم مؤمن عرفه التاريخ الإسلاميّ بل كان في ذروة الإيمان ، وإيمانه ذو مواصفات لا مثيل لها عند غيره من أولي الإيمان ، فهو أول من صدّق برسول الله صلى الله عليه وآله ، وإيمانه نقيّ خالص لم تشبه شائبة الشرك قطّ ، ولم يشاكله أحد في ثبات خطاه على الإيمان وقوة العقيدة . كان عليه السلام - كما أشرنا سابقا - ينال في فراش النبي صلى الله عليه وآله منذ الأيام الأولى لحياته . وقد نشأ برعاية النبي إياه . وتربّى على الخلق النبوي العظيم والسيرة المباركة . وكان يشهد مراحل النبوة مع النبي صلى الله عليه وآله جنباً إلى جنب ، وكان النبي يأخذه معه إلى غار حراء ، فتعرّف على أسرار الملكوت . وصرّح في خطبته العظيمة «القاصعة» أنّه كان يرى نور الوحي ، ويسمع رتبة الشيطان اليانسة . وعلى مشارف إبلاغ الرسالة نال لقب «الوصي» ، و«الوزير» ، و«الأخ» ، من خلال مرافقته لرسول الله صلى الله عليه وآله . ولنلحظ تصويره الجميل للرعاية النبوية . قال : «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القرينة ، والمنزلة الخصيصة . وصنعت في حجره وأنا ولد يصمّي إلى صدره ، ويكنّي في فراشه ، ويُمسّي

جَسَدَهُ ، وَبُشِئْتَنِي عَرَفَهُ [1] . وَكَانَ يَمَضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ . وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْقَصِيلِ أَتْرَآمِهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَحْرَاءَ فَأَرَاهُ ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَنِي فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا نَالِيُهُمَا . أَرَى نَوْرَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ الثُّبُوءِ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَتَبَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الرَّتَبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ » . [2] وقال ابن أبي الحديد - في بيان قوله عليه السلام : «إني ولدت على الفطرة» [3] - : «ومرأته هاهنا بالولادة على الفطرة أنّه لم يولد في الجاهليّة ؛ لَأَنَّهُ وَلَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثِينَ عَاماً مَضَتْ مِنْ عَامِ الْفِيلِ ، وَالتَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُرْسِلَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ عَامِ الْفِيلِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَثَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ سِتِينَ عَشراً يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى الصَّوْءَ ، وَلَا يُخَاطَبُهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ إِرْهَاصاً لِرِسَالَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَحُكِمَ تِلْكَ السِّنِينَ الْعَشْرَ حُكْمَ أَيَّامٍ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَالْمَوْلُودُ فِيهَا إِذَا كَانَ فِي حَجْرِهِ وَهُوَ الْمُتَوَلَّى لِتَرْبِيَّتِهِ مَوْلُودٌ فِي أَيَّامِ كَاتِمِ الثُّبُوءِ ، وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ مُحَضَّةٍ ، فَفَارَقَتْ حَالَهُ مَنْ دَعَى لَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مُمَائِلَتَهُ فِي الْفَصْلِ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ السَّنَةَ الَّتِي وَلِدَ فِيهَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ السَّنَةُ الَّتِي بُدِيََ فِيهَا بِرِسَالَةِ

[1] العرف : الريح الطيبة (النهاية : ج3 ص217) .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 57 .



رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَاسْمِعَ الْهَنَافَ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ ، وَكُشِفَ عَنْ بَصَرِهِ ، فَشَاهَدَ أَنْوَارًا وَأَشْخَاصًا ، وَلَمْ يُخَاطَبَ فِيهَا بِشَيْءٍ . وَهَذِهِ السَّنَةُ هِيَ السَّنَةُ الَّتِي ابْتَدَأَ فِيهَا بِالتَّبَيُّلِ وَالْإِنْقِطَاعِ وَالْعَزَلَةِ فِي جَبَلِ حِرَاءَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى كُوشِفَ بِالرَّسَالَةِ ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَيَمَّنُ بِتِلْكَ السَّنَةِ وَبِوِلَادَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا ، وَتُسَمَّى سَنَةُ الْخَيْرِ وَسَنَةُ الْبَرَكَاتِ ، وَقَالَ لِأَهْلِهِ لَيْلَةَ وِلَادَتِهِ ، وَفِيهَا شَاهَدَ مَا شَاهَدَ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَاهِدٌ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا : «لَقَدْ وُلِدَ لَنَا اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهِ أَبْوَابًا كَثِيرَةً مِنَ الْيَعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ» . وَكَانَ كَمَا قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَاصِرَةً وَالْمُحَامِيَّ عَنْهُ وَكَاشِفَ الْعَمَاءِ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيُسَيِّفُهُ تَبَتُّ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَرَسَتْ دَعَائِمُهُ ، وَتَمَهَّدَتْ قَوَاعِدُهُ» . [1] ويقول الكاتب المسيحي الشهير جورج جرداق : «وَإِذَا أَسْلَمَ بَعْضُ الْوُجُوهِ مِنْ قُرْبَشٍ مُنْذُ أَوَّلِ الدَّعْوَةِ احْتِكَامًا لِلْعَقْلِ وَتَخَلُّصًا مِنَ الْوُثْنِيَّةِ ؛ وَإِذَا أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَرْقَاءِ وَالْمُضْطَهَّدِينَ طَلَبًا لِلْعَدَالَةِ الَّتِي تَدْفِقُ بِهَا رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ ، وَاسْتِنْكَارًا لِلْجَوْرِ الَّذِي يُلْهَبُ طُغُورَهُمْ بِسِيَاطِهِ ؛ وَإِذَا أَسْلَمَ قَوْمٌ بَعْدَ انْتِصَارِ النَّبِيِّ امْتِثَالًا لِلْوَاقِعِ وَتَرْفًا لِلْمُنْتَصِرِ كَمَا هِيَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ لِأَكْثَرِ الْأُمُومِيِّينَ ؛ إِذَا أَسْلَمَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا فِي طُرُوفٍ تَتَفَاوَتْ مِنْ حَيْثُ قِيمَتُهَا وَمَعَانِيهَا الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَتَتَجَدُّ فِي خُصُوعِهَا لِلْمَنْطِقِ أَوْ لِلْوَاقِعِ الرَّاهِنِ ، فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدْ وُلِدَ مُسْلِمًا ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مَعَدِنِ الرِّسَالَةِ مَوْلِدًا وَنَشْأَةً ، وَمِنْ ذَاتِهِ خَلَقًا وَفُطْرَةً . ثُمَّ إِنَّ الطَّرْفَ الَّذِي أَعْلَنَ فِيهِ عَمَّا يَكْمُنُ فِي كِيَانِهِ مِنْ رُوحِ الْإِسْلَامِ وَمِنْ حَقِيقَتِهِ ، لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مِنْ طُرُوفِ الْآخَرِينَ وَلَمْ يَرْتَبِطْ بِمَوْجِبَاتِ الْعُمُرِ ؛ لِأَنَّ إِسْلَامَ عَلِيٍّ كَانَ أَعَمَّقَ مِنْ ضَرُورَةِ الْإِرْتِبَاطِ بِالطُّرُوفِ إِذْ كَانَ

[1] العَرُفُ : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ (النهاية : ج 3 ص 217) .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 57 .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 4 ص 114 .

[5] الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية : ص 38 .

[6] التاريخ الكبير : ج 6 ص 259 الرقم 2343 .

[7] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 21 .

[8] الكافي : ج 8 ص 339 ح 536 .

[9] الكامل في التاريخ : ج 1 ص 484 .

[10] الاستيعاب : ج 3 ص 199 الرقم 1875 .

[11] الاستيعاب : ج 3 ص 199 الرقم 1875 .

[12] تاريخ دمشق : ج 42 ص 26 .

[13] تاريخ خليفة بن خياط : ص 150 .

[14] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 589 ح 998 .

[15] لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى الْمَشْهُورِ - وَلَدَ بَعْدَ عَامِ الْفِيلِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً (راجع : موسوعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 1 ص 61 «المولود») وأيضاً - عَلَى الْمَشْهُورِ - كَانَ عَمْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ اسْتَشْهَدَ فِي سَنَةِ (40 هـ) 63 سَنَةً (راجع: موسوعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ج 4 ص 298 «تاريخ شهادته») ومجموعهما يدلّ على أنّه عليه السلام كان ابن عشر سنين عند البعثة .

[16] نستنتج من الذين سبقهم الإمام عليه السلام إلى الإيمان والعبادة خديجة عليها السلام ، إذ يحتاج هذا الموضوع إلى دراسة مستقلة .

جاريًا من روجه كما تجري الأشياء من معادنها والمياه من ينابيعها . فَإِنَّ الصِّيِّ ما كَادَ يَسْتَطِيعُ التَّعْبِيرَ عَنْ خَلْجَاتِ نَفْسِهِ ، حَتَّى أَدَّى فَرَضَ الصَّلَاةِ وَشَهِدَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ دُونَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أَوْ يَسْتَشِيرَ . لَقَدْ كَانَ أَوَّلُ سُجُودِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِ لِلْإِلَهِ قُرْبَشٍ ! وَكَانَ أَوَّلُ سُجُودِ عَلِيٍّ لِأَبِيهِ مُحَمَّدٍ ! إِلَّا أَنَّهُ إِسْلَامُ الرَّجُلِ الَّذِي أُتِيحَ لَهُ أَنْ يَنْشَأَ عَلَى حُبِّ الْخَيْرِ وَيَنْمُو فِي رِعَايَةِ النَّبِيِّ وَيُصِيحَ إِمَامَ الْعَادِلِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَرَبَّانَ السَّافِينَةِ فِي عَمَرَةِ الْعَوَاصِفِ وَالْأَمْوَاجِ » . [1] . يَتَبَيَّنُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ - وَهُوَ غِيضُ مَنْ فِضَ ، وَبِمَكْنٍ مِلَاحَظَةِ حَقَائِقَ كَثِيرَةٍ تَدْعُمُ مَا أوردناه - مَا يَأْتِي : 1 . يَعودُ إِيْمَانُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّنِينَ الَّتِي سَبَقَتْ الْجَهْرَ بِالرَّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . 2 . تَبَايَنَتْ أَقْوَالُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي عَمَرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ تَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ الثَّمَانِ [2] ، وَالتَّسْعِ [3] ، وَالْعِشْرِ [4] ، وَالْإِحْدَى عَشْرَةَ [5] ، وَالْإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ [6] ، وَالثَّلَاثَ عَشْرَةَ [7] ، وَالْأَرْبَعَ عَشْرَةَ [8] ، وَالْخَمْسَ عَشْرَةَ [9] ، وَالسَّتَّ عَشْرَةَ . [10]

[1] الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية : ص 38 .

[2] التاريخ الكبير : ج 6 ص 259 الرقم 2343 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 21 .

[4] الكافي : ج 8 ص 339 ح 536 .

[5] الكامل في التاريخ : ج 1 ص 484 .

[6] الاستيعاب : ج 3 ص 199 الرقم 1875 .

[7] الاستيعاب : ج 3 ص 199 الرقم 1875 .

[8] تاريخ دمشق : ج 42 ص 26 .

[9] تاريخ خليفة بن خياط : ص 150 .

[10] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 589 ح 998 .

وإن دلَّ هذا على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على تحديد عمره في موقفه من الرسالة فحسب ، وإلَّا فَإِنَّ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ لَمْ تَلَوَّثْ بِالشَّرِكِ قَطُّ . وَهَكَذَا قَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَوَابِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ عَمْرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ إِيْمَانِهِ : **أَوْكَانَ كَافِرًا ؟ إِنَّمَا كَانَ لِعَلِيٍّ حَيْثُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ كَافِرًا .** وَنُضِيفَ إِلَى أَنَّ مَا ثُقِلَ عَنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ حِينَ تَصَدَّقَهُ بِالرَّسَالَةِ يَعْذُّ مِنْ أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ وَأَشْهَرُهَا . [1] 3 . مِنْ هُنَا لَا مَرَأَ فِيمَنْ كَانَ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَبَعْضُ الصَّحَابَةِ أَسْلَمَ بَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مَضَتْ عَلَى الرِّسَالَةِ ، وَبَعْضُهُمْ أَسْلَمَ بَعْدَ بَرَهَةٍ مِنَ الزَّمَنِ . أَمَّا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ كَانَتْ رُوحُهُ مَعْطَرَةً بِعَبِيرِ الْوَحْيِ مِنْذُ أَيَّامِهِ الْأَوَّلَى ، كَمَا كَانَ يَعْرِفُ مَعَالِمَهُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَقَدْ أَلْفَهُ وَتَمَرَّسَ عَلَيْهِ ، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنَّهُ رَافِقُ أَوَّلِ قِسٍ تَأَلَّقَ مِنْهُ بِلَا تَأْخِيرٍ . وَالْآنَ أَيُّ شَأْنٍ لِأَقْوَالِ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ أَنْ يَسْتَهِينُوا بِإِيْمَانِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَصَغَرِ سِنَتِهِ ؟ ! لَيْتَ لِعَلِيَّةِ الْقَوْمِ الْمُسْتَبِينَ قَلِيلًا مِنْ تِلْكَ الْفُطْنَةِ ، وَسَلَامَةِ الْفُطْرَةِ وَخُلُوصِ الْقَلْبِ ، وَلِيَتَهَمَ أَلْفُوا نُورَ الْوَحْيِ ! 4 . ثُقِلَتْ رَوَايَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ كَثِيرَةٌ فِي عِبَادَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَلَاتِهِ . وَلَا تَدُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ صَلَّى بَعْدَ النَّبِيِّ فحسب ، بَلْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَبَقَ الْآخَرِينَ إِلَى الْعِبَادَةِ بَثَلَاثَ أَوْ خَمْسَ أَوْ سَبْعَ سِنِينَ أَيْضًا . وَبِمَكْنٍ أَنْ تَشِيرَ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ إِلَى عِبَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ أَيْضًا . [2]

[1] لَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى الْمَشْهُورِ - وَلَدَ بَعْدَ عَامِ الْفِيلِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً (رَاجِعْ : مُوسَوْعَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ج 1 ص 61 «المولد») وَأَيْضًا - عَلَى الْمَشْهُورِ - كَانَ عَمَرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ اسْتَشْهَدَ فِي سَنَةِ (40 هـ) 63 سَنَةً (رَاجِعْ : مُوسَوْعَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ج 4 ص 298 «تاريخ شهادته») وَمَجْمُوعُهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ عِنْدَ الْبِعْثَةِ .

[2] نَسْتَنْتِي مِنَ الَّذِينَ سَبَقَهُمُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْإِيْمَانِ وَالْعِبَادَةِ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، إِذْ يَحْتَاجُ هَذَا الْمَوْضُوعُ إِلَى دَرَاةٍ مُسْتَقَلَّةٍ .

الفصل الثاني: الخصائص الأخلاقية

أ - حُسْنُ الْخُلُقِ

719. رسول الله صلى الله عليه وآله : عَلِيٌّ . . . أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا . [1]

720. الكامل في التاريخ - فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَلَا يُغَيَّرُ شَيْبُهُ ، كَثِيرَ التَّبَشُّمِ . [2]

721. رسول الله صلى الله عليه وآله - لِعَلِّيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ -: إِنَّكَ لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تُؤْمَرَ ، وَثُمَّلاً غَيْظاً ، وَتُوجَدَ مِنْ بَعْدِي صَابِراً . [3]

722. الإمام عليّ عليه السلام - فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا صِفَتَهُ قَبْلَ الْب: فَتَطَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَصَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ، وَأَعْصَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشُّجَا ،

[1] المناقب لابن المغازلي : ص 151 ح 188 .

[2] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 440 .

[3] تاريخ دمشق : ج 42 ص 422 ح 9016 .

722. الإمام عليّ عليه السلام - فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا صِفَتَهُ قَبْلَ الْب وَصَبْرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَطَمِ [1] ، وَعَلَى أَمْرِ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ [2] . [3]

723. الإرشاد عن جندب بن عبد الله : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ بَيْعَةِ النَّاسِ لِعُثْمَانَ ، فَوَجَدْتُهُ مُطْرِقاً كَثِيباً ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَصَابَ قَوْمَكَ ؟ قَالَ : صَبْرٌ جَمِيلٌ . فَقُلْتُ لَهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ إِنَّكَ لَصَبُورٌ . [4]

ج - قُوَّةُ الْعَزْمِ وَالِاسْتِقَامَةِ

724. الإمام عليّ عليه السلام - فِي كَلَامٍ لَهُ بَعْدَ وَقْعَةِ النَّهْرَوَانِ بِذَلِكَ: فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ قَسَلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا [5] ، وَتَطَقْتُ حِينَ تَعَتَّعُوا ، وَمَصَبْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا ، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً ، وَأَعْلَاهُمْ قَوْتاً [6] ، فَطَرْتُ بِعِزَانِهَا ، وَاسْتَبَدَدْتُ بِرِهَانِهَا [7] ، كَالْجَبَلِ : لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ ، وَلَا لِغَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ . [8]

د - تَمَامُ الْإِخْلَاصِ

725. الفخري : قِيلَ إِنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ صَرَعَ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ رَجُلًا ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ لِيَحْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَبَصَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَرَكَهُ ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ سَبَبِ قِيَامِهِ وَتَرْكِهِ

[1] الكَطَم : مخرج النَّقَس ، يقال : أَخَذْتُ بِكَطْمِهِ أَيْ بِمُخْرَجِ نَفْسِهِ (لسان العرب : ج 12 ص 520 «كطم»).

[2] العلقم : شجر الحنظل (المحيط في اللغة : ج 2 ص 215 «علقم»).

[3] نهج البلاغة : الخطبة 26 .

[4] الإرشاد : ج 1 ص 241 .

[5] القُبوع : أَنْ يَدْخُلَ الْإِنْسَانُ رَأْسَهُ فِي قَمِيصِهِ أَوْ ثَوْبِهِ ، وَيَقْبَعُ رَأْسَهُ : يُخْبِئُهُ (لسان العرب : ج 8 ص 258 «قبع»).

[6] فاتني كذا : أَيْ سَبَقَنِي (لسان العرب : ج 2 ص 69 «فوت»).

[7] طَرْتُ بِعِزَانِهَا : أَيْ سَبَقْتُهُمْ ، وَهَذَا الْكَلَامُ اسْتِعَارَةٌ مِنْ مَسَابَقَةِ خَيْلِ الْحَلَبَةِ . وَاسْتَبَدَدْتُ بِالرَّهَانِ : أَيْ انْفَرَدْتُ بِالْخَطَرِ الَّذِي وَقَعَ التَّرَاهُنُ عَلَيْهِ (شرح نهج البلاغة : ج 2 ص 285).

[8] نهج البلاغة : الخطبة 37 .

725. الفخري : قَتَلَ الرَّجُلُ بَعْدَ التَّمَكُّنِ مِنْهُ قَالَ : إِنَّهُ لَمَّا بَصَقَ فِي وَجْهِهِ اغْتَضَضْتُ مِنْهُ ، فَخِفْتُ أَنْ قَتَلْتُهُ أَنْ يَكُونَ لِلْغَضَبِ وَالْغَيْظِ نَصِيبٌ فِي قَتْلِهِ ، وَمَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ إِلَّا خَالِصاً لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى . [1]

ه - كَمَالُ الصِّدْقِ

726. الإمام عليّ عليه السلام : وَاللَّهِ ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ ، وَلَا صَلَّلْتُ وَلَا ضَلَّ بِي وَمَا تَسَيَّيْتُ مَا عَاهَدَ إِلَيَّ ، إِنِّي إِذَا تَسَيَّيْتُ . [2]

و - كَمَالُ الْإِثَارِ

727. الإمام زين العابدين عليه السلام : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ رِضَايَ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ مَبِيتِهِ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : 0 وَقَبْتُ نَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْخَصَى وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالْجِجَرِ 0 0 رَسُولَ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمَكُرُوا بِهِ فَتَجَّاهُ دُو الطُّولِ إِلَهًا مِنَ الْمَكْرِ 0 0 وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْغَارِ آمِنًا مُوقًىً وَفِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَفِي سِتْرِ 0 0 وَبِتُّ أُرَاعِيهِمْ وَلَمْ يَتَهَمُونَنِي وَقَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ [3]. 0

ز - زِيَّةُ الرَّهْدِ

728. رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ، يا عَلِيُّ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِيَّتِهِ لَمْ يَتَزَيَّنِ الْعِبَادُ بِزِيَّتِهِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا ؛ الرَّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، فَجَعَلَكَ لَا تَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ، وَلَا تَنَالُ الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئًا ، وَوَهَبَ

[1] الفخري : ص 44 .

[2] الأُمالي للصديق : ص 491 ح 668 .

[3] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 4264 ح .

728. رسول الله صلى الله عليه وآله : لَكَ حُبُّ الْمَسَاكِينِ ، قَرَضُوا بِكَ إِمَامًا ، وَرَضِيَتْ بِهِمْ أَنْبَاعًا ، قَطُوبِي لِمَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَّقَ فَيْكَ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَّبَ عَلَيْكَ ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ أَحَبُّوا وَصَدَّقُوا فَيْكَ فَهُمْ حَبِيبَاتُكَ فِي دَارِكَ ، وَرُقُفَاؤُكَ فِي قَصْرِكَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْغَضُواكَ وَكَذَّبُوا عَلَيْكَ فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُوَفِّقَهُمْ مَوْفِقَ الْكَذَّابِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . [1]

729. الإمام علي عليه السلام : دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَرٍ . [2]

730. عنه عليه السلام : وَاللَّهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُرَاقٍ [3] - خَنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْدُومٍ . [4]

731. خصائص الأئمة عليهم السلام : قَالَ [عَلِيُّ] عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ : «مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي سَيْفِي هَذَا ، وَلَوْ أَنَّ لِي قُوَّةَ لَيْلَةٍ مَا يَعُثُّهُ» ، وَعَلَّه صَدَقْتِهِ تَشْتَمِلُ حَبِئِزٍ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ . [5]

ح - سَمَاحَةُ الْكَفِّ

732. رسول الله صلى الله عليه وآله - فِي وَصْفِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ -: هَذَا الْبَحْرُ الرَّاحِرُ ، هَذَا الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ ، أَسْخَى مِنَ الثُّرَاتِ كَقَا ، وَأَوْسَعُ مِنَ الدُّنْيَا قَلْبًا ، فَمَنْ أَبْغَضَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ . [6]

733. الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْتَقَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنْ مَالِهِ وَكَدَّ يَدِهِ . [7]

734. ربيع الأبرار عن محمد ابن الحنفية : كَانَ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو قَبْرًا بِاللَّيْلِ ، فَيَحْمِلُهُ دَقِيقًا وَتَمْرًا ، فَيَمْضِي إِلَى أَبْيَاتٍ قَدْ عَرَفَهَا ، وَلَا يُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَتِي ، مَا يَمْتَعُكَ أَنْ

[1] تاريخ دمشق : ج 42 ص 281 و 282 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 3 .

[3] العرق : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، وجمعه : عُرَاق (النهاية : ج 3 ص 220) .

[4] نهج البلاغة : الحكمة 236 .

[5] خصائص الأئمة عليهم السلام : ص 79 .

[6] مائة منقبة : ص 55 ح 12 .

[7] الكافي : ج 5 ص 74 ح 2 .

734. ربيع الأبرار عن محمد ابن الحنفية : يُدْفَعُ إِلَيْهِمْ نَهَارًا ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا بُنْتِي ، صَدَقَةُ السَّيْرِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ . [1]

735. فضائل الصحابة لابن حنبل عن زاذان : رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُمَسِّكُ الشُّسُوعَ بِيَدِهِ ، يَمُرُّ فِي الْأَسْوَاقِ ، فَيُنَاوِلُ الرَّجُلَ الشَّبِيعَ ، وَيُرْشِدُ الصَّالِّ ، وَيُعِينُ الْحَمَالَ عَلَى الْحَمُولَةِ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [2] ثُمَّ يَقُولُ : هَذِهِ الْآيَةُ أَنْزِلَتْ فِي الْوَلَاةِ وَذَوِي الْقُدْرَةِ مِنَ النَّاسِ . [3]

ي - الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ

736. نهج البلاغة - في الإمام علي عليه السلام -: وَمِنْ عَجَائِبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا وَأَمِنَ الْمُشَارَكَةَ فِيهَا ، أَنَّ كَلَامَهُ الْوَارِدَ فِي الزُّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ ، وَالتَّذْكِيرِ وَالزَّوْجِرِ ، إِذَا تَأَمَّلَهُ الْمُتَأَمِّلُ ، وَفَكَّرَ فِيهِ الْمُتَفَكِّرُ ، وَخَلَعَ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ كَلَامٌ مِثْلُهُ مِمَّنْ عَظُمَ قَدْرُهُ ، وَنَفَذَ أَمْرُهُ ، وَأَحَاطَ بِالرِّقَابِ مُلْكُهُ ، لَمْ يَعْتَرِضْهُ الشُّكُّ فِي أَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ لَا خَطَّ لَهُ فِي غَيْرِ الزَّهَادَةِ ، وَلَا شُغْلَ لَهُ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ ، قَدْ قَبِعَ فِي كِسْرِ بَيْتٍ ، أَوْ انْقَطَعَ إِلَى سَفْحِ جَبَلٍ ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا حِسَّةً ، وَلَا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ . وَلَا يَكَادُ يَوْفِي بِأَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ يَنْغَمِسُ فِي الْحَرْبِ مُصْلِتًا سَيْفَهُ ، فَيَقُطُّ الرِّقَابَ ، وَيَجِدُّكَ الْأَبْطَالَ ، وَيَعُودُ بِهِ يَنْطِفُ دَمًا ، وَيَقَطُرُ مَهْجًا ، وَهُوَ مَعَ تِلْكَ الْحَالِ زَاهِدٌ

[1] ربيع الأبرار : ج 2 ص 148 .

[2] القصص : 83 .

[3] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 621 ح 1064 .

736. نهج البلاغة - في الإمام علي عليه السلام - الزُّهَادُ ، وَبَدَلُ الْأَبْدَالِ . وَهَذِهِ مِنْ فَصَائِلِ الْعَجِيْبَةِ ، وَخَصَائِصِ اللَّطِيفَةِ ، الَّتِي جَمَعَ بِهَا بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَأَلْفَ بَيْنَ الْأَشْتَاتِ . [1]

[1] نهج البلاغة : المقدمة ص 35 .

الفصل الثالث: الخصائص العملية

أ - إِمَامُ الْمُصَلِّينَ

1 . أَوَّلُ مَنْ صَلَّى

737. رسول الله صلى الله عليه وآله : أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعِيَ عَلِيٌّ . [1]

738. عنه صلى الله عليه وآله : لَقَدْ صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ سَبْعَ سِنِينَ ؛ لِأَنَّا كُنَّا نُصَلِّي لَيْسَ مَعَنَا أَحَدٌ يُصَلِّي غَيْرَنَا . [2]

2 . إِهْتِمَامُهُ بِأَوَّلِ الْوَقْتِ

739. إرشاد القلوب : كَانَ [عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] يَوْمًا فِي حَرْبٍ صَفِيْنٍ مُشْتَغَلًا بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ بَيْنَ الصَّقَيْنِ يَرْقُبُ الشَّمْسَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا هَذَا الْفِعْلُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْظِرُ إِلَى الزَّوَالِ حَتَّى تُصَلِّيَ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَهَلْ هَذَا وَقْتُ صَلَاةٍ ؟ ! إِنَّ عِنْدَنَا لَشُغْلًا بِالْقِتَالِ عَنِ الصَّلَاةِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَلَامَ تُغَايِلُهُمْ ؟ إِنَّمَا تُغَايِلُهُمْ

[1] الفردوس : ج 1 ص 27 ح 39 .

[2] تاريخ دمشق : ج 42 ص 39 ح 8364 .

740. صحيح البخاري عن مطرف بن عبد الله : صَلَّيْتُ خَلْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَا وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، فَكَانَ إِذَا سَجَدَ كَبَّرَ ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ كَبَّرَ ، وَإِذَا نَهَضَ مِنَ الرَّكَعَتَيْنِ كَبَّرَ ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ ، أَخَذَ يَدَيَّ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ فَقَالَ : قَدْ ذَكَرَنِي هَذَا صَلَاةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ قَالَ : لَقَدْ صَلَّيْنَا صَلَاةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [2]

741. الإمام الصادق عليه السلام - فِي الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : وَإِنْ كَانَ لَيَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَإِذَا قَالَ : وَجَّهْتُ وَجْهِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، حَتَّى يُعْرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ . [3]

742. عنه عليه السلام : كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرْكَعُ فَيَسِيلُ عَرْقُهُ حَتَّى يَطَّأَ فِي عَرَقِهِ مِنْ طَوْلٍ قِيَامِهِ . [4]

4 . إِهْتِمَامُهُ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ

743. الإمام علي عليه السلام : مَا تَرَكْتُ صَلَاةَ اللَّيْلِ مُنْذُ سَمِعْتُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : صَلَاةُ اللَّيْلِ نُورٌ ، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَا : وَلَا لَيْلَةَ [5] الْهَرِيرِ ؟ قَالَ : وَلَا لَيْلَةَ الْهَرِيرِ . [6]

ب - إِمَامُ الْعَايِدِينَ

744. الإمام علي عليه السلام : عَبَدْتُ اللَّهَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَبْعَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . [7]

[1] إرشاد القلوب : ص 217 .

[2] صحيح البخاري : ج 1 ص 272 ح 753 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج 4 ص 110 .

[4] فلاح السائل : ص 213 ح 123 .

[5] في المصدر : «لليلة» ، والصواب ما أثبتناه كما في بحار الأنوار .

[6] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 123 ، بحار الأنوار : ج 1 ص 17 ح 10 .

[7] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 121 ح 4585 .

745. الإمام الباقر عليه السلام - فِي الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : مَا أَطَاقَ أَحَدٌ عَمَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَيَنْتَظِرُ فِي الْكِتَابِ مِنْ كُتُبِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَيْصِرُ بِهِ الْأَرْضَ وَيَقُولُ : مَنْ يُطِيقُ هَذَا ؟ [1]

746. الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ عُمرِهِ كَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَ رَكَعَةٍ . [2]

747. حلية الأولياء عن أبي صالح : دَخَلَ صِرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ الْكِنَانِيَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ : صِفْ لِي عَلِيًّا . فَقَالَ : أَوْتَعِفْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا أَعْفِيكَ ، قَالَ : أَمَا إِذْ لَا بُدَّ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ قَوْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَقَبَّحُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطَلِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ تَوَاجِيهِ ، يَسْتَوْجِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ . كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، يُقَلِّبُ كَقَّةً ، وَيُخَاطِبُ تَفْسَةً ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللَّيَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنْ الطَّعَامِ مَا جَشَنَ ، كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا ؛ يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَيُجَبِّنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَفَرِيهِ مِنَّا لَا تُكَلِّمُهُ هَيْبَةٌ لَهُ ؛ فَإِنْ تَبَسَّمَ فَقَعْنَ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ ، يُعْظِمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُجِبُّ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ . فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ يَمِيلُ فِي مِحْرَابِهِ ، قَائِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ [3] ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ الْآنَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا - يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ لِلدُّنْيَا : إِلَيَّ تَعَرَّزْتَ ! إِلَيَّ تَشَوَّفْتَ ! هِيَاهُ هِيَاهُ ، غُرِّي غَيْرِي ، قَدْ بَتَّتْكَ نَلَانَا ، فَعُمُرُكَ قَصِيرٌ ، وَمَجْلِسُكَ حَقِيرٌ ، وَخَطْرُكَ يَسِيرٌ ، أَوْ آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ .

[1] الكافي : ج 8 ص 130 ح 100 .

[2] الكافي : ج 4 ص 154 ح 1 .

[3] السَّلِيم : اللدِيع . يقال : سَلَمْتُهُ الْحَيَّةُ ؛ أَي لَدَعْتُهُ (لسان العرب : ج 12 ص 292 «سلم»).

747. حلية الأولياء عن أبي صالح : فَوَكَفَتْ [1] دُمُوعُ مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ مَا يَمْلِكُهَا ، وَجَعَلَ يَنْشُقُّهَا بِكُمِّهِ وَقَدْ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ ، فَقَالَ : كَذَا كَانَ أَبُو الْحَسَنِ رحمه الله ! كَيْفَ وَجَدَكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَارُ ؟ قَالَ : وَجَدْتُ مَنْ دِيخَ وَاجِدَهَا فِي حِجْرِهَا ، لَا تَرَفَأُ [2] دَمْعُهَا ، وَلَا يَسْكُنُ حُرْثُهَا . ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ . [3]

748. الخصال عن نوف البكالي : يَتُ لَيْلَةً عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَيَخْرُجُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ ؛ فَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَتْلُو الْقُرْآنَ قَالَ : فَمَرَّ بِي بَعْدَ هُدُوءِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : يَا نَوْفُ ، أَرَأَيْدَ أَنْتَ أَمْرًا رَامِقٌ ؟ قُلْتُ : بَلْ رَامِقٌ ، أَرْمُقُكَ يَبْصَرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : طَوْبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، وَالزَّاهِدِينَ فِي الْآخِرَةِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا ، وَثَرَاتِهَا فِرَاشًا ، وَمَاءَهَا طَيِّبًا ، وَالْقُرْآنَ دِنَارًا ، وَالْأَدْعَاءَ شِعَارًا ، وَقَرَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْرِيبًا عَلَى مِنْهَاجِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . [4]

ج - إمام الدّاعين

1 . أَدْعِيَّتُهُ لِلْآخِرِينَ

749. الإمام عليّ عليه السلام - فِي وَصِيَّتِهِ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ انْصِلَ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ ، وَالْأَخِرَةِ ، وَالسَّلَامُ . [5]

750. عنه عليه السلام - لَمَّا قُتِلَ عَمَّارٌ :- رَحِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ أُسْلِمَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ قُتِلَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا . [6]

[1] وَكَفَ الدَّمْعُ : إِذَا تَقَاطَرَ (النهاية : ج 5 ص 220 «وكف»).

[2] رَقًا الدَّمْعُ : سَكَنَ وَانْقَطَعَ (النهاية : ج 2 ص 248 «رقأ»).

[3] حلية الأولياء : ج 1 ص 84 .

[4] الخصال : ص 337 ح 40 .

[5] نهج البلاغة : الكتاب 31 .

[6] أنساب الأشراف : ج 1 ص 197 .

751. عنه عليه السلام - لِهَاشِمِ الْمِرْقَالِ :- اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِكَ ، وَالْمُرَافَقَةَ لِتَيْبِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [1]

2 . أَدْعِيَّتُهُ فِي الْإِسْتِعَانَةِ فِي أَمْرِ الْوِلَايَةِ

752. الإمام عليّ عليه السلام : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَوَلِيُّكَ ، اخْتَرْتَنِي وَارْتَضَيْتَنِي ، وَرَفَعْتَنِي وَكَرَّمْتَنِي بِمَا أَوْرَثْتَنِي مِنْ مَقَامِ أَصْفِيَانِكَ ، وَخِلَافَةِ أَوْلِيَايِكَ ، وَأَعْنَيْتَنِي وَأَفْقَرْتَ النَّاسَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَأَعَزَّزْتَنِي وَأَذَلَّتْ الْعِبَادَ إِلَيَّ ، وَأَسَكَنْتَ قَلْبِي نَوْرَكَ وَلَمْ تُخَوِّجْنِي إِلَى غَيْرِكَ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَأَنْعَمْتَ بِي ، وَلَمْ تَجْعَلْ مِنِّيَّ عَلَيَّ لِأَخٍ سِوَاكَ ، وَأَقَمْتَنِي لِإِخْوَاءِ حَقِّكَ ، وَالشَّهَادَةَ عَلَى خَلْقِكَ ، وَأَنْ لَا أَرْضَى وَلَا أَسْخَطَ إِلَّا لِرِضَاكَ وَسَخَطِكَ ، وَلَا أَقُولَ إِلَّا حَقًّا ، وَلَا أَنْطِقَ إِلَّا صِدْقًا . [2]

3 . أَدْعِيَّتُهُ فِي الْأَحْوَالِ الْخَاصَّةِ

3 / 1 . عِنْدَ النَّوْمِ

753. الإمام عليّ عليه السلام - كَانَ إِذَا نَامَ يَقُولُ :- اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَقَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الْمُنَزَّلِ ، وَتَبَيَّنَ الْمُرْسَلِ . [3]

3 / 2 . عِنْدَ لُبْسِ الثَّوبِ الْجَدِيدِ

754. الإمام عليّ عليه السلام - بَعْدَمَا اشْتَرَى قَمِيصًا وَلَبِسَهُ :- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مِنَ الرِّبَاسِ مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ ، وَوَارَى سَوْءَتِي ، وَسَتَرَ عَوْرَتِي ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . [4]

[1] وقعة صقين : ص 112 .

[2] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 118 .

[3] عمل اليوم والليلة للنسائي : ص 454 ح 768 .

[4] دعائم الإسلام : ج 2 ص 157 ح 556 .

3 / 3 . عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

755. الإمام الباقر عليه السلام : جَاءَ قَنْبَرٌ مَوْلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَفْطِرُهُ إِلَيْهِ . . . فَأَخَذَ الْقَدَحَ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ قَالَ : يَسْمُ اللَّهُ ، اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا ، فَتَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . [1]

4 / 3 . عِنْدَ الْوُضُوءِ

756. الإمام عليّ عليه السلام : - إِذَا قَرَعَ مِنْ وَضُوئِهِ :- اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ . [2]

5 / 3 . عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ

757. الإمام عليّ عليه السلام - إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ :- يَسْمُ اللَّهَ وَيُحَمِّدُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . [3]

6 / 3 . عِنْدَمَا مَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ

758. الإمام عليّ عليه السلام - لَمَّا مَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ :- اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَطْنُونُ ، وَاعْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ . [4]

د - إمامُ المُجاهدين

759. رسول الله صلى الله عليه وآله - لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَنْتَ . . . أَشَجَعُهُمْ قَلْبًا فِي لِقَاءِ الْحَرْبِ ، وَأَجْوَدُهُمْ كَفًّا ،

[1] تهذيب الأحكام : ج4 ص200 ح578 .

[2] الدعاء للطبراني : ص141 ح392 .

[3] دعائم الإسلام : ج1 ص150 .

[4] نهج البلاغة : الحكمة 100 .

759. رسول الله صلى الله عليه وآله - لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَرْهَدُهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَأَشَدُّهُمْ جِهَادًا . [1]

760. عنه صلى الله عليه وآله : أَفْضَلُكُمْ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ ، أَقْدَمُكُمْ إِسْلَامًا ، وَأَوْفَرُكُمْ إِيْمَانًا ، وَأَكْثَرُكُمْ عِلْمًا ، وَأَرْحَحُكُمْ جِلْمًا ، وَأَشَدُّكُمْ لِيَّ غَضَبًا ، وَأَشَدُّكُمْ نِكَايَةً فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ . [2]

ه - إمامُ المُستضعفين

761. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي إِمَامًا لِيَخْلُقَهُ ؛ فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْدِيرَ فِي نَفْسِي وَمَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَمَلْبَسِي كَضَعَاءِ النَّاسِ ؛ كَيْ يَقْتَدِيَ الْقَقِيرُ بِقَقْرِي ، وَلَا يُطِغِيَ الْغَنِيِّ غِنَاهُ . [3]

762. الإمام الباقر عليه السلام : وَاللَّهِ ، إِنْ كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيَأْكُلُ أَكْلَ الْعِيدِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعِيدِ ، وَإِنْ كَانَ لَيَشْتَرِي الْقَمِيصَيْنِ السُّنْبُلَانِيَيْنِ قَيْخَرٍ غَلَامُهُ خَيْرُهُمَا ، ثُمَّ يَلْبَسُ الْآخَرَ ، فَإِذَا جازَ أَصَابَتُهُ قِطْعَةٌ ، وَإِذَا جازَ كَعْبَتُهُ حَدَقَةٌ . وَلَقَدْ وَلِيَ خَمْسَ سِنِينَ مَا وَضَعَ أَجْرَةً عَلَى أَجْرٍ ، وَلَا لَيْتَةً عَلَى لَيْتَةٍ ، وَلَا أَقْطَعَ قِطْعًا ، وَلَا أَوْرَثَ بَيْضَاءَ وَلَا خَمْرَاءَ ، وَإِنْ كَانَ لَيُطْعِمُ النَّاسَ خُبْزَ الْبُرِّ وَاللَّحْمَ ، وَيَنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَالزَّيْتِ وَالْخَلِّ ، وَمَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ كِلَاهُمَا لِلَّهِ رِضًى إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا عَلَى بَدَنِهِ . [4]

1 . طَعَامُهُ

763. الإمام عليّ عليه السلام : أَكْتَفِي مِنْ دُنْيَاكُمْ بِمِلْحِي وَأَقْرَاصِي ، فَيَتَقَوَّى اللَّهُ أَرْجُو خَلَاصِي ، مَا لِعَلِيٍّ وَنَعِيمِ يَغْنَى ، وَلَذَّةٍ تَنْتِجُهَا الْمَعَاصِي ! [5]

764. تنبيه الخواطر : رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَكْلُهُ قُرْصَ الشَّعِيرِ وَالْمِلْحَ الْجَرِيشَ . [6]

[1] الفضائل لابن شاذان : ص123 .

[2] تفسير فرات : ص496 ح651 .

[3] الكافي : ج 1 ص 410 ح 1 .

[4] الأمالي للصدوق : ص 356 ح 437 .

[5] الأمالي للصدوق : ص 722 ح 988 .

[6] تنبيه الخواطر : ج 1 ص 154 .

765. الكامل في التاريخ - في ذكر الإمام عليّ عليه السلام :- كَانَ يَخِيْمُ عَلَى الْجِرَابِ الَّذِي فِيهِ دَقِيقُ الشَّعِيرِ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَيَقُولُ : لَا أَحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِي إِلَّا مَا أَعْلَمُ . [1]

766. الغارات عن عقبة بن علقمة : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ لَبَنٌ حَامِضٌ - آذَنْتِي حُمُوضَتُهُ - وَكِسْرٌ يَابِسَةٌ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَأْكُلُ مِثْلَ هَذَا ؟ ! فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْجَنُوبِ ، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْكُلُ أَيْبَسَ مِنْ هَذَا ، وَيَلْبَسُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى ثِيَابِهِ - فَإِنْ أَنَا لَمْ أَخُذْ بِمَا أَخَذَ بِهِ خِفْتُ أَلَّا الْحَقَّ بِهِ . [2]

2 . لِبَاسُهُ

767. الإمام عليّ عليه السلام : وَاللَّهِ ، لَقَدْ رَفَعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا ، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَتَيْدُهَا عَنْكَ ؟ ! فَقُلْتُ : اِغْرُبْ عَنِّي ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى [3] . [4]

768. الإمام الباقر عليه السلام : إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَا يَلْبَسُ إِلَّا الْبَيَاضَ أَكْثَرَ مَا يَلْبَسُ ، وَيَقُولُ : فِيهِ تَكْفِيْنُ الْمَوْتَى . [5]

769. الكافي عن زرارة بن أعين : رَأَيْتُ قَمِيصَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَسْفَلُهُ اثْنَا عَشَرَ شَيْبًا وَبَدَنُهُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ ، وَرَأَيْتُ فِيهِ نَضَجَ دَمٍ . [6]

3 . بَيْتُهُ

770. الإمام الباقر عليه السلام - فِي صِفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- لَقَدْ وَلِيَ النَّاسَ خَمْسَ سِنِينَ ، فَمَا وَضَعَ

[1] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 443 .

[2] الغارات : ج 1 ص 84 .

[3] عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى : مِثْلُ يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَحْتَمِلُ الْمَشَقَّةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ (مجمع الأمثال : ج 2 ص 318 الرقم 2382) .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 160 .

[5] قرب الإسناد : ص 152 ح 552 .

[6] الكافي : ج 6 ص 457 ح 9 .

770. الإمام الباقر عليه السلام - فِي صِفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَجْرَةٌ عَلَى آجِرَةٍ ، وَلَا لَبَنَةٌ عَلَى لَبَنَةٍ . [1]

4 . شِيرَاؤُهُ

771. الطبقات الكبرى عن فروخ : رَأَيْتُ عَلِيًّا فِي بَنِي دِيوَارٍ وَأَنَا غُلَامٌ ، فَقَالَ : أَتَعْرِفُنِي ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ أَنَى آخَرَ فَقَالَ : أَتَعْرِفُنِي ؟ فَقَالَ : لَا ، فَاشْتَرَيْتُ مِنْهُ قَمِيصًا زَائِيًا ، فَلَبِسْتُهُ ، فَمَدَّ كُمَ الْقَمِيصِ فَإِذَا هُوَ مَعَ أَصَابِعِهِ ، فَقَالَ : لَهُ كُفَّةٌ . فَلَمَّا كَفَّهُ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَا عَلِيًّا بَنَ أَبِي طَالِبٍ . [2]

5 . مُوَاسَاَتُهُ

772. الإمام الباقر عليه السلام - فِي صِفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- إِنْ كَانَ لَيْشْتَرِي الْقَمِيصَ السُّنْبُلَانِيَّ [3] ، ثُمَّ يُخَيِّرُ غُلَامَهُ خَيْرَهُمَا ثُمَّ يَلْبَسُ الْبَاقِيَّ . [4]

6 . الْجَمْعُ بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ

773. عِدَّةُ الدَّاعِي : يُرَوَى عَنْ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَفْرُغُ مِنَ الْجِهَادِ يَتَفَرَّغُ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ ، فَإِذَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ اسْتَعْلَلَ فِي

حَائِطٌ لَهُ يَعْمَلُ فِيهِ يَدِيهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ حَلَّ جَلَالُهُ . [5]

774. حلية الأولياء - فِي الإمام عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام :- كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا لَزِمَتْهُ فِي الْعَيْشِ الضِّيقُ وَالْجَهْدُ أَعْرَضَ عَنِ الْخَلْقِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَسْبِ وَالْكَدِّ . [6]

[1] الكافي : ج 8 ص 130 ح 100 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 28 .

[3] كذا فِي الْمَصْدَر ، وَفِي بَقِيَّةِ الْمَصَادِر : «الْقَمِيصِينَ السَّنْبِلَانِيِّينَ» .

[4] الكافي : ج 8 ص 30 ح 100 .

[5] عُدَّة الداعي : ص 101 .

[6] حلية الأولياء : ج 1 ص 70 .

775. الإمام الصادق عليه السلام : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَحْتَطِبُ وَيَسْتَقِي وَيَكُتُسُ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ - سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا - تَطْحَنُ وَتَعَجِنُ وَتَخِيرُ . [1]

و - إِمَامُ الْمُتَصَدِّقِينَ

1 . آيَةُ مَا عَمِلَ بِهَا غَيْرُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الكتاب

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ ءَاتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» . [2]

الحديث

776. الإمام علي عليه السلام : آيَةُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي ، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي ، كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ قَصَرْتُهُ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ ، فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ تَصَدَّقْتُ بِدِرْهَمٍ ، فَنُسِخَتْ ، فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي ؛ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» . [3]

2 . صَدَقَاتُهُ

777. الإمام علي عليه السلام : لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَإِنِّي لَأُرِيطُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ ،

[1] الكافي : ج 5 ص 86 ح 1 .

[2] المجادلة : 12 و 13 .

[3] تفسير الطبري : ج 14 الجزء 28 ص 20 .

777. الإمام علي عليه السلام : وَإِنَّ صَدَقَتِي الْيَوْمَ لَأَرْبَعُونَ أَلْفًا . [1]

778. الإمام الصادق عليه السلام : أَعْتَقَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِمَّا عَمِلَتْ يَدَاهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ ، إِنَّمَا حَلَوَاهُ التَّمَرُ وَاللَّتَنُ ، وَثِبَانُهُ الْكَرَابِيسُ . [2]

[1] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 334 ح 1367 .

[2] الغارات : ج 1 ص 92 .

الفصل الرابع: الخصائص السياسيّة والاجتماعيّة

أ - الإخاء مع التّبيّ صلى الله عليه وآله

779. الاستيعاب : أخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين بمكة ، ثمّ أخى بين المهاجرين والأنصار بالمدينة ، وقال في كلّ واحدٍ منهما لعلّي : أنت أخي في الدنيا والآخرة ، وأخى بيته وبين نفسه . [1]

780. رسول الله صلى الله عليه وآله - لعلّي عليه السلام :- إنّ الله أمرني أن أؤاخيك ، فأنت أخي في الدنيا والآخرة . [2]

781. سنن الترمذي عن ابن عمر : أخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه ، فجاء عليّ تدمع عيناه ، فقال : يا رسول الله ، أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت أخي في الدنيا والآخرة . [3]

ب - مماتلة حقوقه حقوق التّبيّ صلى الله عليه وآله في مسجده

782. سنن الترمذي عن ابن عباس : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر يستد الأبواب إلا باب عليّ . [4]

[1] الاستيعاب : ج 3 ص 202 الرقم 1875 .

[2] المناقب للكوفي : ج 1 ص 220 ح 139 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ص 636 ح 3720 .

[4] سنن الترمذي : ج 5 ص 641 ح 3732 .

783. المعجم الأوسط عن العلاء بن عرار : سئل ابن عمر عن عليّ وعثمان . فقال : أمّا عليّ فلا تسألوا عنه ؛ أنظروا إلى منزلتي من رسول الله ، فإنّه سدّ أبوابنا في المسجد ، وأقرّ بابه . [1]

784. رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا لا يحلّ هذا المسجد لجنّب ولا لحائض إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ، ألا قد بينت لكم الأسماء ألا تصلّوا . [2]

ج - المظلوميّة بعد التّبيّ صلى الله عليه وآله

785. رسول الله صلى الله عليه وآله - لعلّي عليه السلام :- إنّ الأمة ستعديرك . [3]

786. الإمام عليّ عليه السلام : ممّا عهد إلّي التّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الأمة ستعديرك من بعدي . [4]

787. رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، أنت وصيّ ، ووارثي ، قد أعطاك الله عِلْمِي وفَهْمِي ، فإذا ميت طهرت لك ضغائن في صدور قوم ، وعصب على جفد . [6]

788. عنه صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، أنت المظلوم بعدي ، من ظلمك فقد ظلمني . [7]

789. الإمام عليّ عليه السلام : قول الله ما زلت مدفوعاً عن حقيّ مُستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى يوم الناس هذا . [8]

790. عنه عليه السلام : لقد طُيئت عدّة الحجر والمدر . [9]

[1] المعجم الأوسط : ج 2 ص 38 ح 1166 .

[2] السنن الكبرى : ج 7 ص 104 ح 13400 .

[3] التاريخ الكبير : ج 2 ص 174 الرقم 2103 .

[4] تاريخ بغداد : ج 11 ص 216 الرقم 5928 .

[5] وفي نسخة وبحار الأنوار : «وعُصبت على حَقِّك» .

[6] كفاية الأثر : ص 124 .

[7] الاعتقادات : ص 104 .

[8] نهج البلاغة : الخطبة 6 .

[9] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 286 .

الفصل الخامس: الخصائص الحربية

ما ذكرناه في هذا الفصل إنّما هو غيض من فيض من خصائص هذا الشجاع الذي لا شبيه له والبطل الذي لا نظير له ، الغالب غير المغلوب عليّ بن أبي طالب عليه السلام . نعم ذكرنا في فصول الكتاب المختلفة لمحات من شجاعته في الحروب ، وقتاله الأعداء بنفسه في أشدّ الحروب وأعسر الساعات ، ومبارزته للأبطال ومقارنته للشجعان و . . . ، هذا من جانب . وسعيه من جانب آخر في إخماد نار الحرب ، ومواعظه المفعمّة بالعطف والحنان ، وإتمام الحجج على الأعداء ، وعدم شروعه بالحرب ، وشهامته مع الأعداء ، ومراعاة حال الهاربين والمجروحين ، إلى غير ذلك من خصائصه عليه السلام في الحروب .

أ - أشجّع النَّاسِ قَلْبًا

791. رسول الله صلى الله عليه وآله : عَلِيٌّ أَشَجَّعَ النَّاسِ قَلْبًا . [1]

792. الإمام عليّ عليه السلام : إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَافٌ [2] الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ ، وَلَا

[1] المناقب لابن المغازلي : ص 151 ح 188 .

[2] طِلَافُ الْأَرْضِ : مِلْؤُهَا (لسان العرب : ج 8 ص 235) .

792. الإمام عليّ عليه السلام : اسْتَوْحِشْتُ . [1]

793. عنه عليه السلام - فِي خُطْبَتِهِ الْمُسَمَّاةِ بِالْقَاصِعَةِ :- أَنَا وَصَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَالٍ [2] الْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونٍ رَبِيعَةً وَمُضَرَ . [3]

794. عنه عليه السلام : إِنِّي لَمْ أَفِرَّ مِنَ الرَّحْفِ قَطُّ ، وَلَمْ يُبَارِزْنِي أَحَدٌ إِلَّا سَقَيْتُ الْأَرْضَ مِنْ دَمِهِ ! [4]

795. الإمام الصادق عليه السلام : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِمَ لَا تَشْتَرِي قَرْسًا عَتِيقًا ؟ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ؛ فَإِنَّا لَا أَفِرُّ مِمَّنْ كَرَّ عَلَيَّ ، وَلَا أَكِرُّ عَلَى مَنْ قَرَّ مِنِّي . [5]

796. عيون الأخبار لابن قتيبة : كَانَتْ دِرْعُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَدْرًا لَا ظَهَرَ لَهَا ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِذَا اسْتَمَكَّنَ عَدُوِّي مِنْ ظَهْرِي فَلَا يُبْقِ . [6]

ب - مَا رُئِيَ مُحْرَابًا مِثْلَهُ

797. النهاية عن ابن عباس - فِي وَصْفِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- «مَا رَأَيْتُ مُحْرَابًا مِثْلَهُ مُحْرَابًا» ؛ أَي مَعْرُوفًا بِالْحَرْبِ عَارِفًا بِهَا . [7]

798. وقعة صفين عن معاوية : وَاللَّهِ ، مَا بَارَزَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا سَقَى الْأَرْضَ مِنْ دَمِهِ [8] .

799. المناقب لابن شهر آشوب - فِي الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- إِنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يُسَمِّوْنَهُ الْمَوْتَ الْأَحْمَرَ ، سَمَّوْهُ يَوْمَ بَدْرٍ ؛ لِعِظَمِ بَلَائِهِ وَنِكَائَتِهِ . [9]

[1] نهج البلاغة : الكتاب 62 .

[2] الكلّكل : الصدر من كلّ شيء (لسان العرب : ج 11 ص 596) . وهو هنا كناية عن الأكاير .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[4] الخصال : ص 580 ح 1 .

[5] الأمالي للصدوق : ص 234 ح 249 .

[6] عيون الأخبار لابن قتيبة : ج 1 ص 131 .

[7] النهاية فى غريب الحديث : ج 1 ص 359 .

[8] وقعة صقّين : ص 275 .

[9] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 68 .

ج - مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي جَمِيعِ حُرُوبِهِ

800.الإمام عليّ عليه السلام : إِنِّي كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ وَالْحُرُوبِ ، وَكَانَتْ رَأْيُهُ مَعِيَ . [1]

801.الاستيعاب - فِي الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ ، وَهَاجَرَ ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَالْخِذْيِيَّةَ وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ ، وَأَنَّهُ أَبْلَى بِبَدْرِ وَيَأْخُذُ بِالْخَنْدَقِ وَيَخْبِرُ بِلَاءَ عَظِيمَا ، وَأَنَّهُ أَغْنَى فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ ، وَقَامَ فِيهَا الْمَقَامَ الْكَرِيمَ . وَكَانَ لَوْاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِيَدِهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ . . . وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مُذْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، إِلَّا تَبَوَّكَ ؛ فَإِنَّهُ خَلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَلَى عِيَالِهِ بَعْدَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . [2]

د - صَاحِبُ رَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ

802.رسول الله صلى الله عليه وآله - فِي وَصْفِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- إِنَّهُ صَاحِبُ لَوَائِي عِنْدَ كُلِّ شَدِيدَةٍ وَكَرِيهَةٍ . [3]

803.المعجم الكبير عن جابر بن سمرة : قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ يَحْمِلُ رَابِتَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَحْمِلَهَا إِلَّا مَنْ حَمَلَهَا فِي الدُّنْيَا ؛ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [4]

804.الطبقات الكبرى عن قتادة : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ صَاحِبَ لَوَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَوْمَ بَدْرِ ، وَفِي كُلِّ مَشْهَدٍ . [5]

[1] الخصال : ص 580 ح 1 .

[2] الاستيعاب : ج 3 ص 201 الرقم 1875 .

[3] تاريخ دمشق : ج 42 ص 331 ح 8893 .

[4] المعجم الكبير : ج 2 ص 247 ح 2036 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 23 .

805.الإمام الحسن عليه السلام - حِينَ قُتِلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَبْعَثُهُ بِالرَّايَةِ ، جَبْرِئِيلُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ ، لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ . [1]

[1] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 425 ح 1719 .

القسم الحادي عشر : علوم الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأوّل: التعلّم في مدرسة النبيّ صلى الله عليه وآله

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

المدخل

يختصّ هذا القسم بدراسة المدى الذي يترامى على أطرافه علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ إذ يتوقّر من جهة على متابعة الجهود النبويّة الحثيثة التي بذلها رسول الله صلى الله عليه وآله في تنشئة الإمام معرفياً وإعداده علمياً ، كما يومئ من جهة أخرى إلى الاستعداد العظيم الذي كان يتحلّى به الإمام وسعته الوجوديّة وما بذله في التعلّم من رسول الله صلى الله عليه وآله والتلقّي منه ، ومن ثمّ يكشف بالضرورة عن الموقع الشاهق الذي يحظى به الإمام علمياً وهيمنته المذهلة على العلوم . إنّ متابعة هذا المسار ، والتأمّل في فصول القسم الحادي عشر يجذب الباحث بقوة إلى علم الإمام ، ويدفعه بشوق كي يطلّ على قبسات من علومه الممتدّة ، ويطمح ببصره تلقاء رشفات من بحره الزخّار . عجيب هو علم الإمام ، يُثير التأمل في مدياته الممتدّة الذهول والحيث . إذا رام القلم أن يخطّ من هذا العلم حقيقة واحدة سرعان ما يتراءى أمامه بحر زخّار تتدافع أمواجه ، وتتباعد المسافة بين شطّانه حتى تبلغ المدى الأقصى . بحر لا ينزف هو علم الإمام ، تتراكب أمواجه موج فوقه موج ، شواطئ ممتدّة على الأفق دون نهاية ، وقعر ليس له قرار . أتى للقلم أن يرقى إلى بيان علمه وهو «باب علم» النبيّ و«حكّمته» ، وأتّى

للكلمات أن تتسلّق إلى ذراه وهو «خزانة علم النبيّ» وجميع النبيّين . ثمّ كيف يقدر القلم أن يواكب علم عليّ عليه السلام ، وفي مدى هذا العلم اجتمعت جميع العلوم القرآنيّة ، والمعارف الدينيّة ، وعلم المنايا والبلايا ؛ وقد كان صاحب العلم ينظر إلى الماضي والحاضر كما ينظر إلى الذي بين يديه ، يتبدّى له كما تتبدّى الشمس في رابعة النهار ! «عِلْمُ الْكِتَابِ» [1] كلّه كان عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنصّ الروايات ، ولم يكن عند آصف بن برخيا من هذا العلم إلّا شيئاً منه «عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ» [2] وقد استطاع أن يُحضّر عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام من مسافة بعيدة بأقلّ من طرفه عين . وعندئذٍ ينبغي التأمل ببصيرة وفكر في هذا العلم «علم من الكتاب» مقارنة بذلك العلم «علم الكتاب» لتتصوّر الفارق بين الاثنين ، وفيما إذا كان بمقدور الكلمات والصفحات والأقلام أن ترقى إلى بيان علم عليّ عليه السلام مهما بلغت ، أو تومئ إلى أبعاده ! كان علم الإمام من السعة بحيث أنّ شعاعاً واحداً منه لو تيلّج لكان حرّاً أن يُبهر العقول ، ويأخذ بمجامع النفوس ، ويبعث برعشة راحت تسري في الأجساد ، وذلك قوله عليه السلام : «انْدَمَجْتُ عَلَى مَكُونِ عِلْمٍ لَوْ يُحْتِ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ» . لقد برقت عن ينبوع الإمام المعرفي ومكنون علمه ومضات علميّة ومعرفيّة صدرت قبل أربعة عشر قرناً استجابة لمتطلّبات ذلك العصر وتلبية لحاجات الموقف إليها - لا أنّها صدرت بدافع الواقع ونفس الأمر - راحت تُلقِي أضواءً على بداية

[1] الرعد : 43 .

[2] النمل : 40 .



الخليقة وانبثاق الوجود ، وخلق الملائكة ، وخلق السماوات والأرضين ، والإنسان ، والحيوان ، وأعطت رؤى مكثفة في المجتمع ، وعلم النفس ، والتاريخ ، والأدب ، وأبدت إشارات في الفيزياء ، وعلم الأرض «الجيولوجيا» مما لا يزال يتسم بالجدّة والحدّانة لدى العلماء المعاصرين رغم التطوّر والتكامل . من تكون هذه أثاره من علمه وقبضة من معرفته ، كيف يمكن تحديد أبعاد علمه ، والوقوف على مكنون معرفته؟ وهل يمكن تحزّي جميع الجوانب ، ومعرفة كافّة الزوايا في علم إنسانٍ وقف يصعد بعلوّ قامته ، وبهتف بصلاية ورسوخ : «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي» ، ثمّ لم يعجز عن جواب سؤال قطّ ، ولم يسجّل التاريخ مثيلاً لهذه الظاهرة ، ولم تعرف الإنسانيّة في ماضيها وحاضرها من نطق بمثل هذه المقالة أبداً . هالة من الغموض كانت ولا تزال تكتنف علم عليّ ومداها ، ولا غرو فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «ما عَرَفَ اللَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، وَمَا عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ غَيْرَ اللَّهِ وَغَيْرِي» . إنّ القلم ليعجز ، وتنكفي الكلمات ، ولن يكون أمام المرء مهما بلغت كفاءته إلّا الاعتراف بالعجز أمام هذه الظاهرة المدهشة . على هذا يتحتمّ على الإنسان أن يكون كالمتنبّي في الإفصاح عن عجزه في بيان أبعاد المعرفة العلويّة ، حيث يكون الصمت في مثل هذا المشهد أبلغ من أيّ نطق . ومن ثمّ ما أحرانا أن نرفع الأقلام صوب ساحته الغراء فنمسك عن الكتابة لنصغي إليه وننصت له بأدب ، عساه يُفيض بشيء قليل ممّا عنده ، ويُبدي قطرة من بحر علومه الرخّار ، وينشر وميضاً من مكنون حقائقه.

الفصل الأوّل: التعلّم في مدرسة النبيّ صلى الله عليه وآله

أ - شيّد اهتِمام النّبِيِّ صلى الله عليه وآله يتعلّميهِ

806. الإمام عليّ عليه السلام : كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ [صلى الله عليه وآله] أَجَابَنِي ، وَإِذَا سَكَتَ عَنْهُ وَفَنَيْتَ مَسَائِلِي ابْتَدَأَنِي. [1]

807. عنه عليه السلام : وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَن كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُجِيبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ ، فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ . [2]

808. عنه عليه السلام : وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَآلِهِ كُلِّ يَوْمٍ دَخَلَةً وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخَلَةً ، فَيُخَلِّينِي فِيهَا أَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَآلِهِ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي ، قَرَبًا كَانَ فِي بَيْتِي يَأْتِينِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَآلِهِ أَكْثَرَ ذَلِكَ فِي بَيْتِي ، وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ أَخْلَانِي ، وَأَقَامَ عَتِي نِسَاءَهُ . فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ غَيْرِي . وَإِذَا أَنَانِي لِلْخُلُوءَةِ مَعِي فِي مَنْزِلِي لَمْ تَقُمْ عَتِي فَاطِمَةُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيَّ ، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي ، وَإِذَا سَكَتَ عَنْهُ وَفَنَيْتَ مَسَائِلِي ابْتَدَأَنِي . قَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَآلِهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا ، وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ ، فَكَتَبْتُهَا

[1] الكافي : ج 1 ص 64 ح 1 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 210 .

808. عنه عليه السلام : يَخْطِي وَعَلَّمَني تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا ، وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا ، وَمُحْكَمَهَا وَمُنْشَاهَا ، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهْمَهَا وَجَفَظَهَا ، قَمَا نَسِبْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا عَلِمَا أَمْلَاهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُه ، مُنْذُ دَعَا اللَّهَ لِي بِمَا دَعَا . وَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ ، وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ ، كَانَ أَوْ يَكُونُ ، وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ ، إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ ، فَلَمْ أُنْسَ خَرَفًا وَاحِدًا . ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي ، وَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَمْلَأَ قَلْبِي عِلْمًا وَفَهْمًا ، وَحُكْمًا وَنُورًا ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مُنْذُ دَعَوْتَ اللَّهَ لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أُنْسَ شَيْئًا ، وَلَمْ يَفْتِنِي شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ ، أَفَتَتَخَوُّ عَلَيَّ النَّسِيَّانَ فِيمَا بَعْدَ ؟ فَقَالَ : لَا ، لَسْتُ أَتَخَوُّ عَلَيْكَ النَّسِيَّانَ وَالْجَهْلَ . [1]

809. الإمام عليّ عليه السلام : عَلَّمَنِي [صلى الله عليه و آله] أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ ، فَتَحَ لِي كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ . [2]

810. عنه عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْخَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَمِمَّا كَانَ وَمِمَّا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كُلُّ بَابٍ مِنْهَا يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ ، فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفِ بَابٍ حَتَّى عُلِّمْتُ عِلْمَ الْمَنَابِ وَالْبَلَابِ وَفَصَلَ الْخِطَابِ . [3]

ج - إِمْلَأُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكِتَابَهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَام

811. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ كُلَّ آيَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدِي بِإِمْلَاءٍ

[1] الكافي : ج 1 ص 64 ح 1 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 34 .

[3] الخصال : ص 646 ح 30 .

811. الإمام عليّ عليه السلام : رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله وَخَطَّ يَدَيَّ ، وَتَأْوِيلُ كُلِّ آيَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَكُلُّ حَرَامٍ وَحَلَالٍ ، أَوْ حَيٍّ أَوْ حَكِيمٍ ، أَوْ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله وَخَطَّ يَدَيَّ ، حَتَّى أَرَشُ الْخَدَشَ . [1]

[1] الاحتجاج : ج 1 ص 356 ح 56 .

الفصل الثاني: المنزلة العلميّة

أ - بَابُ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

812. رسول الله صلى الله عليه و آله : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ . [1]

813. عنه صلى الله عليه و آله : عَلَيَّ بَابُ عِلْمِي ، وَمُبَيِّنٌ لَأَمْتِي مَا أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِي . [2]

ب - خَارِزْنُ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

814. الإمام عليّ عليه السلام : أَنَا بَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَخَارِزْنُ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ وَوَارِثُهُ . [3]

815. رسول الله صلى الله عليه و آله - فِي عَلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ -: فَقَلِّدُوهُ دِينَكُمْ ، وَأَطِيعُوهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ ؛ فَإِنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ . [4]

816. الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ فِي عَلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتَّةَ أَلْفِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرْفَعْ ، وَمَا مَاتَ عَالِمٌ فَذَهَبَ عِلْمُهُ ، وَالْعِلْمُ يُتَوَارَثُ . [5]

[1] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 138 ح 4639 .

[2] الفردوس : ج 3 ص 65 ح 4181 .

[3] معاني الأخبار : ص 58 ح 9 .

[4] الغيبة للنعماني : ص 71 ح 8 .

[5] الكافي : ج 1 ص 222 ح 4 .

ج - أَعْلَمُ الْأُمَّةِ

817. رسول الله صلى الله عليه وآله : عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَعْلَمُ أُمَّتِي . [1]

818. عنه صلى الله عليه وآله : أَعْلَمُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [2]

د - لَمْ يَنْسَ مَا سَمِعَهُ

819. أنساب الأشراف عن مَكحول : قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ» [3] فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ . قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا أَوْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [4]

ه - لَمْ يَجِدْ حَمَلَةً لِعِلْمِهِ

820. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ فِي صَدْرِي هَذَا لَعِلْمًا جَمًّا ، عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَوْ أُجِدُّ لَهُ حَقْظَةٌ يَرَعَوْتُهُ حَقِّي رِعَايَتِهِ وَيَرَوْنَهُ كَمَا يَسْمَعُونَهُ مِنِّي إِذَا لَأَوَدَعْتُهُمْ بَعْضَهُ ، فَعَلَّمَنِي بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّ الْعِلْمَ مِفْتَاحُ كُلِّ بَابٍ ، وَكُلُّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ . [5]

[1] الإرشاد : ج 1 ص 33 .

[2] الفردوس : ج 1 ص 370 ح 1491 .

[3] الحاقّة : 12 .

[4] أنساب الأشراف : ج 2 ص 363 .

[5] الخصال : ص 645 ح 29 .

الفصل الثالث: أنواع علومه

أ - عِلْمُ الْكِتَابِ [1]

821. الإمام عليّ عليه السلام - فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «قُلْ ك: أَتَا هُوَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ . [2]

ب - عِلْمُ الْقُرْآنِ

822. الإمام عليّ عليه السلام : وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيهَا نَزَلَتْ ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ ، وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ ، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولًا وَلِسَانًا طَلِقًا . [3]

823. عنه عليه السلام : ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ ، أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ : إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا مَضَى ، وَعِلْمَ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ ، وَبَيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، فَلَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ لَعَلَّمْتُكُمْ . [4]

[1] فيما يتعلق بالمراد من «الكتاب» في هذا الحديث احتمالات عديدة ، فقال البعض إنّ المراد منه هو اللوح المحفوظ ، وقال آخرون إنّ المراد منه هو التوراة والإنجيل ، ويرى البعض أنّ المراد به هو القرآن الكريم ، والذي نراه هو أنّ المراد به كتاب خاصّ من اطلع عليه تمتع بقدرة معنوية خارقة للعادة .

[2] بصائر الدرجات : ص 216 ح 21 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 338 .

[4] الكافي : ج 1 ص 61 ح 7 .

ج - عِلْمُ الدِّينِ

824. فضائل الصحابة عن عبد الله : أَعْلَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِالْقُرْآنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [1]

825. التاريخ الكبير عن عائشة : عَلِيُّ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالسُّنَّةِ . [2]

د - عِلْمُ الشَّرَائِعِ

826. الإمام علي عليه السلام : أَنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِالتَّوْرَةِ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ ، وَأَعْلَمُ بِالْإِنْجِيلِ مِنْ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ ، وَأَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ . [3]

ه - عِلْمُ الْبَلَايَا وَالْمَنَایَا

827. الإمام الصادق عليه السلام : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : . . . وَلَقَدْ أُعْطِيتُ خِصَالًا مَا سَبَقَنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلِي ، عَلِمْتُ الْمَنَایَا وَالْبَلَايَا ، وَالْأَنْسَابَ وَقَصَلَ الْخِطَابَ ، فَلَمْ يَفْتَنِي مَا سَبَقَنِي ، وَلَمْ يَعْزُبْ عَنِّي مَا غَابَ عَنِّي ، أُبَشِّرُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُؤَدِّي عَنْهُ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ مَكَّنَنِي فِيهِ يَعْلِمُهُ . [4]

و - عِلْمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ

828. الإمام علي عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ التَّقَمَ [5] أَذْنِي وَعَلَّمَنِي مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَسَاقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ إِلَيَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . [6]

[1] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 1 ص 534 ح 888 .

[2] التاريخ الكبير : ج 2 ص 255 الرقم 2377 .

[3] كتاب سليم بن قيس : ج 2 ص 913 ح 65 .

[4] الكافي : ج 1 ص 196 ح 1 .

[5] التقم أذنه : سارّه (تاج العروس : ج 17 ص 656) .

[6] الخصال : ص 576 ح 1 .

818

کتابخانه مدرسه فقاہت

منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

القسم الثاني عشر : قضايا الإمام علي عليه السلام

الفصل الأول: نظرة عامة

الفصل الثاني: نماذج من أقضيته في عصر النبي صلى الله عليه وآله

819

کتابخانه مدرسه فقاہت

منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

820

کتابخانه مدرسه فقاہت

منتخب موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الفصل الأول: نظرة عامة

829. رسول الله صلى الله عليه وآله : أَفْضَى أُمَّتِي وَأَعْلَمُ أُمَّتِي بَعْدِي عَلِيٌّ . [1]

830. صحيح البخاري عن عمر : أَقْضَانَا عَلِيٌّ . [2]

831. الإمام علي عليه السلام : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَبْعَنِي وَأَنَا شَابٌّ أَقْضَى بَيْنَهُمْ وَلَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ ؟ فَصَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي ، ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ ، وَتَبِّتْ لِسَانَهُ» ، فَمَا شَكَّكَ بَعْدُ فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ . [3]

832. عنه عليه السلام : لَوْ تُبَيِّنَ لِي الْوَسَادُ لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ الثَّوَرَةِ يَتَوَرَّانِهِمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ يَنْجِلِيهِمْ ، وَأَهْلِ الرَّبَّورِ يَرْبُورِهِمْ ، وَأَهْلِ الْقُرْآنِ يَقْرَأْنِهِمْ ، حَتَّى يَزْهَرَ كُلُّ كِتَابٍ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ وَيَقُولُ : يَا رَبِّ إِنَّ عَلَيَّ قَضَى يَقْضَاكَ . [4]

[1] الأُمالي للصدوق : ص 642 ح 870 .

[2] صحيح البخاري : ج 4 ص 1629 ح 4211 .

[3] سنن ابن ماجه : ج 2 ص 774 ح 2310 .

[4] الإرشاد : ج 1 ص 35 .

الفصل الثاني: نماذج من أفضيته في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله

أ - قتلى زُبَيَّة الأسد

833. الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ قَوْمًا احْتَقَرُوا زُبَيَّةَ [1] لِلْأَسَدِ بِالْبَيْمَنِ ، فَوَقَعَ فِيهَا الْأَسَدُ ، فَارْدَحَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا بِنُطْرُونَ إِلَى الْأَسَدِ ، فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ ، فَتَعَلَّقَ بِأَخَرٍ ، فَتَعَلَّقَ الْآخَرُ بِأَخَرٍ وَالْآخَرُ بِأَخَرٍ ، فَجَرَحَهُمُ الْأَسَدُ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ مِنْ جِرَاحَةِ الْأَسَدِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْرَجَ قِمَاتَ ، فَتَشَاجَرُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى أَخَذُوا السُّيُوفَ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلُمُّوا أَقْضِي بَيْنَكُمْ ؛ فَقَضَى أَنَّ لِلأَوَّلِ رُبْعَ الدِّيَّةِ ، وَلِلثَّانِي ثُلُثَ الدِّيَّةِ ، وَلِلثَّالِثِ نِصْفَ الدِّيَّةِ ، وَلِلرَّابِعِ دِيَّةً كَامِلَةً ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَى قِبَائِلِ الَّذِينَ ارْدَحَمُوا ، فَرَضِيَ بَعْضُ الْقَوْمِ وَسَخِطَ بَعْضٌ . فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَخِيرَ بِقَضَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَجَازَهُ . [2]

ب - ثَوْرٌ رَجُلٍ قَتَلَ جِمَارَ الْآخِرِ

834. الإمام الباقر عليه السلام : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : إِنَّ ثَوْرَ فُلَانٍ قَتَلَ جِمَارِي ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِيَّتْ أَبَا بَكْرٍ فَسَلِّهُ . فَأَنَاهُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ عَلَى الْبَهَائِمِ قَوْدٌ . فَرَجَعَ إِلَى

[1] الرُّبِيَّةُ : حَفِيرَةٌ تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ وَالصَّيْدِ ، وَيُعْطَى رَأْسُهَا بِمَا يَسْتَرُهَا لِيَقَعَ فِيهَا (النهاية : ج 2 ص 295) .

[2] الكافي : ج 7 ص 286 ح 2 .

834. الإمام الباقر عليه السلام : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِيَّتْ عُمَرَ فَسَلِّهُ . فَأَنَاهُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : مِثْلَ مَقَالَةِ أَبِي بَكْرٍ . فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِيَّتْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلِّهُ . فَأَنَاهُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ كَانَ الثَّوْرُ الدَّاخِلُ عَلَى جِمَارِكَ فِي مَنَامِهِ حَتَّى قَتَلَهُ فَصَاحِبُهُ ضَامِنٌ ، وَإِنْ كَانَ الْجِمَارُ هُوَ الدَّاخِلُ عَلَى الثَّوْرِ فِي مَنَامِهِ فَلَيْسَ عَلَى صَاحِبِهِ ضَمَانٌ . قَالَ : فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَحْكُمُ بِحُكْمِ الْأَنْبِيَاءِ . [1]

ج - رَجُلٌ شَرِبَ الْخَمْرَ جَاهِلًا بِحُرْمَتِهِ

835. الإمام الصادق عليه السلام : لَقَدْ قَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَقْضِيَّةً مَا قَضَى بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ ! وَكَانَتْ أَوَّلَ قَضِيَّةٍ قَضَى بِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قُضِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأُفْضِيَ الْأَمْرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَتَى يَرْجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَشْرَبْتَ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : وَلِمَ شَرَبْتَهَا وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَمَّا [2] أَسْلَمْتُ وَمَنْزِلِي بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْتَجْلُونَهَا ، وَلَمْ [3] أَعْلَمْ أَنَّهَا حَرَامٌ فَأَجْتَنَيْتُهَا . قَالَ : فَالْتَقَتْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ : مَا تَقُولُ يَا أَبَا حَفْصٍ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَقَالَ : مُعْضِلَةٌ وَأَبُو الْحَسَنِ لَهَا . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا غُلَامُ ادْعُ لَنَا عَلِيًّا ، قَالَ عُمَرُ : بَلْ يُؤْتَى الْحَكْمُ فِي مَنَزِلِهِ ، فَأَتَوْهُ وَمَعَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ الرَّجُلِ فَاقْتَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ .

[1] الكافي : ج 7 ص 352 ح 7 .

[2] كذا في المصدر، وجاء في الموضوع الآخر من الكافي وخصائص الأئمة عليهم السلام بحذف «لَمَّا»، وهو المناسب للسياق.

[3] في المصدر : « ولو » ، والصواب ما أثبتناه كما في خصائص الأئمة عليهم السلام . وفي الموضوع الآخر من الكافي : « ولو علمتُ أنَّها حرام اجتنبتها » .

835. الإمام الصادق عليه السلام : فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِي بَكْرٍ : إِبْعَثْ مَعَهُ مَنْ يَدُورُ بِهِ عَلَى مَجَالِسِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛ فَمَنْ كَانَ تَلَا عَلَيْهِ آيَةَ التَّحْرِيمِ فَلَيْسَتْهُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَلَا عَلَيْهِ آيَةَ التَّحْرِيمِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ . فَقَعَلَ أَبُو بَكْرٍ بِالرَّجُلِ مَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ . [1]

د - إمْرَأَةٌ وَلَدَتْ بَعْدَ قُدُومِ زَوْجِهَا بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ

836. المناقب لابن شهر آشوب : كَانَ الْهَيْئَمُ فِي حَبَشٍ ، فَلَمَّا جَاءَتْ امْرَأَتُهُ بَعْدَ قُدُومِهِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ يُولَدُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهَا وَجَاءَ بِهِ عُمرَ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ بِرَحْمَتِهَا ، فَأَذْرَكَهَا عَلِيٌّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُرْجَمَ ، ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ : ارْبِعْ [2] عَلَى نَفْسِكَ ؛ إِنَّهَا صَدَقَتْ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » [3] وَقَالَ : « وَالْوَلَدُ لَيْدٌ يُرْضَعُ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ » [4] فَالْحَمْلُ وَالرِّضَاعُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ، فَقَالَ عُمرَ : لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمرَ . وَخَلَّى سَبِيلَهَا ، وَالْحَقُّ الْوَلَدُ بِالرَّجُلِ . [5]

هـ - رَجُلَانِ إِحْتَالَا فِي ذَهَابِ مَالِ امْرَأَةٍ

837. الكافي عن زاذان : اسْتَوْدَعَ رَجُلَانِ امْرَأَةً وَدِيعَةً وَقَالَا لَهَا : لَا تَدْفَعِيهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنَّا حَتَّى نَجْتَمِعَ عِنْدَكَ . ثُمَّ انْطَلَقَا فَعَابَا ، فَجَاءَ أَحَدُهُمَا إِلَيْهَا فَقَالَ : أَعْطِينِي وَدِيعَتِي ؛ فَإِنَّ صَاحِبِي قَدْ مَاتَ ، فَأَبَتْ حَتَّى كَثُرَ اخْتِلَافُهُ ثُمَّ أَعْطَتْهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُ فَقَالَ : هَانِي وَدِيعَتِي ، فَقَالَتْ : أَخَذَهَا صَاحِبُكَ وَذَكَرَ أَنَّكَ قَدْ مِتُّ ، فَأَرْتَقَا إِلَى عُمرَ ، فَقَالَ لَهَا

[1] الكافي : ج 7 ص 249 ح 4 ، خصائص الأئمة عليهم السلام : ص 81 .

[2] اَرْبِعَ : قَفَّ وَاقْتَصِرَ (النهاية : ج 2 ص 187) .

[3] الأحقاف : 15 .

[4] البقرة : 233 .

[5] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 365 .

837. الكافي عن زاذان : عُمرَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا وَقَدْ صَمِنْتَ ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : إِجْعَلْ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَقَالَ عُمرَ : إِقْضِ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَذِهِ الْوَدِيعَةُ عِنْدِي ، وَقَدْ أَمَرْتُهَا أَنْ لَا تَدْفَعَهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنْكُمَا حَتَّى تَجْتَمِعَا عِنْدَهَا فَأَتِنَنِي بِصَاحِبِكَ ! فَلَمْ يُضْمِنْهَا وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يَذْهَبَا بِمَالِ الْمَرْأَةِ . [1]

و - رَجُلٌ أُصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ

838. الكافي عن الحسن بن كثير عن أبيه : أُصِيبَتْ عَيْنُ رَجُلٍ وَهِيَ قَائِمَةٌ فَأَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرِيبَتَ عَيْنِهِ الصَّحِيحَةَ ، وَأَقَامَ رَجُلًا [2] يَحْدَاهُ يَدَيْهِ بَيْضَةً ، يَقُولُ : هَلْ تَرَاهَا ؟ قَالَ : فَجَعَلَ إِذَا قَالَ : نَعَمْ ، تَأَخَّرَ قَلِيلًا ، حَتَّى إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ عِلْمُ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، قَالَ : وَغَضِبَتْ عَيْنُهُ الْمُصَابَةُ ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتْبَاعِدُ وَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ الصَّحِيحَةِ حَتَّى إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قِيسَ مَا بَيْنَهُمَا فَأَعْطِيَ الْأَرْضَ عَلَى ذَلِكَ . [3]

ز - رَجُلَانِ تَنَازَعَا فِي ثَمَانِيَةِ دَرَاهِمَ

839. الكافي عن ابن أبي لیلی : قَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ اصْطَحَبَا فِي سَقْفٍ ، فَلَمَّا أَرَادَا الْعِدَاءَ أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا مِنْ زَادِهِ خَمْسَةَ أَرْغِفَةٍ ، وَأَخْرَجَ الْآخَرُ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ ، فَمَرَّ بِهِمَا عَابِرُ سَبِيلٍ ، فَدَعَاوَاهُ إِلَى طَعَامِهِمَا ، فَأَكَلَ الرَّجُلُ مَعَهُمَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ ، فَلَمَّا فَرَعُوا أَعْطَاهُمَا الْعَابِرُ بِهِمَا ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ ثَوَابَ مَا أَكَلَهُ مِنْ طَعَامِهِمَا ، فَقَالَ صَاحِبُ الثَّلَاثَةِ أَرْغِفَةٍ لِصَاحِبِ الْخَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ : إِقْسِمَا بِصَفِينِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَقَالَ صَاحِبُ الْخَمْسَةِ : لَا ، بَلْ يُأْخِذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ عَلَى عَدَدِ مَا أَخْرَجَ مِنَ الزَّادِ .

[1] الكافي : ج 7 ص 428 ح 12 .

[2] في المصدر: «رجل»، والصواب ما أثبتناه كما في تهذيب الأحكام.

[3] الكافي : ج 7 ص 323 ح 6 ، تهذيب الأحكام : ج 6 ص 266 ح 1047 .

839.الكافي عن ابن أبي ليلى : قال : قَاتِيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمَا قَالَ لَهُمَا : إِصْطَلِحَا : فَإِنَّ قَضِيَّتَكُمَا دَنِيَّةٌ ، فَقَالَا : إِقْضِ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ . قَالَ : فَأَعْطَى صَاحِبَ الْخُمْسَةِ أَرْغِفَةً سَبْعَةَ دَرَاهِمَ ، وَأَعْطَى صَاحِبَ الثَّلَاثَةِ أَرْغِفَةً دِرْهَمًا ، وَقَالَ : أَلَيْسَ أَخْرَجَ أَحَدُكُمَا مِنْ زَادِهِ خُمْسَةَ أَرْغِفَةٍ ، وَأَخْرَجَ الْآخَرُ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : أَلَيْسَ أَكَلَّ مَعَكُمْ صَيْغُكُمَا مِثْلَ مَا أَكَلْتُمَا ؟ قَالَا : نَعَمْ ! قَالَ : أَلَيْسَ أَكَلْتُ أَنْتَ يَا صَاحِبَ الثَّلَاثَةِ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلْثٍ ؟ قَالَا : نَعَمْ ! قَالَ : أَلَيْسَ أَكَلْتُ أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْخُمْسَةِ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلْثٍ ، وَأَكَلَّ الصَّيْفُ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلْثٍ ؟ أَلَيْسَ بَقِيَ لَكَ يَا صَاحِبَ الثَّلَاثَةِ ثُلْثُ رَغِيفٍ مِنْ زَادِكَ ، وَبَقِيَ لَكَ يَا صَاحِبَ الْخُمْسَةِ رَغِيفَانِ وَثُلْثٌ ، وَأَكَلْتَ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلْثٍ ؟ ! فَأَعْطَاهُمَا لِكُلِّ ثُلْثٍ رَغِيفٍ دِرْهَمًا ؛ فَأَعْطَى صَاحِبَ الرَّغِيفَيْنِ وَثُلْثٍ سَبْعَةَ دَرَاهِمَ ، وَأَعْطَى صَاحِبَ ثُلْثٍ رَغِيفٍ دِرْهَمًا . [2]

ح - قَطَعُ يَدَ السَّارِقِ

840.الكافي عن الحارث بن حصيرة : مَرَرْتُ بِحَبَشِيٍّ وَهُوَ يَسْتَسْقِي بِالمَدِينَةِ ، وَإِذَا هُوَ أَقْطَعُ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ قَطَعَكَ ؟ فَقَالَ : قَطَعَنِي خَيْرُ النَّاسِ ! إِنَّا أَخَذْنَا فِي سَرِقَةٍ وَنَحْنُ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ ، فَذَهَبَ بِنَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَقْرَرَنَا بِالسَّرِقَةِ ، فَقَالَ لَنَا : تَعْرِفُونَ أَنَّهَا حَرَامٌ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِنَا فَقَطَعَتْ أَصَابِعُنَا مِنَ الرَّاحَةِ وَخُلِّيتِ الْإِبْهَامُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَا

[1] في المصدر : «إِلَّا ثُلْثُ» ، والصحيح ما أثبتناه كما في تهذيب الأحكام .

[2] الكافي : ج 7 ص 427 ح 10 ، تهذيب الأحكام : ج 6 ص 290 ح 805.

840.الكافي عن الحارث بن حصيرة : فَخَيْسِنَا فِي بَيْتٍ يُطْعَمُنَا فِيهِ السَّمْنُ وَالْعَسَلُ حَتَّى بَرَرْتُ أَيْدِيَنَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَا فَأَخْرَجَنَا ، وَكَسَانَا فَأَحْسَنَ كِسْوَتَنَا ، ثُمَّ قَالَ لَنَا : إِنْ تَتُوبُوا وَتُصْلِحُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، يُلْحِقُكُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ لَا تَفْعَلُوا يُلْحِقُكُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ فِي النَّارِ . [1]

[1] الكافي : ج 7 ص 264 ح 22 .

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

القسم الثالث عشر : آيات الإمام عليّ عليه السلام
الفصل الأول: استجابة دعواته
الفصل الثاني: ردّ الشمس له
الفصل الثالث: إخباره بالأمور الغيبية
الفصل الرابع: النوادر

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

الفصل الأوّل: استجابة دعواته

841. الإمام الباقر عليه السلام : شكا أهل الكوفة إلى عليّ عليه السلام زيادة الفرات ، فركب هو والحسن والحسين عليهما السلام فوقف على الفرات وقد ارتفع الماء على جانبيه ، فصرّبه يقضب رسول الله صلى الله عليه وآله فتنقص ذراع ، وصرّبه أخرى فتنقص ذراعين . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو زدنا ! فقال : إني سألت الله فأعطاني ما رأيتم ، وأكره أن أكون عبداً مُلِحاً . [1]

842. شرح الأخبار عن الأصمعي بن نباتة : لما انهزم أهل البصرة قام فتى إلى عليّ صلوات الله عليه ، فقال : ما بال ما في الأخبية لا تُقسّم ؟ فقال عليّ عليه السلام : لا حاجة لي في فتوى المتعلمين . قال : ثم قام إليه فتى آخر ، فقال مثل ذلك ، فردّ عليه مثل ما ردّ أولاً . فقال له الفتى : أما والله ما عدلت ! فقال له عليّ عليه السلام : إن كنت كاذباً قبلت الله بك سلطان فتى ثقيف . ثم قال عليّ عليه السلام : اللهم إني قد ملئتكم وملوني ، فأبدلني بهم ما هو خير منكم ، وأبدلهم بي ما هو شرّ لهم . قال الأصمعي بن نباتة : قبلت ذلك الفتى سلطان الحجاج ، فقتله . [2]

[1] الخرائج والجرائح : ج 1 ص 173 ح 4 .

[2] شرح الأخبار : ج 2 ص 290 ح 605 .

الفصل الثاني: ردّ الشمس له

أ - من ردّت له الشمس

843. الإمام الصادق عليه السلام : إن سليمان بن داود عليه السلام غرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل ، فاشتغل بالنظر إليها حتى توارت الشمس بالجباب ، فقال للملائكة : ردّوا الشمس عليّ حتى أصليّ صلاتي في وقتها ! فردّوها ، فقام فمسح ساقيه وعنقه ، وأمر أصحابه الذين فاتتهم الصلاة معه يمثل ذلك . وكان ذلك وضوءهم للصلاة . ثم قام فصلى ، فلما فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم . ذلك قول الله عز وجل : « وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ غُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْحَبِيزُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ » [1] . [2]

ب - ردّ الشمس للإمام عليه السلام مرتين

844. الإمام علي عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى ردّ عليّ الشمس مرتين ، ولم يردها على أحد من أمّة محمد صلى الله عليه وآله غيري . [3]

[1] ص : 30 - 33 .

[2] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 1 ص 202 ح 607 .

[3] الخصال : ص 580 ح 1 .

ج - ردّ الشمس له في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله

845. المعجم الكبير عن أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي يكاد يُعشى عليه ، فأنزل عليه يوماً وهو في حجر عليّ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : صليت العصر يا عليّ ؟ قال : لا يا رسول الله . فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى صلى العصر . قالت : فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين ردّت حتى صلى العصر . [1]

د - ردّ الشمس أيام إمارة الإمام عليه السلام

846. الإرشاد : وكان رجوعها [أي الشمس] عليه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّه لما أراد أن يعبر الفرات يابل ، اشتغل كثير من أصحابه بتعبير ذوابهم ورجالهم ، وصلى عليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر ، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس ، فغابت الصلاة كثيرا منهم ، وفات الجمهور فضل الإجتماع معه ، فتكلموا في ذلك ، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى ردّ الشمس عليه ليجمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها ، فأجابته الله تعالى في ردها عليه ، فكانت في الأفق على الحال التي تكون عليها وقت العصر ، فلما سلم بالقوم غابت ، فسمع لها وحيب [2] شديد هال الناس ذلك ،

[1] المعجم الكبير : ج 24 ص 152 ح 391 .

[2] أي صوت شديد (راجع : المحيط في اللغة : ج 7 ص 203) .

[3] الإرشاد : ج 1 ص 346 .

الفصل الثالث: إخباره بالأمور الغيبية

أ - إستهزاء الحسين عليه السلام في كربلاء

847.مسند ابن حنبل عن عبد الله بن نجّي عن أبيه : أَنَّهُ سَارَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُوَكَانَ صَاحِبَ مِطْهَرَتِهِ [1] ، فَلَمَّا حَازَى نَبْتَوَى وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صِغْبَيْنَ ، فَنَادَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِصْبِرْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِصْبِرْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِشَطِّ الْفُرَاتِ . قُلْتُ : وَمَاذَا [2] ؟ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ ، قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَعْصَبَكَ أَحَدٌ ، مَا شَأْنُ عَيْنَيْكَ تَفِيضَانِ ؟ قَالَ : بَلْ قَامَ مِنْ عِنْدِي جِبْرِيلُ قَبْلَ فَحَدَّثَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ يُقَتَّلُ بِشَطِّ الْفُرَاتِ . قَالَ : فَقَالَ : هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ أُشِيمَكَ مِنْ ثُرَيَّهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . فَمَدَّ يَدَهُ فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ ثُرَابٍ فَأَعْطَانِيهَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي أَنْ فَاضَتْ . [3]

[1] المِطْهَرَةُ : الإناء الذي يُتَوَضَّأُ بِهِ وَيُتَطَهَّرُ بِهِ (لسان العرب : ج 4 ص 506 «طهر»).

[2] في بعض المصادر : «وماذا : أبا عبد الله ؟» ، وفي بعضها : «ومن ذا : أبا عبد الله ؟» .

[3] مسند ابن حنبل : ج 1 ص 184 ح 648 .

848.أسد الغابة عن غرفة الأزد : دَخَلَنِي شَكٌّ مِنْ شَأْنِ عَلِيٍّ ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ، فَعَدَلْتُ عَنِ الطَّرِيقِ وَوَقَفْتُ وَوَقَفْنَا حَوْلَهُ ، فَقَالَ بِيَدِهِ : هَذَا مَوْضِعُ رَوَاجِلِهِمْ ، وَمُنَاجٍ رِكَابِهِمْ ، وَمُهْرَاقٍ دِمَائِهِمْ ، يَا بَنِي مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ . فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ خَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَكَانَ الَّذِي قَتَلُوهُ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ كَمَا قَالَ ، مَا أَخْطَأُ شَيْئًا . قَالَ : فَاسْتَعْقَرْتُ اللَّهَ مِمَّا كَانَ مَتْنِي مِنَ الشَّكِّ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُقَدِّمُ إِلَّا بِمَا عَاهَدَ إِلَيْهِ فِيهِ . [1]

ب - مصير الحرب في وقعة الجمل

849.المعجم الكبير عن الأجلح بن عبد الله عن زيد بن ع لَمَّا بَلَغَ أَصْحَابَ عَلِيٍّ حِينَ سَارُوا إِلَى الْبَصْرَةِ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ قَدِ اجْتَمَعُوا لِبُلَاحَةِ وَالزُّبَيْرِ ، شَقَّ عَلَيْهِمْ وَوَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، لَيُطْهَرَنَّ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَلَيُقْتَلَنَّ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، وَلَيُخْرَجَنَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْكُوفَةِ سِتَّةٌ آلَافٍ وَخَمْسُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا ، أَوْ خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا - شَكُّ الْأَجْلَحِ - . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي ، فَلَمَّا أُنِيَ أَهْلُ الْكُوفَةِ خَرَجْتُ ، فَقُلْتُ : لَأَنْظُرَنَّ ، فَإِنْ كَانَ كَمَا يَقُولُ [2] فَهُوَ أَمْرٌ سَمِيعٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ خَدِيعَةُ الْحَرْبِ . فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْجَيْشِ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ مَا عَنَّمُ [3] أَنْ قَالَ مَا قَالَ عَلِيٌّ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَهُوَ مِمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُخِيرُهُ . [4]

[1] أسد الغابة : ج 4 ص 322 الرقم 4173 .

[2] في المصدر : «تقول» ، والصواب ما أثبتناه.

[3] عَنَّمْ عن الشيء وعَنَّمْ : أبطأ (لسان العرب : ج 12 ص 380) .

[4] المعجم الكبير : ج 10 ص 305 ح 10738 .

ج - مَا يَفْعُ بَعْدَهُ مِنَ الْفَتَنِ

850.الإمام علي عليه السلام : أَتَيْهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْحَقِّ فَتَلَوْتُمْ عَلَيَّ ، وَصَرَيْتُمْ بِالْدِّرَّةِ فَأَعْيَيْتُمُونِي ، أَمَا إِنَّهُ سَيَلِيْكُم مِّنْ بَعْدِي وَلَاؤُهُ لَا يَرْضَوْنَ مِنْكُمْ بِهَذَا حَتَّى يُعَذِّبُوكُمْ بِالسَّيَاطِطِ وَبِالْحَدِيدِ ، إِنَّهُ مَن عَذَّبَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ . وَأَيُّهُ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ صَاحِبُ الْيَمَنِ حَتَّى يَخْلُ بَيْنَ أَطْهَرِكُمْ ، فَيَأْخُذَ الْعُمَّالَ وَعُمَّالَ الْعُمَّالِ ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : يَوْسُفُ بْنُ عُمَرَ [1] . [2]

851.عنه عليه السلام : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ . وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى ، سُكَّانُهَا وَعَمَارَتُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَن شَدَّ عَنْهَا فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَن تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : فِي بَيْتٍ خَلَقْتُ لِأَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ فِتْنَةً تَنْزِعُكَ الْخَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ . وَقَدْ فَعَلَ ، وَتَحْنُ تَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثَرَةَ الْعَقْلَةِ . [3]

د - مُلْكُ مُعَاوِيَةَ

852.مروج الذهب : قَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ دَسَّ أَنْاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْكُوفَةِ يُشِيعُونَ مَوْتَهُ ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ عَلِيًّا ، فَقَالَ فِي مَجْلِسِهِ : قَدْ أَكْثَرْتُم مِّنْ تَعْيِ مُعَاوِيَةَ ، وَاللَّهِ مَا مَاتَ وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَمْلِكَ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ ابْنُ أَكْلَةِ الْأَكْبَادِ أَنْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مَتَى فَبَعَثَ مَن يُشِيعُ ذَلِكَ فِيكُمْ لِيَعْلَمَ وَيَتَقَنَّ مَا عِنْدِي فِيهِ ، وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الزَّمَانِ .

[1] ابن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، أمير العراقيين وخراسان لهشام ، ثم أمّره الوليد بن يزيد ، وكان مهيبا ، جبارا ، وكان من أقارب الحجاج بن يوسف (سير أعلام النبلاء : ج 5 ص 442 الرقم 197) .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 322 .

[3] نهج البلاغة : الحكمة 369 .

852.مروج الذهب : وَمَرَّ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ تَلَاهُ مِنْ بَنِي زَيْدٍ وَمُرَوَّانَ وَبَنِيهِ ، وَذَكَرَ الْحَجَّاجَ وَمَا يَسُومُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، فَارْتَفَعَ الصَّحِيحُ ، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ وَالشَّهيقُ ، فَقَامَ قَائِمٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَقَدْ وَصَفْتَ أُمُورًا عَظِيمَةً ، اللَّهُ إِنْ ذَلِكَ كَائِنٌ ؟ قَالَ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ إِنْ ذَلِكَ لَكَائِنٌ ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ . فَقَالَ آخَرُونَ : مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : إِذَا خُصِّيتَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ، وَوَضَعَ أَحَدِي يَدِيهِ عَلَى لِحْيَتِي وَالْآخَرَى عَلَى رَأْسِي ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ . فَقَالَ : لَا تَبْكُوا فِي وَفَيْتُكُمْ هَذَا فَسَتَبْكُونَ بَعْدِي طَوِيلًا . فَكَاتَبَ أَكْثَرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُعَاوِيَةَ سِرًّا فِي أُمُورِهِمْ ، وَاتَّخَذُوا عِنْدَهُ الْأَيَادِي ، فَقَالَ اللَّهُ مَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ . [1]

ه - مُلْكُ بَنِي مُرَوَّانَ

853.الإمام علي عليه السلام - فِي وَصْفِ مُرَوَّانَ بْنِ الْحَكَمِ - : أَمَا إِنَّ لَهُ امْرَأَةً كَلَعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ [2] ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ [3] ، وَسَتَلَقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ . [4]

و - سُلْطَةُ الْحَجَّاجِ

854.الإمام علي عليه السلام : أَمَا وَاللَّهِ ، لَيَسْلَطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ تَقِيهِ ، الذَّبَالُ [5] الْمَيْالُ ، يَأْكُلُ خَصِرَتَكُمْ ،

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 429 .

[2] يريد قصر المدّة ، وكذلك كانت مدّة خلافة مروان ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ .

[3] الْأَكْبُشُ الْأَرْبَعَةُ : بَنُو عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ الْوَلِيدُ ، وَسَلِيمَانُ ، وَبَزِيدُ ، وَهَشَامُ ، وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ إِلَّا هَؤُلَاءِ (شرح نهج البلاغة : ج 6 ص 147) .

[4] نهج البلاغة : الخطبة 73 .

[5] الذَّبَالُ : الْمُتَبَخَّرُ فِي مَشْيِهِ ، وَتَذَلُّ : تَبَخَّرَ (القاموس المحيط : ج 3 ص 380).

854.الإمام علي عليه السلام : وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ ، إِيَّاهُ أَبَا وَدَّحَةَ ! [1]

ز - مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَزَوَالُهُ

855.الإمام علي عليه السلام : يَابْنَ عَبَّاسٍ ، إِنَّ مُلْكَ بَنِي أُمَيَّةَ إِذَا زَالَ فَأَوَّلُ مَا يَمْلِكُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَلُذْكَ ، فَيَفْعَلُونَ الْأَفَاعِيلَ . [2]

856. عنه عليه السلام : إِنَّ مُلْكَ وَلَدِ بَيْتِ الْعَبَّاسِ مِنْ خُرَّاسَانَ يُقِيلُ ، وَمِنْ خُرَّاسَانَ يَذْهَبُ . [3]

ح - اسْتِشْهَادُ الرِّضَا فِي خُرَّاسَانَ

857. الإمام عليّ عليه السلام : سَيُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي بِأَرْضِ خُرَّاسَانَ بِالسُّمِّ ظُلْمًا ، إِسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ ابْنِ عِمْرَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام ، أَلَا قَمَنْ زَارَهُ فِي غُرْبَتِهِ عَقَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذُنُوبَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ عَدَدِ النُّجُومِ وَقَطَرِ الْأَمْطَارِ وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ . [4]

ط - عَلَبَةُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

858. نهج البلاغة : وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام : لَتَعْطِقَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِيهَا [5] غَطَفَ الصُّرُوسِ [6] عَلَى وَلَدِهَا - وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ - : «وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» [7] . [8]

[1] نهج البلاغة : الخطبة 116 .

[2] الفضائل لابن شاذان : ص 120 .

[3] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 275 .

[4] كتاب من لا يحضره الفقيه : ج 2 ص 584 ح 3188 .

[5] شمس : جمع شمسوس ، وهو الثَّغُورُ مِنَ الدَّوَابِّ الَّذِي لَا يَسْتَقِرُّ لَشَعْبِهِ وَحَدِّثُهُ (النهاية : ج 2 ص 501) .

[6] الصُّرُوسُ : الناقَة العوض لتذبّ عن ولدها (تاج العروس : ج 8 ص 334) .

[7] القصص : 5 .

[8] نهج البلاغة : الحكمة 209 .

859. الغيبة للنعماني عن أبي وائل : تَطَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى الْخُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ : إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَيِّدًا ، وَسَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلًا بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ ، يُشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ ، يَخْرُجُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ وَإِمَانَةٍ لِلْحَقِّ وَاطِّهَارٍ لِلْجَوْرِ ، وَاللَّهُ لَوْ لَمْ يَخْرُجْ لَصُرَبَتْ عُقْفُهُ ، يَفْرَحُ بِخُرُوجِهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَسُكَّانُهَا ، وَهُوَ رَجُلٌ أَجَلَى الْجَبِينِ [1] ، أَقْتَى الْأَنْفِ [2] ، صَحْمُ الْبَطْنِ ، أَرْبَلُ الْقَحْذَيْنِ [3] ، يَقْضِيهِ الْيُمْنَى شَامَةً ، أَفْلَحَ [4] الثَّنَايَا ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا . [5]

[1] الْأَجَلَى : الْخَفِيفُ شَعْرًا مَا بَيْنَ النَّزَعَتَيْنِ مِنَ الصُّدْعَيْنِ ، وَالَّذِي انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ جَبْهَتِهِ (النهاية : ج 1 ص 290) .

[2] الْقَنَا فِي الْأَنْفِ : طَوْلُهُ وَرِقَّةُ أُرْبَتَيْهِ مَعَ حَذَبٍ فِي وَسْطِهِ (النهاية : ج 4 ص 116) .

[3] أَرْبَلُ الْقَحْذَيْنِ : أَيِ مَنْفَرَجُهُمَا (النهاية : ج 2 ص 325) .

[4] الْقَلَجُ : فُرْجَةُ مَا بَيْنَ الثَّنَايَا وَالرَّبَاعِيَا (النهاية : ج 3 ص 468) .

[5] الغيبة للنعماني : ص 214 ح 2 .

الفصل الرابع: النوادر

أ - رُؤْيَةُ نَوْرِ الْوَحْيِ

860. الإمام عليّ عليه السلام - فِي خُطْبَتِهِ الْمُسَمَّاةِ بِالْقَاصِعَةِ :- وَلَقَدْ كَانَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِجَرَاءٍ ، قَارَأَهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا : أَرَى نَوْرَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ الثُّبُوءِ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَتَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الرَّتَّةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . [1]

ب - إِمْدَادُ الْمَلَائِكَةِ

861.الإمام عليّ عليه السلام : لَقَدْ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَفِي حِجْرِي ، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ بِيَدِي ، تُقَلِّبُهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مَعِيَ . [2]

ج - إحياء الشَّجَرَةِ الْيَاسَةِ

862.إرشاد القلوب عن الحارث الأعور الهمداني : خَرَجْنَا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى

[1] نهج البلاغة : الخطبة 192 .

[2] الأمالي للمفيد : ص235 ح 5 .



862. إرشاد القلوب عن الحارث الأعور الهمداني : العاقول [1] بالكوفة على شاطئ الفرات ، فإذا نحن بأصل شجرة ، وقد وقّع أوراقها وبقي عودها يابساً ، فصرّبها بيده المباركة وقال لها : إرجعي يا ذن الله خضراء ذات ثمر ! فإذا هي تخضر بأغصانها ثمرة مورقة وحملها الكمثرى الذي لا يرى مثله في فواكه الدنيا ! وطعمنا منه وتزودنا وحملنا . قلما كان بعد أيام غدا إليها فإذا بها خضراء فيها الكمثرى ! [2]

[1] العاقول : معطف الوادي والنهر . وقيل : عاقول النهر والوادي والرمل : ما اعوج منه ، وكلّ معطف وإعاقول (تاج العروس : ج 15 ص 509) .
[2] إرشاد القلوب : ص 278 .

841

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

842

القسم الرابع عشر : حبّ الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأول : التأكيد على حبه

الفصل الثاني: بركات حبه

الفصل الثالث : خصائص محبيه

الفصل الرابع: محبوبيته عند الله عزوجل ورسوله صلّي الله عليه وآله وملائكنه

الفصل الخامس: التحذير من الغلو في حبه

843

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

844

المدخل

الحبّ عنوان قيّم ومتألق في سماء الثقافة الإسلامية . وقد أكدت التعاليم الدينية على المحبة أيما تأكيد . وجاءت جملة «هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ؟» لتبلغ بالحُبّ مكانة عليّة . ولكن ما معنى الحبّ ؟ ومن الذي ينبغي حبّه ؟ هذا السؤال وما شابهه من الأسئلة الأخرى أجابت عنها التعاليم الدينية على نحو مستفيض ، ولكن لا مجال لذكره في هذا المدخل . [1] بيد أنّنا نؤكد هنا على أنّ حبّ الجمال وحبّ الوجوه الطافحة بالصلاح والكرامة والمروءة أمر فطريّ ، ولا يتستى القول بأنّ من يبقى على فطرته النقيّة ولا تتدنّس توجهاته السليمة بلوث الانحراف ؛ لا يميل - تلقائياً - إلى حبّ كلّ ما هو جميل ونبيل وكريم ، ولا تتوق نفسه إلى المعالي والمكارم . لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بحبّ عليّ عليه وآله بحبّ عليّ عليه السلام واعتبر محبة «آل الله» من الإيمان . وهل كلّ هذا إلّا استلھام للواقع ، وإرشاد إلى الحقّ والحقيقة ، وإلى كلّ ما ينبثق من ذات الإنسان ؟ ! إنّ عليّاً زاهر بكلّ معاني الجمال ، وينبوع دافق بفيض الفضائل والمكارم وجميع المحامد . وما هذا الواقع الصادق إلّا تجسيد لتلك الحقيقة السامية التي بعثت السرور في نفوس النّاس كلّهم بنشئ نحلهم ومشاربهم ومذاهبهم ، سواء

[1] راجع : المحبة في القرآن والسنة .

[2] الشورى : 23 .

[3] الشعراء : 109 ، 127 ، 145 ، 164 ، 180 .

[4] سبأ : 47 .

[5] الأنعام : 90 .

[6] الفرقان : 57 .

[7] يونس : 32 .

[8] نهج البلاغة : الحكمة 45 .

كانوا من الأصدقاء أم من الأعداء . وهل «آل الله» أحد سواهم . . . بيد أنّ المجال لا يتسع هنا للإطناب في القول فيهم . ولكن نظراً إلى أهميّة الموضوع ، ونفاضة المطلب يبدو من غير اللائق طيّ صفحة الحديث بدون الإشارة إلى غيض من هذا الغيض . وهكذا رأينا أنّ من الأجدر بنا أن نتحدّث بإيجاز عن لزوم حبّ عليّ عليه السلام وآل الله في ضوء آية من آيات الكتاب الكريم ، ثمّ نبحث باقتضاب في السرّ الكامن وراء التأكيد البالغ على حبّ عليّ وآل عليّ في ضوء آية كريمة ، ثمّ نلخص الكلام في ضوء معطيات الأحاديث النبويّة ، وفي أعقاب ذلك ندعو القارئ إلى التأمل في الأحاديث . لقد أمر الباري سبحانه وتعالى رسوله الكريم في سورة الشورى - التي يتركز محور موضوعاتها على الوحي وأبعاد رسالة الرسول صلى الله عليه وآله - بأن يقول للناس : «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» . [1] باللعجب ! لقد أتى القرآن الكريم على ذكر شعار كلّ الأنبياء ؛ وأكّد أنّهم جميعاً كانوا يقولون : «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّي الْعَلَمِينَ» [2] ولكن الرسول صلى الله عليه وآله أمر أن يُعلن للناس بأنّ أجر رسالتي مودة أقاربي . ولو وُضعت هذه الآية الكريمة إلى جانب الآيات الأخرى التي تناولت هذا الموضوع ، لالتصحت لنا حقيقة محتواها . فقد جاء في آية أخرى : «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ» [3] ، وجاء في آية أخرى : «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» [4] .

[1] الشورى : 23 .

[2] الشعراء : 109 ، 127 ، 145 ، 164 ، 180 .

[3] سبأ : 47 .

[4] الأنعام : 90 .

وهذا يفيد بأنّ ما أريد من الأمة إنّما يصبّ في صالحها ، وإلّا فالكتاب الإلهي «ذكّر» للناس كافة ولا أجر عليه . وجاء في آية أخرى : «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» [1] وهو يفيد بأنّ لهذا الأجر علاقة مباشرة بالدعوة وقبولها ، ومعناه أنّ اختيار النّاس للأمر الذي أعرضه عليهم هو بمثابة الأجر بالنسبة لي ، وليس هناك من أجر بعده . وهكذا يتّضح لنا من هنا ، ومن خلال الاستئثار بمفاد الآيات الأخر بأنّ هذه المودة تعود أيضاً إلى تلبية الدعوة ، والآية دالّة على أنّ هذا الطلب تعود فائدته عليكم . أي هناك نفي قاطع للأجر تارة ، وتأكيد على أنّ الأجر على من يريد أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً تارة أخرى ، ويأتي التصريح في ختام المطاف بأنّ الأجر الذي يطلبه منهم تعود منفعتهم عليهم ، وفي النهاية إنّ أجري «مودة أقاربي» . إذاً يتّصف «أجري» بالخصائص التالية :

1 . إنّ منفعته لا تعود عليّ أبداً . 2 . إنّ منفعته تعود عليكم بأكملها . 3 . إنّّه ممّا يمهدّ لكم السبيل إلى الله . وهكذا يتّضح بأنّ «المودّة في القُرْبَى» ، امتداد لنهج الرسالة ، واستمرار لخطّ الرسول صلى الله عليه وآله . لقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المعنى ، وكشف عن مصداقه على طريق إبلاغ الأهداف العامّة للدين . وعلى هذا المنوال فقد حدّد في ضوءه مستقبل زعامة الأُمّة الإسلاميّة ، وصرّح لمن سأله عمّن يكون أولئك القريبى ، قائلاً : «عليّ وفاطمة

[1] راجع : المحبّة في القرآن والسنة .

[2] الشورى : 23 .

[3] الشعراء : 109 ، 127 ، 145 ، 164 ، 180 .

[4] سبأ : 47 .

[5] الأنعام : 90 .

[6] الفرقان : 57 .

[7] يونس : 32 .

[8] نهج البلاغة : الحكمة 45 .

وابناهما» . ويتجلّى لنا من ذلك بأنّ تفسير الرسول صلى الله عليه وآله لهذه الآية يأتي في السياق العامّ لإبلاغ الرسالة ، والتأكيد على امتداد طريق الرسالة ، مع الحرص على إنارة طريق الغد أمام الأُمّة الإسلاميّة . إنّ الروايات الكثيرة التي تحدّثت عن مودّة آل محمد صلى الله عليه وآله ، وأوجبت محبتهم واعتبرت الموت على محبتهم شهادة في سبيل الله ، وعداوتهم نفاقاً ، وبغض عليّ عليه السلام نفاقاً ، إنّما جاءت لإيجاد نيار يسير في خطّهم ، والوقاية من ظهور مناهض لهم ، ومُعَادٍ - مألّف - لتعاليم الدين ومعارف القرآن . ومع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرى امتداد نهجه متجسّداً في «آل الله» ، فقد ألقي عبء حمل رسالته على كاهل أبرز مصداق لـ «آل الله» وهو عليّ عليه السلام ، معتبراً آية مواجهة له مواجهة للرسول ؛ أي لايسوغ لمن كانت لديه فطرة سليمة وإيمان راسخ ، ويعرف الحقّ ويسير عليه ، أن يبغض عليّاً عليه السلام . أليس هو الرجل المعروف بكلّ معاني الجمال وحميد الخصال ومكارم الأخلاق والصفات ؟ وهل توجد فطرة سليمة لا تحبّ الجمال وتأبى التعلّيّ بالملاحم في سبيل معاني الجمال ؟ ! وهل يمكن أن يكون الإنسان على الحقّ ولا يحبّ المثال الذي يتجسّد فيه الحقّ بعينه ؟ ! . . . «فَمَادَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَلُ» . [1] كيف يتواءم ارتداء ثياب الإيمان الجميلة ، وإيكال القلب إلى الله ، مع عدم حبّ علي عليه السلام بما يمثّله من ذوبان في الله ، وتجسيد لأسمى معاني حبّ الله وعبادته ، وما يعكسه من أعلى درجات الإيمان ؟ وهذا ما يحيط للثام عن سرّ قوله عليه السلام : «لَوْ صَرَبْتُ حَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ يَسِيفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبَغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي ، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا يَحْمَاتِهَا عَلَى الْمُنافِقِ عَلَى أَنْ يُجَنِّبَنِي مَا أَحَبَّنِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَضَى عَلَى

[1] راجع : المحبّة في القرآن والسنة .

[2] الشورى : 23 .

[3] الشعراء : 109 ، 127 ، 145 ، 164 ، 180 .

[4] سبأ : 47 .

[5] الأنعام : 90 .

[6] الفرقان : 57 .

[7] يونس : 32 .

[8] نهج البلاغة : الحكمة 45 .

لسان النبيّ الأئمّيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : يا عليّ ، لا يُبَغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنافِقٌ» . [1] وهنا مكمن السرّ الذي غرس حبّ عليّ عليه السلام في قلوب مؤمنين صالحين طاهرين راسخ إيمانهم ، ونقيّة قلوبهم ، وجعل حبّه ثابتاً بين ثنايا أرواحهم ولايزول حتّى في أقسى وأمرّ ظروف الحياة . فسطّروا بأقدام ثابتة أروع الملاحم ، وخلدوا بدافق دمائهم معاني العزّة والمقاومة والإيمان بالحقّ وحبّ الحقّ على ناصية التاريخ ، من أمثال حجر ، ورشيد ، وميثم ، وعمرو بن

[1] راجع : المحبة في القرآن والسنة .

[2] الشورى : 23 .

[3] الشعراء : 109 ، 127 ، 145 ، 164 ، 180 .

[4] سبأ : 47 .

[5] الأنعام : 90 .

[6] الفرقان : 57 .

[7] يونس : 32 .

[8] نهج البلاغة : الحكمة 45 .

الفصل الأول : التأكيد على حبه

863. رسول الله صلى الله عليه وآله : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا فِي عَلَيٍّ ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ بَيْنَهُ لِي ، فَقَالَ : إِسْمَعْ ، فَقُلْتُ : سَمِعْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا رَأْيُهُ الْهُدَى ، وَإِمَامُ أَوْلِيَائِي ، وَنُورٌ مِّنْ أَطَاعَنِي ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلَزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ ، مَن أَحَبَّهُ أَحْبَبَنِي وَمَن أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي ، فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ . [1]

864. عنه صلى الله عليه وآله : مَن أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَن أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي . [2]

865. عنه صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، كَذَبَ مَن زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي وَيُبْغِضُكَ . [3]

866. عنه صلى الله عليه وآله : أَنَانِي جُبْرَيْلُ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُحِبَّ عَلِيًّا وَأَنْ تَأْمُرَ بِحُبِّهِ وَوَلَاتِيهِ ، فَإِنِّي مُعْطٍ أَجْرَ أَجْبَاءِ عَلِيٍّ الْجَنَّةَ خُلْدًا بِحُبِّهِمْ إِثَابَهُ ، وَمُدْخِلٌ أَعْدَاءَهُ وَالتَّارِكِينَ وَوَلَاتِيَهُ النَّارَ جَزَاءَ بَعْدَاوَتِهِمْ إِثَابَهُ وَتَرْكِهِمْ وَوَلَاتِيَهُ . [4]

867. عنه صلى الله عليه وآله : وَلَايَةُ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَايَةُ اللَّهِ ، وَحُبُّهُ عِبَادَةُ اللَّهِ . [5]

[1] حلية الأولياء : ج 1 ص 66 .

[2] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 141 ح 4648 .

[3] تاریخ دمشق : ج 42 ص 268 ح 8796 .

[4] الأصول الستة عشر : ص 62 .

[5] بشارة المصطفى : ص 16 .

868. عنه صلى الله عليه وآله : مَن أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فَلْيَتَمَسَّكَ بِحَبِّ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِي . [1]

869. عنه صلى الله عليه وآله : غُنَاؤُ صَحِيقَةِ الْمُؤْمِنِ حُبُّ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ . [2]

[1] عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 2 ص 58 ح 216 .

[2] بشارة المصطفى : ص 154 .

الفصل الثاني: بركات حبّه

870. رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ اعْتَدَى . [1]
871. عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- أَلَا مَنْ أَحَبَّنَا حَقَّ يَأْمُنِ وَالْإِيمَانِ ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا أَمَاتَهُ اللَّهُ مُيْتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَحُسَيْبَ يَعْمَلِهِ فِي الْإِسْلَامِ . [2]
872. عنه صلى الله عليه وآله : مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا قِيلَ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَقِيَامُهُ ، وَاسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ . [3]
873. عنه صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَلَّى وَصَامَ حَتَّى يَصِيرَ كَالشَّيْنِ الْبَالِي ، إِذَا مَا نَفَعَ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ إِلَّا بِخَيْرِكُمْ . [4]
874. عنه صلى الله عليه وآله : حُبُّ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ يَأْكُلُ السَّيِّئَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ . [5]
875. عنه صلى الله عليه وآله - لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- حَسْبُكَ ، مَا لِمُحِبِّكَ حَسْرَةٌ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَلَا وَحْشَةٌ فِي قَبْرِهِ ، وَلَا فَرْعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . [6]

[1] جامع الأخبار : ص 54 ح 65 .

[2] المعجم الكبير : ج 11 ص 63 ح 11092 .

[3] المناقب للخوارزمي : ص 72 ح 51 .

[4] كفاية الأثر : ص 71 .

[5] تاريخ بغداد : ج 4 ص 195 الرقم 1885 .

[6] تاريخ بغداد : ج 4 ص 102 الرقم 1756 .

876. الإمام الصادق عليه السلام : وَاللَّهِ لَا يَهْلِكُ هَالِكٌ عَلَى حُبِّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا رَأَهُ فِي أَحَبِّ الْمَوَاطِنِ إِلَيْهِ ، وَاللَّهِ لَا يَهْلِكُ هَالِكٌ عَلَى بُغْضِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا رَأَهُ فِي أَبْغَضِ الْمَوَاطِنِ إِلَيْهِ . [1]
877. رسول الله صلى الله عليه وآله : لِكُلِّ شَيْءٍ جَوَازٌ ، وَجَوَازُ الصِّرَاطِ حُبُّ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ . [2]
878. عنه صلى الله عليه وآله : حُبُّ عَلِيٍّ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ . [3]
879. عنه صلى الله عليه وآله : إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ لِأَجْبَاءِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَشْتَدُّ [4] صَوُّهَا لِأَجْبَاءِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوهَا . [5]
880. الإمام عليّ عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنِ وَحُسَيْنٍ فَقَالَ : مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . [6]

[1] الأمالي للطوسي : ص 164 ح 273 .

[2] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 156 .

[3] الفردوس : ج 2 ص 142 ح 2723 .

[4] في المصدر : «وتشتد» ، والصحيح ما أثبتناه .

[5] ثواب الأعمال : ص 247 ح 2 .

[6] سنن الترمذي : ج 5 ص 641 ح 3733 .

881. رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليُّ ، لا يُحِبُّكَ إِلَّا مَنْ طَابَتْ وَلادَتُهُ ، ولا يُبِغْضُكَ إِلَّا مَنْ خَبَّتْ وَلادَتُهُ ، ولا يُؤَالِيكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، ولا يُعَادِيكَ إِلَّا كَافِرٌ . [1]

ب - الإيمانُ

882. الإمام عليّ عليه السلام : لَوْ صَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ يَسْغِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي ، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا [2] عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُجِبَّنِي مَا أَحْبَبَنِي ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ قَانَقْضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : يَا عَلِيُّ ، لا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ، ولا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ . [3]

ج - التقوى

883. رسول الله صلى الله عليه وآله : لِعَلِّيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :- لا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، ولا يُبْغِضُكَ إِلَّا فَاجِرٌ رَدِيٌّ . [4]

[1] كمال الدين : ص 261 ح 8 .

[2] الْجَمَّاتُ : جمع جَمَّة ؛ وهو مجتمع الماء من الأرض ، أراد بِجُمْلَتِهَا (مجمع البحرين : ج 1 ص 319) .

[3] نهج البلاغة : الحكمة 45 .

[4] المناقب للخوارزمي : ص 326 ح 336 .

الفصل الرابع: محبوبيته عند الله ورسوله وملائكه

884. رسول الله صلى الله عليه وآله - في عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ خَيْبَرَ :- لَأُعْطِيَنَّ الْوَلَاءَ عِدَا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ - وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ - وَرَسُولُهُ . [1]

885. تاريخ بغداد عن عبد الله بن العباس : كُنْتُ أَنَا وَأَبِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَالِسَيْنِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، إِذْ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَسَلَّمَ ، فَقَرَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَنَشَّيَ ، وَقَامَ إِلَيْهِ ، وَاعْتَنَقَهُ ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أ تُحِبُّ هَذَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ ! لَلَّهِ أَشَدُّ حُبًّا لَهٗ مِنِّي ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِهِ هَذَا . [2]

886. سنن الترمذي عن أنس بن مالك : كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طَيْرٌ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اثْنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ ؛ يَأْكُلُ مَعِيَ هَذَا الطَّيْرَ . فَجَاءَ عَلِيُّ ، فَأَكَلَ مَعَهُ . [3]

887. تاريخ دمشق عن أنس بن مالك : أَهْدَيْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِجْلٌ مَشْوِيٌّ يَحْزِيهِ وَصْنَاهُ [4] ،

[1] مسند ابن حنبل : ج 9 ص 28 ح 23093 .

[2] تاريخ بغداد : ج 1 ص 316 الرقم 206 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ص 636 ح 3721 .

[4] الصناب : الخردل المعمول بالزيت ، وهو صباغ يؤتد به (النهاية : ج 3 ص 55) .

887. تاريخ دمشق عن أنس بن مالك : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اللَّهُمَّ اثْنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ ؛ يَأْكُلُ مَعِيَ هَذَا الطَّعَامُ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَبِي . وَقَالَتْ حَفْصَةُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَبِي - قَالَ أَنَسٌ - . وَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ سَعْدَ بَنِ عُبَادَةَ . قَالَ أَنَسٌ : فَسَمِعْتُ حَرَكَةَ بَابٍ ، فَخَرَجْتُ ، فَإِذَا عَلِيُّ بِالْبَابِ ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى حَاجَةٍ ، فَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ سَمِعْتُ حَرَكَةَ بَابٍ ، فَخَرَجْتُ ، فَإِذَا عَلِيُّ بِالْبَابِ ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى حَاجَةٍ ، فَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ سَمِعْتُ حَرَكَةَ بَابٍ ، فَسَلَّمْتُ عَلِيًّا ، فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَوْتَهُ فَقَالَ : أَنْظِرْ مَنْ هَذَا . فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : إِيْذَنْ لَهٗ . فَدَخَلَ عَلِيُّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اللَّهُمَّ وَآلِيَّ ، اللَّهُمَّ وَآلِيَّ . [1]

888. سنن الترمذي عن بريدة : كَانَ أَحَبَّ النِّسَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاطِمَةُ ، وَمِنْ الرِّجَالِ عَلِيُّ . [2]

[1]الصاب : الخردل المعمول بالزيت ، وهو صباغ يؤتدم به (النهاية : ج 3 ص55) .

[2] تاريخ دمشق : ج 42 ص 247 ح 8768 .

[3] سنن الترمذي : ج 5 ص 698 ح 3868 .

856

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاھت

الفصل الخامس: التحذير من الغلوّ في حبّه

889.رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله : يا عليّ ، إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم : أحبّه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا فيه ، وأبغضه قوم فأفرطوا في بُغضه فهلكوا فيه ، واقتصد فيه قوم فتجوا . [1]

890.الإمام عليّ عليه السلام : سيّهلك فيّ صنفان : مُحبٌّ مُفرطٌ يذهب به الحبُّ إلى غير الحقِّ ، ومُبغضٌ مُفرطٌ يذهب به البُغضُ إلى غير الحقِّ . وخيرُ الناسِ فيّ حالاً التّمتُّ الأوسطُ ، قالَرموه . [2]

891.عنه عليه السلام : اللّٰهُمَّ إنّني بريءٌ من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النّصارى ، اللّٰهُمَّ اخذلهم أبداً ، ولا تنصر منهم أحداً . [3]

[1]الأمالى للطوسى : ص 345 ح 709 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 127 .

[3]الأمالى للطوسى : ص 650 ح 1350 .

857

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاھت

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

858

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاھت

القسم الخامس عشر : بُغض الإمام عليّ عليه السلام

الفصل الأوّل: بواعث بُغضه

الفصل الثاني: التحذير من بُغضه

الفصل الثالث: مضارّ بغضه

الفصل الرابع: صفات مبغضيه

الفصل الخامس: كيد أعدائه لإطفاء نوره

الفصل السادس : خيبة آمال أعدائه

859

منتخب موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

كتابخانه مدرسه فقاھت

الفصل الأوّل: بواعث بُغضه

أ - الحَقْدُ

892. الإمام عليّ عليه السلام : كُلُّ حَقْدٍ حَقَدَتْهُ قُرَيْشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَظْهَرَتْهُ فِيَّ ، وَسَتُّظْهَرُهُ فِي وَلَدِي مِنْ بَعْدِي . مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ !
إِنَّمَا وَتَرْتُهُمْ [1] يَأْمُرُ اللَّهُ وَأَمْرُ رَسُولِهِ ، أَفْهَذَا جَزَاءُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ؟ ! [2]

893. معرفة الصحابة عن ابن عباس : قَالَ عُمَانُ لِعَلِيِّ : مَا ذَنْبِي إِنْ لَمْ تُجِبْكَ قُرَيْشٌ وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا ؛ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ سُيُوفُ الذَّهَبِ ؟ [3]

ب - الحَسَدُ

894. شرح نهج البلاغة : جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» [4] أَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ الْعِلْمِ . [5]

[1] وَتَرْتُ الرَّجُلَ : إِذَا قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلًا وَأَخَذْتَ لَهُ مَالًا (لسان العرب : ج 5 ص 274) .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 20 ص 328 ح 764 .

[3] معرفة الصحابة : ج 1 ص 86 ح 338 .

[4] النساء : 54 .

[5] شرح نهج البلاغة : ج 7 ص 220 .

895. الإمام عليّ عليه السلام - مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى عَقِيلٍ :- أَلَا إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَى حَرْبِ أَخِيكَ الْيَوْمَ اجْتِمَاعَهَا عَلَى حَرْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ جَهِلُوا حَقَّهُ وَجَدُّوا فَضْلَهُ . [1]

[1] الغارات : ج 2 ص 431 .

الفصل الثاني: التحذير من بُغضه

896. رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ عَلِيًّا ؛ وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ أَبْغَضَ اللَّهَ أَدْخَلَهُ النَّارَ . [1]

897. عنه صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، طُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَّقَ فِيكَ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَّبَ فِيكَ . [2]

898. عنه صلى الله عليه وآله : أَلَا إِنَّ جَبْرِئِلَ خَبَّرَنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى . . . وَيَقُولُ : مَنْ عَادَى عَلِيًّا وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي وَغَضَبِي . [3]

899. عنه صلى الله عليه وآله : مَعَاشِرَ النَّاسِ ، مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا أَحْبَبْتُهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا أَبْغَضْتُهُ ، وَمَنْ وَصَلَ عَلِيًّا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَ عَلِيًّا قَطَعْتُهُ ، وَمَنْ جَفَا عَلِيًّا جَفَوْتُهُ ، وَمَنْ وَالَى عَلِيًّا وَالَيْتُهُ ، وَمَنْ عَادَى عَلِيًّا عَادَيْتُهُ . [4]

900. عنه صلى الله عليه وآله - فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَيَذُءُ: اللَّهُمَّ هَلْ

[1] تاريخ بغداد : ج 13 ص 32 الرقم 6988 .

[2] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 145 ح 4657 .

[3] الاحتجاج : ج 1 ص 146 ح 32 .

[4] الأمالي للصدوق : ص 188 ح 197 .

900. عنه صلى الله عليه وآله - في حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ عَلَى نَاقِيَةٍ وَيُذِّهَ بَلَّغَتْ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ هَذَا ابْنُ عَمِّي وَأَبُو وَلَدِي ، اللَّهُمَّ كُفِّ مَن عَادَاهُ فِي النَّارِ ! [1]

901. عنه صلى الله عليه وآله : مَن حَسَدَ عَلِيًّا حَسَدَنِي ، وَمَن حَسَدَنِي دَخَلَ النَّارَ . [2]

902. مسند ابن حنبل عن عمرو بن شماس الأسلمي : خَرَجْتُ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى الْيَمَنِ فَجَفَانِي فِي سَقَرِي ذَلِكَ حَتَّى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ أَظْهَرْتُ شِكَايَتِي فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ذَاتَ غُدْوَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَدَنِي عَيْنِي - يَقُولُ : حَدِّدْ إِلَيَّ النَّظَرَ - حَتَّى إِذَا جَلَسْتُ قَالَ : يَا عَمْرُو ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَذَيْتَنِي ! قُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أُؤْذِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : بَلَى ، مَن أَدَى عَلِيًّا فَقَدْ أَذَانِي . [3]

903. رسول الله صلى الله عليه وآله : حُبُّ عَلِيٍّ إِيْمَانٌ ، وَبُغْضُهُ كُفْرٌ . [4]

904. عنه صلى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ ، لَا يُبَالِي مَن مَاتَ وَهُوَ يُبْغِضُكَ ؛ مَاتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا . [5]

[1] الْمَنَكِبُ : مجمع عظم العُصْدُ وَالْكَتِف (الصحاح : ج 1 ص 228 «نكب»).

[2] المعجم الأوسط : ج 6 ص 300 ح 6468 .

[3] الأمالي للطوسي : ص 623 ح 1287 .

[4] مسند ابن حنبل : ج 5 ص 405 ح 15960 .

[5] الخصال : ص 496 ح 5 .

[6] المناقب لابن المغازلي : ص 51 ح 74 .

الفصل الثالث: مضارّ بغضه

905. رسول الله صلى الله عليه وآله : مَن أَحَبَّ عَلِيًّا مَحْيَاهُ وَمَمَاتِهِ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْأَمْنَ وَالْإِيْمَانَ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَمَا غَرَبَتْ ؛ وَمَن أَبْغَضَ عَلِيًّا مَحْيَاهُ وَمَمَاتِهِ ، قَمِيتَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ ، وَحُوسِبَ بِمَا أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ . [1]

906. عنه صلى الله عليه وآله : إِنَّ النَّارَ لَتَغِيظُ وَيَشْتَدُّ زَفِيرُهَا عَلَى أَعْدَاءِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوهَا . [2]

907. الإمام عليّ عليه السلام : يَهْلِكُ فِي ثَلَاثَةٍ ، وَيَنْجُو فِي ثَلَاثَةٍ ؛ يَهْلِكُ الْإِلَاحُ ، وَالْمُسْتَمِعُ الْمُقَرَّرُ ، وَالْحَامِلُ لِلْوَزْرِ وَهُوَ الْمَلِكُ الْمُتَرَفُّ يُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِلَعْنِي ، وَيُبْرَأُ عِنْدَهُ مِنْ دِينِي ، وَيُنْتَقَصُ عِنْدَهُ حَسَبِي ؛ وَإِنَّمَا حَسَبِي حَسَبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَدِينِي دِينُهُ . وَيَنْجُو فِي ثَلَاثَةٍ : الْمُحِبُّ الْمُوَالِي ، وَالْمُعَادِي مَن عَادَانِي ، وَالْمُحِبُّ مَن أَحْبَبَنِي . فَإِذَا أَحْبَبَنِي عَبْدٌ أَحَبَّ مُحِبِّي ، وَأَبْغَضَ مُبْغِضِي ، وَشَايَعَنِي . فَلْيَمْتَحِنِ الرَّجُلُ قَلْبَهُ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ فَيُحِبُّ بِهَذَا وَيُبْغِضُ بِهَذَا ، فَمَن أَشْرَبَ قَلْبَهُ حُبِّ غَيْرِنَا قَالَبَ عَلَيْنَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَدُوُّهُ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ ، وَاللَّهُ عَدُوُّ الْكَافِرِينَ . [3]

[1] أسد الغابة : ج 5 ص 438 الرقم 5515 .

[2] نواب الأعمال : ص 247 ح 2 .

[3] الغارات : ج 2 ص 589 .

الفصل الرابع: صفات مبعضية

أ - حُبُّ الْوِلَادَةِ

908. رسول الله صلى الله عليه وآله - لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ -: لَا يُبْعَضُكَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَعِيٌّ [1]، وَلَا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَّا يَهُودِيٌّ، وَلَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا شَقِيٌّ. [2]

ب - التِّفَاقُ

909. رسول الله صلى الله عليه وآله : لَا يُبْعَضُ عَلِيًّا إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ فَاسِقٌ أَوْ صَاحِبُ دُنْيَا. [3]

910. الإمام عليّ عليه السلام : لَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ الْأَمِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْعَضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ. [4]

911. عنه عليه السلام : وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيَّ : أَلَّا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْعِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ. [5]

[1] الدَّعِيّ : الْمُتَّهَمُ فِي نَسَبِهِ (لسان العرب : ج 14 ص 261).

[2] المناقب للخوارزمي : ص 323 ح 330.

[3] تاريخ دمشق : ج 42 ص 285 ح 8817.

[4] سنن الترمذي : ج 5 ص 643 ح 3736.

[5] صحيح مسلم : ج 1 ص 86 ح 78.

ج - الشِّقَاءُ

912. رسول الله صلى الله عليه وآله : الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ وَعَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ ؛ مَنْ أَطَاعَ عَلِيًّا رَشِيدٌ، وَمَنْ عَصَى عَلِيًّا فَسَدٌ، وَمَنْ أَحَبَّهُ سَعِدَ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ شَقِيَ. [1]

[1] الاحتجاج : ج 1 ص 229 ح 42.

الفصل الخامس: كيد أعدائه لإطفاء نوره

أ - مَنَعُ ذِكْرِ مَنَاقِبِهِ

913. المناقب لابن شهر آشوب : نادى مُعَاوِيَةُ : أَنْ بَرَرْتُ الدِّيمَةَ مِمَّنْ رَوَى حَدِيثًا مِنْ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ اللَّيْثِيُّ : وَدِدْتُ أَنِّي أَتَرَكْتُ أَنْ أُحَدِّثَ بِقَضَائِلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ، وَأَنْ عُنُقِي ضُرِبَتْ ! فَكَانَ الْمُحَدِّثُ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ فِي الْفِقْهِ ، أَوْ بَأْتِي بِحَدِيثِ الْمُبَارَزَةِ ، فَيَقُولُ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ . وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى يَقُولُ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ : قَالَ أَبُو زَيْنَبٍ . وَسُئِلَ ابْنُ حَنْبَلٍ عَنْ حَامِلِ الْوَأْدِ ، فَقَالَ : كَأَنَّكَ رَخِيٌّ الْبَالِ [1] ! [2]

914. الإرشاد : فِيمَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْأَمْرُ فِي دَفْنِ فَضَائِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَيْلُولَةِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَنَشْرِهَا مَا لَا شُبُهَةَ فِيهِ عَلَى عَاقِلٍ ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرَوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِوَايَةً لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُضَيِّقَهَا إِلَيْهِ بِذِكْرِ اسْمِهِ وَنَسَبِهِ ، وَتَدْعُوهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ يَقُولَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ يَقُولَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ

[1] هُوَ رَخِيٌّ الْبَالُ : إِذَا كَانَ نَاعِمَ الْحَالِ (تاج العروس : ج 19 ص 453).

[2] المناقب لابن شهر آشوب : ج 2 ص 351.

914.الإرشاد : قُرَيْشٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : حَدَّثَنِي أَبُو زَيْنَبٍ . [1]

915.الإرشاد - في بيان مظلومية أمير المؤمنين عليه : وكانت الولادة الجورة تضرب بالسياط من ذكره يحيى ، بل تضرب الرقاب على ذلك ، وتعرض الناس بالبراءة منه . والعادة جارية فيمن اتفق له ذلك ألا يذكر على وجه يحيى ، فضلاً عن أن تذكر له فضائل ، أو تروى له مناقب ، أو تثبت له حجة يحيى . [2]

916.الكامل للمبرّد عن أبي العباس : يروى عن عليّ بن أبي طالب رحمه الله عليه أنه افتقد عبد الله بن العباس في وقت صلاة الظهر ، فقال لأصحابه : ما بال أبي العباس لم يحضر ؟ فقالوا : ولد له مولود . فلما صلى عليّ رحمه الله قال : امضوا بنا إليه . فأتاه فهاهنا ، فقال : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، ما سميته ؟ قال : أ ورجوز لي أن أسميته حتى تسميه ؟ ! فأمر به ، فأخرج إليه ، فأخذه ، فحكه ، ودعا له ، ثم رده إليه ، وقال : خذ إليك أبا الأملك ، قد سميته علياً ، وكنيته أبا الحسن . فلما قام معاوية ، قال لابن عباس : ليس لكم اسمه وكنيته ، وقد كنيته : أبا محمد . فجرت عليه . [3]

ب - وضع الأحاديث في دمه

917.شرح نهج البلاغة : ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى - وكان من المتحققين

[1] الإرشاد : ج 1 ص 310 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 311 .

[3] الكامل للمبرّد : ج 2 ص 756 .

917.شرح نهج البلاغة : بمؤالاة عليّ عليه السلام ، والمبالغين في تفضيله وإن كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من أصحابنا كافة إلا أن أبا جعفر أشدّهم في ذلك قولاً ، وأخلصهم فيه اعتقاداً - أن معاوية وضع قوماً من الصحابة ، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبiche في عليّ عليه السلام ، تقتضي الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً [1] يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم : أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبه ، ومن التابعين : عروة بن الزبير . [2]

ج - إشاعة سبه

918.الإمام عليّ عليه السلام - في وصف معاوية :- أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب [3] البلعوم ، منديق [4] البطن ، يأكل ما يجد ، ويطلب ما لا يجد ، فائقه ، ولن تقتلوه ! ألا وإنه سيأمركم بسبي ، والبراءة مني ! فأما السب فسبوني ؛ فإنه لي زكاه ، ولكم نجاه ، وأما البراءة فلا تتبرؤوا مني ؛ فإنّي ولدت على الفطرة ، وسيتعت إلى الإيمان والهجرة . [5]

919.المناقب لابن شهر آشوب : والأصل في سبه [عليّ عليه السلام] ما صحّ عند أهل العلم أن معاوية أمر بلعنه على المنابر ، فتكلم فيه ابن عباس ، فقال : هيهات ، هذا أمر دين ، ليس إلى تركه سبيل ، أ ليس العاشق لرسول الله ، الشتام لأبي بكر ، المعير عمر ، الخاذل عثمان ! قال : أ تسبه على المنابر ، وهو بناها يستيفه ! قال : لا أدع ذلك حتى يموت فيه الكبير ، ويثيب عليه الصغير . [6]

[1] الجعل : الأجر ، يقال : جعلت له جعلاً (المصباح المنير : ص 102) .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 4 ص 63 .

[3] الرّحْب : الشيء الواسع (لسان العرب : ج 1 ص 414 «رحب»).

[4] منديق البطن : أي واسعه ، كأن جوانبها قد بعد بعضها من بعض فاتسعت (النهاية : ج 2 ص 105 «دق»).

[5] نهج البلاغة : الخطبة 57 .

[6] المناقب لابن شهر آشوب : ج 3 ص 222 .



920. المناقب لابن المغازلي عن أبي معاوية هشيم بن بشير أدركتُ خطباءَ أهل الشام يواسي [1] في زمن بني أمية ، كان إذا ماتَ لهم مَيِّتٌ قامَ خطيبُهُم فَحَمِدَ اللَّهَ وَأثنى عَلَيهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَسْبَةً . فَحَضَرْتُهُمْ يَوْمًا وَقَدْ مَاتَ لَهُمْ مَيِّتٌ ، فَقَامَ خَطِيبُهُمْ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأثنى عَلَيهِ ، وَذَكَرَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلام قَسْبَةً ، فجاءَ نَوْزٌ فَوَضَعَ قَرْنِيهِ فِي نَدْيِهِ وَالرَّقَّةَ بِالْحَائِطِ ، فَعَصَرَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ يَشْقَى النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَهِيحُ أَحَدًا وَلَا يُؤْذِيهِ . [2]

د - تَعَذِيبُ مُحِبِّهِ وَتَشْرِيدُهُمْ وَقَتْلُهُمْ

921. شرح نهج البلاغة : رُوِيَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ السَّلام قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : يَا فُلَانُ ، مَا لَقِينَا مِنْ ظُلْمٍ قُرَيْشٍ إِتَانًا وَتَظَاهَرِهِمْ عَلَيْنَا ، وَمَا لَقِيَّ شَيْعَتُنَا وَمُحِبُّونَا مِنَ النَّاسِ ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فُيِضَ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ ، فَتَمَالَاتْ عَلَيْنَا قُرَيْشٌ حَتَّى أَخْرَجَتْ الْأَمْرَ عَنْ مَعِينِهِ ، وَاحْتَجَّتْ عَلَى الْأَنْصَارِ بِحَقِّنَا وَحُجَّتِنَا ، ثُمَّ تَدَاوَلَتْهَا قُرَيْشٌ وَاجِدٌ بَعْدَ وَاجِدٍ ، حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْنَا ، فَتَكَتَتْ بَيْعَتُنَا وَتَصَبَّتِ الْحَرْبَ لَنَا ، وَلَمْ يَزَلْ صَاحِبُ الْأَمْرِ فِي صَعُودِ كَوْوِدٍ [3] حَتَّى قُتِلَ . فَبَوِغَ الْحَسَنُ ابْنُهُ ، وَعَوَّهَدَ ، ثُمَّ غَدَرَ بِهِ ، وَأَسْلِمَ ، وَوَتَّبَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَتَّى طَعَنَ بِخَنْجَرٍ فِي جَنْبِهِ ، وَنَهَبَتْ عَسْكَرُهُ ، وَعَوَلَجَتْ [4] خَلَالِيلُ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ ، فَوَادَعَ

[1] واسيط : مدينة بناها الحجاج ، وهي متوسطة بين البصرة والكوفة عن كليّ منهما خمسون فرسخا (معجم البلدان : ج 5 ص 347) .

[2] المناقب لابن المغازلي : ص 391 ح 445 .

[3] الصَّعُودُ : الْعَقَبَةُ الْكَوْوُدُ ، وَالْمَشَقَّةُ مِنَ الْأَمْرِ (المصباح المنير : ص 340) . عَقَبَةُ كَوْوُد : شاقّة المصعد ، صعبة المرتقى (لسان العرب : ج 3 ص 374) .

[4] المعالجة : المزاولة والممارسة ، وعالجته بني إسرائيل : أي مارسوهم فلقبته منهم شدة (مجمع البحرين : ج 2 ص 1254) .

921. شرح نهج البلاغة : مُعَاوِيَةُ ، وَحَقَنَ دَمَهُ وَدَمَاءَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُمْ قَلِيلٌ حَقٌّ قَلِيلٌ . ثُمَّ بَايَعَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلام مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عِشْرُونَ أَلْفًا ، ثُمَّ غَدَرُوا بِهِ ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَبَيْعَتُهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَقَتْلُوهُ ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ - أَهْلُ الْبَيْتِ - تُسْتَذَلُّ وَتُسْتَصَامُ وَتُقْصَى وَتُمتَهَنُ وَتُحْرَمُ وَتُقَتَّلُ وَتُخَافُ وَلَا تَأْمَنُ عَلَى دِمَائِنَا وَدِمَائِ أَوْلِيَانِنَا . وَوَجَدَ الْكَادِبُونَ الْجَاحِدُونَ : - لِكَذِبِهِمْ وَخُجُودِهِمْ - مَوْضِعًا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَفَضَاةَ السَّوْءِ وَعُمَالِ السَّوْءِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ، فَحَدَّثُوهُمْ بِالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الْمَكْذُوبَةِ ، وَرَوَوْا عَنَّا مَا لَمْ نَقُلْهُ وَمَا لَمْ نَعْمَلْهُ ؛ لِيُبْغِضُونَا إِلَى النَّاسِ . وَكَانَ عَظَمُ ذَلِكَ وَكِبَرُهُ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلام ؛ فَقُتِلَتْ شَيْعَتُنَا بِكُلِّ بَلَدَةٍ ، وَفُطِغَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الطَّيِّئَةِ ، وَكَانَ مَنْ يُذَكِّرُ بِحَقِّنَا وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا سَجِنَ ، أَوْ نُهَبَ مَالُهُ ، أَوْ هُدِمَتْ دَارُهُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ الْبَلَاءُ يَشْتَدُّ وَيَزْدَادُ إِلَى زَمَانٍ غُبِيْدٍ اللَّهُ بْنُ زِيَادٍ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلام . ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ، وَأَخَذَهُمْ بِكُلِّ طَيْفَةٍ وَنَهْمَةٍ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفَاكُّ لَهُ : « زَنْدِيقٌ » أَوْ « كَافِرٌ » أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُقَالَ : « شَيْعَةُ عَلِيٍّ » ، وَحَتَّى صَارَ الرَّجُلُ الَّذِي يُذَكِّرُ بِالْخَيْرِ - وَلَعَلَّهُ يَكُونُ وَرَعًا صَدُوقًا - يُحَدِّثُ بِأَحَادِيثٍ عَظِيمَةٍ عَجِيبَةٍ مِنْ تَفْضِيلِ بَعْضِ مَنْ قَدْ سَلَفَ مِنْ الْوَلَاةِ وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْهَا ، وَلَا كَانَتْ ، وَلَا وَقَعَتْ ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهَا حَقٌّ ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ قَدْ رَوَاهَا مِنْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِكَذِبٍ وَلَا يَقْلَهُ وَرِعَ . وَرَوَى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي سَيِّفٍ الْمَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِ الْأَحْدَاثِ قَالَ : كَتَبَ مُعَاوِيَةُ نُسَخَةً وَاجِدَةً إِلَى عُمَالِهِ بَعْدَ عَامِ الْجَمَاعَةِ : أَنْ يَرْتَبِ الدِّمَّةُ مِنْ رَوَى شَيْئًا مِنْ قِصْلِ أَبِي ثَرَابٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ . فَقَامَتِ الْخُطَبَاءُ فِي كُلِّ كُورَةٍ وَعَلَى كُلِّ مَنَبَرٍ يَلْعَنُونَ عَلِيًّا ، وَيَبْرَوُونَ مِنْهُ ، وَيَقْعُونَ فِيهِ وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ . وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً حِينَئِذٍ أَهْلُ الْكُوفَةِ ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ بِهَا مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلام ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زِيَادُ بْنُ سُمَيَّةَ ، وَصَمَّ

921. شرح نهج البلاغة : إِلَيْهِ الْبَصَرَةُ ، فَكَانَ يَتَّبِعُ الشَّيْعَةَ - وَهُوَ بِهِمْ عَارِفٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ أَيَّامَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلام - فَقَتَلَهُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدَرٍ ، وَأَخَافَهُمْ ، وَقَطَعَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ ، وَسَمَلَ [1] الْعُيُونَ ، وَصَلَبَهُمْ عَلَى جَذُوعِ النَّخْلِ ، وَطَرَدَهُمْ ، وَشَرَّدَهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ ، فَلَمْ يَبْقَ بِهَا مَعْرُوفٌ مِنْهُمْ . وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُمَالِهِ

في جميع الأفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ، وكتب إليهم : أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبته وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه قادنوا مجالستهم ، وقربوهم ، وأكرمهم ، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم ، واسمه ، واسم أبيه وعشيرته . ففعلوا ذلك ، حتى أكثروا في فضائل عثمان ، ومناقبه ؛ لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والجباء والقطن ، ويغضه في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه ، وقربه ، وشقعه . فليثوا بذلك حيناً . ثم كتب إلى عماله : إن الحديث في عثمان قد كثر وقشأ في كل مصر ، وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي ثراب إلا وتأتونني بمناقض له في الصحابة ؛ فإن هذا أحب إلي ، وأقرب لعيني ، وأدحض لحجة أبي ثراب وشيعته ، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله . ففكرت كئيبه على الناس ، فزويت أخبار كثيرة - في مناقب الصحابة - مُفَعَّلَةٌ لا حقيقة لها ، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى ، حتى أشادوا بذكر ذلك

[1] الصَّعُودُ : العَقَبَةُ الكَوُود ، والمَشَقَّةُ من الأمر (المصباح المنير : ص 340) . عَقَبَةُ كَوُود : شاقَّة المصعد ، صعبة المرتقى (لسان العرب : ج 3 ص 374) .

[2] المعالجة : المزاولة والممارسة ، وعالجت بني إسرائيل : أي مارسهم فلقيت منهم شدة (مجمع البحرين : ج 2 ص 1254) .

[3] سمل العين : فقوها ؛ يقال : سملت عينه ؛ إذا فقت بحديدة محماة (لسان العرب : ج 11 ص 347) .

[4] غَصَّ : وَصَعَ ونقص (لسان العرب : ج 7 ص 197) .

[5] شرح نهج البلاغة : ج 11 ص 43 .

921. شرح نهج البلاغة : على المنابر ، وألقي إلى معلّمي الكتابات فَعَلَّمُوا صِبْيَانَهُمْ وعلّمتهم من ذلك الكثير الواسع ، حتى رَوَوْهُ وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن ، وحتى علّموه ينابيعهم ونساءهم وخدمتهم وحشمهم . فليثوا بذلك ما شاء الله . ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان : أنظروا من قامت عليه البينة أنه يجب علينا وأهل بيته فامحوه من الدواوين ، وأسقطوا عطاءه وورقه . وشفع ذلك بنسخة أخرى : من اتهمتموه بمؤالاة هؤلاء القوم فتكلموا به ، وأهدموا داره . فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ، ولا سيما بالكوفة ، حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سيره ، ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يُحَدِّثُهُ حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكنتم عليه . فظهر حديث كثير موضوع ، ونهتان منتشِر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة . وكان أعظم الناس في ذلك بليّة الفراء المراءون ، والمستضعفون الذين يطهرون الخشوع والثسك ، فيفتعلون الأحاديث ؛ ليحطوا بذلك عند ولايتهم ، ويقربوا مجالستهم ، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل . حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الدّينيين الذين لا يستجلون الكذب والبُهتان ، ففيلوها ، وزووها وهم يطئون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما زووها ، ولا تدبوا بها . فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام ، فأرداد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه ، أو طريد في الأرض . ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام ، وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة ، وولى عليهم الحجاج بن يوسف ، فتقرّب إليه أهل الثسك والصلاح والدين يغيص علي ومؤالاة أعدائه ، ومؤالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه ، فأكثروا في الرواية في فضيلهم وسوايقهم ومناقبهم ، وأكثروا من الغص [1] من علي عليه السلام ،

[1] الصَّعُودُ : العَقَبَةُ الكَوُود ، والمَشَقَّةُ من الأمر (المصباح المنير : ص 340) . عَقَبَةُ كَوُود : شاقَّة المصعد ، صعبة المرتقى (لسان العرب : ج 3 ص 374) .

[2] المعالجة : المزاولة والممارسة ، وعالجت بني إسرائيل : أي مارسهم فلقيت منهم شدة (مجمع البحرين : ج 2 ص 1254) .

[3] سمل العين : فقوها ؛ يقال : سملت عينه ؛ إذا فقت بحديدة محماة (لسان العرب : ج 11 ص 347) .

[4] غَصَّ : وَصَعَ ونقص (لسان العرب : ج 7 ص 197) .

[5] شرح نهج البلاغة : ج 11 ص 43 .

921. شرح نهج البلاغة : وعييه ، والطعن فيه ، والشتان له ، حتى إن إنساناً وقف للحجاج - ويُقال : إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قربي - فصاح به : أيها الأمير إن أهلي عقوبي قسموني علياً ، وإني فقير بائس ، وأنا إلى صليّة الأمير محتاج . فتصاحك له الحجاج ، وقال : لطف ما توسّلت به قد وليتكَ موضع كذا . وقد روى ابن عرقه - المعروف بِنِطَوِيه ، وهو من أكابر المُحَدِّثِينَ وأعلامهم - في تاريخه ما يُناسب هذا الخبر ، وقال : إن أكثر الأحاديث الموضوعّة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيام بني أمية ؛ تقرّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم [1]

ه - الدافع السياسي في كيد أعدائه

922. الإمام زين العابدين عليه السلام : قال مروان بن الحكم : ما كان في القوم أحد أدقّ عن صاحبه من صاحبكم - يعني علياً عن عثمان - قال : قلت : فما لكم تسبّونه على المنبر ؟ ! قال : لا يستقيم الأمر إلا بذلك [2]

[1] الصَّعُودُ : الْعَقَبَةُ الْكُودُ ، وَالْمَشَقَّةُ مِنَ الْأَمْرِ (المصباح المنير : ص 340) . عَقَبَةُ كُودُ : شَاقَّةُ الْمُصْعَدِ ، صُعْبَةُ الْمُرْتَقَى (لسان العرب : ج 3 ص 374) .

[2] الْمَعَالَجَةُ : الْمَزَالَةُ وَالْمَمَارَسَةُ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَيِ مَارَسْتُهُمْ فَلَقِيتُ مِنْهُمْ شِدَّةً (مجمع البحرين : ج 2 ص 1254) .

[3] سَمَلُ الْعَيْنِ : فَقْوُهَا ؛ يُقَالُ : سَمَلْتُ عَيْنَهُ ؛ إِذَا فُقِنْتُ بِحَدِيدَةٍ مُحَمَّاةٍ (لسان العرب : ج 11 ص 347) .

[4] غَضَّ : وَضَعَ وَنَقَصَ (لسان العرب : ج 7 ص 197) .

[5] شرح نهج البلاغة : ج 11 ص 43 .

[6] تاريخ دمشق : ج 42 ص 438 .

الفصل السادس : خبيرة آمال أعدائه

أ - إنكار سَيِّه

923.المستدرك على الصحيحين عن عبيد الله بن أبي مليكة جاء رجلٌ من أهل الشام فسبَّ عليّاً عند ابن عباسٍ ، فحَصَبَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَذَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» [1] ! لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَيًّا لَأَذَيْتُهُ . [2]

924.تاريخ الطبري عن عليّ بن محمد : خَطَبَ بُسْرٌ عَلَى مَنِيرِ الْبَصْرَةِ ، فَسَتَمَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ قَالَ : نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلًا عَلِمَ أَنِّي صَادِقٌ إِلَّا صَدَّقَنِي ، أَوْ كَاذِبٌ إِلَّا كَذَّبَنِي ! قَالَ : فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ : اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْلَمُكَ إِلَّا كَاذِبًا . قَالَ : فَأَمَرَ بِهِ فَخُيَّقَ ، قَالَ : فَقَامَ أَبُو لَوْلُؤَةَ الضُّيَّيُّ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَيْهِ ، فَمَتَعَهُ . [3]

925.المستدرك على الصحيحين عن أبي عبد الله الجدلي : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ لِي : أُسَبِّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيْكُمْ ؟ فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ - أَوْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَوْ كَلِمَةً تَحْوَاهُ - فَقَالَتْ : سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : مَنْ سَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ سَبَّنِي . [4]

[1] الأحزاب : 57 .

[2] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 131 ح 4618 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 167 .

[4] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 130 ح 4615 .

926.صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه : أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا الثَّرَابِ ؟ فَقَالَ : أَمَا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا فَأَلْهَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَنْ أُسَبِّهُ ؛ لِأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لَهُ ، خَلَقَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَلَقْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا ثُبُوءَ بَعْدِي» . وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ : «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» . قَالَ : فَتَطَاوَلْنَا لَهَا ، فَقَالَ : «أُدْعُوا لِي عَلِيّاً» . فَأَتَيْهِ أَرْمَدٌ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ . وَلَمَّا تَرَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» [1] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ : «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي» . [2]

ب - إِمْتِنَاعُ النَّاسِ مِنْ سَيِّه

927.تاريخ البيهقي - فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (44 هـ) :- فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَمِلَ مُعَاوِيَةُ الْمَقْصُورَةَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَخْرَجَ الْمَنَابِرَ إِلَى الْمُصَلِّي فِي الْعِيدَيْنِ ، وَخَطَبَ الْخُطْبَةَ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ إِذَا صَلُّوا انْصَرَفُوا لِيَنَلَّاهُ يَسْمَعُوا لَعْنَ عَلِيٍّ ، فَقَدَّمَ مُعَاوِيَةُ الْخُطْبَةَ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، وَوَهَبَ فَدَكَ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ لِيُعْطِيَ بِذَلِكَ آلَ رَسُولِ اللَّهِ . [3]

928.الطبقات الكبرى عن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية جاء سعد بن جنادة إلى عليّ بن أبي طالب وهو بالكوفة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَسَمِيهِ . قَالَ : هَذَا

[1] آل عمران : 61 .

[2] صحيح مسلم : ج 4 ص 1871 ح 32 .

928. الطبقات الكبرى عن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية الله . فسمي عطية [1] . وكانت أمه أم ولد رومية . وخرج عطية مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما انهزم جيش ابن الأشعث هرب عطية إلى فارس ، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي : أن ادع عطية ، فإن لعن علي بن أبي طالب ولا قاضيه أربعين سنة سوط وأحلق رأسه وليحيته . فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج ، فأبى عطية أن يفعل ، فصرته أربعين سنة سوط وأحلق رأسه وليحيته . [2]

ج - مدينة امتنت من سيه

929. معجم البلدان - في وصف مدينة سجستان :- قال الرهني : وأحل من هذا كله أنه لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق والغرب ولم يلعن على منبرها إلا مرة ، وامتنعوا على بني أمية حتى زادوا في عهدهم ألا يلعن على منبرهم أحد ، ولا يصطادوا في بلدتهم فئدا ولا سلخفاة ، وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله صلى الله عليه و اله على منبرهم وهو يلعن على منابر الحرمين مكة والمدية ! ! [3]

د - الامتناع من البراءة

930. تاريخ الطبري عن أبي مخنف - في بيان مقتل حجر بن عدي وأصحابه :- جاء رسول معاوية إليهم يتخلى سيرة ويقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إنا قد أمرنا أن تعرض عليكم البراءة من علي واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له يشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد

[1] هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، من أعلام التابعين . وهو أول من زار قبر الإمام الحسين عليه السلام مع جابر بن عبد الله الأنصاري .

[2] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 304 .

[3] معجم البلدان : ج 3 ص 191 .

930. تاريخ الطبري عن أبي مخنف - في بيان مقتل حجر بن عدي وأصحابه - عفا عن ذلك ، فأبرؤوا من هذا الرجل نخل سبيلكم . قالوا : اللهم إنا لسنا فاعلي ذلك . فأمر بقبورهم فخفرت ، وأدتبت أكفائهم ، وقاموا الليل كله يصلون ، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة ، وأحسنتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أول من جاز في الحكم ، وعمل بغير الحق . فقال أصحاب معاوية : أمير المؤمنين كان أعلم بكم ، ثم قاموا إليهم فقالوا : تبرؤون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاه وتبرأ ممن تبرأ منه . فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله ، ووقع قبيصة بن ضبيعة في يدي أبي شريف البدي ، فقال له قبيصة : إن الشر بين قومي وقومك أمين ، فليقتلني سيواك ، فقال له : برك رجم ! فأخذ الحضرمي فقتله ، وقتل القضاعي قبيصة بن ضبيعة . قال : ثم إن حجرا قال لهم : دعوني أتوصأ ، قالوا له : توصأ ، فلما أن توصأ قال لهم : دعوني أصلي ركعتين ، فأبى الله ما توصأت قط إلا صليت ركعتين . قالوا : ليتصل . فصلى ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ، ولولا أن تزوا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها ، ثم قال : اللهم إنا نستعديك على أمينا ، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس من المسلمين هلك في واديه ، وأول رجل من المسلمين تبخته كلابها . فمشى إليه الأعور هدية بن قياض بالسيف ، فأرعدت خصائله ، فقال : كلا ، زعمت أنك لا تجزع من الموت ، فإنا أدعك فأبرأ من صاحبك . فقال : ما لي لا أجزع وأنا أرى قبرا محفورا ، وكفنا منشورا ، وسيفا مشهورا ،

930. تاريخ الطبري عن أبي مخنف - في بيان مقتل حجر بن عدي وأصحابه - وإني والله إن جزع من القتل لا أقول ما يسخط الرب . فقتله ، وأقبلوا يقتلونهم واجدا واجدا حتى قتلوا سيته . [1]

[1] تاريخ الطبري : ج 5 ص 275 .

كلام في خيبة أعدائه

رَوَى ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْإِسْكَافِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْجَهْلِ وَخُبِّ الثَّقَلَيْنِ ؛ لَمْ نَحْتَاجَ إِلَى نَقْصِ مَا احْتَجَّتْ بِهِ الْعُثْمَانِيَّةُ ، فَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ كَافَّةً أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ لِأَرْبَابِ مَقَالَتِهِمْ ، وَعَرَفَ كُلُّ أَحَدٍ أَقْدَارَ شُيُوحِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَأَمْرَانِهِمْ ، وَظَهَرَ كَيْمَتُهُمْ ، وَفُهِرَ سُلْطَانُهُمْ ، وَارْتَفَعَ الثَّقَفِيُّ عَنْهُمْ ، وَالْكَرَامَةُ وَالْجَائِزَةُ لِمَنْ رَوَى الْأَخْبَارَ وَالْأَحَادِيثَ فِي فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَأْكِيدِ بَنِي أُمَيَّةٍ لِذَلِكَ ، وَمَا وَلَدَهُ الْمُحَدِّثُونَ مِنَ الْأَحَادِيثِ طَلَبًا لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ ، فَكَانُوا لَا يَأْلَوْنَ جُهِدًا فِي طَوْلِ مَا مَلَكُوا أَنْ يُحْمِلُوا ذِكْرَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوُلْدِهِ ، وَيُطْفِئُوا نَوْرَهُمْ ، وَيَكْتُمُوا فَضَائِلَهُمْ وَمَنَاقِبَهُمْ وَسَوَابِقَهُمْ ، وَيَحْمِلُوا عَلَى شَتْمِهِمْ وَسَيِّئِهِمْ وَلَعْنِهِمْ عَلَى الْمَنَابِرِ . فَلَمْ يَزَلِ السَّيْفُ يَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ ؛ فَكَانُوا بَيْنَ قَتْلِ وَأَسِيرٍ ، وَشَرِيدٍ وَهَارِبٍ ، وَمُسْتَخْفٍ ذَلِيلٍ ، وَخَائِفٍ مُتَرْقِبٍ ، حَتَّى إِنَّ الْقَبِيحَةَ وَالْمُحَدِّثَ وَالْقَاصِيَّ وَالْمُتَكَلِّمَ ، لَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَتَوَعَّدُ بِغَايَةِ الْإِبْعَادِ وَأَشَدِّ الْعُقُوبَةِ ، أَنْ يَذْكُرُوا شَيْئًا مِنْ فَضَائِلِهِمْ ، وَلَا يُرْجِّصُوا لِأَحَدٍ أَنْ يُطِيفَ بِهِمْ . وَحَتَّى بَلَغَ مِنْ تَقْيِهِ الْمُحَدِّثُ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ حَدِيثًا عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُنِيَ عَنْ ذِكْرِهِ ، فَقَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ وَفَعَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلَا يَذْكُرُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَا يَتَقَوَّهَ بِأَسْمِهِ .

ثُمَّ رَأَيْنَا جَمِيعَ الْمُخْتَلِفِينَ قَدْ حَاوَلُوا نَقْصَ فَضَائِلِهِ ، وَوَجَّهُوا الْحِيلَ وَالْثَّائِيلَاتِ نَحْوَهَا ، مِنْ خَارِجِيٍّ مَارِقٍ ، وَنَاصِبِيٍّ حَقِيقٍ ، وَثَائِبِيٍّ مُسْتَبْهَمٍ ، وَنَاشِئٍ مُعَانِدٍ ، وَمُنَافِقِيٍّ مُكَدِّبٍ ، وَعُثْمَانِيٍّ خَسُودٍ ؛ يَعْتَرِضُ فِيهَا وَيَطْعُنُ ، وَمُعْتَرِلِيٍّ قَدْ نَقَصَ فِي الْكَلَامِ ، وَأَبْصَرَ عِلْمَ الْاِخْتِلَافِ ، وَعَرَفَ الشُّبُهَةَ وَمَوَاضِعَ الطَّعْنِ وَضُرُوبَ الثَّائِيلِ ، قَدْ التَّمَسَّ الْحِيلَ فِي إِبْطَالِ مَنَاقِبِهِ ، وَتَأَوَّلَ مَشْهُورَ فَضَائِلِهِ ، قَمَرَةً يَتَأَوَّلُهَا يَمَا لَا يَحْتَمِلُ ، وَمَرَّةً يَقْصِدُ أَنْ يَضَعَهَا مِنْ قَدْرِهَا بِقِيَاسِ مُنْتَقِضٍ ، وَلَا يَزِدَادُ مَعَ ذَلِكَ إِلَّا قُوَّةَ وَرَفَعَةٍ ، وَوُضُوحًا وَاسْتِنَارَةً . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا مِنْ بَنِي مَرْوَانَ أَبَاكُمْ مُلْكُهُمْ . وَذَلِكَ نَحْوُ ثَمَانِينَ سَنَةً . لَمْ يَدْعُوا جُهِدًا فِي حَمْلِ النَّاسِ عَلَى شَتْمِهِ وَلَعْنِهِ ، وَإِخْفَاءِ فَضَائِلِهِ ، وَسَتْرِ مَنَاقِبِهِ وَسَوَابِقِهِ . رَوَى خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ إِسَافٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِمٍ قَالَ : لَمَّا بُويعَ لِمُعَاوِيَةَ أَقَامَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ خُطْبَاءً يَلْعَنُونَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبٍ : أ لَا تَرَوْنَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الطَّالِمِ يَأْمُرُ بِلَعْنِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ رَوَى سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ الْخُرِّ بْنِ الصَّبَاحِ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ يَقُولُ : شَهِدْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ خُطْبًا ، فَذَكَرَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ مِنْهُ . رَوَى أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْمُثَنَّى النَّخَعِيُّ عَنْ رِيَاحِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : بَيْنَمَا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بِالْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ وَعِنْدَهُ نَاسٌ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ : قَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ فَسَبَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ . رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْإِسْفَهَانِيُّ عَنْ شَرِيكٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ

عَلِيٍّ بْنِ الْخُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ الْخُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ لِي مَرْوَانُ : مَا كَانَ فِي الْقَوْمِ أَدَقُّ عَنْ صَاحِبِنَا مِنْ صَاحِبِكُمْ ، قُلْتُ : فَمَا بِالْكُمِ تَسْبِوتُهُ عَلَى الْمَنَابِرِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَنَا الْأَمْرُ إِلَّا بِذَلِكَ ! ! رَوَى مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو عَسَانَ التَّهْدِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي سَيْفٍ قَالَ : خُطِبَ مَرْوَانُ وَالْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا ، فَقَالَ مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : وَيْلَكَ يَا مَرْوَانُ ! ! أَ هَذَا الَّذِي تَشْتِمُ شَرَّ النَّاسِ ! قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ . وَرَوَى أَبُو عَسَانَ أَيْضًا قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : كَانَ أَبِي يَخْطُبُ ، فَلَا يَزَالُ مُسْتَمِرًّا فِي خُطْبَتِهِ ، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى ذِكْرِ عَلِيٍّ وَسَيِّئِهِ تَقَطَّعَ لِسَانُهُ ، وَأَصْفَرَ وَجْهُهُ ، وَتَغَيَّرَ حَالُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : أ وَدَقْتُ لِنِذَلِكَ ؟ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَوْ يَعْلَمُونَ مِنْ عَلِيٍّ مَا يَعْلَمُهُ أَبُوكَ مَا تَبِعْنَا مِنْهُمْ رَجُلٌ . وَرَوَى أَبُو عُثْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْيَقْطَانِ قَالَ : قَامَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عُثْمَانَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمَ عَرَفَةَ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا يَوْمٌ كَانَتْ الْخُلَفَاءُ تَسْتَجِبُ فِيهِ لَعْنِ أَبِي ثُرَابٍ ! وَرَوَى عَمْرُو بْنُ الْقَتَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ عَنْ أَشْعَثِ بْنِ سَوَّارٍ قَالَ : سَبَّ عَدِيٌّ بْنُ أَوْطَاةٍ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْعِمْبَرِ ، فَبَكَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَقَالَ : لَقَدْ سَبَّ هَذَا الْيَوْمَ رَجُلٌ إِنَّهُ لَأَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَرَوَى عَدِيٌّ بْنُ نَاطِثٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ جَالِسَيْنِ فِي الْجُمُعَةِ مِمَّا يَلِي أَبْوَابَ كِنْدَةَ ، فَخَرَجَ الْمُغِيرَةُ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا شَاءَ أَنْ يَذْكُرَ ، ثُمَّ وَقَعَ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَرَبَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى فَخِذِي أَوْ رُكْبَتِي ثُمَّ قَالَ : أَقِيلَ عَلَيَّ فَحَدَّثَنِي ؛ فَإِنَّا لَسْنَا فِي جُمُعَةٍ ؛ أ لَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا ؟ وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَيْفٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ لِعَامِرَ بْنِ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ لَوْلَدِهِ : لَا تَذْكُرْ يَا بُنَيَّ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ ؛ فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَعَنُوهُ عَلَى مَنَابِرِهِمْ ثَمَانِينَ سَنَةً ، فَلَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَّا رَفَعَةً . إِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا رَجَعَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمَتْهُ ، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا قَطُّ وَهَدَمَهُ . وَرَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُطْلِبُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيِّ

قال : كان دَعِيَ لِبَنِي أُمَيَّةٍ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَزَالُ يَشْتِمُ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلام ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَالَ : وَاللَّهِ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَيَسْتَعْمِلُهُ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ مَا هُوَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ خَتَنَةً [1] ، وَقَدْ نَعَسَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَقَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكُمُ ! مَا قَالَ هَذَا الْخَبِيثُ ؟ رَأَيْتُ الْقَبْرَ انْصَدَعَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : كَذَبْتَ يَا عَبْدُ اللَّهِ . وَرَوَى الْقَتَادُ قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ بْنُ تَصْرِ الهمداني عن السَّدي قال : بَيْنَمَا أَنَا بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أَحْجَارِ الرَّبِّ [2] ، إِذْ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ ، فَوَقَفَ قَسْبَ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلام ، فَخَفَّ بِهِ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سَبَّ عَبْدًا لَكَ صَالِحًا قَارَ الْمُسْلِمِينَ خِزْيَةً ، فَمَا لَيْتَ أَنْ تَقَرَّ بِهِ بَعِيرُهُ ، فَسَقَطَ قَانَذَقَتْ عُنُقُهُ . وَرَوَى عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى عَنْ فُطْرِ بْنِ خَلِيقَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدْلِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَجَمَهَا اللَّهُ ، فَقَالَتْ لِي : أَيْسَبُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيكُمْ وَأَنْتُمْ أَحْيَاءُ ؟ قُلْتُ : وَأَنْتِ كَيْفَ هَذَا ؟ قَالَتْ : أَلَيْسَ يُسَبُّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلام وَمَنْ يُجِبُهُ ؟ وَرَوَى الْعَبَّاسُ بْنُ بَكَّارٍ الصَّبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْهَذْلِيُّ عَنِ الرَّهْرِيِّ قَالَ : قَالَ

[1] الختن : زوج البنت (راجع : النهاية : ج 2 ص 10) .

[2] أحجار الرَّبِّ : موضع بالمدينة ، وهو موضع صلاة الاستسقاء (معجم البلدان : ج 1 ص 109) .

ابن عَبَّاسٍ لِمُعَاوِيَةَ : أَلَا تَكُفُّ عَنْ شَتْمِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَرَبُو عَلَيَّهِ الصَّغِيرُ وَيَهْرَمَ فِيهِ الْكَبِيرُ ، فَلَمَّا وَلَّى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَفَّ عَنْ شَتْمِهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : تَرَكَ السُّنَّةَ . قَالَ : وَقَدْ رَوَى عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - إِمَّا مَوْفُوعاً عَلَيْهِ أَوْ مَرْفُوعاً - : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا شَمَلْتُمْ فِتْنَةً يَرَبُو عَلَيْهَا الصَّغِيرُ ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، يَجْرِي عَلَيْهَا النَّاسُ فَيَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً ، فَإِذَا غَيَّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ : غَيَّرَ السُّنَّةَ ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ رُبَّمَا أَحَدَثُوا قَوْلًا أَوْ دِينًا لِهَوًى ، فَيَحْمِلُونَ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَعْرِفُوا غَيْرَهُ ، كَنَحْوِ مَا أَخَذَ النَّاسَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ يَقْرَأُهُ عُثْمَانُ ، وَتَرَكَ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَتَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ بِدُونِ مَا صَنَعَ هُوَ وَجَبَابِرُهُ بَنِي أُمَيَّةٍ وَطِعَاةُ مَرْوَانَ يُولِدُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلام وَشِيعَتِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ سُلْطَانُهُ نَحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَمَا مَاتَ الْحَجَّاجُ حَتَّى اجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى قِرَاءَةِ عُثْمَانَ ، وَنَشَأَ أَبْنَاؤُهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ غَيْرَهَا ؛ لِإِمْسَاكِ الْأَبَاءِ عَنْهَا ، وَكَفِّ الْمُعَلِّمِينَ عَنْ تَعْلِيمِهَا ، حَتَّى لَوْ قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مَا عَرَفُوهَا ، وَلَطَنُوا بِتَأْلِيفِهَا الْإِسْكَرَاءَ وَالْإِسْهَجَانَ ؛ لِأَلْفِ الْعَادَةِ وَطُولِ الْجَهَالَةِ ؛ لِأَنََّّهُ إِذَا اسْتَوَلَتْ عَلَى الرَّعِيَّةِ الْعَلْبَةُ ، وَطَالَتْ عَلَيْهِمْ أَيَّامُ التَّسْلُطِ ، وَشَاعَتْ فِيهِمُ الْمَخَافَةُ ، وَشَمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ ، انْتَفَقُوا عَلَى التَّخَاذُلِ وَالتَّسَاكُتِ ، فَلَا تَزَالُ الْأَيَّامُ تَأْخُذُ مِنْ بَصَائِرِهِمْ ، وَتَنْقُصُ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ ، وَتَنْقُصُ مِنْ مَرَائِرِهِمْ [1] ، حَتَّى تُصِيرَ الْيَدْعَةُ الَّتِي أَحَدَتْهَا غَايِرَةٌ لِلْسُّنَّةِ الَّتِي كَانُوا يَعْرِفُونَهَا . وَلَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ وَمَنْ وَلَّاهُ كَعْبِدُ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمَا وَبَعْدَهُمَا مِنْ قِرَاعَتِهِ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى إِخْفَاءِ مُحَاسِنِ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلام وَفَضَائِلِهِ وَفَضَائِلِ وَلَدِهِ وَشِيعَتِهِ

[1] الختن : زوج البنت (راجع : النهاية : ج 2 ص 10) .

[2] أحجار الرَّبِّ : موضع بالمدينة ، وهو موضع صلاة الاستسقاء (معجم البلدان : ج 1 ص 109) .

[3] المَريرة: عَرَّةُ النَّفْسِ، والعزيمه، وجمعها مرائر (القاموس المحيط: ج 2 ص 132) .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 13 ص 219 .

وَإِسْقَاطِ أَفْدَارِهِمْ ؛ أَحْرَصَ مِنْهُمْ عَلَى إِسْقَاطِ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْقِرَاءَاتِ لَا تَكُونُ سَبَبًا لِزَوَالِ مُلْكِهِمْ وَفَسَادِ أَمْرِهِمْ وَانْكِشَافِ حَالِهِمْ ، وَفِي اسْتِهَازٍ فَصَلَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلام وَوَلَدِهِ وَآطَهَارَ مُحَاسِنِهِمْ بِوَارْتِهِمْ ، وَتَسْلِيطُ حُكْمِ الْكِتَابِ الْمُنْبِذِ عَلَيْهِمْ ، فَخَرَّصُوا وَاجْتَهَدُوا فِي إِخْفَاءِ فَضَائِلِهِ ، وَخَمَلُوا النَّاسَ عَلَى كَيْمَانِهَا وَسْتَرَهَا ، وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَزِيدَ أَمْرَهُ وَأَمْرَ وَلَدِهِ إِلَّا اسْتِنَارَةً وَإِشْرَافًا ، وَخُتْمَهُ إِلَّا شَغْفًا وَشِدَّةً ، وَذَكَرَهُمْ إِلَّا انْتِشَارًا وَكَثْرَةً ، وَخَجَّتْهُمْ إِلَّا وَضُوحًا وَقُوَّةً ، وَفَضَّلَهُمْ إِلَّا ظُهُورًا ، وَشَأْنَهُمْ إِلَّا غُلُوبًا ، وَأَفْدَارَهُمْ إِلَّا إِعْطَامًا ، حَتَّى أَصْبَحُوا بِإِهَانَتِهِمْ أَيَّامَهُمْ أَعْرَاءَ ، وَبِإِمَانَتِهِمْ ذَكَرَهُمْ أَحْيَاءَ ، وَمَا أَرَادُوا بِهِ وَبِهِمْ مِنَ الشَّرِّ تَحَوَّلَ خَيْرًا . فَانْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ ذِكْرِ فَضَائِلِهِ وَخَصَائِصِهِ وَمَزَايَاهُ وَسَوَائِقِهِ ، مَا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ السَّابِقُونَ ، وَلَا سَاوَاهُ فِيهِ الْقَاصِدُونَ ، وَلَا يَلْحَقُهُ الطَّالِبُونَ ، وَلَوْلَا أَنَّهَا كَانَتْ كَالْقَبْلَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشُّهُرَةِ ، وَكَالَسُنَنِ الْمَحْفُوظَةِ فِي الْكَثَرَةِ ؛ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْهَا فِي ذَهْرِنَا حَرْفٌ وَاحِدٌ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْنَاهُ . {-4-}

[1] الختن : زوج البنت (راجع : النهاية : ج 2 ص 10) .

[2] أحجار الرَّبِّ : موضع بالمدينة ، وهو موضع صلاة الاستسقاء (معجم البلدان : ج 1 ص 109) .

[3] المَريرة: عَرَّةُ النَّفْسِ، والعزيمه، وجمعها مرائر (القاموس المحيط: ج 2 ص 132) .

[4] شرح نهج البلاغة : ج 13 ص 219 .

هـ - رَفَعُ السَّبَبِ عَنْهُ

931. الكامل في التاريخ : كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ يَسْتَبُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ ، فَتَرَكَ ذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى الْعُمَّالِ فِي الْأَقَاقِ يَتْرَكُهُ . وَكَانَ سَبَبٌ مَحَبَّتِهِ عَلِيًّا أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ أَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ عُبيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَبَلَغَهُ عَنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَتَيْتُهُ يَوْمًا وَهُوَ يُصَلِّي ، فَأَطَالَ الصَّلَاةَ ، فَقَعَدْتُ أَنْتَظِرُ قِرَاعَهُ ، فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ صَلَاتِهِ التَّغَتَّ إِلَيَّ فَقَالَ لِي : مَتَى عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ غَضِبَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ وَبِعَةِ الرِّضْوَانِ بَعْدَ أَنْ رَضِيَ عَنْهُمْ ؟ قُلْتُ : لَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ . قَالَ : فَمَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ فِي عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : مَعَذَرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ ! وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ . وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَ قُنَالَ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَلَجَّلَجَ [1] ، قُلْتُ : يَا أَبَتَاهُ ، إِنَّكَ تَمْضِي فِي خُطْبَتِكَ ، فَإِذَا أَتَيْتَ عَلَى ذِكْرِ عَلِيٍّ عَرَفْتُ مِنْكَ تَقْصِيرًا ! قَالَ : أَوْفَيْتُ لِيذَلِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ الَّذِينَ حَوْلَنَا لَوْ يَعْلَمُونَ مِنْ عَلِيٍّ مَا نَعْلَمُ تَفَرَّقُوا عَنَّا إِلَى أَوْلَادِهِ . فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا مَا يَرْتَكِبُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ لِاجْلِهَا ، فَتَرَكَ ذَلِكَ وَكَتَبَ يَتْرَكُهُ ، وَقَرَأَ عِوَضَهُ : «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» الْآيَةَ [2] ، فَحَلَّ هَذَا الْفِعْلَ عِنْدَ النَّاسِ مَحَلًّا حَسَنًا ، وَأَكْثَرُوا مَدَحَهُ يَسْتَبِيهِ . [3]

[1] اللجلجة : نقل اللسان ، ونقص الكلام ، وأن لا يُخرج بعضه في أثر بعض (لسان العرب : ج 2 ص 355) .

[2] النحل : 90 .

[3] الكامل في التاريخ : ج 3 ص 255 .

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

القسم السادس عشر : أصحاب الإمام عليّ عليه السلام وعمّالُه

تحليل في طبقات عمّاله

عدّة من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام وعماله

عدّة من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام وعماله

أبو أيوب الأنصاريّ

أبو ذرّ الغفاريّ

أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله

أبو موسى الأشعريّ

أبو الهيثم

الأشعث بن قيس

أصغ بن نباتة

اويس القرنيّ

جابر بن عبد الله الأنصاريّ

حجر بن عديّ

حذيفة بن اليمان

خزيمة بن ثابت ذو الشّهادتين

رشيد الهجري

زياد بن أبيه

سلمان الفارسي

سليم بن قيس الهلالي

صعصة بن صوحان

عبد الله بن عباس

كلام فيما نسب إلى ابن عباس من الخيانة

عبيد الله بن أبي رافع

عثمان بن حنيف

عدي بن حاتم

علي بن أبي رافع

عمار بن ياسر

كميل بن زياد

مالك الأشتر

محمد بن أبي بكر

المقداد بن عمرو

ميثم التمار

این صفحه در کتاب اصلی بدون متن است / هذه الصفحة فارغة في النسخة المطبوعة

تحليل في طبقات عماله

حكومة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي دامت قرابة خمس سنين جديرة بالبحث والدراسة من جهات متنوعة . والتأمل في سيرته المباركة عليه السلام من جوانب شتى ذو بُعد تذكيري وتربوي . وعماله وولائه يترجمون مفردة مهمة من مفردات سياسته عليه السلام ، من حيث اختيارهم ، ومراقبة الإمام لهم بعد الاختيار ، وغير ذلك . تحدثنا عن هذه الأمور في فصول هذا الكتاب ، والذي نريد ذكره هنا هو أننا يمكن أن نقسم ولاته عليه السلام إلى الأقسام الآتية : 1 . الولاة الثقات المتدينون المعروفون بكفاءتهم والإدارية وحكمتهم وشخصيتهم الاجتماعية الخاصة . ولنا أن نسمي هؤلاء طلائع أصحابه والوجه البارزة فيهم . وكان هؤلاء أعضاء الإمام عليه السلام ومشاوريه الصالحين المخلصين . منهم : مالك الأشتر الذي ولّاه الإمام في البداية على الجزيرة (منطقة بين دجلة والفرات ، كانت تتمتع بأهمية خاصة لقربها من الشام) . ثم استعمله على مصر . ومنهم : عبد الله بن عباس الذي كان واليا على البصرة . ومنهم : قيس بن سعد بن عبادة الذي وجهه إلى مصر ، ثم جعله على آذربايجان .

وكان هؤلاء إذا نشبت الحرب لازموا الإمام عليه السلام ، ولم يقيموا في العاصمة ، ذلك لأن أولي الكفاءة القيادية وأصحاب الرأي عند المشاورة كانوا قليلين . إذا

ألقينا نظرة تاريخية على هؤلاء ، نجد أنّ مالك الأشتر هو الوجه المتألق الذي لم تشبه شائبة قط . أمّا ابن عباس فإنّ ما أشيع عليه من أخذ أموال البصرة حقيق بالتأمل . وأمّا قيس بن سعد فإنّ عزله عن حكومة مصر - مع عظمتها - لافت للنظر . 2 . الولاة المتديتّون الملتزمون المعتمدون الذين تنقصهم الكفاءة الإدارية بشكل من الأشكال . فهؤلاء لم يكن لهم باع يُذكر في تدبير الأمور . ولقد كانوا من الوجهاء ، بيّذ أنّهم لم يتخذوا القرار الحاسم في الظروف الحرجة ، ولم يتخلّصوا من الأزمات كما ينبغي . فمحمّد بن أبي بكر ، مع سموّ قدره ، عجز عن تهدئة الوضع في مصر ، وفقد قدرة الدفاع حين اضطربت أمورها . وأبو أيوب الأنصاري ، مع جلالته وعظمتها ، لم يستطع مواجهة بُسر ولاذ بالفرار . وسهل بن حنيف لم يسيطر على الأوضاع في تمرد أهالي فارس وامتناعهم عن دفع الخراج ، فعزل عن منصبه . وعبيد الله بن عباس ولّى مدبرا أمام بُسر . وعثمان بن حنيف فقد حزمه في مواجهة مكيدة التّاكثين ، وأخفق ، فألقي عليه القبض . وكميل بن زياد لم يطّبق غارات معاوية ، فهمّ بالمقابلة بالمثل وتوجّه لشنّ الغارة على مناطق الشام ، فلامه الإمام عليه السلام . 3 . الولاة الذين ليس لهم عقيدة راسخة ، ولم يتمتّعوا بإيمان عميق وإن كانوا سياسة مدبرين وذوي حسّ إداري فعّال . فهؤلاء لم يتورّعوا عن القبض على بيت المال والتلاعب به إسرافا وتبذيرا . وقد اشتكى منهم الإمام عليه السلام في الأيام الأخيرة من حياته ، وقال : « لَوْ اثَّمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَدَحٍ لَأَخَذَ عِلَاقَتَهُ » . [1] ومن هؤلاء : زياد بن أبيه ؛ فقد تصرف في بيت المال بنحو غير مشروع ،

[1] البداية والنهاية : ج 7 ص 326 .

فاعترض عليه الإمام عليه السلام . ثمّ التحق بمعاوية بعد استشهاده الإمام عليه السلام ، ولم يرعَ عن ارتكاب الجرائم . ومنهم : المنذر بن الجارود . عنّفه الإمام عليه السلام لأنّه أباح لنفسه التلاعب في بيت المال أيضا . ومنهم : التّعمان بن عجلان ، لأمه الإمام عليه السلام أيضا بسبب بذله الأموال على قبيلته وتصرفه غير المشروع فيها لمصلحته ، ثمّ قرّ والتحق بمعاوية . ومنهم : يزيد بن حجية ، ومصلحة بن هبيرة ، والقّعقاع بن شور ، فقد فعلوا فعل أصحابهم المذكورين . إنّ التأمل في حياة عمّال الإمام عليه السلام ، وتحليل مواقفهم ، والتّ نظر في مآل حياتهم السياسيّة ، كلّ ذلك ذو بُعد تربوي توجيهي للمرء . ومن الضروري أن نستعرض في هذا المجال ملاحظات ترتبط بهذا الموضوع : 1 . الشخصيّات الفعّالة الموثوق بها كانت قليلة مع الإمام عليه السلام . وهؤلاء هم الذين كانوا يُنتدّبون للأعمال في مواطن متنوّعة . وظلّ الإمام عليه السلام في الحقيقة وحيدا بعد استشهاده عدد من عليّة أصحابه في صفين ، وخلا الجوّ من هؤلاء الأعظم . وعزم الإمام عليه السلام على تسريح هاشم بن عتبة إلى مصر بعد عزل قيس بن سعد ، بيّذ أنّّه كان بحاجة إلى شخصيّة القتاليّة في صفين ؛ لذا أشخص محمّد بن أبي بكر إليها . وعندما استشهد هاشم في صفين ، لم يجد بُدّا إلّا إرسال مالك الأشتر إليها مع حاجته الشديدة إلى وجوده معه في مركز الخلافة الإسلاميّة . 2 . كان بين أصحاب الإمام عليه السلام رجال أمناء صالحون ووجهاء أوّلوا سابقة مشرقة نقيّة من كلّ شائبة . وهؤلاء كانوا دعائم الحكومة وأعضاء النظام العلوي . ولا مناص من بقائهم إلى جانب الإمام عليه السلام ، إذ كان يشاورهم في شؤون الحكومة .

ومن هؤلاء : الصحابي الجليل عمّار بن ياسر ، التّصير الوفيّ المخلص للإمام عليه السلام . وكان وجوده مع الإمام ودفاعه السخيّ عنه يقضي على التردّد ، ويثبت كثيرا من الذين كانت تضعفهم الدعايات المسمومة التي تبثّها أجهزة الإعلام الأموي في الشام ضدّ الإمام عليه السلام . من جانب آخر ، كانت هناك قبائل ما زالت العصبيّات القبليّة متأصلة في نفوسها ، فلم تسمع إلّا كلام رؤسائها . من هنا ، ظلّ رجال مثل عديّ بن حاتم إلى جانب الإمام عليه السلام لتبقى قبائلهم معه أيضا . 3 . إنّ وجود أشخاص مثل زياد بن أبيه بين عمّال الإمام عليه السلام مثير للسؤال . فقد أنفذ الإمام الشخص المذكور - باقتراح عبد الله بن عباس وتأييد جارية بن قدامة - على رأس قوّة عسكريّة كبيرة لإخماد تمرد أهل فارس الذين امتنعوا عن دفع الضرائب ، فاستطاع زياد بتدبيره وحكمته السياسيّة الخاصّة أن يسيطر على الوضع . كان زياد مطعونا في نسبه ، وكان يتّصف بدهاء عجيب . ويمكن أن نعدّه نموذجا للإنسان المتخصّص غير الملتزم الذي جمع بين خبث السريرة وظلمة الروح وبين التدبير والدهاء . وإنّ ملازمته لمعاوية مع تحذيرات الإمام المتكرّرة له ، وعمله في «العراقين» معلّمان على خبث طبيئته ودنّسه الذي لم يظّهره في عصر الإمام عليه السلام . وينبغي الالتفات إلى أنّ الإمام عليه السلام كان يواجه حقائق لا تُنكر كغيره من الحكّام . وبالنظر إلى ضرورة إدارة المجتمع واستثمار مختلف الطاقات ، وبالنظر أيضا إلى معاناة الإمام عليه السلام من قلّة الأنصار المخلصين فلا بدّ له من تولية زياد وأضرابه ، بيّذ أنّّه عليه السلام كان يقرن ذلك بالإشراف والتحذير ، ويراقب الأوضاع بدقّة . 4 . كان بعض الأشخاص يعملون مع الإمام عليه السلام ، لكنّهم كانوا لا يوافقونه في بعض مواقفه ! ! فزياد لم يشترك في حروبه جميعها . وأبو مسعود الأنصاري لم يرغب في

الاشتراك في الحروب ، وحين نشبت حرب صفين ، ولّي الكوفة وظلّ فيها . ويزيد بن قيس الذي عُيّن واليا على إصفهان كان يميل إلى الخوارج ، ففرّق الإمام عليه السلام بينه وبينهم بتعيينه . هذا كلّه آية على سماحة الإمام عليه السلام من جهة ، ومن جهة أخرى معلّم على ما ذكرناه أنما من أنّه كان يواجه حقائق في المجتمع لا محيص له منها .

عدّة من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام وعماله

1

أبو أيّوب الأنصاريّ

هو خالد بن زيد بن كُليب ، أبو أيّوب الأنصاريّ الخزرجي ، وهو مشهور بكُنيتِه . من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله . نزل النبيّ صلى الله عليه وآله في داره عند هجرته إلى المدينة [1] . شهد أبو أيّوب حروب النبيّ جميعها [2] . وكان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من السابقين إلى الولاية ، والثابتين في حماية حقّ الخلافة [3] ولم يتراجع عن موقفه هذا قطّ [4] . وعُدّ من الاثنني عشر الذين قاموا في المسجد النبوي بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ودافعوا عن حقّ عليّ عليه السلام بصراحة . [5] لم يدّع أبو أيّوب ملازمة الإمام عليه السلام وصحبته . واشترك معه في كافّة حروبه التي

[1] المعجم الكبير : ج 4 ص 117 ح 3846 .

[2] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 518 ح 5929 .

[3] رجال الكشيّ : ج 1 ص 182 الرقم 78 .

[4] الخصال : ص 608 ح 9 .

[5] الخصال : ص 465 ح 4 .

خاضها ضدّ منيريّ الفتنة [1] . وكان على خيّالته في التّهروان [2] ، وببده لواء الأمان . ولّاه الإمام على المدينة [3] ، لكنّه قرّ منها حين غارة بُسر بن أرطاة عليها . [4] عَقَدَ له الإمام عليه السلام في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة لواءً على عشرة آلاف ليتوجّه إلى الشام مع لواء الإمام الحسين عليه السلام ، ولواء قيس بن سعد لحرب معاوية ، ولكنّ استشهاد الإمام عليه السلام حال دون تنفيذ هذه المهمّة ، فتفرّق الجيش ، ولم يتحقّق ما أرادّه الإمام عليه السلام . [5] وكان أبو أيّوب من الصحابة المكثّرين في نقل الحديث . وروى في فضائل الإمام عليه السلام أحاديث جمّة . وهو أحد رواة حديث الغدير [6] ، وحديث الثقلين [7] ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام حين أمره بقتال التّاكثيين ، والقاسطين ، والمارقين [8] ، ودعوته صلى الله عليه وآله أبا أيّوب أن يكون مع الإمام عليه السلام . [9] توفّي أبو أيّوب بالقسطنطينيّة سنة 52 هـ ، عندما خرج لحرب الروم ، ودُفن هناك . [10]

[1] الاستيعاب : ج 2 ص 10 الرقم 618 .

[2] تاريخ الطبري : ج 5 ص 85 .

[3] تاريخ الطبري : ج 5 ص 139 .

[4] تاريخ الطبري : ج 5 ص 139 .

[5] نهج البلاغة : ذيل الخطبة 182 .

[6] رجال الكشيّ : ج 1 ص 246 الرقم 95 .

[7] الغدير : ج 1 ص 176 .

[8] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 150 ح 4674 .

[9] تاريخ بغداد : ج 13 ص 186 و 187 الرقم 7165 .

[10] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 518 ح 5929 .

أبو ذرّ الغفاريّ [1]

جُنْدَب بن جُنَادَة ، وهو مشهور بكنيته . صوت الحقّ المدوّي ، وصيحة الفضيلة والعدالة المتعالية ، أحد أجلاء الصحابة ، والسابقين إلى الإيمان ، والثابتين على الصراط المستقيم [2] . كان موجّداً قبل الإسلام ، وترقّع عن عبادة الأصنام [3] . جاء إلى مكّة قادماً من البادية ، واعتنق دين الحقّ بكلّ وجوده ، وسمع القرآن . عدّ رابع [4] من أسلم أو خامسهم [5] . واشتهر بإعلانه إسلامه ، واعتقاده بالدين الجديد ، وتقصّيه الحقّ منذ يومه الأوّل [6] . وكان فريداً فذاً في صدقه وصراحته لهجته ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلمته الخالدة فيه تكريماً لهذه الصفة المحمودّة العالية : «ما أَطْلَتِ الْخَضْرَاءُ ، وما أَقْلَتِ الْغُبْرَاءُ [7] أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ » . [8] وكان من الثلّة المعدودة التي رعت حرمة الحقّ في خصمّ التغيّرات التي طرأت بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله [9] . وتفانى في الدفاع عن موقع الولاية العلويّة الرفيعة ، وجعل نفسه مجتّاً للذّب عنه ، وكان أحد الثلاثة الذين لم يفارقوا عليّاً عليه السلام قطّ . [10]

[1] قد اختلف في اسمه وتسميته اختلافاً كثيراً ، وما في المتن هو أكثر وأصحّ ما قيل فيه ، ولكنّه مشهور بكنيته ولقبه .

[2] سير أعلام النبلاء : ج2 ص46 الرقم 10 ، الاستيعاب : ج4 ص216 الرقم 2974 .

[3] الطبقات الكبرى : ج4 ص222 .

[4] المستدرک على الصحيحين : ج3 ص385 ح5459 .

[5] الطبقات الكبرى : ج4 ص224 .

[6] الطبقات الكبرى : ج4 ص225 .

[7] الخضرَاءُ : السّماء ، والغُبْرَاءُ : الأرض (النهاية : ج2 ص42) .

[8] المستدرک على الصحيحين : ج3 ص85 ح5461 .

[9] الخصال : ص607 ح9 .

[10] رجال الكشيّ : ج1 ص38 الرقم 17 .

ولنا أن نعدّ من فضائله ومناقبه صلاته على الجثمان الطاهر لسيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام ، فقد كان في عداد من صلّى عليها في تلك الليلة المشبوبة بالألم والغمّ والمحنة . [1] وصرخاته بوجه الظلم ملأت الآفاق ، واشتهرت في التاريخ ؛ فهو لم يصبر على إسراف الخليفة الثالث وتبذيره وعطاياه الشاذّة ، وانتفض ثائراً صارخاً صدها ، ولم يتحمّل التحريف الذي افتعلوه لدعم تلك المكرمات المصطنعة ، وقدح في الخليفة وتوجيه كعب الأحرار لأعماله وممارساته . فقام الخليفة بنفي صوت العدالة هذا إلى الشام التي كانت حديثة عهد بالإسلام ، غير مألوفة بثقافته . [2] ولم يُطّقه معاوية أبصاً ؛ إذ كان يعيش في الشام كالملوك ، ويفعل ما يفعله القياصرة ، ضارباً بأحكام الإسلام عرض الجدار ، فأقصّت صيحات أبي ذرّ مضجعه [3] . فكتب إلى عثمان يخبره باضطراب الشام عليه إذا بقي فيها أبو ذرّ ، فأمر برّده إلى المدينة [4] ، وأرجعوه إليها على أسوأ حال . وقدم أبو ذرّ المدينة ، لكن لا سياسة عثمان تغيّرت ، ولا موقف أبي ذرّ منه ، فالاحتجاج كان قائماً ، والصيحات مستمرة ، وقول الحقّ متواصلاً ، وكشف المساوئ لم يتوقّف . ولمّا لم يُجِدْ التّرجيب والترهيب معه ، غيّرت الحكومة أسلوبها منه ، وما هو إلّا الإبعاد ، لكنّه هذه المرّة إلى الرّبذة [5] ، وهي صحراء قاحلة حارقة ، وأصدر عثمان تعاليمه بمنع مشايعته [6] . ولم يتحمّل أمير المؤمنين عليه السلام هذه التعاليم

[1] رجال الكشيّ : ج1 ص34 الرقم 13 .

[2] أنساب الأشراف : ج6 ص166 .

[3] أنساب الأشراف : ج6 ص167 .

[4] الطبقات الكبرى : ج4 ص226 .

[5] الكافي : ج8 ص206 ح251 .

[6] مروج الذهب : ج2 ص351 .

الجائرة ، فخرج مع أبنائه وعدد من الصحابة لتوديعه . [1] وله كلام عظيم خاطبه به وبين فيه ظلامته [2] . وتكلّم من كان معه أيضاً ليعلم الناس أنّ الذي أبعد هذا الصحابي الجليل إلى الربذة هو قول الحقّ ومقارعة الظلم لا غيرها . [3] وكان إبعاد أبي ذرّ أحد ممهّدت الثورة على عثمان . وذهب هذا الرجل العظيم إلى الربذة رضيّ الضمير ؛ لأنّه لم يتنصّل عن مسؤوليّته في قول الحقّ ، لكنّ قلبه كان مليئاً بالألم ؛ إذ تركّ وحده ، وفُصل عن مرقّد حبيبهِ رسول الله صلى الله عليه وآله . يقول عبد الله بن حواش الكعبي : رأيتُ أبا ذرّ في الربذة وهو جالس وحده في ظلّ سقيفةٍ ، فقلت : يا أبا ذرّ ! وحدثك ! فقال : كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعاري ، وقول الحقّ سيرتي ، وهذا ما تركّ لي رقيقاً . توفّي أبو ذرّ سنة 32 هـ [4] . وتحقّق ما كان يراه النبيّ صلى الله عليه وآله في مرآة الزمان ، وما كان يقوله فيه ، وكان قد قال صلى الله عليه وآله : «يَرَحِمُ اللَّهُ أبا ذرّ ، يَعِيشُ وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ ، وَيُحْشَرُ وَحْدَهُ» . [5] ووصل جماعة من المؤمنين فيهم مالك الأشتر بعد وفاة ذلك الصحابيّ الكبير القائل الحقّ في زمانه ، ووسّدوا جسده التّحيف الثرى باحترام وتبجيل [6] . [7]

[1] الكافي : ج 8 ص 206 ح 251 .

[2] الكافي : ج 8 ص 206 ح 251 .

[3] الكافي : ج 8 ص 207 ح 251 .

[4] المستدرک علی الصحيحین : ج 3 ص 381 ح 5451 .

[5] الإصابة : ج 7 ص 109 .

[6] المستدرک علی الصحيحین : ج 3 ص 388 ح 5470 .

[7] المشهور إنّ أبا ذرّ انتهج أسلوب كشف المساوى والبدع في أيام عثمان ، كما كان يذكّر بوجود الظلم والتمييز والتكثّل. من هنا لم تتحمّل الحكومة وجوده في المدينة، فنفته إلى الشام . وفيها واصل أسلوبه وفصح معاوية وكشف قبائحه . فشكاه معاوية إلى عثمان ، فردّه إلى المدينة ، ثمّ أبعدّه إلى الربذة بيّد أنّ بعض الباحثين ذهب إلى أنّه مكث طويلاً في الشام ، اهتداءً ببعض الوثائق التاريخية ، ومقايسة أخبار متنوّعة في هذا المجال . أي : إنّّه توجّه إلى الشام بعد موت أبي بكر ، وبذر فيها التشييع . راجع : كتاب «أبو ذرّ الغفاري» لمحمّد جواد آل الفقيه : ص 65 .



أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله

غَلَبَتْ عليه كنيته ، واختلف في اسمه ، فقيل : أسلم ؛ وهو أشهر ما قيل فيه ، وقيل : إبراهيم [1] ، وقيل غير ذلك . أحد الوجوه البارزة في التشيع ، ومن السابقين إلى التأليف والتدوين والعلم ، وأحد صحابة الإمام الأبرار . كان غلاماً للعبّاس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله [2] ، ثمّ وهبه العبّاس للنبيّ صلى الله عليه وآله [3] . ولما أسلم العبّاس وبلغ أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وآله [4] شهد أبو رافع حروب النبيّ صلى الله عليه وآله كلّها إلّا بدرأ [5] . ووقف بعده إلى جانب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثابت العقيدة ولم يفارقه [6] . وهو أحد رواة حديث الغدير [7] . وعُدّ من أبرار الشيعة وصالحهم [8] . وكان مع الإمام عليه السلام أيضاً في جميع معاركه . [9]

[1] الاستيعاب : ج 1 ص 177 الرقم 34 .

[2] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 690 الرقم 6536 .

[3] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 690 الرقم 6536 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 73 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 74 .

[6] رجال النجاشي : ج 1 ص 62 الرقم 1 .

[7] مقتل الحسين للخوارزمي : ج 1 ص 48 .

[8] رجال النجاشي : ج 1 ص 62 الرقم 1 .

[9] رجال النجاشي : ج 1 ص 62 الرقم 1 .

وكان مسؤولاً عن بيت ماله عليه السلام بالكوفة [1] . وولده عبيد الله [2] وعليّ [3] من كُتّابه عليه السلام . ولأبي رافع كتاب كبير عنوانه «السُّنن والقضايا والأحكام» [4] ، يشتمل على الفقه في أبوابه المختلفة ، رواه جمع من المحدثين الكبار وفيهم ولده . وله كتب أخرى منها كتاب «أقضية أمير المؤمنين» ، و «كتاب الديات» وغيرهما ، ويعتقد بعض العلماء أنّها قاطبة أبواب ذلك الكتاب الكبير وفصوله [5] . وذهب أبو رافع مع الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام [6] . ووضع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام نصف بيت أبيه تحت تصرفه . وروى أبو رافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله [7] . وذكر البعض أنّه توفي سنة 40 هـ . [8]

أبو موسى الأشعريّ

هو عبد الله بن قيس بن سليم ، المشهور بأبي موسى الأشعري . من أهل اليمن [9] ، وأحد صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله [10] . أسلم في مكة [11] . وكان حسن الصوت ، واشتهر لقراءة . . [12]

[1] الكامل في التاريخ : ج 2 ص 441 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 74 .

- [3] رجال التجاشي : ج 1 ص 62 الرقم 1 .
- [4] رجال التجاشي : ج 1 ص 64 الرقم 1 .
- [5] تدوين الستة الشريفة : ص 138 - 142 .
- [6] رجال التجاشي : ج 1 ص 64 الرقم 1 .
- [7] التاريخ الكبير : ج 5 ص 138 الرقم 415 .
- [8] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 16 الرقم 3 .
- [9] تاريخ الإسلام للذهبي: ج 3 ص 548 .
- [10] تاريخ دمشق : ج 32 ص 14 .
- [11] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 526 ح 5953 .
- [12] الطبقات الكبرى : ج 2 ص 344 و ج 4 ص 107 و 108 .

ولاه النبيّ صلى الله عليه وآله على مناطق من اليمن [1] . وليالبصرة [2] في عهد عمر بعد عزل المغيرة [3] . عندما كان واليا على البصرة ، فتح كثيرا من مناطق إيران ، منها الأهواز [4] ، وتستر [5] ، وقم [6] ، وأصفهان [7] ، وخنديسابور [8] . وظلّ واليا على البصرة في أوّل خلافة عثمان [9] ، ثمّ عزله عثمان ونصب مكانه عبد الله بن عامر بن كريز [10] الذي كان ابن خمس وعشرين سنة . [11] ولمّا ثار أهل الكوفة على عثمان وواليه سعيد بن العاص وطلبوا أبا موسى ، وافق عثمان على ذلك ، وولي أبو موسى الكوفة . [12] وعندما تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام مقاليد الخلافة أبقاه في منصبه باقتراح مالك الأشتر [13] . وهو الوالي الوحيد الذي ظلّ في منصبه من ولاية عثمان . [14] وكان أبو موسى يثبّط الناس عن نصره الإمام عليه السلام في فتنة أصحاب الجمل ، فعزله

[1] تهذيب الكمال : ج 15 ص 447 الرقم 3491 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 16 .

[3] تاريخ خليفة بن خياط : ص 111 .

[4] تاريخ خليفة بن خياط : ص 94 و ص 97 .

[5] تاريخ خليفة بن خياط : ص 102 و 103 .

[6] معجم البلدان : ج 4 ص 397 .

[7] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 110 .

[8] تاريخ خليفة بن خياط : ص 97 .

[9] الطبقات لخليفة بن خياط : ص 126 الرقم 458 .

[10] تاريخ خليفة بن خياط : ص 133 .

[11] الطبقات الكبرى : ج 5 ص 45 .

[12] أنساب الأشراف : ج 6 ص 159 .

[13] الأمالي للمفيد : ص 296 ح 6 .

[14] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 179 .

الإمام [1] ، وأخرجه مالك الأشتر من الكوفة . [2] اعتزل أبو موسى القتال في صفّين [3] وانضمّ إلى القاعدين . ولكن عندما فرض التحكيم على الإمام عليه

السلام ، فُرِضَ أبو موسى عليه أيضاً حَكَمًا بإصرار الأشعث بن قيس والخزرج وبليلتهم . وكان الإمام عليه السلام يعلم أنَّ أبا موسى سيُضَيِّع الحقَّ بمكيدة عمرو بن العاص ، وكذلك كان يعتقد أصحابه الأجلَاء كمالك الأشتر ، وابن عباس ، والأحنف بن قيس [4]. وفي آخر المطاف انخدع أبو موسى بمكيدة ابن العاص ، وعجز عن استخلاف عبد الله بن عمر ، الَّذِي كان صهره [5] ، وكان يطمع فيها . [6] لقد وَهَمَ أبو موسى أنَّه عزل عليًّا عليه السلام ومعاوية . واستغلَّ ابن العاص الفرصة ، وكادَ فأبقى معاوية . وعَبَّرَ أبو موسى بحماقته هذه عن دوره المخزي في التاريخ مرَّةً أخرى ، وساق المجتمع الإسلامي إلى هاوية الدمار . [7] ويا عجباً ! فَإِنَّ التدقيق في حوار الرجلين يدلُّ على أنَّ أبا موسى كان غير مطلع على موضوع التحكيم ، ولم يعلم في الحقيقة كُنه ما يريد أن يُحْكَمَ فيه . لجأ أبو موسى بعد ذلك إلى مَكَّة [8] . وعندما مَلَكَ معاوية كان يتردَّد عليه ، وكان معاوية يحتفي به . [9]

[1] نهج البلاغة : الكتاب 63 .

[2] الجمل : ص 253 .

[3] وقعة صفين : ص 500 .

[4] وقعة صفين : ص 500 و ص 501 و ص 545 .

[5] مروج الذهب : ج 2 ص 408 .

[6] وقعة صفين : ص 540 .

[7] وقعة صفين : ص 546 .

[8] وقعة صفين : ص 546 .

[9] الغارات : ج 2 ص 656 .

وكان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يدعو في صلاته على أبي موسى ، ومعاوية ، وابن العاص [1]. ويدلُّ التدبُّر في حياة أبي موسى الأشعري وإنعام التَّنْظُر فيما ذكرناه أنَّه كان ذا «جمود فكري» من جهة ، و «خمود سلوكي» من جهة أخرى . فلا هو من أولي الفكر الحركي الفعَّال ، ولا هو من أصحاب السعي اللائق المحمود . لقد كان رجلاً ظاهر التنسُّك دون الاهتداء بما عليه العقل . مات أبو موسى سنة 42 هـ [2] . وهو ابن ثلاث وستين سنةً . [3]

5

أَبُو الْهَيْثَمِ

هو مالك بنُ التَّيْهَانِ بن مالك أبو الهيثم الأنصاري ، وهو مشهور بكنيته . من أوائل الأنصار الذين أسلموا في مَكَّة قبل هجرة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [4]. وكان قبل الإسلام موخِّدًا أيضاً ولم يعبد الأصنام [5] . وشهد مشاهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جميعها [6] ، وهو ممَّن روى حديث غدير . [7] . وكان من السابقين في معرفة الحقِّ بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ إذ سبق إلى معرفة خلافة الحقِّ [8] ، ولم يتنازل عنها إلى غيرها [9] ، وهو أحد الإثني عشر الذين احتجَّوا في مسجد النَّبِيِّ مدافعين عن الإمام عليه السلام ، ومعارضين لتغيير مسار الخلافة . [10]

[1] وقعة صفين : ص 552 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 16 .

[3] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 526 ح 5956 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 448 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 448 .

[6] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 448 .

[7] الغدير : ج 1 ص 16 .

[8] رجال الكشي : ج 1 ص 181 .

[9] الخصال : ص 607 ح 9 .

[10] الخصال : ص 465 ح 4 .

وهكذا كان ؛ فقد رافق الإمام عليه السلام منذ بداية تبلور خلافته ، وتصدّى مع عمّار بن ياسر لأخذ البيعة من الناس . [1] جعله الإمام عليه السلام وعمّار بن ياسر على بيت المال . وهو آية على نزاهته . [2] وعندما ذكر الإمام عليه السلام بلوعة وألم - وهو في وحدته ومحنة تكول أصحابه وضعفهم - أحيته الماضين الذين ثبتوا على الطريق ، ذكر فيهم مالك بن النّيهان ، وتأسّف على فقده . [3] واختلف المؤرّخون في وقت وفاته ، لكن يستبين من خطبة الإمام عليه السلام ، التي ذكر فيها اسمه وثأوة على فقده وفقد عمّار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، قائلاً : « أين إخواني الذين ركّبوا الطريق ومضوا على الحقّ ؟ أين عمّار ؟ وأين ابن النّيهان ؟ وأين ذو الشّهادتين ؟ وأين نظرائهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة ، وأبرد يروؤسهم إلى الفجّة ؟ » يستبين أنّه استشهد في صفّين [4] . وبه صرح ابن أبي الحديد [5] ، والعلامة التستري . [6]

6

الأشعث بن قيس

الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي ، يُكنّى أبا محمّد ، واسمه معديكرب [7] . من

[1] الأُمالي للطوسي : ص 728 ح 1530 .

[2] الاختصاص : ص 152 .

[3] نهج البلاغة : الخطبة 182 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 449 .

[5] شرح نهج البلاغة : ج 10 ص 108 .

[6] قاموس الرجال : ج 7 ص 462 .

[7] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 38 الرقم 8 .

906

كبار اليمن ، وأحد الصحابة [1] . غُورت عينه في حرب اليرموك [2] . وهو وجه مشبوه مُريب متلّون ، رديء الطبع ، سيّئ العمل في التاريخ الإسلامي . ارتدّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عن الدّين وأسير ، فعفا عنه أبو بكر ، وزوّجه أخته [3] . وكان أبو بكر يُعرب عن ندمه ، ويتأسّف لعفوه . [4] زوّج بنته لابن عثمان في أيّام خلافته [5] . ونصبه عثمان والياً على أذربايجان [6] . وكان يهبه مئة ألف درهم من خراجها سنوياً . [7] عزل الإمام عليّ عليه السلام الأشعث عن أذربايجان ، ودعاه إلى المدينة [8] ، فهمّ بالفرار في البداية ، ثمّ قدم المدينة بتوصية أصحابه ، ووافى الإمام عليه السلام . [9] تولّى رئاسة قبيلته «كندة» في حرب صفّين [10] ، وكان على ميمنة الجيش [11] . وتزعّم الأشعث التّيار الذي فرض التحكيم [12] وفرض أبا موسى الأشعري على الإمام عليه السلام . وعارض اختيار ابن عباس ومالك الأشتر حكّمين عن الإمام عليه السلام بصراحة [13] ، ونادى بيمانيّة أحد الحكمين [14] . وله يدّ في نشوء الخوارج ، كما

[1] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 38 الرقم 8 .

[2] تهذيب الكمال : ج 3 ص 288 الرقم 532 .

[3] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 22 .

[4] تاريخ البعقوبي : ج 2 ص 137 .

[5] وقعة صفّين : ص 20 .

[6] وقعة صفّين : ص 20 .

[7] الغارات : ج 1 ص 365 .

[8] وقعة صفّين : ص 20 .

[9] وقعة صفّين : ص 21 .

[10] وقعة صفّين : ص 227 .

[11] وقعة صفّين : ص 205 .

[12] وقعة صفّين : ص 482 .

كان له دور كبير في إيقاد حرب التّهرّوان مع أنّه كان في جيش الإمام عليه السلام [1]. وهو ممّن كان يعارض الإمام عليه السلام وأعماله داخل الجيش بكلّ ما يستطيع [2] ، حتى غدّت مواقفه أصل كلّ فساد واضطراب [3] . وكان شرساً إلى درجة أنّه هدّد الإمام عليه السلام مرّة بالقتل [4] . وسماه الإمام عليه السلام منافقاً ، ولعنه . [5] وكان ابن ملجم يتردّد على داره [6] ، وهو الذي أشار على المذكور بالإسراع يوم عزمه على قتل الإمام عليه السلام [7] . ونحن وإن لم نمتلك دليلاً تاريخياً قطعياً على صلته السريّة بمعاوية ، لكن لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الأيدي الخفيّة تعمل بحذر تامّ وكتمان شديد ، ولذا لم تنكشف إلّا نادراً . لكن ملفّ جنابات هذا البيت المشووم يمكن عدّه وثيقة معتبرة على علّفته بل وعلّقة أسرته بأعداء أهل البيت ، وممّا يعزّز ذلك تعبير الإمام عنه بالمنافق . قامت بنته جعدة بسمّ الإمام الحسن عليه السلام [8] . وتولّى ابنه محمّد إلقاء القبض على مسلم بن عقيل بالكوفة ، بعد أن آمنه زوراً ، ثمّ غدر به [9] وكان ابنه الآخر قيس [10] من أمراء جيش عمر بن سعد في كربلاء ، ولم يقلّ عن أبيه ضعةً ونذالةً ؛ إذ سلب قطيفة الإمام الحسين عليه السلام فاشتهر بـ «قيس القطيفة» . [11]

[1] شرح نهج البلاغة : ج2 ص279 .

[2] نهج البلاغة : الخطبة 19 .

[3] شرح نهج البلاغة : ج2 ص279 .

[4] سير أعلام النبلاء : ج2 ص40 الرقم 8 .

[5] نهج البلاغة : الخطبة 19 .

[6] الإرشاد : ج1 ص19 .

[7] أنساب الأشراف : ج3 ص254 .

[8] الكافي : ج8 ص167 ح187 .

[9] تاريخ الطبري : ج5 ص374 .

[10] تاريخ الطبري : ج5 ص422 .

[11] تاريخ الطبري : ج5 ص453 .

هـ [1] ، فحُتم ملفّ حياته الدّيس الملوّث بالعار .

7

أصبغ بن نباتة

أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي المُجاشعي . كان من خاصّة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، ومن الوجوه البارزة بين أصحابه [2] ، وأحد ثقاته عليه السلام [3] ، وهو مشهور بنباته واستقامته على حبّه عليه السلام . وصفته النصوص التاريخية القديمة بأنّه شيعيّ [4] ، وأنّه مشهور بحبّ عليّ عليه السلام . وكان من «شرطة الخميس» [5] ، ومن أمرائهم [6] . عاهد الإمام عليه السلام على التضحية والفداء والاستشهاد [7] وشهد معه الجمل ، وصقّين [8] . وكان معدوداً في أنصاره الأوفياء المخلصين . وهو الذي روى عهده إلى مالك الأشتر [9] ؛ ذلك العهد العظيم الخالد ! وكان من القلائل الذين أذن لهم بالحضور عند الإمام عليه السلام بعد ضربته [10] . وغدّ الأصبغ في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام أيضاً [11] .

[1] سير أعلام النبلاء : ج2 ص42 الرقم 8 .

[2] رجال التّجاشي : ج1 ص69 الرقم 4 .

[3] كشف المحجّة : ص236 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 225 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 225 .

[6] وقعة صقّين : ص 406 .

[7] رجال الكشّبي : ج 1 ص 321 الرقم 165 .

[8] وقعة صقّين : ص 406 .

[9] رجال التّجاشبي : ج 1 ص 70 الرقم 4 .

[10] الأُمالي للطوسي : ص 123 ح 191 .

[11] رجال الطوسي : ص 93 الرقم 919 .

أُوَيْسُ الْقَرْنِيّ

هو أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ جَزَّةٍ الْمُرَادِي الْقُرْنِي . كَانَ طَاهِرَ الْفُطْرَةِ ، سَلِيمَ الْفِكْرَةِ ، وَوَجْهًا مُتَأَلِّفًا فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ . أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَكِنَّهُ مَا رَأَاهُ [1] . لَذَا عُدَّ فِي التَّابِعِينَ . وَصَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ التَّابِعِينَ وَأَعْلَاهُمْ شَأْنًا [2] ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ يَشْفَعُ لَخَلْقٍ كَثِيرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [3] . وَكَانَ فِي عِدَادِ الزَّهَّادِ الْمَشْهُورِينَ [4] ، وَأَحَدِ ثَمَانِيَتِهِمُ الْمَعْرُوفِينَ [5] . لَمْ يَكُنْ لَهُ حُضُورٌ مَشْهُورٌ فِي الْقَضَايَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَكَانَ تَصَبُّاً [6] فِي الْعِبَادَةِ ، وَثَقُلَ أَنَّهُ رُبَّمَا أَمْضَى اللَّيْلِ كُلَّهُ سَاجِدًا . شَهِدَ مَعَ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَمْلَ ، وَصَقَّيْنِ ، وَعَاهَدَهُ عَلَى الشَّهَادَةِ فِي صَقَّيْنِ . وَفِيهَا نَالَ ذَلِكَ الْوَسَامَ بِوَجْهِ مُدْمَى ، وَدُفِنَ هُنَاكَ [7] . وَقَدْ وَصَفَ الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُوَيْسًا وَصَفًا يَبَيِّنُ مَنْزِلَتَهُ الرَّفِيعَةَ ، حِينَ قَالَ : «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مِنْادٍ . . . أَيْنَ حَوَارِيَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . . . فَيَقُومُ عَمْرُو بْنُ الْحَقِّقِ . . . وَأُوَيْسُ الْقُرْنِيُّ » [8] .

[1] تاريخ دمشق : ج 9 ص 415 .

[2] صحيح مسلم : ج 4 ص 1968 ح 223 .

[3] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 58 ح 5721 .

[4] أسد الغابة : ج 1 ص 332 الرقم 331 .

[5] تهذيب الكمال : ج 24 ص 219 الرقم 4996 .

[6] تصبّ الرجل : أعيا وتعب (لسان العرب : ج 1 ص 758) .

[7] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 455 .

[8] رجال الكشّبي : ج 1 ص 41 الرقم 20 .

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ ، يُكْتَبُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ . صَحَابِيُّ ذَائِعِ الصِّيتِ [1] ، عَمَّرَ طَوِيلًا . وَكَانَ مَعَ أَبِيهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَصِيرِيَّةِ الَّتِي عَاهَدَ فِيهَا أَهْلُ يَثْرِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الدِّفَاعِ عَنْهُ وَدَعْمِهِ وَنَصْرِهِ ، وَبِعَتِّهِمْ هِيَ الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ بِـ «بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ» [2] . وَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَدِينَةَ ، صَحِبَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ حُرُوبَهُ [3] . وَلَمْ يَتَنَازَلَ عَنْ حِرَاسَةِ الْحَقِّ وَحِمَايَتِهِ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَا لَمْ يَذْخَرْ وَسْعًا فِي تَبْيَانِ مَنْزِلَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّنْوِيهِ بِهَا [4] . أَثْنَى الْأَثَمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى رَفِيعِ مَكَانَتِهِ فِي مَعْرِفَةِ مَقَامِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى وَعِيهِ الْعَمِيقِ لِلتَّبَيَّاتِ الْمَخْتَلِفَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَعَارِفِ التَّشْيِيعِ الْخَاصَّةِ ، وَفَهْمِهِ التَّائِذِ لِعَمَقِ الْقُرْآنِ . وَأَشَادُوا بِهِ وَاحِدًا مِنَ الْقَلَّةِ الَّذِينَ لَمْ تَتَفَرَّقْ بِهِمُ السَّبِيلُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَمْ يَسْتَيْقُوا الصِّرَاطَ بَعْدَهُ ، بَلْ ظَلُّوا مَعْتَصِمِينَ مَتَمَسِّكِينَ بِهِ [5] . قُلْنَا إِنَّهُ عَمَّرَ طَوِيلًا ، لَذَا وَرَدَ اسْمُهُ الْكَرِيمُ فِيصْحَابَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [6] ، وَالْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [7] ، وَالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [8] ، وَالْإِمَامِ السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [9] ، وَالْإِمَامِ

- [1] رجال الطوسي : ص 31 الرقم 134 .
- [2] رجال الكشي : ج 1 ص 205 - 217 .
- [3] المستدرک علی الصحیحین: ج 3 ص 652 ح 6398 .
- [4] رجال الكشي : ج 1 ص 182 .
- [5] الخصال : ص 607 .
- [6] رجال الطوسي : ص 59 الرقم 498 .
- [7] م رجال الطوسي : ص 93 الرقم 921 .
- [8] رجال الطوسي : ص 99 الرقم 964 .
- [9] رجال الطوسي : ص 111 الرقم 1087 .
- [10] رجال الطوسي : ص 129 الرقم 1311 .

وهو الذي بلغ الإمام الباقر عليه السلام سلام رسول الله صلى الله عليه وآله له [1]. وكان قد شهد صقين مع الإمام عليه السلام [2]. وهو أول من زار قبر الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء في اليوم الأربعين من استشهادهم ، وبكى على أبي عبد الله كثيراً . [3] والروايات المنقولة عنه بشأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وما أثر عنه من أخبار تفسيرية ، ومناظراته ، ندك كلها على ثبات خطاه ، وسلامة فكره ، وإيمانه العميق ، وعقيدته الراسخة . وصحيفة جابر مشهورة أيضاً [4] ولأته لم ينصر عثمان في فتنته ، فقد ختم الحجّاج بن يوسف على يده يريد إزاله بذلك [5]. فارق جابر الحياة سنة 78 هـ . [6]

حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ

حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ بن معاوية الكندي ، أبو عبد الرحمن ، وهو المعروف بحجر الخير ، وابن الأديب [7] كان جاهلياً إسلامياً [8] ، وفد على النبي [9] ، وله صحبة [10]. من الوجوه المتألّفة في التاريخ الإسلامي ، ومن القمم الشاهقة الساطعة في التاريخ الشيعي .

- [1] الكافي : ج 1 ص 470 ح 2 .
- [2] الاستيعاب : ج 1 ص 293 الرقم 290 .
- [3] مصباح المتهجّد : ص 787 .
- [4] التاريخ الكبير : ج 7 ص 186 الرقم 827 .
- [5] تهذيب الكمال : ج 12 ص 190 الرقم 2612 .
- [6] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 653 ح 6400 .
- [7] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 217 .
- [8] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 534 ح 5983 .
- [9] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 532 ح 5974 .
- [10] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 534 ح 5983 .

جاء إلى التَّبيّ صلى الله عليه وآله وأسلم وهو لم يزل شاباً . وكان من صفاته : تجافيه عن الدنيا ، وزهده ، وكثرة صلاته وصيامه ، واستبساله وشجاعته ، وشرفه وتُّبله وكرامته ، وصلاحه وعبادته [1] . وكان معروفاً بالزهد [2] ، مستجاب الدعوة لما كان يحمله من روح طاهرة ، وقلب سليم ، ونقية محمودّة ، وسيرة حميدة . [3] ولم يسكت حجر قطّ أمام قتل الحقّ وإحياء الباطل والركون إليه . من هنا ثار على عثمان مع سائر المؤمنين المجاهدين [4] . ولم يألُ جهداً في تحقيق حاكميّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فعُدّ من خاصّة أصحابه [5] وشيعته [6] المطيعين . اشترك حجر في حروب الإمام عليه السلام . وكان في الجمل [7] قائداً على خيالة كُتْدَة [8] ، وفي صفّين [9] أميراً على قبيلته [10] ، وفي التَّهروان قاد ميسرة [11] الجيش أو ميمنته . [12] وكان فصيح اللسان ، نافذ الكلام ، يتحدّث ببلاغة ، ويكشف الحقائق بفصاحة . وآية ذلك كلامه الجميل المتبصّر في تبيان منزلة الإمام عليه السلام . [13]

[1] سير أعلام التَّبلاء : ج 3 ص 463 الرقم 95 .

[2] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 531 .

[3] الاستيعاب : ج 1 ص 391 الرقم 505 .

[4] الجمل : ص 137 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 217 .

[6] سير أعلام التَّبلاء : ج 3 ص 463 الرقم 95 .

[7] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 532 ح 5974 .

[8] الجمل : ص 320 .

[9] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 532 ح 5974 .

[10] وقعة صفّين : ص 117 .

[11] الاستيعاب : ج 1 ص 389 الرقم 505 .

[12] الأخبار الطوال : ص 210 .

[13] الجمل : ص 255 .

وكان نصير الإمام الوفيّ المخلص ، والمدافع المجدّ عنه . ولمّا أغار الضخّاك بن قيس على العراق ، أمره الإمام عليه السلام بضدّه ، فهزمه حجر ببطولته وشجاعته ، وأجبره على الفرار . [1] أطلع حجر على مؤامرة قتل الإمام عليه السلام قبل تنفيذها بلحظات ، فحاول بكلّ جهده أن يتدارك الأمر فلم يُفلح [2] . واغتمّ لمقتله كثيراً . وكان من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام الغياريّ الثابتين . [3] وقد جاش دم غيخته في عروقه حين سمع خبر الصلح ، فاعترض [4] ، فقال له الإمام الحسن عليه السلام : لو كان غيرك مثلك لما أمضيته . [5] وكان قلبه يتفطر ألماً من معاوية . وطالما كان يبرأ من هذا الوجه القبيح لحزب الطلقاء الذي تأمّر على المسلمين ، ويدعو عليه مع جمع من الشيعة [6] . وهو الحزب الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وصفه بأنّه ملعون . وكان حجر يقف للدفاع عن العقيدة وأهل البيت عليهم السلام بلا وجلٍ ، ويُعْتَف المغيرة الذي كان فرداً في رجسه وقبحه وردالته ، وقد تسلّط على الكوفة في أثناء حكومة الطلقاء ، وكان يطعن في عليّ عليه السلام وشيعته [7] . وضاق معاوية ذرعاً بحجر وبمواقفه وكشفه الحقائق ، وصلابته ، وثباته ، فأمر بقتله وتمّ تنفيذ أمره ، فاستشهد [8] ذلك الرجل الصالح في «مَرَج

[1] الغارات : ج 2 ص 425 .

[2] الإرشاد : ج 1 ص 19 .

[3] أنساب الأشراف : ج 3 ص 280 .

[4] أنساب الأشراف : ج 3 ص 365 .

[5] أنساب الأشراف : ج 3 ص 365 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 256 .

[7] أنساب الأشراف : ج 5 ص 252 .

[8] تاريخ دمشق : ج 12 ص 217 .

عذراء [1] « [2] سنة 51 هـ ، مع ثلثة من رفاقه . [3] وكان حجر وجيهاً عند الناس ، وذا شخصيّة محبوبة نافذة ، ومنزلة حسنة ، فكبر عليهم استشهاده [4] ، واحتجوا على معاوية ، وقرعوه على فعله القبيح هذا . وكان الإمام الحسين عليه السلام [5] ممّن تألم كثيراً لاستشهاده ، واعترض على معاوية في رسالة بليغة له أثنى فيها ثناءً بالغاً على حجر ، وذكر استغفائه للظلم ، وذكر معاوية بكنهه للعهد ، وإراقته دم حجر الطاهر ظلماً وعدواناً . واعترضت عائشة [6] أيضاً على معاوية من خلال ذكرها حديثاً حول شهداء «مرج عذراء» . [7] وكان معاوية - على ما اتّصف به من فساد الضمير - يرى قتل حجر من أخطائه ، ويعتبر عن ندمه على ذلك [8] ، وقال عند دنو أجله : لو كان ناصحاً لمنعنا من قتله [9] ! وقتل مصعب بن الزبير ولدي حجر : عبيد الله ، وعبد الرحمن صبراً . [10] وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر باستشهاده من قبل ، وشبهه استشهاده وصحبه باستشهاد «أصحاب الأخدود» . [11]

[1] عذراء : قرية بقوطة دمشق من إقليم خولان ، معروفة ، وإليها يُنسب مرّج . والمرّج : الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرّج فيها الدوابّ ؛ أي تذهب وتجيء (معجم البلدان : ج 4 ص 91 و ج 5 ص 100) .

[2] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 532 ح 5974 .

[3] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 532 ح 5978 .

[4] الأخبار الطوال : ص 224 .

[5] أنساب الأشراف : ج 5 ص 129 .

[6] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 534 ح 5984 .

[7] أنساب الأشراف : ج 5 ص 274 .

[8] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 465 الرقم 95 .

[9] أنساب الأشراف : ج 5 ص 275 .

[10] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 532 ح 5974 .

[11] راجع : الغدير : ج 11 ص 54 .

حَذِيقَةُ بَنِي الْيَمَانِ

حذيفة بن اليمان بن جابر ، أبو عبد الله العبسي . كان من وجهاء الصحابة وأعيانهم . وقد أثنى عليه الرجاليون وأصحاب التراجم بمزايا ذكروها في كتبهم كقولهم : «كان من نجباء [1] وكبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله » [2] ، وقولهم : «صاحب سرّ النبي صلى الله عليه وآله » [3] ، وقولهم : «وأعلم الناس بالمنافقين» [4] . وأسّر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله أسماء المنافقين [5] وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة [6] إلى قيام الساعة . [7] لم يشهد بدراً ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد [8] . كان أحد الذين ثبتوا على العقيدة . لم يصبر على تغيير «حقّ الخلافة» و «خلافة الحقّ» بعد وفاة رسول الله ، ووقف إلى جانب عليّ عليه السلام بخطى ثابتة . [9] كان حذيفة ممّن شهد جنازة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وصلى على جثمانها الطاهر . [10] وليّ المدائن في عهد عمر وعثمان [11] . وكان مريضاً في ابتداء خلافة

[1] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 361 الرقم 76 .

[2] الاستيعاب : ج 1 ص 394 الرقم 510 .

[3] صحيح البخاري : ج 3 ص 1368 ح 3533 .

[4] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 429 ح 5631 .

[5] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 364 الرقم 76 .

[6] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 364 الرقم 76 .

[7] تهذيب الكمال : ج 5 ص 500 الرقم 1147 .

[8] المستدرك على الصحيحين : ج 3 ص 428 ح 5623 .

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام . مع هذا كلّ لم يُطَق السكوت عن مناقبه وفضائله صلوات الله عليه ، فصعد المنبر بجسمه العليل ، وأثنى عليه وأبلغ الثناء ، وذكره بقوله : «فوالله إنّه لعلّى الحقّ آخرًا وأوّلًا» ، وقوله : «إنّه لخير من مضى بعد نبيكم» [1] . وأخذ له البيعة [2] ، وهو نفسه بابعه أيضا . [3] وأوصى أولاده مؤكّدا ألا يقصّروا في اتّباعه والسير وراءه ، وقال لهم : «فإنّه والله على الحقّ ، ومن خالفه على الباطل» [4] . ثمّ توفّي بعد سبعة أيّام مضت على ذلك [5] . وقيل : توفّي بعد أربعين يوما . [6]

12

خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ

خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي يُكْنَى أبا عمار . ويلقب بذي الشهادتين . من الشخصيات المتألّفة بين صحابة النّبيّ صلى الله عليه وآله . شهد أحداً وبقية المشاهد [7] . وإنّما اشتهر بذي الشهادتين ؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل شهادته شهادة رجلين [8] . وكان خزيمة أحد الأفراد القلائل الذين ثبتوا على «حقّ الخلافة» و«خلافة الحقّ» بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله [9] ، إذ قام في المسجد رافعا صوته بالدفاع

[1] مروج الذهب : ج 2 ص 394 .

[2] مروج الذهب : ج 2 ص 394 .

[3] الأمالي للطوسي : ص 487 ح 1066 .

[4] مروج الذهب : ج 2 ص 394 .

[5] مروج الذهب : ج 2 ص 394 .

[6] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 428 ح 5623 .

[7] تاريخ الإسلام للذهبي : ج 3 ص 565 .

[8] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 448 ح 5695 .

[9] الخصال : ص 608 ح 9 .

عن خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام . واحتجّ بالمنزلة التي خصّه بها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل أهل بيته عليهم السلام معيارا لمعرفة الحقّ من الباطل ، ونصّبهم أئمّة على العباد [1] . وشهد خزيمة حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان ثابت الخُطى فيها . رُزق الشهادة بعد استشهاد عمّار بن ياسر . [2]

13

رُشَيْدُ الْهَجَرِيّ

رُشيد الهجريّ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الواعين الراسخين [3] . وعدّ من أصحاب الإمام الحسن [4] . والإمام الحسين عليهما السلام أيضا [5] ، كان أمير المؤمنين عليه السلام يعظّمه ويُسمّيه «رُشيد البلايا» . واخترقت نظرته الناقبة التّافذة ما وراء عالم الشهادة ، فعُرف بعالم «البلايا والمنايا» [6] . قال له الإمام عليه السلام يوما : «كَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْكَ دَعِيٌّ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَطَعَ يَدَيْكَ وَرَجَلَيْكَ وَلِسَانَكَ ؟» . قال : أ يَكُونُ آخِرُ ذَلِكَ إِلَيَّ الْجَنَّةُ ؟ [7] وهكذا ترجم عظمة الصبر ، ودلّ على صلابته في محبّته أمير المؤمنين صلوات الله عليه . ولمّا آن ذلك الأوان فعل زياد بن أبيه فعلته ، ولم يتنازل رُشيد عن الحقّ إلى أن استشهد وصلب . [8]

[1] الخصال : ص 464 ح 4 .

[2] مسند ابن حنبل : ج 8 ص 202 ح 21932 .

[3] رجال الطوسي : ص 63 الرقم 556 .

[4] رجال الطوسي : ص 94 الرقم 931 .

[5] رجال الطوسي : ص 100 الرقم 978 .

[6] رجال الكشي : ج 1 ص 291 الرقم 131 .

[7] الأمالي للطوسي : ص 165 ح 276 .

[8] الإرشاد : ج 1 ص 325 .

زياد بن أبيه

هو زياد بن سُميَّة ؛ وهي أمّه ، وقبل استلحاقه بأبي سفيان يقال له : زياد بن عبيد الثقفي ، تحدّثنا عنه مجملًا في مدخل البحث . كان من الخطباء [1] والسياسة . اشتهر بذكائه المفرط ومكره في ميدان السياسة [2] . ولدته سُميَّة ، التي كانت بغيًا من أهل الطائف [3] . وكانت تحت عبيد الثقفي [4] . في السنة الأولى من الهجرة . [5] أسلم زياد في خلافة أبي بكر [6] . ولغت نظر عمر في عنفوان شبابه بسبب كفاءته ودهائه السياسي [7] ، فأشخصه في أيام خلافته إلى اليمن لتنظيم ما حدث فيها من اضطراب [8] . كان عمر بن الخطّاب قد استعمله على بعض صدقات البصرة أو بعض أعمال البصرة . [9] كان زياد يعيش في البصرة ، وعمل كاتبًا لولاتها : أبي موسى الأشعري [10] ، والمغيرة بن شعبة [11] ، وعبد الله بن عامر . [12]

[1] الاستيعاب : ج 2 ص 100 الرقم 829 .

[2] الاستيعاب : ج 2 ص 100 الرقم 829 .

[3] تاريخ يعقوبي : ج 2 ص 219 .

[4] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 495 الرقم 112 .

[5] تاريخ دمشق : ج 19 ص 163 .

[6] تاريخ دمشق : ج 19 ص 162 .

[7] تاريخ دمشق : ج 19 ص 166 - 168 .

[8] الاستيعاب : ج 2 ص 101 الرقم 829 .

[9] الاستيعاب : ج 2 ص 100 الرقم 829 .

[10] الطبقات الكبرى : ج 7 ص 99 .

[11] تاريخ دمشق : ج 19 ص 169 .

[12] تاريخ دمشق : ج 19 ص 169 .

وكان كاتبًا [1] ومستشارًا [2] لابن عباس في البصرة أثناء خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . ولمّا توجّه ابن عباس إلى صفين جعله على خراج البصرة وديوانها وبيت مالها . [3] وعندما امتنع أهل فارس وكرمان من دفع الضرائب ، وطردها واليهم سهل بن خنيف ، استشار الإمام عليه السلام أصحابه لإرسال رجل مدبّر وسياسي إليهم ، فاقترح ابن عباس زيادا [4] ، وأكّد جاريّة بن قدامة هذا الاقتراح . [5] فتوجّه زياد إلى فارس وكرمان [6] . وتمكّن بدهائه السياسي من إخماد نار الفتنة . وفي تلك الفترة نفسها ارتكب أعمالاً ذميمة فاعترض عليه الإمام عليه السلام . [7] لم يشترك زياد فيحروب الإمام عليه السلام ، وكان مع الإمام وابنه الحسن المجتبي عليهما السلام حتى استشهاد الإمام عليه السلام ، بل حتى الأيام الأولى من حكومة معاوية . [8] ثمّ زلّ بمكيدة معاوية ، ووقع فيما كان الإمام قد حذّره منه [9] ، وأصبح أداة طيعة لمعاوية تماما ، من خلال مؤامرة الاستلحاق . وسمّاه معاوية أخاه [10] . وشهد جماعة على أنّه ابن زنا

- [1] تاريخ دمشق : ج 19 ص 169 و 170 .
- [2] تاريخ دمشق : ج 19 ص 171 .
- [3] تاريخ دمشق : ج 19 ص 170 .
- [4] تاريخ الطبري : ج 5 ص 137 .
- [5] تاريخ الطبري : ج 5 ص 137 .
- [6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 137 .
- [7] نهج البلاغة : الكتاب 20 و 21 .
- [8] العقد الفريد : ج 4 ص 5 .
- [9] نهج البلاغة : الكتاب 44 .
- [10] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 218 .
- [11] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 219 .

كانت المفاسد والقبايح متأصلة في نفس زياد ، وقد أبرز خبث طينته واسوداد قلبه في بلاط معاوية . ولآه البصرة في بادئ الأمر ، ثم صار أميراً على الكوفة أيضاً [1] . ولما أحكم قبضته عليهما لم يتورع عن كلّ ضرب من ضروب الفساد والظلم [2] . وتشدد كثيراً على الناس ، خاصة شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام [3] ، إذ سجن الكثيرين منهم في سجون مظلمة ضيقة أو قتلهم [4] . وأكره الناس على البراءة من الإمام عليه السلام [5] . وسبّه [6] مصراً على ذلك . هلك زياد بالطاعون [7] سنة 53 هـ [8] وهو ابن 53 سنة [9] ، بعد عقدٍ من الجور والعدوان والتّهب ونشر القبايح وإشاعة الرجس والفحشاء ، وخلف من هذه الشجرة الخبيثة ثمرة خبيثة تقطر قيحا ، وهو عبيد الله الذي فاق أباه في الكشف عن سوء سريرته وظلمه لآل علي عليه السلام وشيعته . كان زياد نموذجا واضحا للسياسي الذي له دماغ مفكر ، ولكن ليس له قلب وعاطفة قط ! ! كان الشرّ ، والعَبَث ، والتّفاق في معاملة الناس من صفاته التي أشار إليها الإمام عليه السلام في رسالة موقظة منيّه . [10]

- [1] الطبقات الكبرى : ج 7 ص 99 .
- [2] أنساب الأشراف : ج 5 ص 216 .
- [3] المعجم الكبير : ج 3 ص 70 ح 2690 .
- [4] تاريخ دمشق : ج 19 ص 202 .
- [5] تاريخ دمشق : ج 19 ص 203 .
- [6] مروج الذهب : ج 3 ص 35 .
- [7] أنساب الأشراف : ج 5 ص 288 .
- [8] الطبقات الكبرى : ج 7 ص 100 .
- [9] تاريخ خليفة بن خياط : ص 166 .
- [10] تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 204 .

كان زياد عظيما عند طلاب الدنيا الذين يعظم في عيونهم زبرجها وبهرجها ؛ ولذا مدحوه بالذكاء الحاد والمكانة السامية [1] . بيد أنّ نظرة إلى ما وراء ذلك تدلّنا على أنّه لم يرعَ من كلّ رجسٍ ودنسٍ وقبحٍ وخبث ، حتى من تغيير نسبه أيضا .

سلمان الفارسي ، أبو عبد الله ، وهو سلمان المحمّدي ، زاهد ثاقب البصيرة ، نقيّ الفطرة ، من سلالة فارسيّة [2] . مولده رامهرمز [3] وأصله من أصبهان [4] ، صحابيّ [5] جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله . كان يحظى بمكانة عظيمة لا تستوعبها هذه الصفحات القليلة . كان يطوي الفياقي والقفار بحثاً عن الحقّ . وعندما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة حضر عنده وأسلم [6] . وأثر خدمة ذلكم السفير الإلهيّ العظيم بكلّ طواعية ، ولم يألُ جهداً في ذلك ، وشهد الخندق وأعان المؤمنين بذكائه وخبرته بغنونا القتال ، واقترح حفر الخندق ، فلقي اقتراحه ترحيباً . كان يعيش في غاية الزهد ، ولمّا كان قد قطع جميع الوشائج ، وأعرض عن جميع زخارف الحياة ، والتحق بالحقّ ، شرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله : « سَلَمَانٌ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ » [7] . وكان قلبه الطاهر مظهراً للأنوار الإلهيّة ، فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله :

[1] الاستيعاب : ج 2 ص 100 الرقم 829 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 75 .

[3] رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (معجم البلدان : ج 3 ص 17) .

[4] تاريخ دمشق : ج 21 ص 383 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 80 و ص 88 .

[6] المعجم الكبير : ج 6 ص 212 ح 598 .

[7] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 691 ح 6539 و ح 6541 .

« مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ ثَوَّرَ قَلْبُهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى سَلَمَانَ » . [1] وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول عن سعة علمه وإطلاعه : « عَلِمَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْآخِرَ ، وَكَانَ بَحْرًا لَا يَنْزِفُ » . [2] وقد رعى سلمان حرمة الحقّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يحد عن مسير الحقّ [3] ، وكان أحد القلائل الذين قاموا في المسجد النبويّ ودافعوا عن «خلافة الحقّ» و «حقّ الخلافة» [4] . وكان من عشاق عليّ وآل البيت عليهم السلام ، ومن الأقلين الذين شهدوا الصلاة على السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وحضروا دفنها في جوف الليل الحزين . [5] ولّاه عمر على المدائن [6] ، فكانت حكومته فيها من المظاهر المشرفة الباعثة على الفخر والاعتزاز ، فهي حكومة تعلوها الرؤية الإلهيّة ، ويحيطها الزهد والورع ، وهدفها الحقّ والعدل . كان سلمان من المعمرين ، عاش قرابة مئتين وخمسين سنة [7] ، وتوقّي بالمدائن [8] أيام حكومة عمر [9] أو عثمان . [10]

[1] تاريخ دمشق : ج 21 ص 408 .

[2] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 86 .

[3] الخصال : ص 607 ح 9 .

[4] الخصال : ص 463 ح 4 .

[5] الخصال : ص 361 ح 50 .

[6] مروج الذهب : ج 2 ص 314 .

[7] سير أعلام النبلاء : ج 1 ص 555 الرقم 91 .

[8] الطبقات لخليفة بن خيّاط : ص 33 الرقم 22 .

[9] المعارف لابن قتيبة : ص 271 .

[10] الطبقات الكبرى : ج 4 ص 93 .

سليم بن قيس الهلالي العامري يكنى أبا صادق ، كان من محدّثي التابعين ، وعلمائهم ، وعظمائهم ، وهو من أصحاب أمير المؤمنين [1] ، والحسن [2] ، والحسين [3] ، وزين العابدين [4] ، والباقر [5] ، عليهم السلام أجمعين . وكان في أصحاب الإمام أمير المؤمنين من «شرطة الخميس» [6] . وعُدَّ من السّابقين في التّأليف وضبط الحقائق والتاريخ . [8] ويعتبر كتابه - الَّذِي جاء في كتب التراجم والمصادر بعناوين متنوّعة - من أهمّ كتب الشيعة ، وسَمَّاه بعض العلماء «أصل من أكبر كتب الأصول» . [9] والَّذِي هو الآن موجود في أيدينا وعنوانه : «كتاب سليم» مع كثرة نسخه وطرقه ، دار حوله كلام بين علماء الرجال والباحثين الإسلاميين ، منذ زمن بعيد ، فذهب بعضهم إلى أنّه موضوع أساسا ، ورأى بعض آخر أنّ نسبته إلى سليم ثابتة

[1] رجال الطوسي : ص 66 الرقم 590 .

[2] رجال الطوسي : ص 94 الرقم 934 .

[3] رجال الطوسي : ص 101 الرقم 984 .

[4] رجال الطوسي : ص 114 الرقم 1136 .

[5] رجال الطوسي : ص 136 الرقم 1428 .

[6] الشُّرْطَةُ - يسكون الراء وفتحها - : الجند . والجمع شُرَط ، وهم أعوان السلطان والولاية ، وأوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت، سُمّوا بذلك؛ لأنّهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء (مجمع البحرين: ج 2 ص 942). الحَمِيسُ : الجيش ، سُمّي به لأنّه مقسوم بخمسة أقسام : المقدّمة ، والسّاقة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب . وقيل : لأنّه تُحْمَس فيه الغنائم (النهاية : ج 2 ص 79) .

[7] الاختصاص : ص 3 .

[8] الغيبة للنعماني : ص 101 و 102 .

[9] الغيبة للنعماني : ص 101 .

لا غبار عليها ، وحاول هؤلاء الإجابة عن الإشكالات والشبهات المثارة عليه . واحتاط آخرون فقالوا : إنّّه مدسوس ، وحكموا عليه بأنّ فيه الثابت والمشكوك فيه ، والحسن والردى ، والصحيح والسقيم . [1] مع هذا كلّّه ، فإنّ سُلَيْمًا نفسه لا قدح فيه ؛ إذ كان من الشخّصيّات المتألّفة في تاريخ التشيع ، ومن الموالين الأبرار للأئمّة عليهم السلام ، ومن أحبّاء آل الرسول صلى الله عليه وآله وأودّائهم .

صعصعة بن صوحان بن حُجْر العبدي ، كان مسلما على عهد النّبِيِّ صلى الله عليه وآله ولم يره [2] . وكان كبار أصحاب الإمام عليّ عليه السلام [3] ، ومن الذين عرفوه حقّ معرفته كما هو حقّه [4] ، وكان خطيبا شحشحا [5] بليغا [6] . ذهب الأديب العربي الشهير الجاحظ إلى أنّّه كان مقدّما في الخطابة . وأدلّ من كلّ دلالة استنطاق عليّ بن أبي طالب عليه السلام له . [7] أثنى عليه أصحاب التراجم بقولهم : كان شريفا ، أميرا ، فصيحاً ، مفوّهاً ، خطيباً ، لساناً ، ديناً ، فاضلاً . [8] نفاه عثمان إلى الشام مع مالك الأشتر ورجال من الكوفة [9] . وعندما ثار النّاس

[1] تصحيح الاعتقاد : ص 149 .

[2] الاستيعاب : ج 2 ص 273 الرقم 1216 .

[3] سير أعلام النّبلاء : ج 3 ص 528 الرقم 134 .

[4] رجال الكشي : ج 1 ص 285 الرقم 122 .

[5] الشّخّشُج : أي الماهرُ الماضي في كلامه (النهاية : ج 2 ص 449) .

[6] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 221 .

[7] البيان والتبيين : ج 1 ص 327 و ص 202 .

[8] سير أعلام النّبلاء : ج 3 ص 529 الرقم 134 .

[9] تاريخ الطبري : ج 4 ص 323 .

على عثمان ، واتّفقوا على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قام هذا الرجل الذي كان عميق الفكر ، قليل المنيل في معرفة عظمة عليّ عليه السلام - وكان خطيباً مصقفاً - فعبر عن اعتقاده الصريح الرائع بإمامه ، وخطبه قائلاً : «والله يا أمير المؤمنين ! لقد زينت الخلافة وما زانتك ، ورفعتها وما رفعتك ، ولهي إليك أحوج منك إليها» . وعندما أشعل موقدو الفتنة فتيل الحرب على أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل ، كان إلى جانب الإمام ، وبعد أن استشهد أخواه زيد وسيحان اللذان كانا من أصحاب الألوية ، رفع لواءهما وواصل القتال [1] . وفي حرب صفين ، هو رسول الإمام عليه السلام إلى معاوية [2] ومن أمراء الجيش [3] وراوي وقائع صفين . [4] وقف إلى جانب الإمام عليه السلام في حرب النهروان ، واحتجّ على الخوارج بأحقّية إمامه وثباته [5] . وجعله الإمام عليه السلام شاهداً على وصيّته [6] ، فسجلّ بذلك فخراً عظيماً لهذا الرجل . ونطق صعصعة بفضائل الإمام ومناقبه أمام معاوية وأجلاف بني أمية مراراً ، وكان يُنشد ملحمة عظمته أمام عيونهم المحملقة ، ويكشف عن قبائح معاوية ومثالبه بلا وجل . [7] وكم أراد منه معاوية أن يطعن في عليّ عليه السلام ، لكنّه لم يلقَ إلاّ الخزي والفضيحة ، إذ جوبه بخطبه البليغة الأخّاذة . [8]

[1] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 221 .

[2] وقعة صفين : ص 160 و ص 162 .

[3] وقعة صفين : ص 206 .

[4] وقعة صفين : ص 457 و ص 480 .

[5] الاختصاص : ص 121 .

[6] الكافي : ج 7 ص 51 ح 7 .

[7] مروج الذهب : ج 3 ص 50 .

[8] رجال الكشي : ج 1 ص 285 الرقم 123 .

أمنه معاوية مكرها بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وصلاح الإمام الحسن عليه السلام [1] ، فاستثمر صعصعة هذه الفرصة ضدّ معاوية . وكان معاوية دائم الامتناع من بيان صعصعة الفصح المعبر وتعاييره الجميلة في وصف فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يخفِ هذا الامتناع . [2] إنّ ما ذكرناه بحقّ هذا الرجل غيض من فيض . وكفى في عظمته قول الإمام الصادق عليه السلام : ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقّه إلاّ صعصعة وأصحابه . [3] توقّي صعصعة أيّام حكومة معاوية . [4]

18

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس القرشي الهاشمي ، من المفسّرين والمحدّثين المشهورين في التاريخ الإسلامي [5] . وُلِدَ بمكّة في الشّعب قبل الهجرة بثلاث سنين [6] . وذهب إلى المدينة سنة 8 هـ ، عام الفتح [7] . كان عمر يستشيريه في أيّام خلافته [8] . وعندما ثار التّاس على عثمان ، كان مندوبه في الحجّ [9] . ولمّا آلت الخلافة

[1] رجال الكشي : ج 1 ص 285 الرقم 123 .

[2] رجال الكشي : ج 1 ص 285 الرقم 123 .

[3] رجال الكشي : ج 1 ص 285 الرقم 122 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 221 .

[5] أنساب الأشراف : ج 4 ص 39 .

[6] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 615 ح 6277 .

[7] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 333 الرقم 51 .

[8] تاريخ بغداد : ج 1 ص 173 ح 14 .

إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان صاحبه ، ونصيره ، ومستشاره ، وأحد ولاته وأمرائه العسكريين . كان على مقدّمة الجيش في معركة الجمل [1] ، ثم ولي البصرة [2] بعدها . وقبل أن تبدأ حرب صفّين ، استخلف أبا الأسود الدؤلي على البصرة وتوجّه مع الإمام عليه السلام لحرب معاوية . [3] كان أحد أمراء الجيش في الأيام السبعة الأولى من الحرب [4] . ولازم الإمام عليه السلام بنبات على طول الحرب . اختاره الإمام عليه السلام ممثلاً عنه في التحكيم ، بيّد أنّ الخوارج والأشعث عارضوا ذلك قائلين : لا فرق بينه وبين عليّ عليه السلام . [5] حاور الخوارج مندوباً عن الإمام عليه السلام في التّهرّوان مراراً . وأظهر في مناظراته الواعية عدم استقامتهم ، وتزعزع موقفهم ، كما أبان منزلة الإمام الرفيعة السامية . كان والياً على البصرة عند استشهاد الإمام عليه السلام . [6] بايع الإمام الحسن المجتبي عليه السلام [7] ، وتوجّه إلى البصرة من قبله [8] . ولم يشترك مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء . وعلّل البعض ذلك بعماه . لم يبايع عبد الله بن الزبير حين استولى على الحجاز ، والبصرة ، والعراق .

[1] الجمل : ص 319 .

[2] أنساب الأشراف : ج 4 ص 39 .

[3] أنساب الأشراف : ج 4 ص 39 .

[4] وقعة صفّين : ص 221 .

[5] وقعة صفّين : ص 499 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 155 .

[7] الإرشاد : ج 2 ص 8 .

[8] الإرشاد : ج 2 ص 9 .

ومحمّد ابن الحنفية لم يبايعه أيضاً ، فكبر ذلك على ابن الزبير حتى همّ بإحراقهما . [1] كان ابن عباس عالماً له منزلته الرفيعة العالية في التفسير ، والحديث ، والفقّه . وكان تلميذ الإمام عليه السلام في العلم [2] مفتخراً بذلك أعظم افتخار . توفي ابن عباس في مناه بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن إحدى وسبعين [3] ، وهو أكثر من قوله : «اللهم إني أتقرب إليك بمحمّد وآله ، اللهم إني أتقرب إليك بولاية الشيخ عليّ بن أبي طالب» [4] وفي رواية : لمّا حضرت عبد الله بن عباس الوفاة قال : «اللهم إني أتقرب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب» . [5] خلفاء بني العباس من ذريته ، وأخبر الإمام عليه السلام بهذا في خطابه لابن عباس «أبا الأملاك» .

[1] الطبقات الكبرى : ج 5 ص 100 و 101 .

[2] رجال العلّامة الحلّي: ص 103 .

[3] المستدرک على الصحيحين : ج 3 ص 626 ح 6309 .

[4] كفاية الأثر : ص 22 .

[5] فضائل الصحابة لابن حنبل : ج 2 ص 662 ح 1129 .

كلام فيما نسب إلى ابن عباس من الخيانة

من الملاحظات المهمّة في حياة ابن عبّاس موضوع بيت المال بالبصرة ؛ فقد جاء في المصادر التاريخيّة والحديثيّة كتاريخ الطبري ، والكامل في التاريخ ، وأنساب الأشراف ، ورجال الكشّبي ، ونهج البلاغة (بلا ذكر لاسمه) وأمّثالها أنّّه أخذ من بيت مال البصرة . وتختلف أنظار الباحثين حول هذا الموضوع على أقوال : أ - أنكره بعض الباحثين وعلماء الرجال نظرا إلى : - ضعف الأسانيد . - جلالة ابن عبّاس وعلمه وفضله . - ارتباطه الوثيق بالإمام عليّ عليه السلام وإخلاصه له وحبّه إيّاه . - دور الأمويّين في تشويه سمعة أصحاب الإمام عليه السلام . ب - اعترف قسم منهم ببعض ما حصل ، لأنّه ورد في كتب كثيرة ، وتناقله النّاس آنذاك ، واثقّد ابن عبّاس عليه يومئذٍ ، فلم يرَ هؤلاء أنّ إنكاره أمر سهل . ج - أقرّ بعضهم بأصل الموضوع ويتذكّر الإمام عليه السلام إيّاه ، فذهبوا إلى أنّّه وقف على خطئه ، وأعاد أكثر الأموال أو بعضها . وهذا ما ذكره البيهقي في تاريخه ، ويبدو أنّ البيهقي قد تفرّد في نقله ، غير أنّّه يمكن أن يكون مغيدا في تحليل الموضوع .



التّقطة المهمّة الّتي ينبغي ألاّ ننساها في مثل هذه الموضوعات هي دور المفتعلين للحوادث والمُرجّفين . وقد وقف حسن بن زين الدين المشهور بصاحب المعالم على دور الأمويّين في اختلاق هذه الحادثة ، وأكّده باحثون مثل السيّد جعفر مرتضى العاملي . وسيتيسّر علينا فهم هذه التّقطة إذا عرفنا أنّ ابن عبّاس - نظراً إلى مكانته السامية وسمعته العلميّة الّتي لا تُنكر - كان المدافع الشجاع عن عليّ وآل عليّ عليهم السلام في ذلك العهد الأمويّ الأسود ، كما كان المنتقد الجريء للأمويّين والكاشف عن فضائحهم . علماً أنّنا لا نقول بعصمته ، ولا ننكر احتمال خطئه ، بيّداً أنّنا نستبعد قبول جميع ما جاء في كتب التاريخ حول هذا الموضوع ، ولا نراه لائقاً بشأن ابن عبّاس . [1] ولذا قال ابن أبي الحديد : قد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب ، فإنّنا كدّبت الثقل وقلت : هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام ، خالفت الرواة ، فإنّهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه ، وقد ذكر في أكثر كتب السيّر ، وإن صرفته إلى عبد الله بن عبّاس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته ، وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام ، والكلام يُشعر بأنّ الرجل المخاطب من أهله وبني عمّه ، فأنا في هذا الموضوع من المتوقّفين ! [2]

[1] راجع : أعيان الشيعة : ج 8 ص 57 .

[2] شرح نهج البلاغة : ج 16 ص 172 .

عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَافِعٍ

أحد الوجوه المتألّفة في تاريخ التشييع ، ومن السّباقيين إلى التّأليف وتدوين العلوم . وكان كاتب أمير المؤمنين عليه السلام [1] ، ومن خاصّته . وشهد معه الجمل [2] ، وصقّين [3] ، والتّهرّوان [4] عدّه مؤلّفو التراجم والرجاليّون من روّاد التّأليف في الثقافة الإسلاميّة ، وذكروا بعض كتبه . منها : كتاب «قضايا أمير المؤمنين» ، و «تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصقّين والتّهرّوان من الصحابة رضي الله عنهم» . [5] وهذا الكتاب معلّم على نباهة عبید الله ووعيه للوقائع ، ويدلّ على اهتمامه بضبط الحوادث . وكان أخوه - عليّ بن أبي رافع - كاتباً للإمام عليه السلام أيضاً . [6]

عُثْمَانُ بنُ حُثَيْفٍ

عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاريّ الأوسيّ أخو سهل بن حنيف ، من صحابة النّبيّ صلى الله عليه وآله وأحد الأنصار [7] . شهد أحداً وما تلاها من غزوات [8] . وكان أحد الاثني عشر

[1] رجال الطوسي : ص 71 الرقم 654 .

[2] الجمل : ص 395 و ص 399 .

[3] وقعة صقّين : ص 471 .

[4] تاريخ بغداد : ج 10 ص 304 الرقم 5453 .

[5] الفهرست للطوسي : ص 174 الرقم 467 .

[6] رجال النّجاشي : ج 1 ص 62 و ص 65 .

[7] سير أعلام النّبلاء : ج 2 ص 320 الرقم 61 .

[8] أسد الغابة : ج 3 ص 571 الرقم 3577 .

الذين اعترضوا على تغيير الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله [1]. وتولّى مساحة الأرض [2]، وتعيين الخراج [3] في أيام عمر . وليّ البصرة في خلافة الإمام عليّ عليه السلام . عندما وصل أصحاب الجمل إلى البصرة قاتلهم في البداية ، وحين أعلنت الهدنة بينهما ، هجموا عليه ليلاً ، وقتلوا حراس دار الإمارة وظفروا به ، وعدّبوّه ، وتنفّوا شعر لحينه . [4] وتعدّ رسالة الإمام عليه السلام إليه حين دُعِيَ إلى وليمة [5] في البصرة من الوثائق الدالة على عظمة الحكومة العلويّة ، وضرورة اجتناب الولاة والمسؤولين الترف والرفاهيّة ومعاشرة الأثرياء والمفسدين . توفّي عثمان أيام حكومة معاوية . [6]

21

عديّ بن حاتم

عديّ بن حاتم بن عبد الله الطائي يكنى أبا طريف ، ابن سخيّ العرب المشهور حاتم الطائي [7]، وأحد الصحابة . [8] تولّى عديّ رئاسة قبيلته ، وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله سنة (7 هـ) وأسلم [9]، فأكرمه ورعى حرمة . [10]

[1] الاحتجاج : ج 1 ص 198 ح 11 .

[2] تاريخ خليفة بن خياط : ص 106 .

[3] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 320 الرقم 61 .

[4] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 322 الرقم 61 .

[5] نهج البلاغة : الكتاب 45 .

[6] سير أعلام النبلاء : ج 2 ص 322 الرقم 61 .

[7] أسد الغابة : ج 4 ص 8 الرقم 3610 .

[8] تهذيب الكمال : ج 19 ص 525 الرقم 3884 .

[9] تهذيب الكمال : ج 19 ص 525 الرقم 3884 .

[10] سير أعلام النبلاء : ج 3 ص 163 الرقم 26 .

ظلّ وفياً للولاية العلويّة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وذاد عن حريم الحقّ والولاية . [1] شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهدته [2] . ولمّا لحق أحد أولاده بمعاوية ، برئ منه [3] . وكلماته أمام مساعير الفتنة دليل على وعيه العميق للحوادث ، وإدراكه السليم لموقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وثباته على صراط الحقّ ، ومن كلماته : أيّها الناس ، إنّ الله لو غير عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه . . . [4] اختاره الإمام عليه السلام لمفاوضة العدوّ في صفّين بسبب منطقته البليغ [5] . قتل أحد أولاده في إحدى حروب الإمام ، كما فقد إحدى عينيه [6] . وكان معاوية يعظّمه ويرعى حرمة ، بيّد أنّه كان يذكر الإمام عليه السلام في مناسبات مختلفة ويثني عليه . ولم يتنازل عن موقفه الحقّ أمام معاوية . [7] توفّي حوالي سنة 68 هـ [8] ، وله من العمر منةً وعشرون سنة . [9]

22

عليّ بن أبي رافع

عليّ بن أبي رافع . ولد في عهد النبيّ وسماه عليّاً [10] ، تابعي ، من خيار الشيعة ،

[1] رجال الكشي : ج 1 ص 186 .

[2] تاريخ بغداد : ج 1 ص 189 الرقم 29 .

[3] وقعة صفّين : ص 522 و 523 .

[4] الإمامة والسياسة : ج 1 ص 141 .

[5] وقعة صقّين : ص 197 .

[6] الجمل : ص 367 .

[7] مروج الذهب : ج 3 ص 13 .

[8] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 22 .

[9] الطبقات لخليفة بن خيَّاط : ص 127 الرقم 463 .

[10] الإصابة : ج 5 ص 53 الرقم 6278 .

كانت له صحبة مع أمير المؤمنين ، وكان كاتباً له ، وحفظ كثيراً ، وجمع كتاباً في فنون من الفقه : الوضوء ، والصلاة ، وسائر الأبواب [1] ، وكان على بيت مال عليّ عليه السلام [2] ، وكان كاتبه . [3]

23

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بن عامر المَدَنِيّ ، أبو اليقظان ، وأمه سمّية ، وهي أوّل من استشهد في سبيل الله . من السابقين إلى الإيمان والهجرة ، ومن الثابتين الراسخين في العقيدة ؛ فقد تحمّل تعذيب المشركين مع أبيه منذ الأيّام الأولى لبزوغ شمس الإسلام ، ولم يداخله ريب في طريق الحقّ لحظة واحدة . [4] شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه يزول مع الحقّ ، وأنّه الطيّب المطيّب وأنّه ملئ إيماناً . وأكّد أنّ التّار لا تمسّه أبداً . وهو ممّن حرس - بعد رسول الله صلى الله عليه وآله - «خلافة الحقّ» و«حقّ الخلافة» ، ولم ينكّب عن الصراط المستقيم قطّ [5] ، وصلى مع أمير المؤمنين عليه السلام على جنازة السيّدة المطهّرة فاطمة الزهراء عليها السلام [6] ، وظلّ ملازماً للإمام صلوات الله عليه . ولي الكوفة مدّة في عهد عمر [7] . وكان قائداً للجيوش في فتح بعض الأقاليم . [8]

[1] رجال النّجاشي : ج 1 ص 65 .

[2] تهذيب الأحكام : ج 10 ص 151 ح 606 .

[3] تهذيب الأحكام : ج 10 ص 151 ح 606 .

[4] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 246 و ص 249 .

[5] الخصال : ص 464 ح 4 و ص 607 ح 9 .

[6] الخصال : ص 361 ح 50 .

[7] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 438 ح 5663 .

[8] تاريخ الطبري : ج 4 ص 41 و ص 90 و ص 138 .

ولمّا حكم عثمان كان من المعارضين له بجديّ [1] . وانتقد سيرته مراراً ، حتّى همّ بنفيه إلى الرّبذة لولا تدخّل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ حال دون تحقيق هدفه . [2] ضُرب بأمر عثمان لصراحتة ، وفعل به ذلك أيضاً عثمان نفسه ، وظلّ يعاني من آثار ذلك الضرب إلى آخر عمره . [3] وكان لاشتراكه الفعّال في حرب الجمل ، وتصديّته لقيادة الخيّالة في جيش الإمام عليه السلام مظهر عظيم . كما تولّى في صقّين قيادة رجّالة الكوفة والقزّاء [4] . تحدّث مع عمرو بن العاص وأمّثاله من مناوئي الإمام عليه السلام في غير موطن ، وكشف الحقّ بمنطقه البليغ واستدلالاته الرصينة . [5] وفي صقّين استشهد هذا الصحابيّ الجليل والتّمودج المتألّق ، فتحقّقت بذلك التّبوءة العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه ؛ إذ كان قد خاطبه قائلاً : « تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » . وكان له من العمر إِبّان استشهاده ثلاث وتسعون سنة . [6] تُغلّ الخبر الغيبيّ الَّذِي أدلى به النّبِيّ صلى الله عليه وآله و آلّه حول قتل الفتنّة الباغية عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بألفاظ متشابهة ، وطرق متعدّدة . وكان التّاس ينظرون إلى عَمَّار بوصفه المقياس في تمييز الحقّ والباطل . وأثر هذا الحديث بصيغة : « تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » ، وبصيغة : « تَقْتُلُ عَمَّاراً الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » ، وبصيغة : « تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » على لسان سبعة وعشرين من الصحابة ، وهم : أبو سعيد الخدري ، وعمرو بن العاص ،

[1] الطبقات الكبرى : ج 3 ص 260 .

[2] أنساب الأشراف : ج 6 ص 169 .

[3] أنساب الأشراف : ج 6 ص 161 - 163 .

[4] وقعة صفين : ص 208 .

[5] وقعة صفين : ص 319 و 320 و ص 336 - 339 .

[6] المستدرک علی الصحیحین : ج 3 ص 436 ح 5657 .

وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعاوية ، وأبو هريرة ، وأبو رافع ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو اليسر ، وعمّار ، وأمّ سلمة ، وقتادة بن النعمان ، وأبو قتادة ، وعثمان بن عفّان ، وجابر بن سمرة ، وكعب بن مالك ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وابن عبّاس ، وأبو أيوب ، وعبد الله بن أبي هذيل ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعد ، وأبو أمامة ، وزيد بن الفرد ، وعائشة [1] . وصرح البعض بتواتره كابن عبد البر [2] ، والذهبي [3] ، والسيوطي [4] . وأثار هذا الحديث مشكلة لمعاوية بعد استشهاد عمّار ، فحاول توجيهه بقوله : ما نحن قتلناه وإثما قتله من جاء به [5] ! فقال الإمام عليه السلام في جوابه : « فرسول الله صلى الله عليه وآله إن قاتل حمزة ! » [6] ولا يمكن لهذه الصفحات القليلة أن تفي بحق تلك الشخصية العظيمة قط . وأترككم مع هذه النصوص من الروايات والتاريخ ، التي بيّنت لنا غيضا من فيض فيما يرتبط بهذه القمّة الرفيعة شرفا ، واستقامة ، وحرّيّة .

24

كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ

هو كميل بن زياد بن تُهَيْك التّخعي الكوفي ، من أصحاب الإمامين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام [7] ، وأبي محمّد الحسن عليه السلام . [8]

[1] صحيح البخاري : ج 3 ص 1035 ح 2657 .

[2] الاستيعاب : ج 3 ص 231 الرقم 1883 .

[3] الإصابة : ج 4 ص 474 الرقم 5720 .

[4] الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة : ص 76 الرقم 104 .

[5] الأمالي للصدوق : ص 489 ح 665 .

[6] شرح نهج البلاغة : ج 20 ص 334 ح 835 .

[7] رجال الطوسي : ص 80 الرقم 792 .

[8] رجال الطوسي : ص 95 الرقم 946 .

عُدّ من ثقات أصحاب الإمام عليّ عليه السلام [1] ، وقيل في حقّه : كان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً . [2] كان في مقدّمة الكوفيّين الثائرين على عثمان [3] ، فأقصاه عثمان مع عدّة إلى الشام [4] . ولمّا كانت حرب صفين شارك فيها مع أهل الكوفة . [5] ولّاه الإمام على هيت ، فلم يتحمّل عبّأها ، بل كان ضعيفاً في ولايته ، فعاتبه الإمام على ذلك [6] . روى عن أمير المؤمنين عليه السلام [7] ، ومما رواه الدعاء المشهور بـ «دعاء كميل» [8] . لم يرد ذكره في واقعة كربلاء ، ولا في ثورة التوابين والمختار . استشهد كميل - والذي كان من جملة العبّاد الثمانية المشهورين في الكوفة [9] - في سنة 82 هـ [10] على يد الحجاج لعنه الله . [11]

25

مَالِكُ الْأَشْتَرُ

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث التّخعي الكوفي ، المعروف بالأشتر ؛ الوجه

[1] كشف المحجّة : ص 236 .

[2] البداية والنهاية : ج 9 ص 46 .

[3] أنساب الأشراف : ج 6 ص 139 .

[4] تاريخ الطبري : ج 4 ص 323 و ص 326 .

[5] الطبقات الكبرى : ج 6 ص 179 .

[6] نهج البلاغة : الكتاب 61 .

[7] نهج البلاغة : الحكمة 147 .

[8] مصباح المتعبد : ص 844 ح 910 .

[9] تهذيب الكمال : ج 24 ص 219 الرقم 4996 .

[10] الطبقات لخليفة بن خياط : ص 249 الرقم 1058 .

[11] الإرشاد : ج 1 ص 327 .

المشرق ، والبطل الذي لا يُقهر ، والليث الباسل في الحروب ، وأصلب صحابة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأثبتهم . وكان الإمام عليه السلام ينق به ويعتمد عليه ، وطالما كان يُثني على وعيه ، وخبرته ، وبطولته ، وبصيرته ، وعظمته ، ويفتخر بذلك . وليس بأيدينا معلومات تُذكر حول بدايات وعيه . وكان أول حضوره الجاد في فتح دمشق وحرب اليرموك [1] ، وفيها أُصيب عينه [2] فاشتهر بالأشتر [3] . وكان مالك يعيش في الكوفة . وكان طويل القامة ، عريض الصدر ، طلق اللسان [4] ، عديم المثل في الفروسية [5] . وكان لمزايه الأخلاقية ومروءته ومنعته وهيئته وأبته وحياته ، تأثير عجيب في نفوس الكوفيين ؛ من هنا كانوا يسمعون كلامه ، ويحترمون آراءه . وفي مع عدد من أصحابه إلى حمص [6] في أيام عثمان بسبب اصطدامه بسعيد بن العاص والي عثمان [7] . ولما اشتدت نبرة المعارضة لعثمان عاد إلى الكوفة ، ومنع واليه - الذي كان قد ذهب إلى المدينة آنذاك - من دخولها . [8]

[1] تاريخ دمشق : ج 56 ص 379 .

[2] تهذيب الكمال : ج 27 ص 127 الرقم 5731 .

[3] الشتر : انقلاب جفن العين إلى أسفل . والرجل أشتر (راجع : النهاية : ج 2 ص 443) .

[4] وقعة صفين : ص 255 .

[5] تاريخ الإسلام للذهبي : ج 3 ص 594 .

[6] حمص : أحد قواعد الشام، وتقع إلى الشمال من مدينة دمشق، تبعد عنها 150 كيلومترا، وهي ذات بساتين، وشربها من نهر العاصي. دخلت هذه المدينة تحت سيطرة المسلمين في سنة 15 للهجرة (راجع : تقويم البلدان : ص 261) .

[7] أنساب الأشراف : ج 6 ص 155 و 156 .

[8] أنساب الأشراف : ج 6 ص 157 .

واشترك في ثورة المسلمين على عثمان [1] ، وتولى قيادة الكوفيين الذين كانوا قد توجهوا إلى المدينة ، وكان له دور حاسم في القضاء على حكومة عثمان . [2] وكان بصير على خلافة الإمام علي عليه السلام بفضل ما كان يتمتع به من وعي عميق ، ومعرفة دقيقة برجال زمانه ، وبالتيارات والحوادث الجارية يومذاك [3] . من هنا كان نصير الإمام عليه السلام وعضده المقنن عند خلافته . وقد امتزجت طاعته وإخلاصه له عليه السلام بروحه ودمه ، وكان الإمام عليه السلام أيضا يحترمه احتراما ، خاصا ويقيم وزنا لآرائه في الأمور . وكان له رأي في بقاء أبي موسى الأشعري واليا على الكوفة ، ارتضاه الإمام عليه السلام وأيده [4] ، مع أنه عليه السلام كان يعلم بمكون فكر أبي موسى ، ولم يكن له رأي في بقاءه . [5] وعندما كان أبو موسى يثبط الناس عن المسير مع الإمام عليه السلام في حرب الجمل ، ذهب مالك إلى الكوفة ، وأخرج أبا موسى - الذي كان قد عزله الإمام عليه السلام - منها ، وعبأ الناس من أجل دعم الإمام عليه السلام والمسير معه في الحرب ضد أصحاب الجمل [6] . وكان له دور حاسم عجيب في الحرب . وكان على الميمنة فيها [7] . واضطراره مع عبد الله بن الزبير مشهور في هذه المعركة . [8]

[1] الجمل : ص 137 .

[2] الشافي : ج 4 ص 262 .

[3] تاريخ الطبري : ج 4 ص 433 .

[4] الأمالي للمفيد : ص 296 ج 6 .

[5] الأمالي للمفيد : ص 295 ج 6 .

[6] الجمل : ص 253 .

[7] الأخبار الطوال : ص 147 .

[8] الجمل : ص 350 .

ولي مالك الجزيرة [1] - وهي تشمل مناطق بين دجلة والفرات - بعد حرب الجمل . وكانت هذه المنطقة قريبة من الشام التي كان يحكمها معاوية [2] . واستدعاه الإمام عليه السلام قبل حرب صفين . وكان على مقدّمة الجيش في البداية ، وقد هزم مقدّمة جيش معاوية . ولمّا استولى جيش معاوية على الماء وأغلق منافذه بوجه جيش الإمام عليه السلام ، كان لمالك دور فاعل في فتح تلك المنافذ والسيطرة على الماء [3] . وكان في الحرب مقاتلاً بأسلاً مقدماً ، رابط الجأش مجداً مستبسلاً ، وقد قاتل بقلبٍ فتيّ وشجاعة منقطعة التّظير [4] . وتولّى قيادة الجيش مع الأشعث [5] ، وكان على خيّالة الكوفة طول الحرب [6] ، وأحياناً كان يقود أقساماً أخرى من الجيش . [7] وفي معارك ذي الحجة الأولى كانت المسؤولية الأصلية والدور الأساس للقتال على عاتقه [8] . وفي المرحلة الثانية - شهر صفر - كان يقود القتال أيضاً يومين في كلّ ثمانية أيّام . [9] وكان له مظهر عجيب في المنازلات الفردية للقتال ، وفي حلّ عُقد الحرب ، وعلاج مشاكل الجيش ، والتّهوض بعبء الحرب ، والسير بها قدماً بأمر الإمام عليه السلام .

[1] وقعة صفين : ص 12 .

[2] وقعة صفين : ص 12 .

[3] وقعة صفين : ص 174 - 179 .

[4] وقعة صفين : ص 196 و ص 430 .

[5] تاريخ الطبري : ج 4 ص 569 و 570 .

[6] تاريخ الطبري : ج 5 ص 11 .

[7] وقعة صفين : ص 475 .

[8] تاريخ الطبري : ج 4 ص 574 .

[9] تاريخ الطبري : ج 5 ص 12 و 13 .

بيد أنّ مظهره الباهر الخالد قد تجلّى في الأيّام الأخيرة منها ، بخاتمة «يوم الخميس» و «ليلة الهَرير» . وكان يوم الخميس وليلة الجمعة «ليلة الهرير» مسرحاً لعرض عجيب تجلّت فيه شجاعته ، وشهامته ، واستبساله ، وقتاله بلا هوادة ، إذ خلخل نظم الجيش الشامي ، وتقدّم صباح الجمعة حتى أشرف على خيمة القيادة [1] . وصار هلاك العدو أمراً محتوماً ، وبينما كان الظلم يلفظ أنفاسه الأخيرة ، والتّصر يلتصق في عيون مالك ، تأمر عمرو بن العاص ونشر فخّ مكيدته ، فأسرعت جموع من جيش الإمام - وهم الذين سيشكلون تيار الخوارج - ومعهم الأشعث إلى مؤازرته ، فازداد الطين بلةً بحماقتهم . وهكذا جعلوا الإمام عليه السلام في وضع حرج ليقبل الصلح ، ويرجع مالكا عن موقعه المتقدّم في ميدان الحرب . وكان طبيعياً في تلك اللحظة المصيرية الحاسمة العجيبة أن يرفض مالك ، ويرفض معه الإمام عليه السلام أيضاً ، لكن لما بلغه أنّ حياة الإمام في خطر ، عاد بروح ملؤها الحزن والألم ، فأغمد سيفه ، ونجا معاوية الذي أوشك أن يطلب الأمان من موت محقق ، وخرج من مأزق ضاق به !! [2] وشاجر مالك الخوارج والأشعث ، وكلّمهم في حقيقة ما حصل ، وأنبأهم ، بما يملك من بصيرة وبعُد نظر ، أنّ جذر تقدّسهم يكمن في تملّصهم من المسؤولية ، وشغفهم بالدنيا . [3] وحين اقترح الإمام عليه السلام عبد الله بن عباس للتحكيم ورفضه الخوارج والأشعث ، اقترح مالكا ، فرفضوه أيضاً مصريّين على يمانية الحَكَم ، في حين كان مالك يمانيّ

[1] وقعة صقّين : ص475 .

[2] وقعة صقّين : ص489 و 490 .

[3] وقعة صقّين : ص491 .

المحتد ، وهذا من عجائب الأمور ! [1] وعاد مالك بعد صقّين إلى مهمّته [2] . ولما اضطربت مصر على محمّد بن أبي بكر وصعب عليه أمرها وتمرد أهلها ، انتدب الإمام عليه السلام مالكا وولّاه عليها [3] . وكان قد خبر كفاءته ، ورفعته ، واستماتته ، ودأبه ، ووعيه ، وخبرته في العمل ، فكتب إلى أهل مصر كتابا يعرفهم به ، قال فيه : «... بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، لَا يَنَامُ أَبَامَ الْخَوْفِ ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ ، أَشَدَّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِّقِ النَّارِ ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ ؛ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ ، لَا كَلِيلَ الطَّبَةِ [4] وَلَا نَابِي [5] الصَّرِيَّةِ ؛ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا ؛ فَإِنَّهُ لَا يُعَدِمُ وَلَا يُحْجِمُ وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي ، وَقَدْ أَنْزَلْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ ، وَشِدَّةِ تَكْيَمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ» . [6] وكانت تعليماته عليه السلام الحكوميّة - المشهورة بـ «عهد مالك الأشتر» - أعظم وأرفع وثيقة للحكومة وإقامة القسط ، وهي خالدة على مرّ التاريخ . [7] وكان معاوية قد عقد الأمل على مصر ، وحين شعر أنّ جميع خططه ستخيّب بذهاب مالك إليها ، قضى عليه قبل وصوله إليها . وهكذا استشهد ليث الوعي ،

[1] وقعة صقّين : ص499 - 504 .

[2] تاريخ الطبري : ج5 ص95 .

[3] الأمالي للمفيد : ص79 ح4 .

[4] كلّ السيف ، فهو كليل : إذا لم يقطع (النهاية : ج4 ص198) . والطبّة: حدّ السيف والسنان والتّصل والخنجر وما أشبه ذلك (لسان العرب: ج15 ص22).

[5] يقال : نبا حدّ السيف : إذا لم يقطع (النهاية : ج5 ص11) .

[6] نهج البلاغة : الكتاب 38 .

[7] نهج البلاغة : الكتاب 53 .

والمقاتل الغدّ ، والتّاصر الفريد لمولاه ، بطريقة غادرة بعدما تناول من العسل المسموم بسمّ فتّاك ، وعرجت روحه المشرقة الطاهرة إلى الملكوت الأعلى . [1] وحزن الإمام عليه السلام لمقتله ، حتى عدّ موته من مصائب الدهر [2] . وأبّنه فكان تأبينه إياه فريدا ؛ كما أنّ وجود مالك كان فريدا له في حياته عليه السلام . [3] ولما نُعي إليه مالك وبلغه خبر استشهاد المؤلم ، صعد المنبر وقال : «أَلَا إِنَّ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ قَدْ قُصِيَ نَحْبُهُ ، وَأَوْفَى بَعْدِهِ ، وَلَعَيَ رَبُّهُ ، فَرَجَمَ اللَّهُ مُمَالِكًا ! لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِينَا [4] ، وَلَوْ كَانَ حَجَرًا لَكَانَ صُلْدًا . لِلَّهِ مَالِكٌ ! وَمَا مَالِكٌ ! وَهَلْ قَامَتِ النِّسَاءُ عَنْ مِثْلِ مَالِكٍ ! وَهَلْ مَوْجُودٌ كَمَالِكٍ !» . [5] ومعاوية الذي كان فريدا أيضا في خبث طويّته ورذالته وضّعته وقتله للفضيلة ، طار فرحا باستشهاد مالك ، ولم يستطع أن يخفي سروره ، فقال من فرط فرحه : كان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان ، فقطعت إحداهما يوم صقّين - يعني عمّار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم ، وهو مالك الأشتر . [6] وكلّما كان يذكره الإمام عليه السلام ، يثقل عليه الغمّ والحزن ، ويتحسّر على فقده . وحين ضاق ذرعا من التحركات الجائرة لأهل الشام ، وتألّم لعدم سماع جُنْده كلامه ، وتأوّه على قعودهم وخذلانهم له في اجتثاث جذور الفتنة ، قال رجل : استبانَ فقدُ الأشتر على أهل العراق . لو كان حيّا لقلّ اللغط ، ولعلم كلّ امرئ

[1] أنساب الأشراف : ج3 ص168 .

[2] الأمالي للمفيد : ص83 ح4 .

[3] نهج البلاغة : الحكمة 443 .

[4] الفئد من الجبل : أنفه الخارج منه . وقيل : هو المُنفرد من الجبال (النهاية : ج3 ص475) .

[5] الاختصاص : ص81 .

[6] الغارات : ج1 ص264 .

ما يقول . [1] نطق هذا الرجل حقاً ، فلم يكن أحد في جيش الإمام عليه السلام مثل مالك .

26

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَانَ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، وُلِدَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ [سنة 10 هـ] بِذِي الْحَلِيفَةِ [2] ، فِي وَقْتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ تَهَيَّأَ مَعَ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ لِأَدَاءِ حِجَّةِ الْوَدَاعِ . أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ . كَانَتْ فِي الْبِدَايَةِ زَوْجَةَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ [3] وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الْحَبَشَةِ [4] . وَبَعْدَ اسْتِشْهَادِ جَعْفَرٍ تَزَوَّجَهَا أَبُو بَكْرٍ [5] ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ تَزَوَّجَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَانْتَقَلَتْ إِلَى بَيْتِهِ مَعَ أَوْلَادِهَا وَفِيهِمْ مُحَمَّدٌ الَّذِي كَانَ يَوْمُنَا ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ . [6] نَشَأَ فِي حِجْرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [7] إِلَى جَانِبِ الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَامْتَزَجَتْ رُوحُهُ بِمَعْرِفَةِ وَحَبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَكَانَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ أحياناً مَلَاطِفاً : مُحَمَّدُ ابْنِي مِنْ صُلْبِ أَبِي بَكْرٍ . [8] وَكَانَ مُحَمَّدٌ فِي مِصْرٍ أَيْامَ حُكُومَةِ عُثْمَانَ ، وَبَدَأَ فِيهَا تَعْنِيفَهُ وَانْتِقَادَهُ لَهُ [9] ،

[1] الأُمَالِي لِلطُّوسِي : ص 174 ح 293 .

[2] صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ج 2 ص 887 ح 147 .

[3] أَسَدُ الْغَابَةِ : ج 1 ص 544 الرِّقْمُ 759 .

[4] شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : ج 6 ص 53 .

[5] مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ج 2 ص 307 .

[6] مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ج 2 ص 307 .

[7] الْاِسْتِيعَابُ : ج 3 ص 422 الرِّقْمُ 2348 .

[8] شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : ج 6 ص 53 .

[9] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ : ج 4 ص 292 .

وَاشْتَرَكَ فِي الثَّوْرَةِ عَلَيْهِ [1] . وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ تَصَدِّيهِ لِلْخِلَافَةِ . وَهُوَ الَّذِي حَمَلَ كِتَابَهُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ قَبْلَ نَشُوبِ حَرْبِ الْجَمَلِ [2] ، وَكَانَ عَلَى الرِّجَالِ فِيهَا [3] . وَبَعْدَ غَلْبَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَلَّى مُتَابَعَةَ الشُّؤُنِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِعَائِشَةَ بِأَمْرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [4] ، وَأَعَادَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ . [5] كَانَ مُحَمَّدٌ مَجْدًا فِي الْجِهَادِ وَالْعِبَادَةِ ، وَلِجَدِّهِ فِي عِبَادَتِهِ سُمِّيَ عَابِدَ قَرِيشٍ [6] . وَهُوَ جَدُّ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأُمّهَاتِ . [7] وَلَآهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِصْرٍ سَنَةً 36 هـ بَعْدَ عَزْلِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَنْهَا [8] . وَلَمَّا تَخَاذَلَ أَصْحَابُ الْإِمَامِ عَنْ نَصْرَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَرَكُوهُ وَحِيدًا ، اغْتَنِمَ مَعَاوِيَةُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَغْتَالَ هَذَا التَّصِيرَ الْمَخْلُصَ بِأَسْلُوبٍ غَادِرٍ خَبِيثٍ ، وَاسْتَطَاعَ حِينَئِذٍ أَنْ يَسَخَّرَ مِصْرَ تَحْتَ قُدْرَتِهِ . كَانَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَذْكُرُهُ بِخَيْرٍ فِي مَنَاسِبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَيَقُولُ : «لَقَدْ كَانَ إِلَيَّ خَبِيئًا، وَكَانَ لِي رَبِيئًا [9] ، فَعِنْدَ اللَّهِ تَحْتَسِينَةُ وَلَدًا نَاصِحًا، وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيِّفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا» . [10]

[1] الطَّبِيقَاتُ الْكُبْرَى : ج 3 ص 73 .

[2] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ : ج 4 ص 477 .

[3] الْجَمَلُ : ص 319 .

[4] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ : ج 4 ص 534 .

[5] الْأَخْبَارُ الطُّوَالُ : ص 152 .

[6] مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ج 2 ص 307 .

[7] مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ج 2 ص 307 .

[8] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ : ج 4 ص 554 .

[9] نَهْجُ الْبَلَاغَةِ : الْخُطْبَةُ 68 .

المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو

المقداد بن عمرو بن ثعلبة البَهْرَاوِيُّ الكندي ، المعروف بالمقداد بن الأسود . طويل القامة ، أسمر الوجه [1]. كان من شجعان الصحابة وأبطالهم ونجّباؤهم [2]. شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله [3]. وصَفُوهُ بأنّه مجمع الفضائل والمناقب ، وكان أحد الأركان الأربعة [4]. وعَدَّه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله أحد الأربعة الذين تشتاَق إليهم الجنّة . [5] ثبت على الصراط المستقيم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحفظ حقّ الولاية العلويّة ، وأعلن مخالفته للذين بدّلوا ، في مسجد النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله . [6] وعُدَّ المقداد في بعض الروايات أطوع أصحاب الإمام عليه السلام [7]. وكان من الصفوة الذين صلّوا على الجثمان الطاهر لسيدة النساء فاطمة صلوات الله عليها . [8] عارض المقداد حكومة عثمان ، وأعلن عن معارضته لها من خلال خطبة ألقاها في مسجد المدينة [9] ، وقال : إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحدا أعلم ولا أفضى منه بالعدل . . أما والله لو أجد عليه أعوانا . . .

[1] المستدرک علی الصحيحین : ج 3 ص 392 ح 5484 .

[2] حلية الأولياء : ج 1 ص 172 .

[3] المستدرک علی الصحيحین : ج 3 ص 392 ح 5484 .

[4] الاختصاص : ص 6 .

[5] المعجم الكبير : ج 6 ص 215 ح 6045 .

[6] الخصال : ص 463 ح 4 .

[7] رجال الكشي : ج 1 ص 46 الرقم 22 .

[8] الخصال : ص 361 ح 50 .

[9] تاريخ الطبري : ج 4 ص 232 و 233 .

توفّي المقداد سنة 33 هـ وهو في السبعين من عمره . [1] وكان له نصيب من مال الدنيا منذ البداية فأوصى للحسن والحسين عليهما السلام بستّة وثلاثين ألف درهم منه . [2] وهذه الوصيّة دليل على حبّه لأهل البيت عليهم السلام وتكريمه واحترامه لهم عليهم السلام .

ميثم التَّمَارُ

هو ميثم بن يحيى التَّمَارُ الأسدي أبو سالم ، جليل من أصحاب أمير المؤمنين [3] ، والحسن [4] ، والحسين [5] عليهم السلام . كان عبدا لامرأة فاشتراه عليّ عليه السلام وأعتقه ، نال منزلة رفيعة من العلم بفضل باب العلم النبوي حتى وُصف بأنّه أوتي علم المنايا والبلايا . كان الإمام عليه السلام قد أخبره بكيفيّة استشهادهِ وما يلاقيه في سبيل الله . وقد نطق ميثم بهذه الحقيقة العظيمة الواعظة أمام قاتله الجلّاد الجائر ، وأكّد حتميّة تحقّق تلك التّبوءة الإعجازيّة بصلاية تامّة . [6] إنّ رسوخه على طريق الحقّ ، وثباته في الدفاع عن الولاية ، ومنطقه البليغ في تجلية الحقائق . كلّ ذلك قد استبان مرارا في كلمات الأئمّة عليهم السلام وذكرته أعلام العلماء ممّا سنقف عليه لاحقا . قتله عبيد الله بن زياد قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بأيام . [7]

[1] المستدرک علی الصحيحین : ج 3 ص 392 ح 5484 .

[2] تهذيب الكمال : ج 28 ص 456 الرقم 6162 .

[3] رجال الطوسي : ص 81 الرقم 802 .

[4] رجال الطوسي : ص 96 الرقم 951 .

[5] رجال الطوسي : ص 105 الرقم 1034 .

[6] الإرشاد : ج 1 ص 323 .

[7] الإرشاد : ج 1 ص 323 .